حصريات عبق الروائع
رومانسيات عربية
دمعات القمر
بقلم حسن الخلق
www.liilas.com
des.by umteeba

دمعات القمر

بقلم حسن الخلق

الملخص

دموع القمر ليست بكاء
بل هي قطرات حياة ..
تهبط كل فجر مانحة الأرض روح تتجدد ونقاء ..
لؤلؤات فتية، لمسات حانية، قطرات ندية..
تبدد حلكة الليل وتوقظ بتلات الزهور بقبلات النسيم ..
هكذا هن بطلات القمر .. دافئات، رقيقات، محبات، مخلصات..
داخلهن قوة عطاء ودفاع لا ينضب ضد تقلبات الغدر الخفية ..
سنجول هنا وهناك بصحبة أريج الندى الفواح ..
تمدنا القطرات بدفق مثير من المغامرات ..
لأنها هي .. دمعات القمر البهية ..

www.liilas.com
des.by umteeba

دمعات القمر

تعريف الشخصيات بترتيب أبجدي

مختارات من أشعار العملاق

نزار قباني

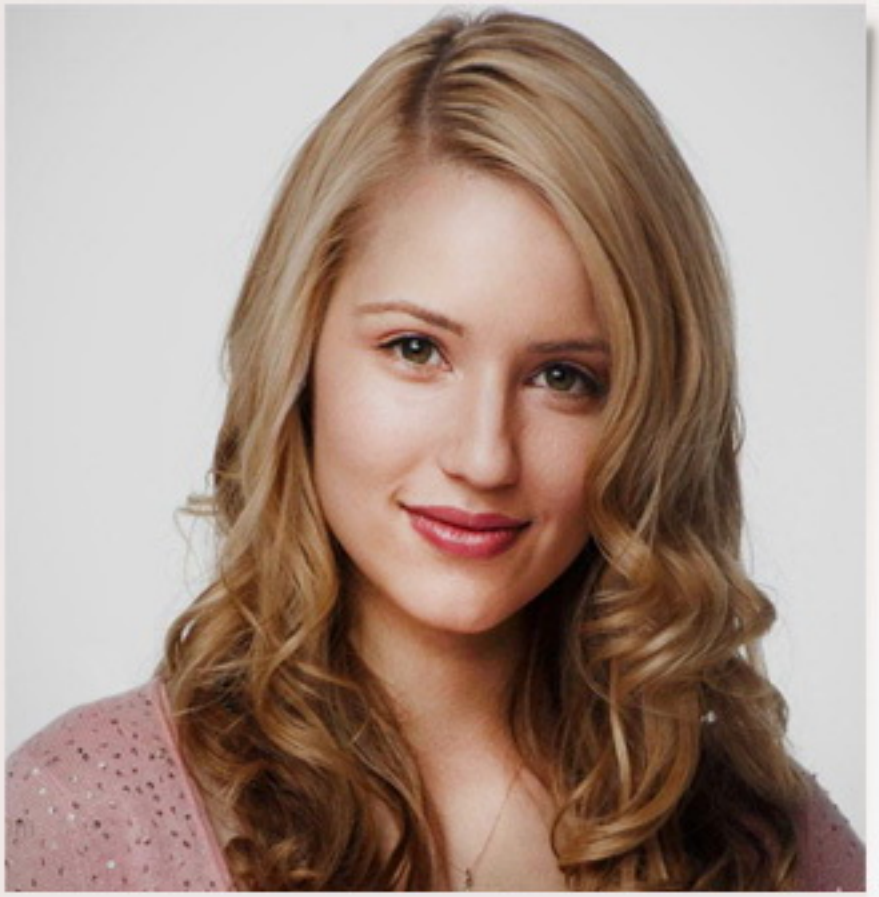

أمـــاني

أنا أحبك حاول أن تساعدني
فإن من بدأ المأساة ينهيهـا
و إن من فتح الأبواب يغلقهـا
و إن من أشعل النيـران يطفيهـا
ألا تراني ببحر الحب غارقة
و الموج يمضغ آمالي و يرميهـا

سُـــلاف

كتبت (أحبك) فوق جدار القمر
كما لا أحبك يوماً بشر
كتبت على دفتر الشمس
.. أحلى خبر
(أحبك جداً)
فليتك كنت قرأت الخبر

جيّـدا

متى ستعرف كم أهواك يا رجلا
أبيع من أجله الدنيـا و ما فيها
أنا أحبك فوق الغيم أكتبهـا
و للعصافير و الأشجار أحكيها
أنا أحبك فوق الماء أنقشهـا
و للعناقيد و الأقداح أسقيهـا

نـازلي

انزل قليلا عن الأهداب يا رجلا
مـا زال يقتل أحلامي و يحييها
كم ذهبت لوعد لا وجود له
و كم حلمت بأثواب سأشريهـا
وكم تمنيت لو للرقص تطلبني
و حيرتني ذراعي أين ألقيهـا

نـــدى

..لنفترق قليلا
لخير هذا الحب يا حبيبي .. و خيرنا
لنفترق قليلا
لأنني أريد أن تزيد في محبتي
بحق ما لدينا
من ذكرى غاليةٍ كانت على كلينا

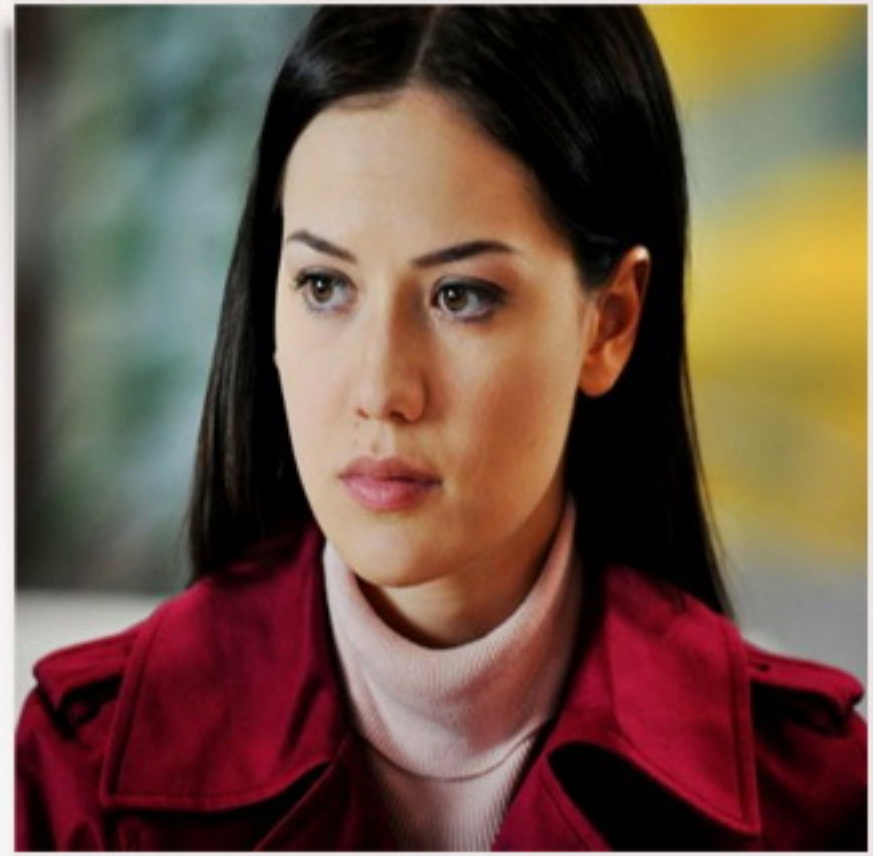

نـرفين

أأدعي أنني أكرهه !؟
وكيف أكره من في الجفن سكناه !؟
كيف أهرب منه ؟ إنه قدري
هل يملك النهر تغييرا لمجراه ؟
الحب في الأرض .. بعض من تخيلنا
لو لم نجده عليها .. لاخترعناه

أدهـم

من أين أتيت ؟ و كيف أتيت ؟
و كيف عصفت بوجداني ؟
يا إحدى نعم الله علي
و غيمة حبٍ و حنانٍ
يا أغلى لؤلؤةٍ بيدي
آهٍ .. كم ربي أعطاني

خـالد

ً أشهد أن لا امرأة
أتقنت اللعبة إلا أنت
واحتملت حماقتي
عشرة أعوام كما احتملت
واصطبرت على جنوني مثلما صبرت

شـــاهين

: قولي لي
كيف سأنقذ نفسي من أمواج الطوفان ؟
: قولي لي
ماذا أفعل فيك ؟ أنا في حالة إدمان
قولي لي ما الحل ؟ فأشواقي
وصلت لحدود الهذيان

صـــالح

هذا أنا بكل سيئاتي
كشفت أوراقي فلا تراعي
لن تجدي أطهر من شروري
للحسن ثوراتٌ فلا تهابي
و لتثقي مهما يكن بحبي
فإنه أكبر من كبير

عمـــر

يا امرأة الدهشة .. يا امرأتي
لا أدري كيف رماني الموج على قدميك
لا ادري كيف مشيت إلي
و كيف مشيت إليك
دافئةٌ أنت كرمل البحر
رائعةٌ أنت كليلة قدر

مـــاجد

يروون في ضيعتنا .. أنت التي أرجح
شائعةٌ أنا لها مصفقٌ .. مسبح
وأدعيها بفم مزقه التبجح
يا سعدها روايةً ألهو بها و أمرح
يحكونها .. فللسفوح السكر و الترنح

مـــراد

هل عندك شكٌ في من أنت ؟
يا من تحتل بعينيها أجزاء الوقت
يا امرأةً تكسر ، حين تمر ، جدار الصوت
لا أدري ماذا يحدث لي ؟
فكأنك أنثاي الأولى
و كأني قبلك ما أحببت

يعقـوب

أنت لي .. مهما صنف الواشون
وحدي .. أجل وحدي .. و لن يرقى إليك مطمح
لي ميسة الزنار .. و الخاصرة الموشح
الخال لي .. والشال لي .. و الأسود المسرح
أنت .. و يكفيني أنا الغرور و التبجح

دمعات القمر

المقدمة

بينما أمر بحالة نفسية سيئة لقرب انتهاء آخر رواياتي "على حافة الأفق" و بت أدق أبواب موجة اكتئاب مفارقة الأبطال المعتادة مع الشعور بخواء فكري عجيب – اكره هذه الحالة بالمناسبة – و أحاول إقناع عقلي أنهم بخير و لن يفتقدونني بعد ما وجدوا شركائهم و كونوا عائلات مستقره ، وجدتها تزورني بابتسامتها الخلابة التي تخطف الأبصار رغما عنها بضوئها و براءتها ..

ابتسامة شقية تنبع من الداخل ، من أعماق نفسها ليست مجرد صورة تجسدها الشفتين و عضلات الوجه ..

استطاعت تلك البسمة أن تبدد الظلام و الحزن بعصا ساحر و تلفت انتباهي لصاحبتها التي اقتربت مني و هدهدت أفكاري الصاخبة بعيونها الساحرة قائلة :

- لا تحزني ، أنا هنا ..

طالعتها بنظرة ودودة و سألتها :

- و من تكونين أنت ؟!

أشارت لنفسها بسعادة هاتفة :

- أنا جيّدا صديقتك الجديدة و أول القطرات ..

غمغمت بانبهار :
- اسمك جيّدا ؟
قالت شارحة :
- في الوثائق الرسمية هو جيّداء لكن الجميع يدعونني باختصاره ..
تهللت خلايا عقلي و طلبت منها مشاركتي الجلسة قائلة :
- يا له من اسم جميل ، هل تعرفين معناه ؟
أومأت بابتسامة تتسع و تتألق فخرا :
- أجل ، فأبي لا يمل تكرار ذلك ، الجيّداء هي المرأة الطويلة العنق الحسناء و التي يفضلها العرب و يتغزل بها الشعراء ..
لم تكد تنهي عبارتها حتى قاطعها دوي صخب يأتي من خلفها صادرا عن فتاة تصغرها بفارق بسيط تسحب معها أخرى بصورة مضحكة تبدو اهدأ من كلتيهما هاتفة بمرح منقطع النظير :
- و أنا و أنا ، لا تنسوني ، أنا هنا أيضا ، أعرفك جيدا أنت الكاتبة (و أشارت لنفسها متابعة بعيون لامعة) و أنا سُلاف شقيقة جيّدا و مدللة العائلة بجدارة و أكون قطرة الثانية ..

ثم استدارت تقدم الفتاة ذات الملامح الملائكية و النعومة الربانية خلفها هاتفة :
- و هذه أماني ابنة عمنا و صديقتنا المشتركة منذ الطفولة ، نحن مقربات جدا من بعضنا ، والدها هو الشقيق الأصغر لكنه تزوج قبل والدنا و أفادها ذلك بميزة كونها الأكبر و بالطبع هي قطرة الندى الثالثة و ستتوالى بعدنا بقية القطرات التي ستتجمع في رباط محبب بدفء الصداقة ..
تابعت انطلاقها في الحديث بعفويتها المحببة و انطلاقها المرح لكن أثناء ذلك دخلت فكرة من طريق معاكس قطعت سيل الفِكرات الثلاث
و دوت داخل عقلي تردد منذرة :
- ماذا دهاكِ ؟ صفة الصداقة تكررت في كل رواياتك بلا استثناء ، سيظن القراء انك مملة و أفكارك قاصرة ، غيري هذه المرة و كوني متجددة يا حمقاء ..
تشوشت لوهلة لكن سرعان ما حركت رأسي انفضها بعيدا ناهرة تلك الفكرة الخبيثة بثقة :
كلا ، لن أحيد عن مبادئي و ابتعدي عن عقلي حالا ، الصداقة الحقيقية و الحب هما عماد

الحياة و لونها المشرق و منها نستمد كل ما هو جميل و راقي ، سأظل دائما و أبدا أنادي بأفكاري أن علاقات الترابط الاجتماعي من هذا النوع قادرة على تذليل جميع الصعوبات التي تواجهنا ، لن أتخيل أبدا أبطالي دون صداقة متينة تجمعهم ، قوامها الأخوية في الله بالإضافة لحب جارف يهز الوجدان و تتشربه الخلايا و الحواس برقة و شغف كما لن أنسى جعله يعصف بالعقل و الاتزان بفوضوية محببة تجتاح كل شيء عداه ..

ثم قهقهت ضاحكة عندما أبصرت سُلاف الشقية تهرع خلف الفكرة التي لم تعجبها كما يبدو و تركلها بعيدا ليعود العقل لصفائه و يكمل حديثه مع هؤلاء الفاتنات اللاتي أضئنه ببريق مختلف لا يقل حلاوة عن سابقيه ..

لقد احتله بكل سرور جيّدا ، سُلاف ، أماني و ... القائمة لا تزال عامرة بالعديد من الشخصيات المتنوعة المشارب و الأهواء ، سيدخلنا كل منهم إلى عالمه سواء برقة أو بصخب لا يهم لكننا سنتعرف عليهم ..

اقتربت جيّدا برقتها و لباقتها سائلة :

- هل أصبحتِ أفضل الآن ؟

منحتها ابتسامتي الممتنة و أردفت بصدق :

- بالتأكيد ، بوجودكن عزيزاتي ..

تبعتها أماني تربت على كتفي بحنو امومي يفيض منها قائلة :

- هكذا أفضل لا أحب أن أراكِ حزينة ، لهذا جئنا و معنا ستعود ابتسامتك و شغبك الذي لا تكفين عنه ، لكن حاذري لقد منحك القراء لقب شريرة مع مرتبة الشرف فهل يستمر معك هذه المرة أيضا ؟ أم ستفاجئينهم ؟

قفزت سُلاف تجيب قبل أن افتح فمي هاتفة بيقين :

- أنا أكيدة أنها ستحتفظ به بل ستزيد عليه ، آه كم نحب نحن الأبطال مشاغباتها مهما ادعينا العكس ، صحيح نتعذب و نتألم لكننا لا نفقد إيماننا بها ، فهي دائما تسعدنا في النهاية و هذا يجعل الحب أكثر روعة (تنهدت مغمضة العينين قبل أن تتابع قائلة برقة) ما أجمل الوصول بعد سلسلة من الصعاب تمنحه الاستقرار و الثبات ..

وجد نفسي اسألها منبهرة بتفكيرها و رأيها العميق :

- من أين لك كل هذه الحكمة و النظرة المتأنية سُلاف برغم سنوات عمرك الغضة التي بالكاد تخطت العشرون ؟

صفقت بيديها جذلة قبل أن ترد شارحة :

- استمدها من أفكارك التي اطلعت عليها بالطبع ، إن لم تلاحظي أنا اسكن عقلك سيدتي و أتجول فيه ما شئت (ثم تداركت بجدية مضحكة) لكن مهلا عديني أن تمنحيني بطل أحلامي ، أريده يتدفق عاطفة و يجعلني مليكة قلبه المتوجة و لا يرى فتاة عداي ..

هرعت لمعانقة ثلاثتهم هاتفة من أعماق قلبي :

- انتن حبيباتي الرائعات ، امممم سوف امزح قليلا فقط لكن بالطبع قبل النهاية سأطمئن على كل منكن سعيدة مع فارس أحلامها المغوار ..

تقافزت سُلاف بمرح هاتفة :

- الم أخبركم ؟ لهذا أحبها ، لكن انتبهي يجب أن نتفق أولا و نضع الخطوط العريضة ، أنا لا أحب الكآبة و جيجي تخاف الظلام أما مانو فذات مشاعر مرهفة و سريعة التأثر لا تبكيها كثيرا ..

صمتّ أبحث داخل عقلي لوهلة قبل أن تتحدث جيّدا الفاتنة قائلة :

- ماذا بك ؟ تبحثين عن احد ؟

أومأت بالإيجاب مرددة :

- نعم ، أتساءل أين بقية الأبطال ؟ ألن يحضروا اجتماعنا هذا ؟!

تحدثت أماني بهدوئها الأثير قائلة بصوت مخملي :

- لا .. انه اجتماع مغلق قاصر علينا فقط ، دعيهم مختفين بين ثنايا عقلك الآن ليتفاجئ بهم الجميع ، يكفي ثلاثتنا طفونا على السطح

وافقتها مع ابتسامة شقية قبل أن اهتف بسعادة :

- نعم هذا أفضل فنحن نخفي لهم الكثير ، يا الله كم أنا متحمسة لبدأ الحكاية و خوض غِمار الأحداث ..

تبادلنا نظرة متواطئة تموج مكرا و سحر ثم شرعت أتأملهن بفخر مُزج بالإعجاب فكل منهن تحمل سمات داخليه و خارجية مختلفة عن الأخرى ....

جيّدا فتاة يانعة ذات ملامح شرقية فاتنة ، وجهها بشكل قلب تكلله نعومة خصلات شعرها

شعرها المتوسط الطول بلونه البنيّ الجذاب ..
تمتلك أجمل عينين قد يراهما المرء يوما ،
واسعتين بلونهما اللوزي الغريب الذي يتبدل
تبعا لمزاجها ما بين البنيّ الفاتح و الأخضر
بمزيج بديع ..
ابتسامتها قصة بحد ذاتها فهي تشع مرحا و
تضيء وجهها بهالة من البراءة التي تقربها من
القلوب بأسرع ما يكون ، تمتلك خاصية التأثير
في الأنفس بقدرة فريدة لا تعلم سببها لكنها
فتاة مميزة بكل ما يخصها ..
منّ الله عليها بموهبتين في آن واحد صوت
جميل يطرب الأسماع بدفء يتغلغل ليمس
القلب عندما تقرر أن تغني تبعا لحالتها
المزاجية ، لطالما كانت نجمة حفلاتهم
العائلية بصوتها المفعم بالمشاعر ، كما أنها
فنانة تشكيلية تخرجت من كلية الفنون ،
تعشق الرسم و تجسيد كل ما تقع عليه
عينيها خاصة الطبيعة النابضة بالحياة حولها .
تركتها لحديثها الهامس مع أماني حول احد
الأمور و نقلت بصري إلى سُلاف التي تلهو
بهاتفها ذو اللون الوردي الأنثوي كما كل
أغراضها التي تتفنن باختيارها لائقة

بشخصيتها المتدفقة حيوية و انطلاق ..
هي الابنة الصغرى للسيد رضوان الذي لم
ينجب سوا ابنتيه و كونها الثانية منحها الحق
في أن تظل صغيرتهم المدللة للأبد ..
لا زالت تدرس و لديها العديد من الاهتمامات
التي لم تترك لها دقيقة فارغة ..
للوهلة الأولى تشبه شقيقتها لكن مع النظرة
الثانية تتضح أوجه الاختلاف ، فهما تتفقان في
لون الشعر و البشرة القمحية الدافئة بينما
سُلاف شعرها أكثر طولا و عيونها أدكن لونا
ذات نظرات شقية يطل منها المرح مع شيء آخر
تبرع في إخفائه خلف صخبها و ضحكاتها
العالية ، إحساس طالما أرقها سالباً نومها لكنها
تجيد التعامل معه ، حتى الآن على الأقل ..
ميزتها الأكثر وضوحا هي إدمانها متابعة
المسلسلات التركية و شغفها باللغة و دراسة
جوانب هذا المجتمع الذي يجمع بين الشرق
و الغرب بمزيج أشعل فضولها المتوثب دائما ..
أخيرا أماني التي تشع أنوثة و رقة و التي
تشترك مع جيدا في شكل وجهها الشبيه بالقلب
لكن عدا ذلك كل شيء مختلف فهي شقراء
ذات بشرة كريمية شفافة و عيون حالمة

استعارت لون العسل الصافي ..
ثم أنف دقيق مستقيم يجعلها أشبه بمراهقة
لم تشب عن الطوق بعد يعلو شفتيها الناعمتين
بلونهما الطبيعي الأخاذ ..
يتوج رأسها تاج من الخصلات الذهبية
الحريرية ذات الموجات اللامعة تقبع بدلال
خلف حجابها الناعم الذي تتقن التعامل معه
لتبدو دائما أنيقة ، ساحرة المظهر و عنوان
للرقي ..
التفتت إليّ بنظرة عينيها التي سكنها حزن
دفين يبدو انه استوطنها منذ الأزل لكنها
تحاول نكرانه فسألتها بإقرار :
- لا زال على نفس تفكيره و تصرفاته ، أليس
كذلك ؟
أومأت برقة و استسلام يائس :
- بلى .. و لن يتغير ، سوف يظل هكذا و لا حيلة
لي معه ..
- لكن لما يفعل ذلك مانو ؟!!
مطت شفتيها بحسرة و تابعت :
- لا اعرف ، أنت من سيخبرنا ..
حركت رأسي بتفهم و أجبتها :

- لا تقلقي سأجد السبب بالتأكيد ، اعتمدي
عليّ ، لا تنسي انك من بنات أفكاري ..
هتفت سُلاف عندما بادلتها النظر :
- ها أنت تعرفين الآن ، لقد رأيتها داخل عينيك
رفعت كتفي بقلة حيلة :
- حسنا اعترف ، لكن كفي عن التجوال داخل
عقلي سُلاف فأنا اعلم عنك أيضا بالمناسبة ..
أشاحت وجهها مسرعة فلم أرد إحراجها أكثر
و التفتّ لذات الابتسامة التي تفتن الطير على
الشجر :
- و أنت جيجي ، أخبارك مع الفن ؟
منحتني نظرتها المتألقة قائلة :
- على خير ما يرام ، أساتذتي يقولون أن
لوحاتي أفضل و ريشتي باتت انضج و أكثر
جرأة في التعبير ..
- تستحقين الخير كله عزيزتي ..
عدت بنظراتي لفيفي التي تجلس على حافة
مقعد شقيقتها و مازحتها بقولي :
- يبدو أن الشقية لا تريد مشاركتنا ..
رفعت حاجبيها و هتفت قائلة :
- أنا !! حاش لله ، بالعكس لكنك ستبدئين

بالمشاغبة معي و تريدين فضحي أمام القراء ، انتظري حتى بداية الفصول على الأقل ..!
ضحكت من تعبير وجهها الكوميدي و طمأنتها قائلة :
- لا تخشي شيئا ، لن افعلها الآن طبعا امممم ليس قبل الفصل الأول هذا إن استطعت الصبر ..
ضجت أربعتنا بالضحك و التعليقات المازحة حتى استدركت قائلة :
- دعونا نتحدث عن بقية الأبطال إذن ، مزايا و عيوب كل منهم على سبيل المثال ، سهرتكم الليلة معي و سنعد كل ما تحبونه ..
ما رأيكم ، نبدأ بـ ... مُراد ربما ؟
لمعت عيون أماني بفضول هاتفة :
- اجل ، لما لا ؟
بينما قفزت سُلاف تكمم فمي بكفها صائحة :
- شششش سوف يستمعون إلينا ! الم نتفق على السرية ؟!
أومأت بالموافقة فأزالت كفها باسمة :
- ييي صحيح ، كدت أنسى ذلك ، شكرا على تذكيري سُلافي الحلوة ، دعونا نودعهم إذن لتكون الجلسة مغلقة بحق من هذه اللحظة و قد بدأ الجد ..
عفوا أعزائي القراء ، لدينا أمور سرية للمناقشة و لا يجب أن تعرفوها الآن ، لذا إلى اللقاء مع الفصل الأول بمشيئة الله ، لكن ألزموا الحذر فهذه المرة صراع الخير و الشر مسيطر و علينا الصمود للنهاية ..

تحياتي و خالص ودي للجميع ...

دمعات القمر

خاطرة الروايه

اهداء من الرقيقه

ام البنات المؤدبات

نظرت إليه فوجدته كعادته جميل بنوره
عظيم بجماله
وآياته المتلألئة
فقلت: اتحادي هذا النور فيه
أتعرف أن لي بريق أجمل من بريقك
ضحك بصمت مستخفا بي
فقلت : لك حقا أن تضحك فأنت لا تعرف من أنا
قال : مجرد أنثى
قلت : لست مجرد أنثى فانا أنثى مختلفة
بحبه .. بهيامي .. بعشقي له
أنا أنثى مختلفة لأني ببساطة له .. و منه .. واليه
له بقلبي .. بجسدي
منه .. لان اسمي اقترن باسمه
إليه .. لأنه سكني و ملجئ
أتقرب إليه لعلي أتقرب لخالقي
أطيعه لعلي أطيع به معبودي
أرضيه لعلي ارضي الهي
أنا أنثى ميزها الرباط المقدس والميثاق الغليظ
كيف لا أكون مختلفة ؟

دمعات القمر لـ حسن الخلق

و أنا الذي اسر الهوى فؤادي
ولعب الهيام بمهجتي
وكسا و غطى حبه قلبي
أعرفت أيها القمر من أنا ؟
قال : وقد عرف أن ماله من خيرة
إلا الاعتراف بان حبي قد جعل
وهجي يضئ أكثر من نوره
: ضحك وأعلن قائلا
أنت إذن زوجة عاشقة
ويحق لمثلك التفضلا...
: ابتسمت ابتسامة رضا و قلت
تبقى دوما مودع أسرار المحبين
فهلا كتمت سري يا قمر ؟
قال : لا تكتمي الهوى فهو يضرك
.. وأعلنيه همسا لزوجك فأنت لم تذنبي

ام البنات المؤدبات

دمعات القمر

القطرة الأولى

تزامن صوت دقات الساعة العتيقة في بهو ذلك المنزل الكبير مع ضجيج سُلاف الصباحي الذي يعلن بوضوح أن اليوم في منزل السيد رضوان قد بدأ ..

اندفعت كتلة الصخب بردائها الأنثوي البسيط كما تفضل أن يكون مظهرها خلال دوامها الجامعي إلى حيث يجلس والدها في مقعده الأثير بوقار يتصف أبرز عناوين الصحف اليومية هاتفة بصوت مدوي :

- صباح الخير يا أهل منزلنا العامر ، لقد استيقظت سُلافكم و أتت لتبهج يومكم

ثم مالت تقبل وجنة والدها الذي رفع عينيه يستقبل عاصفته الحبيبة بابتسامة ملئها الحب و الحنان بعدها جلست على حافة مقعده قائلة بمشاكسة لا تغيب عنها :

- أوه بابا ، لا اصدق انك لا زلت تقرا الصحف ! لما تصر على ذلك بينما تصلك أحدث الأنباء المحلية و العالمية أولا بأول على الهاتف و الحاسوب ؟

أحاطها بذراعه كما دأب أن يفعل منذ كانت طفلة تقفز وتتسلق ساقيه قائلا بحنان :

- العادات القديمة لا تموت حلوتي ، أخبرتك مرارا إنني أحب ملمس و رائحة الأوراق أيتها الشقية ، لو سمعك العم صابر مالك كشك الصحف لقطع عليكِ الطريق ..

ضحكت بمرح و قالت مشيرة بيديها :

- لا .. إلا غضب العم صابر انه لا زال يعيرني بمغامرتي الصغيرة عندنا خطفت مجلتي المفضلة و هرعت راكضة إلى البيت ، ما ذنبي و هو يعرضها أمام الجميع و أنا كنت في الروضة وقتها !

كيف اعرف بوجوب دفع ثمنها ! تصور انه ينعتني باللصة حتى الآن ؟! يا له من رجل حقود ، لكني أحبه فرغم ذلك يداوم على منحي حبات النعناع الحلوة كلما مررت به ..

تعالت ضحكات الرجل مع سرد إحدى مشاغبات صغيرته اللا نهائية قائلا :

- نعم انه لا ينسى أبدا رغم سنوات عمره الطاعنة ، لكني لا أتخيل الحي دون وجوده مع كشك الصحف الخشبي (منحها نظرة متفحصة و تابع) هل ستخرجين هكذا ؟ عليك ارتداء شيئا آخر فالجو بارد في الخارج ..

أومأت باسمة و أردفت :
- اجل بابا سوف أفعل ، معطفي ينتظرني أمام الباب الخارجي
دخلت والدتها حاملة قدح القهوة الصباحي لزوجها الذي لا يتناوله إلا من يدها فهرعت إليها كطفلة في الخامسة من عمرها هاتفة :
- مرحبا سيدتي الجميلة ماما ، هيا انهي وصلة الدلال الصباحية الخاصة بأبي و تفرغي لي ، أريدك أن تجدلي شعري ..
ناولت رفيق عمرها قدحه مع ابتسامة ودودة منحتها رقة وجمال لم تنل منه السنوات ثم التفتت إليها قائلة بحنان امومي فياض :
- حسنا حبيبتي لكن بعد الإفطار ، يا الهي تذكريني بأيام المدرسة ، كنت تطالبين بجديلة طويلة كل صباح ، لن تكبري أبدا و لا أريدك أن تفعلي ..
ثم دارت بعيونها في أرجاء الغرفة المفعمة بالدفء قبل أن تهتف باستنكار :
- الم تأتي جيجي بعد ؟! هذه الفتاة تفقدني صوابي بطقوسها العجيبة ! اذهبي و استدعيها على الفور سُلاف لا ريب أنها تشبعت بردا و ستصاب بالمرض ، تعلمين مكانها أليس كذلك ؟
تحركت من فورها هاتفة بصخب :
- بالطبع أمي ، كالعادة قبل كل شروق تكون في برج المراقبة تلتقط دمعات القمر ..
اندفعت راكضة إلى حيث تتواجد شقيقتها تشيعها ضحكات والديها ..
اجتازت البهو الخارجي و منه للباب الرئيسي ثم خرجت تستقبلها نسمات البكور الباردة التي تميز هذا الوقت من العام حيث فصل الشتاء على أشده جالت بنظرها تمتعه بشكل حديقة منزلهم المنسقة بحميمية و قطرات الندى لا زالت عالقة على أسطح أوراق النباتات التي استقبلتها بالترحاب و تمايلت منتشية لملمسها البهي بانتظار شعاع الشمس ليطبع قبلته الحانية عليها و يمنحها قوت يومها المعتاد ..
إنها دمعات القمر السخية كما دأبت أن تطلق عليها شقيقتها عاشقة الطبيعة ..
دارت مع الطريق المعبد بالحصا الملون حول المنزل ثم انعطفت لتصل إلى سلم حديدي يقود للسطح المغطى بالقرميد الأحمر .

تسلقته سريعا عالمة وجهتها بدقة ثم قفزت ابتسامتها تلقائيا عندما أبصرت شقيقتها المستغرقة كليا أمام لوحة رسم كبيرة احتلت الحامل الخشبي الذي لا تعرف حتى الآن كيف استطاعت جيجي الرقيقة الصعود به لسطح المنزل !

بالكاد نجحت في كبح موجة الضحك التي تهدد بالانطلاق على شكل أختها المقطبة الحاجبين بتركيز شديد كأنها جراح داخل غرفة العمليات يقوم بجراحة خطرة !

تضُم شعرها الداكن للخلف أسفل قبعتها الصوفية السميكة التي تغطي أذنيها و مع ذلك بدا أنفها المحمر خير دليل على برودة الأجواء المحيطة ..

- جيجي حبيبتي صباح الخير ، هيا افرحي لقد جاءت سُلافك الحلوه

التفتت جيّدا مع ابتسامة متسعة تستقبل شقيقتها قائلة بنبرة صوت خافتة :

- مرحبا ، لكن اهدئي حتى لا تفزعيهم ..

و أشارت بعيونها لما تقصد فوقع بصر سُلاف على عش الهدهد الذي يطعم صغاره و قد أنشأه داخل الجدار في وضع رأسي خلافا عن بقية الطيور التي تصنع أعشاشها أفقية

- امممم هذا الذي جلبك إلى هنا مع خيط الضوء الأبيض إذن

أومأت الفتاة قائلة بتأثر :

- بل قبل ظهوره حتى أستطيع رسم الصغار مع والديهم ..

تأملت اللوحة التي اتضحت معالمها و بدت مشرقة الألوان و تجسد المشهد أمامها بإتقان و موهبة حقيقية مع لمسة الفنان التي تضيف من روحه الخاصة لأعماله ثم قالت بجدية مضحكة :

- يا الله سوف تقتليني كمدا ذات يوم ، ماذا جنيت حتى يلاحقني المنظور و المساقط إلى عقر داري ! ألا تكفي معاناتي بالكلية ؟! لما تفعلين بأختك المسكينة ذلك ؟

غصت جيّدا بالضحك رغما عنها و قد فقدت الأمل في العودة لتركيزها أو بقاء الطيور طالما تواجد مصدر الإلهاء الكوني المتمثل في أختها ، التجسيد الإنساني لصفة المشاغبة ثم قالت بلوم مكرر :

- لما التحقت بها إذن يا عديمة الفن ، كان متاح أمامك العديد من الخيارات الأخرى ؟!

رفعت سُلاف حاجبيها قائلة باستنكار :
- لأثبت أن الإنسان قادر على صنع المستحيل جيّدتي بالإضافة لان معدلي في اختبار القدرات أهلني للالتحاق فلماذا أفرط في حقي ؟! و السبب الأصلي هو لكي أكون معك يا ناكرة الجميل و بالنهاية انظري كيف كافأتني ؟ لقد أنهيت دراستك و تركتني عالقة هناك وحدي (و تابعت بأسى) يا لظلم الإنسان لأخيه الإنسان لم تعد جيّدا قادرة على التنفس بسبب موجات الضحك التي عصفت بها جراء حديث الشقية المحتفظة بتعبير الجدية و الاستنكار على وجهها الجميل :
- حسنا اغفري لي جريمتي الشنعاء ، لكن ما ذنبي و قد جلبتني أمي إلى العالم قبلك بعامين ؟ بينما أنت تصرين على التصرف كأننا توأم ملتصق !
هل تذكرين أيام المدرسة عندما كنت تتشبثين بالبقاء معي في صفي الذي يكبرك و المعلمة تفعل المستحيل لإقناعك بالعودة لصفك و أنت تصرخين بالرفض هاتفة :
" كلا ، إنها أختي أنا و أريد الجلوس بجانبها "

شاركتها الضحكات الرائقة و اجترار الذكريات الحلوة قائلة :
- أجل و ذات مره جلبت صديقاتي معي لأنني أردتكم جميعا معا عندها جن جنون المعلمة و استدعت المديرة التي رفعت نظراتي إليها و سألتها ببراءة :
" ألا تستطيع إحضار مقاعد إضافية لنا ؟ "
و بآخر المطاف هددني بابا انه سيقوم بنقلي إلى مدرسة أخرى لو لم اكف عن إزعاج الجميع ، أرأيت .. دائما كنت سبب المشاكل جيجي .
قفز حاجبيها لأعلى بشكل فكاهي هاتفة :
- أنـــا !!
أومأت ببراءة تتقنها :
- أجل بالطبع ، لأنك ولدت قبلي و لم تنتظريني ، عموما لا بأس قلبي الطيب يسامحك على كل حال ، لنعد لهذا اليوم البارد الجميل اخبريني ماذا ستفعلين بينما أتلقى هناك وصلات التوبيخ من الأساتذة الواحد تلو الآخر ؟
ردت وهي تجلس إلى جوارها :
- بصفتي عاطلة عن العمل رسميا سوف أنام لوقت طويل نظرا لاستيقاظي قبل الفجر

و ربما أذهب إلى النادي بعد الظهيرة ثم سأخرج مع أماني .

هبت عن مكانها هاتفة بتحذير :

- إياك أن تذهبي بدوني ، سوف تنتظريني حســـنا ؟ هيا عديني ..

ضمت قبضتيها معا أمام صدرها قائلة باستسلام

- اتفقنا ، أعدك آنستي لكن لما جئت باحثة عني في الأساس ؟

خبطت الفتاة رأسها فجأة هاتفة :

- أوه ما اغباني لقد نسيت ! أمي أرسلتني لأجلبك ، لا ريب إنها تبحث عنا معا الآن و سوف تعاقبني برفض صنع جديلتي ، ماذا أفعل بك الآن ؟!

عادت الضحكة تملأ ثغرها قائلة :

- المعذرة أيتها الملاك ، دائما أنا المخطأة ، هيا ساعديني في جمع الأدوات قبل أن تصعد ماما بنفسها و عندها ستعاقب كلتينا ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

صدح صوت ندى الناعم يوقظ طفلها برقة لتنهي إعداده قبل وصول حافلة المدرسة بوقت كافٍ كما اعتادت كل يوم :

- عاصم ، هيا حبيبي استيقظ لقد وصل الصباح .

فتح الصغير عينيه الداكنتين الشبيهتين بعينا والده بلهفة ليطالعه وجهها الباسم فهب ليقف و يتعلق بعنقها هاتفا بصوتها الحاد :

- صباح الخير ماما ، هل عاد أبي من العمل ؟

أومأت بالإيجاب و قبل أن تتمكن من النطق كان يقفز عن سريره راكضا إلى غرفة النوم الرئيسية حيث يتواجد والده الذي غلبه النعاس بالأمس بينما ينتظره و ندى تهرع خلفه تناديه دون جدوى :

- انتظر عاصم ، عليك غسل وجهك و أسنانك أولا حبيبي ..

واصل الركض بخطواته السريعة دون اكتراث لهتاف والدته الحانق ثم تسلق الفراش المتسع و ألقى بنفسه فوق ذلك النائم ليوقظه بصخب يشي باشتياقه إليه ..

استدار يستقبله بدغدغات أبوية حانية قائلا بنبرات أجشة لم تتخلص من اثر النعاس بعد :

- ماذا تفعل أيها الشقي ؟ هل خرج القطار عن مساره مجددا ؟

ضحك عاليا و جعد أنفه الصغير قائلا :

- أجل ، مساره كان الحمام لكنه لا يريد ..

حمل نسخته المصغرة و هب واقفا بعد أن طار النوم قائلا بمرح :

- هيا أريد سلام رجولي قوي يا بطل ..

أحاط عنقه بذراعيه الغضتين و منحه عناق قوي كما علمه قبل أن يتحرك به باحثا عن زوجته التي وجدها تقف أمام فراش طفلتهم الثانية لانا الموشكة على دخول عامها الثالث تساعدها في تبديل ثيابها ، رفعت رأسها تستقبلهم قادمين راسمة ابتسامة رائعة و أردفت قائلة :

- مرحى ، لقد استيقظت بأسوأ طريقة إذن ، تستحق حتى لا تتأخر من جديد ..

سلمها عاصم لتصاحبه إلى الحمام بينما تتابع قولها :

- لقد ظل يقاوم النوم بانتظارك حتى غلبه في النهاية ..

رفرفت لانا بذراعيها المكتنزين ترحب به فرفعها عاليا مرددا بحنان :

- أين قبلتي الكبيرة ؟
سارعت تقرب وجهها منه و تمد شفتيها الحمراوتين لتمنحه قبلة صاخبة و انطلقت ضاحكة مع مداعباته التي تعشقها و قد اشتاقت إليه أيضا فأغدق عليها دلاله قائلا :
- مرحبا ملاكي الجميل ، كل هذه السعادة لرؤية والدك الوسيم
سمعته ندى التي عادت بصحبة الصغير و شرعت في تبديل ثيابه هاتفة :
- يا لتواضعك اللا نهائي ..
رفع حاجبه بثقة غير عابئ بسخريتها ، خالد كان طبيب تجميل ناجح في عمله ، تزوج ندى منذ ما يقارب الستة أعوام ، لم يكن يعرفها من قبل بل رشحتها له إحدى معارف والدته و بالفعل وجدها فتاة جميلة على خلق من عائلة أصيلة ، تكافئه في التفكير و المستوى الاجتماعي فتم الارتباط و تحابا بعد الزواج .
لا ينكر إنها أهدته السعادة و الاستقرار رغم تذمرها الذي ازداد مؤخرا بسبب انشغاله و تأخره الدائم عن المنزل ..

ماذا يفعل و عمله يفرض عليه ذلك ؟ انه لا يلهو في الخارج أو يرتكب ما يشين ، بل يصنع مستقبله الذي يعود عليهم بالمثل ..

زفر بعمق قبل أن يغادر إلى غرفتهم من جديد ، لن يعود للنوم طالما استيقظ رغم حاجته لذلك لكن حمام منعش سوف يعيد إليه نشاطه فلدية يوم حافل ، محاضرة في الكلية يتجه بعدها لجدول عملياته في المستشفى ثم عيادته الخاصة راقبت ظله الغارب لوهلة قبل أن تعود لصغيرها الذي تعد له حقيبته المدرسية و تضع فيها كل ما يمليه عليها بينما قلبها يصرخ محتجا ، تبـا .. انه لم يلقي عليها تحية الصباح أم لعله فعل ؟! هل نسي ذلك أيضا كما بات يفعل مع كل شيء حتى ذكرى زواجهما !!

آه يا خالد كم أتوق لأعلم ماذا يدور داخل رأسك ، استعادت ملامح زوجها مع شعور خفي بالحنين كان بالفعل وسيم ، طويل دون إفراط مع جسد رياضي مصقول رغم جلوسه لساعات يستمع لشكوى مرضاه ، ذو وجه مثلث يؤطر فكه لحية قصيرة دائمة التهذيب تمنحه جاذبية و رجولة أخاذة ..

خصلات شعره داكنة متوسطة الطول كما يفضل يصففه للوراء مما يمنحه طلة عفوية تركت لانا تلهو بدماها و تحركت لإعداد الفطور شاردة ، عقلها لا يكف عن التساؤل حول سبب هذا الفتور الذي تستشعره من زوجها مؤخرا ، بعد انجاب طفلتهم تحديدا بدأ في التباعد تدريجيا فلما يا ترى ؟ الم تعد تثير اهتمامه ؟ هل فقدت جاذبيتها بعد الحمل و الولادة ؟ أم هو الاعتياد بعد سنوات الزواج ؟ إنها جميلة و تعرف ذلك فهل بهت جمالها في عينيه ؟هرعت تتأمل صورتها في انعكاس زجاج النافذة و تمس وجهها النضر ، لم تلحظ تغيرا كبير فها هي عيناها بلون الفضة المنصهرة تبادلها النظر مع بشرة صافية خالية من الشوائب ، تجمع شعرها في عقدة عملية و ترتدي منامة واسعة كما لو كانت لزوجها !

لكنها أم لطفلين و تعتني بهما طيلة الوقت فكيف تتأنق في ساعة الصباح مع كل هذه الواجبات التي عليها الإيفاء بها !

ما يؤرقها أكثر أن خالد طبيب تجميلي و اغلب مرضاه من السيدات ، فهل هذا احد الأسباب ؟

يا الهي ما الذي دهاها لتفكر هكذا ! ستفقد عقلها لا محالة ..

نهرت نفسها و سارعت بحمل كأسي الحليب لطفليها و مكثت معهما حتى انهياه بالكامل ثم حمل عاصم حقيبته و صندوق الغداء و هرع راكضا يقبل والده قبل أن يخرج ملبيا نداء المشرفة التي تسلمته من والدته و قادته إلى مكانه في الحافلة بأمان ..

ألقت نظرة على لانا فوجدتها مستغرقة باللعب و صف قطع المكعبات الملونة فوق بعضها باستمتاع كبير ، عندها امتدت يدها تسحب ملقط الشعر الذي يجمعه لتتساقط خصلاته في شلال من اللون البندقي الجذاب ، تخللته بأناملها قبل أن تدلف إلى حيث وجدت زوجها ينهي ارتداء ملابسه أمام المرآة و يبدو منتعش يفيض حيوية و أناقة ..

شكلت ملامحها ابتسامة مغوية و اقتربت تمسد قميصه قائلة بدلال :

- متى فعلت كل ذلك وحدك ؟ لما لم تنتظرني لأساعدك ؟

رد قائلا بنبرة عادية :

- لم أرد زيادة أعبائك ، يكفيك العناية بالصغيرين ، عموما لقد انتهيت ..

أومأت قائلة برقة :

- حسـنا الفطور معد ..

تبعته بينما تلتقط أشيائه و تعيدها لأماكنها الصحيحة مرددة :

- ستأتي على الغداء ، أليس كذلك ؟

استدار مرددا بسرعة :

- لا اعتقد ، لن أجد الوقت لذلك ندى ..

هتفت برفض :

- لكن لما ؟ ماذا عن الفترة بين المستشفى و العيادة ؟ كنت تقضيها في البيت عادة !

ربت على وجنتها كما يفعل مع طفلته الصغيرة قائلا بهدوء :

- نعم لأنه لم يكن لدي محاضرات في الجامعة لكن اليوم بالذات جدولي مزدحم و يجب أن أسرع حتى لا يختل و ترتبك المواعيد ..

عادت للاعتراض هاتفة و يديها فوق خصرها :

- هذا يعني انك نسيت مجددا !

طالعها بنظرة استفسار أكدت فرضيتها فتابعت شارحة :

- وعدك للأولاد باصطحابهم إلى النادي خالد ، أتعلم منذ متى لم نخرج سويا أو حتى نجلس معا دكتور ؟

مسد جسر أنفه بحنق قائلا :

- أوه لقد نسيت ذلك بالفعل ، لكن لن ينفع اليوم حقا ، تصرفي رجاء ، اجليه لنهاية الأسبوع ..

رددت باستياء :

- اجل بالطبع ، و ابنك يصب جام غضبه علي أنا كالمعتاد !

طبع قبلة سريعة أعلى وجنتها بشكل آلي قائلا قبل أن يغادر :

- المعذرة حبيبتي سأعوض عليكم بالتأكيد ، يجب أن انصرف الآن قبل ازدحام الطرق

رفعت كفها لمكان قبلته الباردة بقهر ، لقد قام بها كأي شيء يفعله ، يلتقط سلسلة مفاتيحه ، يجيب هاتفه ، يقبل خدها ، يتناول حقيبته .... كله سواء

أين الحرارة و الإحساس ؟! لما باتا مفقودين بينهما ؟ لقد صارت تشتاق لزوجها الذي يعيش معها بنفس المنزل بينما يبدو بعيدا بشكل لا يصدق ..!

أخرجها من تفكيرها رنين الجرس الخارجي يعلن عن وصول السيدة التي تساعدها في مختلف شؤون المنزل مثل كل يوم لتنحي مشاعرها كزوجة و حبيبة جانبا و تعود لدور ربة المنزل و الأم الذي بات ملتصقا بها دون إرادة منها ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

استيقظت أماني على لمسة حانية من كف والدها ، شعت عيونها العسلية بالدفء و المحبة بينما تحاول الاعتدال مغمغمة بكسل :

- صباح الخير بابا ، امممم كم الساعة ؟ اشعر أني نمت كثيرا ..

مال يقبل رأسها بحنو بالغ قبل أن يتناول كأس الحليب الكبير الذي جلبه قائلا :

- الساعة العاشرة ، هيا أيتها الكسولة تناولي هذا أمامي قبل أن تتحركي ..

شهقت بعيون متسعة بينما تتطلع لهاتفها و تتأكد من التوقيت هاتفة :

- لكن كيف لم يدق التنبه في الوقت المحدد ؟! و لما لم تذهب إلى عملك ! ماذا يحدث ؟

أشار برأسه يجيبها ببساطة :

- أنا من أغلقته لان الجو بارد و أردتك أن تحظي بالنوم و الدفء حبيبتي ، و لم اذهب للعمل حتى أدللك و نمضي اليوم سويا ، أليس ذلك رائعا ؟

قطبت حاجبيها و ناظرت الحليب بعداء هاتفة بقهر :

- لكن كان لدي موعد في الثامنة بابا و الآن خسرته ..

وضع الكأس داخل كفها عنوة و سأل بنبرة جامدة :

- أي موعد هذا الذي لا اعلم عنه ؟

رفرفت أهدابها قائلة بيأس :

- مقابلة عمل في شركة كبرى و كنت آمل الفوز بها ..

زفر الرجل بعنف محاولا جلب الهدوء لنفسه قائلا :

- تعلمين رأيي في هذا الأمر ، جيد انك لم تذهبي لأنني لم أكن لأسمح لك ..

غامت عيونها الجميلة بالتأثر و قالت برجاء :

- لكن عمي رضوان سمح لجيجي بالعمل و كذلك فيفي بعد التخرج !

أغمض عينيه بنفاذ صبر و ردد بجمود :

- أنت لست بحاجة للعمل ..
تابعت بعناد و قد فاض بها الكيل من حصاره المحكم حولها :
- و لا هن أيضا بحاجة إليه ! لم ادرس كل هذه السنوات لجلب شهادة تزين غرفتي ، رجاء أبي فكر مجددا ..
هب من مكانه بادي الغضب قبل أن يردف بصلابة :
- أماني .. لنغلق هذا الموضوع في الحال حتى لا يفسد يومنا ..
تمتمت بخفوت ممتعض :
- حسنا مثل العادة ..
ردد باستفسار :
- ماذا قلتِ ؟!
مطت شفتيها بطفولية قائلة :
- لا شيء ..
نهض عن طرف الفراش قائلا :
- ممتاز ، الآن هيا اعدي نفسك و الحقي بي ، سوف أعد الطعام بيدي ..
قطبت حاجبيها و سألت بحيرة :
- لماذا ؟ أين الخالة أحلام ؟

أشاح كفه بضيق واضح :
- تلك المرآة لا فائدة منها و قد أصبحت لا تطاق ، ليست بالمنزل ..
هتفت بحدة فزعة :
- كيف ليست هنا ، أين ذهبت ؟ مستحيل أن تتركني هل أغضبتها أبي ؟
حرك رأسه بغيظ :
- للأسف لا ، رغم محاولاتي المضنية لكنها ترفض ذلك كما لو كانت صاحبة المنزل ! لقد ذهبت في زيارة لأحد أقاربها و ستعود .
تنفست الصعداء و قد عاد اللون لوجهها قائلة براحة :
- حمدا لله لقد أخفتني (ثم تابعت بلوم) لا تتحدث عنها بهذه الطريقة من فضلك بابا فهي من قامت بتربيتي منذ مولدي و اعتبرها في مكانة والدتي رحمها الله التي كانت صديقتها المقربة و قد أوصتها عليّ قبل رحيلها ...
أظلمت عينيه بشكل عاصف و عض على نواجذه هادرا بغضب :
- لا يوجد مثل والدتك أبدا أماني ، لقد كانت فريدة في كل شيء و ليس في مكانتها احد

أدركت فداحة خطأها فهرعت تقبل جانب وجهه الخشن مرددة بلهفة :

- المعذرة أبي لم اقصد ذلك ، أردت فقط قول إنني أحبها ..

شملها بنظرة لطالما أطلت من عينيه و حارت في تفسير معناها الغامض ، كأنه يراها أو يدمغها بصورة والدتها التي توفيت بعد ولادتها بشهر واحد نتيجة حمى نادرة ألمت بها و قد أورثت طفلتها ملامحها و شقارها المميز ، و كلما كبرت باتت تشبهها أكثر ، ربما كان ذلك أحد أسباب تملك والدها الشديد تجاهها ..

فهو يفرض عليها حماية مكثفة و يكاد لا يفارقها إلا للعمل أو للضرورة بل و يتحكم في كل جوانب حياتها دون أن يترك لها فرصة اختيار واحدة ..

الخالة أحلام كانت الوحيدة التي تقف أمام تحكماته و تدخلاته ، حفظت وصية والدتها الراحلة و لم تفارقها ، منذ ذلك اليوم انتقلت للعيش في الملحق الخارجي مع زوجها العم محسن الذي يعمل مع والدها ..

أطرق برأسه قائلا :

- هيا سوف انتظرك بالأسفل ..

أغلقت الباب خلفه و سحبت قدميها إلى الحمام تتمتم بقهر :

- وداعا يا فرصتي الذهبية ..

أعدت نفسها سريعا منهية فروضها ثم هبطت إلى الطابق السفلي حيث ينتظرها والدها بمزاج مغاير حاولت أن تعيده لطبيعته بعناقها المازح :

- ها أنا أسلم نفسي سيد طاهر ، ماذا عليّ أن أفعل ؟

لطالما كان لا يستطيع العبوس عندما تستخدم هذه النبرة معه ، كيف لا و هي ابنته الحبيبة و تعويضه الإلهي عن زوجته التي عشقها ، سيفعل أي شيء ليسعدها و ستظل معه و لن تفارقه أبدا

تهللت أساريره مشيرا لها نحو المنضدة المحتلة ركن المطبخ قائلا :

- اجلسي هنا و تعلمي مني ، سأعد طبقك المفضل

حركت كتفيها هاتفة :

- لكني أريد المساعدة ..

ادعى التفكير لوهلة قائلا :

- حسنا قد اسمح لك بصنع السلطة ، ها هي المكونات ابدئي عندما أخبرك ..

ثم أكمل أثناء تقليبه لمحتويات المقلاة بحماس قائلا :

- آه ، الم أخبرك عن الزائر الذي جاءني بالأمس ؟

انتبهت لما يقوله و قد تكهنت بالقادم فغمغمت دون اهتمام :

- لا بابا لم تخبرني ..

تابع بلا مبالاة مرددا :

- انه شاب تقدم لخطبتك ، يعمل في السلك الدبلوماسي و بكل جرأة يخبرني انه يرغب في أخذك بعيدا ، تصوري !!

أومأت دون رد فسأل :

- ألا تريدين معرفة بما أجبت طلبه ؟

ردت ببديهيه :

- رفضته بالطبع ، إنها ليست المرة الأولى فلما ستختلف !

ظهر التأثر في عينيه و سألها هامسا :

- هل تريدين الابتعاد عني مانو ؟ تتركين والدك الذي يحبك لأجل آخر سيحرمنا من بعضنا و ربما يسيء معاملتك ، بل أكيد فلا يوجد من سيحبك مثلي صغيرتي ..

حركت رأسها نافية بينما تدفع غصة البكاء بعيدا حتى لا تتفجر دموعها وتغرق المكان بسبب ذلك الوضع الغريب الذي تعيشه :

- لا أبدا ، أنا أيضا أحبك بابا ..

تقدم منها و مسد شعرها قائلا :

- لا تظنيني وغد أناني يريد الاحتفاظ بك لنفسه كما يظهر في الدراما و الروايات ، لكني أخشى عليك بنيتي ، أنت جوهرتي الثمينة و طفلتي المدللة ، كيف أفرط بك لغريب يؤذيك أو يحزنك ..

أومأت باستسلام :

- اطمئن أبي أنا لا رغبة لي في الزواج أبـــدا ..

تحركت سُلاف برفقة زميلاتها داخل ساحة مبنى كليتها العملاق باتجاه القاعة حيث مكان محاضرتهم التالية ..
اختارت الجلوس بالصف الثالث في المنتصف لأنها لا تفضل أن تكون مكشوفة في المقدمة ..
دلف أستاذ المادة و بدا بإلقاء الدرس النظري الممل مع محاولتها المضنية للتركيز و عدم الشرود ..
انكبت على أوراقها تدون أهم النقاط بانتباه و كالمعتاد كلما رفعت عينيها كانت تصطدم بنظرات ذلك المعيد الذي لا يحيد ببصره عنها بشكل بات ملحوظا من بقية الطلاب و قد أثار الهمسات حولهما .
في البداية ظنتها مجرد صدفة لكن مع ازدياد الأمر أدركت انه يحاصرها بأحداقه الداكنة عامدا ..
عادت تشيح وجهها زارعة عيونها فوق الأوراق قدر إمكانها حتى ينتهي الوقت المتبقي و تغادر متحررة من هذا العبء الذي بدأ يشتت ذهنها ، تبـــا ليتها ظلت في الكافتيريا و لم تدخل هذه المحاضرة الثقيلة على النفس ..
بالكاد مر الوقت فزفرت أنفاسها براحة و سارعت

بلملمة أغراضها قبل أن تتخذ طريقها للباب بصحبة زميلتين لها ..
لكن بمجرد عبورها المسافة الفاصلة بين مقاعد الطلاب و مكتب الأستاذ المقابل حتى سمعت صوته الحاد ينادي اسمها بكل أريحيه !
حثها عقلها على الاستمرار بدفع قدميها حتى تصل للممر الخارجي مدعية عدم سماعه و شرعت فعلا في التنفيذ لكنه أحبط مخططها بتكراره للنداء بصورة أوضح حتى أن بعضا من زملائها تطوعوا بتنبيهها بان الأستاذ يناديها ..!
زفرت بحنق كابحة رغبتها في الصراخ على الجميع ليخرسوا قبل أن تستدير بينما تخفي امتعاض ملامحها الواضح مرتدية قناع البساطة و عادت أدراجها خطوتين قائلة بنبرة محايدة :
- نعم أستاذ ماجد ..
شملها بنظرة ذات مغزى قبل أن يردد بأسلوب المحاضر المسيطر :
- لما لم أجد اسمك على احد الأبحاث التي استلمتها خلال الأسبوع ؟
تحدثت بهدوء تجيبه :
- لأني لم أنجزه بعد ، لكن المهلة لم تنتهي كما آمل أم هل فاتني شيء ؟!
تراقصت ابتسامة جانبية على ثغره بينما يجمع أوراقه و يبدأ في التحرك إلى خارج القاعة مجبرا إياها على مصاحبته مدعيا عدم ملاحظة حرجها الشديد أو نظرات الطلبة المختلسة لهما ..
رد بهدوء بنبرة ناعمة :
- لماذا سُلاف ؟ البحث موضوعه بسيط جدا و لا يلزمه كل هذا الوقت !
أومأت توافقه بينما تجاري خطواته قائلة :
- أجل اعلم ذلك ، أعدك أن أقدمه قبل نهاية الفترة المسموح بها..
عاد يردد بإلحاح :
- إذا كان هناك شيء لا تفهمينه أخبريني ..
حركت رأسها نافية :
- لا ، إنها مادة نظرية و سهلة ، شكرا لك
لمعت عيونه بمكر قبل أن يردد :
- إذن الكسل هو سبب التأخير و ليس عدم فهمك للمادة ..
منحته نظرة بريئة موشاة بالذنب دون كلمة فتابع بدفء :
- عديني إذن ..

سألت بحيرة تجلت أسفل جفنيها :
- بماذا ؟!!
أجابها بنفس النبرة المربكة :
- بان تلجئي إليّ مباشرة إذا ما تعذر عليك الفهم
ازدردت لعابها قائلة بارتباك :
- حسنا ، أشكرك للمرة الثانية ، اسمح لي ..
قالتها و سارعت مبتعدة بوجه محتقن لا تجد تفسيرا لما حدث سوى انه موقف لا تريد تكراره أبـدا ..
تبعها بعينيه و ابتسامته تتسع و قد بدا عليه الاستمتاع بخجلها و ارتباكها الواضح حتى توارت عن أنظاره بعدها حث الخطى باتجاه سيارته مغمغما لنفسه :
- اهربي ما شئت أيتها الظبية البرية ، في النهاية مرجعك إليّ ..
❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖
انتقلت خطوات خالد الحازمة داخل أروقة المستشفى التخصصي متجها لمكتبه حيث تنتظره إحدى مريضاته حسب الموعد المتفق عليه ..
كانت سيده تعاني تشوهات في منطقة الوجه جراء تعرضها لحادث مروع كاد أن تفقد معه حياتها لولا ستر الله الذي قدر و لطف بها ..
دلف من الباب مع ابتسامة ثقة أضاءت محياه الجذاب و بعثت مقدار كبير من الراحة في نفس السيدة البائسة أمامه ..
- مرحبا سيدتي ، أرى انك أفضل الآن و قد تعافيت من أضرار الحادث ، تهاني
أجلت صوتها قائلة ببطء :
- شكرا لك دكتور ، لكن وجهي ...
أومأ بتفهم قائلا بتأكيد :
- لا تقلقي ، سيكون على خير ما يرام في أقرب وقت ، دعيني أفحصك الآن ..
تجولت أنامله السحرية على حنايا بشرتها بخبرة ومهنية كبيرين كما لو كانت لعازف يتقن إخراج أروع الألحان و أعذبها معيدا البسمة التي فقدها أصحابها ..
منحها ابتسامته قائلا :
- هناك تحسن ملحوظ ، نستطيع إجراء الجراحة باكرا و يعود وجهك لحالته الطبيعية بإذن الله .
لمعت عيونها و رددت بلهفة :
- و هل ستترك العملية آثارا واضحة ؟
حرك رأسه نافيا مرددا بثقة :

- مجرد علامات بسيطة ستزول بعد فترة من المواظبة على استخدام الكريمات التي سأصفها لك ..

شكرته بحرارة بينما اصطحبتها الممرضة إلى غرفتها للبدء في تحضيرها لجراحة الغد

بعد وهلة استمع لدقات رقيقه على بابه قبل أن يُفتح و تلج منه سيدة شابة مع ابتسامة غامضة .

عرفها مباشرة فهي ممثلة بزغ نجمها مؤخرا و صار وجهها دائم الظهور على شاشات الميديا لكن ليس ذلك ما جعلها مألوفة له بل لكونها صارت زائرة دائمة لقسم الجراحات التجميلية في هذا المشفى الشهير ذو السمعة العالية ..

تقدمت بغنج قبل أن تحتل المقعد المقابل لمكتبه واضعة ساق فوق الأخرى بأنوثة فياضة ثم قالت

- مرحبا دكتور خالد ، اعتذر لدخولي دون موعد لكنهم أخبروني انك وحدك ..

منحها نظرة تقيميه قبل أن يرد ببساطة قائلا :

- أنا لا أغلق بابي أمام أي مريض سيدتي ، كيف أخدمك ؟

أمالت رأسها قائلة بميوعة :

- لا داعي لاستخدام الألقاب حتى أتشجع و اعرف انك لن تخذلني ، ادعني باسمي المجرد و سأدعوك خالد ..

تجاهل إشاراتها الواضحة بتعمد و استمر بنفس نبرة الصوت العملية قائلا :

- لم اخذل محتاجا قط سيدتي (قالها متعمدا ضغط حروفها و تابع) هلا أخبرتني عن شكواكِ الآن ..

رفعت حاجبيها الرفيعين باستهجان لوهلة قبل أن تعود ملامحها لليونة الخادعة قائلة :

- إنها بعض الإصلاحات البسيطة ، أريد تكبير شفتي درجتين و نحت وجنتي بعض الشيء ..

تماشى معها رغما عنه قائلا بمهنية :

- لكني أرى أن أحجام هذه المناطق لديك مناسبة لشكل وجهك و لست بحاجة لذلك ..

منحته ابتسامة متألقة قائلة بسعادة :

- أوه أشكرك للطفك أنت بغاية الرقة ، لكنها الموضة السائدة و لا أريد التخلف عن الركب ..

مط شفتيه بعدم مبالاة لردها السطحي قائلا :

- حســنا و ما يمنعك ؟!!

تراجعت في مقعدها بحيرة قبل أن تتابع حديثها قائلة :

- يبدو انك لم تفهمني ، بالطبع أريدك أن تجري لي هذه التغيرات ..

شبك كفيه أمام وجهه قائلا بجدية :

- للأسف أنا منشغل جدا ، لكني سوف أدلك على احد زملائي الأكفاء بإمكانه مساعدتك

أنزلت ساقها هاتفة برفض :

- لكني أريدك لأنك الأفضل و مستعدة لدفع كل ما تطلبه ، صدقني أنا سخية جدا ..

أغضبه اهانتها المبطنة فقرر التخلي عن الكياسة التي لن تنفع في هذه الحالة :

- سيدتي لقد أخطأتِ المقصد ، أنا طبيب جراح و ليس خبير تجميل ..

رددت بعناد ساخر :

- اجل و مجال عملك هو التجميل إن لم أكن مخطأة !

تابع بنفس الجدية و إن كان بنبرة أكثر صرامة :

- لكن ليس هذا النوع الذي تقصدينه ، أنا أعالج التشوهات و أصلح الأضرار فقط ، طلبك ليس متوفر عندي للأسف ..

هبت عن مكانها هاتفة بعصبية :

- هل هذا رأيك النهائي ؟ ربما لو فكرت قليلا سوف ...

قاطعها قائلا بهدوء :

- اجل انه نهائـــي .

رفعت رأسها بعجرفة و استدارت مغادرة دون كلمة لكن خطواتها التي تدق الأرض بعنف أوشت بما يعتمل في نفسها ..

حرك رأسه بتعجب ثم عاد بتركيزه إلى ملفات المرضى المكدسة أمامه يدرسها بدقة كما اعتاد ليحضر لكل جراحة على حدا ..

لم يكد يمر وقت حتى وجد زميله حاتم يدلف للغرفة مع علامة استفهام كبيرة تحلق فوق رأسه :

- ما الذي فعلته خالد ؟!

ردد ببساطة :

- مرحبا لك أيضا ، ماذا حدث ؟

أجابه بعتب :

- الممثلة غاضبة وثائرة و تتهمك باهانتها ..

ظهرت الابتسامة الجانبية التي تميزه قائلا :

- بالطبع لم افعل ، كل ما هنالك أني رفضت إجراء التغيرات التي تريدها لأنه مجرد هراء ..

اخذ الآخر مجلسه أمامه قائلا :
- ما تطلق عليه هراء هو أمر ضروري بالنسبة لها خالد ..!
رفع كتفيه قائلا ببساطة :
- و أنا لم امنعها لكن تفعله بعيدا عني ، تعلم جيدا إنني لا اجري مثل هذا النوع من الجراحات ..
أشار بكفه رافضا منطقه :
- لكنك بذلك تخسر كثيرا على المستويين ، المهني و المادي ..
تابع بنفس الهدوء :
- بالعكس أنا راض جدا عن مستقبلي و ها أنت ترى بنفسك لا امتلك الوقت حتى لالتقاط أنفاسي ، يفترض أن تفرح لأني أحولهن إليك ..
رفع حاجبيه بغيظ فكاهي :
- لكن غاضبين و يريدونك أنت دون غيرك يا رجل و هذا يتكرر يوميا كما أني غير مقتنع بمبرراتك ..
وضع خالد قلمه فوق الملف الذي أغلقه قائلا :
- أنا لم أحاول إرغامك على ذلك حاتم ، لكل منا طريقة تفكيره و لن أحيد عن قناعاتي ، لقد وهبني الله العلم و القدرة على إصلاح العيوب و ليس لتغيير خلقه ..

دافع الآخر هاتفا بدوره :
- لكن ذلك ليس تغييرا ، انه تجميل يا دكتور ، لكل إنسان الحق أن يحب نفسه و نحن نساعدهم على ذلك ..
هب خالد عن مقعده قائلا :
- هل تسمي التكبير و التصغير & الشد و النفخ و كل ما شابه تجميـــل !! أنا على عكسك أراه تغيير لخلق الله الذي أبدع ملامح كل إنسان بما يتلاءم مع شخصيته و أسلوبه و بنائه العظمي ، إنها منظومة متكاملة يا حاتم و أنت خير من يعلم ذلك ..
تلك الطفرة التي اجتاحت الجميع جعلت تخصصنا يخرج عن نطاقه الصحيح ، نحن أطباء قبل كل شيء ، أناملي هذه جُعلت لتعيد البناء و الترميم ليس الهدم ..
أساعد من هو بحاجة لذلك حتى أعيده لشكله الذي وهبه إياه خالقه بعد تعرضه لتشوه لأي سبب عارض أو لكونه ولد بعيب خلقي مما ينجم عن تعاطي عقار ما ، مخدرات أو حتى التدخين ..
أنت طبيب حاتم و لست بحاجة لأذكرك بالمرضى الذين تعرضوا لبتر أجزاء من أجسادهم

لعلاج أمراض أخرى كالسرطان مثلا ، و غيرهم ممن يعانون اضطراب في الهرمونات أو خلل وراثي ، هؤلاء هم الأحق بذلك من حفنة مرفهين لا يعلمون ماذا يريدون من حياتهم سوى التجديد و إتباع احدث صرعات الموضة بلا هدف ..

حتى عمليات شفط الدهون لا بأس بها في حالات الضرورة لأنها تدفع الضرر و هذا مقدم على جلب المنافع ..

ردد حاتم بنبرة أضعف :

- لكننا سنتخلف عن الركب لو طبقنا ذلك خالد

أشار بكفيه قائلا ببداهة :

- لذلك قلت من البداية انك لست مجبر على الاقتناع ، ليكن لك عملك و لدي عملي و هكذا لا خلاف ، المرضى من هذا النوع سأحولهم إليك دون أن تعارضني حتى لا نتجادل مجددا ، اتفقنا ؟

أومأ الآخر باستسلام :

- حسنا لك ذلك و صدقني أنا اقدر دوافعك لكنها الضرورة يا صديقي ، هذه الأمور موجودة شئنا أم أبينا ..

أكد خالد بثبات :

- و لكني لست مضطر للتعامل معها ، يكفيني ما أنا عليه و يرضيني أيضا ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

أوقف عمر دراجته النارية في الممر الداخلي لمنزل خالته و ترجل عنها بأناقة و قد عكست سترته الجلدية شعاع شمس العصر الذي مد الهواء بالدفء مبددا الأجواء الغائمة التي سادت طيلة فترة الصباح ..

خلع خوذته السوداء و مرر أنامله خلال خصلاته اللامعة بلون الكستناء و طولها المميز مما منحه طلة شقية صارخة الجاذبية دعمها لون بشرته الفاتح المشرب بحمرة خفيفة ورثها عن والدته و خالته و ذلك جعله يتعمد ترك لحيته نامية ليمنح ذلك الظل الرجولي وسامته النابضة نوعا من الخشونة ..

لمعت عينيه بنقاء لون حجر الزفير الكحلي الذي يتحول عندما يغضب إلى لون سماء منتصف الليل عندما تشوبها الغيوم ..

اجتاز الدرج الرخامي العريض بقفزتين تموجان صحة و شباب قبل أن يضغط على الجرس معلنا عن وصوله الشبه يومي بين أفراد عائلته الثانية حيث كان مرحب به على الدوام ..

ركضت سُلاف عامدة إلى الباب مدركة هوية ذلك المزعج الذي يرفض الكف عن الرنين و الانتظار كبقية البشر العاقلين ! فتحت صارخة باستنكار :

- هـاي ، كف عن ذلك أيها اللص لقد أصبتني بالصداع ..

أدار عينيه في الفراغ بنفاذ صبر حانقا من حظه الذي أوقعه مع تلك المشاغبة بينما يمني نفسه باستقبال مختلف ، ردد من بين أسنانه بغيظ :

- ألن تكفي عن نعتي بذلك يا فتـاة ؟!

حركت رأسها نافية قبل أن ترد بتلقائية :

- كلا ، إنها الحقيقة فأنت تسرق حب والداي مع أن لديك مثلهما فلما الطمع ؟!!

زفر بعدم تصديق فابنة خالته الصغرى لا تكف عن إزعاجه بكافة الصور :

- يا الهي ، ألن تكبري أبدا ؟!!

وضعت كفيها فوق خصرها هاتفة بتحدي :

- و ما شانك على أي حال ! هل تعطيني المصروف ؟

عض على نواجذه قائلا بحده :

- بل من سيضعك على ركبتيه و يصفعك ..

ادعت الخوف و رددت بشكل تمثيلي ضاحك :

- أوه يا لك من قوي تجيد تهديد الفتيات ، لقد أخفتني ، ليت خالتي راجعت نفسها قبل أن ترتكب أكبر خطأ في حق البشرية و تنجبك لتعكير صفو حياتي ..

قبل أن يمنحها الرد الذي تستحق صدح ذلك الصوت الناعم مشنفا أذنيه التائقة :

- من على الباب فيفي ؟!

أجابتها شقيقتها دون أن تلتفت أو تحيد بنظراتها عنه هاتفة :

- انه اللص السارق جيجي ..

ركز بكل كيانه على تلك القادمة من خلفها مع ابتسامتها الساحرة التي تجعل قلبه يقفز ولعا فخطا للداخل متجاوزا مصدر ضيقه و قد تبدلت نظراته من الحنق إلى اللهفة و الود أما نبرة صوته فحملت الدفء قائلا :

- مرحبا جيجي ، كيف حالك اليوم ؟

وصلت إليهم مرحبة بمرح :

- أهلا عمر ، لما كنت تقف خارجا إذن ؟ هل رحبت بك فيفي !

حدجها بنظرة مرددا بغيظ :

- كالمعتـــاد ..

انتبهت لمظهره فهتفت بسعادة :

- لقد أتيت بها ، أليس كذلك ؟

لم تنتظر رده بل هرعت إلى الخارج تلقي نظرة على دراجته النارية التي تعشق ركوبها بمهارة و جرأة رغم أنوثتها الفياضة بعكس سُلاف التي تخشى مجرد الاقتراب من ذلك الوحش المعدني المخيف ..!

عادت تقترب منه قائلة برجاء اعتاده كلما جلب دراجته عامدا لأجلها :

- استطيع استعارتها بالطبع ، أليس كذلك عمر ؟

أبهجته سعادتها الواضحة لكنه تبعها و امسك بساعدها يوقفها قائلا :

- جيّدا تمهلي ، دعيني أكن معك على الأقل ..

رفعت حاجبيها بدهشة هاتفة :

- اهدأ يا بن الخالة إنها جولة حول الحديقة فقط ما بك ؟ ألا تثق بي ؟!

قطب حاجبيه قائلا بقلق :
- حسنا لكن ارتدي الخوذة ، سأذهب لرؤية خالتي زهرة و عمي ..
أومأت منشغلة بلعبتها المفضلة فدلف إلى الداخل باحثا عن خالته و زوجها اللذان يعتبرانه ابنهما و يكنا له محبة لا نهائية دون أن يلقي بالا لتلك النظرة الغامضة التي تألقت بعيون الأخرى بينما تراقب كل ما دار بإحساس يخالف ما تبديه من لا مبالاة و مشاغبة و هناك غصة احتكمت خافقها بقبضة من جليد ..
ألقت نظرة إلى الوراء بحنين لبقايا طيفه الغارب قبل أن تنفض رأسها مانعة أيا من ذلك بالتسرب للسطح كما تجيد الفعل منذ سنوات ..!
ثم هبطت جالسة على أولى درجات السلم أمام باب المنزل وحدها و قد أسندت مرفقيها أعلى فخذيها و جانبي وجهها على قبضتيها المضمومتين ، تراقب مرح شقيقتها و فرحتها بالدراجة التي تدمن قيادتها غير راغبة بالدخول الآن ، ليس و هو يحتل منزلها كما احتل .... لا أبدا عمر لا يزيد عن ابن خالتهم المقرب من العائلة فحسب ..

تقدم هذا الأخير من جلسة العم رضوان بود عكسته ملامحه و قد استقله الرجل بأكثر منه هاتفا بسعادة :

- تعال بني ، جئت في وقتك لتشاركني الشاي فخالتك منشغلة بمهاتفة صديقاتها منذ ساعات ، لا اعلم من أين يجدن الحديث !

ضحك على تعبير عمه المتعجب بينما خلع سترته و اتخذ مجلسه ثم شرع مباشرة في حديث جاد حول الأعمال ، لطالما كان الذراع الأيمن و مصدر ثقة زوج خالته منذ تخرجه من كلية الهندسة و قد أسند إليه أعمال شركته و جعله ظهيرا له في ذلك السوق الواسع و كان عمر عند حسن ظنه و اثبت كفاءته رغم سنوات عمره التي لا تكبر جيّدا سوى بخمسة أعوام لكنه حاذق و يجيد القيادة بالفطرة ..

بعد ساعة أخرى دلفت السيدة زهرة مرحبة بابن شقيقتها هاتفة بمرح :

- علمت انك هنا عندنا سمعت هدير الدراجة في الخارج ، لن افهم أبدا سر تعلق جيجي بقيادتها ، إنها مرعبة !!

ضحك الرجلين بينما قال عمر :

- لقد أتيت بها خصيصا لأجلها رغم أن قيادة السيارة أكثر دفئا في هذا الجو ..

أومأ رضوان بتقدير :

- إنها تعشق السرعة منذ صغرها و لا تخشاها ، لولا الحرج و نظرة المجتمع لما ترددت في اقتناء واحدة ..

شهقت زهرة هاتفة بزوجها :

- رضوان ! كف عن ذلك و لا تزرع أفكارك الهدامة في عقل ابنتي ..

رفع الرجل يديه علامة الاستسلام مرددا :

- حسنا عزيزتي لا تغضبي علينا و تحرمينا من حلواكِ اللذيذة رجاء ، يكفي انتظرناك دهرا

حتى انتهت مباحثات القمة على الهاتف ..

قالها غامزا لعمر الذي صدحت ضحكاته لمشاغبات العم رضوان مع خالته التي حركت رأسها بنفاذ صبر و تمتمت في طريقها لجلب الحلوى :

- يا الهي ألهمني الصبر لاحتمل هاذين المحتالين .

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

في مكان آخر كان المساء يزحف حثيثا باسطا عباءته المخملية الداكنة على مدينة قلما تعرف

الهدوء رغم تميزها بالبرد القارص و تساقط الثلوج في هذا الوقت من العام ، إنها اسطنبول قلب تركيا النابض و شريانها الحيوي ، المدينة الأجمل التي تنقسم لقسمين يقع كل منهم في قارة ، الشرقي بأسيا بينما الغربي في أوربا يفصل بينهما واحد من أهم نقاط الملاحة البحرية في العالم و أشهر معالمها ، مضيق البوسفور ..

قبل حلول الخامسة بدقائق تململ شاهين داخل فراشه ثم استجاب لنداء عقله بالاستيقاظ رغم انه لم يحظى سوى بساعات معدودة من النوم بسبب ظروف عمله الاستثنائية ..!

شرع أهدابه الداكنة الكثيفة ليشع بريق عينيه الفيروزي الأخاذ ، ميراثه عن والدته الذي يشكل تناقض عجيب مع لون بشرته الأسمر و شعره الحالك مما منحه طلة متفردة تدير إليه الرؤوس أينما وجد

كان يحمل ملامح والده الصارمة عاكسا جاذبية خشنة تشي برباط الجأش و قوة الشكيمة يلطف هذا الفيض الرجولي لون عينيه الأشبه بصفحة السماء في أزهى أوقات صفائها ، ارزق شفاف لامع يمنح لنظرته طابع خاص لا يختلف كثيرا عن الصقر الذي يحمل كنيته ..

كعادته التي لا يغيرها و لا ينوي ذلك تناول هاتفه قبل أن يفيق كليا و اتجه مباشرة إلى حيث يحفظ الشيء الوحيد القادر على دفع النعاس اللذيذ الذي يلعب برأسه و يدعوه لاقتناص غفوة أخرى خاصة و أن عضلاته لا زالت تأن ألما متوسلة للمزيد من الراحة احتل الشاشة المضيئة أمام عينيه الشغوفتين

صورة فتاة تبدو في ريعان صباها ، رقيقة الجسد و الروح كأن هبة النسيم قادرة على الإطاحة بها و رغم ذلك كانت في صلابة الصخور تعنتا ..!
التهمها بنظرات ولهة هامسا برقة تناقض خشونة مظهره البادية :
- اشتقتك يا ملاكي ، متى استطيع قولها في الحقيقة ؟! احبك و لن أيأس من الفوز بقلبك مطلقا ..
ثم استمر بتأمل تلك التي يهيم بها عشقا منذ عدة سنوات لبرهة إضافية قبل أن يضع الهاتف من يده برفق مع ربتة حنونة على سطحه كأنه سيكون رسوله و يرسلها لصاحبة الصورة التي تسكنه ..
نفض الأغطية و الشراشف التي تحيطه و نهض متجها للحمام المرفق يعد نفسه ليؤدي ما فاته من فروض بينما يرى الشمس تستعد لتوديع المدينة بألقها البرتقالي الوهاج من خلال زجاج نافذته العاكس ، عليه أن يسرع إذا كان يود لقاء والدته فهو يعرف مواعيدها أكثر منها هي نفسها ..
شاهين شاب يقترب من نهاية عقده الثاني ، يعيش مع والدته السيدة ناريمان في منزل كبير يحتل وسط العاصمة ، يشاركهم بضعة أشخاص يعملون فيه يعتبرهم من أفراد العائلة لأنه شب و قوي عوده بينهم على رأسهم مربيته وأمه الروحية الخالة قدرية صديقة والدته و مرافقتها منذ توفي والده شهيدا للواجب و فداء لوطنه بينما كان هو مجرد طفل في الرابعة من عمره ..
كرست ناريمان حياتها لأجله متحدية إرادة عائلتها و رافضة كل عروض الزواج التي انهالت عليها رغم جمالها و عراقة أصلها و حداثة سنها وقتها ..
لذا هو يحبها و يقدرها بشكل زائد و فضل البقاء معها في منزل العائلة حتى لا يتركها وحيدة باتخاذه مسكن مستقل كما هو سائد بين الشباب
لقد اختار إكمال مسيرة والده و اتبع خطاه موقنا انه الآن راض و فخور به ..
انهي كل شيء بوقت قياسي و هرع إلى الطابق السفلي ليصدق حدسه و يبصر والدته متأنقة بطبيعتها الفطرية الراقية تهم بالمغادرة لكنها تراجعت ما إن لمحته هابطا الدرج بقفزاته

النشطة منذ طفولته و قد تهلل وجهها و سكنته نظرة تتدفق حنانا و حب
استقبلته بقبلة امومية طبعتها على جانب وجهه بينما تناول كفها الرقيق مقبلا إياه ثم من بعده رأسها باحترام و ود عميق فهي الغالية و لا يوجد شخص يضاهيها منزلة لديه :
- مساء الخير أمي ، اممم كنت ستخرجين دون أن تريني إذن ..
منحته ابتسامة دافئة مربتة على كتفه العريض قائلة :
- لم أرد إيقاظك حبيبي فأنت لم تنم إلا سويعات قليلة ، الآن يجب أن أسرع إلى الجمعية في الحال حتى لا تنتهز زينب الفرصة و تقفز محتلة مقعد الرئاسة و تعيش دور المديرة فلن اسمح لها بذلك أبـدا ..
قالتها بقوة جعلته يرفع عينيه للسقف بنفاذ صبر من ذلك الصراع الأزلي بين والدته و الخالة زينب صديقتها اللدودة :
- أمـي ! أنتما تتقاسمان إدارة الجمعية منذ سنوات و هذا معروف للجميع ..
تراجعت خطوة محتدة و قد احتقنت بشرتها الناصعة فبدت أشبه بديك شركسي منفوش الريش هاتفة :
- و مع ذلك لن اسمح لها أن تترأس اجتماع العضوات و أنا حية أتنفس الهواء ، فهي تعتمد على أموال زوجها كونه الممول الرئيسي لمختلف أنشطتنا و يتبرع بسخاء و تنسى انه لولا اسم عائلتي العريق و أجدادي العظماء لما استمرت و أصبحت أشهر و أنشط جمعية على مستوى البلاد ..
زفر بعدم تصديق فوالدته لا تمل سرد تاريخ عائلتها الحافل عدة مرات في اليوم و الآن لن يستطيع الهرب من سماع أمجاد جدها الأكبر قائد الجيوش العثمانية و صولاته في ساحات المعارك و الغزوات ، حاول المراوغة بان أحاطها بذراعه قائلا بنبرة تذيب الصخر يعرف تأثيرها عليها :
- لكني لم أحظى بالجلوس معك منذ دهر أمي و اشتاق إليكِ ، لقد عدت من عملي قرب الظهيرة و كنت لا أرى أمامي سوى الفراش بعد يومين من العمل المتواصل ، ابقي معي الآن و دللني قليلا فانا ابنك الوحيد ، حبيبك شاهين ..

ضربته على كفه محبطة محاولته في مهدها قائلة بحدة :

- كف عن هذه الطريقة يا ولد ، لن تؤثر بي و قد صرت أطول من الباب ، أفسح الطريق سأخرج في الحال لن اسمح لتلك الزينب المتكبرة بالانتصار ، عليها أن تحمد الله إنني لم اخنقها حتى الآن و الفضل في ذلك لمراد لأني أحبه و اعتبره ابني الآخر ، أما هي و ابنتها المعقدة فلا أطيقهما ..

انتبهت كل نهاية عصبية في جسده ضاغطا فكه و قد أدرك المسار الذي تتخذه والدته قائلا :

- لا داعي لهذا الحديث أمـــي ..

عادت تضربه على رأسه هذه المرة كما لو كان طفلا صغير مرددة بنفس الحدة :

- هون على نفسك و اهدأ ، لا تظنني غافلة عما يدور داخل هذا الرأس الكبير و هو لن يكون بالمناسبة فلا تتعب نفسك بالتفكير ، انس ذلك لأني لن أزوجك لابنة زينب لو خلت الدنيا من الفتيات ..

مسد جبهته بإعياء مرددا بضيق حاول السيطرة عليه :

- لماذا طالما تعرفين إنني أحبـها !

أشاحت بيديها قائلة :

- لأنها لن تسعدك ، أنا اعرفها أكثر منك انس هذا الحب لأنه مجرد أوهام أنا أريد لك علاقة سوية تمنحك الراحة التي تستحقها ، يا الهي أخبرتك إنها فتاة معقدة فلما تريد ربط نفسك بها !!

آلمه قلبه جراء تلميح والدته المبطن فقال بتأثر :

- لم يكن عليك قول ذلك أمـي ، ثم أنا لم اعد طفلا لقد أصبحت على مشارف الثلاثين

قطبت حاجبيها هاتفة باندفاع و استنكار :

- تهذب يا ولد ، تعلم أنهم زوجوني مبكرا جدا ، لم أكن أكثر من مراهقة وقتها ، كما أني لم اقصد إعاقتها بكل تأكيد بل أتحدث عنها هي شخصيا ، لا تناسبك و كفى لكن لا يوجد لدي تحفظات على مراد كما تعرف هو صديقك المقرب و لم اعترض (أشارت بكفها مستدركه) أوه للحق عثمان والده رجل جيد أيضا عداهما الجميع يستحق الشنق حتى مدبرة منزلهم الشمطاء و أغلق هذا الموضوع حالا لأنك رفعت ضغط دمي ..

همت بالمغادرة تاركة إياه لا يقوى على الرد
بينما تابعت قائلة :
- عندما أعود أريدك هنا متأنق و على أهبة الاستعداد ..
منحها نظرة متسائلة هاتفا :
- و لما ؟!!
ردت ببساطه عفوية :
- لان شيري ستأتي معي و سوف تأخذها للسهر و بعدها تعيدها لمنزلها ..
طحن ضروسه بغيظ لكنه ردد ببطء :
- لدي عمل و تعرفين ذلك ثم أنا لست جليسة أطفال ..!
اعترضت باستنكار :
- ابنة خالتك ليست طفلة بل آنسة جميلة و سوف تتزوجها ..
وضع كلا كفيه فوق رأسه قائلا بعد تصديق :
- يا الهي ليس مجددا ، أمي حبيبتي أخبرتك مرارا رأيي في هذا الشأن ، و مع ذلك سأكرره الآن .. لن أتزوجها و لا سبيل لذلك و بالطبع لن أكون هنا لان عملي أهم من البقاء مع فتاة مدللة لا تجيد شيء في العالم إلا تصفيف شعرها سيدتي ، سأذهب للخالة قدرية في الطبخ لعلها تشفق عليّ و تعد لي شيئا من الطعام أتناوله قبل ذهابي ..
لم تفلح محاولته في استدرار عطفها هذه المرة أيضا لأنها أصرت بقوة قائلة :
- و أنا والدتك و أقول سوف تحبها و تتزوجها و هذا نهائي ..
ثم خرجت صافقة الباب خلفها تاركة إياه يكاد ينفجر من الغيظ و الغضب بسبب تحكمات والدته التي تتعامل معه كما لو كان في العاشرة من عمره !!
ألقى نفسه على احد المقاعد الوثيرة المنتشرة في الردهة العامرة بالتحف و الانتيكات الأصلية التي تفتخر ناريمان باقتنائها ناهيك عن اللوحات العديدة لأفراد عائلتها الراحلين ، مسد خصلات شعره القصيرة جيئة و ذهاب في محاولة لإجلاء أفكاره ..
كان يعلم أن سبب الخلاف المتأصل بين المرأتين عائد لتشابه قوة شخصيتيهما و حبهما للسيطرة لذلك دائمتي الشجار و مشاغبة كل منهما الأخرى رغم تشاركهما في اغلب الأنشطة و الهوايات كما يدرك تلك المودة المستترة المتبادلة بينهما دون الحاجة لإيضاح ..

علاقتهم بدت بهذا الشكل منذ توطدت الصلات بين العائلتين مع ازدياد أواصر صداقته مع مراد على اثر الحادث الذي تعرض له و كاد يؤدي بحياته ...

وقتها كان مراد قد التحق بالجهاز حديثا و صارا شريكين ، بإحدى المداهمات الخطرة التي انفصلا أثنائها خلف أفراد التنظيم الإرهابي الذين قاوموا إلقاء القبض عليهم بضراوة ، عَلِق هو بأحد مخازن الوقود و المتفجرات و قد أشعل فيه أحدهم النار بقصد نسف المكان بالكامل ، فما كان من مراد إلا أن رفض التخلي عن زميله و قام باقتحام المكان عنوة ، نجح بإخراجه في لحظات حاسمة قبل أن تطيح بهما قوة الانفجار مسافة بعيدة و يصاب كلاهما لتختلط دمائهم و يعلنهم القدر أخوه تربطهم صداقة لا تنفصم .

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

داخل القاعة الواسعة المخصصة لاجتماعات عضوات الجمعية المختصة بمختلف الأنشطة الخيرية و تقديم الخدمات المجتمعية تصدر الطاولة المستطيلة مقعدين متجاورين حرصت السكرتيرة على وضعهما بهذا المكان تجنبا لحدوث المشادة الدائمة بين السيدتين ناريمان و زينب و قد أبلت حسنا بتصرفها و أنقذت المتواجدين من الاستماع لوصلة الجدل المعتادة .. بالرغم من ذلك استمرت ناريمان تعارض كل اقتراحات شريكتها بمشاكسة و عناد تصدت لهما زينب بقوة شكيمتها و شخصيتها الفذة ، ظلتا تتبادلان كسب النقاط طيلة الاجتماع دون أن ترجح كفة إحداهما على الأخرى ..

قالت ناريمان بانتصار مغيظ :

- لكن رأيك يخالف لائحة المصروفات لهذا الشهر عزيزتي عليك دراسة الأمر أكثر ..

ردت زينب بثبات :

- العكس هو الصحيح ، أنت هي من لم تدرس الاقتراح قبل الاندفاع بالمعارضة كعادتك نار ، لان أهم بنوده هو الانفصال التام عن الميزانية العامة و ذلك لتضمنه على منافذ بيع للمنتجات و من عائدها سيكون الإنفاق ..

غمغمت من بين أسنانها :

- أخبرتك مرارا أن لا تدعيني بذلك اللقب زينب .

رفعت الأخرى كتفيها بأناقة قائلة بهدوء :

- عندما تكفي أنت عن الاشتعال غضبا عزيزتي ..

ردت الأخرى بنفاذ صبر :
- لا فائدة ، إن التعامل معك لا يطاق ..
ميلت رأسها بتعجب قائلة بنبرة ذات مغزى :
- تقصدينني أنا ناري !
بالكاد انتهى الاجتماع قبل أن يسوء الوضع أكثر و قد ابتعدت زينب لمكان مختلف تتابع أعمالها تاركة الأخرى مع ابنة شقيقتها لأنها لا تستسيغها بسبب فراغ عقلها و تفاهتها ، دائما استنكرت هذا السلوك في الفتيات و لم تتقبله لأنه يناقض طباعها و ما جُبلت عليه منذ نعومة أظافرها كفتاة عربية نشأت داخل عائلتها السورية حتى طرقت أبواب الشباب مرحبة ببهائه ثم انتقلت مع أسرتها إلى تركيا في رحلة عمل لوالدها ..
عندها قابلت عثمان الشاب التركي الذي اغرم بها و ظل يلاحقها من مكان لآخر بصبر و عدم استسلام متحديا عائلته و قد أعلن عدم عزمه بالزواج من الفتاة الموعودة له حسب تقاليدهم الصارمة لأجلها ..
منحته قلبها في المقابل و استطاعت إقناع والدها بالموافقة على زواجهما الذي تم رغما عن معارضة عائلته العنيفة ، لكنها كانت ذات شخصية مميزة لا تعرف اليأس أو الاستسلام أمام أي عائق ، سرعان ما نجحت في فرض وجودها و احترامها على الجميع و ها هي الآن تتصدر رأس العائلة إلى جوار زوجها عثمان اوزاوغلو و قد انعم الله عليهما و أهداهم اثنين من الأبناء قرة عين ..
مراد الكبير شذ عن القاعدة و ترك أعمال العائلة الواسعة زاهدا فيها و اتجه للجيش ، عشقه منذ الطفولة لهذا برع و ذاع صيته كضابط المهام المستحيلة ..
لم يكد يمضي عامين فيه إلا و اختاره احد أهم أجهزة الاستخبارات في البلاد و أكثرها سرية لينضم إلى صفوف عملائها و ينتقل لنوعية مهام مختلفة كليا عما تعود عليه لكنه يؤدي واجبه بحماس طالما كان الغرض القضاء على أعداء الوطن في الداخل أو الخارج لا يهم ..
أما الصغرى نرفين فهي التي تتعب قلبها و عقلها في آن واحد ، تلك الفتاة بالرغم من هشاشتها و ضعفها إلا إنها عنيدة كالتيس أو ربما أكثر و قد ورثت عنها صلابة الفكر و عدم اللين ، تبا كلا ولديها أخذ ذلك و بسخاء ..

عادت إدراجها مع السائق الخاص بها لتبدأ مباشرة مهامها المنزلية المعتادة و التي هي جزء لا يتجزأ عن شخصيتها المراعية لأسرتها ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

أوقف مراد سيارته الرباعية الدفع السوداء أمام بوابة منزل والديه الخارجية و ترجل يتهادي بطلته المميزة اللافتة للأنظار ، فقد كان طوله الفارع و عرض كتفيه جدير بالملاحظة ناهيك عن جاذبيه رجولية صارخة تعلن عن وجوده دون عناء ..

دلف إلى البهو الرئيسي متجها للغرفة الشرقية حيث يعرف انه سيجد والدته فيها كعادتها كل ليلة قبل موعد العشاء ..

- مرحبا زينب الجميلة ، اشتقت إليك حلوتي ..

قالها بعد أن مال مقبلا وجنتها الناعمة بينما رفعت رأسها عن القطعة الحريرية التي تطرزها بخيوط ذهبية و فضية بمهارة و ذوق راقي مقطبة حاجبيها قائلة بلوم :

- تحدث العربية يا ولد ، كم مره أخبرك بها و لا تتعلم أبدا أم لعلك تتعمد استفزازي !

ضحك بمرح لأنه كان يتعمد ذلك بالفعل فهي منذ طفولتهم قد عودته مع شقيقته على التحدث بالعربية ليتقنا لغتها الأم التي تحبها و تفخر بها كما زرعت داخلهما الانتماء لهويتهما العربية من جانبها كما نصفهما الآخر لكنه يعشق رؤية تلك التقطيبة تعلو محياها الجميل بينما تعنفه كأنه ما زال ذلك الشقي المعاقب ، لذا تحدث بالتركية ترقبا لردة فعلها المألوفة ، تحول للغته الثانية في الحال قائلة بلهجته الشامية المحببة للنفس

- حاش لله أن استفزك أمي ، إنها قليل من المشاكسة فحسب حتى استمع لعبارتي المفضلة (يا ولد) لو سمعك رفاقي لصرت أضحوكة الموسم و رغم ذلك أحبها منك و اشعر بالدلال ..

حركت رأسها ضاحكة من مشاغبات ابنها التي لا يكف عنها قائلة :

- حسنا ، كان يكفي أن تطلب فقط لألبي حاجتك لتذكر طفولتك المشوقة و انهال عليك بالتوبيخ و ربما أرسلك إلى غرفتك معاقبا أيضا ..

تعالت ضحكاته الرجولية الاجشة بينما يشير بيديه هاتفا بفزع كوميدي :

- لا لا يكفي ما حصلت عليه ، أشكرك جدا

و لا أريد المزيد (التفت حوله مستطلعا و تابع)
أين الجميع ؟!
قلبت شفتيها قائلة :
- عثمان لا يكتفي من العمل في مكتبه ليكمله الآن على الهاتف و أختك معتكفة بغرفتها في إحدى نوبات غضبها ..
قطب قائلا بحيرة :
- متى لم تكن كذلك ! لكن ما السبب هذه المرة ؟
أشاحت بيدها دلالة على ضيقها هاتفة :
- لا اعلم ، إنها تقودني للجنون ركضا ، منذ غادرت مع شاهين آخر مره كنت فيها هنا و هي تحبس نفسها رافضة كل شيء ..
تناول يديها بين كفيه الكبيرين قائلا برقة :
- هوني على نفسك حبيبتي ، سوف أتحدث معها و أرى ما بها ..
حثته قائلة بلهفة :
- أجل مراد ، أريدها معنا على العشاء لنجتمع كأسرة طبيعية فأنت أيضا بالكاد نراك منذ انتقلت إلى منزلك و لا زلت غير راضية عن هذا الأمر بالمناسبة ..
لون الذنب وجهه قائلا :
- أمي ، إن منزلي لا يبتعد عن هنا مسافة تذكر ! مجرد انعطاف بالشارع و تجدينه أمامك ، لقد صرت كبير بشكل كافٍ ليكون لي حياتي الخاصة ، أليس كذلك ؟
ثم أشاح بعينيه المعبرتين عنها و غمغم يتابع حديثه بحرج :
- أما بالنسبة للعشاء فلن استطيع الانضمام إليكم للأسف لان لدي موعد ، أرجوك لا تغضبي أمي ..
زفرت أنفاس حانقة مرددة بعتب :
- لما تكرمت بالحضور إذن يا سيد مهم طالما ستتخلف عن موعد تجمع العائلة الوحيد ! كأنك تؤدي الواجب المفروض عليك ! حسنا لقد فعلت انصرف بضمير مستريح ..
هرع يحيط كتفيها و يقبل كفها ضاغطا وجنته عليه مرددا بمحبة عميقة :
- المعذرة غاليتي لم اقصد هذا أبدا ، تعلمين لا احتمل غضبك لقد حضرت لأني لم أقوى على أن يمضي اليوم دون رؤيتكم حتى لو وقتا يسيرا بعد انشغالي بإحدى المهام التي استغرقت يومين من العمل المتواصل و لم تنتهي سوى بعد الظهيرة

و كنت منهكا فاستغرقت بالنوم حتى المساء ثم أسرعت إلى هنا لأراك قبل أي شيء ..
شملته بنظرة راضية لكنها قالت بنفس العتب المبطن بالحنان :
- اجل عملك الذي يرعبني ، هذا شأن آخر ، لا تظن إنني سأتقبله و إن مر دهر فانا لست حمقاء مثل المغفلة ناري التي تشجع ابنها على إتباع خطى زوجها و كل ذكور عائلتها الراحلين كما تتشدق دائما ..
جعدت انفها تقلد ناريمان باستياء متابعة :
- والدي و أجدادي العظماء كانوا أبسل ضباط في الجيش العثماني ..
أتعلم كم مره أصبت في إحدى عملياتك الدائمة الخطورة و خلعت قلبي خوفا عليك ! آه يا مراد ستقتلني كمدا مع أختك ..
استمر بركوعه أمامها محتضنا كتفيها بحنان دافق فقد تشبع داخله بالانتماء للأسرة و تقدير الوالدين بشكل كبير نتيجة كلتا الثقافتين التركية و العربية اللتان تعتمدان على ذلك
- بعيد الشر عنك يا قلب مراد و منبع حياته ، لكن تلك ليست كلمات حبيبتي زينب

القوية المؤمنة التي تعلم انه لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ، الخطر قد يصيب الإنسان بأي مكان و زمان حتى لو كان بفراشه طالما كُتب عليه ، لا نستطيع الهرب من أقدارنا زوزو أليس أنت من علمني ذلك ؟!
سحبت نفس عميق قائلة :
- أجل يا عمري لكن ماذا نفعل في قلب الأم الأحمق الذي يرغب في احتضان أولاده داخله للأبد حاميا إياهم من نسمة الهواء العابرة ..
بهذه اللحظة دلف السيد عثمان بطلته البهية ، لم تنقص سنوات عمره من وسامته الواضحة ولا روحه المفعمة بالحياة و الانطلاق هاتفا بتذمر مصطنع :
- يا للمهزلة ، لقد بدأت وصلة الغزل المعتادة التي تشعل غيظي و غيرتي ، ماذا افعل بك أيها الشاب لتبتعد عن زوجتي ! إن كنت تريد الدلال تزوج و اجلب لنفسك واحدة لان هذه تخصني وحدي ، يا الله ظننتني استرحت منك بعد اتخاذك مسكن مستقل ..
ازداد مراد التصاقا بوالدته مانحا إياه نظرة مغيظة قائلا بمرح :

- عفوا سيدي لكننا نتنافس على تلك الجميلة منذ الأزل و لهذا لن أتنازل عن حقي أبدا ، انس أن تتخلص مني ..

لفت ذراعها حول مدللها الحبيب دون أن تستطيع احتواءه كاملا كما كانت تفعل أثناء طفولته بينما تألقت نظرات الغرام داخل حدقتيها اللامعتين ببريق لا تخطئه العين و لم تطفئه الأعوام تستقبل زوجها و رفيق عمرها هاتفة بحبور :

- أجلا مشاكستكما الليلة لأني لم افرغ من أسئلتي بعد ..

ربت عثمان على كتف ولده القوي بفخر و تقدير أبوي حاني مرحبا به قبل أن يتابع بمكر متعمد :

- أوه أنت عالق إذن يا سيد ! كان الله في عونك على محققتي البارعة ، أنصحك بالاعتراف مباشرة فلن تستطيع الإفلات مطلقا هذه نصيحة خبير ، و سوف أتغاضى عن هذا العناق في تلك الحالة الاستثنائية لأنك مسكين ..

ضج ثلاثتهم بالضحك بينما استدار مراد لوالدته قائلا :

- لا تجعليه يشمت بنا أكثر و أرفقي بي زوزو ، ماذا تريدي أن تعرفي ؟

عادت نظراتها الامومية تحيطه بحنانها قائلة :

- موعدك الذي جعلك تتخلف عن عشائنا العائلي !

غزا اللون الأحمر أذنيه بقوة فاقدا الأمل أن تنسى تلك النقطة ، لكنها كالعادة ذات ذهن حاد لا يفوّت شاردة ، أجلى حنجرته قائلا بهدوء حذر :

- احم انه مع نـاز ، فقد وعدتها بالعشاء منذ فترة و كما تعلمين ظروف عملي تجعلني أهملها كثيرا ..

زفرت أنفاسها بحنق واضح و لاحت بوادر رفض و استياء على ملامحها النضرة ، كان مظهرهما معا يوحي بالضحك على التباين الكبير فهي تبدو ضئيلة الحجم إلى جواره بجسدها الرقيق الهش و يصعب تصديق إنها من أنجب هذا الكيان الرجولي الضخم لكن بتناسق فريد فطوله يناسب عرضه و حجم عضلاته ، باختصار كان يمتلك الجسد المثالي ..

ضغطت أسنانها بحدة أوضحت أنها لا تحب تلك الفتاة سائلة من جديد بصرامة :

- أين دعوتها ؟

رفع حاجبيه مغمغما بعتب خفيف :

- أمي .. منذ متى تتدخلي في خصائصي !

أشارت بإصبعها قائلة بحزم :

- مراد .. أنت تعلم مقصدي لذا أجب على الفور هل ستصطحبها إلى منزلك ؟

اعتلت الجدية ملامحه الوسيمة قائلا بثبات :

- أجل اعلم بالطبع و يجب أن تثقي في ابنك فانا تربيتك زينب ..

تدخل والده ليزيل احتقان الأجواء قائلا :

- أطلقي سراح الولد حبيبتي يكفي استجواب لهذا الحد ، اتركي الشاب ينطلق و يعيش سنه (ثم أشار لمراد و تابع) و أنت لا تتمادى أكثر و ابتعد عنها في الحال ، يكفي أني سمحت لك مره ! اذهب و احصل على الدلال في موعدك و اترك زوجتي ..

هتفت زينب باستنكار :

- عثمان ..!

رفع كفيه بدفاع قائلا بسرعة :

- امزح عزيزتي امزح فانا مثلك أثق بأخلاق ابننا الذي سيتلقى صفعة الآن إن لم يفلتك على الفور ..

استقام مراد واقفا بينما يحرك حاجبيه قائلا بمكر :

- اعترف انك تغار أبي و لا تقلق لن انشرها لك في موقع التواصل الاجتماعي ..

ابتسم الرجل بمشاغبة جعلتهما متشابهين لدرجة كبيرة قائلا بإقرار :

- و هل أنكرتها يوما يا أحمق ، اجل أغار بشدة و مغرم بزينبي ..

احتقن وجه المرأة حياء فقالت في محاولة لإخفائه :

- هل ستذهب الآن ؟

أجاب مراد باسما :

- بل سأرى نرفين أولا بعدها استأذن ....

ثم تركهما و اتجه لغرفة شقيقته المنعزلة عن الجميع متخذة من عالمها الخاص وسيلة إلهاء تبعدها كأنها تحيا على جزيرة مهجورة !

حاول كثيرا إخراجها من هذه الحالة دون جدوى ، مع هذا لن ييأس و يتركها لهواجسها التي تلتهم سنوات عمرها الغضة و شبابها الثمين نقر برقة على بابها قبل أن يدلف مع ابتسامته الحنونة هاتفا بمحبة :

- مرحبا نرفي (ثم اقترب قارصا وجنتها بخفة كما اعتاد أن يفعل في طفولتها متابعا) ما بها صغيرتي الحلوه ؟

شملته بنظرة من عيونها الغزلانية التي تحتل وجهها ذو الملامح الناعمة الطفولية بشكل منحها هالة من البراءة و العذوبة قبل أن تشيح برأسها قائلة بضعف :

- بخير أخي ..

عاد يردد بصبر :

- لما لا تشاركينا جلستنا في الخارج إذن !

أغمضت عيونها ليصله إحساسها بصورة أوضح :

- لا أريد ، أفضل الاختلاء بنفسي ..

أدارها إليه بحزم حنون قائلا :

- إلى متى نرفي ؟! هذا ليس جيد للجميع ، أنت تؤلمين والدينا ..

حركت مقعدها المدولب بعيدا قبل أن تهتف بغضب :

- ماذا عني أنا ؟ لما يجب أن أتألم وحدي !

أصر على مواجهتها بثبات قائلا :

- و لماذا الألم من الأساس ؟! اطردي هذا الوهم المسيطر عليكِ ، أنت شابة جميلة في مقتبل العمر لا ينقصك شيء أبدا ، حتى هذا المقعد السخيف الذي تصرين على التشبث به لا تحتاجينه ! بحق الله انضجي و استخدمي قدميك فأنت تستطيعين السير أفضل منا جميعا ..

صرخت هاتفة :

- لا .. لا أريد و لن افعل ، لقد سأمت من نظرات الشفقة و العطف كلما شاهدوا الفتاة العرجاء تخطو أمامهم ..

هرع يضمها لصدره بحماية حتى توارت بقوامها النحيف كليا بين ذراعيه قائلا بحدة :

- لو اعلم فقط من نعتك بهذا لقطعت لسانه ، أنت لست هكذا أبدا صغيرتي ، ثقي بنفسك قليلا و سوف تجدين أن تلك الهواجس ستزول نهائيا ، حبيبتي حذار أن تسرق عمرك و سعادتك ، العجز الحقيقي ينبع من هنا (و أشار لرأسها)

ارتجفت شفتيها دون رد فاستدرك قائلا باستفهام :

- حسنا ، ما السبب هذه المرة ؟

التفتت إليه بحدة قائلة :

- انه صديقك الأحمق ..

قطب حاجبيه قائلا بدهشة :

- شاهين !! ماذا فعل ؟!
غمغمت من بين أسنانها :
- جلب لي الزهور ..تصور !!
قفز حاجبيه لأعلى بشكل مضحك قائلا :
- و هل يعد ذلك جريمة هذه الأيام ؟!
عادت تهتف بقوة مستاءة :
- أنت تعلم ماذا اعني فلا داعي لتجاهل الأمر ، اخبره أن يجد وسيلة أخرى للتعبير عن امتنانه لك بعيدا عني ، لقد اكتفيت و لن أكون أداة بيد أحدهم بعد الآن ..
تراجع خطوة إلى الخلف قائلا بعدم تصديق :
- كيف تفكرين على هذا النحو ؟ لو كان قد جلب الزهور إليكِ فلتحيتك بلباقة لا أكثر ، انه لا يمتلك إخوة و بالتأكيد يعتبرك هكذا ، تعّلمي أن تحسني الظن بالناس أكثر نرفي ، لا اعلم ما الذي زرع تلك الشكوك داخلك !
أرخت جفنيها بألم رافضة التذكر حتى لا تنفجر باكية ، عوضا عن ذلك قالت باستنكار
- لا تحاول إقناعي أن صديقك المخيف يمتلك مشاعر رقيقة و يعرف التعبير عنها بالأزهار عوضا عن استخدام المسدسات و سائر الأسلحة مثلك ..

ضحك عاليا قبل أن يردد :
- يا الله شاهين مخيف ! ربما شكله الخارجي يوحي بالصرامة و الجدية بعض الشيء لكنه في الحقيقة بغاية الرقة و الحنان ، ليس عليك الحكم على إنسان لا تعرفينه بشكل كامل يا صغيرة (ثم استدرك قائلا بجدية) لكن مهلا هل تريني ذلك الجلف المعدوم المشاعر الذي لا يعرف التعامل سوى مع الأسلحة يا فتاة ! لقد جرحتِ أحاسيسي المرهفة ..
ضحكت رغما عنها فتحولت ملامحها بشكل كلي قائلة باندفاع :
- ما ذنبي ! أنتما متشابهان لكنك لست مثله ، من هذه الناحية اطمئن ..
زفر بطريقة تمثيلية هاتفا :
- حمدا لله لقد اطمأن قلبي على مستقبلي فلدي موعد الآن مع فتاة جميلة و لا أود إخافتها ..
رفعت عيونها للسقف قائلة بنفاذ صبر :
- نازلي ثانية أليس كذلك ؟ هذه بالذات أنصحك بجعلها تجفل منك و تهرب إلى الأبد ، ما رأيك أن تصاحبها في إحدى عملياتك ! اعتقد إنها لن تحبذ رؤيتك من جديد بعدها ..

عنفها جاذبا انفها قائلا بمودة :
- ها قد عادت الشقية صاحبة اللسان السليط ، ماذا بها ناز ؟! لما لا تطيقينها ؟ حتى والدتي تتفق معك في سابقة فريدة من نوعها ..
حركت كتفيها قائلة ببساطة :
- لأنها لا تطاق أخي ، أمي محقة بالطبع طالما لا تنتقد تصرفاتي أو توبخني ، لا اعرف كيف تحتملها ؟!
منحها نظرة لوم مردفا :
- لأني أحبها ربما ، الم يخطر ذلك ببالك ؟!
قلبت شفتيها قائلة بصدق :
- ربما لا ، فكثيرا ما تتشوش مشاعر المرء و تخدعه ..
رفع حاجبيه بتعجب :
- انظروا من تتحدث ! مرحى لقد كبرت الصغيرة التي كنت احملها على ظهري حتى الأمس القريب و باتت تنصح أخاها ..
رفعت رأسها بكبرياء قائلة بثقة :
- في أمور الفتيات بالتأكيد أعرف أكثر منك و لازلت عند رأيي إنها ليست مناسبة لك .
تجاهل تدخلها ونهض قائلا بمرح لأنه نجح في إخراجها من حالتها الكئيبة :
- حسنا أيتها الخبيرة ، انهضي و اعدي نفسك من اجل العشاء ، لا يجب أن نترك والدينا بمفردهما ، عليك أن تغطي غيابي أنت مدينة لي بذلك ..
ابتسمت بحب خالص لشقيقها قائلة :
- كنت سأفعلها بطيب خاطر لو كانت واحدة غير نازلي المغرورة (ثم استدركت سريعا قبل أن ينطق بالتعنيف الذي يلوح داخل أفق أحداقه الداكنة) لكن لا بأس طالما تريد ذلك أخي الكبير ، اذهب و كن مطمئن سألحق بك للأسفل
طبع قبلة على قمة رأسها قبل أن يستدير مغادرا بينما هي خلفه تتنفس بعمق و قد سقطت نظراتها على تلك الأزهار التي تحدت الذبول و بقيت شامخة بألوانها البهية و كلمات مراد عن رفيقه تدوي داخل عقلها المكدود بآلاف الهواجس و الشكوك و الأهم انه يرفض تصديق تلك الصفات التي أسبغها شقيقها على شاهين صاحب النظرات المرعبة بعيونه الصقرية الأخاذة ، بل الخطرة هذا هو الوصف الأمثل لها لطالما تخيلتها تبرق في الظلام مثل القطط و تبث الروع في أنفس الجميع ..

كما كانت ترفض تخيل أن شاب مثله قد يهتم بها من هذه الناحية الشخصية تاركا كل الفتيات اللاتي يتهافتن عليه و كل منهن تفوقها جمالا و صحة ..

لقد رأت ذلك بنفسها عندما اصطحبها مراد إلى النادي و التقيا به هناك ، عندها توارت جانبا و راقبت كيف التصقت أعين الإناث بكلا الشابين صاحبا الجاذبية المدمرة التي جعلت الفتيات تحوم حولهما كما يفعل القرص العسل بالنحلات ..

لكنها تعرف سر اهتمامه و هو لا يزيد عن طريقته في إبداء امتنانه لشقيقها الذي أنقذ حياته يوما فحدثه عقله بان لا ضير من منح أخته المعاقة بعض الاهتمام لرفع معنوياتها فارت الدماء بعروقها غضبا و هبت واقفة من فوق الكرسي ذو العجلات الذي اختارت حبس نفسها طواعية داخله دون أن تكون بحاجة لذلك كما ذكر شقيقها قبل قليل و اتجهت بخطوات تحمل عرجا خفيفا إلى حمامها الخاص تعد نفسها و قد حفزها تدفق ثورتها لطرد الانهزام مؤقتا ، ربما لأنه ذكرها بأسوأ موقف تعرضت له

و كان السبب الرئيسي لحالتها المتردية اليوم ، صرخ داخلها بلوعة :

آه يا أخي كم أتمنى أن تقطع لسان ذلك الوغد الحقير ....

لقد تعرضت لحادث أثناء طفولتها المبكرة علقت فيه ساقها اليسرى مع قدمها بشكل خطر مما أدى لتهشم العظام و تفتيتها ، خضعت بعدها للعديد من الجراحات لكن ذلك أثر على نموها بشكل طبيعي فباتت اقصر بفارق طفيف عن الساق اليمنى فصار العرج يلازمها ..

لم تكن تكترث له تلك الفترة و عاشت طفولة سعيدة حتى دخلت مرحلة المراهقة و باتت أكثر اهتماما بمظهرها فبدأت تضيق بطريقة سيرها الغير مستوي ..

عندها اخبرهم طبيبها المعالج أن بإمكانها الخضوع لجراحة تجميلية لترميم عظام الساق مجددا و قد يحسن ذلك الحالة ..

أسعدها الخبر للغاية و تم تحديد الموعد ثم استقبالها بالمستشفى الاستثماري الكبير ليتولى حالتها فريق من الأطباء ..

كان عليها الخضوع لجلسات تأهيلية بالعلاج

الطبيعي قبل و بعد الجراحة تحت إشراف طبيب شاب ، اعتنى بها و أولاها اهتمام خاص لم تغفل عنه ..

أقبلت على كل ذلك بحماس و أمل متدفق و ما جعله ينمو أكثر نظرات و همسات طبيبها الذي حاصرها بمد عاطفي لم تتمكن ابنة السابعة عشر ربيعا من مقاومته ..

نسج لها وهما و شيد أحلاما خادعة استجابت لها بكل مشاعرها الفتية و حلقت بين الغيمات حتى جاءت السقطة الكبرى ...

ذلك اليوم أنجزت جلستها العلاجية في وقت قياسي وهرعت إليه في مكتبه تبشره بنفسها لتسمع الوغد يتبجح لأحد أصدقائه عن قدراته في الإيقاع بالفتاة الغرة بوقت قياسي يعده انجاز و قد جعلها عاشقة له لن تقوى على الابتعاد عنه و بناء عليه سيغترف من ثروة عائلتها ما شاء و أخذ يحلم بإنشاء مستشفاه الخاص و مواكبة صفوة المجتمع ، مقابل كل ذلك سيحتمل تلك المعاقة العرجاء ..

كانت تلك هي العلامة الفارقة في حياتها بعدها تبدل عالمها المشرق بآخر يسوده الظلام و الكآبة ، رفضت إجراء الجراحة و أهملت العلاج و قد ضاعف عقلها المصدوم عجزها لدرجة صارت اكبر من احتمالها حتى باتت ترفض مجرد السير و التحرك أمام الآخرين و اتخذت المقعد المدولب أداة لسجنها و الاختفاء عن النظرات التي تشعر بها سهما مسموما يصيب فؤادها الجريح ..

هذه هي نرفين كتلة من التعقيد و الألم ، و يا للعجب الشخص الوحيد القادر على إعادة سلامها النفسي و ثقتها ، تخشاه و تنفر منه بل تعتبره الأخير على قائمة اهتماماتها هذا إن لم يكن خارجها كليا ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

استغرقت نازلي في حيث هاتفي مطول مع واحدة من صديقاتها الكثيرات حول كل و أي شيء كما اعتادوا ..

انتبهت على صوت دقات الساعة التي تشير إلى اقتراب موعدها فهتفت مجفلة :

- أوه لقد تأخرت ، يجب أن استعد الآن بسرعة حتى لا أجعل مراد ينتظر فهو لا يحب ذلك ..

سمعت ضحكة الفتاة على الطرف الآخر قبل أن تعلق بمكر :

- أنت لم تصلي إلى الحد الذي يتحمل فيه صاغرا إذن ..

أجابتها بثقة و غرور :

- لا عزيزتي أنت مخطأة لكنه ليس كغيره من الرجال ، انه مراد صياد بالفطرة و يعشق الهيمنة ، الوحيد الذي يجعلني أشعر بأنوثتي أمام جبروت رجولته لذلك لا أحب إهدار وقتي معه في الجدال أو عتاب لا طائل منه ..

ردت الأخرى بدهشة :

- يا الله ، لقد جعلك عاشقة ناز ..

مطت شفتيها قائلة بإقرار :

- أنا بالفعل أحبه و لا أظن أن هناك من تستطيع مقاومته حتى أنت ، لا تخبريني انك لم يخطر لك تجربة حظك معه لولا معرفتك انه لي ..

صدحت ضحكاتها مره أخرى بينما ردت دون خجل :

- بالطبع ، انه يمتلك جاذبية مدمرة ، آه من نظرات عينيه أو مـ.....

هتفت نازلي تقاطعها بغيظ مكبوت :

- هاي توقفي ، لا تنسي مع من تتحدثي ..

- المعذرة لكن أنت من فتح الموضوع و مع ذلك لا تنكري انك لم تمتلكيه كليا بعد ، ما زال الطير خارج القفص حلوتي ..

شعت نظراتها ببريق شرس قائلة :

- لا تعتمدي على ذلك طويلا فقريبا جدا سيكون لي قلبا و قالبا ، عندها أعدك إن أزف إليكِ الأخبار السارة قبل الجميع ، هيا الآن لقد مضى الوقت بسرعة البرق و عليّ إعداد نفسي ...

نازلي فتاة طموحة شاركت في العديد من مسابقات الجمال قبل أن تقرر خوض المغامرة الكبرى بترك عائلتها و مدينتها الصغيرة ثم فردت جناحيها إلى مدينة الأحلام ، اسطنبول حيث الشهرة و الأضواء ..

في البداية استأجرت غرفة بشقة مشتركة مع عدة فتيات لتشق طريقها داخل العالم الذي ابهرها ..

اشتركت في عدة عروض أزياء لبعض المصممين المغمورين ، لم يمر وقتا يذكر حتى أصبح وجهها معروف نوعا ما فحظيت بعقد لإعلان تلفزيوني عندها تمكنت من استئجار شقتها الحالية مستقلة عن الجميع ..

أملت بخوض مجال التمثيل لتصعد السلم

بسرعة اكبر لكنها فشلت في الحصول على فرصة مناسبة رغم جمالها فليس كل حسناء قادرة على امتلاك موهبة حقيقية ، لهذا عادت تركز جهودها في عروض الأزياء بعزم اكبر على النجاح ..

حتى وصلت لبعضا مما تصبو إليه و صار اسمها لا بأس به و وجهها مرغوبا من المجلات بعد آخر حملة لإطلاق مجموعة المجوهرات التابعة لدار معروفة بالسمعة و الصيت على مستوى العالم ، كانت هي بطلتها ..

ساعدها على ذلك ملامحها الارستقراطية المغرية بجمال متوحش بري مع نظراتها المترفعة و بالطبع غنجها و دلالها اللذان تأسر بهما الجميع بالإضافة لقوام فارع ممشوق يتيه بتكاوينه الأنثوية الجذابة الذي تبالغ في الحفاظ عليه باحتساب كل سعر حراري يدخل جسدها ، كيف لا و هو مصدر رزقها و وسيلتها نحو التربع على عرش النجومية ..

جمعتها الصدفة في إحدى الحفلات عقب عرض ضخم بمراد اوزاوغلو ، وقتها كانت تجهل كل شيء عنه لكنه سمرها في مكانها بشخصيته و وسامته المميزة ناهيك عن طلته الاستثنائية و ثقته الفطرية التي تنبع من داخله ..

حاولت لفت انتباهه إليها أثناء الحفل بكل وسيلة دون فائدة ، كان ثابتا كالجبل رغم نظرات الحسان التي حاصرته و قد تلقاها بكبرياء رجل جُبل على القوة و أن يكون هو البادئ ، هو الصياد أدركت ذلك و غيرت إستراتيجية التقرب منه بناء على هذا ، بالكاد صبرت حتى لاحظت عزمه على المغادرة فسبقته إلى الخارج و تعمدت تعطيل سيارتها الجديدة لتبدو أمامه واقعة في مأزق و لا حيلة لها بين براثن الليل ..

هذه المرة نجحت الحيلة و تقدم منها عارضا خدماته التي قبلتها على مضض مع سيل من الاعتذارات حول تعطيله و الكثير الكثير من رفرفة الأهداب و ادعاء الضعف و الرقة لتستفز رجولته و توقظ رغبة الحماية داخله ، لكنه صدر من قلبها فقد سلب أنفاسها بنبرات صوته الاجشة فور تلفظه بها حتى شعرت بصوته العميق يلامس روحها و يربت عليها بجاذبية قاهرة جعلتها تصرخ داخلها " ذلك الرجل يجب أن يكون لها .. "

بعدها توالت الاتصالات بينهم بطريقة طبيعية ، بدأت بتقديم الشكر حتى وصلا لما هما عليه الآن و بالطبع ترغب في المزيد ، خاصة بعد أن علمت لأي عائلة ينتمي و الغموض المثير الذي يكتنف عمله و حياته التي تلفها الخطورة مما يحفز كل خلاياها بترقب آسر ..

تألقت بثوب أحمر ناري عاري الكتفين استعدادا لقضاء سهرتها معه واعدة نفسها أن تخرجه عن طوره بطلتها المذهلة و جمالها الطاغي هذه الليلة ، لقد حان الوقت لتدفع علاقتهم إلى الأمام ..

أخرجها من أفكارها وصول المعني بها فهرعت تستقبله بابتسامة تموج إغراء و دلال بينما تتعلق بعنقه باندفاع هاتفة :

- مـراد حبيبي لقد اشتقت إليك للغاية ..

تلقفها بذراع واحد ثابتا بينما الآخر يحمل باقة أزهار ندية متنوعة الألوان و منسقة بشكل فني رائع ، أبعدها عنه قليلا و تراجع خطوة للخلف قائلا :

- و أنا اشتقتك أيضا ناز (ثم قدم الباقة و تابع) تفضلي ربما تشفع لي و تسامحيني على تقصيري معك ..

منحها ابتسامته الساحرة مع الزهور التي ضمتها إلى صدرها هاتفة بسعادة :

- إنها من نوعي المفضل ، شكرا لك حياتي لكن وجودك معي هو التعويض الذي أفضله أكثر ..

أسعده قولها و لهفتها الواضحة عليه ثم شملها بنظرة أرسلت الدماء الحارة في عروقه فقد بدت شهية خلابة و عيونها تحمل توقا لا تخطئه عينه الخبيرة :

- تبدين رائعة عزيزتي ، أخشى أن لا يحتمل الآخرين كل هذا الجمال ، الجميع سوف يحسدني الليلة دون شك ..

صدحت ضحكاتها الناعمة ذات الجرس العالي قائلة :

- و بالمقابل ستحقد علي النساء لأنني من حظيت بك حبي ، اممم ما رأيك أن نتلافى كل ذلك رحمة بهم و نقضي سهرتنا هنا ، استطيع إعداد عشاء منزلي على ضوء الشموع لأجلنا ..

وضعت الزهور على الطاولة القريبة من المدخل الذي لم يتخطاه منذ وصوله ثم اقتربت خطوات مدروسة قبل أن تلف ذراعيها حول عنقه هامسة بشغف :

- أريدك لنفسي وحدنا مراد ، اشتقت إليك ..

- أريدك لنفسي وحدنا مراد ، اشتقت إليك ..
أسره عبيرها الفواح و نغمة صوتها المغرية ، فوق كل هذا القوام اللين الراغب بين ذراعيه فأغمض عينيه لوهلة ضعف ثم ما لبث أن نفضها مجليا حنجرته قائلا :
- احم ذلك يسعدني بالطبع لكن لم يحن أوانه بعد ، يجب أن نغادر الآن قبل ذهاب حجزنا ، أعدك انك ستحبين المكان الذي سأصطحبك إليه حلوتي ..
ابتلعت خيبة أملها و جاهدت حتى لا يظهر منها شيء على ملامحها الوديعة بينما أعماقها تهتف بقهر و استنكار : من أي معدن قُد ذلك الرجل ؟! كيف لم يرحب بدعوتها الواضحة و يذوب بين يديها ؟! لكنها لن تيأس أبدا ، مراد لها و لن يكون لسواها ، ستتركه يدير علاقتهم كما يرغب مؤقتا ، على كل حال هما أشبه بخطيبين و على وشك إعلان ارتباطهما ، عندها لن تخشى من أي دخيلة ..
التفتت متناولة حقيبتها الصغيرة ثم صاحبته إلى الخارج حيث سهرتهما الواعدة و من يدري ؟ قد تنجح خلالها فيما فشلت به الآن و يعود معها إلى حيث ينتمي أخيـرا ...

دمعات القمر

القطرة الثانية

ألقت سُلاف كتبها فوق إحدى طاولات كافتيريا الكلية بسخط جعل نهى زميلتها ترفع حاجبها سائلة بحيرة :

- ماذا بك الآن ؟! لما اشعر انك قنبلة على وشك الانفجار ؟

حدجتها بنظرة مظلمة قبل أن تهتف بقهر :

- لأنني هكذا بالفعل ، أشعر إنني سأنفجر غضبا لأهدم تلك الكلية البائسة رأسا على عقب ..

أشارت رفيقتها دون فهم قائلة :

- لما كل هذا الغضب سولي ؟ رغم كل شيء لا زال هناك وقتا كافيا قبل حلول الموعد الجديد ..

كانتا قد فرغتا من محاضرة صباحية بينما فاجأهم خبر تقديم موعد امتحانات قسمهم دونا عن بقية الأقسام لينتهوا بوقت أبكر مما كان معلن عنه و ذلك جعل سُلاف تطلق صرخة قهر رغم استحسان زملاؤها للموعد الجديد الذي يتيح لهم الانتهاء بينما طلاب الأقسام الأخرى لازالوا عالقين بين المحاضرات و لوحات الرسم ..!

عضت على نواجذها قائلة بنبرة أشبه بالبكاء :

- لأنهم بذلك خربوا كل خططي و أهدروا آمالي ، تبا تبـــا أريد شنق من اتخذ ذلك القرار المريع اتركيني وحدي رجاء نهى لعلي أجد حلا لذلك المأزق ..

حاولت الفهم لوهلة دون فائدة قبل أن تستسلم لجنون صديقتها المألوف و ترفع كتفيها قائلة :

- حســـنا ، على كل حال كنت ذاهبة لجلب مذكرة الأسئلة التي صدرت و سأبتاع لك نسخة ..

أومأت توافقها دون كلمة ثم جلست تلفها الكآبة برداء الحنق تسند رأسها على قبضتها المضمومة كمن حطت فوق رأسه كارثة ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

أبصرها من بعيد و قد بات يعرف أين يجدها تحديدا بعد مراقبته الدءوبة لها ..

تقدم حاملا قدحا من القهوة السوداء يتصاعد منه الأبخرة و الرائحة الشهية بعد أن مسح المكان بعينيه موقنا من كون كل الطاولات منشغلة و عامرة بروادها من الطلاب ..

- مرحبـا سُلاف هل تسمحين بالمشاركة ؟ كما تري لا يوجد أماكن شاغرة ..

رفعت عيونها مجفلة بسبب قطع سيل أفكارها المتضارب لتراه أمامها مع ابتسامته الغامضة

كما يحدث دائما ، اسقط في يدها فلم تعلم كيف تتصرف خاصة و قد بدأت العيون الفضولية تراقب ما يحدث ..

أومأت بالموافقة يلفها الحرج ناهيك عن مزاجها السوداوي فاتخذ موقعه ببساطة متجاهلا ما تعانيه و يظهر بوضوح في عيونها البريئة التي لا تستطيع إخفاء شعورها

- ماذا بك سُلاف ؟ هل أغضبك موعد الاختبارات الجديد ؟

أشارت برأسها في عفوية طفولية محببة كأنها تشكي لوالدها أمرا يؤرقها فتابع مع ابتسامة جانبية :

- لا تقلقي ، الفترة المتبقية كافية للإلمام بكل شيء و أنا هنا لمساعدتك كما أخبرتك مرارا من قبل ..

قطبت حاجبيها بتساؤل قائلة بحدة تمردت على محاولات كبتها :

- وهل هذا العرض متاح لبقية الطلاب أستاذ ماجد ؟!

أجاب ببساطة :

- بالطبع لا ، انه خاص بك فقط و تعرفين ذلك ..

بدأت لملمة أغراضها لتغادر منهية ذلك الوضع السخيف مرددة :

- شكرا على كل حال لكن لا داعي فاعتراضي على الموعد ليس لأسباب دراسية بل لأنه يتعارض مع خططي الأخرى ..

أشار بكفه يحثها على العودة لمكانها من جديد قائلا :

- اجلسي فحديثنا لم ينتهي بعد ..

اعترضت بحركة من رأسها قائلة :

- إذا لم تكن تلاحظ أنت تسبب لي حرجا بالغاً و تجعلني عرضة للشائعات ..

تابع حديثه ببساطة :

- لكننا نجلس أمام الجميع أي ليس لدينا ما نخفيه ..

قاطعته بحدة و قد أغضبها هدوءه المستفز :

- بل ليس لدينا شيء من الأساس ، كما لا يجدر بنا الجلوس معا وحدنا خارج قاعة الدراسة أستاذ ماجد ! أنا مجرد طالبة لديك هذه هي العلاقة الوحيدة المعترف بها بيننا .

شبك كفيه أمام وجهه قائلا :

- و إذا كنت ارغب بتطوير تلك العلاقة ماذا علي أن أفعل ؟

سقط فكها بذهول من صراحته التي فاجأتها قائلة بارتباك :

- ماذا تعني ؟!!

ردد يفسر لها ببساطة :

- لا يعقل انك لم تلاحظي اهتمامي بك و محاولاتي للتقرب منك و ها أنا أقولها صريحة ، أنت تهميني بشكل شخصي سُلاف خارج نطاق الطالبة ..

باتت أكثر ارتباكا و تشتت و أخذت تتلفت حولها باحثة عن أي إنقاذ يخلصها من هذا المأزق الذي علقت به ، بما عليها أن ترد الآن ؟! و لما لا تجد له أدنى صدى في نفسها ! الم يكن الأجدر بأي فتاة مكانها أن تقفز فرحا ! لكنها على العكس ترغب بالاختفاء من أمامه ..

تابع حديثه بثقة كأنه لم يلاحظ تتابع انفعالها الذي تعكسه صفاء ملامحها :

- اعلم إنني فاجأتك ، لكن أتعشم أنها مفاجأة ساره تعكس تأثير خبر تقديم موعد الاختبار كما لا اطلب رأيك الآن ، كل ما أريده هو أن تكفي عن الهرب مني كلما تواجدت قربك بمكان امنحينا فرصة لنعرف بعضنا بشكل أفضل

بعدها نتحدث من جديد ، سأتركك الآن لكن لا تعودي لبؤسك الذي كنت عليه ، لأجلي سُلاف ..
قالها و استدار مغادرا بهدوء كما جاء قبل قليل تاركا خلفه قدح قهوته باردا لم يمس و فتاة متسعة العينين بعدم تصديق انه تلفظ بعبارته الأخيرة !! تبـــا هل يعقل أن يسوء اليوم أكثر ! ثم ماذا قال ؟ لا تهرب منه !! لا بد انه يمزح ، فلا ريب أنها ستضع ملايين الأميال بينهما منذ الآن و صاعدا ..
الم يكن يكفي خبر الاختبارات للقضاء عليها ليأتي أستاذها العتيد و يعطيها الضربة القاضية !
وضعت كفيها فوق رأسها بإعياء هاتفة بقهر :
- يا الهي أنا ميّتـة الآن ..
ثم حملت أغراضها للمرة الأخيرة وهرعت عائدة للمنزل بدلا من سماع المزيد من الكوارث ، صدقت جيجي .. لما التحقت بتلك الكلية الغبية من الأصل ؟!!!
بمجرد وصولها هرعت إلى والدتها باكية فتلقفتها بين ذراعيها هاتفة بجذع :
- ماذا بك حبيبتي ؟! لما جئت الآن ؟ أنت بخير ؟
هل حدث لك مكروه ؟ تحدثي يا ابنتي قبل أن يتوقف قلبي ..
رفعت رأسها عن صدر والدتها قائلة من بين دموعها :
- لا تقلقي ماما أنا بخير لم يحدث شيء لكن الكلية هي من تقتلني ، اشعر إنني لن اتركها قبل أن أصاب بعاهة مستديمة ..
ملأت عيونها الدهشة قبل أن تسأل بحيرة :
- اخبريني بوضوح لما تبكي ؟!
قلبت شفتيها بسخط كالأطفال قائلة :
- لقد قدموا موعد الاختبارات لهذا الفصل الدراسي ..
استمرت زهرة بالنظر إليها تنتظر الكارثة فهتفت بقهر :
- لقد انتهيت أمـي ..
ارتفع حاجبي المرآة بشكل لافت قائلة باستنكار :
- أهذا كل شيء !! يا الهي لقد كدت أصاب بذبحة صدرية ، ألن تكفي عن المشاغبة أبدا يا فتـاة !
ردت برفض و شعور بالظلم :
- إنها ليست مشاغبة ماما ، ألا تعي معنى تقديم الموعد ! ماذا سأفعل الآن ؟

كتفت ساعديها أمام صدرها قائلة :
- تستذكري دروسك مثل الطالبة المجتهدة و ترحميني من نوبات غضبك الطفولية ، لقد كبرت أم لعلك لم تلاحظي ..!
عقدت حاجبيها قائلة بمشاكسة :
- بلى لاحظت بعد أن رأيت شعرة بيضاء في مرآتي هذا الصباح ، أين جيجي ؟ هي الوحيدة التي ستقدر حجم الكارثة التي منيت بها ..
غرقت والدتها في موجة ضحك لتعبير وجهها المحبب ثم رددت برفق :
- حسنا لا تغضبي حلوتي ، لنبدأ من جديد ، ما وجه الخطورة في تقديم الموعد بغض النظر عن كونك طالبة بليدة ؟
مطت شفتيها قائلة بإحباط :
- بكل بساطة ذلك يجعلها تتزامن مع موعد الرحلة التي انتظرها بفارغ الصبر أمي ، كان الترتيب أن أعود من السفر قبل أسبوع من بداية الاختبارات و هو أكثر من كافٍ لاستعد ، الآن انهار كل شيء و أصبح عليّ الاختيار إما التخلي عن رحلتي أو العام الدراسي البغيض ..
أخيرا فهمت زهره سبب استياء ابنتها فقالت بتفهم :
- أوه هذا صحيح كيف لم انتبه ؟ يا لحبيبتي المسكينة لقد نسيت الأمر كليا ، هوني على نفسك فيفي يبدو انه لا نصيب لك هذه المرة ، أعدك أن أعوضك برحلة أجمل منها فيما بعد ، لا تبتئسي ..
عادت تلقي نفسها بين ذراعي والدتها قائلة :
- أشعر أنني سأموت قهرا ماما ، لقد كان برنامجها مثالي و به كل ما أريد ، ليس عدلا أن يذهب هباء ..
ربتت عليها بحنو قائلة :
- دراستك أهم من أي شيء و بعد التخرج ستفعلين كل ما يحلو لك ، هيا دعيني أرى ضحكة صغيرتي الحلوة ..
نظرت إليها لوهلة ثم هتفت بسرعة :
- هذا صحيح ربما كان التخرج هو الحل ..!
تساءلت السيدة بدهشة :
- مـاذا ؟!!
لمعت عيونها ببريق مألوف و قالت هاتفة :
- لا عليك ، هل جيجي ما زالت بغرفتها ؟
أومأت بالإيجاب فهرعت ترتقي الدرج بخطوات راكضة و قد دب فيها الحماس من جديد مبددا الكآبة التي لفتها طيلة فترة الصباح ..

وقف مراد و رفاقه يراقبون إحدى الشاشات بتركيز شديد داخل قاعة واسعة تشغل طابق كامل بمبنى ضخم كائن في مكان ما بأحد ضواحي اسطنبول الهادئة حيث يتواجد أحدث ما وصلت إليه تكنولوجيا الاتصال و غيرها من المعدات المطورة بأكثر من مجال ..

تواجد حولهم العديد من المكاتب المتجاورة يفصل بينهم حواجز زجاجية رقيقة و كل منهم تحوي شاشة مماثلة تبث أحداث من أماكن مختلفة .. العاملين يتحركون جيئة و ذهاب كخلية نحل نشطة لا تكف عن الطنين و إصدار الأصوات المتباينة ..

أنهت رقية إحدى عضوات الفريق العلمي نسخ القرص المطلوب فأخرجته و التفتت تسلمه لمراد بينما تناول شاهين احد الملفات الملحقة و قلب أوراقه الغاية في الأهمية مقارنا بينها و محتوى القرص ثم مرره لصالح زميلهم الثالث و الخبير التقني الذي لا يُشق له غبار في مجاله و له العديد من الاختراعات المعقدة التي تبهر الجميع و تسهل أعمالهم كما تتيح لهم اختراق اخطر المواقع و أكثرها تحصينا ..

شاهين ، مراد و صالح كانوا دائما الفريق الذي لا يقهر ، صالح هو المختص بالجانب العلمي يراقب و يخطط بينما الآخران عليهما جانب التنفيذ و التحرك السريع ، كل منهم له دوره الذي يلتزم به و من هنا جاء نجاح الفريق ..

- هاك صالح ، بهذا الملف كل شيء توصلنا إليه ، حان دورك الآن ، نريد معرفة مكانهم بدقة و اقل خطأ معناه خسارة أرواح ..

قالها شاهين و عيونه تتألق عزما ليضيف مراد بحزم :

- السرعة مطلوبة أيضا صالح ، فأعضاء الخلية يعلمون أنهم مخترقين لذا سيتم التعجيل بالتفجير القادم لشغل السلطات به حتى يتسنى لهم الهرب و البدء من جديد في مكان آخر ، نحن نريدهم قبل حدوث أيا من الشيئين ، لا بد أن نسبقهم هذه المرة ..

ارتدى صالح نظاراته الطبية و اتخذ موقعه خلف احد المكاتب ليباشر القيام بدوره على الفور دون لحظة تأخير ..

كانت أصابعه تطير فوق لوحة المفاتيح بتتابع مدروس و سرعة فائقة بينما مراد و شاهين يقفون خلفه بترقب لما يتوصل إليه ..

مرت دقائق ثمينة قبل أن يردد بانتصار :
- لقد نجحت بفك الشفرة ، سيستهدفون مركزا تجاري ، اذهبا و أعدا كل شيء و سوف احصل على الإحداثيات المطلوبة في غضون دقائق معدودة ..
تحرك كل منهم في اتجاه مدروس ثم ما لبثا أن عادا مرتدين السترات الواقية من الرصاص أعلى كنزة سوداء تغطيهم من العنق حتى الخصر
تلك اللحظة التفت صالح قائلا :
- لقد توصلت إليهم و اخترقت نظام كاميرات المراقبة (ثم أشار إلى الشاشة أمامه متابعا) انظرا هنا ، ذاك الشخص ذو المعطف الأسود هو غايتنا ، و هذا المتواري بالظل هناك على الأرجح انه الانتحاري الذي سيشتت الانتباه بانفجار أولي بينما بقية المتفجرات قد زرعت في أماكنها هل رأيتما تلك الإشارة التي تبادلاها قبل أن يتجه كل منهما إلى موقعه ؟ علينا التحرك الآن بسرعة ..
هتف مراد و شاهين بتناغم :
- توكلنا على الله ، سنؤمن المكان و نجلب الهدف و البقية عليك ..
أومأ صالح بإشارتهم المتفق عليها قائلا :

- سأكون في موقعي أبطل العبوات الناسفة بينما تتعاملان مع الرأس المدبر ، كالمعتاد سيكون في سيارة الاتصال على مقربة من رجاله تحسبا لحدوث طارئ ، لا ينبغي أن تدعا الاتصال يتم سأضع شوشرة مؤقتة من هنا لكنها لم تستمر طويلا ..

ردد مراد بثبات :

- اطمئن ، سيكون الوغد بين يدينا قبل أن يستطيع الرمش بعينيه و ليس الاتصال ..

انطلق الجميع كل إلى هدفه يضع كامل تركيزه عليه و لا يرى سواه ، يعمل لأجل الفريق و الأمن العام حيث تختفي الأنانية و المصالح الشخصية ، علاقة قوامها الثقة و الإخلاص ، الفرد من اجل الجماعة و الأرواح البشرية التي لا تقدر بثمن ..

في المكان المنشود وزعت القوة في الخفاء بمهارة و صمت شديدين و قد اتخذوا أماكن العاملين بالمركز و امنوا الطابق الإداري ثم انتشروا منه بتتابع مدروس لتامين بقية النواحي ..

اتجه صالح مع فريقه من الخبراء إلى الأماكن الملغومة التي سبق أن حددها بدقة للبدء في عمله

أما مراد فكان هدفه الرجل ذو المعطف الداكن و قد تعامل معه بخفة و سرية ، بينما الآخر لشاهين الذي اقتنصه بسرعة الصقر قبل أن يفكر باستخدام زر التفجير المعلق بحزامه بعدها تولى أمر إخراج الجمهور بهدوء مستخدما حجة لا تلفت الأنظار فلا مجال لانتشار الخبر و تدخل قوات الشرطة أو الصحافة في عملهم الخاص جدا ..

بعد أقل من نصف ساعة كان صالح يعمل على تخليص ذلك الشاب الزائغ العينين من الحزام الناسف الذي يحيط جذعه بالكامل ثم يقتاده ملقيا القبض عليه..

أثناء ذلك توجه مراد لجلب الرأس المستقر في الشاحنة الضخمة و قد شعر أن هناك أمرا ما خاطئ بسبب توقف إشارة دورية متفق عليها بينهم فسارع بالهرب تاركا رجاله لمصيرهم ، فهذا هو القانون في عالمهم ، لا مجال للخاسر البقاء للأقوى و الأكثر دهاء

تحرك مراد متواريا فوق سطح مبنى قديم بحذر حتى لا يلفت الأنظار خاصة إنهم في وضح النهار لكنه ما أن أبصر زعيم الخلية الإرهابية يهم بالهرب حتى تخلى عن ذلك و سارع بالقفز

أعلى السيارة المتحركة مغامرا بحياته ..
كاد أن ينزلق مع قوة اندفاع المركبة و قفزته المفاجئة و تضيع فرصة إلقاء القبض على هدفه لكن عزيمته تغلبت و استطاع التشبث بإطارها الحديدي معيدا وضعه زحفا حتى بات في المنتصف تماما منبطحا فوقها بينما النفق الضيق يلوح من بعيد و عليه الولوج داخلها قبل أن تصل إليه ..
اعتدل برشاقة معتمدا على قوة عضلات ذراعيه و فخذيه ثم بغتة دون مقدمات ركل زجاج النافذة الجانبية من الخارج لتنحرف الشاحنة و تخرج عن مسارها بشكل خطر بينما الرجل داخلها جن جنونه و مال متخذا مسار متعرج محاولا التخلص من ذلك الدخيل ..
زأرت عضلات عضده ألما عندما تشبث بذراع واحدة و بالأخرى يحاول فتح الباب باستماتة لكن الآخر توقف فجأة و السيارة منطلقة بتلك السرعة الكبيرة لتدور حول نفسها بعنف أطاح بجسد مراد بعيدا في صدمة قاسية ..
انتهز الرجل الفرصة و أطلق ساقيه للريح يفر ناجيا بحياته ، لم يستمر سقوط مراد أكثر من الوقت الذي لزمه ليعيد نفسه فوق قدميه من جديد رافضا الاستسلام للدوار الذي يهدد بابتلاعه و انطلق كالسهم في أثر الوغد عازما على أن لا تنجح محاولته مهما كلفه ذلك ..
لا ريب أن الذهول اكتنف الجميع بسبب تلك المطاردة العجيبة بين رجلين مجهولين خاصة أن لا وجود للشرطة و ذلك يثير الريبة أكثر و يجعل الناس في حيرة مع من يتعاملون و أيهم الأحق بالمساعدة !
اتخذ الهارب طرقا فرعية و قفز فوق الأسوار عابرا من مكان لمكان بغية تضليل مطارده المصر بإرادة فولاذية على جلبه حي فهو لم يطلق رصاصة واحدة من السلاح المعلق داخل جرابه أسفل إبطه بينما فقد الآخر سلاحه الآلي أثناء انعطاف السيارة الاضطراري لولا ذلك ما كان تردد في إطلاق خزينة الطلقات بأكملها دون أن يرف له جفن ..
وجد أمامه بناية قيد الإنشاء فهرع يتوارى داخلها متخذا طريقه نحو السطح و من هناك سيعبر إلى غيرها و يضيع أثره كما يأمل ..
عندما تلاشى الهدف من أمامه قطب مراد حاجبيه ومضى يجول بعينيه الثاقبتين في

المنطقة التي انتهيا إليها ، قبل نهاية الجولة ثبّت بصره على نفس البناية في موقع العمل و اتجه إليها من فوره باحثا في كل الأركان بحرص حتى انتهى إلى السطح العاري إلا من مواد البناء و بعض الخزانات ..

تقدم بحذر و تربص مشهرا سلاحه على أهبة الاستعداد للإطلاق نحو ساقيه أو أي موضع غير حيوي في جسده عند أقل مقاومة منه ..

ظل كلا منهما يدور خلف الآخر كاتما أنفاسه دون إصدار أدنى صوت بقدر المستطاع حتى تحركت بعض الحصوات أسفل قدمه التقطتها أذن مراد المرهفة و حدد اتجاهه فسارع متخذا الجهة المعاكسة بخفة النمر و قبل أن يدرك الآخر كان يقتنصه من الخلف فاستدار ملوحا قبضته بعنف تفاداها مراد بخفه و عاجله بضربة ركبة مدروسة فوق منطقة المعدة تماما فانحنى متأوها بألم لم يمهله التعبير عنه عندما ركله ليعتدل مرغما ثم ينهال عليه باللكمات حتى تشوهت معالم وجهه و شارف على فقدان وعيه ..

بهذه الأثناء وصل شاهين الذي لم يفقد اتصاله مع زميله طيلة الوقت و سارع بتخليص الرجل من بين قبضتيه مكبلا معصميه خلف ظهره هاتفا :

- على رسلك مراد يكفي ما ناله ، اعلم انه حقير يستحق الموت مقابل الأرواح العديدة التي سفكها لكن المعلومات لديه أثمن من حياته البائسة ، انه مجرد حلقة في السلسلة و علينا الوصول للأخرى التي تليها ، اهدأ يا أخي و هيا أسرع يجب أن نترك المنطقة بصيدنا في الحال قبل وصول قوات الشرطة ..

لاحقا بعد أن تمت المهمة بنجاح و عادوا إلى مقر الجهاز التابعين له ، استند مراد على هيكل سيارته المعدني يراقب نقل المتهمين إلى حيث يتم التحقيق معهم بينما يمسد قبضته بكيس من الثلج تلوح على وجهه نظرة تموج بالغضب كعادته كلما واجه احد هؤلاء الأوغاد الذين يتلاعبون بمصائر البشر و لا يكترثون بحياة الأبرياء التي هي ملكا لخالقها وحده و هو القادر على سلبها ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

- أوه أمي أنا سعيدة جدا بهذه البشارة ، لن تتخيلي مقدار شوقي إليه ، و أخيرا سيعود الطير المهاجر إلى وطنه و أهله ..

هتفت ندى من خلال الهاتف بينما قلبها يرقص فرحا و قد وصلها صوت والدتها قائلة بإحساس مماثل :

- اجل نانو أدهم عائد بعد سنوات الغياب ، يعلم الله كيف مرت عليّ ، كم كنت أخشى أن يفرغ أجلي قبل رؤيته من جديد ..

هتفت ندى بلهفة :

- بعيد الشر عنك حبيبتي ، سترينه و تزوجيه و تفرحين بأبناء أبنائه أيضا ، لا تذكري ذلك ثانية أمي ..

ضحكت السيدة من قلبها و عادت تردد بحب :

- حسنا يا قلب والدتك ، الآن دعينا نتفق على ترتيبات استقبال شقيقك ، لدينا الكثير لنفعله ..

ردت ندى بحماس :

- بالطبع لكن ليس على الهاتف ، سوف اتصل بخالد و أخبره ثم آتي إليك لنحضر كل شيء ، انه أدهم الغالي ..

وافقتها والدتها قائلة :

- هذا جيد جدا لأني اشتقت للصغيرين أيضا و أود قضاء الكثير من الوقت معهما (صمتت قليلا ثم استدركت قائلة) اممم بهذه المناسبة بنيتي أريد الاطمئنان عليك ، كيف هي أحوالكم ؟

أجابت ندى ببساطة :

- نحن جميعا على خير ما يرام أمي ..

ردت السيدة بنبرة مدركة :

- لا اقصد على هذا النحو ندى ، أسألك عن علاقتك بزوجك ، منذ فتره أرى في عيونك نظرة لا تعجبني و انتظرت أن تتحدثي وحدك لكنك تصرين على الصمت ..

ابتسمت من فطنة والدتها و رادارها الذي لا يخطئ :

- أبدا حبيبتي لا يوجد شيء كبير ، فقط انشغال خالد الدائم هو ما يزعجني فنحن بالكاد نراه ..

- هذا طبيعي ندى ، زوجك طبيب ناجح و ضروري أن يبني مستقبله فهو يفعل ذلك لأجلكم أيضا بنيتي ، دورك هو تنظيم وقته و إيجاد فسحة لكم ، قليل من الصبر و الذكاء يا فتاة يفعلون المعجزات ألا تذكرين والدك و كيف كان يغيب أيام متواصلة بسبب عمله و مع ذلك لم نتشاجر أو ينقصكما الحنان أنت و أخيك ..

- و هل يوجد مثلكما يا أحب الناس ؟ أبقاكما الله لنا ذخرا ، لا تقلقي لا يوجد مشاكل بيننا ، لقد أجبت سؤالك فقط ..

وصلها صوت والدتها السعيد :

- أدام الله عليكم السعادة و الاستقرار ، هيا تحركي سوف انتظرك مع الأولاد ..

أنهت الاتصال مع سيل من الدعوات الحامية و عقلها يعمل في أكثر من اتجاه ، ثم ضغطت رقم زوجها مباشرة و استمتعت لرنين هاتفه يدوي على الطرف الآخر ، بعد ما يقرب من الرنة الخامسة وصلها صوت أنثوي يحمل رنة غنج واضحة لم تخطئها أذنها تردد :

- هاتف دكتور خالد كيف أخدمك ؟

رددت من بين أسنانها بينما تحاول جاهدة التحكم في نبرة صوتها :

- ما رأيك أن تناوليه الهاتف لأني أريد التحدث مع زوجي الآن ..

ردت الأخرى قائلة من جديد :

- المعذرة ، الدكتور داخل غرفة العمليات سيدتي بإمكانك ترك رسالة و سوف أمررها له فور تفرغه ..

- شكرا ، اخبريه أن زوجته تريد محادثته ..

قالتها بعصبية ثم أنهت الاتصال حانقة لتهتف بغيظ :

- تبا ، هذا ما ينقصني ! رسول بيني و زوجي ، يا للمهزلة !!

حدثها صوت العقل قائلا : اهدئي ندى ماذا بك ؟ انه في غرفة العمليات فكيف يتحدث معك !

مطت شفتيها قائلة بعصبية :

- لكن لما هذه الفتاة بالذات تجيب هاتفه ؟!!

عادت تنهر نفسها : لا داعي للحماقة و الغيرة ندى ، الأمر عادي و لم يحدث شيء ، لا ريب إنها الممرضة أو ما شابه ، بديهي أن تتلقى رسائله حتى يتفرغ ، لقد جننت و لا شك ..!

حسنا المعذرة دكتور خالد لقد حاولت إخبارك و لم اقصر ، إذا أردت المعرفة عليك أن تهتم و تسأل أنت عنا هذه المرة على سبيل التغيير ..

ثم نهضت عازمة تحضر نفسها مع طفليها لتنطلق إلى منزل والديها يلفها الحماس لعودة شقيقها الوشيكة ..

أدهم يكبرها بعامين فقط لكنه كان شخصية ناضجة دوما ، رجل صغير كما اعتاد والدهما

أن يطلق عليه منذ طفولته لذا هي متعلقة به كشقيق و صديق دائم التفهم و الدعم ..
بعد تخرجه من الجامعة حصل على عرض لعمل مميز في إحدى الدول الأوربية قبله ليبني مستقبله ، كانت وقتها في مقتبل حياتها الزوجية و لا زالت تدرس ، سافر ثم عاد بعد عام سعيد بانجازه لكنه لسبب ما عاد للسفر بنفسية مغايرة بعد أن تجدد له العرض بشروط أكثر إغراء و قد غاب هذه المرة لخمس سنوات كاملة دون زيارة واحدة !
ما جعله يقدم على ذلك لم يكن خافٍ على أيهم ، لكنه لم يتقبل الحديث حول الأمر و احتفظ به لنفسه غير راغب في تكدير الآخرين بمشاكله ، لطالما كان هكذا ، حنون مراعيا لدرجة لا توصف ، يا الله كم اشتاقت إليه

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ظلت سُلاف جالسة فوق فراش شقيقتها تتحدث بشكل متواصل يتدفق حماسا لمدة ساعة كاملة و الأخرى تستمع بأعين متسعة دون كلمة حتى استطاعت إيقافها أخيرا هاتفة :
- يكفي أيتها المذياع ! لاحظي انك تتحدثين دون توقف عن حياتي و تتخذين القرارات عني !

تابعت سُلاف قولها باستنكار :
- هذا لأني اعرف صالحك أكثر منك يا فتاة ، دعي التخطيط لي و عليك فقط التنفيذ و صدقيني لن تندمي ..
رفعت جيّدا حاجبيها الجميلين و قد غلبتها ضحكاتها قائلة :
- ها ها ها سمعا و طاعة جدتي ، و ماذا أيضا ؟ كل أوامرك واجبة النفاذ ..
أشارت الأخرى بيدها قائلة بجدية تحاول إتقانها :
- كفي عن السخرية و ناقشيني ، ما الضرر فيما ذكرته ؟!
تابعت الكبرى بتسلية :
- ألم يخطر ببالك إنني لا أريد السفر مثلا ! أو أن لدي خطط مختلفة قد تعرقل أفكارك العبقرية ..!
رفعت كتفيها قائلة ببساطة :
- بالطبع لا ، لأني أعرفك مثل كف يدي ، هيا جيجي أنا لا اطلب منك القفز في المحيط بل أهديك رحلة ممتعة بحق الله ..!
ميلت جيّدا رأسها قائلة بمنطقية :

- لكني لا أحبذ ذلك و لست من هواة الدراما التركية ، أنت هي المولعة بها ..
أسبلت سُلاف جفنيها قائلة مع تنهيدة مبالغ فيها :
- لماذا ؟ ربما قابلت احد أبطالي المفضلين و يخطفك إلى عالم الحب من أول نظرة ، ألا تريدي ذلك ؟ لن تستطيعي خداعي اعرف يقينا انك تنتظرين الفارس الذي سيخطف قلبك بنظرة عينيه و يجعلك هائمة به ..
ضربتها على مؤخرة رأسها لتتأوه بمرح قبل أن تردد قائلة :
- أجل و أثناء ذلك يموت البطل المغوار لأجلي ثلاث مرات على الأقل ثم نقرر الزواج رغم انف المخرج المصر على قتله و في الحلقة رقم ألف يتضح انه زعيم العصابة ، لا شكرا أفضل أن انتظر شخص طبيعي يحتل قلبي دون خسائر في الأرواح ..
قذفتها سُلاف بإحدى الوسائد المتناثرة هاتفة بطفولية :
- يا لك من مفسدة للبهجة ، أنا لا احبك الآن ..
تلقفتها بيديها ضاحكة بمرح قبل أن ترد بهدوء
- لا لست كذلك بل أفكر بعقلانية أيتها المغفلة ،

أنا انتظر فارس أحلامي من الواقع ، أريد أن أشعر بحب صاعق يخطفني حقا لكن إلى عالم حقيقي و ليس الخيال ، رجل يعتمد عليه أغرم به و يجعلني لا أرى سواه و بالمثل يحدث معه ، عندها سأمنحه كل حناني و لن ابخل عليه بحياتي ، لن ارتبط إلا بهذه الشروط عدا ذلك لست مستعدة للمجازفة ..
كتفت شقيقتها ساعديها أمام صدرها قائلة بثقة :
- لكنك سوف تذهبين لأجلي ، حتى لا تضيع الرحلة هباء ، عندها سأموت كمدا وقهرا و غيظا أيضا ..
سارعت جيّدا تعانقها هاتفة بمحبة :
- لا تقولي ذلك أبدا فيفي ، فدائك مليون رحلة و رحلة حبيبتي ، اممم حسنا سأفكر لكن لا أعدك بشيء ..
قفزت واقفة فوق الفراش و أشارت إليها قائلة بجبروت :
- أنا فكرت و قررت ، ثم أين ستجدي مناظر طبيعيه للرسم أجمل من هناك أيتها الحمقاء ؟! عرفت كيف تصل إليها بذكاء إذ شعت عيون شقيقتها بالبريق قائلة باهتمام :

- أتظنين ذاك ؟
أومأت تشجعها بثقة مطلقة :
- بالطبـــــع ..
ردت جيجي بإقرار :
- إنها ميزة المسلسلات ، لا أنكر كونهم يجيدون إبراز طبيعة بلادهم الجميلة و الترويج لها حتى أصبحت من أهم عوامل جذب السياحة العربية ، لقد أصبحت زيارة تركيا هاجس عند الجميع حتى أنهم يتعلمون اللغة أيضا !
أشارت برأسها تؤكد قولها :
- نعم صحيح ، لدي عدة صديقات سجلوا بالفعل لتعلمها بشكل جدي ، ربما لان البلد أقرب لثقافتنا و لدينا تاريخ مشترك ..
تابعت جيّدا بإغاظة :
- أجل ، لقد احتلونا فترة لا بأس بها ..
خبطت سُلاف رأسها بطفولية حانقة :
- أوه أنت ميئوس منك ، قدري تضحيتي يا فتاة ! المهم اعدي نفسك و لا تنسي أنها تثلج هناك بهذه الفترة ..
أوقفتها جيّدا بإشارة من كفها قائلة :
- هـاي مهلا قبل أن تسترسلي حتى إعداد حقائبي ، لن أقرر حتى أتعرف على المجموعة المشاركة ، ربما لم استسغ احدهم عندها انسي الأمر حلوتي ..
ألقت سُلاف نفسها فوق الفراش مدعية الإغماء هاتفة بعيون مغلقة :
- يا الهي الرحمة سوف تقتلني بملاحظتها الغير مراعية لشخصيتي الانتقائية ! ماذا تظني بمجموعة كنت سأشاركهم أياما طويلة جيجي ؟! على العموم سوف احضر لك تحليل دماءهم و صحائفهم الجنائية أيضا ، هل هذا يكفي يا أميـرة ؟!!
ادعت التفكير لوهلة قبل أن تقول بجذل :
- اممم لا بـأس ..
اعتدلت كتلة الصخب بغتة و على وجهها تعبير مختلف هاتفة :
- حســنا هذا جيد ، ضعي السفر جانبا الآن فلدي كارثة أخرى ، أنقذيـــني ..
رفعت جيّدا حاجبيها قائلة :
- لا تقولي انك تريدي مني رسم المشروع الذي ستقدمينه كالمعتاد !
رفعت رأسها قائلة بوقار :
- بغض النظر انك تعايريني الآن لكن لا ، ليس

هذا الأمر ، انه ذلك المعيد الذي أخبرتك عنه ، لقد أصابه مس من الجنون اليوم ..!

اعتدلت جيّدا قائلة بجدية :

- ماذا فعل ؟

قصت عليها ما حدث في مقصف الكلية بتفاصيله كما اعتادت أن تفعل بكل ما يخصها لترد الأخرى قائلة :

- انه متهور بالفعل ، لكن ربما يحبك حقا فيفي ..

جعدت الفتاة ملامحها بشكل مضحك هاتفة :

- يا للعبقرية ، هل توصلت لهذا الاكتشاف الخطير وحدك ! أنا لا اهتم بالطبع و لا أريده أن يشعر هكذا ، الأمر لا يبهجني كما يفترض إن يحدث في مثل هذه الظروف بل اشعر بالاختناق و النفور عندما يكون متواجد و لا اعرف لذلك سببا !

كما انه يضايقني بتصرفاته التي تجعل نظرات الطلبة تنطلق نحونا و أنت تعرفين ما يقال عندها ..

أومأت بادراك قائلة :

- أجل بالتأكيد ، الغريب إنني لا اذكره أبدا رغم معرفتي بغالبية زملائي

أجابت سُلاف ببساطة :

- لم يكن معك بنفس العام بل يسبق بدفعتين لكنه يعرفك ، لقد سألني عنك أكثر من مره ، أراد معرفة أحوالك و أين تعلمين ؟

قلبت شفتيها قائلة بحيرة :

- لما يا ترى ؟ أهي وسيلة للتقرب منك أكثر ؟ حسب كلامك هو لم يعمل معيدا إلا بعد تخرجي ، حتى في المرات التي ذهبت فيها إلى هناك لمناقشة احد الأساتذة بشأن لوحاتي لم أصادفه ! هل تريدين مني مقابلته و التحدث معه ؟ ربما لو رأيته أتذكره ..

كشرت الفتاة قائلة باعتراض :

- و هل أنا في الروضة و تشاجرت مع زملائي على الأرجوحة لتأتي شقيقتي الكبرى و تجلب حقي ! بالطبع أنا قادرة على التصرف وحدي لكني أردت رأيك ..

ضحكت على عبوس شقيقتها المحبب قائلة :

- حسنا لا داعي للغضب ، رأيي بمنتهى الوضوح طالما القبول المبدئي غائب من ناحيتك أوضحي له ذلك حتى لا يبني آمالا واهية ، ليس بالضرورة أن يكون ذلك بحديث مباشر لكن التصرفات تكفي ، تفهمين قصدي ؟

أومأت بالإيجاب قائلة :
- أجل طبعا و هذا ما عزمت عليه ، أرأيت إننا دائما نفكر على نفس الموجة (ثم اندفعت تعانقها بقوة هاتفة) أحبك جيجي و هذا يجعلني أشفق على البائس الذي سوف ترتبطين به لأني سأقتله حتما قبل أن يفكر بأخذك مني (ثم استدركت قائلة بعبث) إلا إذا كان تركي وسيم بالطبع حينها سوف أتغاضى و أذهب معكما فقط ..
تأوهت جيّدا هاتفة بافتعال :
- آه سوف اختنق ..
خففت سُلاف من وطأة عناقها قائلة بمرح سرعان ما تعود إليه مهما كانت نفسيتها :
- من الحب ما قتل أحيانا ، هيا معي إلى الأسفل فكمية الإحباط التي منيت بها جعلتني جائعة ، لنأكل شيئا سويا ثم سأجول بك بين أبطال مسلسلاتي المفضلة لأخبرك أيا منهم تحديدا أريدك أن تجلبيه معك ..
ضجت جيّدا بالضحك بينما تابعت سُلاف بجدية :
- بعدها نخرج في نزهة لبعض الوقت ، لا تنظري إلي بهذه الطريقة ! أنا هي المحبطة و يحق لي الدلال ..

أشارت جيّدا بالموفقة قائلة :
- حسنا آنسة إحباط اسبقيني و سوف اتصل بمانو لتستعد حتى نمر عليها و نصطحبها معنا إلى النادي ، فالمسكينة لا تخرج دون أيا منا ، سنقضي فترة ما بعد الظهيرة هناك خاصة أن الجو صحو و الشمس مشرقة اليوم ..
توقفت سُلاف قائلة بجدية :
- اتصلي بعمي طاهر أولا تعلمين كم يتحسس عندما يظن إننا نتجاوزه ، ناهيك عن الحصار الذي يفرضه حولها ، يا الله لا اعرف كيف تحتمل ذلك !
مطت جيّدا شفتيها قائلة ببساطة :
- لا بأس سأتصل به و أطلب إذنه حتى يخبرها بنفسه ، لكنه لن يمانع طالما كانت معنا
❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖
أخيرا حظيت جلسة الفتيات ببعض الهدوء بعدما انسحبت سُلاف مؤقتا إلى ملعب كرة المضرب لتحرك الدماء بعروقها كما هتفت قبل أن تهرع مع إحدى صديقاتها التي تحدتها في مباراة و بالطبع فيفي توعدتها بهزيمة نكراء ..
التفتت أماني بابتسامتها الرقيقة إلى ابنة عمها الشاردة قائلة :

- هـاي أيتها المسافرة ، إلى أين وصلتي ؟!
ردت الفتاة بتلقائية :
- أنا لم أقرر السفر بعد !
اتسعت ابتسامة أماني التي توهجت بشرتها عاكسة دفء لون وشاح رأسها الذهبي و فسرت حديثها قائلة :
- لم اقصد هذا السفر جيجي بل شرودك ، أنت لم تكوني معنا ، لكن بما انك ذكرتيه دعينا نناقشه بعيدا عن إلحاح فيفي ، لما لا ؟! إنها فرصة ممتازة و المكان فعلا جميل ، سيفتح لك آفاقا جديدة من كل النواحي ..
زفرت أنفاسها قائلة بحيرة :
- اعلم ذلك لكني لا أحب المفاجآت و لا أقدم على أمر لم اخطط له و أدرس كافة جوانبه ، و الأهم إننا لم نخبر والدي بعد ..
رفعت حاجبيها استنكارا هاتفة :
- هيـا ، إن عمي أعطى موافقته لفيفي الأصغر منك و الأكثر تهورا بعقد زمني على الأقل ، و هذا يعني انه سأل عن كل شيء و اطمأن مائة و خمسون بالمائة قبلها ، ألا تعرفين كيف يعمل السيد رضوان شقيق السيد طاهر !
ضحكت جيّدا على تعبير وجهها قائلة بمزاح :

- أوه بالطبـع والدي الحبيب لا يفوته أمرا كهذا ، هل تذكري ماذا فعل عندما تقدمت للعمل بإحدى شركات الدعاية ؟
شاركتها أماني الضحكات المستمتعة كالعادة كلما تذكرتا إحدى مغامرات عمها مع بناته
- و هل استطيع النسيان ! لقد ظل يبحث و يدقق في خلفية مالك الشركة حتى استحضر تاريخ حياته منذ كان في مرحلة التعليم الأساسي ثم أخضعه لسلسلة لانهائية من الاستجوابات حتى ضج الرجل هاتفا : " لما تسألني كل هذا كما لو كنت طلبت الزواج من ابنتك ! "
غصت جيّدا من فرط الضحك و تابعت مقلدة نبرة صوت والدها :
- فرفع حاجبه استنكارا و ردد بإباء : " و هل تحلم بالزواج منها أساسا ! إن أميراتي لا يفوز بهن إلا فارس يقدر الجواهر عندما يراها .. "
بعد مرور موجة الضحك التي غمرتهما قالت أماني بجدية :
- حسـنا ، أنا أراها فرصة جيده لك و لعمر حتى يفيق من افتتانه بك ..
هتفت الأخرى قائلة برفض :

- يا الله ، كفي عن ذلك يا فتاة ! عمر أخي و ما يردده دائما لا يزيد عن مزحة اعتاد عليها ..

أصرت أماني بقولها :

- قد يكون ما تعتبرينه أنت مزحة يمثل شيئا أكثر جدية عنده فأنت لم تري نظراته عندما لا تكوني منتبهة ..

حركت جيّدا رأسها عاجزة عن استيعاب كون عمر قد ينظر لها بهذه الطريقة ، ذلك مستحيل و خطأ فسُلاف ... أوه لالا ، لن تفكر بهذا الشكل أبدا ، لا بد أن أماني تبالغ أو فهمت مزاحه الدائم على نحو معاكس لحقيقته ، فقالت تبدل وجهة الحديث :

- دعينا منى الآن و اخبريني عنك ، كم مسكين تقدم للارتباط بك و طرده عمي طاهر هذا الأسبوع ؟

ابتسمت الفتاة باعتياد كأن الأمر بات مألوفا و لا جديد فيه قائلة :

- لا اعلم فهو لم يعد يكترث بإخباري و أنا لا اهتم ، أتعلمي جيجي ؟ أنا لست غاضبة أن أبي يتصرف بهذه الطريقة و لا رغبة لي في الزواج حقا ، ربما الأمر مرضي في عائلتنا و قد ورثت الفيروس من بابا ، لا اعلم لكني لم أتخيل نفسي مع احدهم ! أو لعله قلبي متحجر خالي من الإحساس ..

رفعت جيّدا حاجبيها بتعجب من عبارتها و هتفت بنبرة ذات مغزى :

- أماني ! من هي المتحجرة القلب ؟! أنت ! ماذا عن .....

قاطعتها الفتاة بسرعة غير راغبة في استعادة ذكرى تؤلم قلبها ، ربما تصرفات والدها الغريبة هي هبة من الله حتى لا تتألم أكثر بخوض تجربة يرفضها قلبها الجريح :

- جيجي ، كنا نتحدث عن مشاعر عمر تجاهك فلا تتهربي أكثر لأني لن اسمح لك بذلك ، عليك مواجهة الأمر و حسمه ..

قبل أن تستطيع الرد حضر محور حديثهم هاتفا بمرحه المعتاد :

- مساء الخير جميلاتي ، علمت أنكم اشتقتم إليّ لهذا جئت رأفة بحالكما ..

التفتت جيّدا مع ابتسامة ودودة لابن خالتها الذي تعتبره بمثابة أخيها :

- أهلا عمر ، من أين تظهر يا رجل ؟ ثم لما تركت أبي المسكين يعمل وحده و هربت!

سحب مقعدا و شاركهم الجلسة ببساطة مرددا
- قلبك ناداني يا أميرة فهرعت لتلبية النداء ، علمت من خالتي انك هنا فجئت ركضا ، لذا هيا اخبريني متى نتزوج ؟ فأنت تحبيني داخل عقلك الباطن دون أن تعرفي ..
أدارت عينيها بنفاذ صبر هاتفة بغيظ :
- أخبرتك مرارا أن تكف عن هذا المزاح و لا سوف أضربك !
منحتها أماني نظرة ذات مغزى مفادها (الم أخبرك ؟) جعلتها تفكر جديا بالأمر خاصة مع نبرة صوت عمر الذي لا يبدل طريقته أبدا ..
هتف عقلها بصخب : يا الهي لا يجب أن يحدث ذلك ، لن تحتمل تعقيد من هذا النوع في علاقتهم العائلية ..
حثتها أماني بعينيها قبل أن تقف قائلة :
- سأذهب لأطمئن على نتيجة مباراة فيفي و أشجعها لبعض الوقت ..
عادت باهتمامها إليه لتجده يركز نظراته عليها بشكل يحمل الكثير من المعاني قبل أن يردد بصوته الرجولي الشغوف :
- لما تظنيني أمزح دائما جيجي ، ماذا لو كنت أريد الارتباط بـ.....

سارعت تقاطعه بعيون متسعة ذعرا بينما تلعن غبائها و عدم ملاحظتها هاتفة :
- الم أخبرك عن رحلتي القادمة عمر ؟ سوف أسافر بعد عدة أيام إلى تركيا ..
قطب حاجبيه هاتفا باستنكار:
- مـاذا ؟! من أين جاء ذلك السفر فجأة ؟
ردت بارتباك لم تستطع السيطرة عليه بعد قائلة
- إنها رحلة سياحية أخبرتني عنها فيفي ..
غمغم بخفوت من بين أسنانه :
- سُـلاف !! دائما سُلاف .. كأنها وجدت في الدنيا من اجل تنغيص حياتي ..
قالت باستفسار :
- ماذا قلت عمر ؟ لم أسمعك !
رد بغيظ يحاول كبته حتى لا يرتفع صوته كما يود أن يفعل بتلك اللحظة :
- أقول كيف تسافرين وحدك جيّدا ؟! عني رضوان لن يوافق أبدا و أنا معه ، من الأفضل أن تبتعدي عن أفكار شقيقتك المجنونة قـ.....
عادت تقاطعه بصرامة و قد استفزتها عبارته عن أختها و توأم روحها :
- عمـر !! لا أحب أن تتحدث عن فيفي بهذا

الشكل ، أنت لم تفهمها أبدا و لا تحاول حتى ، و هذا ليس ذنبها فلا تلمها على انعدام بصيرتك .. قالتها و نهضت متجهة إلى حيث تقف أماني تراقب المباراة الحماسية تاركة خلفها الشاب يقطب حاجبيه بحيرة بالغة ، يحاول استيعاب سبب ثورتها و مغزى عبارتها الغامضة دون فائدة

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ضجت صالة التدريب الملحقة بإدارة العمليات الخاصة بالأصوات القتالية الصادرة عن المتواجدين داخلها و كل منهم يمرن عضلاته بأحد الألعاب العنيفة .

في الركن الخاص بالملاكمة تواجه مراد و شاهين نظراتهم تحمل الوعيد و محاولة إيجاد ثغرة في دفاعات الآخر المحكمة لينجح في اقتناصه بالضربة القاضية ..

أخذا يدوران حول بعضهما مع سيل من اللكمات التي ترتد لصاحبها دون أذية حقيقية فقد كانا متكافئان في ردات الفعل و التوقع بصوره كبيرة ، بينما وقف صالح ببنيته النحيفة خارج الحلبة مستندا على الحبال الغليظة يراقب المباراة الدائرة أمامه و كل حين يجعد أنفه استنكارا لقسوة الضربة الموجهة من كل طرف لزميله ثم حمد الله إنها انتهت دون إصابات و ها هما يتصافحان بخشونة و يهنئان بعضهما على التعادل ، افتر ثغره عن ابتسامة أخوية لهذا المشهد المعتاد منذ انضم ثلاثتهم معا ، لقد جمعهم رباط أقوى من العمل تحت وطأة الخطر و المبادئ المشتركة و ملأت صداقتهما حياته الخالية من الرفقة الإنسانية لكونه ابن وحيد لوالدين دائمي الانشغال و مستقران خارج البلاد اغلب الوقت ..

ربما هذا لم يعد يؤثر فيه الآن بعد بنائه حياة

المستقلة و خطبته لفتاة أحلامه التي تشاركه الميول و الأهواء بشكل نادر ، لكن علاقته بمراد و شاهين منحته التواصل الاجتماعي السوي الذي منعه من التحول لإحدى الآلات جامدة التي يتعامل معها طيلة الوقت ..

فللعبقرية مساوئها حيث يمكنه الاعتكاف على اختراع ما لأيام متواصلة دون أن يأتي بحركة أو يريح ذهنه الذي يعمل بسرعة البرق حتى يجبره احدهم على ذلك و يذكره انه بشري لجسده عليه حق كالطعام و النوم على سبيل المثال ..

لكنه على خلاف العلماء يبدو أنيق المظهر دائما ، تقاسيم وجهه الحادة تضيئها ابتسامة تضفي عليه جاذبية مميزة و تجعله اقرب للقلب خاصة و هو يمتلك أسفل عويناته على ادفأ زوج من العيون الداكنة التي تجيد سبر أغوار البشر ، قامته معتدلة يمارس التمارين الرياضية بغرض اللياقة العامة بينما لا يتعامل مع الأنواع العنيفة ...

هتف به مراد قائلا بمرح :

- هاي أيها المشاهد ، تعال إلى هنا ، ما رأيك بجولة خفيفة ؟

اتسعت عيون صالح قبل أن يهتف بجذع :

- هل تمزح يا رجل ! النزال الوحيد الذي قد أخوضه معك هو عبر الألعاب الالكترونية التي ابتكرها حيث أمرغ كرامتك في الوحل و أسجل أرقاما قياسية ..

تعالت ضحكات شاهين الذي هتف باستنكار :

- هذا لأنك صانع اللعبة يا صاح و معك كل الشفرات ، أي انك تغش بمعنى أوضح ..

وضع صالح يده فوق قلبه قائلا :

- يا لك من قاسي ، لاحظ انك تجرح أحاسيسي الآن فلست متوحش مثلكما ..

اقتنصه مراد بعد أن خلع قفازات الملاكمة و سحبه إلى داخل الحلبة عنوه بينما اتخذ شاهين وضعية قتالية هاتفا :

- مرحى ، أحسنت يا رفيق الكفاح ، هيا صالح ارني مشاعرك المرهفة الآن ..

انزلق صالح مبتعدا برشاقة و خلع عويناته ثم أشار بها قائلا بمرح :

- في هذه الحالة نظاراتي الحبيبة ستنوب عني ، فهي أقدر على القتال بالتأكيد ..

انطلقت الضحكات الرجولية من ثلاثتهم بينما يغادرون القاعة معا ليتجه مراد و شاهين

للاغتسال و ارتداء ثيابهم أما صالح فسبقهم إلى المكتب ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

استقبل السيد رضوان وصول فتاتيه بالترحاب ، هرعت سُلاف تقبل وجنتيه ثم تراجعت إلى حيث تتبعها جيدًا و هي تحرك شفتيها دون صوت بعبارة " اخبريه " بعدها تركتهم و اتجهت لوالدتها تمارس دلالها عليها ..

تقدمت الأخرى و جلست فوق مسند مقعد والدها كعادتها التي لم تتركها منذ كانت طفلة قائلة بشقاوة :

- مرحبا سيدي ، مانو ترسل تحياتها إليك ..

أحاطها بذراعه بحنان أبوي قائلا :

- لما لم تأتي معكما ؟ طاهر لن يمانع بالطبع فهذا منزلها أكثر من بيته ..

حركت كتفيها قائلة :

- لقد طلبت منها ذلك لكنها اعتذرت حتى تصاحب الخالة أحلام في موعدها مع طبيب الأسنان ..

أومأ بتفهم و تابع قوله بأسف :

- أشفق على تلك الفتاة فطاهر تمادى كثيرا مؤخرا ، أخشى أن يؤثر كل هذا الكبت و الحصار عليها في النهاية و تنفجر فيه ، لقد تحدثت معه مرارا لكنه لا يكترث !

سألته باهتمام :

- هل عمي يتعمد رفض كل خاطب يتقدم للارتباط بها حقا بابا ؟!

أشار بيده قائلا بوقار :

- الأمر معقد و له أبعاد مختلفة جيجي ، طاهر يفعل ذلك رغما عنه لكني لن اصمت طويلا و اتركه يظلمها أكثر فهي ابنتي مثلكما و اعتبرها ثالث فتياتي ، بمناسبة الحديث عن الزواج ، أين هو عمر ؟ لما لم يقلكما ؟!

انتبهت كل حواسها و عبارة والدها جعلتها تنهي ترددها و تحسم أمرها قائلة :

- لأنه تشاجر مع فيفي كالمعتاد ، بابا أريد الحديث معك بأمر آخر ..

أولاها جُل اهتمامه قائلا :

- ماذا هناك حبيبتي ؟ أفصحي ..

دخلت في صلب الموضوع قائلة :

- لا ريب انك علمت بشان رحلة فيفي و أنها لن تتمكن من الالتحاق بها ، فهل تأذن لي بالذهاب بدلا عنها ؟

ابتسم بتفهم قائلا :
- ما دمت ترغبين في الذهاب لما لم تشتركي معها منذ البداية ؟
حركت رأسها نافية قبل أن تردد :
- لم أكن مهتمة في السابق ، لكن الآن بعد تفكير وجدتها فرصة جيدة خاصة أن الحجوزات كلها قائمة و لن نفعل سوى تبديل الأسماء ..
أومأ راضيا و أردف باستحسان :
- لا أمانع بالطبع ، اذهبي و تمتعي حبيبتي ، لقد تقصيت عن كل شيء و أثق بالطاقم المصاحب ، سوف نتخذك دليلا سياحيا عندما نسافر جميعا في الصيف لنعوض فيفي عن رحلتها الضائعة ..
مالت تقبل وجنته بخفه قائلة :
- شكرا بابا ، سوف أحفظ كل الأماكن الجميلة لأجل رحلتنا العائلية ..
أومأ باستحسان قبل أن يتابع قائلا بجدية :
- تعلمين ما أوصيك به دائما بنيتي ، لا تكفي عن الابتسام أبدا ، واجهي بابتسامتك كل الصعاب و اهزميها ، هكذا أريدك حبيبتي ، قوية غير قابلة للانكسار ..
تألقت عيونها بالعزم كلما أشعرها بثقته و تقديره كما الآن قائلة :
- أعدك أن لا أخذلك مطلقا بابا ..
ثم تركته و انطلقت حيث شقيقتها تشاكس والدتها قائلة :
- إليكم آخر الأنباء ، لقد قررت قبول السفر و حظيت بموافقة أبي كما اخبرني انه سيأخذنا جميعا إلى هناك مرة ثانية في الإجازة الصيفية لأجلك أختي ..
هنأتها والدتها قائلة ببشاشة :
- كل شيء في الدنيا نصيب مقدر ، سبحان الله لقد حجزت فيفي هذه الرحلة لأجلك من البداية جيجي ، لك قسمة هناك حبيبتي ..
بينما قفزت سُلاف فرحة لعدم إهدار خططها التي ستمررها لشقيقتها بكل رحابة صدر ، فلطالما شعرت بها جزء لا يتجزأ من روحها و بقبولها أن تحل مكانها ذهب الشعور بالخسارة نهائيا ..
سألتها جيّدا بمرح عابث قائلة :
- ماذا أيتها الخبيرة ؟ هل عليّ تعلم اللغة أيضا ؟
سحبتها من كفها إلى غرفتها هاتفة بثقة :
- كلا ، لغتك الانجليزية تكفي لكن لدي حصيلة لا بأس بها من العبارات الأساسية

التقطتها من المسلسلات التي تسخرين منها ، تعلمي اكره الدبلجة و عندما يعجبني إحداها أتابع حلقاته مترجمة عبر الحاسوب ، سأعلمك إياها لتفهمي مبادئ اللغة ، كما لدي العديد من المنشورات السياحية لتكوني على علم بأهم المعالم و أشهرها ناهيك عن قائمة الأغراض الطويلة التي ستجلبينها لي من هناك ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ترجل شاهين من سيارته الرياضية التي أوقفها أمام مدخل المنزل الرئيسي ليقع بصره على أخرى حمراء صغيرة يعرفها خير المعرفة فهتف بحنق :

- تبـا ، ليس وقتك أبـدا ..

ثم حرك قدميه عنوة إلى الداخل بينما عقله يحثه بجدية إلى العودة أدراجه فالعمل أهون مما ينتظره بالداخل !

بمجرد دخوله قفزت شيري تستقبله بابتسامة متسعة تحت رعاية والدته الداعمة لخطة وضع ابنة خالته في طريقه كلما التفت ..!

- مرحبا شاهين ، اشتقت إليك كثيـرا عزيزي لكن بالطبع اقدر أن عملك له الأولوية ..

منحها ابتسامة صفراء مغمغما بترحيب ما بينما اتجه إلى والدته التي تراقب كل شاردة مقبلا رأسها بعمق ..

- أهلا حبيبي ، لقد بقيت شيري برفقتي طيلة ما بعد الظهيرة رافضة الذهاب و تركي بمفردي ثم أصرت على الانتظار لتراك ..

قطب حاجبيه قائلا بفظاظة :

- و لما ؟! أين كانت الخالة قدرية ؟

شهقت الفتاة بعدم تصديق بينما زجرته ناريمان بلوم :

- هل تقارن قدرية بشيري الرقيقة شاهين !

الفتاة تخلت عن خططها للبقاء معي أما قدرية فغارقة بين الأواني في المطبخ رافضة أن تسمح للطاهي القيام بعمله !

تابع قائلا بنفس اللامبالاة :

- أمـي .. إنها صديقتك قبل أن تكون مدبرة المنزل و أنت تتمتعين بصحبتها ، لا تنكري ذلك ..

دارت عيونها قبل أن تهتف بنفاذ صبر قائلة :

- يا الهي الرحمة ، برأيك هل هذا هو الوقت المناسب لمناقشة مزايا و عيوب الكونتيسة قدرية ؟!

عند نهاية عبارتها دخلت المعنية بالأمر هاتفة بتنمر :

- من يتحدث عني ؟ و لماذا ؟!
ضحك شاهين على انطباع والدته الحانق بينما اقترب من السيدة التي قبل رأسها باحترام قائلا :
- حاش لله خالتي ، إنها أمي كانت تقول عنك صديقتها المقربة و تصف كم تفضل صحبتك على الجميع ..
رفعت رأسها قائلة بكبرياء :
- أجل صدقتك ، لكني سأتغاضى هذه المرة لأجلك (ثم سحبته من ذراعه قائلة) دعك منهما و تعال معي ، لا ريب انك جائع ..
منحها نظرة امتنان و تبعها بكل سرور ليشكرها في المطبخ على الإنقاذ السريع الذي تجيده بينما في الخارج ضربت شيري الأرض بقدمها هاتفة بقهر :
- خالتـــي ..!
رفعت يديها بانعدام حيلة فابنها و قدرية يكونان حلفا لإفشال خططها على الدوام لكنها لن تستسلم ، أشارت للفتاة قائلة :
- هيا بنا نلحق بهم ..
تبعتهم إلى المطبخ حيث و جدتهم غارقين بالضحك و قدرية ترص أمامه أطباقه المفضلة فقالت باسمة :

- مرحى ، جميل أن أراكما بهذه السعادة ، هلا أنهيت طعامك سريعا حبيبي ، شيري ترغب في المغادرة ..
رد سريعا بشكل مضحك :
- أوه يا للخسارة ، لا تدعيني أؤخرها إذن ، أسعدني لقاءك عزيزتي ، أوصلي سلامي لخالتي
بالكاد استطاعت قدرية كبح موجة الضحك التي ألمت بها بينما ناريمان تطحن ضروسها قائلة
- أنا لا أخبرك لتودعها شاهين ، بل لتنهض مثل الشاب المهذب و تقلها و ربما تدعوها للسينما أو ما شابه ..
رفع حاجبيه بدهشة مستنكرة :
- لكن سيارتها في الخارج أمي ! فلما اقلها أنا ؟!!
سيطرت على نبرة صوتها بصعوبة مرددة :
- لأني أقول ذلك ، لن ادعها تقود في الليل وحدها ، هيا تحرك في الحال
القي المحرمة القطنية فوق الطاولة بحنق لم يحاول إخفائه ثم نهض متجها لتلك المنتظرة آملا لو استطاع خنقها بيديه ..
راقبت قدرية مغادرتهم ثم حركت رأسها بعدم رضا قائلة :

- أنت لن تكفي أبدا ، أليس كذلك ؟ ألا ترين انه لا يطيقها !

ردت ناريمان بعنادها الشهير :

- سوف يفعل ، اخرجي نفسك من الأمر وسترين

تابعت الأخرى بنبرة أشد :

- بل اهتمي أنت بشؤونك و اتركي ابني دون تدخلاتك في حياته ..

زفرت ناريمان بحنق و هتفت بغيظ :

- انه ابنـي أنـا .. !

أشاحت كفها ببساطة معتادة على جدالهم قائلة

- لكني شاركتك تربيته لذا لي نصيب فيه ، كوني منطقية و اعترفي أنهم غير متوائمين من كافة النواحي ..

وضعت كفها فوق خصرها النحيف هاتفة باستنكار :

- و اتركه لابنة زينب ؟ لا هذا لن يحدث ..

ردت قدرية بثبات :

- بل تتركينه يقرر ما يريد بإرادته ، انضجي

ناريمان شاهين أضحى رجلا و لم يعد مقبول أن تسيريه حسب أهوائك ، لمعلوماتك هو لن يستجيب لك حتى و إن لم يرد إزعاجك ..

أشاحت بيدها قائلة بحنق :

- لا اعرف لما احتملك يا امرأة ..!

ضحكت السيدة الأكبر سنا قائلة بثقة :

- لأني صديقتك المقربة عزيزتي ، و الآن اجلسي لأصنع لك قدحا ساخنا من الأعشاب لعلها تفيد بإزالة الكهرباء الزائدة من رأسك فتحسنين التفكير ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

زفر شاهين أنفاسه بارتياح ، أخيـرا استطاع التخلص من تلك العلقة التي التصقت به ، يا الهي لولا بره بوالدته التي ترفض الاقتناع انه لم و لن يلتفت للفتاة لكان له شأن آخر

بالطبع لن يعود للمنزل الآن و إلا تلقى وصلة لوم و تقريع من أمه لتركه غاليتها المدللة بتلك السرعة ، تناول هاتفه و أدار الرقم المعني قائلا :

- صـالح ، اعد اللعبة و انتظرني ، سوف أهزمك شر هزيمة الليلة ..

وصله صوت الضحك من الطرف الآخر قبل أن يردد بادراك :

- أنت هارب من المنزل إذن ، لا بأس سوف احتملك يا مسكين و لتكن فرصة أجرب عليك المستوى الجديد الذي أضفته إليها ..

بادله شاهين الضحك قائلا :
- يا لك من مستغل .. !
أردف صالح بمزاح مألوف بينهما :
- لكل شيء ثمن يا صديق ..
توعده بينما يحرك سيارته باتجاه منزله :
- حسنا لكن تذكرها ، لك عندي واحدة و سوف أردها ذات يوم ..
❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖
تعالى صوت الضجيج الصادر عن لعب عاصم و لانا مع جدهما بينما انهمكت ندى مع والدتها في إعداد كل ما يلزم لعودة شقيقها ..
لفت انتباهها صوت عاصم الحاد هاتفا :
- ماما هاتفك يدوي بنغمة أبي ، أريد أن أحدثه أيضا ..
تركت ما بيدها و أسرعت لقبول الاتصال مرددة لنفسها : أخيرا تذكرنا ..
بمجرد أن ضغطت الزر الأخضر وصلها صوته المميز بتساؤل :
- نـدى ! أين انتم ؟ لقد وصلت المنزل للتو و لم أجد أحدا هنا ..
سيطرت على نبرة صوتها قائلة بهدوء :
- هذا لأننا في منزل والداي خالد ، لقد اتصلت بك لأخبرك لكنك كنت داخل غرفة العمليات ، الم تبلغك تلك الفتاة برسالتي ؟!
وصلها صوته الحائر يجيب :
- أي فتـاة ؟!!
ردت بحنق و قد انطلق انفعالها :
- تلك التي تجيب هاتفك عزيزي ، هل يتعين عليّ معرفتها !
تابع بصوت يلفه الإرهاق :
- عموما هذا ليس موضوعنا ، هل حدث شيء ؟ الجميع بخير ؟
أجابته قائلة باقتضاب :
- أجل لكن أدهم سيصل من السفر و أنا أساعد أمي في التحضيرات ..
انفرجت أساريره هاتفا :
- يا له من خبر ، كم اشتقت إليه ..
وجدت نفسها تسأل بلهفة :
- الم تشتاق لأحد آخر خالد !
قطب حاجبيه بعدم فهم قائلا :
- ماذا تقصدين ؟ المعذرة لم افهم !
بهذه الأثناء كان الطفل يلح في طلب الهاتف ليحدث والده فقالت :

- عاصم يرغب في محادثتك ..
ثم ناولته إياه و عقلها يردد بصمت : اقصد إنني اشتقت إليك خالد ..
لا تعلم لما تذكرت أيام الخطبة و كيف كان يحدثها بالساعات المتواصلة و الوقت يمر دون أن يشعرا ! أين ذهب هذا الخالد المحب الشغوف ؟! لما انطفأت الشعلة بينهم ؟ يا الله إنها تريده أن يعود إليها ، ترغب في حب زوجها و اهتمامه فهل هذا كثير ؟!
تراجعت أفكارها عندما أعاد عاصم الهاتف قائلا قبل أن يهرع إلى جده لمتابعة اللعب :
- بابا يريدك أمي ..
تناولته لتكمل المحادثة فبادرها قائلا :
- متى تريدين أن آتي لأقلكم ؟
فكرت لوهلة ، ربما قليل من البعد يحرك الجليد الراكد فقالت بتهور :
- سوف نقضي الليلة هنا ، هل لديك مانع في ذلك حبيبي ؟
ردد ببساطة أثارت غيظها :
- أبدا ، طالما تريدين ذلك ..
سألت بنبرة مكتومة خرجت عادية بمعجزة :
- ألن تشتاق إلينا ؟!

أجاب تساؤلها ببساطة :
- بالطبع سوف افعل ، قبلي الصغيرة عني حتى أراكم في الغد ..
عادت تسأل بقهر متصاعد :
- هي وحدها ؟!!
إرهاقه جعله يرد بعدم انتباه قائلا :
- و عاصم أيضا بالطبع ..
انخفضت روحها المعنوية أكثر فقالت بعصبية :
- حسنا خالد ، هل تريد شيئا آخر ؟
- أرسلي سلامي و تحياتي للجميع حتى أراهم ..
وضعت الهاتف من يدها بحنق ، تبا .. تبا ، هل أزالها من خارطة حياته حتى لم يعد لها وجود ؟! حدثها عقلها بمنطق : اهدئي يا حمقاء هو لم يقصد بالطبع ..
لكن قلبها رد بصخب : بل اخرس أنت أيها التعس ، انه لم يسأل عنها مطلقا ! حديثه كله عن الآخرين كأن دورها انتهى بمجرد إنجاب أولاده !
لكنها لن تفسد وقتها الآن بمحاولات تفسير تصرفات زوجها السيد مهم ..
زفرت بحنق عندما تذكرت أنها لم تجلب معها

أي أغراض لقضاء الليلة ، فعادت للسخط من جديد ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

استمر عمر في تقليب محتويات صحنه دون أن يدرك ماهيته ، كان متواجد على طاولة العشاء مع والديه بجسده فقط بينما عقله و إدراكه شارد بعيد ..

إنها المرة الأولى التي يحاول مصارحة جيّدا بحقيقة مشاعره تجاهها ، ترى هل تسرع ؟ لقد لمح إجفالها و ارتباكها بوضوح ، لكن أليس ذلك هو الطبيعي في تلك الحالة ؟!

أي فتاة مكانها سيكون لها نفس ردة الفعل ، أم ذلك الهاجس الذي يطارده صحيح ؟ لا هو لم يتسرع لقد صبر كثيرا فإلى متى يكبت مشاعره و يظل صامت ؟

إن عدم الفهم المحيط به يثير جنونه ، لطالما كان واضح و مباشر يطرق الحديد و هو ساخن إلا في هذه الناحية و لا يعلم السبب ، اهو الخوف ؟!

أخرجه صوت والدته من لجة التساؤلات التي تتقاذفه دون هوادة بقولها الحاني :

- عمـر ! ماذا بك حبيبي ؟ أنت بالكاد تناولت شيئا أو نطقت بحرف ! هل أنت بخير ؟

عاد من رحلة عصف الأفكار ليجيبها باسما :

- أنا بخير أمي ، مرهق بعض الشيء فحسب ..

تابعت تحثه على الانضمام إليهم في الحديث :

- هل ذهبت إلى خالتك اليوم ؟

حرك رأسه نافيا :

- كلا ، لكني قابلت الفتيات في النادي ، اممم بالمناسبة هل كنت تعلمين عن سفر جيجي ؟

قطبت حاجبيها بتساؤل قائلة :

- هل ستسافر هي أيضا ؟

انتبه عقله و أراد المزيد من الإيضاح فسأل :

- أيضـا !! لما ؟ من المسافر غيرها ؟

حركت كتفيها قائلة ببساطة :

- ماذا بك عمر ؟ ! الجميع يعلم عن رحلة فيفي الوشيكة لتركيا !!

صر على أسنانه قائلا بغيظ :

- سُـلاف ! لما كل كارثة تطرأ أجد خلفها اسم سُلاف ؟ هل هي عقابي الأزلي الذي لا فكاك منه ؟!

عندها تحدث والده قائلا بلوم :

- عمـر ! لا تتحدث عن ابنة خالتك بهذا الشكل ، إنها فتاة مميزة ذات شخصية قلما تجد مثلها ،

أنا شخصيا استمتع بالحوار معها ، لا افهم سر عدائك الدائم معها !
كشر ملامحه بينما يتحكم في نبرة صوته قائلا
- آسف أبي لم اقصد الإساءة لكن تصرفاتها تخرج أعقل العقلاء عن طوره ، كما لا اعلم سر دفاع الجميع عنها كأني أنا سبب كل المصائب و هي ملاك وديع ، عموما لا يهم أنا لا أود الحديث عنها من الأساس ، كنت اسأل عن جيّدا فهي من ستسافر لتركيا
غمغمت السيدة قائلة بحيرة :
- ربما ستذهب مع شقيقتها ! لا اعلم هذه المعلومة جديدة كليا ..
قالتها و أعادت بمقعدها إلى الخلف لتنهض متابعة :
- أكمل عشائك الذي لم تمسه و أنا سأتصل بأختي لأفهم ما يحدث ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

أنهت زهرة وضع الكريم المسائي المرطب على بشرتها النضرة بفعل اعتنائها الدائم و الذي أورثته لفتياتها ثم نهضت من أمام المرآة متجهة لفراشها الزوجي الوثير حيث يتمدد رضوان باسترخاء في جانبه الخاص يستقبلها بابتسامة ملئها الإعجاب و الحب الذي عمقت أواصره سنوات العِشرة الطويلة ، رفع الشرشف الناعم مفسحا لها المجال قائلا :
- لقد أدفئت لك المكان زهرتي ..
تقدمت تتهادى في غلالة نوم حريرية أنيقة تليق بها و تشي بأنوثة ناضجة ، فالزهرة الفواحة لها رونقها و بهائها بكل مرحلة من مراحل حياتها ، و ليس معنى أن بناتها أصبحن في سن الزواج إهمال نفسها ..
احتلت مكانها مع ابتسامة راضية قائلة بخفوت :
- كم أحب ذلك و افتقده عندما ادخل فراشنا البارد حين تكون في إحدى سفرات العمل
رد بضحكة رجولية مستمتعة بقولها فالرجل هو الرجل مهما تقدمت به سنوات العمر يعشق الإحساس بحاجة الأنثى و حبها :
- و أنا بالمقابل افتقد رائحة الزهور و رقتها ، لكني هنا الآن و قد اشتقت إليكِ يا أم البنات ..
صدحت ضحكاتها رقراقة بينما ألقت رأسها فوق صدره الرحب قائلة بعذوبة :
- مازلت تذكر هذا اللقب ! لقد كانت والدتك رحمها الله تتعمد نعتي به بغرض تكديري ،

كأنه عقاب لأني أنجبت فتاتين ..!
شاركها الذكريات قائلا بحنين :
- كانت بالنسبة لها الطامة الكبرى بعد إنجاب طاهر لاماني ثم وفاة زوجته و رفضه المطلق الارتباط بعدها داحرا محاولاتها المستميتة معه ، رغم حبها الكبير لحفيداتها الثلاث لكنها جُبلت على أن الذكر هو العزوة و السند كما كانت تكرر دائما ..
ردت بابتسامة ماكرة :
- و عندما يئست من طاهر حاولت تزويجك بكل فتيات العائلة تقريبا ..
رفع حاجبيه قائلا بعبث :
- لما لا تكملي ؟! و قد رفضت ذلك بحزم حتى كادت تغضب عليّ كوسيلة ضغط أخيرة لكني أعلنتها على الملأ أمام كبار العائلة التي جمعتهم إنني أحب زوجتي و لن اتخذ غيرها زوجة و ابنتي هما قرة عيني و هبة خالقي ، عندها سلمت بالأمر الواقع و كفت عن التدخل في حياتنا و صرت أنا من يدعوكِ بأم البنات كلقب إعزاز و تقدير على منحك لي أغلى و أثمن جوهرتين ..
رفعت كفها و مست جانب وجهه بمودة عميقة قائلة :

- أجل حبيبي ، لقد أكرمتني وجعلت نساء العائلة يشعرن بالغيرة مني حتى والدتك تغيرت نظرتها إليّ بعد هذا الموقف و صارت تتجنب مضايقتي كأنها بذلك تتقرب منك
ما يثير الحيرة و يطرح التساؤلات أن التعصب و العنصرية إن جازت التسمية دائما تخرج من نفس الجنس لبعضه بدلا من التعاضد و التفهم !
في اغلب المجتمعات تجد أن المرآة تتنصل من الدفاع عن نوعها و تنحاز للطرف الآخر !
أومأ بوقاره المعتاد و فسر قائلا :
- كان هذا في السابق لأنهن نشأن على التواري خلف الرجل ، أب ، أخ ، زوج ثم الابن ، بغياب أيا منهم تصير مكشوفة دون دُعامة تستند عليها لأنها لم تتعلم كونها ذات كيان مساوي للرجل و ربما أفضل منه في بعض الأحيان ..
كليهما إنسان قادر على البذل و العطاء و النهوض بمجتمعه دون أفضلية لأحدهما على الآخر ، لهذا أنشأت فتياتي مستقلات ، تستطعن المواجهة و الانتصار ..
أتعلمي عندما طلبت فيفي الإذن لتلتحق بالرحلة ترددت و خشيت عليها فانا والد شرقي

رغم كل شيء ، لكني حسمت الأمر سريعا و منحتها الفرصة لإدارة حياتها طالما الأساس حولها سليم ، و الآن جيجي هي من تواجه الاختبار ، لقد فعلت ما يتوجب عليّ و تأكدت أن البيئة المتواجدة فيها صحية و الآن اتركها في معية الله و حفظه ..

أكدت قولة بإشارة من رأسها قائلة :

- نعم لقد منحناهن تربية صالحة بقدر استطاعتنا ، و أثق أن ظننا لن يخيب و أنا هنا أتحدث عن الثلاث فتيات ليس جيّدا و سُلاف فقط ، فرغم اهتمام طاهر المكثف و رعاية أحلام لأماني بعد وفاة أُمنية رحمها الله لكني أعدها ابنتنا أيضا و احلم باليوم الذي أراهن فيه بثياب الزفاف سعيدات هانئات مع أزواج يحببنهن حبا حقيقيا بعدها أحظى بالكثير الكثير من الأحفاد

ضحك غامزا بمكره المحبب :

- ألن تمانعي لقب جدتي عندها !

ردت بإغاظة تقلب الأمر عليه :

- كلا طالما ستكون جدي بالمقابل حبي ، المهم أن نكون معا ، ثم فتياتي لا زلن صغيرات

تابع بنبرة إدراك مرحة :

- الآن عُدن صغيرات !! حسنا لكن لا أظن عمر يوافقك الرأي و اشعر أن هناك أخبار السعيدة في الطريق ، ربما سفرها هو ما يؤخرها قليلا الآن ..

قطبت حاجبيها مفكرة قبل أن تقول :

- جيّدا !! أتظن ذلك ؟ لا إن سُلاف هي الأكثر ملائمة له بالطبع ..

التفت إليها قائلا بحيرة :

- بل هو يميل لجيجي ، نظراته واضحة و لا تحتمل تفسيرا آخر كما انه و سُلاف قطبين متنافرين ..

ضحكت قائلة بثقة :

- الأقطاب المتنافرة تتجاذب عزيزي و أحيانا تكون المظاهر خادعة ، هل تراهن ؟

لمعت عيونه بحماس قبل أن يردد بمرح :

- بالتأكيد لا ، فالنظرة التي أراها الآن اعرفها جيدا كما إني لا اهتم فكلتيهما فتاتي و أنا أريده لواحدة منهن أيا كانت ، عمر شاب ممتاز يؤتمن ناهيك انه بمثابة ابننا أيضا لذا لن أفرط فيه ..

أومأت توافقه بسرور قائلة :

- أنت تعمل بمبدأ أخطب لابنتك الآن ، لكني معك كليا و أتمناه زوجها لها ، سوف نراقب دون تدخل و نرى إلى أين يقودهم القدر ..

أغلق مراد حاسوبه الشخصي مكتفيا بالعمل لهذه الليلة بعد أن نال منه الإرهاق مبلغا كبيرا ، سيجري اتصاله المعتاد مع والدته ثم يخلد للنوم وقف يتمطى فاردا جسده المفتول بكسل لذيذ ، كان مرتديا ملابس منزلية قطنية مريحة تمنحه طلة رجولية أخاذة مع شعره المشعث بخصلاته الناعمة التي تسقط فوق جبينه بمشاغبة محببة تغري الناظر إليه أن يمد أنامله و يعيدها إلى مكانها ..

تناول هاتفه لكن قبل أن يضغط زر الاتصال دوى صوت الجرس الخارجي معلنا عن وصول زائر غير مرغوب فيه بأي حال من الأحوال ..

زفر بحدة و اتجه للباب مستطلعا و متوعدا ..

فتح بوجه متجهم عندها لفحته موجة العطر الأنثوي التي هبت من تلك المتكئة أمامه بدلال ..

- نـــاز ..!

تقدمت خطوة متأنية قائلة بإغراء :

- مرحبا مراد ، مـاذا ؟ الم ترق لك مفاجآتي ! لقد اشتقت إليك و أردت رؤية منزلك ، هل أخطأت ؟!

أجلى حنجرته طاردا تعجبه ثم تراجع للخلف مفسحا لها المجال قبل أن يقول :

- احم ، أبـدا تفضلي للداخل ..

دلفت تحيطها هالتها العطرية ثم أزالت عن كتفيها الفراء الثمين ليظهر أسفله ثوبا اسود أبرز لون بشرتها الشفافة و فتنتها بشكل مستفز ، حيث كان بدون أكتاف يضيق حتى الخصر ثم ينسدل بموجات من الشيفون الرقيق تنتهي أعلى الركبتين مباشرة ، مع حذاء لامع ذو كعب مخيف الارتفاع ..

عض على نواجذه بعدم رضا فلطالما لم يعجبه هذا النوع من الأثواب الكاشفة و أحب أن تكون المرأة أنيقة بشكل مستتر كالفاكهة المحرمة ، يمنع لمسها أو تدنيسها لو بنظرة غير لائقة ، ربما هو نصفه العربي الذي يتحكم الآن ..

استدارت إليه قرب المدخل قائلة بغنجها المعتاد :

- لما اشعر إنني أثقلت عليك بزيارتي مراد ، أنت لم ترحب بي حتى الآن !

زم شفتيه قبل أن يسألها بهدوء :

- هل كنت بأحد الحفلات أم لعلك ذاهبة ؟

ميلت رأسها قائلة :

- لا هذا و لا ذاك ، بل تأنقت لأجلك وحدك حبيبي ..

أشار نحو غرفة المعيشة بمفروشاتها العصرية

فاتجهت إلى الأريكة الوثيرة و اتخذت مجلسها
ثم ربتت بكفها تشير لجانبها قائلة برقة :
- ألن تجلس ؟
تجاهل أشارتها الواضحة و احتل احد المقاعد
المنفردة بعيدا عن الطقم المكون من ثلاثة أرائك
قائلا :
- إذن .. ما رأيك بمنزلي ؟
أدارت عيونها فيما يحيطها قبل أن ترد بشفتين
صبغتا بلون صارخ :
- ما رايته إلى الآن يعجبني ، لكني انتظر أن
تصطحبني لرؤية بقية أرجائه ..
لم يجد لديه رغبة في الحديث فقد كان مجهد
بالفعل و يريد النوم و بالطبع مستاء من زيارتها
لمنزله دون أن يدعوها ، لم يكن منغلق الفكر لكن
لديه حدود يحب احترامها و عدم تجاوزها ،
بنفس الوقت لا يستطيع لومها لان المجتمع
المحيط تخلى عن كثير من تقاليده بدعوى
المدنية و استبدلها بعادات أوربية صرفة توغلت
داخله بشكل مرضي ..
لاحظت تتابع الانفعالات على وجهه
فاستدركت قائلة برقة :

- أوه ما اغباني ، لم يكن يجدر بي مفاجأتك
بالزيارة ، يبدو أني قد أيقظتك ، سامحني رجاء
حبيبي ، لقد تصرفت بعفوية و دون تفكير
(اتبعت برسم تعبير يائس ثم أكملت حديثها
بنبرة أضعف) آسفة ، أنا احبك مراد و هذا
يسلبني عقلي و يجعلني أتصرف بجنون ، عندما
أردت رؤيتك لم استطع إيقاف نفسي ..
خفق قلبه تأثرا بالألم الساكن ملامحها
فمنحها ابتسامة دافئة و مال إلى الأمام في مكانه
كأنه يقرب نفسه منها قائلا :
- بالعكس عزيزتي ، أسعدتني المفاجأة لكني
مرهق لذا أبدو ثقيل الظل ..
قفزت عن الأريكة هاتفة :
- و أنا هنا الآن و من واجبي إبعاد كل التعب
عنك حياتي ..
قالتها بينما اتجهت إلى خلف مقعده و بدأت
بتمسيد كتفيه العريضين و أسفل عنقه متابعة
القول :
- استرخي ، اشعر بعضلاتك متشنجة ..
زفر بيأس لكنه لم يستطع إيقافها ، فكفيها
الناعمين كان لهما تأثير مخدر لأعصابه

و هي انتهزت الفرصة و جالت فوق ظهره هبوطا و صعود حتى لامست خصلات شعره ثم رددت بنبرة أثقلتها العاطفة :

- من الأفضل أن تستلقي بشكل كامل لتحظى بجلسة تدليك حقيقية ، ما رأيك أن تريني غرفتك و نكمل هناك ..

انتفض بشكل فاجأها محطما أملها و قد ظنت نفسها نجحت في اقتحام حصونه المغلقة أخيرا قبل أن يردد بصرامة مستترة :

- شكرا على المساعدة ناز لقد صرت أفضل الآن ، كما أن الوقت تأخر لذا سأبدل ثيابي و أقلك ، انتظريني دقيقة ..

تحركت بسرعة تمنعه عن النهوض وتحكم حصارها حوله بان عقدت ذراعيها حول عنقه و أصبحت شبه جالسة فوق ساقيه قائلة بهمس مغري :

- لكني لم أكد أبق معك مراد ، ماذا بك ؟ لما تشيح وجهك عني ؟! انظر إليّ حبيبي ، أنا هنا ..

اكتنفه ضيق فعلي و لغرابة الأمر قربها منه على هذا النحو الكبير أشعره بها بعيده و هناك أميال تفصل بينهم !

كان رجلا طبيعي حار الدماء لكنه يرفض هذا الشكل من العلاقات و ذلك ولّد لديه برودة و جمود ناهيك عن طبيعة عمله التي تجعل ضعفه أمام المغريات أمر بعيد المنال مهما كانت قوية و إلا لما اجتاز الاختبارات العسيرة التي خاضها قبل التحاقه بالجهاز الأمني التابع له ..

بينما هي اكتسحها قربه المدمر و هدرت حواسها و أنوثتها تصرخ مطالبة باستجابته راغبة في إخضاعه لسحرها ..

رفضه الانصياع لإغرائها كان صادما و غير معتاد و قد حفزها أكثر لكسر إرادته فتخلت عن الحذر و تصرفت بشكل أكثر جرأة مما اعتادت معه ..

كانت تغامر معتمدة على ثقتها بفتنتها و جاذبيتها فمالت إليه و فاجأته بما لم يتوقعه ... قَبّلته ..!!

نهاية الفصل

دمعات القمر

القطرة الثالثة

بمجرد أن تكونت الفكرة داخل رأسها قرأها في نظرة عيونها الغائمة بقدرته الفذة على سبر أغوار الآخرين و فراسة فطرية وهبها له خالقه ، لذا عند ميلها عليه رفع كفيه بتزامن مدهش و أبعدها من كتفيها قبل أن تصل لشفتيه ثم هب واقفا مع تعبير متجهم عكر صفاء ملامحه .. هالها ما حدث في اقل من ثانية و خاصة مع رؤية العصب النابض على جانبي فكه يظهر بوضوح ، أدركت إنها ارتكبت خطأ فادح و هذا معناه تعريض علاقتهم بأكملها للخطر ..

انطلقت تلعن غباءها بصمت ، كان يجب أن تعي تفرد و استثنائية الرجل أمامها و كونه ليس كغيره من الرجال ، انه مراد الذي يجيد التحكم في كل ردات فعله و من حوله ، كل هذا ومض داخل ذهنها بسرعة البرق بينما تحاول أن تجد صوتها الذي خرج ضعيفا متخاذل لإنقاذ ما يمكن إنقاذه :

- مـراد ، أنـا ..

استلم هو زمام الأمور عندما استدار يواجهها و بدا مهيمن من ارتفاعه مما جعلها تشعر بالضآلة أكثر مرددا بصوته الرجولي المسيطر :

- لعلي لم أوفق في توضيح طبيعة الأمور بيننا ناز حاولت مقاطعته عندما تمتمت بتوسل من بين طيات الخزي و العار الذي منيت بهما بعد رفضه الصارخ لها :

- لقد كنت .....

أشار بحزم لتصمت بينما يتابع قائلا :

- لا تفعلي ، أنا لا أريد تبرير و لست راهبا أو ادعي مثالية لا امتلكها

لكنني رجل يحترم مبادئه و عقائده ، ربما تجديني مختلف لكني سعيد بهذا الاختلاف و مقتنع به ، لقد نشأت على يد امرأة علمتني أن احترم النساء و لا انظر لهن كوسيلة لهو أو إشباع للغرائز ، بالمقابل على الفتاة أن تعتز بنفسها و تحفظها من التفريط الذي يفقدها قيمتها و يجعلها مجرد شيء يُتداول ..

الحب يجب أن يأخذ مراحله الطبيعية و يتدرج حتى يصل للنهاية الحتمية بين أي شخصين متحابين ، من الخطأ أن نبدأ من النهاية ناز ..

استدرت دموعها بمهارة و سال كحل عينيها راسما خطوط سوداء فوق وجنتيها مما منحها مظهرا بائس قائلة بصوت متقطع :

- آسفة مره أخرى مراد ، دائما اندفع و أغضبك مني ، عذري إنني احبك بشدة و ارغب في إرضائك ، ظننت ذلك سوف يشعرك بأهميتك لدي و ثقتي بك ، بالطبع لم أكن لأفعلها و أتجرأ لهذا الحد مع سواك ، يا الهي اشعر بالحماقة و أود أن تبتلعني الأرض ..

ركع أمامها متأثرا و ردد في محاولة للتخفيف عنها :

- لا تبكي رجاء ، لقد تفهمت الغاية من تصرفك و لا أنكر انه أشعرني بقليل من الغرور ..

رفعت رأسها قائلة بخفوت :

- حقا ..!

أحاط جانبي وجهها بكفيه بينما إبهامه يمسح دموعها برقة قائلا :

- بالطبع ، لقد نما بيننا شيء جميل ، علينا رعايته ليكبر و يزدهر ، سيتطور مع الوقت بشكل تلقائي عندما نعلن عن ارتباطنا أمام الجميع و يصير أمر انتمائنا لبعضنا بديهي و هذا ليس معناه وثائق و أوراق لكنه إعلان يسبغ على العلاقة شرعيتها التي تستحقها ، أنا لم أتعود أن اسرق الحب ..

أومأت قائلة :

- حسنا فهمت المهم أن لا تبعدني عنك ..

حرك رأسه نافيا :

- لا يوجد شيء من هذا حبيبتي (سحبها من كفها لتقف و تابع) تعالي معك سأرشدك إلى حمام الضيوف لتنعشي نفسك بينما ارتدي ملابسي حتى أقلك لمنزلك

تبعته راضية لكنها توقفت بعد خطوتين قائلة :

- أنت تحبني مراد ، أليس كذلك ؟

ردد باسما :

- اجل بالطبع ..

عادت تؤكد عليه :

- و لست غاضبا مني أو مستاء ؟

اتسعت ابتسامته كأنه يحدث طفلة باكية :

- لا هذا و لا ذاك بل سعيد لأننا أجرينا هذه المحادثة ، هيا أريني الضحكة الحلوة ..

أطاعته بعدم تصديق أن حماقتها مرت دون خسائر سوى شعورها بالإذلال لكن ذلك لا يهم طالما لم تفقده فهي غير مستعدة لذلك بل ترغب في البقاء جواره طيلة حياتها ...

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

اعتزلت سُلاف كليتها الأيام التالية و استغرقت بشكل كلي في تجهيزات سفر شقيقتها الوشيك مما منحها فسحة مع نفسها بعيدا عن ماجد و مطارداته حيث عرفت من نهى زميلتها انه سأل عنها أكثر من مره ، لذا رحبت بانشغالها مع جيّدا حتى تبعد ذهنها عن التفكير في تلك المسالة الغير محببة لها ..

قامتا مع أماني برحلة تسوق مكوكية لابتياع أغراض تناسب الرحلة و الجو البارد هناك ، كنزات من الصوف السميك الناعم مع عدة سراويل مناسبة بالإضافة لمعطف مبطن بالفراء و بضعة أوشحة صوفية ذات ألوان زاهية كما تفضل جيجي ..

و بالطبع لم تنس تجهيز بضعة "اسكتشات" جديدة للرسم و الكثير من الأقلام و الألوان مع الفراشي المتعددة الأحجام ..

كما ابتاعت كاميرا رقمية من احدث طراز لتسجيل اللقطات التي تعجبها لأنه لن يسعها الوقت هناك لرسم كل ما ترغب به لذلك يجب أن يكون لديها مرجع تعود إليه عندما تقرر العمل عليهم فيما بعد ..

كانت تعلم إنها لن تستطيع حزم نصف تلك الأغراض لكنها استسلمت لحماس و اندفاع فيفي المفعمة بحب ما تفعله و لم ترد حرمانها من بهجة التحضيرات كما حرمت رحلتها المفضلة من قبل ، غير عالمه إنها مثل شقيقتها تندمج في تلك الحالة هربا من التفكير فيما حدث مع عمر الذي باتت تتجنبه قدر الإمكان دون إثارة الريبة مع فارق شخصية بطل هروب كل منهما ..

دلفت سُلاف غرفة شقيقتها المنكبة على إحدى لوحاتها و تبدو عاقدة الجبين بشدة قائلة :

- جيجي الم تستعدي بعد ! أماني وصلت منذ مدة و كنا سنخرج لاستكمال الأغراض الناقصة ، هل نسيتِ ذلك !

رفعت رأسها تناظر أختها قائلة بتذمر :

- لم يعد هناك شيئا ينقص فيفي ، بحق الله انظري حولك الغرفة مزدحمة بالأشياء الجديدة و لن استخدم ربعها حتى ! لقد خرج الأمر عن السيطرة و كأننا نجهز لزفاف عروس و ليس رحلة لفترة محدودة ! لقد اكتفيت و لن ابتاع شيئا آخر ..

حركت كتفيها قائلة ببساطة :

- حسنا لا بأس لا داعي للحنق ، سأنادي مانو لتصعد و نرتب أغراضك في الحقيبة إذن ، لا أحبذ ترك ذلك لآخر وقت حتى لا تنسي شيئا ، لكن مهلا لما تبدين عابسة ؟!

أشارت إلى اللوحة وقالت بعدم رضا :

- بسببها ، انظري إليها و اخبريني عن انطباعك ، لقد أضفت إليها بعض الظلال فقط و استخدمت الزاوية المناسبة لكن يبدو إنني أفسدتها تماما ، فقد تحولت لمنظر مخيف قابض للنفس ولا استطيع الوصول للسبب ! كيف يظهر مشهد مغاير لما في مخيلتي كأنه يفرض نفسه !!

ميلت سُلاف رأسها تدقق بعين ناقدة متفحصة قبل أن تقول :

- أنت محقه ، ربما لم يكن عليك إضافة هذه الظلال هنا ، تبدو كما لو كانت شبح خفي يهاجم تلك الفتاة داخل اللوحة محاولا الاستحواذ عليها بينما هي تقاوم ، يجدر بك التخلص منها ، لم أحبها جيجي ..

حركت رأسها نافية :

- بل الأجدر أن أجد علتها و أحاول إصلاحها ، إنها المرة الأولى التي يحدث ذلك معي ، كأن المشهد خرج من اللا وعي دون أن أدرك !

بهذه اللحظة دخلت أماني هاتفة :

- لما تأخرتِ يا فتاة ؟ صعدت لإحضارها فمكثتِ معها ! ماذا افعل بكما ؟ أوه ما هذه اللوحة ؟! هل تحاولين اختبار مشاهد الرعب جيجي !

تبادلت الفتاتين النظر قبل أن ترد صاحبة اللوحة قائلة :

- أنت أيضا لديك نفس الإحساس ! كنا نناقش ذلك في التو ، لا اعلم لما خرجت على هذا النحو ؟ لقد تحول المشهد رغما عني ..

تقدمت أماني ببساطة هادئة كعادتها و أزاحت اللوحة من فوق الحامل الخشبي المحتل زاوية الغرفة أسفل النافذة بشكل أنيق ثم أبعدتها خلف مجموعة لوحات أخرى قائلة :

- ها قد انتهينا منها ، ضعيها خلف ظهرك و ابدئي غيرها ، الأمر لا يحتمل كل هذا التفكير و النقاش حوله ، طالما أنت قادرة على صنع الأفضل ، لما تستوقفك واحدة سيئة مقابل العديد من اللوحات الجميلة غيرها !

دوى هاتفها بالرنين ليقطع استرسالها فرفعته

لأذنها دون أن تنظر لشاشته ، فهوية المتصل معروفة للجميع :

- مرحبا بابا ..

ثم صمتت لوهلة قبل أن تتابع قائلة :

- حبيبي أنا لازلت في منزل عمي و لا يبدو إننا سنخرج لذا اطمئن و لا داعي لتتصل بي كل عشرة دقائق فانا بخير ..

ابتسمت سُلاف لأختها فهن معتادات على اتصالات العم المتكررة كلما ابتعدت أماني عن عينيه ، لطالما فعل ذلك حتى انه كان يسبب لها العديد من المواقف المحرجة في الجامعة ! و ذات مره حضر بنفسه و اقتحم قاعة الدراسة لأنها جعلت هاتفها على الوضع الصامت و لم تجبه أثناء المحاضرة !

تملكه و حرصه الشديد عليها لم يقل ذرة مع مرور سنوات عمرها بل على العكس يزداد بشكل بات مزعجا ، كأنه يخشى أن يخطفها احدهم منه إذا ما غفل عنها !!

أنهت الاتصال الذي لم تعد تذكر عدده بسبب تكرار حدوثه قائلة دون جدل تعلم أن لا طائل منه لذلك كفت عنه منذ زمن :

- حسـنا بابا اتفقنا ، لن أغادر حتى تصل و تصطحبني للبيت بنفسك ..

ثم ألقت الهاتف داخل حقيبتها مع زفرة حانقة فقالت جيجي تواسيها :

- لا بأس مانو ، لقد اعتدنا على حرص عمي الزائد ..

غمغمت من بين أسنانها قائلة :

- بل تخطى ذلك بمراحل الآن ، لن تتخلي لقد بات يغار من وجود الخالة أحلام في حياتي و يحاول إبعادها لولا أنها تتصدى له بشجاعة و تتمسك بالبقاء ! يا الهي لا افهم لما لا يريد أي شخص حولي عداه ؟ لا اعلم ماذا كنت سأفعل دونكما فأنتما المتنفس الوحيد لدي ..

ربتت سُلاف على كتفيها قائلة :

- و نحن معك دائما حبيبتي لكن عليك الثبات و عدم الاستسلام لرغباته كلها ، يجب أن يعلم انك كبرتِ بشكل كافٍ ليكون لك قرارات مستقلة على الأقل في أمورك الشخصية

أومأت أماني قائلة :

- و هذا ما أجاهد لإيصاله إليه لكن اعترف انه ما إن ينظر إليّ بتلك الطريقة حتى اضعف و أذعن

لما يريده ، لا أحب أن أتسبب له بالحزن بعد أن ضحى بحياته كلها لأجلي و رفض الزواج بعد أمي رحمها الله حرصا على مشاعري ..

تابعت سُلاف بنفس النبرة :

- المشكلة انك حساسة بشكل زائد تجاه الأمر ، لقد كان ذلك خياره مانو و لم يُفرض عليه و هذا لا يعني أن تدفعي ثمنه بقية عمرك ، ثم إن عمي طاهر لا زال فتيا و بغاية الجاذبية أي بإمكانه استكمال حياته ببساطة لكنه يرفض و يُصر على مشاركة حياتك سالبا ابسط حقوقك !

حركت رأسها بلا مبالاة قائلة :

- لو كنت تقصدين رفضه لعروض الخاطبين فانا لا اكترث بجدية ، الأمر سيان لدي و حقا لا أريد الزواج ..

قفزت الأخرى قائلة بحنق :

- لكنه حقك يا بلهـــاء ، ماذا لو أعجبك أحدهم ؟! تعكر الكراميل الذائب بأحداقها للحظة قبل أن تصرح بتأكيد :

- لن يحدث ذلك فيفي ، و لا أفكر به حتى ، كل ما ابتغيه هو بعض الحرية و الشعور بالاستقلال ، دعينا من هذا الحديث الكئيب و هلمي لنساعد تلك المسكينة في إعداد حقيبتها فلم يعد أمامها وقت طويل حتى تحلق إلى بلاد الطبيعة الساحرة و تتركنا خلفها لبؤسنا ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

عائد يا وطن ..
عائد و معي الذكريات
واحمل بين طيات عقلي كثير من الأمنيات
عائد يا وطن ..
لأقبل كف أمي وامسح دمعه أبي
لأزرع أحلى زهرة في أجمل بستان
لأتنفس عطر حبيبتي التي لم يكشفها بعد الزمان
عائد يا وطن ..
لأحلق في سمائك كعصفور طليق
لأدور بين أزقة الطريق واصرخ كالمجنون بين العمران
عائد يا وطن ..
لأكتب على جدرانك اسم ملكتي بحروف من صفوان
واصرخ بأعلى صوتي إنني وجدت أميرة الزمان
عائد يا وطن
لأسجل تاريخي بيدي واسرق حبيبتي من خلف الجدران ..
لامحو أي دمعة خطها الدهر على خدها
و اخرج الحزن من قلبها معيدا ما كان
عائد يا وطن ...

بقلم / الساحره الصغيره

وضعت ندى اللمسات الأخيرة على صنف الحلوى المفضل لشقيقها المنتظر وصوله بين لحظة و أخرى و قد ذهب والدها لاستقباله و جلبه من المطار بينما فضلت هي البقاء مع والدتها لإعداد ما يلزم ..

لقد أوصلها خالد مع الطفلين في طريقه للعيادة و أعطاها وعده أن يتفرغ باكرا و يأتي لقضاء السهرة معهم ترحيبا بأدهم و بعدها يصطحبهم للمنزل ، شعرت بالانتعاش لهذا الترتيب فالعلاقة بينهم باتت متوترة بالفترة الأخيرة و تسوء بشكل غير مفهوم !

لا تنكر أنها تتعامل بعصبية و أصبحت كثيرة التذمر لكنه أيضا لا يساعدها و يشعرها بالاطمئنان في حين لا تطلب سوى بعض الاهتمام !

لعل سهرة الليلة مع ذويها تعيد إليهم ذلك الشيء المفقود ، أخرجها من أفكارها الجلبة في الردهة الخارجية و صوت والدتها الفرح بوصول ابنها البكر الذي أضناها الشوق إليه ..

هرعت تاركة ما بيدها لتقابل ذلك الكيان الرجولي الحبيب ، كأن سنوات الغياب منحته هيبة و طلة أجمل ! فقد بدا أكثر عرضا و طولا أو ربما خيالها يتوهم ذلك ..

التفت إليها باسما لتملأ عيونها من ملامحه الرجولية السمراء ، طالما تميز بلون بشرته الذي أورثه إياه والدهم ذو الأصول الجنوبية ، و كثيرا ما تندرت بذلك ملقية عليه الأغنيات التي تتغزل في سماره الدافئ الذي يكلل عيونه الداكنة و انفه الأشم ، دائما امتلك شقيقها تلك الجاذبية التي تذيب قلوب الفتيات و تشعرهم بأنوثتهم أمام رجولته الصارخة ، لكنه لم يستغل ذلك مطلقا و كان مثالا للشهامة و الخلق القويم ..

وجدت نفسها مرفوعة عن الأرض بين ذراعين مفتولين في عناق صاخب بالمرح و قد دار بها معلنا مدى اشتياقه لشقيقته الأثيرة التي صارت والدة لطفلين يقفان أمامه بأعين متسعة تراقب ما يحدث بفضول متوثب ..

أفلتها و قد لفت انتباهه اقتراب عاصم برجولة مبكرة قائلا باستفسار جدي :

- أنت شقيق ماما مثل لانا أختي ؟

ركع على ركبة واحدة ليصير اقرب إليه قائلا بود :

- أجل حبيبي أنا خالك أدهم ، لم نتقابل من قبل الآن لأني غادرت قبل أن تنجبك ماما لكني أعرفك من الصور و اكتشفت الآن انك تبدو أكبر في الحقيقة ..

أشار إلى صدره قائلا بفخر :

- أجل فانا أنمو بسرعة و سأكون قويا مثل أبي ..

أضاءت دكنة عينيه بإعجاب قائلا :

- حسنا دعنا نختبر قوتك في عناق رجولي كبير حتى تشجع لانا على الاقتراب مني لأنها تبدو خائفة ..

هرع الصغر يحيط عنق خاله الذي حمله بترحاب و حب بالغ هاتفا :

- أوه أنت قوي بالفعل يا فتى ..

شعر الطفل بالسعادة لشهادة خاله التي أعجبته و سرعان ما اختفى تحفظه و انطلق في الحديث معه ثم سحبه من كفه إلى حيث تقف شقيقته الصغرى قائلا :

- تعال خالي لا تخاف ، هي لن تبكي طالما أنا معك ، عليك بحملها فهي تحب ذلك ..

نفذ التعليمات بنجاح حتى أن الصغيرة منحته إحدى قبلاتها ذات الصوت المدوي عندها تعالت ضحكات الجميع و هنأته ندى لأنه اجتاز الاختبار الأصعب فطفلتها لا تمنح قبلتها تلك سوى لوالدها كامتياز خاص و حصري ....

لاحقا بعد أن خفت حدة اللقاء و الأشواق انسحب الصغيرين لاستكشاف الألعاب الجديدة التي احضرها لهم ادهم في حقيبة خاصة بهما وحدهما بينما جلس الكبار يتبادلون الأخبار و قد انضم إليهم خالد قبل وقت قليل ليضيء وجه ندى بالسعادة و يصبح أكثر إشراقا ، كأنها تستمد جمالها و ألقها من مجرد وجوده حولها ..

سأله بشكل ودي فلطالما كانت علاقتهم أخوية و تربطهم الصداقة :

- ماذا نويت أدهم ؟ ستعود للعمل في الجامعة ؟

رفع كتفيه قائلا ببساطة :

- لا أظن ذلك خالد ، لقد تخطيت تلك المرحلة من قبل السفر ، تعلم أن قرار استقالتي من هيئة التدريس الجامعي سبق ذلك ..

ردت ندى قائلة باستنكار :

- لكنك كنت أول دفعتك و استحققت منصبك بجداره أدهم ..

قلب شفتيه قائلا بنبرة صوت عادية :

- لن يفيد العودة للماضي نانو ، كانت تجربة أخذت وقتها و انتهت و لست نادم عليها فما كنت لأصل لما حققته الآن لو بقيت فيها ..

تمتمت والدتهم قائلة برضا :

- الأمر كله قسمة و نصيب و الله يدخر الخير دائما لعباده ، الخبر الأهم هو انك لن تعود للسفر بني ، أليس كذلك ؟ طمأن قلب والدتك ..

مال مقبلا رأسها قبل أن يردد بحنو :

- بلى أمي ، لقد اكتفيت من الاغتراب عنكم رغم أنهم عرضوا عليّ الكثير من الإغراءات لأبقى هناك ، لكني أود إكمال طموحي داخل وطني الذي يستحق جهد و علم أبنائه ..

أومأت راضية بينما تربت على كفه المتشبثة بها لتشعر بقربه منها في حين تابع موجها الحديث لصهره :

- لقد حققت الكثير بفضل الله و استطيع الآن إنشاء عملي الخاص و المباشرة به ، خاصة أن المسئولين بالشركة الأجنبية قد ابدوا ترحيبهم بالتعامل معي ..

أشار الآخر باستحسان قائلا :

- نِعم الرأي ، إذا احتجت لأي مساعدة في الإجراءات لا تتردد في إخباري ، فلدي معارف كُثر في جميع التخصصات ، عموما سندللك و نعاملك كأجنبي لمدة شهر آخر بعدها تصبح مواطن عادي قادر على مواجهة الروتين دون أن تصاب بارتفاع في ضغط الدم ..

ضج الجميع بالضحك مؤكدين قوله بينما ردد ادهم بتقدير و امتنان عميقين :

- بالطبع خالد ، شكرا لك أخي ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

تفاجأت نازلي بدعوة مراد لها على العشاء في منزل عائلته و قد أسعدها ذلك بشكل مبالغ فيه كأنه إعلان صريح عن ارتباطهم الذي يزداد عمقا كلما مر عليه الوقت بعد تركها لزمام الأمور في يده يوجهها حيث يشاء بينما هي قانعة بقربها منه ..

حرصت على اختيار ثوب محتشم و زينة خفيفة فهي تعلم بمدى تزمت والديه و لا تحبذ ذلك لكنها مضطرة لاحتمالهم لأجله ، بالذات شقيقته الحمقـاء التي تبدو كئيبة على الدوام و لا تطيقها ، تبا لها فالشعور متبادل و لو استطاعت وضع أميال بينهم لفعلت لكن مراد شديد الارتباط بعائلته للأسف و لن يتقبل أي إساءة تنالهم ..

لذلك ستحاول الادعاء إنها ترحب بالتعامل مع تلك النرفين التي تغار منها و لا شك ، كيف لا تفعل و هي في تلك الحالة بينما تراها أمامها فراشة جميلة منطلقة بالونها الزاهية !

و لو رفضت الاستجابة فلتذهب إلى الجحيم لن تكترث لها على أي حال ، أما والدته المتكبرة فلن تدعها تسيطر عليها أو تبعدها عن ابنها حتى لو حاربت الجميع ..

استاءت نرفين من تصرف شقيقها حيث قام بدعوة أصدقائه و ألزمها بالحضور و التمتع بالصحبة ! كأنها قادرة على ذلك ، و الأدهى انه طلب منها دعوة صديقاتها !

أي صديقات بالله عليه ؟! لقد قطعت علاقتها بالكل منذ أمد طويل مكتفية بنفسها غير راغبة في احتمال نظرات الشفقة أو النفاق ، هذا أفضل بالتأكيد ..

نهضت عن مقعدها المدولب الذي يثير ضيق والدها و استياء والدتها على الدوام لكنها لا تمتلك الشجاعة لتخطو خطواتها العرجاء أمام الآخرين ، بعد ما حدث ، الأمر صار يمثل هاجسا مخيفا يطبق على أنفاسها و لا سبيل لردعه ..

وقفت بثبات أمام خزانة ملابسها حائرة في اختيار طقم يناسب تلك السهرة البغيضة حتى استقرت في النهاية على ثوب أنثوي بألوان مختلطة مع سترة مناسبة له ، انسدل عليها مبرزا رشاقة قدها و جمال بشرتها التي اشتاقت للشمس لتتخلص من ذلك الشحوب الذي اعتلاها !

ظلت تحدق في مرآتها طويلا لا تعلم ما عليها

فعله بشعرها الشبيه بشعر شقيقها في لونه الحالك وكثافته لكنها ما لبثت أن عقصته بعيدا عن وجهها الذي تركته خالي تماما من الزينة في عقدة صارمة كما لو كانت لجدتها و ليس فتاة في مقتبل العمر ..!

هكذا انتهت من استعدادها و اتجهت بعناد لتجلس فوق المقعد و تديره متجهة للخارج داعية ربها أن تمر الليلة بسلام ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

على النقيض منها كان هناك آخر يكاد يطير من فرط سعادته و شوقه لرؤية مالكة قلبه و أميرته المتوجة على عرشه بتفرد ..

أنهى شاهين ارتداء ملابسه بسرعة البرق ممتنا لصديقه الذي أتاح له هذه الفرصة عازما على أن لا يهدرها هذه المرة ، سوف يحدثها و لن يسمح لها بالفرار كعادتها ..

أسفل الدرج استقبلته ابتسامة والدته المعجبة بطلته هاتفة :

- أوه ما شاء الله ، إلى أين أيها الوسيم بكل هذه الأناقة و العيون اللامعة ؟

تقدم و قبل رأسها مثل عادته ثم ردد قائلا :

- مدعوا من قبل مراد أمي ..

اتسعت ابتسامتها قائلة بود :

- اممم سهرة شبابية إذن ، و أين مكان الدعوة ؟

أشار برأسه نافيا :

- ليست شبابية بشكل كامل ، و هي في منزله ..

قطبت حاجبيها بريبة و عادت تستفسر :

- منزله الخاص أم البيت الكبير ؟

غمغم بحذر :

- و هل يفرق ذلك أمي ؟!

وضعت يديها فوق خصرها و قد تغلب الطابع التركي الانفعالي على قولها :

- بالطبع يشكل فرق ، عموما لقد وصلت الإجابة ، كن صريح و قلها مباشرة ، أنت ذاهب لرؤية شقيقته ..

ردد من بين أسنانه بالكاد يتحكم في نبرة صوته :

- أمي ، لقد دعاني مراد و كذلك صالح و غيرنا ...

ضيقت عيونها سائلة باهتمام :

- هل تقيم زينب حفلا ؟

أجاب بهدوء :

- بل مجرد عشاء عادي ..

- و أنت تصر على الذهاب ، أليس كذلك ؟

ردد بثبات :

- بلى ، دون شك ..

حركت كتفيها قائلة ببساطة :

- حسنا ، لكني سوف أذهب معك ..

اتسعت عيونه ليشع لونها الفريد دهشة هاتفا :

- و لكن كيف ؟ هذا لا يصح ، أنت لست مدعوة أمي ..!

عادت تشير بلا مبالاة قائلة :

- و هذا خطأ من ؟! انه يدل على قلة تهذيب زينب حيث كان يجب أن تدعوني ، لذا سأذهب حتى أحرجها و أحرسك ..

خبط رأسه بعدم تصديق هاتفا لنفسه : آه يا الهي لقد فسدت السهرة قبل أن تبدأ

حاول إثنائها عن عزمها قائلا :

- أمـي ....

لكنها قاطعته مشيحة بكفها قائلة بحزم :

- لا تحاول حتى ، لقد اتخذت قراري و انتهى الأمر ..

ثم تحركت صاعدة الدرج بينما تردد :

- حذار أن تتحرك من هنا ، سأعد نفسي بسرعة لتصطحبني معك ..

دفن وجهه بين كفيه زافرا بقهر قبل أن يخرج هاتفه ضاغطا رقم منزل السيد عثمان بتتابع يحفظه ، وصله صوت زينب بعد الرنة الثالثة مرحبة بصوتها الحنون ليقول بحرج :

- مرحبا خالتي ، انه أنا شاهين ..

بادلته التحية قائلة بود :

- لا تقل انك ستعتذر بني ، لن اقبل ذلك أبـدا ..

أجلى حنجرته محاولا التغلب على شعوره و أجابها :

- بالعكس لقد وددت الاستئذان لاصطحب والدتي معي ، فلا أحبذ تركها وحيدة و ...

قاطعته هاتفة بمرح :

- بالطبـع شاهين ، كيف تسأل هذا السؤال ! لقد فكرت مرارا بالاتصال بها و تقديم الدعوة رسميا لكني خشيت أن ترفض فقط لمعاندتي كما تحب أن تفعل دائما ، انه منزلك بني و أنت مثل مراد ، بإمكانك اصطحاب من تشاء ، لا تنس قدرية بالطبع ..

شكرها بتقدير و امتنان ثم أنهى الحديث و قد عاد البشر يملأ نفسه بينما ينتظر هبوط والدته بنفاذ صبر ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

التقى بضلعهم الثالث صالح الذي كان يهم بصف سيارته لكنه ترك المكان لشاهين احتراما لوجود والدته معه و قد استقبلته بترحاب امومي معتاد ثم تحرك ثلاثتهم إلى الداخل بعد أن سألته عن خطيبته التي اعتذرت عن مصاحبته لانشغالها بطارئ عائلي

و هناك استقبلتهم زينب بابتسامة واسعة و قد أفاضت في الترحيب بناريمان التي حدجتها بنظرة لائمة هاتفة بطريقتها المعتادة :

- كأنك تكترثين ! لو أردت حضوري لكلفت نفسك و دعوتني ..

سحبتها الأخرى من يدها ببساطة تاركة الشباب خلفها يتبادلون المزاح حول الأمر قائلة

- بل لأني اعرف انك سترفضين ، كردة فعل حمقـاء تجيدينها يا عزيزتي ..

التفتت المرأة مع نية واضحة لإعطائها ردا غير لائق لكنها تابعت بثقة :

- و لأني أردت حضورك تركت الأمر يصلك عن طريق شاهين ، و قد صدق حدسي ، تعلمين انك من العائلة تقريبا بغض النظر عن حالات جنونك المعتادة و نحن صرنا صحبة لأعوام ، لذا

لا داعي لإحدى النوبات الآن أمام الجميع ،
احتفظي بها لما بعد ..
منحتها ناريمان نظرة متنمرة دون كلمة
فلطالما تعجبت من طبيعة العلاقة بينهما ، فهما
لا تكفان عن الشجار و المشاكسة حول كل
صغيرة و كبيرة لكن رغم ذلك تشعر بزينب
قريبة من نفسها ، علاقة صداقة غريبة لم
تحاول أيهما تبديلها أو تعديل مسارها منذ
تشاركا إصابة ولديهما و عاشا التجربة الأليمة
معا بكل ما حملته من خوف و قلق ..!
كان الحضور من الشخصيات المقربين للعائلة
لذا بدت الجلسة هادئة خالية من التكلف الذي
ظهر القليل منه مع وصول نازلي لافتة إليها
الأنظار و مختلف ردات الفعل ..
مالت ناريمان على زينب التي تجاورها هامسة
بعيون ضيقة بينما تشير للفتاة التي تتقدم من
مجلسهم بصحبة مراد :
- من تكون ؟
ردت زينب بحنق لم تخفيه عن الأخرى :
- صديقة مراد ..
تابعت ناريمان قولها دون اكتراث لاقتراب
الشابين منهم :
- لم ترقني ..
رفعت زينب كتفيها قائلة ببساطة :
- لأول مره اشترك معك ونتفق على رأي ..!
قطع همسهم المتآمر صوت مراد القوي قائلا :
- مرحبا جميليّ ، ناز ترغب بتقديم التحية
(و استدرا للفتاة متابعا الحديث) تعرفين
والدتي و هذه الخالة ناريمان والدة شاهين
صديقي و بمثابة أمي الثانية ..
ثم عاد بانتباهه للسيدتين مردفا :
- نازلي صديقتي و قريبا نعد لكما مفاجأة سارة .
ازدردت زينب لعابها بوجوم بينما تختلس نظرة
لرفيقتها اللدودة كأنها تلتمس منها العون !
دارت عبارات التعارف المعتادة قبل أن يتركهم
مراد معا و يتجه حيث شاهين و صالح ..
تداولت ناريمان و ناز حديثا محايد حول الأزياء
و احدث خطوط الموضة للربيع القادم في حين
اكتفت زينب بالمشاركة بعبارات قصيرة مدعية
انشغالها بالعمل على راحة الضيوف ، بعد فترة
تلفتت نازلي حولها باحثة قبل أن تسأل برعونة :
- أين هي نرفين لا أراها ؟ أم لا زالت تجد صعوبة

في الاندماج بمثل هذه المناسبات الاجتماعية ؟
قبل أن تتمكن زينب من الرد وجدت ناريمان نفسها تثب متأهبة للدفاع بشكل فاجأها هي قبلهم :
- و لماذا تشعر هكذا ؟! ثم ما أدراك أنت بما يجول داخلها ! نرفين فتاة حساسة من الواضح انك لا تعرفينها لذا أنصحك بعدم الحديث دون بينة ..
احتقن وجه الفتاة بينما رفعت زينب حاجبيها بمرح فطالما وجهت ناريمان طاقتها العدوانية تجاه نازلي فهذا معناه أنها لن تهنأ هذه الليلة و هذا أكثر ما يسعدها ..
اعتصمت الأخرى بالصمت لاعنة غبائها فما كان عليها التطرق لما يخص معقدة العائلة ، ثم ما بالها هذه المرأة ! كأن ينقصها المزيد من المعارضين ! استحضرت أكثر ابتساماتها حلاوة قائلة :
- أنا لم اقصد أي سوء سيدتي ، فدائما وددت أن نتقارب و نصبح صديقتين ..
لم ترد ناريمان بل مالت تجاه زينب قائلة :
- تبا ، أين هي ابنتك يا امرأة ؟! لو كانت هنا لما استمعنا لهذه المتحذلقة من الأساس ..

همت الأخرى بالنهوض قائلة بحزم :
- سوف اذهب و اجلبها حتى و لو رغما عنها ..
لكنها لم تضطر لذلك لان المعنية بالأمر كانت تتجه إليهم فوق مقعدها بوجه صارم يحمل ملامح ممتعضة كأنها تساق لذلك رغما عنها بالفعل لكنها بدت جميلة رغم التوتر المسيطر عليها بوضوح ، جمال طبيعي بريء مهما تجهمت أو أهملت إظهاره يفرض نفسه طاغيا على محاولاتها ..
همس صوتها الرقيق كزقزقة الطيور قائلة بخفوت :
- مرحبا ..
حيتها ناريمان بفرح كأنها تسجل انتصارا على تلك المدعوة ناز التي لم تستسغها دون سبب محدد كما أدهشها أنها لم تحتمل تهكمها على الفتاة و قد اكتشفت كونها تحبها طالما كانت بعيدة عن شاهين الذي كان منهمكا بحديث رجولي مع رفاقه لكن فجأة شعر بتغير الهواء حوله و خفق قلبه بشكل جنوني يعلمه عن وجودها ..

رفع رأسه ليراها قادمة بهالتها البريئة التي تحفز رغبته في الحماية ليهرع إليها و يخفيها عن الأعين الفضولية بين أضلعه المتلهفة عليها منذ أول لقاء عندما سرقت إحدى خفقاته و رفضت إعادتها ليعاني هو بحثه الدائم عنها في كل الأوجه دون فائدة ، فقد نذر قلبه لها وحدها و مستعد لانتظارها ما شاءت شرط أن تشعر به في النهاية ..

عندما عجز عن متابعة الحوار الدائر حوله انسحب بهدوء إلى الشرفة الجانبية و راح يراقبها دون كلل ..

تبادلت بضعة أحاديث مقتضبة مع السيدات المشاركات في الجلسة بعيون زائغة كأنها تبحث عن ملاذ يحتويها و لا تجد !

تمتمت بشيء ما قبل أن تتراجع للشرفة لعلها تتمكن من السيطرة على أعصابها المشدودة كالوتر ..

دلفت إليها تحيطها عناقيد الأزهار التي تحدت الصقيع و الثلوج و تشبثت بأعناقها رافضة السقوط ، استنشقت عميقا لتملأ رئتيها بالعبير البارد مما أنعش روحها ..

و كما العادة عندما تكون وحيدة نبذت سجانها و حررت ساقيها لتقف مستنده على السور الرخامي المتجمد تحت أناملها الرقيقة ..
بدت كتمثال مرمري نحت بمهارة فنان شغوف يعشق تجسيد الجمال مما أوقف أنفاس ذلك المراقب المتواري بين الظلال حتى كاد يغص طالبا منها الرحمة و خلع ثوب الحزن و العبوس الذي يقتات على روحها و يعذبه ..
اجل فهو يشعر أن روحيهما ممتزجتان بطريقة ما غامضة و كل ما يعكر صفوها يؤذيه مثل التوأم السيامي عندما يتألم أحدهما يشعر الآخر فاجأها اقترابه الصامت بخفة نمر بري يتحرك بحرية وسط مملكة أدغاله و أجفلها بصوته العميق عندما ردد بنبرة أجشة :
- هكذا أفضل كثيرا كما تعلمين ..
تراجعت بدهشة لكنه قطع عليها طريق العودة لأسرها فوق المقعد البغيض قائلا :
- لا داعي للاختباء مني نرفين ، فانا أعرفك مثل كف يدي و أدرك انك تعلنين رفضك للمجتمع بهذه الطريقة ، كأن امتناعك عن المشاركة و التواصل يعاقبهم في حين انك تعذبين نفسك فقط ..
نظرت إليه بحدة راغبة في الصراخ هاتفة أن ذلك ليس من شأنه البائس فشاهين كان آخر إنسان قد ترغب بمناقشة أمورها معه ، لكنها لم تجرؤ على النطق بحرف واحد ..
سمّرتها نظرة عينيه المخيفة التي ومضت بلونها الغريب تضيء الظلام ، خيل إليها أنها تكبر و تكبر حتى احتلت عالمها المحيط بأكمله ..
نظرة شرسة بلون اللهب الأزرق المشتعل اخترقت روحها و اطلعت على خبايا نفسها ، تساءلت بهلع كيف يستطيع فعل ذلك ؟! بمجرد أن تبرق أحداقه وترعد سمائها حتى ينفذ داخلها كما لم يفعل أيا من اقرب الناس إليها نافضا التراب عن ما تدفنه عميقا وهذا يجعلها تخافه أكثر و تتعمد الابتعاد عن مجاله الصاعق ..
كانت تشبهه دائما بالصقر المنقض الذي لا يترك فريسته تفلت من بين براثنه أبدا ، أخيرا استطاعت النطق بعبارة ظاهرها التلعثم و باطنها ارتباك لا حد له :
- اذهب من هنا ، ارغب في البقاء وحدي ..

غمغم بصوت استعار من صفحة السماء التي تغطيهم نعومتها المخملية قائلا :

- الم تكتفي من الوحدة نرفي ! إلى متى تتجرعين مرارة ذلك وحدك كأنك ارتكبت إثما لا يغتفر !

زفرت بحدة هاتفة :

- أنت لا تعلم ما تتحدث عنه ..

تابع بثبات و إدراك :

- بل اعرف أكثر مما تتخيلين ، تبا اخرجي من تلك الأوهام ، ليس نهاية الكون انك وثقتِ بوغد حقير ! و ليس البقية مثله ..

التفتت إليه مع شهقة خافتة قبل أن تسأل بذهول جلي :

- كنت تعرف ؟!!!

أومأ بقوة و قد عزم على تنفيذ قراره بالكف عن السلبية بحجة عدم خدشها :

- اجل ، لقد كنت هناك ذلك اليوم و كل يوم سبقه ، كنت دائم الزيارة للمشفى لأتقصى أخبارك و اطمئن لكني لم أجرؤ على الاقتراب منك ، أراقب من بعيد و أرى نظراتك المفتونة به لكني تحملت لأنك بدوت سعيدة ، ثم هيأ لي القدر الفرصة لسماع حديثه ، و قبل أن ادخل و أدق عنقه أبصرتك قادمة من بعيد بكل براءة و الأمل يتقافز من حدقتيكِ

لحظتها كنت استطيع إيقافك لكن شيطان الأنانية تلبسني و أردتك أن تستمعي بنفسك لتستيقظي من الوهم الذي نسجه حولك ..

أردتك أن تتألمي لتشفي و ليس لتصلي إلى هذه الحالة من الانعزال و السلبية ..

أطبقت جفنيها شاعرة بالإذلال و ذلك المشهد البشع يعاد أمامها و يجرح قلبها أكثر لأنه شهد مهانتها ، دمدمت بمحاولة لحفظ ماء وجهها :

- لكن ذلك ليس من حقك ، لقد كان أمرا خاص ، يا لك من قوي رأيت كل شيء و خزنته لترميني به بعد سنوات دون أن تفعل شيء وق.....

قاطعها قائلا بقوة :

- ما أدراك إنني لم افعل ؟ لمعلوماتك ذاك الوغد طرد من عمله هناك و ترك المدينة كلها بعد قضائه فترة لا بأس بها كمصاب في نفس المشفى حتى تعافى من الإصابات التي ألحقتها به ، من حسن الحظ أنهم خلصوه من بين يدي بصعوبة فقد كنت عازما على قتله ..

رفرف قلبها الفتي داخل قفص الضلوع بشكل

لا إرادي ، للمرة الأولى ينتابها هذا الإحساس بالحياة و تهدر دمائها بدفء امتزج بمشاعر غريبة ..

اكتنفها رضا غريب و تبخر القهر الذي كابدته لسنوات دون أن تستطيع الإفصاح لأحدهم و ظل قابع داخلها يتآكلها ببطء ، وجدت نفسها تهتف قائلة :

- أحقا فعلت به ذلك ؟!

لمعت عيونه بالبريق المألوف و أجابها ببساطه :

- بالطبع و مستعد لفعل المزيد لو سمحتي لي ، لأجلك افعل المستحيل نريفي ..

صدحت دمائها مغردة بشكل جعل وجهها يحتقن باللون القاني و قد فشل ظلام الليل بإخفائه بسبب شفافية بشرتها الناصعة و تراقص داخلها كأنها الأميرة التي هرع فارسها ليخرجها من كهف التنين بعد أن تغلب عليه بقبضته العارية و أرداه صريعا أسفل قدميها قربان لرضائها ، لكن فجأة اعتم كل ذلك و انطفأ الوهج المطل من عيونها الداكنة ..

عادت هواجسها تطفو و تطغى على تفكيرها لتحيطها بالكآبة و اليأس المتولد من عدم ثقتها المزمن قائلة :

- كن صريحا شاهين ، ليس لأجلي بل فعلتها إكراما لأخي ، منذ إنقاذه لحياتك و قد صرتما صديقين مقربين و أنت تشعر بالامتنان و تحمل له دينا في عنقك ، لا تظنني غبية و لا اعرف انك تجد بي وسيلة مناسبة لسداده ، فمراد قوي و لن يحتاج للحماية بينما شقيقته المعاقة هي نقطة ضعفه فلما لا ؟ و عليه نصّبت نفسك حارسا شخصيا لي لكني اكتفيت من ذلك و لست بحاجة للشفقة و لا التعاطف ، ابحث عن شيء آخر ترد به دينك بعيدا عني هل تفهم ؟

عض على نواجذه بعنف في محاولة لتمالك نفسه ، لقد راقب تبدل ملامحها من النقيض إلى النقيض و أراد يائسا منعها من دخول تلك المنطقة المظلمة لكنه فشل ، تبا إنها تصارع لإبعاده عنها بضراوة ! كيف ينتزع تلك الأفكار الهدامة من رأسها العنيد دون أن يكسره !

يا الهي لقد عاد لنقطة الصفر ، لم يجد أمامه سوى مهاجمتها لتهب عن الدفاع لعل ذلك يفيد

فخنق صوت قلبه الملتاع و ردد ساخرا :

- و هل ترين نفسك بحاجة لشفقة الآخرين نرفين ! لما يا ترى ؟ بسبب تشبثك الأحمق بذلك المقعد بينما تستطيعين السير أفضل مني ! أم لبنائك ذلك الحاجز حول نفسك و الاختباء خلفه!

هتفت قائلة بقهر :

- كف عن قول ذلك ، أنا لست خانعة و لا اختبئ من احد كما لا اسمح لك بمخاطبتي على هذا النحو ، كيف تجرؤ ؟!

فتنه ذلك العنفوان الذي انطلق من عيونها بينما تخطته و جلست بعناد فوق المقعد الذي أراد الإطاحة به من فوق الشرفة حتى يحرمها منه للأبد ، ثم وجهته إلى إحدى التجمعات النسائية منضمة إليهم بدماء تغلي غضبا و شعور آخر ترفض البحث حول ماهيته جعل وجنتيها تشتعلان بصورة لا تخطئها عين ..

كانت نازلي تراقب كل ذلك و لم يفتها خروج شاهين من الشرفة خلف الفتاة البادية الارتباك فقفزت بسمة ماكرة تحتل ملامحها بينما عقلها يهتف : أوه يبدو أن الصغيرة لديها أسرارها أيضا ، كما أنها ليست بسيطة كما توحي ..!

تركت أقدامها تقودها نحوها ثم مالت إليها قائلة بنبرة ذات مغزى مشيرة لاحتقان وجهها الذي أساءت تفسيره وفقا لأفكارها المعوجة :

- أرى انك أكثر شخص يقضي وقتا لطيفا في السهرة عزيزتي ، أليس كذلك ؟

قطبت الأخرى حاجبيها سائلة بحدة :

- ماذا تقصدين ؟!

رسمت ابتسامة صفراء مرددة :

- بالتأكيد الجو داخل الشرفة أكثر انتعاشا من هنا ، هذا ما قصدته بالطبع ..

زفرت نرفين بنفاذ صبر مدركة كونها تخفي معنى مختلف عما تبديه لكنها لا تود الجدل معها أكثر متعجبة من ذوق شقيقها المزري في النساء ! إن الفتاة تشع بعدم التقبل !

كبتت إحساسها و ادعت الاهتمام بالأحاديث الدائرة حولها ليصلها صوت الخالة ناريمان تحدث إحدى سيدات الجمعية مرددة بغبطة :

- بإذن الله عزيزتي ، قريبا جدا سوف نجتمع بمناسبة سعيدة عندما يعلن شاهين خطبته على ابنة شقيقتي شيري ..

علقت السيدات على الخبر بسعادة بينما شعرت نرفين بطعنة ألم كأنها تختنق و قد عمّقتها

النظرة الجانبية الخبيثة التي رمتها بها نازلي و قد بدت كما لو تكبح سيل من الضحكات المتشفية ، كانت أشبه بأفعى سامة هذه اللحظة و لم تفهم الفتاة لما خصتها بتلك النظرة كأنها معنية بالأمر ؟!

ما شأنها هي بشاهين ؟ ليرتبط بمن يشاء ذلك كله لا يهمها ، لكنها متأثرة بحديثهم و مفاجأة كونها مكشوفة أمامه بهذا الوضوح المخجل ، يا الله كم تود أن تختفي في جحر بعيد عن الجميع ، لما هم سعداء لهذه الدرجة كأن العالم قد خلا من المشكلات و المآسي ! أم لعلها الوحيدة التي تشعر على هذا النحو !!

❖❖❖

اكتفت نازلي من جلسة السيدات المملة و نظراتهم التقيميه و اضطرارها للمداهنة و استخدام اللباقة لكسب إعجابهن فهمهمت باعتذار ما و نهضت باحثة عن مراد ..

جالت عيونها في أنحاء المنزل الفخم بإعجاب كبير بكل أركانه و مفروشاته الراقية ثم أخذت تتخيل نفسها سيدته الآمرة الناهية و قد تضخم شعورها بالعظمة ممنية نفسها بأن يصبح كل هذا ملكها يوما ما ..

اقتربت بدلالها الآسر من حلقة الشباب و حديثهم المتداول عن السياسة الداخلية و تطورات الأوضاع الراهنة حتى أصبحت إلى جانب مراد قائلة بصوت ناعم يشع إغراء

- أوه ألا تملون الحديث عن العمل ..

ضحك على تعليقها ثم أحاط كتفيها برجولة قائلا بمرح :

انه ليس عن العمل ناز ، بل حديث عام حبيبتي ، ألا تتابعين الأخبار أو تطالعين الصحف أبدا !

مطت شفتيها قائلة بغرابة :

- و لما افعل ؟! أنا لا أطالع سوى المجلات التي أظهر على أغلفتها فقط ..

علق صالح بمزاح أخوي يجيده :

- أحسنتِ قولا و فعلا ، فالسياسة باتت تجلب الصداع و تسبب الشيب و التجاعيد المبكرة ..

اتسعت عيونها برهبة قبل أن تردد ببساطة :

- لهذا لا علاقة لي بها ، و لا افهم لما يحب الرجال الحديث حولها دائما أو مباريات الكرة ، حقا ألا تملون ؟!!

عاد صالح يقول :

- نحن في الأساس كائنات مملة عزيزتي ، لذا نحتاج لوجود النساء حولنا و إلا أصبحت الحياة لا تطاق ..

ضحك شاهين عاليا و قال :

- انظروا من يتحدث ! السيد عبقرينو يدلي بشهادة تاريخية الآن ، من يعلم قد تحدث المعجزة و نراه في نزهة مع خطيبته المسكينة بدلا من حاسوبه المستحوذ على كامل وقته و انتباهه تبادلوا التعليقات المازحة لبرهة قبل أن تستأثر نازلي بمراد في ركن قصي غير عابئة بنظرات والدته الحانقة التي تكاد ترتكب حماقة كأن تركلها خارج بيتها على سبيل المثال ..

- حبيبي أشكرك على الدعوة ، لقد استمتع بكوني احد أفراد عائلتك ، سعيدة جدا لأننا اقرب لبعضنا ..

ضغط يدها الناعمة بين كفيه الكبيرين قائلا :

- أنا أيضا يعجبني تآلفك السريع مع عائلتي حلوتي فذلك هو أساس نجاح و تطور علاقتنا ..

أومأت راضية بما وصلت إليه قائلة :

- اجل أنت محق و سوف افعل كل ما أستطيعه لإرضائك يا كل مرادي ..

منحها نظرة متألقة و ابتسامة راضية أدفئت قلبها و جعلتها أكثر إصرارا على عزمها ..

انتهت ندى من وضع صغيريها في الفراش و اطمأنت أن كل شيء على ما يرام ثم انسحبت إلى غرفتها تريح تشنج عضلات جسدها بحمام دافئ سريع قدر الإمكان ..

كانت تود إعداد نفسها قبل أن يخلد زوجها للنوم فقد اشتاقت إليه ..

ارتدت احد أطقم نومها الحريرية المعتادة بلون الشمس الغاربة عكس دفء بشرتها و نقائها ثم وضعت المرطب الليلي مع زينة وجه خفيفة حتى لا تبدو مبالغ فيها و لم تنس وضع رشة من عطره المفضل ..

ألقت عليه نظرة متأملة من خلال المرآة لتجده مسترخي على جانبه المعتاد من الفراش و يبدو مستغرقا في ما يعرض على شاشة حاسوبه المشرع أمامه ..

اقتربت ترفل بغلالتها الطويلة التي تلتف بنعومة حول ساقيها مع كل خطوة تخطوها ثم انضمت إليه أسفل الشراشف الوثيرة ..

انتظرت أن يلتفت مرحبا بها أو مبديا أي ردة فعل دون فائدة فقد ظل موليا كل اهتمامه لما يراه كأنه منفصل عن الواقع !

تناولت إحدى المجلات من جانبها و أخذت تقلبها

عامدة إصدار جلبة عالية في تحركاتها علها تلفت انتباهه ، زفرت بحنق ثم ألقت بها من يدها و استبدلتها بهاتفها ثم أخذت تقلب فيه متململة بقدر إمكانها لكنه لم يلتفت أيضا !

ماذا عليها أن تفعل أكثر ؟! تضربه بالمزهرية فوق رأسه أم تفتعل حريق بالغرفة !

حثها عقلها على أن تكون أكثر جرأة فمالت تجاهه واضعة كفها فوق الشاشة حتى لا يسقط بصرها على الجراحة التي تعرض أمامه و يتابعها بتركيز كبير قائلة :

- خالد .. الم تكتفي من العمل بعد ؟ لقد تأخر الوقت !

منحها اهتمامه لحظة قائلا :

- بقي القليل فقط ندى ، أريد متابعة هذا الجزء الهام ، نامي أنت حبيبتي ..

زفرت قائلة بحنق :

- أنام ! ألا تريد شيئا مني ؟ أي شيء !

غمغم دون التفات ناحيتها مجيبا :

- لا لن احتاج لشيء ، ارتاحي و سوف انتهي و الحق بك ..

ألقت نفسها فوق الوسادة بعنف قائلة باستياء :

- حسنا سوف أنام ، لقد نمت بالفعل ....

اكتفائي بصمتي . لا يعني أن الأمر لا يهمني
و لكن مقدار الجرح يفوق الكلام
المرأة أرق الكائنات وأصعبها تعاملا
لدرجة أنّ وردة تُرضيها و كلمه تقتلها
أجمل ما في الحياة " إنسان"يقرأك دون حروف
يفهمك دون كلام ، يحبك دون مقابل
ليس صبري على أفعالك ضعفاً منى ولا قوة منك
بل هو احتراماً لبقايا حباً بيننا !!

بقلم / ريماس مصطفى

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

أطل الصبح بوجهه السعيد رغم الغيم المسيطر على الأجواء منذرا بيوم ماطر لكنه يظل بداية جديدة تحمل في طياتها الخير و الأمل مع تغريد الطيور المنطلقة سعيا وراء رزقها راضية بما قسمه لها خالقها ...

قامت ندى بجولتها الصباحية بين طفليها بمزاج مكفهر كأن غياب شعاع الشمس سلبها ابتسامتها و صار انعقاد حاجبيها عنوانا لليوم ..

وجدته أمامها أنيق منتعش كعادته فشعرت بالغيظ يولد تمرد جديد داخلها اقتات على أعصابها يطالب بإجراء حاسم ..
على طاولة الإفطار التي قلما يستقر عليها فاجأته بقولها :
- خالد سوف أصطحب الطفلين لقضاء بعض الوقت في منزل والداي ..
حرك كتفيه قائلا ببساطة :
- حسنا ، سوف أمر عليكم بعد المستشفى و أقلكم ..
رفعت رأسها متابعة بتحدي :
- لا أنت لم تفهم ، لست اقصد زيارة عادية بل سوف نمكث هناك لفترة من الوقت ..
أخيرا منحها انتباهه الكامل و التفت إليها مع استفسار حائر :
- ما معنى هذا ؟ بسبب عودة أدهم ؟ الأمر لا يتطلب الانتقال ! يمكنك الذهاب يوميا لو أردتِ ..
حركت رأسها قائلة بجمود :
- لا ليس لهذا السبب ، لكني أريد بعض الوقت بعيدا ، لعلك تشعر بوجودي عندها لان من الواضح إنني صرت أمرا مسلم به في حياتك ..!

زفر بجدية ثم عقد حاجبيه قائلا بهدوء مستفز:
- ندى لا داعي لكل هذا ، لم يحدث ما يستدعى تركك للمنزل !
هتفت تقاطعه و قد فاض بها الكيل :
- بالطبع لم يحدث طالما أنت لا ينقصك شيء و عملك الثمين بخير ، تمرح مع الطفلين عندما يتسنى لك الوقت ، ماذا يهم أكثر ! خالد أنا لا امزح نحن بحاجة لوقفة مع الذات و إعادة تقييم علاقتنا و أحاسيسنا تجاه بعضنا ، اعتبرها إجازة زوجية و هذا لا يعني تركي للمنزل بالعكس ها أنا أخبرك و أناقشك بعقلانية لذا رجاء احترم رغبتي ..
مسد جبينه بضيق قائلا :
- مفهومك عن العقلانية غريب ، لنفترض إنني وافقت ، كم سيدوم ذلك ؟ و هل يمنع عليّ التواصل معكم ؟
أجابت بعيون غائمة :
- الفترة لا تهم و لا اعرف مداها فذلك يتوقف على عدة أشياء ، و بالطبع بإمكانك الاتصال و الزيارة كلما رغبت ، أنا لن اخبرهم شيئا سوى إنها عدة أيام نقضيها برفقة ادهم بمناسبة عودته ..

ازدرد لعابه شاعرا بتشتت كبير فقال بمحاولة أخيرة لإثنائها :
- ندى أنا ...
قاطعته مشيرة بكفها :
- لا خالد ، لا تحاول قول شيء لست مقتنع به ، لقد رأيتها في عينيك ، ربما مع الوقت تدرك مقصدي ..
- ألا يجدر بنا الجلوس و الحديث ..!
- لقد تحدثنا مرارا ، أخبرتك انك تهملنا و لم تكترث ، أنا إنسانة احتاج أن تشعر بي و تمنحني اهتمامك قبل أن أكون زوجة في منزلك تعاملها كأحد موجوداته الثابتة !
ضغط فكية بقوة قائلا :
- حسنا لك ذلك ، سأعتبرها مثل ما ذكرت ، إجازة لبعض الوقت حتى تهدأ أعصابك لكني سآتي بشكل دوري لرؤيتكم ، هل انتظر لأقلك الآن ؟
أشاحت وجهها حتى لا تنفجر باكية و تزيد الوضع سوءا قائلة :
- لا شكرا ، هناك عدة ترتيبات علي إعدادها قبل المغادرة ، كما سأجري اتصال بمدرسة عاصم

لتقله الحافلة إلى منزل أبي ، تفضل أنت لقد تأخرت بما فيه الكفاية

رفع احد حاجبيه قائلا بضيق :

- أرى انك فكرتِ بكل شيء !

ميلت شفتيها بشبه ابتسامة قائلة :

- اجل فانا زوجة ماهرة في النهاية ..

أشار برأسه قائلا بجدية :

- بالطبع ندى أنت كذلك (ثم اخرج محفظته الجلدية و سحب منها مبلغا نقدي ، مده إليها و تابع) احتفظي به معك ، من يعلم قد تحتاجي لشيء و أنا لست في الجوار ..

ناظرت الأوراق النقدية قبل أن تردد :

- لكن هذا كثير خالد و أنا أساسا معي البطاقة ..

تناول كفها و وضعهم داخله بحزم قائلا :

- لا يهم ، احتفظي بهم تحسبا لأي طارئ ، لكن ذلك ليس معناه رغبتي في غيابك ندى بل أتمنى أن أعود ليلا لأجدك قد تراجعتِ عن الفكرة بأسرها ..

حاول الاقتراب لكنها تراجعت خطوة للخلف فتوقف ثم سحب نفس عميق واتجه لغرفة الأطفال ليمنح لانا قبلة إضافية قبل أن يغادر ..

عندها أطلقت سراح دموعها بكرم لتشارك الطبيعة في الخارج ثورتها و تختلط بدموع السماء المنهمرة بسخاء ، مدمدمة وسط شهقاتها:

- سامحني حبيبي ، أفعل ذلك لأجلنا ، حتى لا يخبو الحب في قلبي كما خبا وهج الشغف داخل كلينا ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ظل خالد واجما شارد طيلة الوقت و غالبية المتعاملين معه لاحظوا اختلافه و قلة تركيزه ، ظل ما حدث في الصباح يلاحقه و لا ينفك يتكرر داخل عقله الذي اجتهد بحثا عن الخطأ الذي أدى بهم إلى ذلك المصير الغير مبشر !

لطالما اعتبر حياته مثالية و أسرته سعيدة فكيف ينهار كل ذلك فجأة دون أن يشعر ! و لماذا الآن تتابع أمامه صور صغيريه في مختلف مراحلهم العمرية و كم تمتع بكل منها

نفض رأسه على صوت زميله حاتم يسأله بتعجب :

- ماذا بك خالد ؟! أنت لست على طبيعتك أبدا ! هل حدث ما يسوء ؟

زفر الآخر قائلا بضيق :

- يوجد حل لكل شيء يا صديقي لا تقلق ..

أومأ الآخر قبل أن يقول باسما :
- ألا تود الحديث عن الأمر ؟ ربما يساعد ذلك ، من يعلم التمسوا الحكمة من أفواه الأطباء ..
بادله خالد الابتسامة و استجاب لمحاولة زميله التخفيف عنه قائلا :
- مشكله زوجية طرأت دون أن أتوقعها ..
رفع الآخر حاجبيه قائلا :
- ليس هناك مشاكل من هذا النوع تظهر فجأة خالد ، لا بد أن يكون قبلها مؤشرات و ربما أنت لم تلاحظها ..
وافقه بهزة من رأسه قبل أن يقول بأسف :
- بهذه الجزئية انك محق ، فندى تتهمني بعدم المبالاة بها أو بالأولاد ، لا أنكر إنني منشغل كثيرا و لا اقضي معهم وقتا كافيا لكن ليس كما تصورت هي ..
كيف لم تدرك أن نجاحي و تطوري لها فيه مثلي تماما ! بفضل صفاء ذهني و استقراري الأسري الذي توفرهم لي أتقدم بعملي و أبدع فيه ..
لما لم يصلها أن هذا يعد تقديرا لوجودها في حياتي مع الطفلين !

زم حاتم حاجبيه قائلا :
- ربما لأنك تماديت في عدم الإفصاح عن ذلك يا طبيب ..
قطب حاجبيه قائلا بحيرة :
- و هل أنا بحاجة لذلك ؟! ظننتنا تخطينا هذه المرحلة و أضحينا أكثر قدرة على فهم بعضنا بعد سنوات من الزواج ..!
رد الأخر بادراك و وعي :
- لكن لا تنس إنها إنسانه و لديها مشاعر إلى جانب كونها زوجة تعرف زوجها
قلب شفتيه قائلا بعدم اقتناع :
- أنت تنظر للأمر كأعزب غير متزوج ، ماذا يفترض بي أن افعل و قد صار بيننا طفلين ؟ اجلب لها الزهور و اغني كل ليلة أسفل شرفتها !! يا الهي لقد نضجنا و تخطينا مرحلة الخطبة و الهمسات يا رجل ..
ضحك حاتم مشيرا بكفيه :
- حسنا على رسلك لقد كنت أحاول فقط بالطبع أنت اقدر مني على تدارك هذه الأمور ، بالإذن ..
قالها و غادر لمراجعة حالاته بينما بقي خالد

يمسد جانبي رأسه بتعب قائلا بغيظ :
- تبـا ندى لماذا الآن ؟! أنا لست معتاد على هذا الارتباك و لا أحب التوتر ، لم يكن يجدر بي الموافقة على تلك الحماقة من الأساس ، يا الله هل ارتدت لمرحلة المراهقة من جديد ! ليس من حقها أن تفعل بي ذلك ..
ماذا يقول والديها عنا الآن ! طفلين غير ناضجين بشكل كافٍ لحل مشاكلنا ! ثم زفر بحنق أشد و ضغط زر الاستدعاء أمامه طالبا من الممرضة قدح مركز من القهوة السوداء علها تستطيع إعادة بعضا من تركيزه الهارب ليعود لعمله الذي أهمله منذ الصباح ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

انشغلت والدة ندى في المطبخ تعد أصناف الطعام المفضلة لأفراد أسرتها المتجمعين بشكل مبهج لقلبها لولا تلك الغصة التي تخزها منذ سمعت تبرير ابنتها حول ترك منزلها و البقاء معهم لفترة ! لقد ذكرت موافقة زوجها لكنها تشعر بحدس الأم أن هناك أمرا ما خاطئ بينهما و هذا ليس حديث العهد لكنها تنتظر تلك المعتصمة بالصمت أن تتحدث من تلقاء نفسها و تخبرها عن ما تعاني منه ..
داخل غرفة المعيشة نهض ادهم تاركا الصغيرين يفترشان الأرض و قد اكتفى من مشاركتهما اللعب ثم اتجه إلى الأريكة التي تحتلها شقيقته الشاردة بذهنها لأميال بعيدة بينما تدعي مراقبتهم ..
ألقى بنفسه إلى جوارها متوسدا فخذها كما يحب أن يفعل دائما هامسا بنبرة ذات مغزى
- هل اكتفيتِ من الشرود أم ليس بعد نانو ؟
هبطت بنظراتها إليه قائلة :
- كنت أفكر فقط ، ماذا فيها سيدي المحقق !
ابتسم بخفة قائلا بادراك جلي :
- لا شيء لكني بانتظار أن تخبريني ما بك كما الأيام الخوالي ، هل تذكرين ؟ لم نكن نخفي شيئا عن بعضنا شقيقتي العزيزة ..
شاركته بهزة موقنة من رأسها مردفة :
- نعم لطالما كنا مقربين أخي ، و لا تنس أيضا هيام صديقاتي بك حتى أن البعض منهن حسدنني لأنك شقيقي ..!
تابع يكمل عبارتها ضاحكا :
- و أنت كنت تحمينني كما تفعل القطة مع

صغارها (ثم استدرك بجدية) و لن انس أيضا كيف كنت تهرعين إليّ كلما واجهتِ مشكلة بالأخص مع خالد أيام الخطبة و بداية زواجكما ، لا تنكري .. كنت أحلها ببراعة ثم سافرت بعدها و هاهي النتيجة لذا اعترفي هل تشاجرتما ؟

ضحكت على تعبير وجهه قائلة بعبث بينما تجذب شعره :

- أنت تصدق نفسك الآن ، صحيح ؟ في الواقع ارتبكنا ولم نعرف ماذا نفعل دونك سيد ادهم مستشار العلاقات الأبرز ..

رفع حاجبه بترفع قائلا بمرح :

- بالطبع ، أنا اعرف قيمتي جيدا سيدتي الجميلة و لكن لا تحاولي الهرب فلم اغفل عن سؤالي الأساسي ..

حركت رأسها قائلة :

- يا لك من لحوح ! صدق أو لا ، نحن لم نتشاجر و أنا لم اترك المنزل ، ليس على هذا النحو .. الأمر ببساطة إجازة زوجية اتفقنا عليها برضاء من الطرفين ، و كانت ستحدث لا محالة لكني انتهزت فرصة وجودك لأشبع منك و أشاركك دلال والداي فلن أتركك تهنأ به وحدك ، اطمئن لو خرجت الأمور عن السيطرة سوف الجأ إليك بالطبع ، لكن الآن خالد بحاجه ليشعر بوجودنا في حياته ..

ردد بنبرة محايدة :

- لا تضغطي عليه ندى فالأعمال لا ترحم و زوجك الآن يبني مستقبله و عليك تشجيعه

منحته نظرة حادة من عيونها الرمادية هاتفة :

- مرحى ، ها أنت تتخذ جانبه دون أن تعلم شيئا ! عليّ الاطمئنان الآن ، هل تعلم منذ متى لم نجتمع معا بخلاف ليلة عودتك من السفر ! لقد وعد الطفلين باصطحابهم للنادي مرات لا تحصى دون تنفيذ أيهم ....

اعتدل جالسا و أشار يقاطعها قائلا :

- حسنا لن أتجرأ و افعلها مجددا ، لم اقصد الانحياز لكني أتحدث من موقعي كرجل اعترك سوق العمل و اختبر المنافسة ، هذا ليس تبرير للإهمال و لكن مجرد تفسير ندى ، لا تتعاملي مع الأمر بهذه الحساسية ..

مطت شفتيها هاتفة بشكل كوميدي :

- يا للرجال ! جميعكم أفظاظ و متشابهين ..

رفع حاجبيه هاتفا بمرح :

- يا الهي أفظاظ ! ماذا حدث للغتك يا فتاة ؟!!
زمت شفتيها و قالت شارحة بوقار :
- لغتي سليمة و لا غبار عليها أيها الأجنبي ، إنها جمع فظ بالطبع ، عار عليك أن لا تعرف صفتكم المشتركة ..
تعالت ضحكاته أكثر قائلا :
- هكذا إذن ! ما رأيك أن تستعدي مع الصغيرين و سوف اصطحبكم إلى النادي لأثبت عمليا كم أنا لطيف و بعيد عن الفظاظة ..
تهلل وجهها قائلة :
- هل أنت جاد ؟
أومأ بحماس :
- بالتأكيد ، لقد اشتقت للمكان ، لا ريب انه تغير الآن ..
حركت رأسها نافية :
- بالعكس ظل كما هو ، صحيح أنا لم أذهب منذ فترة طويلة لكنه على حاله ..
وقف فاردا قامته الرجولية المتناسقة مرددا :
- هذا جيد ، خشيت أن يكونوا جددوه و طمسوا الذكريات ، إليك خطة السير ، سأقلكم إليه ثم أذهب لانجاز بعض الأعمال و أعود لنقضي الوقت معا و ربما ادعوك للعشاء في موجة كرم لا تعتادي عليها ..
قهقهت ضاحكة قبل أن تنهض قائلة بغبطة واضحة :
- أوه ذلك جميل ، يروقني هذا البرنامج ، سنستعد في غضون دقائق (ثم هتفت تناديهم) عاصم ، لانا هيا أحبائي سوف نذهب إلى النادي مع الخال ادهم ، أسرعا قبل انحسار موجة الكرم ..
تعالت الأصوات الجذلة المرحبة بالفكرة و تعلقت الصغيرة لانا بساقيه كإعلان معتاد عن رغبتها في أن يحملها ، و عندما رفعها منحته قبلتها الصاخبة تعبيرا عن امتنانها ثم تململت لينزلها و يراها تركض إلى والدتها مطالبة بصوتها الحاد الرفيع ارتداء ثوبها الأبيض المفضل و الذي لا تمل ارتدائه !
تركهم لاستعدادهم و اتجه لوالدته التي استقبلته باستفسار عن سبب جلبة الصغار و أمهم فشرح لها ما حدث و دعاها للانضمام إليهم مع والده لكنها اعتذرت لعدم استطاعتها الخروج حيث كانت تنتظر زيارة من إحدى

جاراتها و أخذت تسبغ عليهم دعواتها بقضاء وقت سعيد آملة أن تغير النزهة من مزاج ابنتها المتوتر

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

تقدمت أماني من والدها المحتل خلف مكتبه ليرفع رأسه عن أوراقه كأنما شعر باقترابها أو سبقها أريجها الطبيعي الندي ، تأملها لبرهة كانت ترتدي ملابس شتوية أنيقة ، ثوب صوفي بقصة مميزة يصل لمنتصف الساق ، أسفله سروال من نفس القماش و درجة لون أدكن ثم حذاء جلدي برقبة قصيرة و كعب مرتفع .. يحيط عنقها وشاح بلون زاهي يؤطر ذلك كله حجاب بأخف درجات ألوان ملابسها المختارة بعناية لتمنحها طلة جميلة باحتشام و رقة .. قطب حاجبيه قائلا باستفسار :

- لما أنت مرتدية حجابك و تحملين حقيبتك ؟ هل تنوين الخروج ؟!

أجلت حنجرتها و ارتدت ابتسامتها العذبة التي تعلم تأثيرها عليه قائلة :

- نعم بابا ، بعد إذنك بالطبع سوف اخرج مع سُلاف و جيجي ، كما تعلم لقد حان وقت سفرها و نريد البقاء معا ..

عبس الرجل قائلا بضيق عندما تذكر الأمر :
- لقد جن رضوان لا محالة ، كيف يوافق على سفر الفتاة بمفردها ! ما زلت أعارض قراره إلى الآن لكنه لم يكترث لي و نعتني بالتزمت ، آباء آخر الزمن ..
رفعت حاجبيها غير راغبة في مناقشته حتى لا يحدث صدام جديد بينهما ، على الأقل الآن ..
نهض عن مقعده الدوار و تقدم منها قائلا :
- ما رأيك أن نذهب في رحلة سويا ، نحن لم نسافر منذ فترة و أشعر أن العمل شغلني عنك حبيبتي ، سوف أتفرغ و اصطحبك في نزهة طويلة ، ما عليك سوى اختيار المكان الذي تودين الذهاب إليه و إخباري عنه ..
كانت تلك طريقته في صرفها عن شيء ما ، ربما يخشى أن تطالب برحلة مثل ابنة عمها فبادر بقطع الطريق عليها كعادته في إيصال عدم رضاه دون أن يرفض طلبها بشكل مباشر ، لقد صارت خبيرة في ردود أفعال والدها ..
رفعت كتفيها قائلة ببساطة :
- إذا رغبت بالسفر لا مانع لدي ، لا بد أن أغادر الآن حتى لا أؤخرهما بابا ..

منحها ابتسامته التي تعرفها جيدا قبل أن يردد برجاء :
- ألا تجلسين مع والدك قليلا ، دعينا نخرج معا إلى مكان لطيف ، ما رأيك ؟ بإمكانك الاتصال ببنات عمك و الاعتذار حتى استعد ..
قبل أن تتمكن من إيجاد رد مناسب دوى صوت مربيتها المتذمر هاتفة بينما دخلت لتضع قدح القهوة على مكتبه بعنف كاد يتسبب في سكب محتوياته الساخنة :
- يا الهي لا اصدق ، ألا تمل ! اترك الفتاة تتنفس دون دس انفك بشؤونها ، حتى جيّدا و سُلاف تريد إبعادها عنهما ! من يتبقى لها إذن ؟! أنت و المزيد منك !!
ضغط على نواجذه بحنق و غيظ هاتفا بنفس نبرتها :
- و ما شأنك أنت أيتها العجوز الفضولية ، أخبرتك مرارا أن تكفي عن التدخل بيننا ، يعلم الله لولا أنها تتمسك بك لأرسلتك بعيدا منذ دهر على الأقل ..
وضعت كفيها فوق خصرها المكتنز قائلة بكبرياء و لا مبالاة بما قاله :

- و كأنني اكترث ! أنا هنا لأجل ابنتي فقط و لولاها لما بقيت دقيقة واحدة تحت سقف واحد مع متملك غيور مثلك ، لكن احلم أن أغادر المنزل و أخلي لك الساحة ، على جثتي ..

ضاقت عيونه و هم بإلقاء رد لاذع جديد لكن منعه صوت ابنته التي وقفت بين الديكة المتصارعة هاتفة :

- بابا ، خالتي .. بالله عليكما توقفا عن المشاحنة طيلة الوقت ، أنا لا غنى لي عن كليكما و تعلمان ذلك ، أبي رجاء كف عن مضايقة الخالة أحلام لأجلي ..

غمغم قائلا باستنكار :

- أنا !! الم تري ؟ هي من بدا الاستفزاز ..

ردت السيدة بعنفوان :

- اجل بالطبع و أنت ملاك و اسم على مسمى ..

اتبعت أماني القول بإحباط :

- خالتي ! لا داعي لذلك الآن فلم يحدث شيء يستحق ..

ثم التفتت لوالدها قائلة :

- بابا سامحني لا استطيع البقاء معك ، ربما مره أخرى ، عليّ المغادرة الآن لقد تأخرت بما فيه الكفاية ، أتعشم أن أعود لأجد السلام يعم الأرجاء

تحركت سريعا باتجاه الباب شاكرة للخالة تدخلها الدائم لصالحها بينما شمخت السيدة برأسها كمظهر صامت للاحتفال بنصرها ، ثم غادرت خلفها عائدة إلى الملحق الخارجي الذي يعتبر بمثابة منزلها الخاص مع زوجها ..

بينما بقي هو يغمغم من بين أسنانه حاقدا :

- امرأة حمقاء و لا تطاق ، لا اعلم لما يتشبث بها الجميع ، ابنتي الآن و والدتها رحمها الله قبلها ! تبا ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

غرقت كلا من سُلاف و جيّدا في الضحك على مشاكسات العم طاهر و الخالة أحلام اللا نهائية فقالت أماني بقهر :

- يسعدني أنكما تستمتعان لكني مللت حقا ، أشعر كأني والدة لطفلين دائمي الشغب و يغاران من بعضهما ..

ربتت جيّدا على كفها قائلة برقتها الفياضة :

- ستتحسن الأوضاع حبيبتي ، لا بد أن يحدث ذلك تفاءلي بالخير ..

رفعت حاجبيها قائلة بتأثر :

- أتعلمي ، لقد غيرت رأيي و لم اعد أريدك أن تسافري جيجي ، ماذا افعل بدونك يا فتاة ! سأفتقدك للغاية ..

عندها أجلت سُلاف حنجرتها هاتفة باستنكار مضحك :

- هاي يا آنسة ، راعي مشاعري على الأقل ، أين ذهبت أنا ! لكنك محقة في أمر افتقادها ، لقد بدأت اندم على اقتراحي الأحمق كلما اقترب موعد الرحلة ..

رسمت تعبير باكي على وجهها و تابعت قائلة :

- لا تتركينا جيجي لقد تراجعت ، لكن إذا كنت ستجلبين كل الأغراض المسجلة في قائمتي المتواضعة لا بأس ، اذهبي ..

أجابتها ضحكات شقيقتها التي انتقلت إليها عدوى الحنين قائلة :

- اجل بالطبع متواضعة جدا ، لدرجة أنها تمتد لعدة أمتار عرضا و طولا ، لكني بدأت أهاب الأمر حقا و أفكر بالتراجع ..

علقت أماني قائلة بابتسامة :

- لو سمعك والدي سيفرح جدا و يبادر بإلغاء الحجز قبل أن تتراجعي ، فهو لا زال من اشد المعارضين للفكرة بمجملها و جادل عمي رضوان بشأنها مرارا دون فائدة ..

رفعت سُلاف حاجبيها قائلة بتعجب :

- أتساءل كيف كان عمي يسمح لك بالذهاب إلى المدرسة و الغياب ساعات النهار عن عينيه ؟! قطع استرسالهم في الحديث طفلة جميلة المظهر تركض حولهم بينما والدتها تلاحقها هاتفة :

- لانا توقفي حالا ، ستؤذي نفسك يا فتاة ..

اقتنصتها أماني الضاحكة عندما مرت جوار مقعدها في طريقها للهرب من والدتها اللاهثة خلفها و استدارت تناولها إياها قائلة :

- مرحبا أيتها الشقية الصغيرة ، لقد توقف القطار عند هذه المحطة للأسف ..

وصلت ندى إليهم قائلة بابتسامة اعتذار :

- المعذرة لقد انطلقت لانا تطارد الفراشات غير عابئة بـ.....

قطعت عبارتها عندما أدركت شخصية الفتاة التي تبادلها نفس النظرة المستطلعة هاتفة :

- أماني ..

تزامن ذلك مع هتاف الأخرى بنفس اللحظة قائلة :

- نـدى ..

اتسعت ابتسامتها و تابعت الحديث بحماس بينما تحمل طفلتها التي تناضل للوصول للأرض :

- يا لها من صدفة سعيدة ، كيف حالك مانو ؟ لم أرك منذ دهر على أقل تقدير ..

أشرق وجهها الجميل بتعبير عذب قائلة :

- اجل صحيح ، لقد اختفيتِ كليا و لم نتقابل (ثم استدارت للفتاتين و تابعت) لابد انك تذكرين سُلاف و جيّدا ..

أومأت ندى بالإيجاب قائلة :

- بالطبع ، كيف أنساهم و انتم لا تفترقون تقريبا ..

تبادل الجميع التحيات بينما هتفت سُلاف قائلة :

- شاركينا الطاولة لنعرف أخبارك ، هل كنت مسافرة ؟!

اتخذت مجلسها بعد اطمئنانها أن لانا داخل ملعب الصغار بأمان و عاصم يلهو بالقرب منها قائلة :

- لا لم أسافر لكن الزواج و مسؤولياته أخذني بعيدا ، كنت آتي للنادي بالكاد و عندها لا أفارق منطقة الصغار لذلك أنا سعيدة جدا بلقائكم

و اشعر أن تلك السنوات لم تمر ..

وافقتها أماني التي ارتجف داخلها بشكل عنيف منذ قابلت عيني ندى و تعرفت عليها و ها هي تناضل للعودة إلى حالتها الطبيعية و الثبات قائلة :

- لكن النتيجة جميلة ، صار لديك طفلان رائعان كما انك بالكاد تغيرت عن أيام الكلية

لمعت عيون ندى قائلة بصدق :

- هل هذا صحيح ؟ أحقا لم أتغير !

أجابتها سُلاف بضحكاتها المرحة قائلة :

- صدقي ، الأمر ليس مجاملة ، لقد تعرفنا عليك مباشرة ، اطمئني لم يترك الزواج بصمته بعد ..

بادلتها ابتسامة امتنان قائلة :

- على عكسك فيفي ، لقد كبرتِ و ازددتِ جمالا ، آخر مره رأيتك كنت بجديتين يا فتاة ، انظري لنفسك الآن !

رددت بانطلاق مرح :

- و لازلت بالجديلة اغلب الأوقات ، لم أتخلى عنها فانا أحبها ، لكن رأيك رفع معنوياتي جدا و لديك بصيرة ممتازة في الحكم على الآخرين طالما ترينني آنسة جميله ..

تعالت ضحكات الفتيات الأربع تصاحبها نظرات جيّدا المختلسة لابنة عمها راصدة كل خلجة تعكسها ملامحها من خلف ستار المرح الذي أسدلته ، فهي خير من تدرك ما يمثله لقاء ندى عليها ، سُلاف أيضا تعرف ذلك و ربما كان هذا احد أسباب موجة المرح التي أهدتهم إياها كعادتها الناجحة في امتصاص التوتر من حولها و استبداله بشعور الاسترخاء و السعادة ، ظاهريا على الأقل ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

دلف خالد إلى منزله يستقبله فراغ بارد غير معتاد و لا مستساغ من قِبله ، حتى عندما كان يتأخر و يصل بعد خلود طفليه للنوم لم يكن الهدوء موحشا كمحيطه الآن ..

ألقى سلسلة مفاتيحه على الطاولة الزجاجية بسأم تلاها جسده على المقعد المقابل ثم دارت عيناه حوله ..

بدا كل شيء مرتب و منسق كما العادة لكن خالي من الروح التي ألفها ، كان يجب أن تطل ندى الآن و ترحب به ثم تسأله عن يومه بعدها تسوقه مرغما إلى طاولة الطعام بينما الصغيرين متعلقين بساقيه مهللين لعودته ..

لم يجد لديه رغبة في الأكل أو العمل بل يشعر بالفتور و الضيق !

يا الله هذا الصمت يطبق عليه ، اخرج هاتفه و هم بضغط رقمها لكنه توقف قبل إتمام العملية ، لا لن يكون ذلك كافيا ..

هب من مكانه و قد تدفق داخله عزم جديد ، ثم خطف مفاتيحه و هرول إلى الخارج صافقا الباب خلفه .....

استقبله والدا ندى بالترحاب و دار بينهم حوار ودي دون التطرق لما جاء من اجله ، لا يدري لما تذكر تلك اللحظة فترة الخطبة و كف كان يجلس مع والديها مترقبا إطلالتها عليه كما الآن !

راقب باب الغرفة مرهفا السمع عله يلتقط صوت عاصم أو لانا صغيرته الحلوة ، عقد حاجبيه بعدم فهم و ترجم حيرته لسؤال لفظي قائلا :

- أين الجميع ؟!

أجابته السيدة بابتسامة حانية :

- بالخارج ، دعاهم ادهم للعشاء في النادي ،

لا بد إنهم لم يتوقعوا قدومك بني ، لكنه من حسن حظي حتى لا يذهب العشاء الذي أعددته سدى ..

غمغم بشيء ما يشكرها لكنه شعر بطعنة من الغيرة و إحساس آخر محرق ، كأنه يتم استبداله و الاستعاضة عنه !!

في الوقت الذي يعاني الضيق و الوحدة كان أفراد أسرته يمرحون غير عابئين به ! إنها حتى لم تتصل و تخبره ! تبا هل تحاول إبعاده عن حياتهم بالتدريج ؟ لكن لا ، لن يسمح بذلك أبدا خشي أن يتسبب في مزيد من الضرر لو بقي و هو في هذه الحالة الحانقة ، لهذا قرر إرجاء المواجهة حتى يهدأ و يفكر في مختلف النواحي ، بكل الأحوال ادهم صديقه و لم يخطئ عندما حاول إدخال السرور عليهم ، لكنه مستاء منها هي ..

استأذن بالانصراف رغم موجة الرفض من كلا حمويه و تشبثهما ببقائه لكنه نجح في إقناعهم بالسماح له لينال قسط وافر من النوم يعده لجدوله المزدحم في اليوم التالي ، هذا إذا استطاع النوم من الأساس ..!

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

استمرت الجلسة الرباعية يلفها مرح سُلاف المتدفق و الكثير من الأحاديث المتنوعة ، تصدرها سفر جيّدا الوشيك إلى تركيا و قد تناولوه من جميع جوانبه ، سواء التحضيرات أو عادات البلد نفسها و المد التركي الذي اجتاح الشرق مؤخرا نتيجة انتشار الدراما الخاصة بهم و سيطرتها على وسائل الإعلام بالإضافة لنجاحها في احتلال مركز الصدارة و تفوقها على غيرها من الأعمال ، ناقشوا مزايا و عيوب الأمر و الأسباب التي أوصلتهم لتلك المرحلة بثقافة و وعي كبيرين و قد استفاضت سُلاف في إبراز إعجابها و تحيزها المألوف ..

تناولت أماني كأس العصير المرطب الذي طلبته رغم برودة الجو و رشفت منه قائلة :

- على كل حال جيجي ستكون سفيرتنا هناك و ستقطع الشك باليقين بعد زيارتها

أومأت الفتاة بشكل مضحك قائلة :

- أعدك أن أتقصى الحقائق بكل دقة و موضوعية ..

قفزت أصغرهن عن مكانها قائلة بحماس :

- بهذه المناسبة ما رأيكم أن نذهب لمشاهدة

العرض الأول لأحدث فيلم تاريخي وصل مؤخرا ؟ نستطيع أن نُقل الطفلين ثم نصطحبك نانو ، وافقي رجاء و سوف تستمتعي ، لقد أشاد النقاد بهذا العمل و إنتاجه الضخم ..

قلبت شفتيها قائلة بأسف :

- لن أتمكن من ذلك فيفي ، فلدي دعوة عشاء و سوف يصل بين دقيقة و أخرى ..

منحتها جيّدا ابتسامة تفهم قائلة :

- بالطبع لا يمكن أن نؤخرك عن زوجك ، لكن بالإمكان تحديد موعد آخر لتذهبوا مع بعضكن ، بما أني لن أكون هنا يسعدني معرفة أنكم تقضون وقت لطيف معا ، لقد أرسلك الله لتعوضينهم عن غيابي ..

أومأت قائلة بتأكيد :

- تروقني الفكرة للغاية ، أنا أيضا بحاجة ماسة لهذا ، لكني لست انتظر زوجي بل ...

قطعت عبارتها عندما أبصرته يقترب بصحبة طفلها الذي يشير له على مكانها و تنتبه للمرة الأولى لما غاب عنها منذ بداية اللقاء لكن لم يعد هناك مفر منه الآن ..

موقعها من الطاولة كان في مواجهة الطريق بينما يقع ملعب الأطفال على الجانب الآخر ، تجاورها سُلاف بينما أماني و جيّدا بالمقابل ظهرهما للقادم يحث الخطى فتابعت حديثها المبتور قائلة :

- لقد وصل ...

بنفس اللحظة يدوي الصوت الرجولي بخشونته المدغدغة :

- مساء الخير ، أتعشم إنني لم أتأخر ، مرحبا للجميع ..

هل يمكن أن يتوقف الزمن و يجمد المشهد بكل عناصره لتمتد قبضة ثلجية و تعتصر دواخل الشخص حتى تزهق روحه و بنفس الوقت يعجز عن التعبير و لو حتى بشهقة الم تدل على استمرار وجوده بين الأحياء ! و تصاب خفقاته بلوثة جنون فتتخبط بصخب لا تعلم هل ترتفع أم تهبط حد التلاشي ..!

أم تهبط حد التلاشي ..!

كان هذا هو شعور أماني التي شحبت و غارت منها الدماء حتى غدت بيضاء خالية من الحياة و قد تصلب ظهرها كرد فعل وقائي لوجود ذلك الكيان الشامخ خلفها غافلا عن هوية الهيئة الرقيقة المتهاوية أمامه ، و عن كونه احدث موجة ارتباك عاتية شحنت الأجواء بطاقة كهربائية كفيلة بإحداث ضرر عظيم ..

امتدت كف جيّدا تقدم دعما صامتا لتلك التي تلقت صفعة ذكريات قاسية أعادتها لفترة من اشد فترات حياتها حلكة و ظلام ..

نهاية الفصل

دمعات القمر

القطرة الرابعة

صدح صوت المؤذن يشق عباب الكون حاملا نداء ربه للعباد أن هلموا إلى صلاة خيرا من النوم يا أصحاب الحاجات ، حان وقت تجدد اللقاء و قد نزل بردا و سلاما على روح ذلك الساهر بعد ليلة مضنية دون نوم تتقاذفه أمواج الفكر العاتية .. استسلم أدهم لمحاولات تسكين الذكريات التي اهتاجت بعد لقاء أول المساء الذي أطاح بهدوئه النفسي و قد ظن يوما انه يحظى به ..

نفض عنه الغطاء ونهض عازما على غسل قلبه قبل بدنه و الوضوء لعل صلاة الجماعة تهدهد ذلك الخافق بجنون داخل قضبان الضلوع ..

أنهى الإمام الصلاة بالتسليم و تبعه المصلين ليتفرق الجمع بعدها كُل ساعيا إلى غايته ، قادته قدميه للمتنزه القريب من المنزل رافضا العودة رغم الصقيع العتاد أول الصباح لكنه أراد مكان أرحب يسع مشاعره الثائرة لترويضها قدر المستطاع ..

اتخذ مجلسه على إحدى الأرائك الخشبية أسفل شجرة عملاقة متشعبة الأفرع ضاما الوشاح الصوفي حول عنقه التماسا للدفء المفتقد داخله رغم محاولاته المضنية لعدم العودة لتلك الهاوية قاده عقله إلى اللحظة التي انتبه فيها للجسد الرقيق المتصلب أمامه و قد شعر بذبذبة خاصة تجذبه إليه دون رؤية وجه صاحبته لكنه عرفها ما أن تحقق من شخصية الفتاة التي تجاور ندى ثم شقيقتها جيّدا التي استدارت مع ابتسامتها المميزة بتحية خافتة حيية ..

عندها ضربه الإدراك فطالما تواجدا لا ريب إنها ثالثتهم ، هي هنا أمامه بعد سنوات عجاف حرم فيها من ابسط حقوقه في العيش بقلب و عقل كاملين بعد أن سلبته إياهم و باتت حلم بعيد المنال ، و الآن يهديه القدر لقاء مع تعقله و جنونه ، أمـاني ..

التي استدارت مرغمة بوجه يحاكي وجوه الأشباح لكنه لم يفتقد أيا من روعته و بهائه ، لطالما رآها أجمل شيء في الدنيا قد يقع بصره عليه !

كانت تحمل كل ما يحبه و تمناه يوما في فتاة أحلامه الخيالية التي لم يتوقع أن تتجسد واقعا ذات يوم ..

وقفت أمامه تتلعثم بتحية خرقاء لم يميز أحرفها و هي التي كانت تنطلق على سجيتها

معه دون تحفظ ساردة كل وقائع يومها و لا تكف عن التعليقات المازحة التي تسعد أوقاته و تعطرها بسحر الحب و الأمل في مستقبل يجمعهما معا في رباط تمناه كليهما
لم تتغير بل ازداد جمالها نضجا و أنوثة أضافت لهشاشتها بعدا آخر ، الشجن ..
أجل هذا هو الجديد الذي رآه داخل عيونها التي تسكب الدفء مع طعم العسل داخل أوردته ..
لم يجرؤ على سؤالها عن أحوالها حتى لا تطعنه بأخبار عائلتها التي بالتأكيد كونتها ، يا الله لقد خشي سماع أن لها زوجا و ربما أبناء ، تخيلها مثل ندى شقيقته تركض خلف أطفالها ليزداد وخز قلبه الصارخ بالألم ..
كان يجب أن يكون كل ذلك له لولا تصاريف القدر التي فرقتهم و جعلت غيره شريكا لحياتها ، أراد أن يزأر عاليا رفضا و عدم تقبل ..
لهذا عجز عن تبادل حديث سوى معها حتى على سبيل المجاملة و لم يكن حالها أفضل لكن سرعة بديهة ندى أنقذت الجميع من حرج مميت عندما تمتمت باعتذار سريع و سحبته بعيدا عن مجالها لتعود له آلية التنفس من جديد لكن بعد تبدل عالمه و تحوله لما هو عليه من وقتها لهذه اللحظة ، مجرد عقل يدور في متاهة أسئلة بلا أجوبة و قلب مطعون بمرارة غرام كان ...

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

على الجانب الآخر كانت تشاركه السهاد و تبتلعها دوامة من الأفكار تدور بلا توقف ، فلن يخرج حبيبها من طيات التواري المتعمد كل يوم ، لقد كانت مفاجأة ظهوره قاسية و زعزعت أساسات أمانها الواهي ..
عندما لمستها نبرات صوته المألوفة أيقنت إنها كانت تحيا بنصف وعي بينما تجمد النصف الآخر حتى لا تتذكر و يجتاحها الألم من جديد فضلت العيش كآلة خالية من الشعور على عذاب فقد أحلامها و أمانيها التي تمثلت فيه ذات يوم أضاء بذهنها كما لو كان الأمس القريب ..
أطبقت جفونها تريح عينيها التي أرهقها التحديق في سقف غرفتها منذ عادت من الخارج رافضة التواصل مع أي شخص مما اقلق الخالة
أحلام بحسها الامومي المرهف ، لكنها امتثلت لرغبتها الانفراد بنفسها و نصّبت نفسها حارس على بابها لتمنع محاولات والدها الجاهدة

لاختراق عزلتها الاختيارية ..
عادت بذهنها إلى الخلف سبع سنوات أو يزيد لتتذكر مرحلة من أحب مراحل حياة كل أنثى عندما تودع طفولتها و المراهقة و تطرق أعتاب الشباب على استحياء رقيق ....
كانت تخطو نحو الثامنة عشر حثيثا تتيه فخرا بإنهاء دراستها الثانوية تاركة جيّدا خلفها عالقة فيها وحدها بينما سُلاف تتطلع إليها ..
لتدخل عالم الكبار و هالة الانبهار بالدراسة الجامعية المختلفة و البعيدة كليا عن أيام المدرسة و الصفوف التقليدية ..
أصبح من حقها ارتداء ما يحلو لها و تصفيف شعرها الذهبي كما تحب ، صحيح بحدود لكن يكفي أنها تخلصت من الزي الرسمي و العقدة المتزمتة ، ذلك يعد انجاز بحد ذاته
شعرت بنفسها حرة رغم حصار والدها الذي اعتادت عليه و تعرف كيفية التعامل معه
كانت تخطو خفيفة أشبه بالطير الطليق و تسحب أنفاس عميقة كأن هواء الحرم الجامعي يمدها بدفق من طاقة صافية تدفعها دفعا إلى الأمام ، تزهو بمظهرها الشبابي المنطلق

مرتدية جينز ازرق مع قميص قرمزي زاهي و حذاء قماشي خفيف ، تعقص تاجها الذهبي كذيل فرس طويل يتدلى على ظهرها بأناقة فطرية ..
أبصرت تجمع طلابي أمام إحدى اللوحات فاقتربت آملة انه جدول محاضراتها ، بدت صغيرة ، ضائعة وسط هذا المحيط الشاسع الغير معتاد ، أخرجت هاتفها تستطلع إذا كان أيا من زميلاتها قد اتصلت أم لعلهم لم يصلوا بعد ، فهي قد أبكرت بالحضور على كل حال ، و عندما لم تجد شحذت شجاعتها و تحركت لتبحث بنفسها عن غايتها ..
دارت حول اللوحات المعلقة هنا و هناك ، هذا إعلان و ذاك نتيجة إحدى الفرق المتأخرة ...
أخرجها من حيرتها صوت ذا نبرات أجشة مفعمة بالرجولة يوجه لها الحديث ببساطة ، فاستدارت باستفسار احتل عيونها لتطالعها هيئة واثقة مغلفة بهالة من الاطمئنان و المعرفة يرتدي جينز اسود مع كنزة قطنية خفيفة و يحمل عدة أوراق بين يديه ..

ملامح تشع بوسامة سمراء ، جاذبية خشنة و نظرات داكنة تعكس الذكاء و الفطنة ..

- مرحبا .. أنت من طلاب الفرقة الأولى ، صحيح ؟

لم تكن معتادة على التعامل مع الذكور بوجه عام فطيلة مراحلها الدراسية كانت بمدارس غير مختلطة .. للفتيات فقط ، لذا تلعثمت قائلة بخجل جلي :

- نعم ، لماذا ؟!

أضاء وجهه بابتسامة مستمتعة بتعبير وجهها الذاهل قائلا :

- لا تقلقي لقد كانت حيرتك واضحة ، و أنا هنا لمساعدتك (ثم مد لها إحدى الأوراق التي يحملها و تابع) تفضلي ، هذا جدول المحاضرات و أماكنها ، عادة يكون معلق داخل المبنى قرب القاعات ..

تناولته بابتسامة مرتبكة قائلة بدهشة :

- شكرا لكن من تكون ؟!

أجابها بثقة و بساطة :

- أنا زميل لك لكن بالفرقة الأخيرة و رئيس اتحاد الطلاب لعامين متتاليين و انوي أن يكون

هذا هو الثالث بإذن الله ، من أنشطة الاتحاد مساعدة الطلاب الجدد و تيسير بدايتهم الجامعية لينخرطوا بسهولة ، قريبا ستقام الانتخابات الطلابية هنا لذا تذكري جيدا اسم أدهم الوكيل ..

قالها و انسحب مع ابتسامته الآسرة تاركا إياها تحدق في أثره مبهورة فاغرة فاها كالبلهاء و قد انطبعت أحرف اسمه داخل ذهنها بقوة فحركت شفتيها بتمتمة خافتة لا تكاد تسمع :

- مرحبا و أنا أماني ..

بمرور الوقت أصبحت أكثر دراية بالأماكن و التقت بعضا من زميلاتها القدامى فلم تعد وحدها لكن ذلك لم يعنيها حيث دأبت عيونها على السعي بحثا عنه ..!

لم تهتم بالمحاضرات أو الأساتذة بل صار هو احد معالم الكلية الأساسية بالنسبة إليها

عرفت انه الأول في كل شيء ، أول من قدم يد المساعدة و منحها انطباعها الجيد عن المكان ، الأول على دفعته و الطالب الأشهر على مستوى الفرق الأخرى ..

أول ذكر تتعامل معه بشكل مباشر ناهيك عن عمر لأنها لم تعرفه من هذا المنطلق أبدا بل كان احد أفراد العائلة دائما مثل والدها أو عمها أول من دغدغ مشاعرها الخام البريئة وأثار قلبها الفتي ، علمت انه لو طلب منها أي أمر لتبعته مغمضة العينين ، لكنه لم يقترب منها ثانية .. لكنها كانت تراه كثيرا فهو دائم التواجد بينما يبدو منشغل دائما و محاطا بالآخرين طيلة الوقت !

تبا ماذا تفعل الفتيات لتجعل شاب يعجبها يقترب منها و يحادثها ؟! حتى جيجي لا تعرف ! لقد سألتها رغم أنها تصغرها في السن ، لكنها لا تخفي شيئا عنها ..

بعد مرور فترة بداية العام المزدحمة و الغير مستقرة انتظم طلاب كل فرقة في محاضراتهم و بدأ الإعلان عن الانتخابات المعتادة بهذا التوقيت ..

سمعت اسمه يتداول بين زملائها و كيف كان مشهودا له بالخلق الرفيع ، صارت تمتص كل معلومة تقال عنه بمسامها مجتمعة ، لم يكن يكتمل يومها إلا برؤيته من بعيد حاسدة الطلاب المتواجدين في دائرته لتعاملهم المباشر معه ،

لكنها لم تقوى على أكثر من ذلك ..
إرسال نظراتها الحيية إلى حيث يتواجد بصمت خجل و جمع كل ما يتسنى لها عنه ..
مر اليوم المشهود و قد حصل في نهايته على مبتغاه و أصبح الرئيس من جديد ، و ها هو أمامها في الباحة الخارجية يتلقى تهاني و اقتراحات زملائه ..
زمت حاجبيها باستفسار ، هل تقترب منه تلك الفتاة بشكل زائد ؟ أم يخيّل إليها ؟ زاد انعقاد جبينها أكثر بغضب ثم أولتهم ظهرها مبتعدة إلى إحدى المداخل الجانبية و هناك جلست فوق السياج المنخفض و قد شغلت نفسها بالتقليب في هاتفها بشكل آلي حتى لا تنفجر باكية ..
للمرة الثانية يمسها صوته من الخلف بنفس التأثير الصاعق لمشاعرها الغضة :
- مرحبا ، أنا ادهم هل تذكريني ؟
هتف قلبها بصخب عارم : و هل هناك من يجرؤ على نسيانك ؟!!!
لكنها تمالكت نفسها و التفتت بحدة ليتحرك شعرها الذي تجمعه كالعادة في عقدة ذيل الفرس كثيف متوهج بنور الشمس التي أضفت على سبائكه لمعان الذهب المنصهر للتو ، أرسلت نظرة عاتبة قبل أن تنكس عيونها قائلة بخفوت مغري :
- نعـم ..
ميل رأسه بابتسامة ملئها الرجولة و تابع بخفة :
- لما لم تقتربي و تهنئيني إذن ؟!
ردت باندفاع طفولي :
- لقد منحتك صوتي ..
اتسعت ابتسامته كاشفة صفا منتظما من الأسنان البيضاء المعتنى بها و الدالة بوضوح على ابتعاد صاحبها عن التدخين و مثل تلك الأمور التي يتجه إليها الشباب كإثبات للرجولة أو ما شابه :
- و أنا ممتن لذلك ، لكنه ليس إجابة سؤالي ..!
زاد احتقان وجنتيها فبدت أشبه بطفلة قبض عليها والدها ترتكب ما يشين فنكست رأسها قائلة بصدق عفوي :
- لقد خجلت ..
سكن دكنة عينيه تعبير غامض حمل العديد من المعاني التي لم تتجرأ على التشبث بها قبل أن يردد برقة كأنه يتجنب خدشها بنبرات صوته :

- أنا لم اعرف اسمك حتى الآن ، فهل تسمحي ؟
غمغمت بنعومة مذيبة دون افتعال :
- أمـاني ..
ردده خلفها بتشديد الياء بشكل خاص كأنه يمنحه طابع الملكية و يوشمه بدمغته و تابع :
- يا له من اسم يليق بك ، لكنه يحمل أكثر من معنى ، فهل أنت الأمان ، أم تلك الأمنيات المستقبلية الزاهرة ؟
رفرفت أهدابها بسرعة و قد جُنت نبضاتها غير عالمة بما عليها أن تجيبه ! لكنه لم يمهلها لتفعل و أكمل قوله المفعم بالثقة :
- أنا أفضل دمج كلاهما معا ...
منذ ذلك اليوم اتخذت علاقتهم منحنى مختلف ، عندما سألته عن سبب ابتعاده بعد مساعدته الأولى ، أجابها بمزاح انه لم يرد أن تظنه طامع في صوتها الانتخابي ..
يوما خلف يوم ازداد تعمق إحساسهما ببعضهما حتى تشربت شخصيته و قوته و شيدت له بناء يطاول عنان السماء داخل قلبها المغرم ، و هو فُتن برقتها و حيائها مع جمالها المتلألئ و عذوبة روحها التي تتدفق منها دون حساب ، باختصار صارت هي كل دنياه ..

نما حبهم في النور أمام الجميع لكنه لم يخلو من المشاحنات ..!
تذكرت في البداية عندما أزعجها اقتراب فتاة بعينها منه و قد تكرر ذلك مرارا ، أحرقتها الغيرة دون أن تجد لديها الجرأة لسؤاله أو الإفصاح عنه ، و كلما حاول أن يعرفها على مجموعته المقربة ترفض و تتعلل بأسباب واهية حتى لا تقترب من تلك الفتاة بشكل مباشرة !
إلى أن جاء يوم أنهت محاضرة متأخرة لتهرع لمكانه المعتاد و تجده يجلس بجوار نفس الفتاة التي تستند عليه بشكل مريب و الأدهى انه رفع كفه و تحسس جبينها بينما عينيه تعكسان نظرة في منتهى الخصوصية ..!
عندها تسمرت في مكانها و انتحب قلبها بلوعة مزقته لأجزاء ، قتلها أن تراه يتقرب من غيرها بتلك الحميمية في الوقت الذي لم يحاول مس كفها حتى لو بشكل عفوي و من المفترض إنها حبيبته !!
استدارت مغادرة الحرم الجامعي بأسره و ظلت تحبس نفسها داخل غرفتها رافضة إجابة سيل اتصالاته بعد أن تخلفت عن الحضور لعدة أيام متتالية ..

لكنها اضطرت للذهاب تحت إلحاح زميلاتها و نظرات والدها المستفسرة ، عادت لكن ذابلة فاقدة البريق و هناك وجدته ينتظرها و قد سكنت أحداقه لهفة مشبعة بالحيرة و عدم الفهم ، لم تمنحه الفرصة للحديث و التعبير عن ما يموج داخله بسبب تصرفاتها الغير مبررة و أشاحت وجهها متجهة لداخل المبنى ..

عندها تجلت بقية طباعه التي لم تختبرها بعد .. لم يلحق بها فكبريائه كان شديد خاصة مع علمه بعدم ارتكابه ما يستحق عليه تلك المعاملة الغاضبة ، لذا ابتلع تصرفها بهدوء و استدار مغادرا المكان بدوره ..

آلمها ابتعاده و ظلت طيلة الوقت جالسة داخل القاعة عيونها مسمرة على بابها أملا في دخوله لكنه لم يفعل حتى شارف اليوم على الانتهاء و فرغت آخر محاضرة دون أن تسمع منها حرفا و لم تفقه لانتهائها إلا بمغادرة زملائها من حولها ..!

فاجأها اقتراب الفتاة سبب النزاع تحمل ابتسامة أضاءت عيونها الرمادية اللامعة ، وضعت الكتب التي تحملها ثم جلست إلى جوارها ببساطة محببة هاتفة بود مرح :

- مرحبا ، سأدخل في صلب الموضوع دون مقدمات ، لما تغضبين شقيقي يا آنسه ؟!

انتبهت كل حواسها و استدارت بلهفة تحدق بها و لسانها يردد باندفاع لم تملك السيطرة عليه :

- شقيقك !! أدهم هو أخيكِ ؟ لقد ظننت ....

قطعت عبارتها و قد اكتسحها اللون القاني ، لتتابع الأخرى بعيون تبرق بمكر قائلة :

- ظننت ماذا ! بالمناسبة لقد حاول ادهم أن يعرفنا ببعضنا أكثر من مرة لكنك كنت تعتذرين فلم يشأ إرغامك ، أظنك خجولة بشكل زائد لكني قررت أن اكسر ذلك و ابدأ بالتحية ..

أنا ندى الوكيل ، زميلتك في نفس الكلية لكني أسبقك بعام ..

أوشكت أن تقفز و تعانقها لولا شعرة من التعقل بقيت لديها ، وجدت نفسها تهتف و قد تبدلت نفسيتها و سكنتها السعادة :

- أنا أماني ، لقد أسعدني جدا التعرف عليك ، أنا ....

أشارت بكفها قائلة بابتسامة متسعة :

- بالطبع أعرفك ، فادهم لا يكف عن الحديث عنك ، دعينا نؤجل ثرثرة الفتيات لوقت لاحق ،

عليك الآن الذهاب إليه و إزالة سوء الفهم لأنه لن يفعل طالما يوقن بعدم خطئه (قلبت شفتيها متابعة بعبث) الهرمونات الذكرية البغيضة كما تعرفين ، بينما أذهب لموعدي مع خطيبي ..

سألت باهتمام :

- أنت مرتبطة ؟

أجابت بسعادة :

- اجل ، تمت خطبتي حديثا ، انه طبيب يدعى خالد سأعرفك عليه فيما بعد فنحن سنلتقي كثيرا بالطبع ..

أومأت بفرحة غمرتها و غادرت معها القاعة و كل منهما تتجه إلى حيث ينتظر قدرها مثلما امتلك كبرياء عاليه كان لديه الكثير من حسن الإدراك و التفهم ليعتبر ذهابها إليه كلفة حتى لا يثقل عليها بالعتب ، لكنه سألها عن السبب فرددت ببساطة و صدق :

- عندما رأيتك مع ندى غضبت خاصة انك كنت تتعامل معها بشكل حميمي ..

أردف بدفء تشبع بمشاعره الجياشة التي تحررت بتصريحها المهتم قائلا :

- لقد كانت تشعر بالمرض و حرارتها بدأت في الارتفاع و مع ذلك أجّلت اصطحابها للمنزل حتى انتظرك ، لنبعد ما حدث خلف ظهورنا لكن عليك أن تسألي عن أي شيء يحدث مهما كان بسيط قبل أن تتخذي قرارك بالابتعاد ، عديني نانى ..

أومأت قائلة برقة :

- أعدك ، لا تسرع بعد اليوم ..

كان هذا الحادث هو البداية الحقيقة لعلاقة حب نقية ، صارا لا يفترقان داخل الكلية إلا وقت محاضرات كل منهما ، كثيرا ما انضمت إليهم ندى و كذلك جيّدا و سُلاف في زيارات متقطعة للمكان ، و بات الجميع يعلم برغبتهم في الارتباط عدا والدها بالطبع ..

كانت تجتهد في التحصيل لأجله حتى يفخر بها كما تفعل هي ، و في نهاية العام بلغت سعادتها مراحل خيالية لان ادهم كان أول دفعته و هي أيضا نجحت بتفوق ..

ثم خاضت معه صراعه لنيل ما هو له ، حيث كان الأحق بالتعيين في الجامعة لكن احد الأساتذة أراد وضع ابنه مكانه ، لم يستسلم أدهم و اثبت أحقيته و هي معه تسانده في كل خطوة

حتى نجحا معا و نال ما تمنى ، فعلها ليكون جديرا بها كما اخبرها لاحقا ..

عندها ذهب للقاء والدها و طلبها رسميا ، كان خاطبا يحمل مميزات يتمناها الجميع ، شاب ناجح في مقتبل العمر ينتظره مستقبل واعد و قادر على تحمل المسؤولية ، من عائلة أصيله ذات سمعة ناصعة مشهود لها ، و الأهم أنهما متحابان ..

لكن والدها كان له رأي آخر بالطبع ! اخبره صراحة انه لن يستطيع توفير مستوى معيشة مشابه لما تحيا به و صد أذنيه عن تأكيد الشاب ببذل جهده و توسلاتها الباكية برغبتها في البدء معه و التعاون سويا ..

بعدها أقدم ادهم على تصرف غير متوقع ، قدم استقالته من الجامعة ليبحث عن عمل يدر عليه عائد اكبر ، صحيح والده يشغل منصب مرموق لكنه رجل شريف دخله يسمح لعائلته بالظهور بمستوى لائق ميسور لكن دون رفاهية زائدة أو ترف و عليه الاعتماد على نفسه لبناء مستقبله ..

عندما عارضته و رفضت تضحيته بوظيفة أحلامه اخبرها برجولة و حزم انه أرادها لأجلها و الآن يتركها لأجلها أيضا و سيفعل المستحيل ليقربها منه ..

حصل على عرض للعمل بشروط جيده في إحدى الدول لم يتردد في قبوله مواجها عاصفة بكائها الرافض لغيابه واعدا انه مجرد عام واحد سيعود بعده و يطلبها من جديد ، عندها لن يرفض والدها ..

لم يخيب ظنها أو يخذلها ، فقد عمل جاهدا و حقق الكثير مختصرا سنوات من عمره بقوة إرادته و عزمه ثم عاد للوطن بظروف أفضل يعيد الكرة ليفعلها والدها ثانية و يضع المزيد من العراقيل الواهية أمام الشابين رافضا كل سبل التفاوض و قاطعا أي أمل في ارتباطهم ..

لم يقصر في المحاولة بل ساق إليه كل المقربين منه لإقناعه لكن الرجل تشبث بالرفض المطلق بتعنت عجيب ، حتى محاولات شقيقه الأكبر لم تفلح معه أو تجعله يتراجع عن موقفه ..

كما لم تؤثر به دموع أماني المنهمرة ليل نهار و لا رجائها الذي لم ينقطع ، حتى جهرها بحب ادهم الذي قوبل باستنكار شديد منه و استياء اشد وصل حد حبسها في المنزل و تحريم مغادرته

لمنع أي مقابلة بينهما ، لكنه استطاع لقائها بمساعدة جيّدا و قد نال منهما اليأس مبلغا كبيرا ..

أخبرها انه لن يستسلم طالما هي معه و سألها الزواج و الذهاب معه فوالدها لم يترك أمامهما طريق سوى ذلك ، كان يعلم انه جنون و تهور و ضغط شديد عليها لكنه الحل الأخير أمامهم .. دار عقلها بشدة ، أيمكن أن تترك والدها و تتزوج رغم إرادته ؟! لم تستطع فعلها ..

كان حبها قوي و يستطيع المواجهة لكنها عجزت عن فعلها ، عندها شعر بالخذلان و بعجز يكبله فأعلن قراره بعودته للسفر من جديد ، لكن هذه المرة لن يعود ..

قابلت ذلك بالانهيار التام و القهر الشديد ، كرهت كل شيء و رفضت الحكم الجائر على قلبها بالموت و الحرمان من حب عمرها الوحيد الذي لن تستبدله و تعوضه ما حييت ..

سقطت طريحة الفراش بمرض عجز الأطباء عن تشخيصه ، و هل لاحتضار القلب أعراض تُدرس ! إنها تستشعر فقط ..

امتنعت عن الحديث ، كانت تذرف الدمع فقط حتى جفت مآقيها و أصيبت عيونها بالحساسية و الاحتقان مما أعجزها عن فتحها أياما كُثر ..

لازمتها الخالة أحلام مع الفتاتين و قد فعلوا المستحيل للتخفيف عنها و إعادتها لحالتها الطبيعية ..

خسرت ذلك العام الدراسي دون اهتمام فمن كانت تتقدم لأجله ذهب و اخذ معه طموحها و أحلامها ..

والدها كان زائرا دائم لغرفتها لكن دون أن يتبادلا الحديث أو يعيدا فتح صفحة طويت بأسوأ طريقة ممكنة لان كل منهما خشي خسارة الآخر أكثر ..

ظلت على هذا الحال فترة طويلة ، لم يلتئم جرحها لكنها نحته في جزء مظلم من نفسها و أغلقت عليه لتكمل حياتها بروح خاوية و قلب يابس كشجرة فقدت كل أوراقها بهبة ريح ، يخفق فقط ليدفعها للحياة ..

عندما عادت لاستئناف دراستها كارهة كانت جيّدا قد أنهت مرحلتها الثانوية و التحقت بكلية الفنون فباتت ترافقها للجامعة و في كثير من الأحيان تقضي معها الوقت رافضة الذهاب لمبنى

كليتها البغيض طالما فرغ من طيف حبيبها ..
سُلاف أضحت في المرحلة الثانوية و ندى صارت أم و لم تعد تراها بترتيب قدري أعفى كلتيهما من حرج اللقاء ..
زفرت أنفاس حملت اللهيب الذي يموج به صدرها عائدة إلى الواقع بينما لسانها ينوح بلوعة كأنما اشتاق للفظ أحرف اسمه الحبيب :
- ادهـم ، لما عدت الآن ؟ آه لو تعلم كم اشتقت إليك و كم احبـك ..
أسبلت أهدابها الكثيفة على صورته التي استوطنت أحداقها التائقة لكل تفصيلة منه و عقلها يعقد مقارنة بين الحالي و السابق ..
هل ازداد اسمرارا ؟ ربما هي اللحية الخفيفة التي باتت تؤطر فكه الآن هي ما منحه ذلك المظهر الأكثر خشونة و جاذبية مهلكة لفؤادها المتيم ..
لقد بدا اكبر ، انضج و ازداد تأثيره المسيطر ..
شهقت بألم عندما ضربتها حقيقة صاعقة ،
لا ريب انه قد أصبح زوجا و لديه عائلة ..
وضعت كفها الرقيق فوق قلبها و ضغطت بقوة في محاولة لتهدئة خفقاته الجامحة ، يا لبؤسها الأبدي !!

كيف تتعامل مع هذا الواقع الجديد ؟! هناك غيرها في حياته الآن ، أنثى أخرى يحق لها التواجد معه و التنعم بقربه بينما هي محرم عليها مجرد التفكير و التمني ..
سالت عبراتها بكرم لتغرق وسادتها التي كتمت شهقاتها الملتاعة ، أيمكن أن يحمل لها شعاع الشمس القادم نهاية لهذا العذاب المحرق !
انتشلها صوت المؤذن من فيضان الدموع فنهضت من فورها تلبي ندار ربها طامعة في نيل السكينة التي يمنحها الدعاء و التوسل الإلهي ..
جففت نفسها من اثر الوضوء و تناولت رداء الصلاة لينقلها عقلها إلى ذكرى أخرى أدفأت قلبها المكلوم ....
يومها أمعنت في تأنقها تاركة خصلاتها الذهبية حرة تتوج كتفيها ببهاء حريري فاتن و ذهبت باحثة عنه لترى تأثره بجمالها داخل نظرات عينيه المعجبة ، لكنه عكس توقعاتها عندما قابلها مقطب الحاجبين تلوح إمارات الغضب و الرفض يلون محياه قائلا بصرامة :
- أمـاني ، اذهبي لغرفة الفتيات و اعقدي شعرك في الحال بعدها لنا حديث آخر ..

أطاعته دون كلمة ثم عادات إليه بعيون حائرة تحمل استفسارها فأوضح لها ببساطة انه رجل شرقي حتى النخاع و يغار على امرأته شارحا رفضه أن يتمتع الآخرين بجمالها ، كان يتحدث بلطف و لين و في النهاية سألها ارتداء الحجاب بعبارات صريحة ..

أحبت منه هذه النظرة الحامية الناضجة و شعرت أن حبه يغلفها و يحفظها كجوهرة ثمينة ، و منذ ذلك اليوم و هل ملتزمة بحجابها الذي أحبته و كلما تناولت احد أوشحتها تذكرته و رفرف قلبها كما يحدث معها الآن ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

داخل صالة المطار بالكاد وصلت جيّدا في الموعد لتلحق برحلتها بسبب إحدى المشاحنات المعتادة بين عمر و سُلاف حول دورها في سفر شقيقتها الذي ظل يرفضه لآخر لحظة ..!

ودعت الجميع بمرح ثم توارت خلف بوابة المسافرين مع بقية أفراد الفوج السياحي التي هي احد أعضائه ..

استرخت في مقعدها على متن الطائرة و قد كان من حسن حظها انه يجاور النافذة كما تحب ، لم تكن تجربتها الأولى في الطيران لكنها أول مرة دون عائلتها ..

ظلت تثرثر في الهاتف مع فيفي حتى آخر لحظة قبل الإقلاع و التنبيه بإغلاق الهواتف النقالة و الاستعداد للرحلة التي تستغرق حوالي الثلاث ساعات فقط و تصل هناك ، أي عند الثامنة صباحا على ابعد تقدير ..

خارج مبنى المطار لم يستطع عمر أن يتخلص من مزاجه النزق و سوء طباعه لذا تجنب أي حديث مع ابنة خالته الصغرى حتى لا يتفوه بما يندم عليه أمام والديها ..

بسرعة و مهارة قيادية يتقنها منذ حداثته وضع ترتيبات عودة السيارتين و قد أصر على عدم مصاحبتهم للمنزل بحجة انه سيتجه للشركة من فوره منتهزا فرصة البكور لإنهاء الأعمال العالقة ..!

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

بمجرد خروجها من صالة الوصول الرئيسية حتى صفعتها البرودة إن جازت التسمية صفعة حقيقية بأصابع فولاذية ..

برودة قارصة لم تعتاد عليها خاصة و هي لم تجرب السفر شتاء من قبل ، شعرت به يتوغل داخل جسدها حتى يلامس العظام ! أو لعله حضن الوطن الذي يحيط أبناءه و يحنو عليهم فيهون داخله الصعاب !

استبشرت خيرا بخط سير الرحلة الجيد حتى الآن ، فقد حطت الطائرة في مطار أتاتورك الدولي ، احد مطاري اسطنبول و يعد أكبرهما ، يقع في القسم الأوربي من المدينة مما يتيح لها رؤية هذا الجانب في طريقها للفندق كما يتميز بقربه من وسطها لذا لا يلزمهم وقت طويل للوصول ..

سحبت حقيبتها خلفها و اتجهت إلى الحافلة المتوسطة الحجم التي أشار إليها مرشد الفوج إلى حيث يضعون أمتعتهم و ينالوا قسطا من الراحة قبل بداية جولتهم في المدينة العريقة المزدحمة بمتاحفها و مبانيها التاريخية ..

استقبلهم العاملين بالفندق الأنيق ذو الموقع

المتميز في قلب العاصمة بترحاب شديد و بشاشة مع استعداد تام لإجابة أي تساؤلات قد تطرأ عليهم ، كما لاحظت أن الجميع يتحدث الانجليزية بطلاقة فانكسر حاجز اللغة بسهولة جاء حجزهم بالقطاع الخارجي من الفندق حيث تصطف مجموعة من الغرف تتشابه كلها في وجود شرفة مفتوحة على الحديقة الساحرة المحيطة بالفندق بأكمله ..

مساحتها صغيرة نوعا ما لكنها تحتوي على كل ما يلزمها بشكل حميمي جذاب ..

استلقت فوق فراشها الناعم يلفها أريج اللافندر المنبعث من مفروشاته القطنية تحدق عبر باب الشرفة الزجاجي بالجمال القابع خارجها الذي استنفر مشاعر الفنانة داخلها و جعلها في أقصى حالات التأهب لتسجيل كل ما يحيط بها ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

استمعت ندى لصوت رنين هاتفها يقترب منها فالتفتت لتجد صغيرتها لانا عاشقة العبث بالهواتف النقالة تحمله إليها هاتفة بفرح " بابا " فقد أبصرت صورته تملأ الشاشة ..

تناولته منها مع ابتسامة حنونة و قبلت الاتصال خافية لهفتها و شوقها :

- مرحبا خالد ..

سمعت زفرته واضحة قبل أن يجيب بهدوء بدا يحرص عليه :

- أهلا ندى ، أين كنتِ ؟ لقد اتصلت مرارا !

غمغمت معتذرة بصدق :

- المعذرة لقد كان الهاتف في غرفتي و لم استمع إليه ، لانا هي من تنبهت له ..

ذكر طفلته أدفء قلبه فقفزت البسمة تحتل شفتيه قائلا :

- حبيبتي الصغيرة دائمة الشعور بوالدها ، قبليها عني حتى أراها ..

ردت بنبرة حيادية :

- حسنا بالطبع ، اممم كيف حالك خالد ؟

ردد بصوت لونه العتاب :

- ظننتك لن تسألي أبدا ؟ كيف أبدو لك ندى ! مشتت ، مرتبك ، اشعر كغريب في بيتي ، تخيري الإجابة من بينهم أم لعل كل ما سبق هو الأصح

أجلت حنجرتها قائلة :

- خالد رجاء لقد تحدثنا في الأمر لكن يبدو انك لم تستوعب أي شيء مما قيل ! ماذا برأيك هو شعوري بالمقابل ؟ سعيدة ، مرحة ، احتفل طيلة الوقت !

أجاب بنبرة ساخرة :
- على ما أظن نعم و الدليل إنني حضرت لرؤيتكم فوجدتك في الخارج تمرحين ..
ردت بحدة و قد غلبها الانفعال هاتفة :
- و هل كان من المفترض أن ارفض دعوة أخي تحسبا لاحتمال حضورك الغير مؤكد و أفوت الفرصة على الأولاد ! بالتأكيد لن افعل ..
بدأ زمام هدوءه الظاهري يخرج عن السيطرة قائلا :
- بالمقابل عليّ أن اتصل و احجز موعدا لزيارة زوجتي و أولادي ! أهذا ما تريدينه ندى ؟
رددت بأسى :
- أتعلم ما هي المشكلة خالد ؟ انك عاجز عن تفهمي أو الشعور بي ، لن نصل لحل وسط طالما لم تدرك أن هناك خلل ..
قاطعها بحدة و أعصابه على المحك :
- بالله عليك توقفي عن المبالغة ، نحن زوجان مما يزيد عن الستة سنوات ! أي خلل في كوني تخلفت عن اصطحابكم إلى النادي أو غيره .. !
هي من قاطعه هذه المرة هاتفة بسخط :
- أرأيت ؟ لم و لن تفهم أبدا ، إلى اللقاء خالد لا رغبة لي في الحديث الآن حتى لا نرتكب المزيد من الحماقات ..
قالتها و أنهت الاتصال و قد تأجج غضبها من نفسها و منه ، فهي لم تكن بمزاج يسمح لها بالجدل من الأساس إصر ما حدث في النادي و حالة شقيقها المتردية بعد لقاءه بأماني ..
لقد حمّلت نفسها مسؤولية ذلك لعدم انتباهها آنذاك ، كان يجب عليها أن تعتذر بلباقة و تغادر قبل وصول ادهم لتجنبه ذلك اللقاء الموجع لقلبه
لكنها لم تفكر سوى بنفسها و كيف كانت بحاجة إلى تلك اللمسة الدافئة التي تمنحها الصداقة و الشعور بالمشاركة الذي يبعد الوحدة بعد أن استعمرت روحها منذ بدأ خالد الابتعاد عنها عاطفيا و تقوقع حول عمله و طموحه الطبي ناسيا شريكته في الحياة ..
لن تسامح نفسها إذا تأثر أكثر من ذلك أو فكر في السفر من جديد ..
أماني أيضا بدت كما لو رأت شبحا أزهق منها الروح ، لم يكن يجدر بهم اللقاء بهذا الشكل المفاجئ ، تبا كيف لم تنتبه و تتصرف قبل فوات الأوان !

وضعت جيّدا سماعة الهاتف الداخلي ثم هرعت تعلق حقيبتها الكبيرة المحتوية على كل أغراضها الضرورية للجولة القادمة بوضع معكوس تفضله لتكون ذراعيها حرتين دون قيد فتستطيع التقاط الصور أو تسجيل خطوط لوحاتها الأولية ثم غادرت غرفتها إلى حيث ينتظر زملائها في الرحلة ..

لقد كان المرشد الذي يصطحبهم على دراية تامة بالمدينة لذا قادهم عبر طرق سهلة مباشرة ، وجدت انه بانعطافة إلى اليمين تصل مباشرة لشط البوسفور ، أجمل أماكن المدينة و أكثرها ازدحاما و صخب ، حيث يوجد العديد من المقاهي و المطاعم ، ناهيك عن اليخوت و المراكب الشراعية المعدة لاستقبال الضيوف و تقديم جولات لمحبي الإبحار داخل المضيق الأشهر .. فتنها الجو الصحو و السماء المشرقة بشمس الظهيرة التي تربت عليهم بحنو و تمنحهم قبلات الدفء كأنها تجاهد للسيطرة على نسمات الصقيع القادمة من المياه الشفافة .. تناولوا القهوة التركية مع أصناف المعجنات اللذيذة على احد المقاهي متخذين الجلسة الجلسة الخارجية و ثرثرتهم المرحة لا تنقطع .. التقطت العديد من الصور كل منها تصلح كمشروع للوحة قادمة ..

ثم تحركوا من جديد متجهين إلى بناء اثري يعد تحفة معمارية على مقربة منهم .. اخبرهم السيد ناجي دليلهم السياحي انه يطلق عليه قصر (بيلربي) و معناه هو (سيد الأسياد) ابهرها بروعته و جماله من الداخل و الخارج و أيقظ روح الفنانة العاشقة للجمال داخلها فقررت زيارته من جديد وحدها مع دفتر لوحاتها لرسمه على الطبيعة دون مقاطعة فهي لن تكتفي بالصور التي التقطتها له ..

أعجبها التجوال سيرا على الأقدام حتى لا يفوتها رؤية شيء و قد اخبرهم الرجل عن شبكة الطرق اليسيرة موضحا أن المترو يعد أفضلها بالنسبة للسياح لأنه يتكون من خطين أساسيين الأول إلى الجنوب و الثاني للشمال مما يتيح لهم التنقل بسهولة ..

بعدها اتجهوا إلي منطقة أيوب التي اكتسبت اسمها من وجود ضريح و مسجد السلطان أبو أيوب الأنصاري و الذي يعد معلما سياحيا مهم في تركيا بشكل عام و اسطنبول بشكل خاص ..

أحبت الأسواق الشعبية المنتشرة حوله و ابتاعت منها الكثير من الهدايا البسيطة مثل أبسطة الصلاة و المسابح ذات الأحجار الملونة بالإضافة للزيوت العطرية ..

تلقت اتصال من سُلاف بمجرد تفعيلها لنظام التجوال ، استقبلت صوتها بابتسامتها الخلابة و انطلقت معها في الحديث تصف كل ما ترى كأنها تشاركها جولتها الحرة و الأخرى تثرثر بلا انقطاع مبدية إعجابها بما تسمع و كل فينة تسُب كليتها و الاختبارات حتى وصلت لمنظومة التعليم بأكملها بحنق فكاهي جعل جيّدا تغرق في الضحك متخيلة تعبير وجه شقيقتها بهذه اللحظة ..

كانت المنطقة تمتد من القرن الذهبي وصولا إلى شاطئ البحر الأسود ، و قد قامت الفتاة بمغامرة فردية حيث استمتعت بركوب التلفريك الذي اقلها من القرن إلى المقهى الأكثر شعبية في الهواء الطلق (بيرلوتي كافيه)

المكان الذي اتفقوا على التجمع عنده لنيل قسط من الراحة و تناول أقداح الشاي المنكه بعدة نكهات و تتميز به المنطقة قبل استئناف المسير ..
أثناء الجلسة ناقشهم ناجي في برنامج الرحلة و كيف يفضلون تنفيذ كل مرحلة به حيث كان لديهم العديد من المناطق الأثرية للزيارة ناهيك عن الغابات و المناطق الطبيعية المحيطة بالمدينة من عدة جهات ..
عندما اصطحبهم لمحطتهم التالية أخرجت احد المنشورات السياحية العديدة التي زودتها بهم سُلاف و أخذت تقارن الصور بما يلقيه عليهم من معلومات ..
كانوا في قلب مركز الإمبراطورية العثمانية أو ما يطلق عليه (سولتاناهميت) و تشتمل على عدة أماكن غاية في الأهمية منها على سبيل المثال قصر توبكابي ، متحف أيا صوفيا ، المسجد الأزرق ، السوق المغطى و متحف الفن الإسلامي ..
شعرت أنها مناطق غنية جدا و المدة المقررة لزيارة كل منها لن تكفيها أو ترضي فضولها حتى تستكشفها بالشكل الذي تستحق ، فهي لا تقوم بمجرد إلقاء نظرة عابرة على المكان بل تدرس كل ما يتعلق به و لا تمل من معرفة كافة المعلومات حول ظروف نشأته و تحوله إلى ما يبدو عليه الآن ..
لذلك انشغلت بوضع علامات حول الأماكن التي لها الأولوية بالزيارة و إن اضطرها ذلك للانفصال عن المجموعة إذا ما تعارضت خطواتهم مع خططها ..
بحلول المساء اصطحبهم السيد ناجي إلى مطعم شهير في المدينة يحمل اسم عربي معروف عنه التفرد بتقديم الأطعمة التركية الأصيلة لتناول عشاء مبكر ، لفتها التصميم المعماري للبناء المحتل أكثر من دور و يبدو مزدحم على الدوام ..
شكل الأطباق أسال لعابها و الروائح المنبعثة أشعرتها كم كانت جائعة ناهيك عن الدفء الذي سرى بأوصالها و يناقض البرد القارص في الخارج ..
طلبت طبقا من المشاوي التركية المُشكلة مع العديد من المقبلات الشهية ، ربما نظر إليها بعض الرفاق بتعجب لكنها لم تكترث و لم تغيرّ أيا من عاداتها فالجميع يعرف بحبها للطعام

الجيد و استمتاعها بالتعرف على كل جديد في مجال المطبخ ..
أغمضت عيونها مع إصدار أصوات التلذذ بالأنواع كلها خاصة الكباب بالفستق الذي أعجبها لدرجة إعادة الطلب منه دون تحفظ و لا اكتراث بنظرات الفضوليين حولها ..

أنهت وجبتها الحافلة و قد اتخمت بالأصناف الشهية لذا رفضت تناول الحلوى مفضلة كاس من الشاي بنكهة التفاح ، لم يختلف عن لذة ما سبق ..

كل ذلك جعل رأسها يثقل مع حقيقة كونها مستيقظة منذ الصباح الباكر و لم تنم حتى وقتها الحالي لهذا أخبرت السيد ناجي برغبتها العودة للفندق و عدم قدرتها على مشاركتهم السهرة لهذه الليلة ، و منه مباشرة إلى غرفتها الدافئة حيث أنجزت فروضها ثم اندست داخل الفراش الوثير ..

ألقت بالكتاب الذي تحمله بحنق بعد أن يئست من استيعاب كلمة رغم اهتمامها بالموضوع لكن ذهنها مشوش و عقلها يعج بآلاف الأسئلة منذ تلك الليلة عندما فاجأها شاهين بأمور كانت بعيدة عن تفكيرها !

لم تتخيل يوما أن يكون قريبا منها إلى هذا الحد و يشاركها موقف بمنتهى الخصوصية و الحرج ! ناهيك عن ملاحظات نازلي الخبيثة التي لم تكف عن رميها طيلة السهرة مدعية السذاجة و العفوية ..

لم تستسغها أبدا و لا تستطيع تقبل أن شقيقها المقرب يحبها غافلا عن تلك الهالة السيئة المشعة منها !

ألهذا الحد الحب اعمي و يحول صاحبه إلى أحمق كبير ؟!

أبعدت ذكرى تلك الفتاة و عادت للصقر الذي وضعها في مواجهة طالما هربت منها و قد أزاح اللثام عن مكامن نفسها الخفية كما لو يعرفها منذ الأزل !

كانت بالفعل تعاقب نفسها على ضعفها أمام ذلك الوغد اللئيم و السماح له بخداعها و إظهارها كمغفلة لا تمتلك العقل أو حسن الإدراك ..

جعلها تشعر إنها خالية من مظاهر الأنوثة و الجاذبية كما تسبب في تضخيم عجزها و إبراز عاهتها لتطغى على كل ما عداها ، كأنها لا تمتلك ما يؤهلها للفت انتباه احدهم و لا تستحق الإعجاب أو الحب الحقيقي ..!

تبخرت ثقتها في نفسها و الآخرين على حد السواء مفضلة أن تحيا على الهامش ، لهذا أحاطت نفسها بسياج كئيب بغرض الحامية و الاختباء ..

أن يقال عنها معقدة خيرا من مغفلة معاقة لا يقترب منها شاب إلا بمشاعر الشفقة أو الطمع في ثروة عائلتها أو حتى منصب شقيقها الحساس ..

شاهين مختلف بالطبع و منزه عن الطمع و الأنانية لكن الشفقة هي ما تتصدر مشهده و قد سئمت من كل ذلك ..

زفرت بعمق يائس و قلبها يؤلمها عند هذه النقطة ، لما لا يتركونها و شأنها ؟ إنها تريد بعض الهدوء فحسب !

والدتها تصر على اقتحام عزلتها و لا تترك لذلك سبيل و هناك والدها و بالطبع مراد و أخيرا أتى صديق هذا الأخير لتكتمل القائمة و يحاصرها بما اخبرها به ..

يا الهي ألهمني الصواب و بعض السكينة ، هل يمكن أن تعود حياتي لما كانت عليه أيام المراهقة السعيدة ؟

كانت ترغب بحياة طبيعية فقط هذا كل شيء ، فهل هو كثيـر ..!

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

فتاة أخرى ساهرة لكن لغرض مختلف ...

جالت نازلي بين المدعوين المتواجدين بالحفل المقام في القاعة الرئيسية لأحد أفخم فنادق اسطنبول تتيه دلالا بالثوب ذو القصة الجريئة الذي تصدر مجموعة العرض للموسم القادم كوسيلة دعائية متعارف عليها ..

كل ما عليها أن تفعله هو التهادي بطريقة احترافية عارضة التصميم و تقديم المعلومات حوله للسيدات الراغبات في اقتنائه ..

من ناحية أخرى يزيد ذلك من فرص حصولها على حملات إعلانيه سواء مقروءة أو مرئية ..

أخذت وقتها داخل غرفة السيدات تجدد زينتها بينما خيال مراد يحتل المرآة أمامها بطلته المهيبة و ملامحه الوسيمة مع نظرة مستنكرة تدرك إنها ستراها ما أن يعلم بمكان تواجدها و ما ترتدي ، فهو لم يخفي كراهيته لمجال عملها و ما يتطلبه من سهرات و مجاملات لا تقرها عقليته الصارمة ، لذلك لم تخبره عن هذا الحفل ..

انه عملها و هي لا تريد الابتعاد عنه فالأضواء و الشهرة تغذي روحها و جمالها يستحق أن يظهر و يعلو لكنها لا تتخيل إمكانية فقدان مراد أيضا ، لذا عليها إيجاد وسيلة لإقناعه بتركها تستمر فيه بعد زواجهما ..

نفضت أفكارها و استعادت ملامحها ذات الابتسامة الدعائية الخالية من الروح و عادت للانخراط بين المتواجدين و استئناف السهرة التي ستمتد لساعات الصباح ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

أغلق عمر حاسوبه ليستقبل والدته التي دلفت بعد نقرة على باب غرفته هاتفة بمرح :

- مساء الخير حبيبي ، الم تكتفي من العمل في الشركة لتجلبه هنا أيضا !

التفت إليها مع ابتسامته الحانية :

- مرحبا أمي ، كنت أراجع بعض النقاط التي سأناقشها في اجتماع الغد ..

جلست إلى جواره قائلة :

- ألا تفكر سوى بالاجتماعات و العمل بني ! أين حياتك الشخصية و الاجتماعية ؟ ستفقدني صوابي ..

سأل بدهشة و عدم فهم :

- لما أمي ؟ ماذا فعلت ؟!

أجابته قائلة بحنق :

- هذا هو ، ماذا فعلت ؟ لا شيء على الإطلاق و هنا المشكلة !

قطب حاجبيه بحيرة اكبر و عاد يسألها :

- المزيد من الإفصاح رجاء فلازلت لم افهم ؟ هل كان عليّ القيام بشيء و لم افعله ؟!

أشارت بكفها شارحة بصبر كما لو كانت تحدث طفلا في الرابعة من عمره :

- كان الأجدر بك أن تقضي اليوم مع ابنة خالتك لتخفف عنها غياب شقيقتها خاصة و أنت تعلم بمدى ارتباطها بها ، لكنك عوضا عن ذلك دفنت نفسك بين الأوراق و الملفات طيلة اليوم ..!

اصدر صوتا ينم عن استنكاره هاتفا :

- أوه لا .. أرجو أن لا يكون ما فهمته صحيح ، هل تقصدين بعبارة (ابنة خالتك) تلك سُـلاف !!!

أتعشم أن الإجابة بالنفي ..

ردت بنفس النبرة الحانقة :

- بالطبع هي و هل تملك غيرها في غياب جيجي ! كان يجب أن تفعل ذلك من تلقاء نفسك دون أن أذكرك ..

أطبق جفنيه لوهلة و سحب نفسا عميق ليعود إليه هدوءه الهارب قائلا ببطء :

- أمـي ، لأجل الله أنت تعلمين أننا لا نطيق بعضنا في الظروف العادية فكيف و هي صاحبة فكرة تلك الرحلة الغبية ، تحمد الله إنني لم افرغ غضبي كله عليها حتى الآن ..

شهقت بعدم تصديق هاتفة :

- أنت لست جادا ! أيعقل أن تحقد على الفتاة لأنها أهدت رحلتها لشقيقتها بمنتهى الحب !!

لا ريب إنني أفهمك بشكل خاطئ و اتركني افعل حتى لا اضطر لإخبارك رأيي صراحة في ذلك لأنه لن يروقك بالتأكيد ، الآن إليك ما سوف تفعله :

ستعتني بحبيبة قلبي فيفي و لن تتركها وحدها خاصة بهذه الفترة و هي على مشارف أداء اختباراتها ، يكفي أن جيّدا ليست معها ، عليك التعويض عنها ..

حاول الاعتراض هاتفا بحدة :

- لكن .....

قاطعته بحزم امومي تستحضره عند اللزوم بينما تنهض لتغادر الغرفة قائلة :

- لا يوجد لكن ، ستفعل ما أخبرتك به عمر و حذار أن تسيء للفتاة ، لا اعلم ما سر عدائك الظاهر لها كأنكما قد ولدتم فوق رؤوس بعضكما كما يقال !

كان يعرف تلك النبرة و ما خلفها من عدم تراجع لذا وضع رأسه فوق المكتب الخشبي بيأس بينما يكتم تأوهه :

- هذا ما كان ينقصني ، تبـــا ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

دمعات القمر لـ حسن الخلق

أطل الصباح بوجه الفتي المشبع بدمعات القمر البهية يتوق لشعاع الدفء الوهاج تهديه إياه ملكته المتوجة القادمة من خلف الأفق تختال بلونها المشرق و قد توارى أمامها الغيم خجلا و إجلال واعدا بيوم شتوي صافي خالي من العواصف ..

استيقظت جيجي مع أول إطلالة للضوء كعادتها مفعمة بالراحة و الطاقة بعد ليلة كاملة من النوم الهانئ ..

نفضت عنها الأغطية و هبت من الفراش بحماس لتنهي استعداداتها الصباحية المعتادة بسرعة البرق ثم جدلت شعرها جديلتين مما منحها شكل طفولي عابث و ارتدت معطفها السميك مع وشاح صوفي عريض بلون الشكولا قامت بلفه حول عنقها و أخيرا سحبت حقيبتها و هرعت إلى الخارج لتكتشف أول صباح لها في تلك المدينة المبتهجة

تبادلت حديث قصير مع موظف الاستعلامات الذي استقبلها بابتسامة واسعة و منحها كل المعلومات التي تحتاجها لجولة صباحية في الجوار بمجرد أن خرجت للشارع المتسع أمام الفندق

لفحتها البرودة التي اعتادت عليها حيث تصعد فجرا إلى سطح منزلها للرسم و استقبال صديقها الوفي .. الشـروق .

انعطفت حسب توجيهات الرجل لتجد نفسها في ساحة واسعة تعج بالمبكرين مثلها ، أبصرت الراكضين يمارسون رياضتهم الصباحية و هناك السائرين بتمهل كما تفعل ، جذبتها رائحة شهية أسالت لعابها فحثت الخطى تجاهها بأنف محمر و عيون لامعة ، زفيرها يشكل سحابة بخار تسبقها لكنها كانت سعيدة مستمتعة بكل ما يحيطها من جمال يوقظ المشاعر ..

سحبت نفس معطر بأريج الطبيعة الغناء بينما تفرك كفيها ببعضهما جالبة بعض الدفء الذي ملأ روحها ..

أخيرا وصلت لمصدر الرائحة ، كانت إحدى عربات الطعام المنتشرة على طول الطريق ، عندما اقتربت أكثر وجدت مالكها يعد فطائر ساخنة بدت هشة و لذيذة ، مجرد رؤيتها تجعل معدتها تقرقر رغبة في استكشافها ناهيك عن شكل العسل الذي يقطر منها بروعة ..

كان الرجل لا يتكلم الانجليزية لكن هذا لم يعقها عن طلب ذلك الإفطار الغني فأشارت له بابتسامتها الأثيرة عما تريده ثم ساعدها الشاب الذي أنهى جولته في الركض حول المكان و انضم إليها طلبا لإفطاره في معرفة مقدار المال المطلوب منها ..

حملت فطيرتها مع كوب كبير من القهوة السريعة إلى احد المقاعد الحجرية المنتشرة حول العربة حيث جلست متلذذة بوجبتها الملكية و بالمنظر الساحر أمامها و الماء يتلألأ عاكسا شعاع الشمس بروعة ..

غمرها إحساس عميق بهدوء و السلام النفسي و لم تشعر بالغربة رغم اشتياقها لأفراد عائلتها لكن الألفة و الترحيب من الجميع ألغيا المسافات حتى مع الخليط العجيب الذي يحيطها من الملامح الأوربية و الشرقية ..

يبدو أن حمُى العشق التركي ستنتقل إليها كشقيقتها الصغرى ..

نظفت أصابعها من آثار العسل و حملت فضلات طعامها إلى إحدى السلال القريبة كما فعل الأشخاص حولها ثم استأنفت جولتها الاستكشافية مع نظرة سريعة لهاتفها مستطلعة الوقت لتدرك أن أختها تغادر فراشها بهذه اللحظة تحديدا لتبدأ يومها الأول من دونها و انطلقت تدعو أن يكون شعورها مشابه لما يكتنفها من بهجة و تفاؤل ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

تأففت سُلاف لصوت التنبيه المزعج المصر على إيقاظها و كما كل صباح عزمت على تعديل ذلك الصوت الملح لنغمة أخرى أكثر لطفا دون تنفيذ فعلي ..

أعادت شعرها الطويل إلى الخلف بكسل ثم أبعدت الأغطية لترغم نفسها على مغادرة الفراش الدافئ و إغراء العودة للنوم ضاربة بالمحاضرة المبكرة عرض الحائط ..

قفزت على الدرج بصخبها المعتاد هاتفة بتحية الصباح التي وصلت لأهل المنزل بأسره و رسمت البسمة على وجه والديها المتواجدين على طاولة الإفطار بانتظارها و قد عوضتهم بعضا من غياب جيجي الذي ترك فراغ في أنفسهم لكن اتصالها اخبرهم بمدى سعادتها بالرحلة و صوتها المفعم بالمرح أرضى قلوبهم التائقة منذ تركوها في المطار ..

وضعت قدح الشاي بالحليب الذي تحب تناوله في الصباح و قفزت عن مقعدها هاتفة :

- أوه يجب عليّ الذهاب الآن ، لا أريد أن يكشر الأستاذ في وجهي و يرفض دخولي القاعة و تذهب تضحية استيقاظي المبكر هباء ، عندها لن احتمل الصدمة بالتأكيد ..

صدحت ضحكات والدتها لتعبير وجهها الكوميدي قائلة بحنان امومي فياض :

- كفي عن الركض و اهدئي ، مازال الوقت باكرا و لن يجرؤ احدهم على طرد صغيرتي الحلوة ..

طبعت على وجنتها قبلة مرحة هاتفة :

- هذا هو ما ابحث عنه ، شكرا على رفع المعنويات سيدة زهره ، بالطبع لن يجرؤ لذا عليّ أن أسرع فجيجي ليست هنا لتشرح لي المحاضرة و زملائي مثلي لا نفع و لا رجاء منهم ..

علق والدها مازحا كعادته :

- يبدو أن الدفعة بأكملها قد التحقت بالكلية خلفت أخواتهم كما فعلت يا شقية ..

مالت غامز بإحدى عينيها :

- صدقت بابا ، علينا شكر الله كل وقت أن جيجي لم تختار الالتحاق بكلية الطب مثلا و ضيعتني معها ..

تعالت ضحكات ثلاثتهم بينما ناولتها زهره لفافة صغيرة قائلة :

- لا فائدة منك لكني أفضلك هكذا ، تناولي هذه الشطيرة في الطريق فأنت لم تأكلي شيئا و هيا انطلقي في رعاية الله حبيبتي ..

أخذتها مع نظرة استياء هاتفة بمرحها الذي لا ينضب :

- حسنا سيدتي ، كأني عدت لأيام المدرسة ، لكني سأتناولها على كل حال و لاحظي انك لم تجدلي شعري اليوم كما أحب ، لي عندك واحدة زهرتي ..

قالتها و هي ترتدي معطفها و تخرج شعرها المعقود كذيل فرس من ياقته ثم حملت كتبها و حقيبة يدها الجلدية المتطابقة في نوعها مع حذائها الطويل العنق بلمسة أناقة فطرية لا تخطئها العين رغم بساطة ثيابها و عدم تكلفها ..

ما أن ألقت التحية على العم عبد الودود حارس منزلهم منذ كانت طفلة و غادرت البوابة إلى الخارج حتى فاجأها وجود تلك السيارة المألوفة أمامها !

قبل أن تستوعب ما هتف به عقلها ترجل قائدها ليؤكد ظنونها الغير قابلة للتصديق لولا إنها تراه بعيونها ! لما جاء بهذا الوقت المبكر ؟!

اقترب عمر بخطواته الحاسمة هاتفا بتحية صباح جامدة قابلتها بتعجب و تساؤل :

- عمر ! هل تريد بابا ؟ على كل حال هو في الداخل ..

قالتها و حاولت التحرك لمتابعة طريقها لكنه استوقفها قائلا :

- لا ، لم آتي لعمي فسأراه في الشركة بعد قليل ، أتيت لأجلك ..

تدلى فكها السفلي ببلاهة فلم تتوقع هذا الرد بأكثر أحلامها تفاؤلا ، نفضت عنها هذه الحالة سريعا و قالت بعبث :

- امممم دعنا نرى ، لم تنهي شجارك معي بالأمس و جئت لتكمله الآن ! يا لمزاجك الغريب ! لكن للأسف لن استطيع ذلك لان لدي محاضرة ، حظ سعيد المرة القادمة ..

أدار عينيه بنفاذ صبر قائلا بحنق :

- أنت لا تستطيعين العيش دون سخرية و مشاكسة صحيح ؟ يا الله ألهمني الصبر و اعني على احتمالها ..

ثم أشار لسيارته و تابع حديثه :

- اصعدي حتى أقلك للجامعة ..

رفعت حاجبيها و قالت بحيرة صادقة :

- لما ؟ هل أنت مريض ؟!

عض على نواجذه قائلا من بين أسنانه :

- سُلاف ، كفي عن استفزازي و إهدار الوقت ..

أشارت إليه هاتفة بغيظ :

- أنت من يعطلني الآن ، من أخبرك إنني أريد

توصيله ؟ تعلم أن لدينا سيارة أتشاركها مع أختي لكني أفضل التحرك بحرية دونها اغلب الوقت ؟ ثم منذ متى تفعلها أساسا ؟ ماذا دهاك اليوم ؟!!

تحدث بنفاذ صبر قائلا بجفاف :

- أمي طلبت مني أن أخفف عنك غياب شقيقتك ، كأنك بحاجة لذلك !

تلبستها رغبة عنيفة بلكمه لكن عوضا عن ذلك شمخت برأسها قائلة بإباء :

- ها أنت قلتها ، لست بحاجة لذلك و إن حدث و فعلت ستكون أنت آخر شخص في الكون قد الجأ إليه ، و الآن بالإذن لقد تأخرت بما فيه الكفاية ..

اندفعت في طريقها يحركها الغضب منه لكن قبضته الصارمة فوق عضدها أوقفتها من جديد هادرا :

- لا تكوني طفلة و توقفي عن العناد ، هيا اصعدي للسيارة ..

نفضت ذراعها هاتفة :

- اتركني و شأني عمر ، كلينا يعلم انك لا تريد هذا و أنا مثلك لذا وفر طاقتك لأني لن افعل سوى ما أريده ، لا تجعل مجيئك المبكر يذهب سدى هاك تناول هذه لقد فقدت شهيتي ..

دفعت شطيرتها إليه و تجاوزته دون كلمة إضافية ليراها تشير لسيارة أجرة و تستقلها عازمة على تجاهله ، بينما تخفي داخلها الكثير من القهر و خيبة الأمل ..

طحن ضروسه غضبا من تلك المدللة لكنه وجد نفسه يعود إلى السيارة و يتبعها دون إرادة ، ربما لأنه لا يحب أن تكون الكلمة الأخيرة لها أو لأنه يتصرف بغرابة منذ بداية اليوم !

أبصرها تنقد السائق أجرته و تترجل أمام المبنى الجامعي العريق ثم تدلف بخطى سريعة فما كان منه إلا أن صف سيارته بشكل عشوائي و دخل الحرم خلفها ..

كانت تسير بخطوات تضرب الأرض كأنها تنفث عن اللهب المحتدم داخل صدرها ليكتمل يومها السعيد بذلك الصوت الذي ينادي اسمها و تعرف صاحبه جيدا ، بل الأصح أنها لا تود الحديث معه ، تبا لما يتبارى الجميع لتعطيلها هذا الصباح !

يبدو انه قد كتب عليها الطرد من هذه المحاضرة التعسة ، ليتها ما جاءت !!

لم تجد بدا من التوقف و مبادلته الحديث

فالساحة شبه خالية و لا يمكنها ادعاء عدم سماعه ، زفرت بإعياء قبل أن تستدير بملامح محايدة و تردف قائلة :

- مرحبا أستاذ ماجد ..

حاصرها بعينيه الناعستين و أهدابه الكثيفة قائلة :

- أستـاذ !! عليّ قول آنسة سُلاف إذن ، أهذا ما تريدين ؟

أبعدت الارتباك قدر الإمكان قائلة بطبيعيه :

- أنت هو أستاذي و أنا مجرد طالبة ضمن الكثيرات لديك ..

اقترب خطوة و ركز نظراته عليها ملتهما تفاصيلها الجميلة بتقدير قائلا بنبرة ذات مغزى

- تعلمي انك لست مثلهن سُلاف ..

تململت في وقفتها بحرج و أخذت تتلفت حولها ملتمسة العون من إحدى زميلاتها دون فائدة :

- احم ، هل أردت إعلامي برأيك في بحثي الأخير؟

منحها نظرة مدركة لما تحاول فعله قائلا ببساطة :

- بل أردت معرفة أين كنت طيلة الفترة الماضية ؟ هل تتحاشين رؤيتي ؟!

صوت خشن مفعم بالغضب هو ما أجابه قبل أن تتمكن من فتح فمها هادرا :

- و لما ستفعل ذلك أيها السيد ؟! و بالمناسبة من تكون حتى تستوقفها بهذا الشكل الغير لائق !

امتد كف عمر يقبض على ذراعها للمرة الثانية لهذا اليوم العجيب و يلصقها إلى جواره بإشارة تملكيه واضحة ضاقت لها عينا الآخر برفض صريح قبل أن يردد بصوت جليدي :

- الأجدر أن اعلم من تكون أنت و كيف دخلت إلى هنا بالأساس ؟!

شعرت بهبوب عاصفة قادمة ناهيك أنها لم تخرج من صدمة وجود عمر و تصرفاته التي لا تجد لها تفسير حتى هذه اللحظة فتراجعت خطوة مبتعدة عن كليهما ثم وصلها صوت عمر المسيطر مردفا بخطورة :

- أنا أتواجد في أي مكان أريده ، لا توجد أبواب تغلق في وجهي ، اعتقد إنني سألتك أولا و ما زلت انتظر الرد ..

تحدثت بنبرة يشوبها الحيرة قائلة :

- عمر ! هذا لا يصح على الأقل اسمحا لي أن أعرفكما ببعضكما ، احم هذا عمر ابن خالتي و لحقيقة الأمر لا اعلم سبب حضوره للجامعة ، عمر هذا يكون الأستاذ ماجد معيد لدينا في القسم ..

تبادلا النظر بحدة قبل أن يقول ماجد بتملك مماثل :

- اعتقد أن لديك محاضرة ستبدأ الآن ، أليس كذلك ؟

عندها ردد عمر بسخرية مقصودة :

- كما اعتقد انك كنت تستوقفها قبل قليل في حديث جانبي بعيد عن الدراسة ، أليس كذلك ؟!

لم تجد بدا من التدخل بنفسها منعا لحدوث موقف حرج لا طائل منه فأجلت حنجرتها قائلة لماجد بمحاولة للثبات :

- نعم و عليّ اللحاق بها لذا نستأذن أستاذ ..

ثم جذبت عمر من ذراعه بحركة خاطفة ليتحرك معها إلى داخل المبنى ، على الأقل تدخله غير المرغوب فيه أنقذها من إجابة سؤال ماجد الذي لا تريده ..

بعد عدة خطوات استوقفها و أدارها إليه قائلا بعصبية :

- اخبريني حالا عما يجري بينكما ؟!

أجابت بنبرة صوت مستنكرة :
- بالطبع لا شيء مع انه ليس شأنك أبدا ، ثم ما الذي تفعله هنا ! لقد وضعتني في موقف حرج ، لما تظهر لي منذ الصباح و تتبعني ؟!
رفع حاجبه و تابع بإصرار :
- هذا ليس إجابة لسؤالي كما اعتقد ..!
كادت أن تصرخ من فرط القهر المختلط بالغضب لكنها سيطرت على رغبتها بأعجوبة قائلة من بين أسنانها :
- و أنا لا اعرف لما لازلت أتحدث معك و ارفع ضغط دمي !
ثم هرعت شبه راكضة بعيدا عنه ، أي مكان سيكون أفضل من التواجد معه حتى لو كان قاعة المحاضرات البغيضة !
وصلت إلى وجهتها أخيرا لتجد باب القاعة مغلقا كإعلان سخيف أن المحاضرة قد بدأت و لا سبيل لدخولها بعد المحاضر الذي وصلها صوته من الداخل .. ضربت الأرض بقدمها هاتفة بسخط :
- تبا تبا تبا ، إن ذلك الصباح كارثة من كل النواحي ، يا الله أين أنت جيجي تعالي و أنقذي أختك البائسة !

عادت جيّدا من نزهتها المنفردة لتنضم إلى رفاقها و تتابع برنامج الرحلة معهم ، أثناء جولتها بين المتاحف لفت انتباهها التشابه الكبير بين الحضارتين و كيف أثرت كل منهما الأخرى ..
أعجبها تاريخ الإمبراطورية العثمانية المتنوع و الفتوحات التي شملت قطاع كبير من الأراضي جعلها تتذكر زيارتها الأخيرة لاسبانيا و آثار أجدادها العرب هناك حيث امتدت الفتوحات الإسلامية في عز مجدها و ازدهارها ..
انتقلت من النصف الأوربي للمدينة إلى الآخر الأسيوي سيرا على القدمين عن طريق الكوبري الذي يصل النصفين عبر مضيق البوسفور و هناك جالت في عالم مختلف كأنها انتقلت لمدينة أخرى !
حتى الناس أزيائهم و طريقة عيشهم مختلفة ، المباني ، العادات ، نقلة حضارية واسعة النطاق ، اكتشفت الوجه الثاني للمدينة العامرة بالتناقضات ..
داخل احد الأحياء السكنية استوقفها مشهد الأطفال الذين تجمعوا متحدين برودة الطقس

و يمارسون ألعابا شعبية تشبه العاب طفولتها ..
أخرجت دفترها الذي حرصت على حمله مع قلم من النوع المفضل لديها و راحت تخط معالم المشهد المحبب أمامها و تنقله ببراعة و قد تجمع حولها العديد من أفراد الفوج يراقبون ما تفعل بإعجاب حتى اكتفت و انتقلوا إلى احد المقاهي المنتشرة ..

طلبوا فطائر اللحم الخاصة بالمنطقة مع أقداح الشاي بالنعناع و قد لفتها الشبه الغريب بين الأكواب الزجاجية المستخدمة لاحتسائه في كل المطاعم و حتى الفندق كأنها ماركة مسجلة عند الجميع ، كوب زجاجي شفاف صغير الحجم يقدم على طبق فخاري أنيق مع قطعة من السكر توضع بجوار الكوب بغرض استخدامها في التحلية عند اللزوم

وجدت بركن المقهى جهاز كمبيوتر موصول بشبكة المعلومات فرغبت بتفقد بريدها الالكتروني ، نهضت متجهة لمالك المكان ذو الشارب الأسود الضخم و طلبت استخدامه ... وصلها الرد باللغة التركية التي لا تفهم منها إلا القدر اليسير كما يفعل هو بالانجليزية ، لم تجد بدا من العودة للسيد ناجي ملتمسة مساعدته فتولى أمر الترجمة بكل سرور ..

كعادتها أرهفت السمع للحديث الدائر بينهم و قد أضافت بضعة كلمات لقاموسها اللغوي الجديد و علمت من ابتسامة الرجل المتسعة انه يرحب باستخدامها للجهاز و عندما أدرك أنها عربية أفاض بكلمات الترحيب و طالبها بالعودة من جديد ..

أثناء قيامها بمراجعة البريد دغدغت أذنيها نغمات شرقية ذات إيقاع مرح فالتفتت لتجد شاب ملتحي يحتضن آلة العود و يبدأ العزف و غناء قطعة قديمة مشيرا لها بالتحية ، استحسنت أدائه رغم عدم فهمها للكلمات لكن انسياب اللحن أعجبها و اثبت مره أخرى مدى اندماج الحضارتين ..

تعالت الدقات على باب أماني التي ظلت حبيسة غرفتها طيلة اليوم تارة تقنع نفسها بمحاولة النوم العصي و تارة أخرى تزرع أرضها جيئة و ذهاب ..

أدركت أن الخالة أحلام قد استنفذت كل قدراتها لتأمين خلوتها الهادئة ، و ها هو والدها يلح في اختراق عزلتها الاختيارية ..

نهضت عن فراشها بتثاقل و فتحت الباب ليدلف طاهر هاتفا :

- حبيبتي ! أنت بخير ؟ تلك المأفونة أصرت على إبعادي عنك بحجة حاجتك للنوم و الراحة ! ماذا بك ؟ هل اجلب الطبيب ؟ لما لا تتحدثي !

أشارت بيدها توقف اندفاعه قائلة بضعف :

- ها أنا بألف خير أمامك أبي ، ليس هناك حاجة للطبيب لا تقلق ..

قطب حاجبيه بينما يرميها بنظرة متفحصة :

- لما لم تغادري غرفتك إذن ؟ أريد أن اعرف ما يحدث و لا تقولي أن سفر جيّدا السبب لأني لن اقتنع ..

أطبقت جفنيها تخفي نظرة عيونها خشية أن يقرأ ما بها و يرى الطيف الساكن خلفهما ، تعلم مقدار إصراره على معرفة أي أمر يخصها لذلك أجابت مباشرة :

- شعرت بالإرهاق و أردت بعض الراحة بابا ، هذا كل شيء و قد طلبت من الخالة أحلام عدم إزعاجي لذا لا تبدأ في إلقاء اللوم عليها كالمعتاد .

زفر بعدم اقتناع فلطالما شعر بالغيرة من ارتباط ابنته الكبير بتلك المرأة :

- دعك منها الآن و استعدي للخروج ، ارتدي ملابس جميلة لأننا سنذهب إلى مطعم تم افتتاحه حديثا و بعد العشاء سأترك لك حرية اختيار المكان الذي ترغبين بالسهر فيه ..

حركت رأسها نافية :

- أجلها لليلة أخرى رجاء بابا ، فلا رغبة لي بالخروج

أصر بعناد معروف عنه :

- هراء ، بمجرد خروجك من الغرفة سيتبدل الحال ، هيا استمعي لوالدك ، سأجري بعض الاتصالات حتى تنتهي ، لا تتأخري يا فتاة ..

ألقت نفسها فوق الفراش بتعب عالمة انه لن يذعن طالما استخدم هذه النبرة و عليها تنفيذ رغبته رغم كونها لا تميل لرؤية احد أو الحديث من الأساس ..

- هـاي أيها الشارد ، اهبط إلى الأرض و انضم إلينا قليلا لو أمكن ..

لكزته شقيقته لينتبه إلى عبارة والده فعاد من إبحاره في نهر الذكريات ليبتسم في وجه والده مرددا :

- ماذا أبي ؟ المعذرة لم اسمع !

ضحك الرجل قائلا :

- بالضبط ، هذا ما كنت أقوله ، أنت لست معنا ، لما بني ؟!

تبادلت ندى مع والدتها نظرة إدراك فقد قصت عليها ما حدث و تأكيد السيدة أن لا ذنب لها فيه لم يخفف من شعورها بالذنب تجاه شقيقها ..

العائلة بأسرها كانت تعرف عن أماني و سبب رحيله الحقيقي بعد إخفاقه في الارتباط بها و قد وضع كل آماله في ذلك وقتها ..

رفع كتفيه بادعاء زائف قائلا :

- كنت أفكر في مشروعي القادم فقط ، ليس بالشيء الهام ..

تماشى معه باهتمام قائلا :

- و هل استقريت على إنشاء عمل خاص ؟ لن تعيد التفكير ؟

أومأ قائلا بتأكيد :

- اجل أبي ، لقد عقدت العزم على ذلك و بدأت الإجراءات القانونية بالفعل أرجو الدعاء بالتوفيق

انبعثت تمتمة الجميع بالدعوات الخافتة قبل أن تضيف ندى :

- هذا جيد ، من يدري قد أشفق عليك و أقدم مساعدتي ..

التفتت إليها والدتها قائلة :

- هل تنوي العمل ندى ؟!

أشارت بكفها و قالت ببساطة :

- و ما وجه الغرابة في ذلك ماما ؟ أنا إنسانه متعلمة و من حقي ممارسة طموحي الشخصي .

عادت تجادلها قائلة :

- لكن زوجك ...

قاطعتها قبل أن تكمل الحديث الذي تعرفه بقولها :

- زوجي يعمل هو الآخر و لا أظن ذلك يعنيه ، أما الأولاد فقد كبروا و لم يعودا بحاجة لرعايتي طيلة الوقت ..

قالت والدها برصانته المعتادة :

- أرى انك قررت الأمر جديا ندى ..

التقط ادهم طرف الحديث قائلا :

- و لما لا ؟ سيكون ذلك في مصلحة الجميع فهي لن تعمل في مكان غريب و بالتأكيد سوف تفيدني ، لقد قابلت احد زملائي القدامى يعمل في القطاع الحكومي و عندما علم بالمشروع رحب بالانضمام إليّ بنصف دوام ، لا اعرف إذا كنت تذكرينه نانو ، انه يدعى كامل ..

قطبت حاجبيها تفكر لبرهة قبل أن تردد :

- اممم لا اعتقد ، لكن ربما افعل لو رأيته ..

منحها والدها نظرة ذات مغزى قائلا :

- عليك مناقشة ذلك مع خالد أولا ندى ، أليس كذلك حبيبتي ؟ لما لا تدعينه للغداء معنا في الغد ؟

تململت في مقعدها و قد وصلتها الرسالة قائلة بخفوت :

- حسـنا ، بابا سوف افعل ..

بينما تاه ادهم في أفكاره من جديد ، ترى هل تجلس مع زوجها و ربما أبنائها الآن ؟ هل يلاطفها و يحاول التودد إليها ! لم تعجبه تلك التصورات فطردها من عقله بعجالة رافضا اقرانها بأي رجل فذلك يحرك الغصة الكامنة في قلبه منذ سنوات تأبى الزوال ..

يا الهي الرحمة فصورتها ترفض مغادرة عينيه حتى صوتها لا يلبث يطرق أذنيه بنغماته الشجية ، لطالما عشق أحرف اسمه من بين شفتيها حيث تنطقها بإيقاع خاص يطربه و يؤجج مشاعره ..

إلى متى يصطلي بلهيب غرامها و هي بعيدة كليا و ربما نسيت كل ما كان ؟! عليه ترويض نفسه على فعل المثل لو أراد الاستمرار في نفس المحيط الذي قد يجمعه بها ذات يوم ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

اسند عمر رأسه على حافة الفراش بحنق ، لم تغادره حالة الغليان التي ألمت به منذ رأى ذلك اللزج المعتد بنفسه يستوقف سُلاف أمامه ، لقد سيطر على رغبته بلكمه بصعوبة ..!

لم يفكر في ردة فعله مرتين ، صحيح هي مشاكسة و تسبب المشاكل دائما لكنها تظل ابنة خالته الصغيرة و شقيقة الفتاة التي يحب ، لذلك عليه حمايتها و الحفاظ عليها ، الم يفعل منذ ولادتها !

كان في السابعة من عمره عندما أنجبتها الخالة زهرة ، وقتها طلب أن يحملها فأجلسته إلى

جوارها بحنان و ناولته تلك اللفافة الوردية الضئيلة بحرص قائلة إنها ستكون مسؤوليته وعليه مراعاتها حتى تكبر و تصير عروس جميلة فنظر إلى وجهها المستدير الأشبه بوجه قطتهم البيضاء المكتنزة و لمعت عينيه و قد تألق لونهم الزفيري الآسر قائلا :

- حسنا خاله زوزو ، بالطبع سوف افعل ..

قفزت البسمة تضيء ملامحه بحلاوة الذكرى و كيف كانت تلتصق به في طفولتها و تصر على أن يحملها و يصطحبها لجلب الحلوى ..

ثم ابتعدت عنه شيئا فشيئا كلما تقدمت في العمر و ازدادت الخلافات بينهما حتى وصلا لعلاقتهما الحالية ، يكادا لا يطيقان بعضهما و لولا وجود جيّدا لتحول كل لقاء بينهم إلى حلبة ملاكمة ..

هاجمه الغضب من جديد عندما استحضر خيال ذلك المعيد و نظرته إليها ، كانت بعيدة عن الدراسة ، تحمل معنى يعرفه و هي بدت مرتبكة ، فهل تكن له المشاعر بدورها ؟ سيجن إن لم يعرف ، لماذا غضبت من وجوده هناك ؟ سيعلم ، لا بد أن يفعل ...

على الجانب الآخر كانت محور أفكاره غارقة في محاولة تفسير ما حدث ، لما تذكرها فجأة الآن بعد سفر شقيقتها ؟!

منذ تفتحت أنوثتها و لم تعد تراه في دور الأخ الذي يصر على تذكيرها به بينما يمعن في إبراز أخطائها و اختلاق المشاكل بينهم في حين يعامل جيجي بمنتهى اللطف و الرقة !

ثم قام بينهما حاجز مرتفع و اختفى تقاربهما الشديد بعصا ساحر كأن لم يكن ، كم آلمها جفائه و جعلها تتعمد مشاغبته و لا تترك فرصة تمر دون مشاكسته علها تستطيع إخماد ثورة ذلك الذي يثب بجنون لمجرد رؤيته و حواسها التي تتقد عندما تسمع صوته أو تلمح بريق عينيه المشع بلونهم الأخاذ اللاهب لمشاعرها ، عيونه التي لا ترى سوى أحب الناس لقلبها ، شقيقتها و توأم روحها ..

لما الآن عمر ؟ لماذا و قد ربطت على قلبي و اقتنعت بدورك الجديد في حياتي يا ابن الخالة ؟ هل تجد متعة في إرباكي و إثارة حيرتي !!

قفزت من فورها تلتقط حاسوبها و تجري اتصال بالكاد أخرته حتى تضمن وجود جيّدا بالفندق ،

فهي لو كانت هناك لما مكثت به إلا ساعات النوم و لحرصت على استثمار كل دقيقة حتى لو استطاعت تأجيل النوم لبعد عودتها ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

تمددت جيّدا أسفل غطائها السميك بينما تعدل من وضع الحاسوب فوق ساقيها غارقة في الضحك على تعبيرات سُلاف الحانقة و هي تقص عليها مغامرتها الكارثية كما أطلقت عليها ..

فكرت أن رحلتها أتت ثمارها بسرعة البرق ، لقد صدق حدس أماني و ها هو عمر بدأ يدرك حقيقة مسار مشاعره و يوجه اهتمامه للاتجاه الصحيح ، أليس ما حدث اليوم يعد بادرة خير ؟

سألت باهتمام قلق :

- ماذا حدث مع أماني فيفي ؟ لما لا تدخل معنا الآن ؟ الم تخبريها ؟

ردت سلاف قائلة :

- بلى بالطبع ، لكنها في الخارج مع العم طاهر ، بعد أن أصر على ذلك ، هي لم تعد لطبيعتها منذ قابلت ادهم و أنا لم ارغب في التطفل عليها ، تركتها تستوعب الأمور بروية لبعض الوقت ..

استمعت لصوت أختها توصيها قائلة :

- كوني بالقرب منها فيفي ، هي بأمس الحاجة إلينا الآن ، سأعتمد عليك حتى أعود

تحدثت بتلقائية حازمة :

- اطمئني بالتأكيد لن اتركها ، سأنقذها من نفسها و من تملك عمي و أيضا حبها البائس الذي لم تتخلص منه رغم تظاهرها بالعكس ، هل تعتقدي أن ادهم حدث له المثل ؟ لقد لاحظت شحوبه و صدمته عند رؤيتها لكن ذلك قد يكون نتيجة المفاجأة فحسب ، أليس كذلك أختي ؟

فكرت لوهلة قبل أن تردد بحيرة :

- لا اعرف فيفي ، لقد لاحظت مثلك لكن وارد جدا أن يضطرب عند رؤيتها بعد ما حدث بينهما في السابق ، لقد كان حبهما عميق و من الصعب نسيانه ، على الجانب الآخر لا نعلم شيئا عن حياته الخاصة ربما تخطى الماضي و تزوج و حتى أنجب ، ندى لم تتحدث عنه أبدا لذا لن نستطيع الحكم من ردة فعله وحدها ..

اعتدلت سُلاف في جلستها المتحفزة قائلة :

- اجل أنت محقة ، لذلك يجب على مانو أن تتعامل بطبيعية مع الأمر ، غدا بعد الكلية

سوف اصطحبها إلى النادي ، يكفيها عزلة و اكتئاب ، أوه لقد اشتقت إليك جيجي رغم إننا نتحدث الآن لكني افتقد تواجدك هنا ، إنها المرة الأولى و الأخيرة التي تسافرين بمفردك ، لن اسمح بتكرارها ..

صدحت ضحكات الأخرى مرددة :

- حسنا لا اعتراض لدي ، رغم استمتاعي بالرحلة لكن بالتأكيد وجودك كان سيمنحها طابع أكثر روعه و أكثر جنونا أيضا ، أتعلمي إنها تثلج الآن في الخارج و المنظر في الليل لا يوصف ، أحاول كبح جماحي بصعوبة حتى لا اخرج إلى الشرفة و اترك ندف الثلج تذوب على بشرتي ..

مطت الصغرى شفتيها قائلة بحنق طفولي واضح :

- لاحظي انك تثيرين غيظي و حذار أن تتحركي من مكانك و إلا أخبرت ماما ..!

تعالت ضحكات جيّدا و قالت بمرح :

- لا داعي لذلك فإغراء دفء الفراش اقوي من نزواتي الطائشة كما ارغب بمعرفة خطوتك القادمة مع مجنون سُلاف المتيم ، ماذا ستفعلين ؟

تأوهت بتذمر و رسمت تعبير ممتعض على وجهها الجميل هاتفة :

- لما تذكريني بماجد الآن ؟! ألا يكفي إنني سوف اذهب للجامعة في الصباح !

على كل حال لقد قررت الاكتفاء من الدبلوماسية لأنه لم يفهمها كما هو واضح ، سأخبره إنني لست مهتمة بعرضه صراحة ، ما رأيك أنت ؟

رفعت الفتاة حاجبيها قائلة :

- هو تصرف صائب ، لكن أليس مبكرا قليلا ! لا اقصد من جهة المشاعر ليقيني انه بعيد عنها لكن التوقيت خاصة مع اقتراب الاختبارات التي عليك التركيز بها ..

احتقن وجه سُلاف قائلة بخفوت :

- ماذا قصدت بقولك عن المشاعر ؟! لما هذا اليقين ؟ ظننتك ستقترحين أن امنح لنفسي فرصة لعل و عسى ..

ردت جيّدا بنبرة ملأتها الثقة :

- هل أنت جادة بطرح هذا السؤال حقا فيفي ! عليّ أن أجاريك الآن و أتصنع عدم الفهم أم أخبرك عن اتجاه مشاعرك الحقيقي ، الخيار لك يا حلوة ..

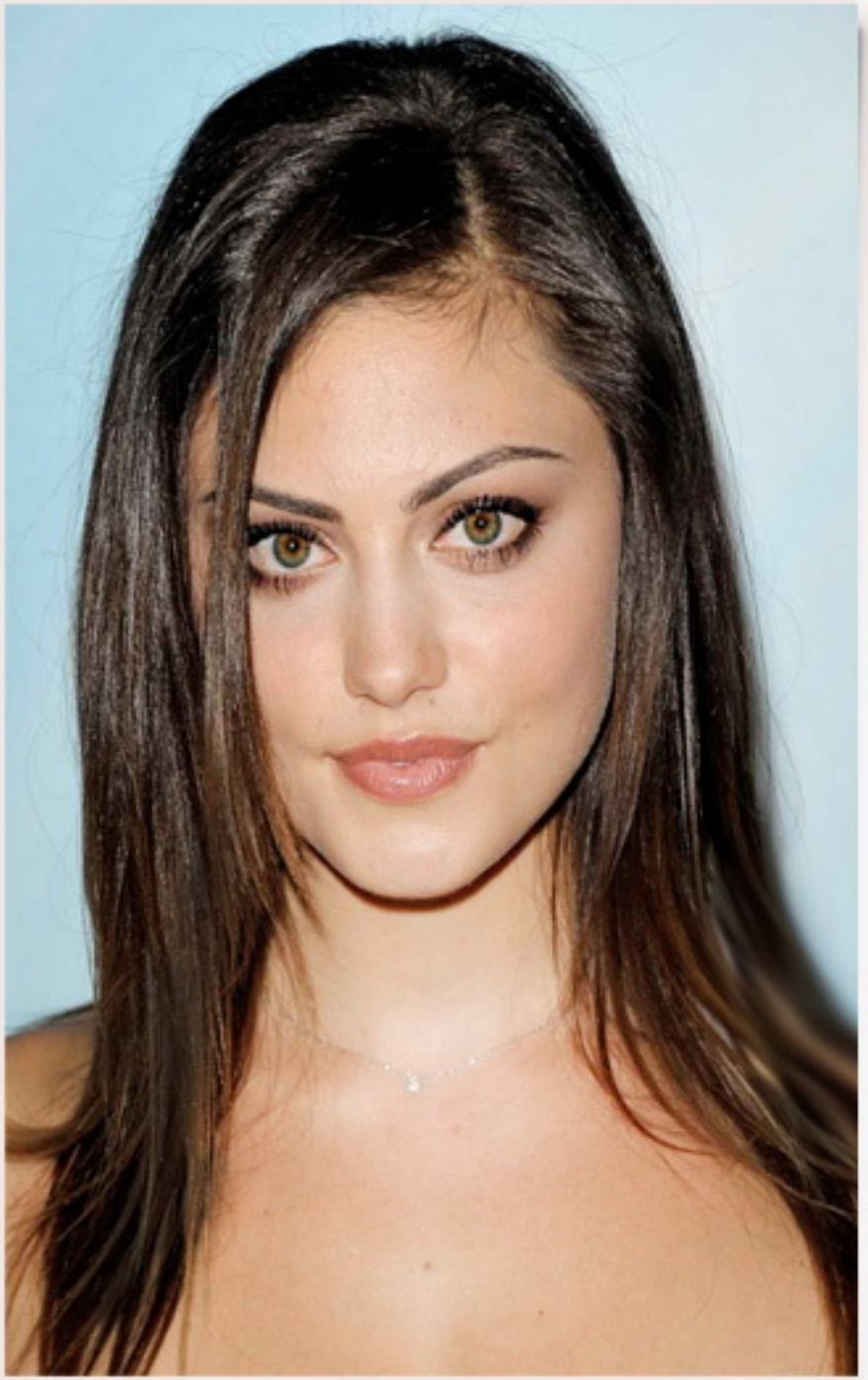

اندفعت هاتفة كعادتها كلما شعرت بالحرج :

- احم ، إن تأثير الأتراك سيء جدا عليكِ ، دعك مني و اخبريني عن مغامرتك القادمة ، ما هو خط سير الرحلة في الغد ؟

تماشت مع محاولتها تبديل الموضوع قائلة بنبرة ماكرة :

- لدي مغامرة قادمة بالفعل ، لكني لن أخبرك عنها الآن ، عليكِ التحلي بالصبر ..

نهاية الفصل

دمعات القمر

القطرة الخامسة

استخدمت جيّدا كل مهاراتها في الإقناع مع تعبيرات وجهها المؤثرة و براءتها الفطرية أثناء حديثها مع تلك الفتاة اللطيفة التي اختارتها من فريق عمل الفندق حتى تساعدها في القيام بما عزمت عليه ..

أملت أن تسعفها لغتها الانجليزية لإيضاح أهمية الأمر بالنسبة لها في حين أظهرت الفتاة رفضا واضحا لطلبها قائلة بتهذيب :

- اعتذر آنستي ، كان بودي المساعدة لكن هذا الأمر ممنوع كليا ، لا يُسمح بالصعود إلى سطح الفندق سوى للمختصين بالصيانة أو العالمين به و في حالات معينة فقط ..

لم تيأس جيّدا و ارتدت واحدة من أعذب ابتساماتها قائلة :

- أعدك لن أكررها أو ادع أحدا يراني ، كما إن الوقت سيكون مبكرا جدا ، هذا الأمر هام للغاية ، أريد رسم إطلالة الفندق من الأعلى وقت الشروق و لن انس لكِ هذا المعروف ، امممم ما رأيك أن أرسمك على سبيل المثال ؟ ستكون لوحة جميلة ..

لمعت عينا الفتاة بإثارة و قد راقها العرض و جعلها أكثر ميلا للقبول فانتهزت جيجي فرصة ترددها قائلة بتأكيد :

- كما أعدك إذا ما كشفني احدهم لا قدر الله لن أتطرق إليكِ مطلقا ، أنا لا أعرفك من الأساس ..

أومأت العاملة بسرعة كما لو كانت تخشى التراجع :

- حسنا سوف أجازف و أساعدك لكن لمرة واحدة فقط عندما تحين ليلة مناوبتي ، سأخبرك عن الموعد قبلها و اجلب لك زيا من أزياء العاملين هنا لتتمكني من التجول بحرية بيننا ، سأقودك حتى المطبخ بعدها تتحركين بمفردك إلى الباب الخلفي الذي سينقلك لغرف الغسيل و المخازن ثم سلم الطوارئ و منه للسطح و تعودين من نفس الطريق ، اتفقنا ؟

وافقت جيّدا قائلة بحماس :

- بالتأكيد لكن لا تنسي أريد الصعود قبل بزوغ الفجر بوقت كافي لإعداد الرسوم الأولية استعدادا للحظة الحاسمة ، و حتى يحين الموعد أنا جاهزة للبدء في رسم لوحتك أثناء أوقات تفرغك ، لا احتاج إلى تواجدك سوى في البداية

فقط بعدها يمكنني الاكتفاء بصورة واضحة لكِ ..

تبادلتا المصافحة و كل منهما تحمل ابتسامتها الدالة على انجاز الصفقة بنجاح و حصولها على ما تصبو إليه ثم افترقتا بعد تحديد موعد جلسة الرسم الشخصية عند استراحة غداء الفتاة لهذا اليوم ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

تأففت سُلاف بين أكوام المراجع و لوحات الرسم التي تكدست حولها في مكتبة الكلية حيث أمضت ساعات تحاول الاستيعاب و التحصيل ..

تبادلت الكثير من التعليقات المازحة مع زملائها كلما مرت بهم معلومة يسمعون عنها للمرة الأولى و لم تخلو الجلسة من تقليد ساخر لأي أستاذ يرميه القدر في طريقهم ..

لفت انتباهها الصمت الذي أطبق عليهم فجأة على غير العادة بالرغم من وجودهم في المكان المعروف عنه الهدوء كما يفترض !

التفتت تستطلع سبب ذلك فوجدت ماجد ينضم للطاولة و يبدأ تقليب الأوراق المتناثرة أمامهم بكل بساطة قائلا :

- مرحبا شباب ، انتهزت فرصة تفرغي لتقديم المساعدة ، أرى أنكم تبذلون الجهد هنا

احتبست الكلمات في حلقها و شعرت بإحساس الفأر داخل المصيدة ، لقد كان يحاصرها بتصرفاته التي يحاول إلباسها رداء العفوية مما يغلق أمامها سبيل مصارحته كلما عزمت ..

على عكسها تبارت المجموعة في إلقاء الأسئلة عليه غير عابئين بملامحها المتعضة ، أليس هو من عرض المساعدة ؟ يتحمل إذن ..

- و أنت سُلاف ألا يوجد لديك أسئلة ؟

رفعت عيونها التي دفنتها في المرجع الضخم أمامها هربا من المواجهة المحتومة قائلة

- سأكتفي بأسئلة الزملاء ، لا نريد الأخذ من وقتك أكثر أستاذ ماجد ..

اتكأ بمرفقه على الطاولة ليقترب منها قائلا دون مبالاة بالآخرين :

- هل هذا هو السبب الوحيد لعدم وجود أسئلة أم لأنك لم تتعرفي على المادة بعد أيتها الطالبة النجيبة ..

ردت إحدى زميلاتها قائلة بمرح :

- كلنا هذا الرجل أستاذ ماجد ، لا افهم فيما

تفيدنا دراسة تلك المواد النظرية في قسمنا العملي ..!

ابتسم قائلا بمكر :

- بما أنني ادرس إحدى تلك المواد الكريهة افهم من ذلك أن لا فائدة لي هنا ..

قبل أن ينهي عبارته قفزت رانيا زميلتهم المعروفة بدلالها و غنجها مع صبغة شعرها الشقراء التي تصر عليها قائلة بميوعة :

- أوه ، كيف تقول ذلك أستاذ ، بالتأكيد تعلم مقدارك عندنا ، أليس كذلك سُلاف ؟

التفتت إليها بحدة و شملتها بنظرة نارية قبل أن تردف بحنق واضح :

- و لما توجهين حديثك إليّ ؟!

سارعت الأخرى تردد مدافعة :

- لم اقصد شيء فيفي انه مجرد مزاح ..

رفع حاجبه و منحها نظرة كسولة جعلت وجهها يحتقن خجلا و تتلعثم غير قادرة على تكوين عبارة مترابطة ، عندها بادر احد زملائها لإنقاذ الموقف موجها دفة الحديث إلى الدراسة من جديد ليبعد الحرج الذي خيّم على المكان ، منحته نظرة امتنان لم ترق لماجد الذي أجابه بنبرة حادة كأنه تعدى على نطاقه الخاص !

مضى الوقت ثقيلا و ساد التوتر و قد غابت عفويتهم نظرا لوجوده معهم رغم عدم الراحة الواضحة على ملامح كل منهم ..!

عندما حاولت الانسحاب متعللة بضرورة ذهابها رفض السماح لها قائلا :

- اجلسي مكانك سُلاف و تابعي الدراسة ، كفي عن إضاعة الوقت ..

رفعت حاجبيها بعدم تصديق لتحكمه أمام زملائها قائلة باستنكار :

- لدي موعد هام بعد قليل ..

ردد بحزم :

- اتصلي و اجليه ، مستقبلك هو الأهم الآن ..

تعالت همهمة جماعية زادت احتقان وجهها فقالت بدهشة :

- لكن .....

- لا يوجد لكن ، لن اسمح لك بالذهاب حتى تنتهي (و اتبع يكمل جملته ببطء مقصود) ظل هناك عدة أسئلة عالقة دون إجابات سُلاف و هذا لا يرضيني ..

أربكها المعنى المبطن لعبارته و خيل إليها أن الجميع يفهم ما يرمي إليه بنظرته المستقرة

عليها فلم تجد ردا مناسب لذا عادت لدفن عيونها داخل الأوراق آملة أن تنتهي محنتها و يغادر في أسرع وقت ، ألا يوجد لديه محاضرات ، مقابلات ، أي شيء يشغله عنهم بحق الله ..!

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

أنهت ندى تبديل ملابس طفلتها لانا بعد أن أغرقت ثيابها و هي تحاول جعل مركبها الورقي يطفو على سطح المغطس في الحمام على غفلة من والدتها التي بالكاد أقنعتها بترك تلك اللعبة قبل أن يصيبها التهاب رئوي ..

حملتها و استدارت على صوت عاصم النزق لأنها طلبت منه إغلاق التلفاز و الكف عن اللعب الذي لم يتوقف منذ عودته من المدرسة ..

- حسنا ماما لقد أغلقت اللعبة و استمعت لك ، ألا يجب أن تفعلي بالمثل أنت أيضا !

أبعدت كف لانا عن شعرها ثم وضعتها على الأرض و اعتدلت سائلة باهتمام :

- ماذا تقصد عاصم ؟!

كتف ساعديه أمام صدره و بدا عليه الجدية برجولة مبكرة مناقضا لسنوات عمره قائلا

- أريد أن اعرف الآن متى سنعود لبيتنا و هل حقا ستتركين أبي ؟

هالها ما سمعت منه فركعت أمامه و تناولت كفيه الصغيرين بين يديها قائلة بدهشة بالغة :

- من أخبرك هذا حبيبي ! بالطبع لن يحدث ..

ردد بنبرة مهتزة :

- لؤي صديقي بالصف اخبرني أن والدته عندما غادرت المنزل و أخذتهم إلى بيت جدته لم يعد والده زوجها بل ستتزوج رجلا آخر سيصير والده الجديد ، و ها أنت تفعلين المثل لكني لا أريد والدا جديدا ماما ، أنا أحب أبي خالد و ارغب في العودة لغرفتي و ألعابي هناك ..

جذبته إلى أحضانها التي استكان داخلها بشكل جعلها تدرك كم كان يعاني و يخشى تفكك أسرته في صمت ، إلى هذا الحد فهم هذا الصغير خطورة ما يدور حوله !!

قالت بنبرة ملئها التأكيد :

- لن يحدث أيا من ذلك حبيبي اطمئن ، نحن لم نترك منزلنا إنها مجرد فترة نقضيها هنا ترحيبا بخالك العائد من السفر ، كما إنني و بابا نحب بعضنا و لن نفترق أبدا ، لكنك تعلم كم هو طبيب ماهر كثير الانشغال ، الم يكن هنا بالأمس و قضى معنا الكثير من الوقت ؟

خرج من بين ذراعيها ليومئ بالإيجاب بينما قال بحيرة :

- لكنك لم تجلسي معه وحدكما أو تتحدثا كالسابق ، كأنك غاضبة منه و تخاصمينه كما افعل مع أصدقائي أحيانا !

حاولت التحكم بانفعالها حتى لا تنقل إليه أي شعور سلبي قائلة :

- لا يوجد شيء من هذا عاصم ، أنا لست غاضبة من خالد ، امممم الأمر مختلف تستطيع أن تطلق عليه إجازة مؤقتة ، الكبار يفعلون ذلك أحيانا عندما ينشغلون عن بعضهم ..

فاجأها مقدار ذكائه و تفهمه عندما أكمل قائلا :

- حتى يشتاقون لبعضهم ؟

أشرق وجهها بابتسامة مضيئة هاتفة :

- أحسنت ، هو ذلك بالضبط ، أوه أنت تكبر بسرعة البرق أيها الشقي ، ما أريدك أن تتأكد منه إنني و والدك زوجان متحابان و سنظل هكذا إلى الأبد ، حسنا حبيبي ..

أومأ بسعادة قبل أن يتعلق بعنقها هاتفا :

- اجل ماما ، أنا أحبكما معا و كذلك أختي لانا ، هل بإمكاني العودة إلى اللعب الآن ؟ أريد بلوغ المرحلة التالية رجاء ..

تعالت ضحكاتها هاتفة بمرح :

- أتعلم أنت تشبه والدك الآن كليا ، بالطبع لا أيها السيد فلديك فروض مدرسية تنادي بصخب باحثة عنك ، ربما اسمح لك إذا انتهيت منها باكرا و حسّنت خطك و قد نذهب إلى النادي في المساء أيضا (مدت كفها تصافحه و تابعت) اتفقنا ؟

ردد بجدية مضحكة و عيونه تتألق عزما :

- اتفقنا ماما ، سأنجزها و أحسّن خطي ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ألقى الملفات فوق سطح المكتب بحنق قبل أن يتخذ مجلسه خلفه بينما زميله حاتم يدلف بعده قائلا :

- لن يستقيم الحال على هذا النحو خالد ، لقد صرت عصبي حاد المزاج ، ما ذنب تلك المريضة لترفع صوتك عليها !

حدجه خالد بنظرة حادة قبل أن يردد بحنق :

- مريضه !! هل أنت مقتنع بذلك حقا !

رد الآخر بعقلانية و هدوء :

- طالما هي نزيلة في المشفى تعتبر إحدى المرضى و لها الحق في معاملة خاصة ، عليك إصلاح الوضع مع زوجتك خالد لأنك لست على ما يرام و ذلك ينعكس بشكل مباشر على عملك و تعاملاتك مع الجميع ..

مسد جانبي وجهه بإرهاق ، يعلم أن حاتم محق و حياته كلها تحولت إلى فوضى حقيقية داخل المنزل و خارجه ، منذ غادرت ندى و هو لا يستطيع فعل شيء كامل ، حتى ملابسه و أناقته المفرطة التي كانت مضرب الأمثال باتت من الماضي ، فكر لوهلة قبل أن يضيء ذهنه بما يجب عليه فعله ليتدارك الأمر ..

انتبه على صوت صديقه يكرر :

- لما لا ترد يا رجل ؟ يبدو أن حديثي لا يروق لك .

نهض عن مكتبه متجها للخارج قائلا :

- بالعكس أنت محق و سوف آخذ برأيك في الحال

لحق به الآخر هاتفا :

- إلى أين ؟!!

أشار بكفه قبل أن يغادر كليا مرددا :

- هنا في الجوار ، لن أغادر المشفى ..

اتجه من فوره إلى الدكتورة سلوى أخصائية الطب النفسي إلى جانب باعها الطويل في العلاقات الأسرية ، لقد كان إنسان مثقف واسع الأفق لا يخجل من طلب المساعدة عندما يجد نفسه بحاجة إليها ، و بهذه اللحظة كانت كل الأمور مختلطة عليه و بحاجة لمن يرشده نحو التصرف الأمثل ، ربما ندى محقة و هو عاجز عن فهمها ..

استقبلته السيدة التي تخطت سنواتها الخمسين بنظرات تجيد قراءة الشخصيات قائلة بمهنية :

- تفضل دكتور خالد ، إليك قدحا من قهوتي الخاصة ، لقد أعددتها للتو ..

اتخذ مجلسه أمام مكتبها قائلا ببساطة :

- إذا كنت منشغلة الآن استطيع العودة بوقت لاحق فلدي حديث قد يطول ..

أومأت قائلة بابتسامة ناضجة :

- إنها فترة راحتي على كل حال و نحن زملاء دكتور ، يسعدني تقديم المساعدة

احتلت المقعد المقابل له ثم خلعت نظاراتها الطبية متابعة :

- كلي آذان صاغية ..

قص عليها جوهر الخلاف بطريقة عملية تكاد تخلو من التفاصيل لكنها أدركت أن هذا هو جُل ما ستحصل عليه منه ، تراجعت في مقعدها باسترخاء بينما ترتشف قهوتها ببطء قائلة :

- و أنت ترى إنها تتصرف بلا منطقية و لا تمتلك أسباب لما تفعله ، أليس كذلك ؟

أومأ مرددا ببساطة :

- بلى إلى حد كبير ، لقد كانت حياتنا مثالية ، بها المناوشات المعتادة لكن أليس الجميع هكذا ، نحيا بين شد و جذب !

ابتسمت بخفة قبل أن تردد بوقار :

- دعني أسألك ، هل اختلفت زوجتك عن الفتاة التي ارتبطت بها أول الأمر ؟

رفع كتفيه قائلا :

- لا ، لكنها صارت زوجتي و أم أطفالي ..

تابعت حديثها قائلة بجدية :

- لما اختلفت المعاملة إذن طالما لازالت نفسها ؟

أشار بيديه بينما يجيبها باستنكار :

- وقتها كنا نتعرف على بعضنا و كل طرف يحاول ترك أثر ايجابي على شريكه و....

قاطعته قائلة بانتصار :

- هنا تكمن المشكلة التي يقع بها الأزواج دون أن يشعروا ، بمجرد أن يصبح ارتباطهم أمرا واقعا تتوقف محاولات تأثير كل طرف على الآخر و هذا ينطبق على كليهما بنفس الدرجة ، تصبح الحياة جامدة خالية من الإثارة و التجديد كأن ذلك حكر على المنطقة التي تسبق الزواج و بعبورها يحدث التحول ..

قلب شفتيه مستفهما بحيرة :

- ما المفترض أن يعني هذا ؟! إنها مشاكل الحياة و محاولات التقدم و التطور ، أليس ذلك طبيعي ؟

أومأت توافقه قائلة :

- بلى بالطبع ، لكن دون أن يطغى ذلك على الجانب العاطفي دكتور ، و لا اقصد هنا العلاقة الزوجية لأنها مثل باقي الأمور تتحول لشيء روتيني يمارسه الزوجين بشكل معتاد لا أكثر ، قد تكون كافية للرجل لأنه يفعلها كمجرد إرضاء للرغبة بينما الأنثى تختلف لأنها تبحث بها عن الحب و الشعور بالتكامل مع شريكها .. على سبيل المثال هل تتحدث معها حول الأمر ؟ هل سألتها عن مشاعرها حياله أو ما تحب ؟ ماذا عن أموركما الشخصية الأخرى ؟ هذا النوع من التواصل ضروري جدا خالد و بناء عليه تكون الحياة ناجحة أو لا ، تحدث مع زوجتك بعيدا عن الأمور الروتينية هي بحاجة لتشعر بك اقرب .. كما أخبرتك المرأة عكس الرجل الحب هو عماد حياتها ، عندما تفتقده تختل كل الموازين ، مغادرتها المنزل عبارة عن صرخة صامتة تخبرك بها عن افتقادها لك و تنبيه لتدارك الخطأ ، بمعنى آخر زوجتك تحبك لذا هي تكترث لعلاقتكم و تريدها أفضل

لا أقول أن العبء كله يقع عليك بل أنتما معا ، الأمر بغاية البساطة و كل ما يتطلبه المزيد من المراعاة و التفهم مع الإفصاح عن المشاعر دون تحفظ ..

غربت علامات التوتر عن قسماته و أشرقت دكنة عينيه بالفهم فنهض قائلا بامتنان :

- أشكرك دكتورة سلوى لقد أفادني الحديث معك جدا ، كنت بحاجة ماسة إليه ..

أومأت قائلة بصدق :

- سعيدة لذلك خالد ، ليت الجميع يفعل مثلك و يواجه مشاكله بايجابية بدلا من تجاهلها

عندها ستنخفض معدلات الطلاق و تصير الحياة أكثر سلاسة ، تأكد أن بابي مفتوح لك بأي وقت و لزوجتك إذا رغبت في الحديث بدورها ، الاستشارات الزوجية مهمة في كثير من الأحيان خاصة بعالمنا العربي حيث يسود الكثير من العادات الخاطئة و المفاهيم المغلوطة ..

ابتسم قائلا بتأكيد :

- صدقت دكتورة ، إننا بحاجه لتوعيه على نطاق أوسع حول تلك الأمور التي يعتبرها البعض حساسة ، شكرا على الاستشارة القيمة مره ثانية ..

قالها و غادر مكتبها إلى مرضاه و قد تبدلت نفسيته و انجلى بعض الغموض الذي اكتنف تفكيره طيلة الفترة الماضية ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

- هيا مانو ، أنا بحالة نفسيه سيئة لن تتقبل الرفض و بحاجة للخروج في الهواء الطلق قبل أن يحدث مالا يحمد عقباه و انفجر إحباطا ..

ردت أماني باهتمام امومي :

- أوه يا لك من مسكينة ، ماذا حدث و جعل البؤس يطفر من ملامحك ؟!

ألقت سُلاف نفسها فوق فراش ابنة عمها ذو الشراشف بلون الفستق الزاهي قائلة بنبرة تموج بالضيق :

- يكفي أن تعلمي كون ماجد ظل متواجد في المكتبة معنا على نفس الطاولة لبقية النهار ، كأن أشغال العالم انتهت و لم يعد أمامه سوى إرباك حياتي ..

ضحكت الفتاة بنعومتها الفطرية قائلة :

- في هذه الحالة أنت محقة و يلزمك جلسة فضفضه طارئة و عاجلة ..

- اجل و بما انك عاطلة عن العمل بقرار سيادي وتحولت إلى قارئة نهمة لكتب علم النفس و الاجتماع يصبح لزام عليك حل مشكلتي المزمنة قبل أن تصير عقدة ، لكن ليس هنا لقد مللت من الكلية و منزلينا ، أريد الذهاب إلى النادي لذا سأعود لبداية الحديث و أقول ، هيا معي ..

رفعت الأخرى كتفيها قبل أن تقول بحيرة :

- لا مانع لدي بالطبع لكن ماذا عن بابا ! تعلمين ما يفعل عندما استأذنه في الخروج بدونه ..

أشارت سُلاف برأسها قائلة :

- لا عليك سوف اذهب إليه و أقنعه بطريقتي ، اعتبريه قد وافق و استعدي حتى انتهي منه يا حلوه ..

تركتها و انطلقت إلى الطابق السفلي حيث مكتب عمها بقفزاتها الشقية التي تملأ أي مكان تتواجد به حيوية و انطلاق مرح ..

❖❖❖

لاحقا على طاولتهم المفضلة أمام المرج الأخضر الواسع انتهت سُلاف من بث شكواها حول ما حدث معها طيلة يومها الكئيب كما أطلقت عليه غافلة انه لم ينتهي بعد و ربما يحمل لها المزيد .....

بالكاد صبر عاصم و لانا حتى أصبحا داخل المنطقة الآمنة التي يمنع عنها دخول السيارات و سائر المركبات لذا تركتهم ندى يهرعان إلى الداخل بحرية بينما تهتف خلفهما :

- انتبه على أختك عاصم ، لا تترك يدها إلا في الجزء المخصص للألعاب ..

ثم التفتت إلى شقيقها قائلة :

- دعنا نجلس هنا لنكون على مقربة منهم ..

قادها ادهم لأحد الطاولات المتراصة بانتظام لم يخل بمساحة المكان ليبقى الجزء الأكبر منه مجهز للراغبين في مزاولة السير أو ركض الأطفال ..

مالت برأسها و أسندته على قبضة يدها قائلة :

- هـا الم تقرر الإفصاح بعد ؟! صدقني سوف تشعر أفضل ..

رفع حاجبه قائلا بسخرية مبطنة :

- منذ متى أبدلتِ تخصصك و صرتي خبيرة في علم النفس سيده ندى !

- ها ها ها لطيف جدا ، لكنك لست بحاجة لمحلل نفسي بل لأذني المصغية و نظرتي الثاقبة ، هيا تحدث و اخبرني كل شيء ..

ابتسم بخفة قائلا :

- لا يوجد لدي شيء لا تعرفينه نانو ، كفي عن التذاكي ..

أنهت طلب عصيرهما المفضل ثم الحلوى لطفليها و عادت بانتباهها إليه قائلة :

- أجل اعلم بالطبع لكني أريد التفاصيل يا سيد ، كيف شعرت بعد مقابلتها على سبيل المثال ؟ مجرد ذكرى قديمة تحركت أم الأمر أعمق من ذلك ؟ لقد مر أكثر من خمسة أعوام طويلة زفر بطريقة أوشت بما يعتمل في نفسه منذ تغيرت حياته مره أخرى و كالمعتاد أماني السبب المباشر لذلك ، دائما يربطهم القدر بشكل أو بآخر

- صدقيني لا اعرف ، منذ رأيتها و الماضي يهاجم بشراسة ، اخبريني أنت عما عرفته عنها ، لعل سماعي لما أخشى منه يجعلني أفيق من وهم يأبى الرحيل ..

أشارت بكفها قائلة بحيرة :

- للأسف لم اعرف ما تسأل عنه ادهم ، نحن لم نتحدث بشكل حميمي لهذه الدرجة كما أن الوقت لم يسعنا للتطرق إلى الأمور الشخصية ..

نقر بأصابعه فوق الطاولة قائلا بنفاذ صبر :

- لكن لا ريب أنها تزوجت و أصبح لها عائلة ندى ، أليس كذلك ؟

بادلته النظر بإشفاق حاولت إخفائه و غمغمت قائلة :

- ربما ، انه احتمال وارد ادهم لـ.....

قاطعها رنين هاتفها الذي ومض بصورة زوجها فتناولته بلهفة أظهرت مقدار شوقها إليه ، عندها نهض عن مقعده مع ابتسامة مدركة قائلا :

- سأذهب لتفقد الطفلين لتتحدثي مع طبيب القلب بحرية ..

تركها خلفه تنازعها رغبتان ، الأولى أن تهتف بحبها و رغبتها في رؤيته توا و الأخرى أن تكمل ما بدأته و تحاول جاهدة الحصول على الحياة الزوجية التي تمنتها ..

وجدت نفسها ترفع كفها و تقبل خاتمه الذي لم يفارق إصبعها منذ وضعه فيه هامسة لنفسها :

ساعدني حبيبي لأجلنا جميعا ..

ثم استقبلت الاتصال بصوت أملت أن يخفي ضعفها و دار بينهم حديث عادي اغلبه حول عاصم و لانا ، لم يحاول أيهما التطرق إلى أمور أخرى كان الطفلين هما جسر التواصل الآمن و كل منهما يخشى السقوط إن حاول اجتيازه ...

❖❖❖

- استمعي إلى فيفي ، انسي هذا الماجد و أخرجيه من عقلك ، طالما يزعجك إلى هذا الحد لما تفكرين به ؟!

قلبت سُلاف شفتيها بحنق هاتفة باندفاع هو جزء لا يتجزأ من شخصيتها :

- أنا لا أفكر به مطلقا لكنه يفرض نفسه عليّ بكل مكان أتواجد فيه ، اشعر انه يحاصرني و هذا يزعجني ، لقد أملت أن يفهم من ابتعادي الدائم عنه رفضي لأي علاقة به ..

أومأت أماني قائلة بتفهم :

- واضح انه يحبك ..

تابعت بحنق رافض :

- لكن ذلك لا يلقى صدى لدي ، ماذا افعل في هذه الحالة ؟!

رفعت كتفيها و تابعت ببساطة :

- سيفهم ذلك بالتأكيد ، لا بد أن يصله إحساسك ، هذه الأمور لا تظل خافية طويلا

- مساء الخير ، يا لي من سعيد الحظ بمقابلتكم الليلة ..

قاطعهم ذلك الصوت الخشن الصادر عن محور حديثهما شخصيا !

التفتت كلا منهما بعيون متسعة و عدم تصديق لهذه المفاجأة ، أيعقل ماجد هنا في النادي !!

قبل أن تستطيع أيا من الفتاتين التفوه بكلمة تابع الحديث مقطب الحاجبين :

- أين هي جيّدا ؟ إنها المرة الأولى التي أراكم بدونها !

أغلقت سُلاف فمها المذهول قائلة بدهشة :

- المعذرة و لكن كيف تعلم ذلك ؟!

رفع حاجبيه قائلا ببساطة :

- أنا احد أعضاء النادي فيفي ، نحن خارج الحرم الجامعي الآن لذا سأدعوكِ كما أريد و سوف تسمحين لي بالطبع ..

فتحت فمها و أغلقته دون أن تتخلص من حقيقة وجوده أو تستطيع إيجاد الرد الملائم بينما زمت أماني شفتيها حنقا من جرأة الشاب الذي لم ترقها نظراته و قالت باقتضاب :

- جيجي مسافرة ، هل أردت شيئا سيدي ..

التفت إليها بنظراته العابثة قائلا :

- ألا نتعارف أولا آنستي ؟ دائما أراك من بعيد لكن يسعدني توثيق الصلة أكثر ، أنا ماجد معيد بكلية الفنون ، أما عن سؤالي فكنت اقصد الاطمئنان على زميلة قديمة رغم أني أكبرها سنا ..

غمغمت قائلة بعدم راحة :
- و انأ أماني ابنة عمهما ..
تحرك ساحبا احد المقاعد حول الطاولة ثم احتله قائلا بهدوء :
- هل تمانعان انضمامي إليكما ؟ ارغب بالحديث معك سُلاف ..
شعرت بالحرج و قدرت موقف ابنة عمها ، إذا كان يتصرف بهذه الجرأة أمام الآخرين فهي محقة بشعورها السلبي تجاهه إذن ، نهضت عن مكانها قائلة :
- سوف أجول قليلا في الجوار ، لن أتأخر حتى نغادر في الموعد فيفي ..
وقف بدوره مرددا مع ابتسامة سمجة :
- لم اقصد أن تغادري آنستي فحديثي ليس سري ..
أشارت برأسها لسُلاف قبل أن تغادر مرددة :
- المعذرة ..
تاركة الفتاة موشكة على الانفجار غيظا و تشعر بالسنة اللهب تندلع بقوة مؤججة رغبتها في الصراخ ، ذلك الرجل يخرج أسوأ ما فيها و يحرص على ألا يدع لها المجال لتخبره ما تريد بصراحة ، لكنها عزمت على فعلها هذه المرة و لن تستسلم ..
عكس وميض عينيها ما يعتمل داخلها قبل أن تحاول تهدئة أعصابها و تلتفت إليه قائلة :
- أستاذ ماجد ، أنت تصر على إحراجي في الكلية و هنا أيضا ! ماذا عليّ أن .....
قاطعها بابتسامة ماكرة كأنه يتعمد إثارة غضبها :
- أستاذ !! الم نتخطى هذه المرحلة فيفي ، لقد منحتك الكثير من الوقت لتعتادي على علاقتنا الجديدة و لم أشأ الضغط عليك حبيبتي ..
انتفضت وافقه كأنها لم تعد قادرة على احتواء عاصفة غضبها داخلها لفترة أطول قائلة و قد تعمدت الضغط على كل حرف :
- لا توجد أي علاقة بيننا سوى انك أستاذي و أنا طالبة لديك ، هذا ما أردت قوله بكل مرة نتحدث بها ، أستاذ ماجد يشرفني إحساسك تجاهي لكنني لا أبادلك إياه ، آسفة لا اشعر على هذا النحو ..
قاطعها كما اعتاد على الفعل قائلا بنبرة حاول أن لا تعكس تصاعد ثورته :
- و كيف سيحدث العكس و أنت لا تمنحي

نفسك الفرصة للتقرب مني سُلاف بينما كل ما يشغلك هو ابتكار الوسائل للهرب من أي مكان أتواجد به ؟

حركت رأسها قائلة بنفاذ صبر :

- لم أكن اهرب بل أردت إيصال الرسالة دون تعريض أينا للحرج ..

اعتدل في مكانه قائلا بصوت خفيض :

- وإذا رفضت استقبال الرسالة ؟ على الأقل حتى أتأكد انك تعنينها حقا ، سُلاف أنا أدافع عن حبي و أحاول حمايته بنفس الوقت افتح لك المجال لاكتشاف حقيقة مشاعرك بعيدا عن طفولتك التي تدفعك لرفض الأمر ، لإدراك كونك فتاة راشدة و ينبغي عليها الإحساس بشكل مختلف ..

حاولت الحديث و تفسير حقيقة شعورها قائلة :

- لكن أنا .....

أشار بكفه بمقاطعة تكررت مرارا :

- لا يوجد لكن ، أنت فقط مشوشة هذه الفترة و قد فاجأك عرضي ، كلينا بحاجة لبعض الوقت معا قبل إصدارك حكمك الجائر ، اعتقد إنني استحق ذلك ، أليس كذلك فيفي ؟

أربكها تلك النعومة التي تعمد أن يلف بها عبارته الأخيرة كما زاد حنقها إصراره الغريب على رفض ما تحاول البوح به بطريقة لطيفة ، يا الله الم تكن واضحة بما فيه الكفاية عندما صرحت بعدم مبادلته مشاعره !

تبـــا أين أنت جيجي ، أختك بائـــسة ..

❖❖❖

تهادت أماني بخطواتها تمتع بصرها باللون الأخضر الزاهي المُطعم بخليط ساحر من ألوان الأزهار التي تحدت برودة الجو و فتحت براعمها كعقد مبهج يكلل عنق الطبيعة الفتي ..

سحبت أنفاس عميقة كأنما تود أن تغسل رئتيها و تملأهم بالعبير ، لكن تلك اللحظة هاجمها أريج أكثر حدة ، مزيج من أخشاب الغابات و الأعشاب البرية المنكهة بالتوابل الحارة ! امتلأ محيطها بذرات ذلك العطر الرجولي الذي جعل قلبها يتخبط بعشوائية كطير حبيس داخل قفص و يناضل للفرار منه ، كأنها تعرفه بل الأصح كانت تفتقده ..

استدارت ببطء تستقبل نظراته التي انسكبت عليها بولع تائق دون إرادتهما ..

كان قد ترك عاصم و لانا مستغرقين في اللهو مع رفاقهم و قرر القيام بجولة لعل عقله الثائر يعرف الاستكانة لكنه لم يكد ينعطف حتى وجد حلمه الذي أرّق لياليه و أهداه السهاد يخطر أمامه برقة سلبت أنفاسه ، فتقدم منها دون وعي و قد أضنى الهجر فؤاده المكلوم ..

خطا خطوة إضافية خالها أطول من ميل قائلا بنبرة مختنقة لم تطعه في الثبات أمامها :

- مرحبا أماني ، لم اصدق عندما رأيتك من بعيد ، لم تتغيري أبدا هل أنت وحدك ؟

بالكاد تمالكت نفسها أمام رجل أحلامها الذي لم و لن تفكر بسواه ، لطالما كان الأول في حياتها و بعد رحيله و حرمانها منه أدركت انه الأخير .. وجدت نبرة صوتها لكنها خرجت ضعيفة مهتزة عندما ردت قائلة :

- بل معي سُلاف ، كيف حالك ادهم ؟ متى عدت من السفر ؟

هرعت عيونه كسجين تاقت نفسه للحرية تجول باحثة بلهفة بين أناملها ، يدها اليمنى خالية تماما من أي خاتم كأنها تدرك أن نعومتها و جمال تكوينها كافي و لا يحتاج لزينة إضافية لتبدو مغرية للمس و التقبيل .. أما اليسرى فتحتوي على خاتم بفص فيروزي كبير ترتديه بإصبعها السبابة بينما البقية خالية من القيد الذي خشي من وجوده و كان سيعيده لقبو العذاب المظلم من جديد .. انتعش أمله لوهلة مع بقايا شك فعدم وجود

محبس زواج لا يدل على عدم ارتباطها كليا لكنه سيعرف و لن يهدر الفرصة التي هبطت عليه من السماء ..

رماها بابتسامة ساحرة سببت انعقاد معدتها كمراهقة حمقاء تيمها الهوى قائلا بلطف :

- منذ فترة ليست طويلة و من حسن حظي أن رأيتك مره ثانية ، هل تأتي إلى النادي دائما ؟ اقصد مع سُلاف و جيّدا فقط ؟

لم يلاحظ أنها فعلت مثله و سارعت بتفقد كفيه بحثا عن محبس سيطعن أعماقها من جديد و عندما لم تجده رفرف قلبها و ذكرها شكل كفيه بالماضي الجميل ..

كم كانت تحب تأمل كفه الكبير الأسمر الحاني بأنامله الطويلة ذات الأظافر الأنيقة الشديدة التهذيب دائما ، لا هي بالقصيرة و لا الطويلة بل مناسبة تماما لشكل أصابعه الرشيقة لكن مهلا أيها القلب هناك الكثير من الرجال لا يفضلون ارتداء مثل تلك الأشياء و ربما كان منهم ، كيف تعلم إجابة السؤال الذي تتلظى به بينما لا تجرؤ على نطقه ؟!

- احم ، اغلب الأوقات آتي معهما و أحيان قليلة مع والدي ، ماذا عنك ؟

أشار برأسه تجاه ملعب الصغار قائلا :

- أنا وقتي منشغل هذه الفترة ، بالكاد أحظى باستراحة لجلب الأولاد ..

رددت بنبرة فزعة كساها الشحوب :

- أولاد !!

عاد يتحدث بسرعة كمن يدفع عن نفسه تهمة نكراء :

- عاصم و لانا أولاد ندى أختي ، والدهم لا يمتلك الوقت و أحاول التقرب منهم لتعويض غيابي ..

رفرفت أهدابها كما اعتادت عندما ترتبك قائلة باندفاع :

- أولاد ندى فقط ؟ أليس هناك من يشغلك غيرهم ؟

أدرك ما تعنيه و قد أسعده ذلك أيما سعادة فلمعت عيونه عاكسة بريقها الداكن مجيبا بنبرة غامضة :

- بل هناك والداي أيضا و عملي القادم (صمت لبرهة قبل منحها ما تريد آملا أن تفعل المثل مرددا) أنا لم أتزوج أماني ، لم أفكر بالارتباط مطلقا ..

نزل قوله على قلبها بردا و سلام ، لم تدرك أنها

كانت تحترق بانتظار هذه العبارة لتستطيع التنفس بحرية دون غصة احتكمت صدرها لأيام متتالية ..

لقد عجزت عن تخيله مع أطفال من امرأة غيرها حتى لو لم تصرح بها لنفسها ، تحبه و لن تنساه مطلقا ، كانت تُسكِن مشاعرها و تتوارى خلف جمود تتعمده ، حتى رفض والدها للخاطبين رحبت به لأنها لم تُرد سواه ..

رفعت يدها بخفة بادعاء إنها تعدل ملابسها بينما في الحقيقة تحاول تهدئة وجيب قلبها المتصاعد خشية أن يصل إليه ..

لمسها صوته الذي ردد برجولة طالما أذابت قلبها :

- لا زلت انتظر ردك ناني ..

رفعت عينيها بحدة تستقبل دفقات الإحساس التي تطلقها حدقتاه دون هوادة ، لقد لفظ اسم دلالها الخاص به بينما يضغط على ياء الملكية كما اعتاد أن يفعل و بعد غيابه عنها لم يستخدمه غيره ..

قبل أن تتمكن من التفوه بحرف دخل شخص ثالث بينهما بادل ادهم نظرات متسائلة قائلا بصوته الأجش :

- أماني ! (عاد بعينيه لمرافقها الذي لا يعرفه ثم تابع) هل أنت بمفردك هنا ؟!

امتنع لونها و ظهر ارتباكها جليا مما اخرج صوتها مهتزا :

- أهلا عمر ، كيف حالك ؟

قطب ادهم حاجبيه و تصاعد شعور سلبي اخذ يحتل كل حواسه ، راقب بدقة خلجات ذلك الشاب الوسيم كما لم يغفل عما الم بها عند رؤيتها لذلك العُمر ، فمن يكون ؟! اهو إجابة سؤاله التي لم يسمعها ؟

تصاعدت هالة تحمل مزيج مختلف من المشاعر حولهم ، أحاطت بثلاثتهم بينما حول عمر نظراته بينهما قائلا :

- الحمد لله بخير ، ألن تعرفيني !

أجلت حنجرتها قائلة برجفة :

- هذا ادهم ، كنا زميلين أيام الكلية و قد عاد مؤخرا من السفر (ثم استدارت للآخر تكمل التعارف) و هو يكون عمر ابن خالة جيّدا و سُلاف و بمثابة أخينا الأكبر ..

أومأ الشابين لبعضهما بتحفظ قبل أن يسأل عمر من جديد :

- سألت إن كنت وحدك أم سُلاف معك ؟
إصراره على المعرفة أحبط محاولتها الهرب من إجابته مما اضطرها للقول :
- اجل هي معي بالطبع ، تعلم نحن دائما معا ..
تابع استجوابه سائلا :
- أين هي تحديدا ؟
ازدردت لعابها بتوتر و قالت محاولة إبعاده :
- اممم قد تكون في ملعب كرة المضرب هناك في الجهة الأخرى ..
حول عينيه بينهما من جديد قبل أن يتخذ الوجهة التي أخبرته عنها قائلا :
- حسنا ، سوف اذهب إليها ، بالإذن ..
توترها و صوت أنفاسها التي أطلقتها أجج شكوك ذلك المراقب حول علاقتهم ففاجأها بنظرة اتهام صاعقة ثم ردد بنبرة حادة :
- من يكون هذا الشاب أماني ..
رفعت كتفيها بدهشة بينما ردت قائلة ببساطة :
- أخبرتك انه ابن ....
قاطعها بنفاذ صبر و قد طغى غضبه و غيرته على تهذيبه :
- لقد سمعتك واعلم ما ذكرته لكن مازلت أتساءل عن هويته بالنسبة إليك ؟

قطبت حاجبيها تفكر لوهلة قبل أن تردد :
- ماذا تقصد ؟ انه عمر ! أوه لا ، الم تسمعه يسأل عن سُلاف ؟!
حدجها بنظرة قاتلة بدل إخافتها ملأت قلبها بالدفء الذي طال حرمانها و شوقها إليه فرددت بخفة :
- انه بمثابة أخي و كل هذا الحديث كان لأجل فيفي و ليس لي ..
حجب عنها ما خلفه عندما واجهها بطوله قائلا :
- لما ارتبكتِ عندما رآنا معا إذن ؟! لا تحاولي الإنكار أنا لست غبيا ..
اقتربت خطوة قائلة برجاء :
- ليس كما فهمت ، لقد وترني قدوم عمر المفاجئ حقا لكن لأجل سُلاف ، الأمر معقد و لن أتحدث فيه بغيابها ..
أطبق جفنيه بإرهاق استبد به نتيجة ثورة مشاعره قائلا :
- لقد أخبرتك شيئا قبل مقاطعته لنا و قد حان دورك فهلا تفضلت و أخبرتني بما أريد معرفته في الحال ..
رفعت أهدابها بخفر زادها روعة و بهاء قائلة برقة تفتت الوجدان :

- لم يكن عليك السؤال ادهم ، كان يجب أن تعلم الإجابة بنفسك ، بالطبع لم ارتبط بأي شخص ، كيف تعتقد أن ذلك ممكن الحدوث ؟!!

غامت عينيه بما ظل حبيس صدره لأعوام عانى فيها من الجفاف و القحط و قد تدفق إلى الخارج لتهدر أوردته بعشقها الذي لم يهدأ أو ينل منه البعاد ..

ظل اتصالهم البصري مدة لا يعرفان مداها ، حوار صامت صارخ بالتوق مفعم بما طال كبته داخل قلبين حُكم عليهم بالحرمان دون ذنب جنوه ..

أطلق أسهمه الداكنة تصدح بالهتاف الهادر :

احبكِ و لن أتراجع ، نبضي بهواكِ صارخ

أسمى أماني العمر هي ، أن تكوني أنت الأماني

أصابت هدفها العسلي برقة فذاب و تقاطر شهده مرسلا ردها المحمل بغرامها الأبدي :

لآخر العمر تظل وحدك ، فارسي المغوار و معلمي الأوحد

طال الفراق أم قصر ، تعويذة حبك لا تنكسر

لتعود الدكنة الادهمية و تعكس لواعج نفس ذاقت الم الاحتضار :

الأسر على يديك منتهى آمالي ، هاك معصمي فضعي الأغلال

لا تطلقي سراحي لأني ، عاشق لقيدك و فيه اكتمال

رقصت عيونها تلبي نداء عشق فاض من روح وثابة لا تعرف الاستكانة فومضت بحنين فاض احتمالها ترجمته دمعة انحدرت على استحياء

تهمس بوجع انتظار طال أمده :

كأني املك من أمري شيئا بعد توليك منصب السيادة

ألا تدرك أن الروح دونك ظلت أسيرة الكآبة ! و أن الجميلة النائمة لولا لمسة أميرها ما استفاقت !

رفع كفه بوله ناسيا زمانه و المكان هامسا بشغف السنين :

- كلا أماني ، إلا لؤلؤاتك الثمينة ..

تراجعت وجلة في بقية من إدراك وصلت إليه بالكاد هامسة بالمقابل :

- ألا زلت تخشى الدموع أيها الفارس ..

ردد بهيام عاد بقوة ماضيه و حاضره :

- دمعاتك أنت فقط يا مُنية النفس ،

كيف أتحملها بينما بسمة منك تضيء عمري و تبهج حياتي ..
أطبقت جفنيها عاجزة عن تصديق تحول مسار اللقاء القدري لهذا المنحى العجيب كأن هناك قوة خارقة تدفع الأمور بترتيب الهي لا حيلة لهما به ..
- آه ادهم أنت هنا حقا ! رجاء اخبرني إنني لن استفيق الآن تدثرني الحسرة مع شراشف فراشي ..
اقترب حتى مسها صوته و غمرها دفئه يصدح لروحها وحدها :
- بل نحن معا يا حقيقة وجودي ، أشرقي بعينيك و لا تطفئي عالمي مجددا ، هيا افعليها تعلمين كم أحب جواهر الكهرمان خاصتك ..
رفعت أهدابها بحياء عالمة إنها لن تتمكن من الوقوف ثابتة إن أطالت البقاء أكثر و سيحدث ما لا يحمد عقباه و تلقي نفسها بين ذراعيه ، فغمغمت من بين أمواج الخجل المكتسح روحها :
- عليّ المغادرة الآن ، لا ريب أن فيفي تبحث عني و قد وعدنا والدي بعدم التأخير ..
انتفض ناظرا حوله ليعود إلى عالم الواقع الذي غادره لفترة سابحا في لجة العسل المصفى مرددا رغما عنه :
- أنت محقه رغم صعوبة الأمر على قلبي التائق ، لقد تركت ندى وحدها بدوري و بالتأكيد كونت فرقا للبحث عني الآن ، لكني ارغب بمعرفة الكثير عنك ناني فلن أتركك بعد أن وجدتك ، القدر يهب الفرصة مره واحدة يا حب عمري و لست مستعدا لخوض ذلك من جديد ..
أومأت كأنما تسلمه مقادير أمرها طواعية ثم قالت بلهفة عكسها بريق عيونها الوامض بالشوق
- أخبرني أولا انه لا مزيد من السفر ، لن احتمل ذلك ادهم ، صدقني لن افعل لقد أنهكت و صرت مجرد شبح يحيا ظاهريا فقط ..
حرك رأسه نافيا قائلا مع ابتسامة تأكيد :
- لقد عدت بشكل نهائي و بدأت تأسيس عملي أيضا ، سنتحدث باستفاضة و لقاءنا القادم سيكون خالصا لنا حبيبتي ، اتفقنا ؟ ما رأيك في الغد سأدعوك إلى الغداء هنا و نخطط لمستقبلنا ..
وجدته كما عهدته دائما ، حازم ، مسيطر ، سريع في اتخاذ القرارات فعادت ذكرياتهم الغالية تتدفق أمامها ..

وافقته بابتسامة راضية فما حدث غير قابل لأني نوع من المقاومة ، بينهما مد عاطفي شديد الاجتياح يموج بثورة الطبيعة و عنفوانها ، قادر على جرف كل ما يعترض طريقهما من جديد ..

سار إلى جوارها في محاولة لمد أمد لقاء غير راغب في إنهائه و أيضا ليطمئن إنها وصلت لسُلاف الشقية بأمان و قد تبادلا أرقام الهواتف و موعد الغد يكلل سعادتهم التي ولّدها القدر دون إرادة أو انتظار و ما أحلى مفاجأته عندما توافق رغبة الشريكين ..

❖❖❖

غادرهم عمر تصاحبه حيرته و اندهاشه من رؤية أماني برفقة شاب وحدهما للمرة الأولى ، نظراتهم و الذبذبات المنطلقة تحمل الكثير و هو ليس غرا ليفوت ما تفضحه العيون ، ربما لا يعرفه من قبل لكنه بدا أهلا للثقة و رجل من النوع الذي يدعو للاطمئنان و القبول حتى من الكلمات القليلة التي تبادلها معه ..

مسح الملعب بنظراته دون أن يجد لها اثر فعاد من الجهة الأخرى باحثا عن الطلة التي يحفظها عن ظهر قلب و قد فاجأه ذلك كما لم يجد تفسيرا لرغبته الملحة في رؤيتها اليوم ، الأمر الذي ساقه إلى النادي عندما لم يجدها في المنزل الذي ترك فيه خالته زهره و العم رضوان يحدثان جيّدا التي بدت سعيدة بجولاتها و لوحاتها الجديدة ..

اجل يشتاق إليها لكن هناك شيئا ما الم بمشاعره ! ربما بسبب صدّها الواضح لعرضه قبل سفرها ، لكن لما لا يؤلمه قلبه ؟! هل ذلك عائد لأمله بتبديل رأيها عند عودتها ؟ بالتأكيد هو ذلك ، و ما غيره! أين هي تلك الحمقاء لقد جاب نصف النادي بحثا عنها كما أنها لا تجيب هاتفها ، سيريها عندما يجدها ..

لم يكد ينهي توعده لها حتى برقت عينيه بمزيج من الثورة و الغضب لما يراه أمامه ..

منذ متى يحدث هذا و هو غافل يا ترى ؟! هل اعتادت على ملاقاة ذلك اللزج خارج الكلية ؟! سيصب جام برقه و رعده فوق رأسيهما الأحمقين لا محالة ..

حث الخطى باتجاه طاولة سُلاف التي لم يغادرها ماجد و قد عكس لون عيونه الغائم ما يعتمل داخله من عاصفة هوجاء هو نفسه لم يعرف سببها و لا ما يؤججها على هذا النحو المخيف ! ساق خطواته نحوهما يضرب الأرض بعنفوان ثائر و فاجأهم بصوته الراعد هادرا :

- هل أقاطع شيئا ما هنا !!

اتسعت عيونها قائلة بدهشة :

- عـمـر !!

اسند كفيه على الطاولة كمن امسك بالجرم المشهود قائلا :

- اجل هو نفسه اعتقد لم يكن مرغوب في وجودي أليس كذلك ..

عندها وقف ماجد متصدرا المشهد بقصد حمايتها

- و لماذا ؟! هل ترانا نتخفى أو نتوارى عن الآخرين ؟!

استخدم أسلوبا أفضل و أكثر هدوءا في الحديث سلخ عيونه عن تلك المذهولة أمامه و حدجه بنظرة صارمة قائلا من بين أسنانه :

- أنا لم أوجه إليك أي حديث يا هذا و يستحسن أن تحافظ على المسافة بيننا ..

استفاقت من صدمتها و نهضت عن مقعدها بدورها قائلة باستنكار :

- ما الذي يحدث معك !! و لما كل هذا الانفعال الغريب ! أنا لا اسمح لك ، ألا تلاحظ انك تدخلت في شؤوني هاذين اليومين بما يفوق ما حدث في حياتي كلها !

أشار بيده يحذرها من التمادي مزمجرا :

- و يبدو إنني كنت مخطئا يا ابنة خالتي العزيزة ، فما رأيته خلال هذه الفترة جعلني اكتشف الكثير ..

حركت رأسها بعدم تصديق هاتفة :

- لقد جننت و لا شك ..

التفت ماجد إليها متجاهلا الآخر الذي لم يرتاح لوجوده منذ أول لقاء في الكلية و رفع يده قائلا برقة :

- تعالي سُلاف ، سأقلك للمنزل حتى أكون مطمئن عليكِ ..

قبل أن يصل إليها كان عمر قد أصبح بينهما دافعا كفه بعيدا مغمغما بشراسة :

- إياك أن تمسها و إلا لن أكون مسئولا عن تصرفاتي ، من تخال نفسك ! حذار أن تتمادى أكثر و تنسى موقعك كأستاذ بدل أن تفقده ..

زم ماجد حاجبيه بتحدي قائلا :

- هل تهددني ؟!

رد عمر بهدوء ينافي الثورة المحتدمة داخله :

- بل أخبرك أن ابنة خالتي خطا احمر لا تفكر في مجرد الاقتراب منه ..

نقل بصره بين تلك المتقعة بعدم تصديق لما يحدث و ذلك الوعيد الصادق في عيون الآخر قبل أن ترتفع زاوية شفتيه بما يشبه ابتسامة استخفاف قائلا بغموض :

- سنرى ..

ثم غادر بخطوات بطيئة و كفيه معلقان داخل جيوب سرواله الأنيق بشكل مستفز ..

حينها أطلق عمر شحناته المكبوتة قائلا بعنف :
- بالطبع ليس لديك ما يقال بعد ما رأيت بعيني
فاجأه جمودها عندما رمته بنظرة خاوية مرددة
بنبرة شاحبة حاولت أن تكسبها بعض القوة :
- إذا كنت انتهيت من استعراض القوة أريد
العودة إلى المنزل في الحال ..
قطب حاجبيه قائلا بتساؤل :
- ألن تفسري أو تحاولي .....
قاطعته هاتفة بحدة :
- أريد العودة إلى المنزل عمر ..
كانت تقاوم موجة بكاء عاتية ببسالة تهدد
بالتغلب عليها ، في هذه اللحظة وصلت إليهم
أماني برفقة ادهم الذي لاحظ شحوب الفتاة
الغير طبيعي فقال بصوته المميز :
- أنت بخير سُلاف ؟!
حالتها لم تسمح لها باندهاش من وجوده فأومأت
بسرعة قائلة :
- اجل ادهم شكرا لك ، لكني متعبة و ارغب في
المغادرة ..
أرسل نظراته المتسائلة لاماني التي تلقتها بادراك
كأن تواصلهم القديم لم ينقطع و بسرعة

بديهة أشارت له برأسها أن الأمور تحت السيطرة و عليه الاطمئنان ..

تولى عمر الزمام قائلا :

- مرحبا مجددا سيد ادهم ، بالإذن سوف اقلهما إلى المنزل ..

بالفعل تحركت الفتاتين أمامه لكن ادهم لم يرق له ما يحدث فنادى أماني التي التفتت إليه ثم عادت خطوة للخلف هامسة برقة فطرية :

- ادهم كما أخبرتك ، عمر بمثابة أخي و دائما يقلني مع جيّدا و سُلاف و بابا يسمح له ، اطمئن حبيبي ..

خرجت منها بعفوية و عدم انتباه لكنها فعلت بقلبه الأعاجيب و جعلته يحقق رقم قياسي جديد في سرعة النبض قائلا بلهفة :

- سأهاتفك الليلة ..

أومأت بموافقتها قبل أن تتابع طريقها مع الندين المتخاصمين و هو خلفها يغلفها بنظرات حانية تنطق حبا انطلق من عقاله و لن يعود لحبسه من جديد ، هذه المرة سوف يفوز بأميرته و ستكون له مهما كانت العقبات ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

مضى الطريق داخل السيارة كئيب قابض للنفس ، تبادلت سُلاف و أماني نظرة علمت من خلالها أن ما جاهدت لمنع حدوثه وقع في النهاية ..

لقد أملت أن بإرسالها عمر نحو الملاعب سوف يستغرق وقتا يكون ماجد غادر خلاله لكنها تأكدت مما أخبرتها به سُلاف الآن ، ذاك الشاب لا يجيد استقبال الإشارات أو لعله لا يريد ، السؤال هنا هو لماذا يتعمد إحراج الفتاة و ربطها به أمام الآخرين خاصة بعد إيضاحها حقيقة مشاعرها حياله ؟!

أوصلها هي أولا ثم سلك طريقه بصمت نحو منزل خالته و عندما توقف أمامه هرعت سُلاف بالترجل من السيارة و ركضت إلى الداخل دون أن تلتفت إلى الخلف ..

ازداد ضيقه بتصرفها كأنها تهرب منه فعاد يضغط دواسة الوقود و يعتصر المقود منطلقا بغل إلى أي مكان بعيد عن مصدر غضبه خشية أن يدخل خلفها و يستمر بهزها حتى تخبره بكل ما يريد معرفته أو يخنقها و ينتهي من إزعاجها للأبد ..!

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

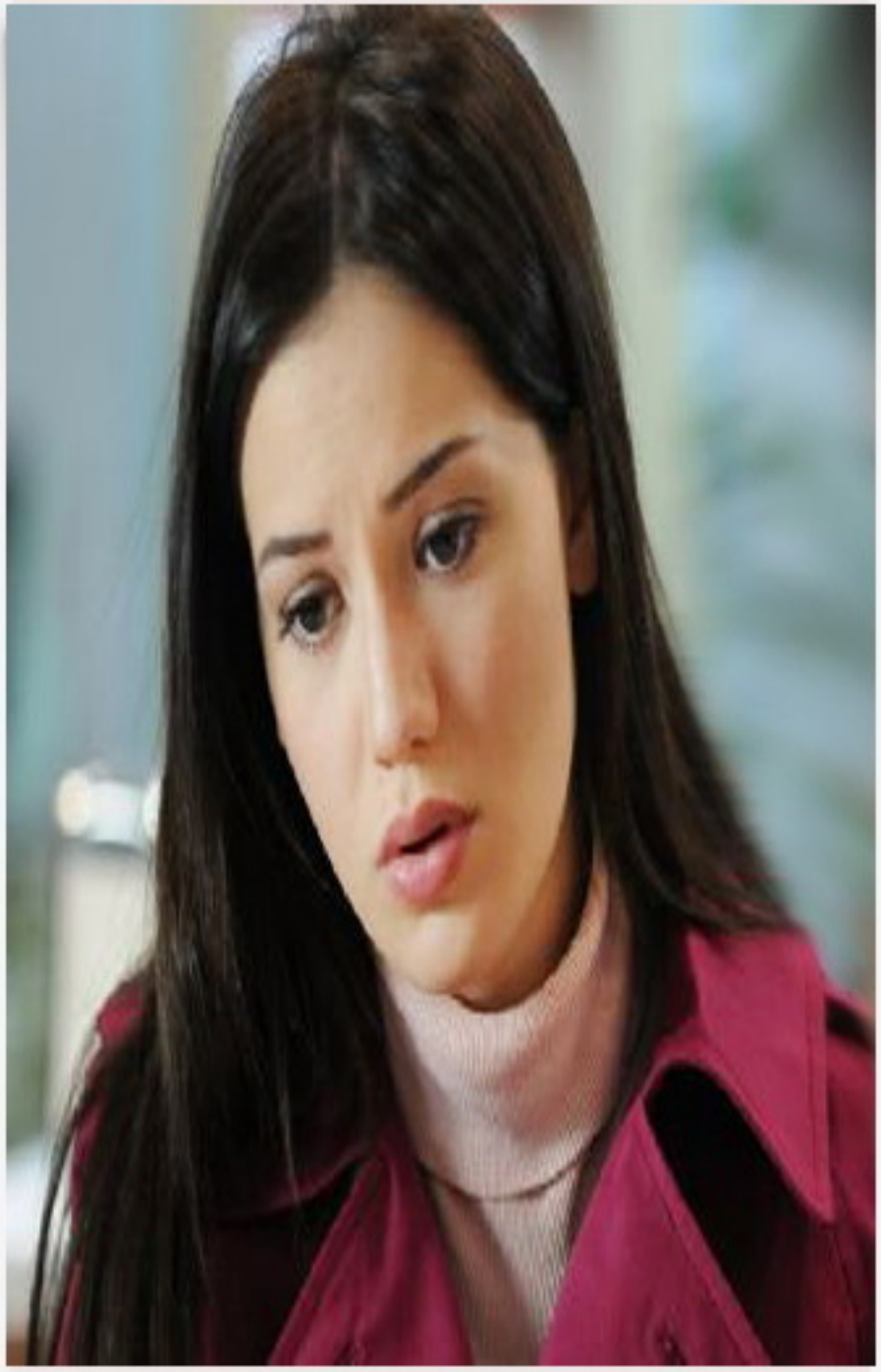

شعرت نرفين بالاختناق يستحوذ عليها ، ليتها ما وافقت والدتها على القدوم معها لمقر الجمعية ..! كان البناء المتعدد الطوابق تحيطه مساحة خضراء واسعة تستخدم بعرض الترفيه و إقامة الحفلات صيفا ، بالرغم من روعة المناظر أمامها لكنها لم تفلح في إبعاد الحنق عن نفسها .. لم يفتها محاولات البعض للفت نظرها لكنها لن تقع في الفخ مرتين فقابلتها بالتجهم و النفور .. انهمكت زينب في أحاديث جانبية مع العديد من الحضور و تركتها لتفعل المثل ، لم تكن غبية حتى تغيب عنها محاولات والدتها التي لا تيأس من دفعها لاجتماعيات لا تريدها ، كما أن ثرثرة تلك الفتاة ذات الصوت الرفيع تثير جنونها أوشكت على الاتصال بشقيقها وطلب الدعم أكثر من مره لكنها عادت و تراجعت لمعرفتها بأنه يسهر برفقة المدعوة نازلي ، صحيح لم تتقبلها أبدا لكنه يحبها و في النهاية هو من سيعيش معها لذا فالخيار له ، ربما عدم معرفتها بها بشكل كافي له دخل في انطباعها الأولي .. اقتربت منها نفس الفتاة التي أصابتها بالصداع طيلة الليل قائلة بغنج :

- لم نعتاد رؤيتك هنا نريفي ! ما الذي جد و جعلك تقررين النزول من برجك العالي إلى عالم البشر الفانين أمثالنا ؟

تنفست بعمق لتدفع الإحباط بعيدا ثم رفعت رأسها لمواجهتها قائلة :

- لم أكن اعلم انك تفتقدينني إلى هذه الدرجة شيري ، على كل حال شكرا ..

مالت الأخرى برأسها قائلة بمكر لم تبذل جهدا في إخفائه :

- كيف لا افعل و أنت لا تخرجين من كهفك المظلم إلا في المناسبات الرسمية ، أتعلمي لقد صار الجميع يراك كعجوز طاعنة في السن ، انظري لشعرك أو ملابسك !

ثم افتعلت الارتباك واضعة كفها فوق فمها و تابعت :

- أوه المعذرة نريفي ، لم اقصد .. هل ضايقتك ؟

زمت شفتيها بالكاد تسيطر على حنقها المتصاعد و رمتها بابتسامة صفراء خرجت أشبه بالعبوس و قبل أن تفكر برد مناسب لاحظت تغير ملامح الفتاة و كيف ركزت بصرها على شيء ما خلفها رحبت به أيا كان مصدره طالما نجح في إلهائها عنها ..

أشرق وجه شيري و تبخرت خططها لإزعاج نرفين التي فاجأها وجودها الليلة على غير عادة عندما لمحت وصول شاهين الذي دلف للتو من الباب الرئيسي تحيطه هالة من القوة و الرجولة الكاسحة التي تميزه ..

قفزت من مكانها متجهة إليه لكنه لم يرى سوى ذلك المعقد و ساكنته التي توليه ظهرها ، لن ينكر إنها السبب الوحيد لحضوره عندما اتصل و أخبرته سكرتيرة الجمعية عن وجودها بشكل عفوي عندما سأل عن والدته أو الخالة زينب ..

تعلقت بذراعه و ألصقت نفسها به بشكل ملحوظ و لم تفلح محاولته لإبعادها ، وصلت إليه والدته تحمل دهشتها هاتفة :

- شاهين ! مرحبا بك حبيبي ، لقد اكتملت سعادتي بوجودك ، أوه ما أجملكما معا ، هكذا أحب أن أراكما دائما ..

رفعت شيري نظراتها الهائمة إليه لكنه قابلها بعبوس بينما يسحب ذراعه من بين يديها بصعوبة و يتجه خطوة للأمام قائلا :

- المعذرة أمي ، سألقي التحية على الخالة زينب ..

و قرن قوله بالفعل عندما تحرك باتجاهها دون أن يلقي بالا لابنة خالته التي ضربت الأرض بحنق طفولي ....

انسابت نغمات حالمة تطوق المكان و تلفه بالدفء و قد تجمعت أزواج الراقصين ينقلون خطواتهم الرشيقة عليها مما جعل نرفين تتململ في سجنها الاختياري شاعرة بانقباض أنفاسها منذ أبصرته يحوم حول القاعة من بعيد و لم يفتها الحصار الذي ضربته قريبته حوله و تشجيع والدته لها ، الأمر كله لا يعنيها لكنها تريد الفكاك غير راغبة في مواجهة جديدة بينهم ..

عقدت العزم و استدارت بمقعدها لكنها شعرت برفض عجلاته إطاعتها و قد تسمرت في الأرض بعناد !

التفتت برأسها تستطلع الذي يعيق حركتها لتجد قبضة شاهين تطبق على مقبض كرسيها من الخلف أو لعله الشعاع الفيروزي الخلاب المنبعث من حدقتيه هو ما صهر العجلات و جعلها لينة فاقدة القدرة على الحركة كما مفاصلها الواهنة ..!

ازدردت لعابها ببطء مع استدارته الحثيثة ليصبح في مواجهتها دون أن يتخلى عن تثبيتها بقبضته الفولاذية ..

افتر ثغره عن ابتسامة عذبة قبل أن يباغتها بطلبة الصاعق دون مقدمات :

- ارقصي معي ..

أصاخت السمع مرتين ، هل نطقها فعلا ؟! ألا يرى ما يحيطهم و ما تجلس عليه ! كل الشواهد تشير إلى استحالة مطلبه فهل يسخر منها عامدا !!

أدرك حيرتها كأن داخلها مرآة شفافة يقرأها دون عناء ، فعاد يغمغم بصوت شجي ليقضي على آخر معاقل مقاومتها :

- مازلت انتظر أم لعلك تخافين الاقتراب مني !

أجلت حنجرتها بصعوبة بينما هناك غصة كبيرة تسد مجراها التنفسي ، أردفت بارتباك

- بالطبع لا أخشاك ، لما قد افعل ؟ لكن ...

قطع محاولتها البائسة قائلا بعبث :

- كوني منطقية نرفي ، الجميع يعلم بقدرتك على السير و الحركة الطبيعية دون هذا الستار الذي تختبئين خلفه ، فهيا اثبتي لهم انك لست تلك الفأرة الجبانة و انهضي لتشاركيني ..

ضيقت عيونها هامسة بحيرة :

- ما الذي تحاول إثباته شاهين ؟!

حرك كتفيه مرددا ببساطة :

- كل ما ارغب فيه هو رقصة بريئة معك ، لا أظنه شيء كبير صغيرتي ، انظري حولك ستجدين الأغلبية يفعلون ..

أغمضت عيونها في محاولة لإثنائه :

- ستجعل مني و من نفسي أضحوكة أمام الآخرين ..

تابع بابتسامة ذات مغزى :

- و لما قد يحدث ذلك ؟! ألا تجيدين الرقص ؟

حدجته بنظرة غاضبة اجتهد من أول اللقاء ليجعلها تصل إليها هاتفة :

- تبا أنت تعلم ما اعني ..

أشار بإصبعه أمام وجهها كما لو كانت طفلة عنيدة :

- و لأني اعلم ذلك جيدا أصر على الرقص معك ، و إن لم تنهضي في الحال سوف أحملك مسببا الفضيحة التي ينتظرها كل هؤلاء بشغف ..

ثبت نظراته فوق عيونها بطريقة الصقر القناص الذي لن يحيد عن هدفه أبدا و قد وصلها المعنى بكل وضوح فنكست بصرها بضعف قائلة بخفوت :

- اتركني رجـاء ، لا أريد ...
رفع ذقنها بطرف سبابته حريص على عدم جرحها بلمسة تحط من قدرها أو تسبب لها حرجا من أي نوع فحبيبته نقية كزهرة ربيع لم تفتح برعمها حتى لاستقبال ندى الصباح طلبه للرقص معها لم يكن بغاية التقرب منها فهو لن يفعل بل لأنه وجدها فرصة لإجبارها على الخروج من شرنقتها عله يمزقها هذه المرة للأبد أراد إطلاقها كفراشة زاهية الألوان لا تهاب الرفرفة بجناحيها أمام الآخرين لأنها تستحق ذلك ..

- هيـا مولاتي المحاربة ، اخلعي رداء التخاذل لأنه لا يليق بك ..

استقام أمامها بشموخ رجولته الجبار و مد كفه يحثها على قبول دعوته ، بينما كان قلبها يختلج داخل صدرها متخبطا بشدة لتلك التسمية التي أطلقها عليها ! لقد دعاها بالأميرة ، بل أميرته هو ، فهل هي حقا تستحق ذلك ؟!

وجدت كفها الرقيق يمتد طواعية و يعانق أنامله القوية كأنما نبتت له إرادة مستقلة ثم حمّلت قوتها عليه و نهضت شاعرة أنها طفلة تخطو أولى خطواتها في الحياة ..

خشيت التعثر فوضعت كل عزمها على كفه الذي تلقاها ببساطة و لم يخيب ظنها ، ادعت عدم سماع تلك الشهقات المتناثرة و لا النظرات الفضولية المطعمة بالهمسات هنا و هناك ثم تقدمت معه مغيبة عن الواقع ..

قادها إلى حيث يتحرك الراقصين من كافة الأعمار رغم قلة الحضور و عدم اكتظاظ المكان بأعضاء الجمعية لكن الجميع أراد أن يحصد نصيبه من الهناء تهدهدهم النغمات الحانية ..

ظهر تصميم ثوبها الرقيق منسدلا فوق قوامها بأناقة أبرزت رشاقة جسدها الفتي بتحفظ و حياء ، بالكاد مسها شاهين فقط بالقدر الذي يسمح له بقيادة خطواتها المتعثرة في بادئ الأمر لكنها سرعان ما تمكنت من الثبات بمهارة علم أنها متوارية في مكان ما داخلها ، أرادها أن تكتشفها بنفسها لتنهي خوفها المرضي الذي يضخم إحساسها بالعجز

بدت كما تخيلها تماما ، انسكبت نظراته الحامية عليها تعزلها عن أعين الراصدين و تؤمن لها ملاذا أثار حقد و حنق تلك التي

يأكلها الغيظ منذ اقترب شاهينها من هذه المعقدة البغيضة و استطاع إخراجها من عالمها الكئيب ..!

لا لن تسمح له بذلك فمكانها هو ذلك المعقد البائس و لا ينبغي أن تغادره لتستولي على ما يخصها ، ستعود إليه في الحال و هي تعرف السبيل لذلك ..

بديا غافلين عن العالم و قد تعلقت عيونها بوميض أحداقه الساطع الذي أحاطها بقوقعة غلفتها بإحساس منعش تجربه للمرة الأولى منذ وعت لأنوثتها و خرجت من أحلام الطفولة للشباب ..

لكن الحلم لم يدم طويلا حيث اقتربت شيري بهالتها السوداء إلى مكان مشغل الاسطوانات هاتفة بصوتها الحاد المزعج للأذن ليعلو على معزوفة الحنين الشادية ..

- لقد جلبت معي مفاجأة ، الاسطوانة الفائزة بجائزة العام ، لم تنزل بعد إلى الأسواق ، سنستمتع بها بعد أن ينتهي شاهين من إثبات أن العرجاء تستطيع الرقص و مواكبة جميع الأجواء ، السنا في جمعية خيرية و علينا أن نكون مضربا للأمثال ..

ثم اقتربت منهما و أكملت بنعومة أفعى :

- شكرا عزيزتي نريف ، اعلم كم كان الأمر محرجا لك لكن الإعلان عن الجمعية يستحق بعض التضحية منك كما فعل شاهين ..

جمد الجميع و توقف الزمن ، بدت الأصوات آتية من بعيد و صار البرود هو المسيطر

ارتفعت شهقات الاستنكار و هبت زينب واقفة باستهجان ، لولا قدرها و احترامها لأعطت تلك السخيفة ما تستحق لكنها لن تهبط لهذا المستوى و تسبب جرح أكبر لابنتها ، حتى ناريمان لم يعجبها تصرف شيري الخبيث ، لقد تعمدت اهانة الفتاة و الجميع يدرك ذلك ، صحيح هي لا تريدها لوحيدها لكنها لا تكرهها و لا تتمنى لها أي إيذاء على العكس تشعر بإحساس الحماية تجاهها ..

أما تلك المصعوقة التي تحجر الدمع داخل مآقيها كتلا صماء تجثم على روحها الأبية ، بدت كما لو كانت على شفا الموت فانسلت من أمامه إلى ذراعي والدتها تختبئ بينهما ، أنّاتها الداخلية أذابت قلبه و صهرت مشاعره ..

سيطرت عليه عدة رغبات ملحة ،

ود لو يعتصر عنق تلك الحقيرة حتى يسلبها الروح تعويضا عادلا عما ارتكبته من جرم لا يغتفر و يخطف الأخرى المرتجفة كطير ذبيح يعلن انتفاضة موت قادم راكضا بها إلى مكان لا يراهم فيه مخلوق ليقضي العمر بين ذراعيها يبثها حبه و اشتياقه منذ الأزل ..

أن يهتف بغرامها المتدفق داخل شراييه معلنا كونها خلقت لأجله و كيف يراها أكمل و أجمل البشر ..

ازدردت لعابها بتوتر بينما تلاحقت أنفاسها نتيجة كبحها نهر الدموع الذي يلح بالتدفق بقوة فولاذية و أجابت سؤال والدتها الملتاع قائلة بنبرة ميتة :

- أنا بخير أمي ، لكني أريد العودة للمنزل رجاء

أصر شاهين على إيصالهم لكنها صرخت برفض حازم لا يقبل التراجع لذا غمغمت زينب بتفهم أن سائقهم ينتظر بالخارج ..

بعد انصرافهم السريع استدار محدجا تلك العديمة الإحساس بنظرة قاتلة فحاولت أن تبرئ فعلتها مرتدية ثوب الحمل و إنها لم تقصد الإساءة بل تحدثت بعفوية ظنا منها أنهم يقدمون إعلان عملي عن الجمعية التي تهتم بالجميع دون تميز ..

أوشك على الفتك بها لولا بقية ضئيلة من التعقل سيطرت عليه مع تدخل والدته التي رددت بضعف و عدم اقتناع :

- اهدأ بني ، ابنة خالتك لم تقصد الأذى ، تعلم إنها تندفع أحيانا و تتصرف بعفوية دون تفكير ....

قاطعها هادرا بغضب يلتهم خلاياه و يجعله قادرا على ارتكاب جريمة :

- عفوية !! الاستخفاف و السخرية بمشاعر الناس تطلقين عليهما عفويه أمي ! أهذا هو مفهومها عن التعامل مع الآخرين ؟ جيد أن رأيت بعيني ، انتهينا سيدة ناريمان ..

قالها بقوة و اندفع كليث عاصف يطلق النيران من أحداقه الملتهبة ..

كيف تستطيع لومه بينما تستهجن تصرف الغبية التي أفسدت ما ظلت تخطط له سنوات بلسانها الأحمق ، يبدو أن عليها إعادة التفكير جديا حول مدى تأهيلها لمشاركة ابنها حياتها كما عليها الاتصال بزينب و الاطمئنان على الفتاة المسكينة ..

تبـا لك شيـري الآن هي مضطرة لتقديم اعتذار لزينب التي ستكسب نقطة ضدها ، يا للغبـاء

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

احتملت الطريق صامتة بالكاد حتى وصلت غرفتها التي أغلقتها خلفها بإحكام ثم تركت لنفسها العنان و انهارت فوق فراشها تنتحب بعنف ، أخرجت دموع قهر ، حزن ، غضب و خسارة ..

كل هذه الأحاسيس امتزجت و أخرجت شعور مرير أدمت قلبها الفتي من جديد ..

إلى متى تعاني الصدمات و لماذا ؟ ما الذي جنته لتعاقب على هذا النحو ؟!

ظلت كلمات الفتاة تدوي داخل أذنيها رافضة المغيب ..

عرجـاء ، عرجـاء ، عرجـــاء

تعلم إنها سطحية و سخيفة و لا تلقي لها بال لكنها ذكرت الحقيقة ، هكذا يراها الناس ، مجرد معاقة تستحق الشفقة و الإحسان و هو مثلهم ..

لما لا يتركونها و شأنها ؟ إنها لا تريد أحدا ، لا تريد أحدا أبـــدا ..

ترقص الحروف أمامي
تنبض بكلمات تلون صفحات حياتي
ألوان زاهية ترسم لوحة تعكس ما بداخلي
من حب ، أحلام ، آمال ، انكشف ما في قلبي لك
أيها الورق لا تخجل حروفي و تسألها لما تنبض بالمشاعر ، لا تحرجها
لا ترسم الألم على محياها فأحرفي رقيقة كمعانيها لا تقصد أن تجرح أو تلوم
و إنما كتبت كي تكون بسيطة كنبضات قلبي ، رقيقه كرفرفة الفراشات
ما كانت تقصد دموعا أو حزن إنما تكشف الروح ، تفتح النوافذ ليطل عليها
ضوء الشمس ليختبئ الظلام و تتوارى خلف حروفي تمتص أحزان الألم و الفراغ
لكن .... ظلمتها عندما حررتها
أصبحت الآن تنهشني
و تطعن قلبي باحثة عن ظلمة لتثيره ، تشتته ، ليغضب هائجا
ممزقا السكون بداخلي وتنهض الأحزان طاعنة قلبي
نظرت حروفي بعجز ..

لما فعلته بغفلة منها ، هربت عائده و لم تجد ما يحتويها
تطاردها أحزانها ، ألمها
و وحوش الظلام التي أثارتها
مذعورة خائفة تعجز عن الخروج كي لا تطاردها أنياب
الحزن و تمزقها ، تبكي بقهر أصبحت مهتزة
تتراقص بذعر ، أورقها باهته مشتته
خائفة متعلثمه .. هذه هي أحرفي !

بقلم / loversense

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

لم يكن حال مراد أفضل من شقيقته و صديقه ، كأن القدر عزم على جعل ثلاثتهم يعانون في وقت واحد ..

كانت الليلة تسير على خير ما يرام و سهرته من نازلي تقود مباشرة إلى مفاجأته التي دعاها للخروج من اجلها ، تقديم الخاتم و طلبها للزواج كما يفترض ..

لكن كل شيء تبدل عندما تقدم مدير أعمالها من طاولتهم بصحبة رجل آخر يرتدي ابتسامة لزجة تحمل في باطنها ما لم يعجبه ، قدمه كصاحب إحدى دور الأزياء التي تتخذ طريقها نحو الشهرة و هناك أعمال عالقة بينهم ..

لم يستسغ تصرف نازلي عندما دعتهم إلى مشاركة الجلسة التي تحولت من مسارها للنقيض ، ليس ذلك فقط لكن ما أجج غضبه و جعله أشبه ببركان يهدد بالانفجار هو جرأة نظرات ذلك الرجل إليها قبل أن يتوجه بطلب مراقصتها بوقاحة غير خافية و الأدهى هو رد مدير أعمالها المتصابي عندما أومأ بموافقة سعيدة دون أدنى اعتبار لوجوده ..!

عندها هب عن مقعده و كاد أن يطيح بالطاولة و من عليها مزمجرا بصوت لم يتعدى نطاقهم :

- لقد فاض الكيل و لولا أن لا رغبة لي في إفساد ليلة المتواجدين بالمكان لكان لي شأن أخر معكما ..

ثم حدجها بنظرة صارمة و تابع :

- لقد انتهت السهرة و سوف نغادر في الحال ..

وقفت حائرة لبرهة تحول نظراتها بين غضبه الساحق و الرجلين المستنكرين فظاظته و ضيق افقه كما وصفاه بداخلهم بالطبع فلن يجرؤ أيهم على الإفصاح عما يجول بخلده ..

لم يمهلها أكثر و تحرك مغادرا بالفعل ..

بسرعة البرق درست أولوياتها و أدركت أنها غير مستعدة لخسارته فمنحتهم نظرة اعتذار راجية و هرعت خلفه لتلحق به قبل أن يخرج من الباب الرئيسي قائلة بخفوت و ضعف تعرف كيف تلون به نبرة صوتها :

- آسفة حبيبي ، أرجوك سامحني إنهم لم يقصدوا أي إساءة ، هذه التصرفات تعد عادية في مجال عملنا ..

كانا قد أصبحا بالخارج فالتفت إليها بحدة ليلسعها وميض عينيه الداكنتين كأنهما جمرتين اتقدتا بشكل يهدد بالخطر ..

طغت بدائيته الهوجاء على رقي طلته الوسيمة فبدا أشبه بغازي قادم عبر طيات الزمن ينفض غبار الاستكانة و يتقلد سيف الشرف و العراقة .. نطق بنبرات حازمة لا تقبل الجدل و لا المعارضة:

- و هذا يجعلني رافضا لعملك أكثر من السابق نـاز ، عليك الاختيار الآن إذا ما أردت أن نكمل معا لم تكن بحاجة لوقت حتى تتخذ قرارها فبحسبة بسيطة تعلم أن مستقبلها مع مراد أفضل ألف مرة من عملها الذي لن يدوم ، لذا قالت باندفاع :

- بالطبع اختارك أنت ، الديك شك بمقدار حبي لك مراد ! سأفعل ما تريد حبيبي فقط أمهلني الفرصة لأنهي كافة التزاماتي و العقود التي سبق و قمت بتوقيعها ، بعدها أنا طوع بنانك ، لن يكون في حياتي سواك ، أما زلت غاضبا مني !!

مسح وجهه بكلتا كفيه ثم زفر كأنه يطرد طاقته السلبية بعيدا قائلا بنبرة اكتسبت بعض اللين و الرضا من إجابتها التي أرضت غروره :

- لا ، لقد انتهى ذلك ، من الأفضل إننا حسمنا الأمر ، هيا لأقلك لمنزلك ..

تعلقت بذراعه بغنج تجيده هامسة :

- و بعدها ؟ هل ستذهب إلي منزلك الخاص أم عند والديك ؟

قلب شفتيه مرددا :

- بل منزلي ، والدتي و نرفي تمضيان السهرة في مقر الجمعية ليتنا انضممنا إليهم بدل سهرتنا الفاشلة ..

شكرت حظها انه لم يصطحبها إلى هناك فهي بغنى عن احتمال فظاظة شقيقته و لا عجرفة والدته ، يكفيها انه لم يفهم تلميحها حول منزله كالمعتاد ، يا الله ألن يطلب منها الانتقال إليه أبـدا !!

عليها المزيد من الصبر و تركه يفعل ما يشاء بعدها ستكون كل الخيوط بيدها و ستتحكم في الجميع من القمة التي ستعتليها بمجرد زواجهم

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

استلقى فوق فراشه الخاوي محملقا في السقف بعد عدة محاولات فاشلة في التركيز على إحدى الجراحات المصورة على حاسوبه ، لقد كان يفعلها ببساطة وقت أن كانت إلى جواره ، كأنه يستمد استقراره النفسي من تواجدها حوله ، تبـا لقد اشتاق إليها ..

للفضة المنصهرة داخل أحداقها عندما تنظر إليه ، لضوضاء و شغب طفليه ، حتى استيائها من تأخيره و انشغاله يفتقده ..

اهو اعتياد أم حب لم يدركه حتى رحل عنه ؟
و هل رحل ! لالا بالطبع لا ..
بهذه اللحظة علم أن حياته الحقيقية التي لا غنى له عنها تعني وجود ندى معه تحوم حوله و طفليه بحنانها الذي تغدقه دون حساب و لا انتظار مقابل ، كم كان أناني عديم الفهم ..
أراد القيام بشيء مجنون ، أن يخلع رداء الطبيب المتزن و يعود لسنوات الطيش الغاربة ، و لما لا ؟ انه لازال شابا رغم الأعباء و المسئوليات و من حقه إنقاذ سنواته قبل أن تغادر دون عودة ..
تناول هاتفه و هاله الخواء الذي وجده !
مجرد هاتف عملي لا يعرف غير أرقام العمل و القليل من الصور الحديثة لطفليه و ليس هو من التقطها حتى بل عاصم أو ندى !
يا الهي و أين صورتها هي ؟ أيعقل انه لا يمتلك واحدة لزوجته ؟!
أعاد فتح الحاسوب ثم أوصل الهاتف و اخذ ينقل ما وجده داخل احد الملفات بعنوان " عائلي "

لا ريب إنها هي من وضعته لأنه لا يعرف عنه ، كمحاولة أخرى لتذكيره بما يفوته خلال أوقات عمله الطويلة و لم يعرف قيمة ذلك سوى الآن بينما تقتله الوحدة و تلفه بردائها القاتم ..
بعدها دخل إلى عدة مواقع و استمر يبحث عن شيء بعينه و قد استعاد نشاطه و حماسته ..
بعد فترة احتلت قسماته ابتسامة منتصرة و عاد ينتقل إلى هاتفه و ينفذ مغامرته الجديدة

❖❖❖

على الجانب الآخر استلقت ندى بعد اطمئنانها على استقرار عاصم و لانا داخل فراشهم هانئين تفكر في حال شقيقها الذي تحول من النقيض إلى النقيض منذ عادوا من النادي لقد بدا مختلف كما لو استعاد سنواته الضائعة ، هناك شيء جديد يلمع داخل أحداقه الداكنة .. عجزت عن الفهم و عندما فاض بها الكيل سألته صراحة فكانت أجابته عبارة عن كلمة واحدة :

- أمـاني ..

التقاها في النادي إذن ، لكن أيعقل أن لقاء واحد يجعله يتخطى الزمن و يستحضر ادهم القديم ! تقسم إنها شاهدت روح أخيها الوثابة و عزمه يتدفقان من كل مسامه هذه الليلة و قد أسعدها ذلك و ...

قاطع أفكارها صوت هاتفها يعطيها التنبيه الخاص بوصول رسالة جديدة ، التقطته لتجد رسالة وسائط سمعية ! قطبت حاجبيها بحيرة عندما وجدت المرسل خالد زوجها ، سارعت بفتحها لتجد اغرب شيء قد يخطر على بالها يوما ..!

أغنيـة ! خالد يرسل لها أغنيه !! لما و كيف ؟!

أجلت تساؤلاتها و دهشتها حتى تستمع إليها و تعلم مقصده ، هرعت تديرها ليصدح صوت المطرب حاملا إليها رسالته المبطنة في بادرة أولى من نوعها ...

أنت عايز مني إيه ؟ ما بنمش الليل
أنا تعبان ييجي من اكتر .. شهرين و اكتر ما بنمش الليل
وأنت حبيبي امتى تفكر ؟ تهدي و تكبر ! ورتني الويل

❖❖❖

أنت عايز مني إيه ؟ قولي بس أعملك إيه ؟
قلبي قالك علي فيه و باقي إيه ؟
هو أنت عايزني احبك موت و نقضيها سكوت فسكوت
لأ و بقولها بأعلى صوت و أخاف من إيه !

❖❖❖

إيـه الحكاية ؟ ليل نهار بلاقيك معايا
أجي ابص في المرايا ألاقي صورتك جنبي ليه ؟
و قدام عينيا بس متحرم عليا
قولي مين زقك عليا ؟ تقل راحتي واعمل إيه ؟!

كلمات / عبد العزيز عمار

أعادت تشغيلها لعديد من المرات حتى يستوعب عقلها ، هل يقصد ذلك حقا ؟! هل اشتاق إليها و بات يفتقدها ؟ لا ينبغي أن تتصرف كعاشقة حمقاء بمجرد أن يلوح لها و تهرع خلفه ، عليها الثبات حتى تعرف ما وراءه حقا ..
علمت ما ستفعله و قامت بالرد على رسالته بالمقابل ..

❖❖❖

ظل ينتظر بشوق ، هل ستتصل ؟ لا ريب أنها ستفعل كاد أن يفقد الأمل و يغلبه النعاس بينما ينتظر ردها الذي وصل أخيرا ممثلا في رسالة مماثلة ، فتحها بلهفة ليستمع للصوت الحنون يشدو ناقلا إليه ردها ...

خد بالك عليا دي مش معامله تعاملني بيها
و ابقى افتكر ليا أيام تعبت عشانك فيها

❖❖❖

يا ريتك بس تفهمني و متستهونش
دي الوحده تبقى مجروحة و مبتبينش
دي الوحده قد متضحي و تستحمل
أول ما بتفكر تنسى ما بتستئذنش

❖❖❖

كان في حاجات نقصاك و أنا كملتها
وحاجات كتير مش حلوة فيك جملتها
أنا فرصة لو ضيعتها هـ تزعل عليها

❖❖❖

مين غيري عايشة تخاف عليك طول عمرها ؟
مين غيري هتسيب روحها ليك لو سبتها ؟
مين غيري لو تحتاج لها قوام هتلاقيها

❖❖❖

يا ريتك بس تفهمني ومتستهونش
دي الوحده تبقى مجروحة و مبتبينش
دي الوحده قد متضحي و تستحمل
أول ما بتفكر تنسى ما بتستئذنش
كلمات / نادر عبد الله

قطب حاجبيه بعدم فهم ، ماذا يعني ذلك ؟ ألا زالت غاضبة منه ؟ لما لم تحادثه ؟! تناول الهاتف من جديد ليتصل بها لكنه قبل إتمام الاتصال تراجع و عدل عن ذلك ، لا يعرف السبب لعله أراد منحها المزيد من الوقت ..

حبس حيرته داخل قلبه و اعتدل واضعا رأسه فوق الوسادة بقهر محاولا تنحية ما حدث عن ذهنه المتعب ليحظى ببعض النوم فالغد ينتظره حافل بالعمل المحتاج لكل ذرة تركيز لديه ....

على النقيض منه كانت ندى تقلب في هاتفها وقد استمعت لهديته مرات إضافية و قلبها يرقص داخل صدرها بغبطة لم تشعر بها حتى أيام خطبتهم ..

طبعت قبلة فوق صورته هامسة بسعادة :

- تصبح على خير حبيبي ..

ثم وضعته بعيدا و اندست بين الشراشف الوثيرة لتنعم بليلة من الأحلام العذبة كان بطلها الأوحد زوجها الحائر و النائم هناك وحده لكن يكفيها انه بدأ يشعر بها و تحرك تجاهها ، هذا ما أرادته و لن تهدر فرصتها أبدا ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

أغلقت جيّدا المحادثة الثلاثية مع سلاف و أماني التي ساقت إليهما البشرى و كانت تفيض فرحا و سعادة على كلتيهما ..

لم تصدق حقيقة ما حدث و كيف ابتسم القدر و أهدى ابنة عمها كل ما فقدته كأن ما سبق كان مجرد اختبار لقدرتها على التحمل ..

ما يهم الآن أن حب أماني و ادهم تحدى كل الصعاب و أعادهم إلى بعضهم ، بالتأكيد أن بعد ما اختبرا عذاب الهجر و البعاد سيكونان أقوى

في الدفاع عنه و الحفاظ عليه ، لا مزيد من الاستسلام خاصة مع الظروف الجديدة لكليهما ، تمتمت بدعوات عميقة طالبة التوفيق و السداد من الله ..

هذا هو الحب الذي تريده و تنتظره ، لا ريب انه موجود بمكان ما ..

احتضنت نفسها و أطلقت تنهيدة عميقة ، سوف تجد حبها الحقيقي حتى لو كلفها ذلك سنوات عمرها بأكملها ..

الأخبار السعيدة جددت عزمها و جعلت النوم يطير فهبت من فراشها راغبة في إنهاء لوحة الفتاة كما وعدتها ..

كانت قد أنجزت منها قدرا كبيرا بالفعل بعد جلستين بحضور صاحبة الصورة و الآن قد صار لديها الخطوط الأساسية و تستطيع إكمالها بسهولة ..

تمنت لو نقلت الحامل إلى الشرفة لكن البرد القارص منعها فاكتفت بالبقاء في الدفء ثم غرقت بين أنابيب الألوان و الفُرش لفترة لا بأس بها بينما تدندن لحنا ناعما بصوتها الشجي ، كان هذا دأبها كلما عكفت على إحدى لوحاتها

أخرجها من استغراقها نقرات خافتة على باب غرفتها فوضعت الفرشاة و اتجهت إليه تتساءل من يكون زائرها فهي لم تطلب شيء من خدمة الغرف كما أن الوقت متأخر ..!

كانت الفتاة ذاتها التي دخلت بمجرد أن فتحت لها هاتفة بالانجليزية :

- لقد أبدلت نوبتي مع إحدى زميلاتي ، يمكنك القيام بمغامرتك هذه الليلة كوني مستعدة و حذار أن تستغرقي في النوم ..

اتسعت عيون جيّدا التي هتفت بجذل :

- أوه أخيرا ، شكرا لك ، اطمئني لن أنام ، سأقضي الوقت المتبقي في إكمال لوحتك ، هاهي لم يتبق لها الكثير ، بعض الرتوش النهائية و تكون جاهزة ..

نظرت إليها بإعجاب و أردفت مع ابتسامة ممتنة :

- أنت موهوبة حقا و يسعدني مساعدتك ، لم احظ بلوحة جميلة مثلها في حياتي

ثم ناولتها اللفافة التي تحملها و تابعت بحماس :

- هاك ارتدي هذا القميص و كوني جاهزة ، سأعود إليك عندما تخف الحركة بالفندق

و لا تنسي وضع وشاح سميك ليقيك البرودة الشديدة هناك ..

أومأت الأخرى توافقها بسعادة :

- اتفقنا ، سأكون بانتظارك ..

عادت الفتاة أدراجها تباشر عملها تاركة جيجي في عملها تستعد لخوض أولى مغامراتها على الأراضي التركية ...

نهاية الفصل

دمعات القمر

القطرة السادسة

ارتدت جيّدا الزي الخاص بالعاملين في الفندق و أحاطت عنقها و كتفيها بوشاحها الصوفي كما ارتدت غطاء رأس سميك غطى شعرها و أذنيها و بث فيها الدفء استعدادا لرحلة صعودها إلى سطح البناء مستقبلة وقتها المفضل من اليوم ..

ساعة السحّر حيث تحلو المناجاة الإلهية و يستمع الخالق لدعوات الساهرين ملبيا بعطاء لا يقدر عليه سواه ، رب الأكوان و منظم شؤونها ، حملت جيجي دفتر رسوماتها الكبير مع مجموعة أقلام متنوعة ملأت بها جيوبها ثم اتجهت خلف الفتاة التي قادتها عبر مدخل خاص إلى المطبخ الذي كان أشبه بخلية نحل نشطة و التحضيرات لليوم الجديد قائمة على قدم و ساق ، فعلت كما أخبرتها الأخرى و لم تلتفت لأيهم حتى خرجت من بابه الخلفي إلى مكان واسع مقسم لعدة أقسام جزء منها يستخدم كمخازن للمفروشات و الأطعمة و غيرها ..

عندها وجدت باب متسع يقود لخلف الفندق حيث تجد سلم يقود مباشرة للمكان المنشود هالها حجم المساحة الشاسعة بالأعلى ،

و من مكانها المرتفع استطاعت كشف أماكن كثيرة من المدينة الساهرة ..

وضعت الدفتر بحرص فوق احد خزانات المياه الضخمة المنتشرة حولها و جالت تستكشف كل زاوية و الطلة الخاصة بها قبل أن تقرر الجهة الأنسب لالتقاط الشعاع الوليد ..

رفعت رأسها مستمتعة بروعة الجو و لسعة الصقيع المنعشة تبهج روحها ، لطالما أحبت الشعور بها رغم تذمر والدتها التي تخشى عليها الإصابة بالزكام ، لكنها تدمن استقبال كل فجر جديد و تخليده بفرشاتها كل مره بإطلالة مختلفة متمتمة بتسبيح الخالق الذي أبدع فصور و تجلى بأروع النعم ..

انتقلت أثناء جولتها إلى الجانب الغربي حيث ترائى لها حي سكني من مسافة لا بأس بها ، لا ريب انه يفصل بينهم شارع أو أكثر لكن عدد طوابق الفندق مكنها من رؤية نوافذ تلك الفيلا الفخمة بوضوح ..

كادت تستدير متابعة استكشافها لولا أن لفت انتباهها أمر غريب يحدث داخل النافذة الأقرب ! بتدقيق بسيط استطاعت كشف الغرفة خاصة

و إن الستائر مفتوحة و الزجاج أملس شفاف يظهر كل شيء لان الغرفة غارقة في الضوء مع موقعها في العتمة فكانت الرؤية ميسرة لها ..
بدا أنها غرفة مكتب بالغة الثراء يتوسطها مكتب اثري مطعم بالنحاس يجلس أمامه رجل أشيب الشعر و هناك عدة أشخاص غيره ، لم يكن هذا ما لفت انتباهها بل ما يدور بتلك اللحظة ..!
لقد خُيل إليها أنهم في مشادة عنيفة ، تحديدا ثلاثة منهم ، رجل أشيب و الثاني مكتظ الوجه مقدمة رأسه خالية من الشعر أما الآخر فيبدو اصغر سنا و أشقر بملامح أوربية ، البقية يقفون بأماكنهم في ثبات كأن ما يحدث لا يعنيهم أو لعلهم حراس شخصيين لا تعلم ..
تطور الوضع بسرعة شديدة و اكتسب المشهد سمة العنف عندما وجدت الشاب يقترب من الأشيب ثم يلف حول رأسه شيء ما لم تتبينه بشكل خاطف لم يمهل الآخر الدفاع أو إبداء أي ردة فعل بينما كفيه داخل القفاز الجلدي تعتصران عنقه بوضوح ، بنفس الوقت يتحرك الأصلع تجاه المكتب و يفتح أدراجه مستحوذا على كل محتوياته من مستندات و ملفات ..!

وجدت نفسها تخطف دفترها القريب و يدها تسجل ما يحدث أمامها بمهارة احترافية دون إرادة منها أو قدرة على التوقف ، رغم ارتجاف أناملها و أنفاسها التي تحبسها من فرط الصدمة التي جمدتها مكانها و أوقفت الصراخ بحلقها ، حتى لو فعلت فلن تفيد الرجل المسكين من مكانها القصي ، بالإضافة أن ذلك الأشقر يبدو محترف يعرف ما يفعله فقد سلب الضحية حياته بثواني معدودة و دون ذرة مقاومة ..
شعرت بنبضاتها تخطت الحد المسموح به و تهدد بالتوقف لدرجة باتت تسمع هديرها كطنين يدوي داخل أذنيها و بدأ جسدها بأكمله في الارتجاف كرد فعل على هول شاهدت ..
توقفت الحركة في الغرفة كما لو كان ما حدث مجرد خيالات صورها عقل مريض !
أخفضت بصرها بذعر وجل إلى أوراقها لتجد لديها رؤية تخطيطية تصور كيفية وقوع الجريمة و إن لم تتمكن من تسجيل ملامحهم لضيق الوقت و فزعها الشديد لكنها رأتهم و هي لا تخطيء الأوجه مطلقا ، دائما تعلق بذاكرتها و تستطيع استحضارها وقتما تريد ..

دمعات القمر لـ حسن الخلق

أرسلت السماء قطرة مطر ثم اتبعتها بأخرى مست وجهها بخفة و كانت إيذان بعودة الحياة لقدميها اليابستين و استيقاظ وعيها الغائب فهرعت تلملم أشيائها و تهبط الدرج راكضة كأن أشباح مرعبة تطاردها ..

اتخذت طريقها بذهن غائب وعينان لا تريا حتى وجدت نفسها أمام باب غرفتها الذي دفعته بلهفة واضعة كل شيء على أول طاولة صادفتها ثم دفنت نفسها أسفل الأغطية في محاولة للاختباء ومحو النصف ساعة الأخيرة من حياتها آملة أن تشرق الشمس مذيبة ذلك الرعب المستشري داخلها و تجد كل ما مرت به لا يزيد عن مجرد كابوس سيء سيطر عليها و جعلها تعيش أحداثه بواقعية خيالية ...

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

استيقظت أماني بروح جديدة و قد مدها حبها العائد بدفق من الطاقة و السعادة ..
غمرها إحساس بالبهجة لم تختبره منذ سنوات تحديدا منذ غادر ادهم و تركها حية بنصف عقل و دون قلب و ها هو الآن يعيد إليها اكتمالها به من جديد ..
نفضت الأغطية بمرح ترغب بتجربة جناحيها اللذان نبتا لها مؤخرا ، ستحلق بين الغيمات التي يصحبها إليها إحساسها به ، حبيبها و توأم روحها الذي لم يحب سواها و ظل خالصا لها رغم سنوات البعاد ..
قفزت من مكانها باسمة و أنجزت طقوسها الصباحية بخطوات راقصة تشع مرحا ..
اختارت ملابس زاهية الألوان مع وشاح رأس مناسب فبدت أشبه بزهرة متفتحة تشع القا و جمال ثم هبطت إلى الطابق السفلي هاتفة بتحية صباح صاخبة شملت الجميع على أثرها اخفض والدها جريدته و خلع نظاراته ليطالعها بدهشة قائلا :
- ماذا بك مانو ! هل حدث شيئا لا اعرفه ؟
تقدمت منه و قبلت وجنته ثم فسرت ضاحكة :
- حدث إني سعيدة و أرى كل شيء جميل هذا الصباح ، هل يكفي ذلك بابا ؟
ظهرت الحيرة على وجه الرجل قائلا :
- اجل بالطبع حبيبتي ، لكن ما سبب هذا الإحساس يا ترى ؟ لعلي افرح معك ..
صدح صوت أحلام يجيبه بدلا منها قائلة بحنق :
- يا لك من رجل لحوح ! ألا يكفي أن تراها سعيدة أمامك ! حتى ابتسامتها ترغب في التحقيق حولها ! ارحم الفتاة ..
رفع طاهر حاجبيه استنكارا من تدخلات تلك المزعجة التي يود الخلاص منها دون فائدة ، فهتف بغيظ :
- و ما شأنك أنتِ ! إنها ابنتي فلا تتدخلي بيننا ، لما تركتي زوجك منذ الصباح ؟ لا ريب انه لم يتحملك أكثر ، مسكين محسن أعانه الله على ما ابتلاه ..
ابتسمت أماني لمشاكسة بداية اليوم المعتادة بين والدها و مربيتها و التي تعد من طقوس المنزل الأساسية :
- ما رأيكما أن تؤجلا الوصلة الصباحية للمساء و دعونا نعد الإفطار معا لأني جائعة جدا و يمكنني التهام حصان ..

أشرق وجه السيدة بالسرور لمرأى طفلتها الحبيبة على هذا النحو و أردفت بمرح :

- لعيونك فقط سأترك هذا العجوز و شأنه مؤقتا ، هيا معي ساعد لك فطورا شهي يليق بهذه الطلة البهية و العيون اللامعة ..

ثم التفتت للرجل خلفها متابعة بإغاظة اعتادها منها :

- تستطيع أن تتبعنا شرط أن تترك تذمرك مع الجريدة ..

ثم سحبت الفتاة خلفها هامسة بصوت لا يسمعه غيرها :

- اخبريني يا فتاة ، ما سر التألق ؟

أومأت أماني هامسة بدورها :

- بالطبع سأخبرك لكن انتظري حتى يغادر بابا ، آه خالتي كم أنا سعيـــدة ..

اتسعت ابتسامتها قائلة بمحبة عميقة :

- أدام الله عليك الفرح حبيبتي و رزقني رؤية أولادك رغما عن أبيك المتحجر الرأس

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

تلك الروح الوثابة لم تبتعد عن منزل عائلة ندى التي بدأت يومها بتناول هاتفها متفقدة كنزها الثمين القابع داخله و لم تنس إلقاء تحية الصباح على صورة زوجها الغائب ..

عندما غادرت غرفتها وجدت شقيقها يقف أمام طاولة الإفطار و يتناول قدح الشاي بعجالة بينما والدتها تحثه على الجلوس فهتفت تحييهم قائلة :

- صباح السعادة و المرح ، ماذا بك يا سيد مهم ؟ إلى أين بهذه الأناقة ؟ ماما هل ذهب عاصم إلى المدرسة ؟

ضحك والدها الذي اخفض نظاراته الأنيقة على جسر أنفه لينظر إليها من فوقها قائلا بمكر :

- أين عقلك نانو ! عاصم بدأ إجازة منتصف العام منذ اليوم حتى تستعد مدرسته لاختبارات الفرق الدراسية الأكبر ..

احتقن وجهها كما لو امسك بها والدها متلبسة بجرم التفكير بزوجها :

- أوه صحيح كيف لم انتبه ؟ لا ريب إنني شردت ، أين هما إذن ؟

أجابتها والدتها بابتسامة حانية :

- يشاهدان فيلم الكارتون الجديد الذي جلبه لهما ادهم مكافئة على إنهائهما الإفطار بالكامل ..

أومأت بامتنان كبير بينما تابع والدها قائلا :

- سوف اصطحبهم اليوم في رحلة إلى مزرعة احد أصدقائي ، سيمرحان كثيرا مع أحفاده هناك ..

التفتت إليه قائلة :

- لكن سوف يرهقانك بشقاوتهم بابا ..

حرك رأسه نافيا :

- لا تتدخلي بيننا ، لقد تحدثت مع عاصم حديث الرجال و قد وعدني بمراقبة شقيقته ، كما أن المكان آمن لا تقلقي ، جدي لنفسك ما يشغلك بعيدا عنا كأن تخرجي مع زوجك و تقضين سهره لطيفة مثلا ..

قالها بنبرة ذات مغزى ثم نهض عن الطاولة قائلا لزوجته :

- تعالي معي عزيزتي ، ساعديني في تحضير ملابسي تعلمين لا استغنى عن وجودك أبدا ..

لحقت به السيدة دون تعليق فالتفت إليها شقيقها محركا حاجبيه قبل أن يردد بعبث :

- لو كنت مكانك سأنفذ أوامر والدي الخفية على الفور ..

شاغبته قائلة بابتسامة صفراء :

- يا لك من لطيف ، لم تجب عن سؤالي ، لما العجلة هذا الصباح ؟

وضع القدح نصف الممتلئ مجيبا بينما يتفقد هاتفه و سلسلة مفاتيحه :

- لدي موعد مبكر مع الرجل الذي جلب لي المكتب (ثم اقترب متابعا بخفوت) هناك منزل جديد بالقرب منه ارغب بشرائه قبل أن يسبقني غيري ، لو أخبرت أحدا سوف أقتلك بدم بارد و لا تقلقي على الأولاد ، سأزوج خالد امرأة تحبهم و تعاملهم بلطف ..

قذفته بأحد محارم الطاولة قائلة بغيظ :

- أصبحت غليظ الآن ، لا شأن لك بزوجي و أطفالي بغض النظر عن ظرفك البالغ ، أنت جاد بأمر المنزل ؟

منحها نظرة تعرفها جيدا قبل أن يردف قائلا بمكر :

- ماذا ترين ؟!

ردت بعيون متسعة قائلة بمشاكسة :

- امم تبدو كذلك بالفعل ، على كل حال لن افتح فمي بكلمة لكن لو علمت ماما فكن أكيد انك تتحدث أثناء نومك ..

تحرك باتجاه الباب الرئيسي ضاحكا :

- شكرا على النصيحة سوف انتبه ، اخبريها إنني

سأتأخر و لن أتواجد على الغداء و ربما العشاء أيضا ..

تبعته برأسها و منحته نظرة إدراك قائلة :

- و هل هذا بغرض العمل أيضا أم هناك مشاريع أخرى ؟

رفع حاجبه ثم أجابها بمرح :

- مشاريع أخرى ..

عندها لحقت به إلى المدخل مرددة بجذل :

- أرسل لها تحياتي و لمعلوماتك سألتقيها و سُلاف في النادي الليلة ..

تراجع خطوة للخلف هاتفا :

- مـــاذا ؟!!!!

أومأت باسمة بإغاظة :

- أنا أيضا لدي مشاريعي فأنت لن تحتكرها لنفسك طيلة الوقت ، لا تنس إنها صديقتي و قد اشتقت لجلسات الفتيات و الثرثرة ...

غمغم من بين أسنانه قائلا بقهر :

- متى حددت هذا الموعد ؟!

ردت ببراءة بينما تكبح ضحكاتها المستمتعة بإحباطه :

- اتصلت بها هذا الصباح و اتفقنا ، أوه انه لأجلك أخي حتى تتفرغ للعمل ، أرأيت كم احبـك ..

زفر بحنق و هو يتابع طريقه إلى الخارج قائلا :

- كان الله بعونك خالد ، أدركت الآن كم أنت مسكيـــن ..

أجابه صدى ضحكاتها بينما تتراجع للداخل سعيدة بكل ما يحدث ...

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

على النقيض من ندى و أماني استيقظت سُلاف بقلب منقبض بعد سلسلة من الأحلام الغريبة التي لم تفهم منها شيء لكنها أزعجتها ، تركت فراشها مستعيذة من الشيطان و بعد اغتسال سريع استقبلت قبلتها لتزيح الغمة عن نفسها و تستكين روحها ..

وقفت بين يدي خالقها تصلي أشبه بملاك طاهر تسربل بالنقاء ، بدت خاشعة تلهج بالدعاء ليخفف الله عنها ذلك الإحساس البغيض بالكآبة الذي لا تحبه و يحفظ شقيقتها من كل سوء ، لقد رأتها في أحلامها تبكي وذلك زاد من إزعاجها ..

قررت عدم الذهاب إلى الكلية حتى لا تضطر لمقابلة ماجد مره ثانية و هي لم تبرأ من مواجهات الأمس بعد ..

كانت بحاجة إلى جلسة مطولة مع نفسها لتفكر بما حدث خاصة أن الأيام الأخيرة قد شهدت تغيرات غير مفهومة في حياتها ، النصيب الأكبر في تشوشها عائد لعمر و تدخلاته الجديدة !!

منذ متى أصبح يهتم بها ؟ و الأدهى انه يحاسبها كما لو كان يمتلك الحق !

ماذا يظن نفسه فاعلا ؟! يُصبر قلبه بالسيطرة على أمورها حتى عودة شقيقتها !

هي ليست غبية و تعي تماما معنى نظراته إليها كما لن تسمح مطلقا أن يتم استغلالها ..

تبا كلما ألمت بها هذه الحالة تشعر بشوقها يزداد لجيجي و طريقتها الفريدة في امتصاص الم من حولها ..

خلعت إسدال الصلاة و طوته بعناية مع سجادتها ثم هرعت للأسفل عند والديها كي لا تظل وحدها و لتذهب المحاضرات إلى الجحيم ، لن تحاول قراءتها حتى لأنها تعلم عدم جدوى ذلك ، إذا كانت لا تفهم أحداث يومها العادية ، ستفهم تلك الطلاسم الغبية !!

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ألفى عمر الملف السميك فوق سطح المكتب بغلظة هادرا في وجه السكرتيرة الحسناء أمامه :

- ما هذا الهراء ؟ هل وقعت بين مجموعة من الحمقى ؟! لما تأخر إرسال هذا العطاء حتى الآن ؟ أيجب عليّ فعل كل شيء بنفسي ؟ ما فائدتكم جميعا إذن ؟ اسمعي يا آنسة أنت هنا للعمل و ليس للتأنق و الظهور كدمية تحتل خارج مكتبي ، أفهمتِ ؟

ارتجف جسدها رغما عنها و هي ترى عيون رئيسها الفاتنة تبرق على هذا النحو المخيف ، من يتخيل أن ذلك الوجه الوسيم و النظرات المرحة العابثة قادرين على التحول للنقيض ليصير كائن مرعب تتوارى أمامه الرجال و ليس هي الفتاة الضعيفة !

حاولت التمتمة بعبارة ما للدفاع لكنه لم يسمح لها ، بل تابع بنبرة آمرة لا تعرف التراجع :

- الجميع سيعاقب و لا فائدة من الذهاب للبكاء أمام السيد رضوان لأني لن أتراجع عن قراري ، المعترض يترك الشركة غير مأسوف عليه و اخبريهم انه لن يغادر أيها منكم اليوم حتى ينجز كل العمل المتقاعس عنه ، هيا غادري

و لا أريد رؤية أي شخص دون استدعاء مباشر مني ..

هرولت إلى الخارج كمسجون نال حكم البراءة غير مصدقه بالنجاة ، كانت هذه إحدى المرات القليلة التي ترى فيها مديرهم الشاب بهذا الانفعال ، فهو منذ امسك زمام الأمور مع السيد رضوان و معروف عنه المهارة و حسن القيادة ، كان يضرب بيد من حديد مرتديا قفاز حريري الجميع ينال حقه دون نقصان ، المحُسن و المسيء على حد السواء ..

جذب الرابطة المحلولة من حول عنقه و قذفها بعيدا مثل سترته التي لا يعرف مكانها ثم فتح زرا إضافيا من مقدمة قميصه بلون السماء الذي عكس لون عينيه الأدكن فبرز صدره العريض خلفه بينما أنفاس الغضب المتسارعه لم تغادره بعد ..

مسح وجهه بكلا كفيه مستغفرا بصوت مسموع ليخاطبه عقله قائلا : اهدأ عمر العصبية لن تفيد بل تعقد الأمور أكثر ، منذ متى يغلبك الانفعال إلى هذا الحد ؟! مشاكل العمل لا تنتهي و دائما كنت قادر على السيطرة عليها ..!

اعترف انك لم تخرج من تأثير ما حدث بالأمس ، أنت غاضب لرؤيتك سُلاف مع هذا الشاب و ثورتك لم تخمد بعد ..

هتف بصوت مسموع :

- اجل اجل ، أنا غاضب و بشدة ، تبا إنها ابنة خالتي الصغرى و لا يحق لها فعل ذلك ..

رد العقل باستفزاز : و لما ؟ الأمر ليس مشين لهذه الدرجة ! ربما يحبها و يرغب بالزواج منها ..

هب من مقعده صارخا بحدة أدهشته :

- مستحيـــل ..

ثم عقد حاجبيه بعدم فهم لنفسه مؤخرا ، لما لا يحتمل هذه الفرضية ؟ مجرد فكرة زواجها جعلت دمائه تهدر كبركان يفور مهددا بإلقاء الحمم ..

خاطب نفسه قائلا بغل : يا لك من أحمق ، لطالما أردت الارتباط بجيّدا و بديهي أن تفعل سُلاف المثل مع شاب تحبه ، هل أصابك مس بعد سفرها ؟!

اجل هو ذلك ، تلك الرحلة الغبية هي سبب كل ذلك الارتباك ، لم يكن عليه السماح لها بالسفر دون إعلان خطبتهما على الأقل ..

عليه أن يخُرج سُلاف من رأسه ، لكن ليس قبل أن يبعدها عن ذلك الرجل أولا ، عندها سيطمئن عليها و يعود لقواعده سالما ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

للمرة الأولى تستغرق جيّدا في النوم إلى هذه الساعة المتأخرة ! أو لعلها غيبوبة اختيارية فرضها عقلها الباطن على ذهنها الواعي الملتاع ..

تململت ثم رفعت الغطاء القطني عن رأسها تتطلع لشمس الظهيرة التي احتلت غرفتها على استحياء متحدية الطقس الغائم في الخارج ، و هناك مطارق قوية تضرب دماغها وتصيبها بصداع قوي ..

قفزت من فراشها بسرعة هاتفة لنفسها : الحمد لله لم يحدث شيء

أبصرت علامة الفندق الواضحة على قميصها الذي لم تبدله لتدوي أجراس الإنذار داخل عقلها من جديد فنحت الفكرة بعيدا قائلة بسرعة :

- كلا ، لقد ارتدته و انتظرت الفتاة لكن النوم غلبها ، أليس كذلك ؟! إنها لم تعتلى السطح و لا حتى تركت غرفتها ..

خلعت عنها ذلك القميص كأنها تبعد الهواجس التي تهاجم رأسها و بينما ترتدي كنزتها أعلى سروال من الجينز الأسود المتسع الساقين بتصميم عصري أنيق سقط بصرها على دفتر رسوماتها فوق الطاولة القريبة من الباب ، فاقتربت منه بحذر و قبل أن تمد يدها و تطل داخله مستكشفة محتوى صفحاته تراجعت مجفلة رافضة فعلها ..!

بدلا من ذلك نظرت إلى الساعة على جانب الفراش فهالها تأخر الوقت و مع ذلك لا يوجد أي اتصال أو رسالة نصية من السيد ناجي يحثها على الانضمام للفوج !!

حملت متعلقاتها الشخصية و غادرت غرفتها من الشرفة متخذة الطريق عبر الحديقة للوصول لاستقبال الفندق ، لتندهش من ازدحامه القاعة الغير معتاد !

لحقت بمجموعتها المتواجدين بأحد الزوايا متسائلة عن ما يحدث ؟

كان المكان يموج بالحركة و الأصوات ، الجو بأكمله يبدو مشحون بتوتر لا تعرف سببه ، أخيرا لفت انتباهها ما يعرض على الشاشة العملاقة التي تتصدر الحائط الكبير و تتابعها العيون باهتمام و تأثر ..

كانت تبث أخبار حادث ما على ما يبدو و هناك الكثير من قوات الأمن المنتشرة و تسد الطرق !
اقتربت من السيد ناجي و سألته فترجم لها المكتوب على الشريط الإعلاني و أسفل الصور المتلاحقة أمامها قائلا :
- انه حادث مؤسف تم الليلة الماضية ، مقتل دبلوماسي شهير من رجال الدولة ، يقطن على مقربة من هنا مع قضية فساد كبرى يتورط بها العديد من الرؤوس الهامة ، يقال أن الرجل كان ينوي التقاعد مفضلا الاستقرار داخل وطنه لكن ذلك لم يدم طويلا
أعقب حديثه عرض صورة واضحة للضحية احتلت معظم الشاشة كأنه ينظر إليها بثبات !
أوشكت على الصراخ لكن أنفاسها حبست داخلها و ظلت تحدق دون قدرة على نطق حرف ، انه هو نفسه ، الرجل الأشيب الذي .....
شهقت واضعة كفها فوق فمها ، انه ليس كابوس إذن ! لقد كانت هناك و شهدت مقتل أحدهم بكل بساطة !
بمجرد أن رأت صورته الآن تذكرته بوضوح عندما فقد حياته أمام عيونها ..

ثم لاح لها دفترها فهرعت راكضة إلى عرفتها آملة أن لا تلفت نظرهم لما انتابها ..
وقفت مسمرة أمام الخطوط التي صنعتها بنفسها و عادت الصورة الغائبة عن ذهنها تتصدر المشهد بشكل مشوش لم تعاني منه في السابق ..!
لقد كان هناك عدة أشخاص واضحين أمامها على الورق و كل منهم يفعل شيء مختلف ، ترى هل يمكن أن تفيد تلك الخطوط في التوصل إليهم ؟ إنها بلا ملامح ، مجرد تجسيد للمكان و الحركات دون تفاصيل ..!
تسارعت دقات قلبها بعنف ، هل عليها إقحام نفسها في هذا الأمر ؟ لكن كيف ستبرر تواجدها أعلى الفندق في مثل هذه الساعة ؟!
لا ، إنها مجرد سائحة حمقاء أوقعتها الصدفة بهذا المأزق و لا يجب التمادي فيه ، من الأفضل أن تبتعد كليا عن ذلك فهو شأن داخلي لا علاقة لها به كما أن القضية تخص الأمن العام و تبدو شائكة و متورط بها العديد من الأطراف ، ليس مجرد جريمة قتل عادية كما أنها لا تعرف القوانين هنا ، ماذا لو أصبحت متورطة بدورها ، بالإضافة لأنها لا تتحدث التركية !

المؤشرات كلها تدعوها للصمت و نسيان ما حدث ، و هذا ما ستفعله ..

وضعت الدفتر أسفل حقيبتها حتى لا تضطر لرؤيته من جديد ثم أغلقتها بإحكام و شدت قامتها لتغادر ، ليس غرفتها فقط بل الفندق بأكمله ، إنها بأمس الحاجة للابتعاد عن المنطقة بأكملها ..

ساقتها قدميها للمقاعد الحديدية المزخرفة المتراصة على طول شط البوسفور ، احتلت أقربهم إليها غير عابئة بالهواء العاصف حولها بقسوة عابثا بخصلات شعرها كأنه يحاول تحريره من العقدة التي حبسته فيها دون اكتراث ..

ثبتت بصرها على اليخوت المتمايلة أمامها لعل تفكيرها يهدأ ثم تطلعت إلى السماء المكفهرة التي هجرها الطيور و الصفاء كما ذهنها الغائم ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

اسند مراد قبضته على ظهر المعقد الخشبي المستند عليه بينما وقف في تلك القاعة الواسعة مراقبا شاشة العرض الضخمة التي تتابع بث الخبر و تكراره منذ ساعات الصباح الأولى عندما اكتشفت الخادمة وفاة سيدها داخل غرفة مكتبه !

شاركه وقفته المتحفزة كل من صالح و شاهين الذي هتف بقهر :

- تبا تبا ذلك يعيدنا إلى نقطة البداية من جديد ، كأنهم كانوا يعلمون بخطواتنا بشكل مغيظ و ها هم يرسلون تحيتهم و لا ريب أنهم يحتفلون الآن ..

حرك صالح رأسه بأسى بينما وضع مراد كفيه فوق خاصرته عاقدا حاجبيه يكاد يتميز من فرط الغضب ، يكره حين يحدث ذلك و ينهار تعب و تخطيط أشهر طويلة ..

لقد اجتهد الجميع في جمع المعلومات حول تلك المنظمة الدولية التي قادتهم إلى شخص القتيل لهذا تم التخلص منه و محو كل الأدلة لان لا مجال للخطأ عندهم ..

إنهم كالإخطبوط المتعدد الأذرع و ضالعون بكافة الأنشطة الإجرامية ، مخدرات ، سلاح ، إرهاب ، اغتيالات و كل ما يتعلق بهذا العالم الرهيب ..

مثل هذه المنظمات تكون متشابكة لدرجة التعقيد ، القضاء عليها جذريا يعد من المستحيلات لان هناك المزيد منهم دائما لذلك كان هدفهم كشف عملائهم بالداخل و معرفة إلى أي حد توغلوا و كم الفساد الذي تسببوا فيه كان ذلك كفيل بعرقلة خططهم و تكبيدهم خسائر فادحة ..

استدعى صالح فريقه العلمي للبدء في جمع الأدلة الخفية التي لن تتوصل إليها قوات الشرطة بإمكانياتهم بينما التفت مراد إلى زميلتهم القابعة أمام احد الحواسيب المطورة قائلا :

- رُقية ، أريد تقارير مفصلة عن أي استجواب يتم و بيانات الشهود أولا بأول ..

أومأت بعملية و بدأت مزاولة عملها على الفور فالكل في ذلك المكان يعلم أن الثانية تساوي حياة و لا سبيل للتقاعس أو إهمال ابسط معلومة قد تقود لحل الغز بأكمله ..

ومضت عينا شاهين ببريق صاعق موشى باللهب الأزرق قائلا بنزق :

- تعال معي مراد ، يجب أن أغادر القاعة الآن ، لقد أصابني تكرار ذلك الخبر بالملل و أريد إعادة ترتيب أفكاري (ثم استدار إلى رفيقهم و تابع) سنكون في الأسفل صالح بانتظار ما تتوصل إليه كالعادة ..

أشار له الآخر دون النظر إليه فقد كان مستغرق في إيصال تعليماته لفريقه المنتبه لكل كلمة يقولها ..

هبطا للدور الأول من البناء المصمم بشكل كافتيريا و مطعم للوجبات السريعة ، واجهة بسيطة تخفي خلفها الكثير ..

احتل مراد طاولة في أقصى اليمين بعيدة عن المدخل و تؤمن الخصوصية المطلوبة لرواد المكان ، جذب شاهين المقعد المقابل و جلس عليه هاتفا بحنق :

- أتعتقد ما أظنه ؟

مط مراد شفتيه و بعد وهلة تفكير أجابه :

- في عالمنا كل شيء ممكن لكن لا أظن التسريب حدث من قبلنا ، تعلم أنهم يمتلكون شبكة متسلسلة من الجواسيس و كل فريق لا يعرف الآخر مما يضمن كشف أي محاولة اختراق و عند أدنى شك تتم التصفية مباشرة حتى قبل التأكد منه ..

أومأ الآخر يوافق وجهة نظره قائلا :

- نعم و بالتأكد تم وضع بديل الضحية في مكانه و باشر مهامه بالفعل ، كيف سنتوصل إليه في ظل هذه التعقيدات ..

حك مراد رأسه قائلا بتفكير :

- هذا الشخص ستكون معه شبكة المعلومات الخاصة بالقتيل بالكامل ، أي انه كان هناك وقت التصفية ليضمن التنظيف خلفه ، تاريخ اغتيالاتهم يوضح ذلك ، الأمر أشبه باستلام الميراث ، أصبح لدينا وريث جديد يا شريك لكننا للأسف لا نعلم عنه شيئا ، قد يكون أي شخص حولنا ، أطلق لخيالك العنان ..

خبط شاهين خشب الطاولة المصقول بقهر :

- تبا ، اقسم أن اقتلع شوكة هؤلاء الأوغاد و تنقية البلاد منهم و إن دفعت حياتي ثمنا لذلك ..

ربت صديقه على كتفه قائلا برجولة :

- سنفعلها معا يا رفيق و نحتفل بينما نرسلهم

إلي الجحيم ، دعنا نريح عقولنا فلا فائدة من الندم على اللبن المسكوب ، خسارة معركة ليس معناه خسارة الحرب ، سنبدأ من جديد و ننتصر بإذن الله ..

مرر الآخر أنامله داخل خصلات شعره زافرا أنفاسا حارقة محاولا استعادة هدوءه قائلا

- أنت محق ، دعنا ننتقل لأمر آخر (ثم أشاح بأنظاره مدعيا اللا مبالاة و تابع سؤاله) كيف حال شقيقتك بالمناسبة ؟ لم أسمعك تتحدث عن أسرتك منذ فترة !

قطب حاجبيه قائلا بدهشة :

- لما تذكرت نرفين الآن بالذات ؟!

صدح قلبه هاتفا بأنها لا تغادر تفكيره مطلقا لكنه ردد ببساطة :

- أبدا ، أردت فقط إجراء محادثة بعيدة عن العمل لنتحدث عنك أنت ، ما هي آخر تطوراتك ؟ الم يحن الوقت للمضي قدما بعلاقتك مع نازلي؟

رفع حاجبه قائلا باستنكار :

- ماذا تقصد شاهين ؟

ابتسم بادراك :

- لا ، ليس ما خطر لك بل اعني الارتباط يا رجل

استرخى في مقعده مجيبا بمودة :

- لقد كدت افعلها لكن الظروف حالت دون الأمر ، لكن سأقدم لها خاتمي بأقرب فرصة ، لقد حان الوقت ..

- أنت متأكد من مشاعرك إذن ..

رفع كتفيه قائلا ببديهية

- بالطبع شاهين ، لما استمر معها إذا لم أكن أحبها ! ماذا عنك الم يخفق قلبك بعد ؟ صارح صديقك يا رجل و سأحتفظ بالسر ..

تمنى لو يفصح عن غرامه الجارف بشقيقته و كاد أن يفعلها لكنه تراجع لعدة أسباب أهمها ما حدث بينهما مؤخرا و رغبته القاتلة في الاطمئنان عليها بينما لا يضمن ردة فعل مراد إذا ما اخبره عن مشاعره صراحة ..

- هل ترمي الكرة في ملعبي الآن ! أنا من يسأل يا سيد فلا شأن لك بي ..

جاءه الرد بصورة ضحكات رجولية مع نظرة ثاقبة قبل أن يردف قائلا :

- حسنا ، اهرب كما تشاء سوف تعود إليّ لا محالة فلا ملجأ لك غيري و ستعترف بكل شيء طواعية ، عندها سأضحك طويلا كما أحذرك من الآن إذا أخبرت صالح قبلي ..

بادله شاهين الضحك و المزاح مبددين جو العمل القاتم بينما قلبه يرفرف محلقا إليها ، تلك المتوارية خلف أسوار نفسها رافضة التواصل ، لقد حاول الاتصال بها مرارا دون فائدة ، لكن كيف يخرج كل ذلك لصديقه ؟ هذا الأمر بات يقض مضجعه و يشعره بالخيانة ، كم يرغب في الإفصاح و إزاحة ذلك العبء عن نفسه ، سيفعلها بالتأكيد و ينتهز أول فرصة متاحة ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

أنهى ادهم أعماله المفترضة لهذا اليوم بكفاءة و سرعة ثم فرد جناحيه إلى حوريته العائدة و معها خفقاته التي طال سباتها و أذابت جمود مشاعره و قد هدرت حارة فياضة كما لو كانت تعوض عن سنوات احتجازها وتحجيمها ..

بينما أماني ودعت والدها إلى عمله بنفاذ صبر لتجلس أمام مربيتها على طاولة المطبخ تجاورهم أطباق الفطور التي لم ترفع بعد و تسرد كل ما حدث معها بالتفصيل تحت إلحاح الخالة التي لم تترك شاردة و لا واردة دون أن تسأل و تتقصى عنها ، لقد كانت أماني ابنة عمرها و قلبها ، أصبحت والدتها البديلة منذ وعدت صديقتها الراحلة على فراش الموت أن لا تترك طفلتها مطلقا ، بالمقابل عوضتها هي عن حرمانها من الإنجاب و مثلت نور حياتها ..

عندما أطمئنت كليا أن الأمور تحت السيطرة قالت بسعادة :

- أخيرا سيهدأ قلبي من ناحيتك حبيبتي ، لكن يجب أن نتوخى الحرص أمام والدك لأنه لن يرضخ بسهولة ..

أومأت الفتاة توافقها بقوة :

- اجل بالطبع ، بابا لا يجب أن يعلم شيئا ، حتى ادهم ذكر ذلك ..

تابعت السيدة حديثها قائلة بوقار :

- أخبريه إنني ارغب بمقابلته ، يجب أن أتحدث معه ..

قفزت أماني تحيط عنقها بذراعيها و تقبلها بعنف هاتفة :

- هاي لا تبدئي أعمال الحموات الفاتنات معه رجاء لولو ، سوف أقف بصفه لمعلوماتك ..

ضحكت السيدة قائلة بحنان :

- كم أنا سعيدة بعودة روحك المرحة هذه صغيرتي ، مرت سنوات طويلة و هي غائبة ، لقد اشتقت لمرأى تألق العسل داخل أحداقك

كما أراه الآن ، كأن عنقاءك هبت من الرماد أخيـرا ..

شردت بنظراتها بعيدا لوهلة ثم قالت بشرود :

- إلى هذه الدرجة كنت شبه ميتة بدونه ؟!

أومأت رأسها بأسى :

- كنت زهرة ذابلة تغلق أوراقها بانتظار قطرة ندى تحييها ، لطالما عرفت ذلك لهذا تركت والدك يتمادى في رفض ارتباطك خشية أن تفوت الفرصة ..

- نعم خالتي لقد عاد إليّ ، عـاد و لن يتركني ، اممم هل تأذنين لي بالذهاب للقائه اليوم ؟

أشارت بالإيجاب قائلة بابتسامة :

- بالنسبة لي أثق بك لكن كيف ستبررين ذلك لوالدك ؟

رفعت كتفيها قائلة ببساطة :

- باني سأذهب للنادي و هذه حقيقة و سوف التقي سُلاف و ندى أيضا ، إنها شقيقة ادهم هل تذكرينها ؟

ردت بالإيجاب :

- اجل إنها متزوجة ، أليس كذلك ؟

أشارت برأسها و تابعت :

- و لديها طفلين في غاية الجمال ..

رفعت يديها و أخذت تدعو أن يرزقها الله العمر حتى تحمل أطفالها ..

أشرق وجه الفتاة و أضاءته بالسعادة بينما حثتها السيدة قائلة :

- هيا اذهبي و لا تقلقي من جهة والدك ، أنا خبيرة في التعامل معه و إيقافه عند اللزوم ، عديني أن تسعدي حبيبتي ..

أومأت بسعادة هاتفة من أعماق روحها :

- أعـدك ..

و حلقت بدورها ليحملها النسيم إليه ناشرة أشواقها على ضفاف القلب ...

التقيا كما الأيام الخوالي و قد اقتطع الزمن فترة الفراق و الغربة كأن لم تكن ، تحدثا بشكل متواصل عن كل و أي شيء ، حتى إنهما كانا يتباريان في إخبار بعضهما عن كل ما مرا به طيلة الفترة السابقة ..

انطلقت ابتسامة عينيه تحيطها برقة سببت تضرج وجنتيها بشكل فاتن حتى نافست ألوان الزهور حولها ..

- ما رأيك أن اصطحبك الآن لرؤية مقر عملي الجديد ؟

أسندت رأسها فوق قبضتها قائلة بدلال :
- بالتأكيد سوف أراه لكن ليس اليوم لان فيفي و ندى أوشكتا على الوصول ، الم أخبرك ؟
عبس بشكل تمثيلي فبدا أشبه بصبي مشاكس :
- اجل و سوف أعاقبك على ذلك فيما بعد ، ذكريني إذا نسيت ، فلم أكد أحظى بك حتى تزاحم حولك المنافسين ..
صدحت ضحكاتها رقراقة راضية :
- هذا يسمى احتكار سيد ادهم و ليس مسموحا به ، لذا لن اخضع للعقاب ..
لمعت عيونه بشكل مرح قائلا بعبث :
- لا تتسرعي بالرفض فربما أعجبك العقاب ..
سيطر عليها حياءها و لم تحتمل نظرته الشغوفة التي تنفذ لأعماق روحها فأردفت تغير وجهة الحديث قائلة :
- الم أخبرك ؟ الخالة أحلام ترغب برؤيتك ..
ابتسم قائلا بثقة :
- يسعدني ذلك بالطبع ، حددي الموعد و أنا على أتم استعداد ، و ليس هي فقط بل سأقابل والدك في القريب العاجل ..
اتسعت عيونها بوجل و رددت بتوتر :
- بابا ! ألا تظن الوقت مبكرا على ذلك ؟ أدرك مخاوفها فهو قد واجه الرفض من قبل مرتين و يعرف مقدار تعنت الرجل ، لم تخبو ابتسامته قائلا :
- لما ناني ؟ هل سنتعرف على بعضنا من جديد ! أم تخشي رفضا جديدا ؟
قالت بنبرة مشتتة :
- إن والدي .... لا اعرف ما أقول لكن هناك العديد من الأمور يجب الحديث عنها ادهم ، الوضع أكثر تعقيدا مما تظن ..
أشار بكفه أمام فمها مقاطعا دون أن يمسها ثم قال :
- حبيبتي أنا هنا الآن ، لذلك ودعي القلق للأبد ، أريدك أن تطمئني و تتركي كل شيء لي ، لن اذهب للقائه إلا بعد أن يتم توقيع عقود أول عملية كبرى لمكتبي بعد يومين بإذن الله ، سيجد أمامه رجل أعمال صاحب مكتب ناجح و أمامه مستقبل باهر و الأهم يذوب عشقا بابنته ، ماذا سيريد أكثر ؟
أنقذها من اكتساح مشاعرها رنين هاتفها الذي أضاء بصورة سُلاف فضحكت من ملامحه المستنكرة و أشارت به قائلة :

- حسنا أيها المهم لقد فزت ، هيا إلى مكاننا المعتاد لقد وصلت فيفي و لا ريب ندى في الطريق ..

اصطحبها صاغرا و بعد محاولات مضنية استطاع الثلاثة التخلص منه و إقناعه بالرحيل و قد تعلل بمئات الحجج ليبقى معهن دون فائدة فغادر مغمغما بقهر :

- يا لكن من عديمات الرحمة مستبدات ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

توقف عمر عن احتساب عدد اتصالاته بهاتف ابنة خالته المغلق بينما يتناول سترته و يلقيها على كتفه بإهمال مغادرا مقر الشركة بالكامل ، استقل سيارته بعنف و اتجه إلى منزل خالته ليرى كيف تتهرب من مواجهته هذه المرة ..

بمجرد أن توقف أمام البوابة الخارجية المزخرفة بالمشغولات الحديدية أبصر ضالته تهم بعبورها إلى الخارج قبل أن تجده أمامها يعترض طريقها رفعت حاجبيها تعجبا ، كان هذا ثاني لقاء لهما على هذا النحو ! لكن ملامحه و خطوط جبينه لا توحي انه جاء بالسلام ..

بادر الحديث مباشرة بنبرة شابها الاتهام :

- أرى انك في الطريق للخارج ، إلى أين يا ترى ؟! لديك محاضرات متأخرة ؟

سحبت نفس عميق لتستدعي أبرد حالاتها قائلة :

- لا ، أنا لست ذاهبة للجامعة من الأساس ، ماذا تريد عمر ؟ على كل حال ماما بالداخل و قد اشتاقت إليك فاذهب إليها ..

همت بتخطيه بينما أشار بكفه لإيقافها قائلا بحزم :

- سألتك إلى أين ؟ و لم أتلقى أي رد بعد !

كادت تصرخ قهرا لكنها لن تمنحه فرصة الناجح بإثارة غضبها كما يأمل فقالت مع ابتسامة صفراء :

- رغم انه ليس من شأنك لكني سأقابل أماني كالعادة ..

أشار إلى سيارته آمرا :

- اصعدي ، سوف أقلك إليها ..

خرج صوتها حادا بانفعال :
- مـاذا ؟ هل تود مراقبتي ؟! انك تتجاوز كل الحدود ، لقد تخطيت مرحلة الفطام منذ مدة و تعلمت السير لو لم تكن تلاحظ ..
قبض كفيه إلى جانبيه بغيظ من ردودها التي لا تتوانى عن السخرية منه طيلة الوقت منذ كانت طفلة لا تتعدى ركبتيه :
- ها ها ، يا للطف تصوري لم أكن اعلم ! شكرا للمعلومة (ثم غمغم من بين أسنانه بتحذير) اصعدي للسيارة سُلاف لقد طلبت ذلك لأني أريد الحديث معك ، ليس كما تظنين ..
قطبت حاجبها متسائلة بحيرة :
- فيما تريد الحديث ؟ على حد علمي نحن نتشاجر فقط !
شملها بنظرة بثت الرجفة بأعماقها الهشة عكس ما تظهر قائلا :
- عندما تجربي الاستماع لمرة واحدة على سبيل التغير ستعلمين ، هيا لن تخسري شيء..
بدأت ملامحها تلين و فضولها ينشط ، إنها سابقة غير معتادة منه و هي لن تقاوم معرفة ما يريد قوله ، أومأت بالقبول و اتجهت إلى السيارة بينما الدماء تغرد داخل شراييها ..

بمجرد جلوسها في المقعد المجاور غلفتها رائحته العبقة داخل السيارة بقوة كما احتضنها حزام الأمان الملتف حولها ..
تحرك بصمت لم يدم طويلا حتى سألها :
- هل اتجه إلى منزلها ؟
حركت رأسها نافية و ردت بصوت غلبه الحنين :
- كلا إنها سبقت للنادي ..
زم حاجبيه و التفت إليها قائلا بدهشة :
- وحـدها !!
عضت شفتها السفلية و أجلت حنجرتها آملة أن لا يلاحظ ما الم بها فوجود ابنة عمها في أي مكان بمفردها يعد أمرا غير مألوف و بالطبع عمر يعلم ذلك ، ناهيك عن عدم رغبتها بان يعرف عن لقائها بأدهم حتى تلتقيها أولا :
- احم ، لديها موعد هناك لذلك ذهبت على أن الحق بها ، اممم إنها ندى صديقتها من أيام الجامعة ..
أومأ بتفهم و عاد بانتباهه للطريق في محاولة لتنظيم أفكاره حتى يجد السبيل لبدء الحديث الذي يريده ..
ثبتت بصرها على كفه المستكين بأناقة فوق

فوق المقود بينما شرد عقلها في خيالات غير مرغوب بها إطلاقا ..
ترى كيف سيكون شعورها لو مسد ذلك الكف شعرها بحنو ثم مس وجنتها ناقلا دفء قلب صاحبه ؟ هل تجرؤ على تمني انطلاق وميض أحداقه حاملا التوق إليها ! هل سيكون من حقها يوما أن تعيد تلك الخصلة المتهدلة على جبينه بصبيانية إلى مكانها كحق شرعي قاصر عليها !
أخرجها من تلك الأحلام اللذيذة صوته صادحا بسؤال مزق الصورة الحالمة إلى فتات :
- لما تغلقين هاتفك منذ آخر لقاء بيننا سُلاف ؟ الم يحن وقت النقاش حول ما حدث ؟
ازدردت لعابها بعنف و أشاحت وجهها إلى النافذة قائلة :
- لأني لم أرد محادثتك عمر ، أليس الأمر واضح!
رد بنبرة غامضة :
- هل اعتبر ذلك اعتراف صريح بالذنب أو ربما الندم ؟
التفتت إليه هاتفة بحدة :
- بالطبع لا ، أنا لم افعل شيء خاطئ بالأساس ..
أوقف السيارة على جانب الطريق ثم استدار إليها بكامل جسده قائلا :
- لقد رأيتك معه مرتين في يوم واحد سُلاف ! ماذا يعني ذلك برأيك ؟
ردت باستنكار :
- لقد كنا داخل أسوار الجامعة ! ثم انه معيد في الكلية و ليس طالب ...
هتف بعنف مغتاظ من إجابتها المستفزة :
- هذا أسوأ ، على الأقل زميلك سيكون لديه سبب منطقي لاستيقافك بينما هذا لا ، و على فرض انه فعلها لأمر يخص الدراسة فهل عاد لاستكماله في النادي !
أغلقت عيونها بنفاذ صبر و عادت تستحضر هدوئها مرددة :
- لقاء النادي كان محض مصادفة و لم يتكرر من قبل ، كما إنني راشدة و استطيع التميز بين الخطأ و الصواب و قد أحسن والداي تربيتي أم لديك رأي آخر سيد عمر ..
خبط بكفه على المقود قائلا :
- تبا لم اقصد التشكيك بك ، دعينا نبدأ من جديد ، أنا أريد التقرب منك سُلاف ، اخبريني عن حقيقة مشاعرك لأتمكن من مساعدتك لأني اقدر على فهم تفكير الرجل منك ..

صارحيني بما يدور بينكما ، لما لا نتعامل مثل السابق لطالما كنت أخيك المقرب !!
طحنت ضروسها بغضب صامت ، هذا الأحمق لا يدرك إنها منذ ولدت و مشاعرها تجاهه لا تمت للإخوة بصلة ، كم تريد لكمه الآن .. !
سحبت نفس عميق قبل أن ترد ببرود :
- هذا ما أردت الحديث عنه إذن ! محاولة استجواب حول علاقتي المزعومة بماجد ..
غمغم بغيظ لنطقها اسمه مجردا من الألقاب كما لو كانت معتادة على فعلها :
- لا تصعبي الأمر يا فتاة فانا بالكاد أتحكم في أعصابي ..
تابعت حديثها بنفس النبرة الساخرة قائلة بإغاظة تتقنها :
- ها قد عدت إلى قواعدك سالما ، كنت سأبدأ بالقلق عليك فادعاء اللطف لا بلائمك يا ابن الخالة ..
هدر من بين أسنانه بتحذير :
- سُـلاف ..
أشارت بكفها قائلة ببساطة :
- هون على نفسك و لا داعي لكل ذلك : سأقولها لآخر مره ولن أعيدها ، لا يوجد أي شيء بيننا و لا يمثل لي أكثر من أستاذ في الكلية ، لكن لتحري الدقة لقد طلب الارتباط بي ، أي انه شخص جاد لا يريد العبث ..
شعر بأوردته تشب نارا بعد تصريحها الأخير ، كيف تجرأ ذلك الوغد على التطلع لصغيرته بهذا الشكل ؟! زمجر بنبرة صوت أرعبتها حقا هذه المرة :
- متى أخبرك عن ذلك تحديدا ؟ في لقاء النادي ؟
حاولت الثبات أمامه لكن صوتها خرج خافتا رغما عنها عندما قالت :
- لا ، قبلها بفترة و قد أخبرته عن رأيي وقتها ..
عض على نواجذه موشكا على الانفجار :
- و الذي هو .. ؟
انتابها الضيق من محتوى الحديث و المجرى الذي يتجه إليه فرددت دون مواربة :
- إنني لا أشاركه مشاعره و لا أفكر بالارتباط ..
- و ماذا كان رده ؟
قلبت شفتيها حنقا عندما استرجعت ذلك قائلة :
- لم يقتنع و ذكر شيئا حول منح الفرصة للتقارب بيننا ..

مسح وجهه بكلا كفيه معتصما بأقصى آيات الهدوء الذي يفتقده :

- حسنا ، أنا لا أريدك أن تتعاملي معه بأي شكل سُلاف ، و هذا ليس تعنت أو تحكم و لكن لأني لم ارتاح إليه أو أتقبله ، هناك أمرا ما مريب حوله فهلا طاوعتني هذه المرة دون عناد ؟

تخبط قلبها بعنف كعهده كلما استخدم هذه النبرة معها ، كيف تغضب و تستنكر ثم ترفع صوتها و تنفجر فيه رافضة كما اعتادت كستار تخفي خلفه مشاعرها المتأججة توقا لهذا الأحمق عديم الفهم الآن !!!

ردت ببساطه ظاهريه :

- لا تنس انه أستاذي عمر ، كيف يفترض أن افعل ما تطلبه مني !

سره تجاوبها المبدئي معه فتابع بنبرة ارق :

- فيفي ، لقد قضيت خمسة أعوام بكليتي لم أتعامل خلالها مع أي معيد و مع ذلك قدمت كل الأبحاث و المشاريع في موعدها ، تستطيعي التصرف عندما تريدي فلا تدعي العجز لأني لن أصدقك ..

قفزت البسمة إلى شفتيها رغما عنها و شعرت بدفء نبرة صوته يهدهد روحها فعادت طبيعتها المشاكسة تطفو للسطح قائلة بعبث محبب :

- يا لك من قدوة حسنة لطالبة فاشلة مثلي ! ذكرني أن استفيد من خبراتك لاحقا و الآن اعد تحريك السيارة و هيا إلى النادي ، بالمناسبة كيف تبلي مع المساقط الأفقية و الرأسية و غيرها من تلك المصطلحات العديمة الجدوى ؟

بادلها الابتسام قائلا بحيرة من سؤالها العجيب :

- بعد قضاء كل تلك السنوات بين جدران كلية الهندسة اعتقد اعرف عنهم القليل لكن لماذا ؟!

هتفت ضاحكة ببراءة تليق بها :

- هذا ممتاز سوف اختبرك إذن ، لدي لوحة رسم هندسي كان يفترض أن تقوم بها جيجي لأقدمها قبل الاختبارات لكن بغيابها سوف تفعل أنت بالطبع ، أليس كذلك ؟

حدق فيها بشكل جعلها تغرق في موجة ضحك عالية قائلا :

- أتقصدين إنها من كانت تنجز فروضك طيلة الوقت !!

أشارت بكتفيها قائلة بتلقائية :

- بالتأكيد ، لما افعل أنا بينما هي تجيد ذلك ! كما أني لا أطيق الرسم الهندسي ..

رفع حاجبيه و هتف بعدم تصديق :
- يا اله الكون كيف اجتزت تلك السنوات الماضية ؟!!
اتسعت عيونها عاكسة بريق المشاغبة المعتاد منذ كانت في الثالثة من عمرها قائلة :
- بدعاء الوالدين بالطبع يا رجل ، ماذا ظننت ؟!
انفجر بالضحك بشكل لم يفعله منذ زمن فقالت تحثه برجاء طفولي :
- سوف ترسم المشروع لأجلي ، صحيح ؟
حرك رأسه نافيا و قال بمرح أضاء وجهه الوسيم
- بالطبع لا ..
قلبت شفتيها و قد لاح العبوس بأفق عيونها الداكن فاستدرك متابعا :
- لكن سأشرح لك كيفيه انجازه أيتها البليدة ، ابنة خالتي أنا طالبه فاشلة !! يا للعار ، منذ الغد حضري لوحاتك و الأدوات لنبدأ دروس مكثفة من البداية للنهاية ، لن أتركك حتى تتقنيه ..
تذمرت بشكل كوميدي :
- هاي أنا لست ميئوس منى لهذه الدرجة ، اعرف المبادئ ..
استمر في موجة الضحك التي غسلت صدره من هموم سكنته طيلة الفترة الماضية :

- أوه احمد الله على ذلك ، استعدي غدا عصرا يا معجزة زمانك ..
قالها و أعاد تشغيل السيارة و كل منهما تموج جوانحه بأحاسيس مختلفة نكهت الحواس بعبير الحياة ..
أعادت ظهرها إلى المقعد شاعرة باكتفاء كفله لها ذلك التواصل الودود ، تغمرها السعادة لعدم تطرقه لأمر الإخوة البغيض من جديد لأنه لو كان فعلها لخنقته بيديها دون ذرة ندم ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

انتهت سُلاف من سرد إحدى مواقفها الكوميدية المعتادة التي جعلت الطاولة تشع بالمرح و الضحكات الهائئة ..
تلفتت أماني حولها لوهلة قبل أن تعود إلى ندى المنشغلة بتجفيف زاويتي عينيها الدامعتين نتيجة استغراقها في الضحك و سألتها قائلة :
- أين عاصم و لانا نانو ؟ لم أرهم منذ بداية الجلسة !
أومأت شارحة بحماس :
- لدي إجازة منهما الليلة ، لقد اصطحبهما بابا لنزهة خاصة بالأحفاد و الأجداد بمفردهم
التفتت إليها سُلاف بدهشة مفتعلة قائلة بعبث :

- يا الهي ألا تعرفي ماذا تفعل الزوجات في مثل هذه المناسبات الاستثنائية ؟! الحمد لله لست الفاشلة وحدي ، لدينا زوجة حمقاء تفضل لقاء صديقاتها بدلا عن قضاء سهرة مميزة برفقة زوجها (ثم مالت عليها و تابعت بشكل ماكر) صحيح أنت و أماني تكبراني ببضعة أعوام قليلة لكني اعرف عنكما من واقع خبرتي في الدراما التركية ، زوجك الطبيب سيشكوك لمنظمة حقوق الإنسان لو عرف بالأمر ..

سارعت ابنة عمها ترفع كفها إلى فمها في محاولة للسيطرة على موجة ضحك جديدة قبل أن تلفت انتباه بقية رواد المكان المتناثرين حولهم هنا و هناك بينما عضت ندى شفتها السفلية و قد سكنتها ملامح مذنبة فبدت أشبة بابنها عاصم عندما يرتكب إحدى كوارثه الكثيرة

قائلة :

- امممم يبدو انك محقة ، فهذا تقريبا ما قاله والدي عندما اخبرني بأمر الرحلة !

رفعت أماني حاجبيها قائلة بدهشة :

- لما لم تنتهزي الفرصة و ترتبي لسهرة رومانسية إذن ؟!

النظرة على وجه ندى جعلت سُلاف تهتف بادراك مضحك :

- مهلا ، أكاد أرى مصيبة قادمة لذا انتظري رجاء (أشارت بكفها توقفها ثم تناولت كأس العصير و شربت منه رشفة كبيره قبل أن تتابع قائلة) هيا اعترفي ، أنا مستعدة لتلقي الكارثة الآن ..

ضربتها أماني على كفها قائلة :

- أوقفي المذياع دقيقة و دعينا نفهم (ثم التفتت لندى قائلة بجدية) أخبرينا ما الأمر ؟ ملامحك تنطق بالكثير ..

مسدت فيفي كفها بشكل مفتعل هاتفة :

- يا للعجب ، هي المذنبة لما تعاقبيني أنا !!

عقدت أماني حاجبيها لكن ندى لم تمهلها لإطلاق الرد لأنها صرحت قائلة :

- لقد تركت منزلي منذ فترة و انتقلت لبيت والداي ..

صدح صوت الفتاتين معا بهتاف مستنكر :

- مـــاذا ؟!!!

رفعت كتفيها مؤكدة ببساطة :

- هذا ما حدث ..

ارتدت أماني شخصية المحلل النفسي التي تجيدها بالفطرة رغم نوعية دراستها المخالف قائلة بهدوء :

- ندى خروجك من منزلك يعد حادث جلل ، الأمر ليس مزحة بينكما أطفال و سنوات من العشرة فهل أساء إليكِ للدرجة التي تستدعي خطوة كتلك ، لا اقصد التدخل في تفاصيل حياتك بالطبع لكني أريد المساعدة فحسب ..

زفرت ندى أنفاس مثقلة بتوتر علاقتها مع زوجها الذي اشتاقت إليه مرددة باستسلام :

- ليست إساءة بالمعنى المتعارف عليه ، لكن علاقتنا انتابها الفتور و التباعد ، صرنا مجرد جارين نتشارك السكن ! اشعر انه يهتم بعمله أكثر مني و لم يعد يراني إلا كشيء مسلم به من مقتنيات المنزل ..

جاءها الرد من أماني قائلة بنضج اكبر من سنوات عمرها الغض :

- لكن ذلك خطأ ، الأصل أن يعالج القصور من الداخل و ليس الخارج كما فعلت ، مهما يحدث بين الزوجين لا يصح أن تهجر المرأة منزلها ، الخالة أحلام دائما تردد ذلك ، ثم على فرض أن هذا حدث و افتقدك الآن و عادت الدائرة تدور ليتكرر الأمر ، هل ستجعلين تركك للبيت عادة دوريه لتنبه زوجك !

قلبت ندى شفتيها قائلة بحيرة :

- لم اعرف ما يتوجب عليّ فعله وقتها لكني كنت غاضبة من تجاهله لي و أردت معاقبته ..

سألت سُلاف بعقلانية تستدعيها بالوقت المناسب:

- و هل أتى الهجران بثماره ؟

أشارت بكفها قائلة :

- ليس كما أملت ، لا أنكر انه بدأ يفاجئني بتصرفات غر معتادة لم يفعلها من قبل ، تصوروا لقد أرسل إليّ إحدى الأغنيات ! و هو لم يهتم بهذه اللفتات أبدا و ذلك منحني الأمل انه ربما بعد فترة أطول من الغياب يزيد تفاعله ، ففي أول الأمر كانت كل اتصالاته استفسارات متذمرة عن أماكن أغراضه و جواربه حتى كدت اقتله ، أما زيارته فكان يركز على أخبار عاصم و لانا دون التطرق إلينا ..

أومأت أماني توافقها قائلة بانتصار :

- هذا ما قصدته أيتها عبقرية ، اشتياق الرجل لزوجته بعد غيابها عنه أمر فطري و طبيعي لا دخل له بما تريدين إيصاله إليه ..

كيف لم تسمعي بالمقولة الدارجة (البعيد عن العين بعيد عن القلب) زوجك يجب أن يهتم و يشتاق و أنت أمام عينيه ، ليس من اجل الجوارب يا حمقـاء ..

ضجت سُلاف بالضحك على ملامح أماني العابسة كمعلمة غاضبة تنهال بالتقريع على إحدى طالباتها الكسولات ، بينما استمرت تلك الأخيرة في القول :

- ثم أين تفكيرك بأثر ذلك على الطفلين ! من المعروف أن عدم استقرار بيئة الطفل يؤثر عليه بالسلب و لا يساعده في بناء شخصية سوية خاصة في سنواته الأولى ..

نكست ندى عيونها و أقرت بذنب :

- نعم أنت محقة فعاصم سألني صراحة إذا كنت سأنفصل عن خالد و بدا منزعجا و رافضا للأمر كما صرح برغبته في العودة لمنزلنا ..

تأوهت سُلاف قائلة :

- أوه حبيبي ، لا بد انه فكر كثيرا و أجهد عقله الصغير ، هو لن يستطيع استيعاب وجهة نظرك ندى و كل ما سيراه أن والديه في حالة خصام ..

أومأت أماني تؤيدها قائلة :

- هو ذلك و يجب معالجة الأمر على الفور دون إبطاء ..

سألت ندى بعدم فهم :

- ماذا افعل ؟ لقد اختلط كل شيء أمامي ..

ردت أماني بثبات :

- ستفعلين الكثير لكن على مراحل ، أولها العودة إلى منزلك الخاص في الحال ، منذ الليلة حتى لو تركت الطفلين عند والدتك مؤقتا ، فمجرد معرفتهم انك مع والدهما سيجعلهم أهدأ و أكثر تقبل للوضع خاصة عاصم ..

قطبت حاجبيها قائلة :

- على فرض إنني فعلت ذلك ، لقد ذكرتِ انه اشتاق إليّ كرد فعل فطري لغيابي و انقطاع علاقتنا الزوجية ، أي أن بعد استقامة الأمور سيعود لتجاهلي من جديد و يذهب كل ما فعلته سدى ..

مطت سُلاف شفتيها بحيرة بينما ميلت أماني رأسها قائلة بجدية :

- لا تتوقعي غير ذلك لأنك لم تقومي بأي حل حقيقي فكلاكما شريك في ذلك ، كما انك أغفلت جانب في غاية الأهمية ، و هو مشاعر خالد

تجاه تصرفك ، لقد أخبرتيه بشكل غير مباشر انك قادرة على الاستغناء عنه و بالتأكيد هذا ترك أثر سلبي داخله حتى لو لم يفصح عنه ، الغرور الذكري جزء لا يتجزأ من شخصية الرجل لكن نسبه تختلف من واحد لآخر و أنت كسرتيه عندما قمت بهجره دون نظرة للوراء .. استوعبت هذا الجانب للمرة الأولى ، لقد أرادت جذب انتباهه و ليس إيلامه ، تبـا

غمغمت قائلة بخفوت :

- ماذا افعل إذن عندما أجده لا يهتم بي كأنه لا يراني بينما أشاركه نفس الفراش !!

أشارت أماني بكلتا كفيها شارحة :

- لما لا تبادرين أنت ؟! انه زوجك و لا مجال للخجل بينكما بعد تلك السنوات ، الرجل هو الآخر يحب الشعور انه مرغوب من قبل شريكة حياته و يريد تودها إليه ..

كوني السباقة و سترين أن ذلك سوف يعجبه و سيتفاعل معك بشكل أفضل من كونه البادئ كل مرة ، أشعريه بحبك له بالأقوال و الأفعال ، ليس في ذلك ما يشين ! فهو يمتلك مشاعر مثلك و يتأثر بالاهتمام و المداعبة ، دلليه مثل صغارك و اجعليه يدرك انه في المتربة الأولى من حياتك .. لكن تخيري الوقت المناسب ، فيجب أن يكون بمزاج نفسي يسمح بذلك ، ليس مرهق أو تفكيره منشغل ، استخدمي ذكاء المرأة ندى ..

توقفت عن الحديث لتواجه نظرة سُلاف المحدقة فيها ببلاهة تدعو للضحك كأنها تناظر كائن فضائي هبط أمامها فجأة فهتفت سائلة :

- هـاي ، ماذا بك ؟!

تراجعت بمقعدها قائلة دون أن تفارقها الدهشة :

- من أين لك معرفة كل ذلك يا فتاة ؟!!

صدحت ضحكة أماني رقراقة ناعمة و أجابت قائلة برقتها المعتادة :

- مزيج من القراءات و الاستفادة بالخبرات الحياتية الغزيرة للخالة أحلام ..

أومأت قائلة بتفهم :

- اممم من هذه الناحية معك حق ، الآن حان دوري في الجانب الذي أبدع و أتألق فيه

رفعت ندى حاجبيها سائلة بحيرة :

- و ما هو ؟!!

اتسعت ابتسامة الفتاة و قالت بمرحها الذي عاد للتدفق شاملا الجميع :

- ليس المطبخ بالطبع ، بل هذا (و أشارت ليدي ندى المستقرتين فوق الطاولة و تابعت) ليس معنى انك محجبة أن تهملي العناية بشعرك الذي هو تاج جمالك و بشرتك التي أراها ذابلة ثم الثياب بالطبع ، منذ متى لم تخرجي في جولة تسوق شاملة و تجددي مظهرك ؟!

رفعت كفيها قائلة ببساطة :

- لا أتذكر بسبب انشغالي في البيت و مع الأولاد ، من أين لي بالوقت !

تابعت فيفي قائلة بثقة :

- هذا هو ، أنت تبدين مملة عزيزتي ، عذرا بالطبع لا اقصد الإساءة فأنت جميله لكن مظهرك بات مكرر و تقليدي في عيون زوجك ، أي صوره ثابتة لا تتغير ، الزوجة عليها أن تكون متجددة في عيون رجلها ليشعر بالإثارة و الترقب و هذا لا يعني إنفاق الأموال الطائله ، بالعكس بقليل من الذكاء و الحس المرهف تستطيعين فعل ذلك دون تكاليف زائدة عن الحد ..

تبادلت أماني و ندى نظرة مندهشة قبل أن تكمل الفتاة دون مبالاة بهما :

- اخبريني متى فاجأته بعشاء خاص بينما وحدكم و ارتديتِ احد هذه الأشياء التي تخطف الأبصار و ترفع ضغط الدم ..!

احتقن وجهها بقوة ففهمت انه قد مر دهرا على الأقل ، ردت ندى قائلة بخفوت :

- اممم أنا اخجل أن يراني الأولاد ..

أماني هي من هتف هذه المرة قائلة :

- يا الهي حالتك مستعصية و يلزمك إجازة زوجيه فوريه ، أنت و خالد وحدكما ، سنرتب لذلك فيما بعد دعينا نبدأ الخطوة الأولى الآن ، سنصطحبك إلى منزل والدك لتجلبي أغراضك الخفيفة لأنك ستقضين الليلة في بيتك حيث ينبغي أن تكوني ..

نهضت سُلاف تدعم قولها بالفعل فلم تجد ندى بدا من الطاعة و أسلمت لهما زمام الأمر ....

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

أخيرا انتهى خالد من آخر مريض لهذه الليلة ، حتى العمل لم يعد لديه طاقة لانجازه فهل كانت هي من تمده بهذا الدفق أم استقراره الأسري المفتقد منذ غيابها ؟ بالطبع هو ذلك فكيف يركز بالكامل بينما ذهنه مشتت على هذا النحو !

نهض مغادرا خلف مكتبه ثم خلع معطفه الناصع واضعا إياه في مكانه المعتاد و حمل سترته على ذراعه دون ارتدائها ..

غادر غرفة الكشف إلى صالة الانتظار المتسعة ليجد مساعده يعتني بملفات مرضى الغد كما اعتاد أن يفعل بعد خلو العيادة من آخر مريض ..

أومأ محييا ثم انطلق للخارج يرغب بإفراغ همومه لنسمات الليل الحالكة التي تضرب وجهه برقصاتها الشقية تدعو أن يركض معها و يطلق سراح الطفل داخله لكنه عوضا عن ذلك ضم قبضتيه داخل جيوب سرواله و اخرج مفاتيح سيارته الصامتة لتقوده مباشرة لمنزله العامر بالصمت بدوره كشأن حياته مؤخرا بينما داخله يموج بضجيج ثائر ..

لم يشأ الذهاب لأي مطعم مكتفيا بالشطائر التي

احضرها له مساعده أثناء فترة الاستراحة التي أخذها و إن لم تزد عن العشر دقائق لكنها كافية كما تجنب زيارة منزل والديه حتى لا يحظى بوصلة التوبيخ المعتادة من والدته حول كونه ليس رجلا بشكل كافٍ للسيطرة على جموح زوجته التي ترغب بفرض سلطانها عليه بتعمدها استخدام وسيلة ترك المنزل كورقة ضغط حتى يرضخ لما تريده ، ذلك كان تفسير والدته للأمر ..!

ليس هذا فقط بل اجتهدت من تلقاء نفسها لحل مشكلته كما تصورت بإيجاد زوجة جديدة تكسر شوكة القديمة دون لحظة تفكير بمصير طفليه داخل تلك الدوامة ! لقد حولت ما يحدث إلى حرب نسائية لن تهدأ حتى تنتصر فيها و جعلتها شغلها الشاغل طيلة الوقت !

كان يشعر بامتنان كبير لوالده الذي سرب إليه الخبر و حذره على غفلة منها و بناء عليه اتخذ تدابير الحيطة و حرص على عدم التواجد في محيطها حتى لا يمنحها فرصة لإخباره عن خططها و يتفجر الوضع بينهم فهو بالتأكيد لن يتقبلها و ستثور العاصفة التي لن يستطيع كبحها و بالنهاية هي والدته يستحيل أن يغضبها أو يرفع صوته أمامها

كل ذلك شكل عبء إضافي على أعصابه في فترة تكالبت عليه الضغوط و بالتأكيد لن يحتمل المزيد ..

ألقى سلسلة مفاتيحه بمجرد دخوله من الباب الرئيسي كما اعتاد أن يفعل شاعرا بتراخي جسدي و معنوي يسيطر عليه و الخدر ينساب داخل أوردته ..

لفت انتباهه إضاءة خافتة قادمة من خلف باب غرفة النوم المغلق فقطب حاجبيه مفكرا ، هل أصبح شارد الذهن لدرجة أن ينسى الأضواء خلفه !

ليته ذهب لرؤية طفليه أفضل من حبس نفسه أمام حاسوبه برفقة جدول عمليات الغد دون أي حماس ..

تقدم للردهة ليرتفع صوت الإنذار المدوي داخله أكثر ، قد يكون غفل عن الإضاءة لكن ماذا عن هذه الرائحة التي تشبعت بها رئتيه ؟!

انه مزيج يعرفه جيدا و حُرم منه طويلا ، حقيقة أم تطورت حالته لدرجة الهذيان و تخيل الأشياء !

أرهف السمع ملتقطا أي إشارة لوجود طفليه دون فائدة ..

لما تفوح رائحة كعك الشكولا في أرجاء المنزل الذي هجره سكانه تاركين جدرانه تنعي باكية كل يوم على أطلال الذكرى !

حث الخطى ليقطع الشك باليقين ليقف على أعتاب غرفته مسمرا كأن تجاوز عتبتها سينقله إلى بعد آخر !

أغلق عينيه و فتحها كاختبار لصحة ما يراه فلم تختفي الصورة المبهرة أمامه ، هل جسدتها أفكاره ؟ أم قلبه استدعاها راجيا أن تلبي النداء ؟!

لم يكن يدرك أن أشواقه بلغت حد الاحتضار لقطرة الندى التي تحيي ذبول حواسه و قد هددها خطر الجفاف و ها هي أمامه تنهض عن أريكتها المفضلة معتمرة ابتسامة يانعة مرددة :

- مرحبا خالد ..

أخرجته نبرات صوتها الحنونة من إحساسه الذاهل و نفض عدم التصديق ، هي هنا فعلا لن يفكر بشيء خلاف ذلك ، كان ذلك إيذانا لقدميه بالتحرك ..

تسارعت خطواته تقلص المسافة بينهما

و دون أن يتفوه بحرف قامت ذراعيه بانتزاعها من مكانها انتزاعا و اختطفها ليخفيها داخل صدره بشراسة مقتنصا شفتيها بعنفوان توق اكتشف قوته للتو عندما صارت بين يديه ..
اكتسح أنفاسها داخل صدره رافضا السماح لها بالإفلات ، الشيء الذي لم ترد فعله أبدا ، كيف و هذا ما تاقت إليه و تمنته ؟!
تركت نفسها تحلق هائمة بين غيمات لمساته المستكشفة بروعة افتقدتها بعد أن سكن روتين الاعتياد لقاءاتهم صابغا مشاعرهم بجمود اختياري تفكك الآن نافضا غبار الركود ..
تمنى إخراس رئتيه الصارخة طلبا للهواء حتى لا يحرم ذلك الفيض المتدفق داخل مسامه التي انتفضت مودعة الخمول و التراخي و صارت في أوج نشاطها ..
لكنه مجرد فاني ضعيف ، لا قبل له إيقاف أنفاسه مقابل لذة قربها التي أذابت قدرته على التعقل أو حتى إجراء حوار ..
افلت شفتيها ببطء مثير دون أن يبعدها عن صدره المرحب شاهقا أنفاسا محملة بحديث لم يقال ..

جالت عيناه عليها مستنشقا عبير خدر حواسه بشكل محموم ، عبيرها هي الذي يحفظه داخله و قد تعمق فيه بأكثر حميمية ممكنة بين زوجين ..
أبصر أمامه ندى أخرى خرجت من طيات أيام ولت و ظنها لن تعود ، غادة هيفاء القد يلفها ثوب قرمزي كاشف مفصل على صدرها بضيق أيقظ مشاعر هاجعة و جعلها في أوج أنوثتها ، معلق على كتفها المرمري بحماله واحدة ، يرسم حدود جذعها حتى ما بعد الخصر بقليل ثم ينسل هفهاف إلى حدود ركبتيها بدلال مثير تمتد بعده ساقيها الرشيقتان اللتان لم يرهما يوم أجمل ، نهاية بحذاء أنثوي مرتفع الكعب بشكل غير معتاد منها كما الثوب الذي يقسم انه لم يكن لديها من قبل فهي لا تبتاع هذه النوعية من الثياب و بحكم حجابها تختار أثوابها محتشمة ، أنيقة لكن مغلقة بإحكام أي أنها ابتاعت هذا الإعصار الأحمر القاني لأجله وحده و لن يراه سواه ، الفكرة بحد ذاتها أنعشت روحه ..
صعد بأنظاره من جديد متطلعا لزينة وجهها التي لم يرها بهذا الإتقان منذ أنجبت طفلتهم

تقريبا كما تركت خصلات شعرها حره تسبح بين حلكتها فراشات ماسية كالنجوم عندما تضيء ظلمة الليل ..
استقرت عيونه البندقية فوق غيوم الرماد داخل أحداقها الفضية لوهلة قبل أن بتأوه بلوعة و يريح جبينه المنهك فوق جبهتها الناعمة متمتما بخفوت :
- لا تفعلي بي ذلك ثانية ، لا تتركيني أجوب صحاري حياتي بدونك قطرتي السخية ، مهما أثرت حنقك و كنت لا مبالي بغيض لا تبتعدي .
رفعت كفيها عن وجيب قلبه الهادر لتسكنا جانبي وجهه و همست بشغف زادته اللهفة التي أطلت واضحة من نظراته :
- احبـك ..
حرك رأسه لتسقط شفتيه مقبلة باطن كفها المستقر على وجنته هامسا بخشونة رجولية محببة :
- لقد تفوقت عليك و اكتشفت أني رجل عاشق أضناه الشوق لحبيبته القاسية التي هجرته طويلا ..
ابتسمت عيونها بعبث ماكر قائلة :
- لكن كما أرى تلك القسوة أتت ثمار لا تصدق ..
شدد ذراعيه حولها مزمجرا :
- حذار أن تعيدينها فأنت لن تدركي إلى أي مدى كادت أن تتطور الأمور ، عندما ترغبين بلعب الغميضة معي اذهبي لغرفة الضيوف و ليس ابعد من ذلك ، هل تفهمين ؟
قطبت حاجبيها بعدم فهم ، أي خطورة يقصد ؟ فسألت بحيرة :
- ماذا تعني خالد ؟ عن أي تطورات تتحدث ؟
خشي أن يتشعب الحديث و يزل لسانه حول خطط والدته المتهورة فادعى الانتباه و عاد خطوة للخلف ساءلا :
- أين عاصم و لانا ؟ كيف نسيت نفسي هكذا غافلا عن إمكان اقتحامهما الغرفة بأي وقت ؟!
ميلت رأسها ليتدلى شعرها على كتفها العاري قائلة برقة :
- إنهما ليسا هنا ، لقد قاما بنزهة كبيرة مع أبي اليوم و سيقضيان الليلة هناك ، نحن وحدنا ..
تذكر شيئا فعاد يقترب منها قائلا :
- ظننتهم هنا عندما استقبلتني رائحة كعكتهما المفضلة ..

لفت ذراعيها حول عنقه قائلة بدلال :
- لا تنس إنهما قد ورثا ذلك منك دكتور ، لذا هي لك أنت بالطبع ..
أحاط خصرها بتملك يقربها من حرارة جسده التي اتقدت إلى حد مهلك هامسا بنبرة مغوية :
- امممم و ماذا عن الثوب المفخخ الذي يعاقب عليه القانون !!
صدحت ضحكاتها باستمتاع و قد قرأت إعجابه الشديد بالثوب و ذكرت نفسها أن تشكر فيفي لإصرارها على ابتياعه عندما توقفت بعناد أمام نافذة العرض رافضة التحرك قبل أن توافق على شراؤه و ارتداءه فور وصولها قائلة بتأكيد انه لن يعاتبها أو يتطرق لأي موضوع سواها ما إن يراه و قد صدق زعمها ، تلك الفتاة مدهشة بحق!
- الثوب و صاحبته لك وحدك (و تابعت مازحة) يسعدني انه أعجبك فقد كلف بطاقة اعتمادك ثروة صغيرة ..
رفع حاجبه قائلا بمكر :
- لكنه يستحق ، لم أكن اعلم إنني أحب الأحمر الناري فقط عندما تحط عليه قطرات الندى لتظهر جماله ..

يكاد قلبها أن يتوقف ، إنها تحب ذلك الثوب الذي فك عقدة لسانه و جعلها تسمع هذا الغزل الرقيق و قد ظنت انه نسي كيفية المغازلة تحت وطأة العمليات و الحالات المرضية ، انتبهت على صوته يتابع بنبرة غامضة :
- أظن الكعكة عليها الانتظار أما الثوب فستعيدين ارتدائه بالتأكيد ..
رفعت عيونها قائلة باستفسار :
- لكني ارتد.....
قاطعتها أنامله التي زحفت متسلقة ظهرها و فتحت سحاب الثوب ببطء لذيذ بينما يرد على استفسارها المبتور هامسا في أذنها :
- لن تعودي كذلك ، فقد اشتقت إليك و ارغب في إيصال مشاعري المخزونة في التو ..
وصلت موافقتها الصامتة عندما بدأت تفك أزرار قميصه بأنامل تتراقص على أنغام دمائها المغردة لما آلت إليه أمورها أخيـرا بعد طول انتظار ..
❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖
مر اليوم كأسوأ ما يكون على جيّدا التي أمضته في التقاط أي خبر عن الحادث دون مغادرة الفندق ، الأمر الذي أحاطها بأسئلة أفراد الفوج

السياحي و قلقهم لأنها بدت على غير ما يرام بخلاف عادتها المشرقة بانطلاق و مرح لا ينضب !

طمأنتهم مدعية إصابتها بنوبة زكام و اتجهت إلى غرفتها مع غروب الشمس بغرض الراحة ، و هناك تابعت القنوات الإخبارية لكنها لم تفهم ما يبث عليها دون ترجمة لذا لم يفدها الأمر فأغلقت التلفاز و خرجت للشرفة تتأمل ندف الثلج الهشة تتطاير فوق الهواء الجليدي برقصات سعيدة لم تنعكس على روحها المثقلة بوطأة حادث يأبى مفارقة ذهنها بل احتله كما سكن صفحات دفترها المخفي ..

كم هي بحاجه لوالدها الآن ، لقد اكتفت من هذه المدينة و تريد المغادرة و العودة لوطنها .. ذلك العنف الذي شهدته أثار مشاعرها بقوة و جعلها وجلة مشوشة ، ترغب في الإدلاء بشهادتها لكنها خائفة ، هل الصمت أفضل أم عليها اللجوء للسفارة ؟ بإمكانها طلب حمايتهم و تأمين سفرها ، لكن هل سيفعلون ؟ لا يوجد لديها ثقة في أي شخص كما هي جاهلة كليا بالقوانين التركية ..

هل يؤمنون حماية للشهود ؟ و السؤال الأهم هل تفيد شهادتها من الأصل ؟!

فهي لا تمتلك معلومات محددة ، كل ما في الأمر إنها شاهدت مسرح الجريمة وقت وقوعها ، لا تظنه يقدم شيئا لسير التحقيقات ..

آه يا الهي ساعدني فعقلها يدور داخل دوامات الحيرة منذ الصباح دون توقف و لم تتوصل لشيء و رغم ذلك إحساسها بالمسؤولية يؤرقها و ضميرها الإنساني لا يهدأ

قررت ترك كل ذلك و اللجوء للنوم ، بعضا من الدفء و الاسترخاء سيعيدان عقلها لجادة الصواب لا محالة ، لكنها قبل ذلك ستؤدي ركعتين لقضاء الحاجة و تطلب من ربها الرشاد لتعرف أين تخطو خطوتها القادمة ..

استدارت إلى الداخل و قد تجمد جسدها و لم تعد تشعر بأطرافها لكن لم يزعجها ذلك فقد أرادت الهاء جسدي حتى تتوقف عن التفكير ..

أعاد الحمام الدافئ درجة حرارة جسدها للمستوى الطبيعي ثم أنهت الصلاة و اندست مباشرة داخل فراشها دون محاولة لفعل شيء آخر ..

ظلت تتمتم بعض الأدعية التي تحفظها لإزالة الروع عن نفسها حتى زارها النعاس حثيثا و لفها بردائه الناعم ..

انتظمت أنفاسها الدالة على استغراقها في النوم فبدت أشبه بملاك بريء مستلقي بين الأغطية الوثيرة بوداعة بينما هناك عينان غامضان تحدقان إليها بإصرار غريب تحملان نظرة قد تساوي حيـاة ..

نهاية الفصل

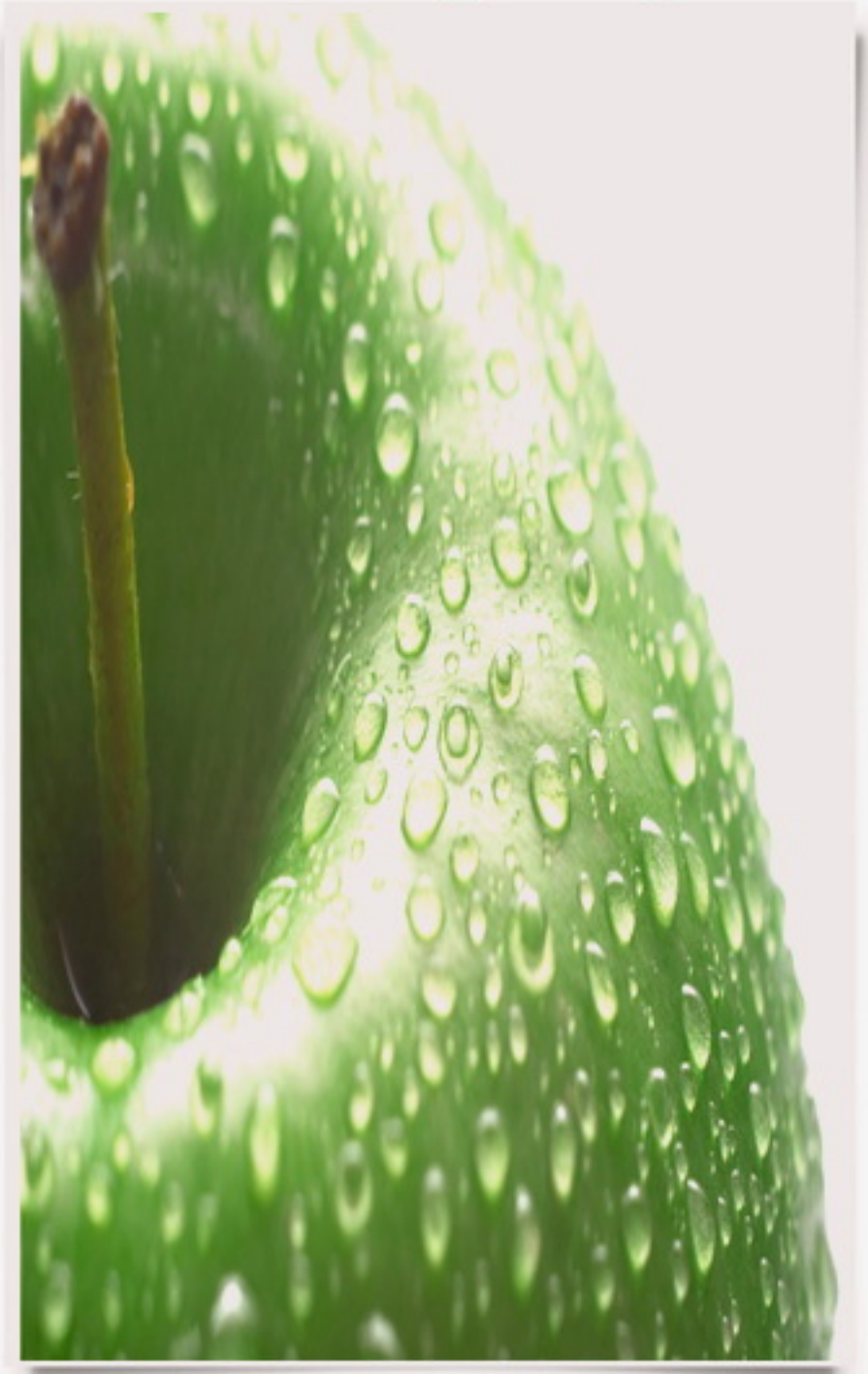

دمعات القمر

القطرة السابعة

تمطت ندى بكسل لذيذ و قد بدأ وعيها يعود للواقع ببطء ، حملت شفتيها ابتسامة رضا و آثار ليلة غرام جامحة جددت عهود زواجهم و جعلتها أكثر تصميما على عدم العودة للوراء مجددا ، ستبذل كل جهدها في دفع علاقتهم لتصل لما تريد دون أي انتكاسات ..

رفعت جسدها المشبع بالحب و جلست تتطلع لملامح خالد المستكينة براحة فوق وسادته ، تتبعت خطوط ملامحه الحبيبة و قد خُيل إليها أن معالم الإرهاق التي بدت عليه بالأمس تلاشت مع نور الصباح و عاد لصفائه المعتاد ..

مالت إليه تداعب وجنته بإحدى خصلات شعرها المنطلق بفوضوية لمساته ، أبصرت ارتجاف أهدابه الدال على بداية استيقاظ استقبلته بلثمات بغاية الرقة نثرتها فوق جفنيه المغلقين هامسة :

- مرحبا أيها الناعس ..

فتح عينيه و أهداها ابتسامة مشبعة بالحب و الاكتفاء ثم جذبها فجأة لتسقط فوق صدره آخذا شفتيها إلى رحلة حسية يتقن القيام بها هامسا بعبث :

- هكذا يجب أن تكون قبلة الصباح قطرتي ، من حسن حظك إنني استيقظت لأجد ما مر بنا حقيقة لأنه لو كان حلما كنت سأقتلك لا محالة ..

صدحت ضحكاتها المرحة بينما تدفعه لتحرر نفسها قائلة بمشاكسة مغرية :

- لا تقلق الثوب المفخخ كما أطلقت عليه موجود في الواقع و ليس من بنات أفكارك

حرك حاجبيه بمكر و تابع يجاريها :

- نعمة من الله فأنا مدين له بالكثير ..

أشارت بإصبعها هاتفة بطريقة فكاهية :

- انظروا من يتحدث ! أين ذهب طبيبنا الوقور ؟ لقد صرت عابث أيها السيد ! يا له من تطور كبير ..

قلب شفتيه مرددا بإغاظة :

- يبدو أن هناك جوانب لا زالت خفية بشخصيتي ، جربي بقية الألوان لعلك تكتشفينها طالما الأحمر فتح المجال ..

حركت رأسها بشكل تمثيلي قائلة :

- لا فائدة ، لقد افلت الزمام ..

تعالت ضحكاته بينما يدفع الشراشف السميكة و يقفز من الفراش بنشاط :

- نعم ، احترسي إذن لان ذلك يعجبني و تمسكي به جيدا حبي ..

اتجه إلى الحمام الملحق غامزا :

- لما لم تفعلي كالأفلام و تخبريني أن الحمام جاهز ؟! ست سنوات من الزواج و أنا انتظر هذه العبارة ..

قذفته بإحدى المناشف هاتفة :

- ها هو قد أصبح جاهز سيدي ، يبدو إنني دللتك بشكل زائد لكن أتعلم أنا لم أجد تفسيرا لهذه العبارة حتى الآن ، هل الدخول إلى المغطس و فتح الصنبور يحتاج لكتالوج يحصي الخطوات !!

استمر بضحكاته الرجولية ذات الرنين الأجش الذي يذيب أوصالها و قد أصبح أمامها في خطوة فاجأتها محتجزا خصرها الذي لم يفسد رشاقته مرتين من الحمل مرددا بمكر

- ربما الغرض منها هو الحصول على بعض المساعدة التي سأرحب بها بالطبع و لولا ضيق الوقت لطالبت بأكثر من تدليك سريع للظهر ..

قطبت حاجبيها و سألته :

- و لما الوقت ضيق ؟ لا تخبرني انك ستذهب للمشفى الآن !!

سحب نفس عميق استعدادا لما هو قادم قائلا ببساطة :

- حبيبتي هناك جدول عمليات مُعد و ينتظرني بالفعل ، لقد كانت ليلة الأمس مذهلة بكل المقاييس و أتوق للبقاء معك لكن المرضى لا ذنب لهم ، أليس كذلك ؟

فعلت مثله و حاولت الهدوء قائلة :

- لكن علينا الحديث ..

أومأ بالإيجاب قائلا :

- اجل بالتأكيد ، سوف انتهي من العمليات و أعود سريعا ثم نذهب لاصطحاب الطفلين و نتناول الغداء معا في المكان الذي تحبينه بعدها أقلكم إلى هنا و ...

وضعت كفيها فوق خصرها و أكملت عنه :

- ثم تذهب إلى العيادة لتعود آخر الليل كأن شيئا لم يكن ، أي أن الأمور كلها باقية على ما هي عليه !

حرك رأسه قائلا بهدوء :

- بل سأذهب للعيادة لان هناك حجوزات لأشخاص بحاجة لطبيب وثقوا به ندى ، و واجبي يحتم عدم خذلانهم ..

واجهته هاتفة بثبات :
- لكن تخذلني أنا ، صحيح ؟
جذبها إليه من جديد قائلا بنبرة مغوية :
- أنت زوجتي و حبيبتي و هم مرضاي ، لا يجب التقصير مع أيا منكما لقد وعيت الدرس حقا هذه المرة ، أعدك أن لا يسرقني الوقت ، سأحرص على تنظيم مواعيدي بشكل أفضل من الآن فصاعدا ، هيا أريني ابتسامتك ..
رفعت إليه عيون مشاكسة لكنها سرعان ما لانت أمام نظراته و أضاءت الابتسامة محياها الرقيق قائلة :
- لقد وعدتني خالد ..
أومأ بقوة و ردد مؤكدا :
- نعم يا قلب خالد ، سأحاول جاهدا و أنت عليك مساعدتي أيضا ، تعلمين زوجك طبيب شهير و ناجح ، لا حيلة لي في الأمر ..
لكزته في كتفه قائلة :
- يا لك من مغرور ..
ضحك و علق قائلا :
- بل ثقة حبي ، أنت لم تري تلك الممثلة المعروفة و هي تتملقني لأوافق على إجراء الجراحة لها ..

عادت تضع يديها فوق خصرها هاتفة باستنكار أدفء قلبه و غمره بالسعادة :
- هذا ما خشيت منه ، و ماذا أرادت منك تلك الشمطاء ؟!
أهداها نظرة مشعة بالبراءة قائلا ببساطة :
- امممم الطلب المعتاد ، تكبير بعض الأشياء التي ....
رفعت كفها تكمم فمه بينما تشهق بقهر هاتفة :
- تبا تبـــا ، عليك تبديل تخصصك في الحال ، ما رأيك بقسم أمراض القلب ؟ أوه لا هناك مريضات أيضا ، ليكن قسم الأطفال ، لكن انتظر الأمهات تصحب أطفالهن ، أتعلم القسم المناسب لك هو أمراض الذكورة ، ما به التعامل مع الرجال ؟ أكثر بساطة و مريح لعقلي ..
تعالت ضحكاته بقوة بينما يحملها و يدور بها في أرجاء الغرفة سعيدا بغيرتها المبهجة لحواسه ، مشاعر متباينة تطرق قلبه لم ينتبه لها من قبل بغمرة انشغاله ..
عندما توقف أخيرا ردد بمرح أعادة سنوات للوراء:
- اطمئني يا قطعة الحلوى ، لقد ذكرت إنها كانت تتملقني لأوافق ، أي إنني رفضت ،

لقد أخبرتك مرارا رفضي القيام بمثل هذه الجراحات و عدم قناعتي بها ، لذا لا أتعامل مع تلك الفئة المرفهة ، بالعكس يجب أن تطمئني من تخصصي لان مرضاي من الجنسين و اغلبهم يعانون التشوهات عافانا الله و إياهم ..

أمّنت على عبارته داعية بالشفاء لكل مريض ثم تابعت بغنج :

- أي انك لن تفكر مستقبلا في خوض ذلك رغم الإغراءات الكبيرة و انتشار تلك الأشياء التي لم يعد ينكرها أصحابها حتى !

رفع كفه بينما يومئ قائلا بتأكيد :

- اجل و الله على ما أقول شهيد ، لقد وهبني العلم لأساعد المحتاج و أزيل الآلام ندى و ليس التسبب فيها و إفساد بديع صنعه ..

مالت تقبل جانب فكه الخشن بنعومة قائلة بمحبة فائضة :

- لهذا أنا احبك أكثر ، و بهذه الإجابة تستحق الإفطار المميز الذي سأعده لك ..

حاولت التحرك لكنه عاد يجذبها قائلا بنبرة خاصة :

- أيتها المحتالة ماذا عن تجهيز الحمام الذي أخبرتك عنه ! لا تظنني نسيت إنها فرصتي بغياب الطفلين و لن أفرط فيها ، ذكريني لأشكر والديك لاحقا ، ثم بعده أتفرغ لإفطاري الملكي بذهن خالي ..

قالها بينما يدفعها أمامه و ضحكاتها الصادحة تمحو كل آثار تذمرها الواهي ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

هبت عن فراشها فزعة تتسابق دقات قلبها بضراوة ، وضعت كفها فوق صدرها في محاولة لتهدئته ثم تناولت كأس الماء المجاور ترتشف منه عدة جرعات ترطب جفاف حلقها اليابس ..

تطلعت إلى الخارج عبر زجاج شرفتها المحكم الإغلاق فوجدت الجو مظلم غائم يطابق شعورها الداخلي الكئيب ..

لقد حظيت بليلة غير مريحة على الإطلاق و ظلت تتقلب بين أحلام غريبة و خيالات غامضة لكن العامل المشترك بينها جميعا كان تلك العينان اللتان أطلتا من خلف نافذة عقلها الباطن ، تحملان نظرة حارت في تفسيرها ، لم تجفلها لكنها أربكتها ..

عيون تعرفها يمتلكها رجل أشيب شهدت جريمة مقتله دون قصد فما الذي يريده منها ؟! هل يحثها على الإفصاح عما لديها ؟ لا تعرف ..
لو لم تكن نائمة على طهارة و مؤدية لركعتي الحاجة لظنتها أضغاث أحلام جسدتها نفسيتها المصدومة ، لكن الأمر مختلف !
ربما هي رؤية أو رسالة من عالم اللا وعي ترشدها لما عليها فعله ، رغم ذلك هي تشعر بالخوف فكل شيء أمامها مجهول حتى ابسط قواعد التواصل .. اللـغة !
اتصالها الرباني هو الوحيد المتاح لها الآن فقد حرصت على كتمان ما حدث عن الجميع فنهضت عازمة على أداء ركعتي الصبح سائلة ربها المشورة للمرة الثانية و بعدها ستعلم أن قدرها يناديها و سوف تلبي النداء ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

تثاءبت نرفين بقوة و قد الم بها الوهن و الصداع لكنها لم تغلق حاسوبها و استمرت بإجراء محادثتها غير عابئة أن ضوء النهار قد بسط سكوته مبددا جيوش الظلمة ..
لقد قضت ليلتها بأكملها على هذا النحو

و لم تنم حتى الآن ، و ذلك ما دأبت عليه الأيام الفائتة رافضة أي تواصل إنساني مع من حولها ، الأمر الذي احزن والدتها و غذى قلقها أكثر ..
يحدث ذلك منذ تلك الليلة المشئومة التي ذهبت فيها لمقر الجمعية و تلقت صدمة جديدة تضاف إلى رصيدها الحافل ..
بعدما أوشكت على الجنون جراء وحدتها القاتلة وجدت هذه المجموعة بالصدفة بإحدى جولاتها في موقع التواصل الاجتماعي ..
في البداية لفت انتباهها آرائهم الشاذة الخارجة عن المألوف و رفضهم للواقع بكل ما فيه
ثم ما لبثت أن تفاعلت معهم و وضعت أول تعليق
بعدها توالت المشاركات التي تطورت إلى مناقشات ثم محادثات مباشرة تعرفت من خلالها على بعض أفرادها الساعين للتمرد على سيطرة المجتمع البالية طمعا في الحرية المطلقة ، و هذا ما تاقت إليه طيلة حياتها ..
ليس لتفعل ما تريد و تمارس أنواع المجون بل حتى تترك و شأنها ، لا تصبح عينة تحت مجهر الجميع كلما تحركت تتابعها الأعين بحثا عن خطأ أو شفقة على المسكينة المعاقة رغم ثراء أسرتها الواسع و عراقة أصلها !

بسرعة كبيرة صارت عضوه رسمية ضمن مجموعتهم و ها هم يحتفلون على شرفها عبر الأثير لأنها اعتذرت عن الحضور لذا فتحوا الكاميرا لتراقب سهرتهم الجامحة في احد الملاهي الليلية الذي اكتظ بالعديد مثلهم ..
أبصرت فتيات ترتدين أسمال لا تستر و يصبغن شعورهن بألوان عجيبة فتبدين أشبه ببغاوات منتوفات الريش ، و شباب رقيع يتمايل بوقاحة مرتدين قمصان مفتوحة الأزرار بشكل فج مع سراويل ضيقة بعضها جلدي و الآخر من الجينز الممزق ..
السمة الغالبة عليهم هي تصفيفة الشعر الغريبة ، أشبه بقنفذ مستثار الأشواك !
لكن ما شأنها بمظهرهم ! هل تفعل ما تستنكره من الآخرين و تنتقدهم ؟ بالطبع لا
إنهم أحرار يفعلون ما يرغبون طالما لا يسيئون إلى غيرهم ..
تابعت ما يدور أمامها من رقص و صخب لا نهائي كأنهم لا يكترثون باليوم الجديد الذي شق عُباب الليل خارج ذلك المكان المعبأ بالدخان الكثيف و الأصوات المنكرة !

كانت حقا تشعر بالإعياء لكن لا يصح أن تنسحب و هم يحتفلون لأجلها من الأساس ، النوم سوف ينتظر فهي لا تفعل غيره منذ اعتكفت داخل غرفتها رافضة مغادرتها بعناد لفت انتباهها أن احد القنافذ يقبل واحدة من الببغاوات بحماس على مرأى من الجميع ، لم تستطع استساغة ذلك التصرف الجريء لكن عقلها عاد ينهرها : ربما كانا متحابان ، هل ستتحول لحمقاء منغلقة الآن !

أبعدت تلك الأفكار بحزم و عادت تتعامل مع ما يحدث أمامها تكبح تثاؤب وراء الآخر

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ساهر آخر نفض الأغطية عنه و نهض مغادرا فراشه رغم انه لم يدخله إلا منذ ساعتين فقط ، الوقت الذي عاد فيه من عمله لكن النعاس أبى زيارته و تركه يتقلب على جمر السهاد يفكر فيما يشغل ذهنه و يشتت انتباهه كلما ترك مقر عمله ..

يشعر بالحنق الشديد لعدم قدرته على معرفة أخبارها ، يعمل بأخطر جهاز استخباراتي و يعجز عن جلب معلومة واحدة عن فتاة بسيطة ، يا للمهـزلة !

حتى مراد لم يفده بشيء ، تبـا لم يعد قادر على الانتظار ، انه لا يريد أكثر من الاطمئنان عليها ، أين الجُرم في ذلك ..!

تناول هاتفه ضاغطا رقمها الذي يحتل ذاكرته بجبروت مسيطر ، لن يتراجع الآن حتى و إن اضطر لإخبار مراد ..

❖❖❖

ومض الهاتف برقم لم تعرف صاحبه و في العادة لا يتصل بها سوى أفراد عائلتها المقربين ! فظنته لأحد أعضاء المجموعة فقد وضعت رقمها بإحدى المحادثات بينهم ..

استقبلته بفضول لمعرفة هوية صاحبه لكن فاجأها ذلك الصوت الرجولي ذو النبرات الرخيمة المدغدغة لأعصابها و تعرف صاحبه لدرجة بات يشكل لها ألما جديدا مؤخرا

- نرفين ، ردي رجـاء ..

تلك العبارة استحضرت طلبا آخر جعلها تبدو حمقاء غبية أمام الجميع لذا تصاعدت ثورتها و باتت تهدد بخطورة انفجارها ، ردت بعنف مستـاء :

- ماذا تريد شاهين ؟ ألن تكف عن إزعاجي !

وصلها صوته دون أن يفقد هدوئه :
- لا أريد سوى الاطمئنان عليكِ أما فكرة إزعاجك فلم تخطر على بالي مطلقا ، نرفين أنـا ...
هدرت تقاطعه بغضب :
- بل أنت تفعل دائما ، لما لا تفهم إنني لا أريد مجرد الحديث معك ؟ ارفض تدخلك في حياتي و محاولتك الظهور كفارس على رفاتي ، أنت أناني لا تكترث سوى لنفسك فلا تدعي اللطف أخي ليس هنا الآن و لن يراك بينما تبدي العطف على شقيقته البائسة ، تبا لك كف عن ذلك ، ابتعد عني و مارس ألاعيبك في مكان آخر ، أنا أكرهك أتفهم أكرهـك ..
قالتها و أنهت الاتصال و ظلت تحملق بالهاتف كأنه كائن مخيف ، لا تصدق إنها تمتلك هذا القدر من العدائية و القسوة ! حتى هي لم تعرف نفسها !!
ربما تعمدت فعلها لتبعده عنها نهائيا فقلبها لم يعد يحتمل صدمات جديدة و لا حتى مناوشات تلك الشيري التي تظن نفسها صاحبة الحق الحصري فيه ناهيك عن نظرات الرفض التي تحتل عيون الخالة ناريمان كلما رأتهما سويا ..
رددت بخفوت بينما تبعد الهاتف بنفور كأنها تنفي تهمة إيلامه عن نفسها :
- الوداع شاهين ..

أرجوك عد من حيث أتيت ودعني لعالمي الذي بنيت
لا تحاول الاقتراب من عالمي
لا تدك حصون قلبي و تدعي البراءة
لا تصرح بكلمات عشق لا تعرف أبجديتها
لا تحرف الحب ليصبح على قياس قلبك
فانا لا أشبه تلك النساء
و لا اعرف الكلمات التي ترددهن العاشقات
لا اعترف بقوانين الحب
و لا أرى سوى قوانين أبي و عدالة السماء
لا اسمع سوى كلمات عقلي ..
و صرخات قلبي الملتاعة من غدر الزمان
فارحل و لا تقترب فأنت لن تكون فارسي
ولن تكون حتى في معالم صفحتي السوداء
ارحل و حلق بعيدا عني فانا لا أشبه باقي النساء

بقلم / الساحره الصغيره

❖❖❖

على الجانب الآخر ظل يحدق في تلك الشاشة المظلمة كأعماق روحه بذهول ، طعنته كلماتها في صميم قلبه كحربة مسننة غمست بسم قاتل لضمان الموت ..

و هذا ما يشعر به في الواقع ، غادرته الروح و رفرف قلبه باحتضار أخير قبل أن يهوي صريع تصريحها بالكراهية ..

تكـــرهه !! اجل نطقتها و هي من تسكن مجرى أوردته منذ دهور ، كيف لم تدرك إنها تمتلك قوة جحافل التتر أسفل غطاء ضعفها الهش ..!

اعتصر الهاتف داخل قبضته بعنف لعل بتحطيمه يجتث رسالتها من الوجود ، لكن كيف يستطيع اقتلاع قلبه المذبوح ليتخلص من الألم الذي يجتاح كله !

يرغب في الركض بعيدا عن كل شيء صارخا بالفضاء الواسع ليطفئ حريق صدره المشتعل بعنفوان يلتهم خلاياه ..

لكن عوضا عن ذلك ردد بصوت تعمد أن تسمعه أذنيه في محاولة لمحو اثر عبارتها المهلكة :

- إن كانت رغبتي بالتقرب منك إزعاج ، فاستعدي لمعرفة معناه الحقيقي يا حمقائي الصغيرة ..

إني عشقتك .. و اتخذت قراري
فلمن أقدم _ يا ترى _ أعذاري
لا سلطةً في الحب .. تعلو سلطتي
فالرأي رأيي .. و الخيار خياري
هذي أحاسيسي .. فلا تتدخلي
أرجوك ، بين البحر و البحار ..
ظلي على أرض الحياد .. فإنني
سأزيد إصراراً على إصرار
ماذا أخاف ؟ أنا الشرائع كلها
و أنا المحيط .. و أنت من أنهاري
و أنا أرتب دولتي .. و خرائطي
و أنا الذي أختار لون بحاري
و أنا أقرر من سيدخل جنتي
و أنا أقرر من سيدخل ناري
أنا في الهوى متحكمٌ .. متسلطٌ
في كل عشق نكهة استعمار
فاستسلمي لإرادتي و مشيئتي
و استقبلي بطفولةٍ أمطاري..
إن كان عندي ما أقول .. فإنني
سأقوله للواحد القهار...
عيناك وحدهما هما شرعيتي
مراكبي ، و صديقتا أسفاري
إن كان لي وطنٌ .. فوجهك موطني
أو كان لي دارٌ .. فحبك داري
من ذا يحاسبني عليك .. و أنت لي
هبة السماء .. و نعمة الأقدار؟
يا أنت .. يا سلطانتي ، و مليكتي
يا كوكبي البحري .. يا عشتاري
إني أحبك .. دون أي تحفظٍ
و أعيش فيك ولادتي .. و دماري
إني اقترفتك .. عامداً متعمداً
إن كنت عاراً .. يا لروعة عاري

نزار قباني

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

- حسنا حسنا سوف أقوم بها ..
هذا ما هتفت به جيّدا لتسكت أزيز عقلها الملح الرافض للصمت طيلة فترة الصباح ، لكن عليها ترتيب خطواتها بحرص حتى لا تتورط بمشكلة ، لقد اتخذت قرارها بتقديم إفادتها للشرطة بعدها هي خارج الأمر كليا ..
اختارت ملابسها لتعكس مزاجها خليط من اللونين الأسود و الرمادي ثم عقدت شعرها إلى الخلف بصرامة ..

أخرجت دفترها المخبأ ثم حملته مع حقيبتها الكبيرة و انطلقت إلى خارج الفندق دون إخبار أيا من رفاقها عن وجهتها ، ربما كانت حماقة كبيرة لكنها لم ترد أن يصل الأمر لعائلتها و لو على سبيل الخطأ ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

انتهزت ندى فرصة الصباح بعد مغادرة خالد و غياب الطفلين لمهاتفة سُلاف التي أخبرتها عن عدم ذهابها إلى الكلية بكل أريحية ، عندها تم ترتيب لقاء فوري للقيام برحلة التسوق التي اقترحتها الفتاة من قبل ..

- هل آتي إليك أم تأتين ؟

سألت سُلاف و قد بدأت إعداد نفسها بالفعل ، وصلها صدى ضحكات ندى على حماسها المتقد قبل أن تجيب قائلة :

- بل سأمر عليك كوني جاهزة ، لن أتأخر فسوف أستقل سيارتي بما أن عاصم و لانا ليسا معي فانا أخشى القيادة بوجودهما ...

بدأت الرحلة بزيارة صالون التجميل الذي استقبلهما دون حجز مسبق لان فيفي تعرف مالكته ..

داخل قسم المحجبات دارت مناقشات حول ما يجب أن تفعله ، وافقت على تعديل قصة شعرها مشددة بعدم المساس بطوله كما استمعت لنصيحة سُلاف بتشقير بضعة خصلات متناثرة لتضفي بعض الضوء على لون شعرها البني الغني خاصة مع لون عيونها الرمادي و بشرتها الكريمية و قد أعجبتها النتيجة و أدركت أن عدم المبالغة دوما يترك أثرا أجمل ..

لم يستغرق الأمر وقتا و شكرت المصففة على عملها المتقن و إمدادها بمعلومات قيّمة حول العناية بجمالها سوف تفيدها لاحقا ..

كما أدركت إنها عندما تستخدم المستحضرات بطريقة صحيحة تحصل على نتيجة مضاعفة ، لقد كانت الزيارة ناجحة بكل المقاييس و شعرت بارتفاع معنوياتها و تجدد نشاطها ..

بعدها قامتا بجولة على الأقدام انتهت داخل المركز التجاري الذي يشتمل على كل ما تريده بين جنباته فلم تحتاج لزيارة غيره ، لطالما كانت سريعة و حاسمة في خياراتها

ساعدتها سُلاف في اختيار بعض قطع الملابس التي لم تعتاد على اقتنائها من قبل ،

اغلبها لا يصلح للخروج لكنها لم تمانع خاصة بعد رؤية تأثير الثوب القرمزي على خالد و كيف أسعده كونها خصته به وحده ، فالرجل يحب أن يشعر باهتمام زوجته بزينتها لأجله و الظهور بأجمل صوره له أكثر مما تفعل أمام الآخرين ، و للأسف هناك الكثير من الزوجات تغفلن عن ذلك و لا تبدين زينتهن إلا عند الخروج من المنزل !

دفعتها الفتاة إلى متجر متخصص في غلالات النوم يجمل علامة معروفة و أصرت كالعادة أن تبتاع منه بعض القطع الرقيقة المصنوعة من الحرير الطبيعي و الدانتيل ..

أخيرا سحبتها لقسم التجميل و مستحضرات العناية حيث اختارت مجموعة متكاملة موحدة العطر قدر الإمكان فمن الخطأ أن تبتاع كل مستحضر برائحة مختلفة بعيدة عن الآخر فذلك من شأنه أن يحُدث تنافر و اختلاط غير محبب و من المعروف أن عطر المرأة يعبر عن هويتها ..

في النهاية طلبت فيفي من البائعة حزم كل شيء و غادرتا لان كل منهما لديها موعد ،

ندى تنتظر زوجها و الأخرى هناك معلم صارم يتوعدها بالعقاب إن لم تترك الدلال و تنتبه للشرح ، تبا عمر هذا ما كان ينقصها ..

أقلتها ندى مع وعد بلقاء جديد يضم أماني الحانقة التي أخبرتهم برأيها فيهما دون تحفظ على الهاتف عندما علمت بنزهتهما الشيقة من خلف ظهرها ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

عاد هاتف سُلاف للرنين بإصرار فتناولته حانقة تتطلع لهذا الرقم الذي ما لبث أن يتصل بها طيلة فترة الظهيرة الغائمة ، لم تكن تحب الرد على أرقام لا تعرفها لكن تكرار الأمر يدل على جدية الاتصال ، أليس كذلك ؟

تركت أوراقها التي كانت تحضرها استعدادا لوصول عمر حسب الموعد المتفق عليه ثم حسمت أمرها و ضغطت زر القبول ، على كل حال إذا لم يكن مرغوب به تستطيع إضافته إلى القائمة السوداء بكل بساطة و لتحيا التكنولوجيا الحديثة

استمتعت للصوت الكسول يتحدث بغموض :

- أخيرا تعطفت الأميرة على فارسها المسكين ..

رفعت حاجبيها بامتعاض قائلة بحدة :

- عليك التأكد من الرقم أولا ، من تريد يا سيد؟
وصلتها ذبذبات ابتسامة أشعرتها برجفة غير مستحبة سبقت قوله :
- أريدك أنت بالطبع فيفي ، أم عليّ قول سولي ؟ أي اسم دلال تفضلينه حلوتي ! المهم أن يكون خاص بي وحدي ..
دوت أجراس الإنذار داخلها تنبئها عن هوية المتصل اللجوج لكنها ادعت الجهل و انتهزت الفرصة هاتفة بغيظ و قد بدأت توافق عمر في انطباعه عنه :
- يا لك من وقح عديم التهذيب ، أنا اعرف أمثالك من المتسكعين الذين لا هم لهم إلا معاكسة الفتيات ، لا اكترث بمن تكون لكن حذار أن تتصل ثانية ..
ثم همت بإنهاء الاتصال لكنه لم يمنحها الوقت عندما هتف قائلا بجدية :
- أنا ماجد سُلاف ، كيف لم تعرفي صوتي ؟!!
رفعت عيونها للسقف بنفاذ صبر .. كأنها لا تعلم ، تبا متى سيفهم إنها تعني كل كلمة قالتها في لقاءهم الأخير !!
أجلت حنجرتها بينما تواصل ادعاء الدهشة قائلة

- أستاذ ماجد ! أرجو المعذرة ظننتك احد هؤلاء الشبان التافهين ، لكن من أين لك رقم هاتفي ؟ على حد علمي لم انسخه داخل البحث !

عاد لاسترخائه مرددا :
- رقمك ليس سرا عسكريا بالطبع و عندما أريده اعرف كيف احصل عليه ، ليس هذا هو سبب اتصالي و إنما أردت معرفة لما لم تحضري إلى الكلية ؟ تعلمني أن الغياب المتكرر يؤثر على معدلك الدراسي أم انك لا تهتمين ؟

قبضت كفيها بعنف و شفتيها تطلقان وصلة من السُباب المكثف دون صوت بالطبع بينما عقلها يهتف بحدة : بل لا ارغب في رؤيتك هو الجواب الأنسب و لا شأن لك بمعدلي الغبيّ على كل حال ..

سحبت نفس عميق لتهدأ و لا تترجم ذلك لواقع صريح مرتكبة الحماقة التي يدفعها دفعا إليها بنبرته التملكية و استفزازه المريع قائلة ببرود :

- لأن موعد الاختبارات يركض و عليّ استذكار كم هائل من المحاضرات المؤجلة ..

رد بسرعة بنبرة ذات مغزى لم تخطئه أذنيها :

- استطيع مساعدتك و إمدادك بالمعلومات الضرورية لكل اختبار دون زيادة لا لزوم لها ، سيوفر عليك ذلك الكثير من الجهد ..

زمت حاجبيها بعنف ، هل قصد حقا التلميح الذي فهمته ؟! ربما لا و مشاعرها السلبية تجاهه هي ما تدفعها لاتهامه ، لقد اكتفت و يجب أن تنهي هذه المهزلة في الحال :

- شكرا أستاذ ، استطيع تدبر أموري حتى الآن ، لا تعطل نفسك لأجلي فلديك دراستك أنت أيضا ، ثم إن عمر سوف يساعدني فيما اعجز عن فهمه ..

لا تعلم لما أضافت هذه العبارة الأخيرة لكنها شعرت أنها وسيلة حماية تشهرها أمام وجهه ، انتبهت على كمية العنف الصادر عن صوته عندما ردد قائلا بحدة :

- عمر !! قريبك الأرعن الذي رأيته معك مرتين ؟ اخبريني في الحال ما هي حدود علاقته بك ؟ و لما تسمحين له بالاقتراب على هذا النحو ؟!

استنفرت حواسها و هبت للدفاع هاتفة دون تفكير :

- عمر ليس ارعن و لا اسمح بأي تجاوز في حقه و هو غائب ، انه ابن خالتي بالإضافة لكونه مهندس ناجح ويستطيع مساعدتي بكل بساطة لتشابه المواد الدراسية بين الكليتين كما تعلم ..

غمغم بحقد من بين أسنانه قائلا :

- لكني أخبرتك أكثر من مره عن استعدادي القيام بذلك ، فلما هو ؟!!

رددت بهدوء بات بعيد عنها أميالا و قد استنزفها ذلك الجدل العقيم :

- لقد ذكرت انه ربما يفعل عندما اعجز عن الفهم و قد لا يحدث هذا من الأساس ، الأمر كله مجرد فرضية ، اشعر إنني أخذت من وقتك

الكثير سيدي و هناك العديد من الطلاب يتمنون أمرا مماثلا ، لذا أشكرك مجددا على اهتمامك بالسؤال عني ، إلى اللقاء

قالتها بأكثر الطرق لطفا حتى لا تثير المزيد من استفزازه لكن الرسالة وصلته دون ريب ، ثم أنهت الاتصال بتهذيب مبالغ فيه ظنا انه كفيل بإغلاق الأمر هذه المرة غافلة عن كونها تركت على الجانب الآخر مارد من الغضب قد هب من عقاله ، لو أبصرت نظرة عينيه المتقدة بغضا لسقط قلبها رعبا و لأدركت أن اللعبة ستتخذ أبعادا مختلفة عقب هذا الاتصال ..

سحق الزهرة النضرة التي كانت مزهوة بجمالها فوق الطاولة قبل ثانية ثم ألقى بها أرضا و نهض من مكانه هاتفا بثورة أججتها رغبة ظلت دفينة لسنوات :

- لقد انتهى اللعب يا صغيرة و اكتفيت بدور العاشق المراعي ، ستعرفين من هو ماجد عندما تختبرين وجهي الآخر من الآن و صاعدا ..

غادر الغرفة صافقا بابها بغل أعمى تاركا خلفه جثة تحتضر و قد بُعثرت بتلاتها الرقيقة بعد أن هشمتها قدميه في غمرة انفعاله تنعي حياة سُلبت للتو .....

استقبلته خالته بالقبلات كعادتها هاتفة بمرح امومي :

- أخيرا تذكرت خالتك يا ولد ! كنت سأشكوك لأختي اليوم ..

مال يقبل رأسها بحب مرددا :

- الحمد لله إنني أنقذت نفسي لكني في الجوار دائما زهرتي ، عليك بالعم رضوان فهو من يلقي بكل أعباء الشركة فوق رأسي ثم أكملت عليّ صغيرتك المدللة ذات الجديلة ..

صدحت ضحكاتها عاليا فهو لا يدعوها هكذا منذ طفولتها إلا عندما تثير حنقه :

- ماذا فعلت صغيرتي الحلوة ، إنها كالنسمة العليلة لا تنكر ذلك ..

رفع حاجبيه باستنكار كوميدي هاتفا بذهول مفتعل :

- نحن نتحدث عن نفس السُلاف أليس كذلك ؟ إذا كانت هي النسمة فمن تكون الأعاصير و العواصف !!!

لكزته في كتفه بخفة هاتفة :

- كف عن مشاكساتها لقد كبرتما على ذلك ، إنها بهجة البيت و مصدر سعادته ، اسمع يا ولد

ستتناول الطعام معنا فلا تقفز للخارج فور محادثة عمك ..

أومأ بالموافقة ثم اتبع قائلا :

- بكل سرور لكن اعدي لي فطيرة الخضراوات التي أحبها ، كما أني لم آتي من اجل عمي بل لأشد آذان القردة الصغيرة التي تهمل دروسها ..

عاد للضحك من جديد قائلة :

- هذا هو سبب بقائها في غرفتها بين الأوراق إذن ، الآن اطمأننت على صحتها ، حسنا سوف أرسلها إليك في غرفة المكتب حيث الهدوء ثم اعد وجبتك المفضلة ، أنت و جيجي تتفقان على حب هذا الصنف بالمناسبة هي ترسل إليك تحياتها ..

رفع رأسه فجأة كمن تذكر شيئا للتو ، يا الهي كيف غفل عنها في غمرة انشغاله ؟! بل كيف لم تخطر على باله منذ فترة لا يعرف مداها ؟ جيدائه الرقيقة المفعمة بالأنوثة و الجمال ، تبا لعقله الغائب ، يجب أن يتفرغ من كل مشكلاته و يعود لطبيعته بأسرع وقت ..

قبل أن يتمكن من الرد لاحت سُلاف هابطة الدرج بخفة و دلال انعقد لهما جبينه تساؤلا ! أين تلك القفزات الشقية و الضوضاء الصاخبة التي تثيرها دائما ؟!!!

عندما صارت اقرب استدار بكامل جسده مسلوب الأنفاس لمرآها الغير معتاد !

من هذه الغادة الهيفاء التي تتهادى هابطة الدرج ؟! منذ متى تخلت عن سراويل الجينز و القمصان الصبيانية و صارت ترتدي أثواب الفتيات !! بل الأدهى متى كبرت و باتت كاملة الأنوثة بهذا الشكل المغيظ ! عجبا اهكذا يراها الأحمق الآخر بينما هو أعمى لم يخرجها من مرحلة المراهقة بعد ..!

اخبريني حبيبتي .. ؟
متى تركتِ عالم المراهقة
وتلونت بثوب الأنوثة الهيفاء ؟
متى تنازلت عن أعوام عمرك
وقفزت لعالم الفتيات ؟
اخبريني حبيبتي.. ؟
منذ متى وأنت تحومين حولي كفراشة بهية
تتمايل على بتلات الزهر الفتية
مقبله حبات الندى بروح شقيه ؟
اخبريني حبيبتي .... ؟
ابن ذهبت صغيرتي الشقية ؟
وأين اختفت مصائبك الابيه ؟

و أين ضاعت جديلتك ليتناثر شعرك حولك
يكتب ترنيمة سحر أبديه ؟
اخبريني حبيبتي ..... ؟
أين كنت ؟
وكيف عشت ؟
وكيف سأخوض معارك حربك المرمرية ؟
اخبريني حبيبتي ..... ؟

بقلم / الساحره الصغيره

أتمت هبوطها المتأني ترفل بثوب كشميري أنيق ، ابيض اللون و قد التف حول قوامها الفتيّ بروعة ، لا يكشف عن جسدها لكنه يعد جريمة في حق الإنسانية ، ظاهريا كان ثوبا أنثوي للغاية ، محتشم و مغلق لكنه يراه قمة في الإثارة حيث ابرز لون بشرتها الدافئ و تناقض مع خصلات شعرها الداكن الطويل الذي أرسلته مسافرا على طول ظهرها و اكتفت من الزينة بطوق من الفُل يكلل مفرقها و يمنحها براءة و نقاء ..

- مرحبا عمر ، أنا جاهزة بأوراق الرسم و الأدوات ..

كان لا يزال يعلق عينيه عليها و ملامحه تعكس الكثير من الانفعالات التي لم تفت خالته المتابعة لكل ما يحدث بنظرة إدراك جذل فهتفت بينما تلكزه بمرح :

- نسمتي الحلوة تحدثك يا ولد ، أين عقلك ؟! انتفض باعدا تلك الحماقة التي غلفت عقله بسحابة وردية و هتف متعمدا صرف انتباههم عن لحظة ضعفه الغير مفهومة :

- ها قد أتت الطالبة النجيبة ، احملي أغراضك و هيا أمامي إلى غرفة المكتب ، خالتي لو سمعت صراخها لا تقلقي ، غالبا سأكون قد علقتها على باب الحديقة ..

ضيقت عينيها النجلاوتين قائلة بوعيد :

- هكذا إذن ، حســنا ، كوني بالقرب رجاء ماما لتنقذيني عند أول بادرة نذالة ، فابن أختك الغالي لا ينوي خيرا أبـدا ..

ضحكت السيدة بسعادة و قلبها يغرد كلما رأتهما معا قائلة :

- هيا للدراسة يا شقية ، تعلمي أن عمر لا يستطيع إيذائك مطلقا فهو كان مدلِلك الأول أم لعلك نسيت !

ميلت رأسها بينما تخرج طرف لسانها بإغاظة تحب فعلها معه منذ صغرها ، عندها عاد عقله للعمل بشكل طبيعي ناهرا غبائه : ها هي سُلافك طبيعية لم تتغير يا أحمق فكف عن شحطات الخيال ..

و هرع خلفها إلى غرفة عمه آملا مساعدتها دون أن يسيطر عليه مشهد لسانها الزهري الصغير الأشبه بقطعة حلوى بنكهة الفريز اللذيذة !!

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

اختفت هواجس جيّدا و مخاوفها تقريبا بعد مقابلة الضابط المكلف بالتحقيق في قضية مقتل الدبلوماسي كما يطلقون عليها حيث عاملها بمنتهى الكياسة و التهذيب و اخبرها انه ليس عليها القلق و قد تعامل معها بانجليزية متقنة قربت المسافات بينهما حتى انه قام بترجمة أقوالها لمعاونه الذي يسجلها أولا بأول دون الحاجة لاستقدام مترجم خاص

سلمته دفتر الرسم الذي يدعم قصتها فتأمله طويلا قبل أن يعاود سؤالها قائلا :

- أنت مصره على كونك تسللت إلى سطح الفندق بمفردك آنستي رغم أن ذلك يعرضك

لمخالفة قانونية لو قدم المعنيين بالأمر شكوى رسمية ؟

عقدت حاجبيها بضيق من المعنى المبطن لسؤاله لكنها أرجعت ذلك لقصور في الترجمة ربما لا يقصده و أجابت قائلة ببعض المواربة التي لن تضر أبدا :

- المعذرة أنا لم تسلل ، لقد كان الطريق خالي في هذه الساعة المبكرة ولم اعرف انه غير مسموح للنزلاء بالتواجد هناك ..

عاد يكرر السؤال بإصرار غريب مركزا بصره الحاد عليها :

- لكن لما أردت الصعود في مثل هذه الساعة من الأساس ؟!

سحبت نفس عميق قبل أن تردد بصدق :

- حسنا سأعيد من جديد ، أنا أهوى رسم شروق الشمس و استقبال دمعات القمر ....

زم حاجبيه بدهشة و قاطعها مستفسرا :

- عفوا !!

استدركت نفسها و أجابت ببساطة :

- اقصد قطرات الندى ، أحب رؤيتها فوق مختلف الأسطح لهذا ارسم دائما في أوقات مبكرة ..

دار حول مكتبه مقتربا منها قائلا :

- لكن ألا تلاحظين معي غرابة اختيارك توقيت وقوع الجريمة بالذات ليتزامن مع صعودك إلى هناك رغم انك نزيلة بالفندق قبلها بفترة ؟ لما لم يحدث بأي ليلة أخرى ؟

تبا كيف تخبره أن الفتاة التي ساعدتها هي من اختارت الوقت تبعا لمناوبة عملها الليلي ! لقد وعدت أن تحميها و لن تخذلها ، قلبت شفتيها قائلة ببساطة :

- و كيف لي أن اعلم ! مجرد صدفة غير مقصودة بالطبع ، ربما لان مقدرا لي أن أكون أمامك الآن أدلي بإفادتي لأكثر من ساعتين ..

عقد حاجبيه مفكرا في قولها و ذهنه الشرطي يموج بمئات الأسئلة التي تبحث عن إجابة شافية

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

- صالح يجب عليك رؤية ذلك بسرعة ..

هتفت بها رُقية بينما تهرع من خلف مكتبها في القاعة المكتظة بالأجهزة الحساسة و تسلمه الورقة التي تناولها باهتمام ..

اقترب مراد على الفور سائلا :

- ماذا هناك ؟

قربها منه ليلتهم محتواها بلهفة ثم يردد بأنفاس تتسارع :

- لدينا شاهدة تمتلك معلومات عن مسرح الجريمة ، مازالت داخل المخفر ، علينا التحرك في الحال ..

خطا باتجاه الخارج بينما صالح يلحق به هاتفا بصوته ذو الرنين المميز :

- يجب التأكد منها أولا مراد ..

أومأ بحزم مجيبا دون أن يبطئ خطواته :

- سنفعل لكن دون إضاعة ثانية ثمينة ، استدع شاهين و لاقني في الأسفل ..

و هناك تم تحديد الهدف و رسم الخطة بوقت قياسي و كالمعتاد لكل منهم دور أساسي يدعم مهمة رفيقيه و يكملها ..

أردف مراد بينما يتأكد من سلاحه المعلق حول كتفيه :

- صالح عليك اختراق نظام الفندق و محو كل ما يتعلق بالفتاة ، يجب أن تختفي من الوجود بشكل كامل و أرسل رُقية لتجمع أغراضها كلها ..

أومأ بحسم هاتفا بمهنية يتقنها :

- اعتبر الأمر قد تم لكن ماذا عن إفادتها بالشرطة ..!

رد شاهين الذي انضم إليهم مستعدا كعادته :

- رجلنا هناك سيؤدي المطلوب و يمحو كافة الأدلة ، مراد غطي ظهري و سأتكفل بالبقية ..

تحرك هذا الأخير باتجاه السيارة السوداء المظللة قائلا بحسم :

- انتظر إشارتي أولا لا ريب أن رجال المنظمة قد علموا بأمرها مثلنا و ربما سبقونا ، علينا التقدم بخطوة و إلا خسرناها ، كن في موقعك مستعد ، هذه الفتاة لنا ..

قالها و انطلق دون هوادة عليه تحديد نقاط المراقبة و أي من رجالهم أرسلوه فبمجرد وصول الأخبار سيصدر أمر تصفيتها خاصة أن القتيل كان ذو شأن في التنظيم و لا ريب أن من شاهدتهم ليلتها من الأهمية بجعل أمر قتلها صار من الماضي الآن ..

تلك الشاهدة تمثل كنزا لهم و بداية الخيط الذي فقدوه من قبل ..

ما يراه أمامه يثبت صدق توقعاته ، فقد رصدت عيونه الخبيرة تواجدهم المكثف حول نطاق المخفر من كل جانب ..

- ماذا تقصدين بقولك لا تذكرين يا آنسه ؟!!
نحن لا نمزح هنا من المفترض انك رسامة تجيدين التقاط الأوجه و أنا لا اطلب الملامح بالتفصيل بل مجرد وصف تقريبي لتلك الأشباح التي قمت برسمها هنا ، الم تذكري انك رأيتهم ؟!

انتابها الحنق من ذلك المحقق السخيف الذي حولها إليه الشرطي بعد ما أنهكها بتكرار أسئلته و ها هو يحاول التذاكي لإيقاعها كأنها تخفي ما تعرفه عنه ! هتفت بنفاذ صبر:

- اجل رأيتهم بالفعل لكني لا أتذكر ملامحهم جديا لما لا تصدق ؟! ماذا استفيد من حجب الأمر عنك ؟ لقد أتيت بإرادتي إذا كنت لا تذكر ! لاحظ أن بإمكاني تلفيق ملامح وهمية و انتهي من هذا العبث في الحال ..

غمغم بإحباط فما أدلت به لم يفدهم بأي شيء حتى الآن :

- ما الذي حدث إذن ؟!

أجابت بإعياء لكثرة تكرار الأمر :

- لا اعرف ، صدقا لا اعلم كأن هناك حجابا فوق عقلي ، أنا عاجزة عن استحضار تلك الملامح دون سبب ..

خبط فوق سطح مكتبه بغلظة :

- لما تقدمت للإدلاء بالإفادة إذن ؟ فأنت لا تعرفين شيئا يذكر و لم تقدمي ما يفيد ..

هبت على قدميها رافعة رأسها بإباء أصيل قائلة :

- لقد فعلت ما أملاه عليّ ضميري و بالنهاية أنا لست ملتزمة بالقيام بعملك ، لقد ذكرت ما اعرفه و إذا لم يرق لك فهو شأنك ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

رصد مراد تحرك بعضا من العناصر المتخفية بغرض دخول المخفر بشكل طبيعي لا يلفت النظر فأدرك أن نقطة الصفر قد حانت و عليه إحباط ذلك في الحال ..

تحدث إلى شاهين من خلال جهاز الاتصال المفتوح بين ثلاثتهم طيلة الوقت :

- الآن شاهين و لا تستخدم أيا من المخارج المعتادة ، ساحتك بهم مباشرة فانتهز فرصة الهرج ..

وصله صوت رفيقه يردد بحزم :

- تـم يا صديق ، انتبه و لا تتهور كالمعتاد ..

ترجل من السيارة ثم تقدم بحذر و تربص ليتخذ مكانه المدروس بعناية ليخفيه عن الأنظار مشهرا سلاحين في آن واحد على أهبة الاستعداد لإطلاقهم في الهواء خالقا حالة من الفوضى عمت الشارع أمام المخفر كأنه يتعرض لهجوم مسلح بغرض اقتحامه ، بعدها أبدل مكانه بمهارة و تحصن خلف احد الجدران المعاكسة لمكانه الأول ثم تخير اقرب أفراد المنظمة من المبنى و أطلق الرصاص على ساقه ليعوق تقدمه و كانت تلك الإشارة ليتراجع البقية و الاختباء خلف هياكل سياراتهم المضادة للرصاص و يبدأ إطلاق نار كثيف بشكل عشوائي ردا للاعتداء المفترض في حين انسحب مراد بخفة الفهد القناص يتحرك مع الريح دون أن يترك أثرا خلفه تاركا المكان إلى الجهة المضادة مصوبا على ساق آخر ليصيبه بالفعل خالقا حالة من العشوائية و البلبلة بين الأفراد أنفسهم و قد انقسموا ظانين أن هناك خيانة داخلية و بدأ إطلاق النار من كل جانب على الآخر ..!
ما أثار حنق مراد و استيائه هو بداية إطلاق سيل الرصاص من داخل المخفر ليختلط الحابل

الحابل بالنابل و يصير الشارع أشبه بساحة حرب فتمتم من بين استنانه :

- الأغبياء ، يطلقون الذخيرة الحية بدلا من قنابل الغاز كإجراء أولي ..!

تابع بصوت أعلى موجها الحديث لشاهين :

- اكره التعاون مع الشرطة ، إنهم يفسدون الوضع دائما ، أين رجلك شاهين ؟ افعل شيئا و أخرجهم من اللعبة لا أحبذ تواجدهم في الصورة أكثر ..

رد الآخر قائلا :

- لكننا على أرضهم يا رجل ..!

قاطعه بإصرار حازم :

- لقد صارت العملية لنا و سنفعلها بطريقتنا دون تدخلات غير مرغوب بها ، صالح أريد مجموعة تنظيف في محيط المخفر في الحال ..

أجابه صوت صالح مؤكدا :

- إنهم في الطريق لقد سبق و فعلت ، أين تريد الدعم شاهين ؟

رد الآخر قائلا بثقة :

- على بعد شارعين من هنا صالح ..

ختم الشاب بقوله :

- ستجدها هناك إذن ، بالتوفيق يا رفاق ..

داخل المبنى فوجئت جيدا بهذا الضجيج الذي يصم الآذان في الخارج و تلك الحالة الغريبة من التوتر التي أصابت الجميع حولها ، كان جهلها باللغة يمثل عائق كبير أمامها و أشعرها ذلك بالانعزال و الخوف ، عليها مغادرة هذا المكان لقد أدلت بكل ما لديها و سلمتهم الدفتر إذن دورها انتهى ..

حثت الخطى باتجاه احد المخارج و قد أفزعها صوت الطلقات المدوية ، استوقفها صوت رجولي قوي النبرات و لكن ما لفت انتباهها هو استخدامه اللغة الانجليزية فالتفتت إليه بلهفة ليكمل هو قائلا :

- هذا الطريق ليس آمن آنستي ، تفضلي معي و سأخرجك من هنا ..

اتسعت عيونها بحيرة و بريق أحداقه الأزرق اللاهب يتنافر مع طلته السمراء بمزيج غريب من الوسامة الخشنة قائلة بأعصاب صارت على المحك :

- هل أنت شرطي ؟ ما الذي يحدث في الخارج ؟!

قادها أمامه بخطوات مدروسة لا تشعرها بالرهبة و لكن سريعة حاسمة قائلا بهدوء :

- لا تشغلي بالك ، بعض الشغب فحسب ..

انتبهت للطريق الذي يصطحبها خلاله فتوقفت هاتفة بتوجس :

- مهلا هذا ليس طريق الخروج ! إلى أين تصطحبني ؟

حثها على معاودة السير قائلا بصرامة :

- ثقي بي رجاء ، وجودك هنا غير مرغوب فيه لصالحك و ليس أمامك سوى تصديقي ..

اتسعت عيونها بذعر :

- لكن من أنت ؟!!

أجابها بحسم و دون كلمة زائدة :

- لاحقا تعرفين كل شيء ..

تسارعت دقات قلبها و زاد معدل إفراز الأدرينالين في جسدها لكن هناك شيء ما بهذا الرجل يدفعها للاطمئنان و الوثوق به !

تسارعت خطواتها الرقيقة تجاري قوة ساقية الطويلتين بينما أصوات الشغب تتعالى حتى أحاطت المبنى من كل الجهات لهذا فهمت سبب اتجاههم لسطح المبنى ! يبدو انه يعرف إلى أين يذهب بالفعل لهذا قررت مصاحبته دون اعتراض ..

و هناك بالأعلى دفعها لتسلق سلم الطوارئ المخفي بشكل غير ملحوظ لتجد نفسها انتقلت إلى سطح المبنى المجاور و منه إلى الطابق الأسفل مباشرة حيث دلف بها لشقة بعينها ينتظرهم فيها شخص أدخلهم دون تعليق لما يشبه المطبخ ، به باب خلفي مستتر بمجرد أن ولجت منه حتى وجدت شقة أخرى و ليس سلم كما توقعت ! خرجا من بابها الرئيسي ثم قادها ليمين المبنى ملتفا بشكل دائري عندها وجدت نفسها داخل حديقة غناء لم يمُهلها التطلع إليها لأنه دفعها عبر بوابتها الحديدية إلى شارع هادئ بدا خالي من البشر ..

كان يتحرك بسرعة و احتراف يعرف هدفه بشكل محدد ، تقدم من سيارة فتح بابها الأمامي مشيرا لها فدلفت إليها صاغرة بينما دار حولها و اتخذ مكانه منطلقا من فوره تاركا المنطقة بأسرها خلفه ظافرا بحمله الثمين ..

وجدته يتحدث بغموض قائلا :

- تستطيع الانسحاب الآن يا رفيق ، لقد صرنا نحلق خارج السرب ، صالح اخبر الرئيس إننا في الطريق إليه ..

قطبت حاجبيها و قد نفذ صبرها هاتفة :

- أريد أن اعرف ماذا يحدث الآن ؟ و من تكون ؟ و إلى أين تصطحبني ؟

التفت إليها ببساطة ثم عاد بجوهرتيه الفيروزيتين إلى الطريق أمامه خلي البال كأنه في نزهة خلوية و لم يخرجها من مخفر شرطة محاصر بإطلاق رصاص كثيف للتو :

- لاحقا ستعرفين كل شيء ، استرخي الآن لقد صرتِ بأمان ..

حدقت فيه بدهشة عارمة لكنها صمتت و قد أدركت أنها لن تحصل على أكثر من ذلك في الوقت الحالي ..

كما بدأ الأمر فجأة انتهى و ساد هدوء حذر في الشارع الذي عج بالحركة العنيفة قبل دقائق مما أصاب الجميع بارتباك و تشتت داخل و خارج المبنى .. !

تضاربت الأقوال حول محاولة تهريب احد المحتجزين الخطرين بالداخل و قد نجحت قوات الأمن في إحباطها ..

خرج احد الأفراد التابعين للمنظمة قائلا لزملائه البعيدين عن المكان نوعا :

- الفتاة ليست بالداخل ! و هناك تضارب كبير في الأوصاف التي حصلت عليها ، و الأدهى أن ملف القضية خالي من أي إشارة عنها ، كأنها تبخرت في الهواء !!

صرخ الآخر بقهر :

- ماذا ؟ كيف ؟!! نحن لم نغفل عن أيا من مخارج المبنى رغم كل ما حدث حتى المباني المجاورة في الشارع لنا أعين عليها ! لا ريب أن هناك خدعة ما ، إنها بالداخل أيها الأحمق ..

أشار زميله بكفيه قائلا بحنق :

- اذهب و أخرجها إذن ..

عض على نواجذه بغضب شديد :

- أتعرف معنى حديثك ؟ نحن نعمل مع أناس لا يوجد في قاموسهم مرادفا للفشل ..
استمر الجدل طويلا دون إجابة شافية للسؤال المحير ، كيف تتبخر الفتاة في مدة زمنية لا تتعد الدقائق الخمس و الأدهى أن الشارع بأكمله محاصر بالرجال من كافة النواحي !

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

- هل فعلتها بشكل صحيح عمر ؟
كان يجلس محدقا في اللوحة بتسلية يسند رأسه فوق قبضته المضمومة باستمتاع كبير ، لقد ضحك في الساعة الماضية أكثر مما فعل طيلة عمره !
تلك الفتاة تمتلك موهبة فائقة في صياغة تعليقات صاعقة ، خاصة عندما يتعلق الأمر بدراستها !
أجلى حنجرته و استحضر الجدية مجيبا استفسارها :
- بالطبع لا ، ما أراه أمامي يعد جريمة هندسية مكتملة الأركان يا آنسة ..
مطت شفتيها و ألقت القلم من يدها هاتفة بقهر:
- لكن لماذا ؟!

كبح ابتسامة ملحة قائلا :
- لأنها تفتقد أساسيات صحة التصميم و خالية تماما من ردود الأفعال سُلا في المتذمرة
خفق قلبها بجنون عاصف عندما دللها كما كان يفعل أيام طفولتها ثم توقف منذ سنوات و سُلبت أنفاسها بصدمة لذيذة بينما لم ينتبه هو بما تلفظ به و تابع شارحا بصبر :
- أخبرتك أن هناك ثلاث عناصر رئيسية يجب أن تتوافر و تنسجم في اللوحة ، منظور أفقي ، جانبي و أمامي و هذا يعتمد في المقام الأول على التخيل بشكل صحيح
تناول قدح القهوة الفارغ من أمامه و تابع القول بمهنية :
- هذا القدح على سبيل المثال ، ماذا لو طلبت منك رسمه من عدة مساقط مختلفة ؟ راقبي .. إذا أردنا مسقط علوي سنرى دائرة كبيرة ثم أخرى أصغر و هناك منحنى يمثل يد المجسم (ثم أداره في يده ليجعل جانبه مقابل عينيها) الآن مسقط جانبي سترين كيف تغير المنظور ..
أومأت بفهم فأكمل قائلا :
- حتى يكون التصميم سليم عليك الموازنة بين

القوة و المقاومة ، الأفعال و ردودها ، الآن حاولي من جديد و أطلقي لمخيلتك العنان ، أنا واثق من قدرتك على انجازه ..

لمعت عيونها بحسم ، سوف تفعلها لأجله ، لن تخذل ثقته فيها مطلقا ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

انطلق عاصم و لانا بمرح صاخب مع المهرج في الجزء المخصص للأطفال الذين يأتون برفقة ذويهم لذلك المطعم الشهير ..

شعرت ندى بالسعادة و هي تراقبهم من بعيد بينما خالد مقابلها يستغرق بحديث هاتفي مع مساعده لمتابعة تطورات حالة المريض الذي أجرى له جراحة قبل عدة ساعات ..

أنهى الحديث ناظرا إليها بترقب قبل أن يردد بصدق :

- المعذرة ندى ، أرجو أن لا تنزعجي من هذه الاتصالات ، تعلمي أهمية متابعة الحالة عقب إفاقة المريض ..

أومأت باسمة و قالت ببساطة أدهشتها :

- بالطبع لن افعل ، لقد اكتشفت شيء الآن و هو أني لم أكن أتذمر من عملك بالعكس افتخر بك حبيبي ، ربما السبب الحقيقي هو ابتعادك عني و هذا ما ولّد رد فعلي العدائي لكن بمجرد إحساسي باهتمامك زال كل الأثر السلبي ..

تدفق الدفء من نظراته الممتنة :

- كم أنا سعيد بهذا قطرتي ..

انسجما بحديث حول عدة أمور أكثرها عن مشاغبات طفليهما قطعه اتصال جديد من المشفى ، رفعت كتفيها ردا على نظرته المعتذرة قائلة بمرح :

- ماذا افعل و زوجي رجل مهم ، سأذهب لتفقد الطفلين و اتصل بصديقتي حتى تنتهي

تركته خلفها يلقي سيل من التعليمات على مساعده الطبيب بينما تضغط رقم أماني بقلب يغرد براحة و هناء ، بعد ثلاث رنات وصلها صوتها تجيب مازحة :

- مرحبا بالخائنة ، لمعلوماتك لازلت اذكر نزهتكما الصباحية بدوني ..

منحتها ضحكة رائقة :

- أوه لم اعرف انك شريرة يا زوجة أخي المستقبلية ، تغاضي عن ذلك و بالمقابل أوصي أمي بك خيرا ، ما رأيك بهذه المقايضة العادلة ..

ارتفع وجيب قلب الفتاة و احتقن وجهها كالمعتاد فقالت بنبرة حيية :

- بهذه الحالة سأفكر جديا بالأمر ، هيا بشري ..

أجابتها نبرة صوت ندى المتدفقة مرحا و تفاؤل قبل أن تردد و تؤكد حدسها :

- كل شيء على أفضل ما يرام ، أنا سعيدة جدا مانو و لا أجد كلمات تعبر عن امتناني لك و فيفي ، لقد أرسلكما الله لتعيدان إليّ السعادة و إلا ظللت قابعة في منزل والدي لا أجرؤ على المبادرة ..

وصلها صوت الفتاة تردد برقتها المعتادة :

- لم نفعل شيء مستحيل ، الجميع يكون بحاجة لمناقشة موضوعية في وقت ما ، دعك من ذلك الآن و ركزي في الخطوة القادمة ، لقد اتفقنا على تغير جذري أليس كذلك ؟

وافقتها بتأكيد :

- بلى بالطبع ، لا تقلقي لقد استوعبت الدرس جيدا ، سأغير من نفسي قبل أن أتوقع تغير خالد خاصة بعد إحساسي بحبه و اهتمامه ، كما لن اعتمد عليه في كل صغيرة و كبيرة ، ستكون لدي حياتي الخاصة بالإضافة لمشاركة اهتماماته ، أرأيت أحفظه عن ظهر قلب ، دورك الآن لتخبريني عن أخبار شقيقي الغالي ..

ضحكت بعذوبة قبل أن تردد بخجل :

- من التي يجب أن تسأل الأخرى !!

أجابت ندى بشقاوة :

- أنا طبعا ، لقد أخبرتني العصفورة انه يقضي طيلة الليل ساهرا على الهاتف مع فاتنة شقراء أول حرف من اسمها أماني طاهر ..

تماشت معها بعبث محبب و قد استعادت روحها الشابة كأيام الدراسة و المرح :

- احم لن استطيع الإنكار إذن ، انه منشغل و منشغل ثم منشغل يريد إتمام الكثير من الأشياء بوقت قياسي ليحقق اسم و سمعة جيدين لمكتبه الجديد قبل أن يقابل بابا ، و لا أخفيك إنني أترقب ذلك بفارغ الصبر ..

تابعت الحديث بمودة صادقة :

- سيوافق و نسعد جميعا معكما بإذن الله ، إن معه احد أصدقائه يساعده و أنا أفكر جديا في الانضمام إليهم لكني لم اخبر خالد بعد ، لن أجد أفضل من العمل تحت إمرة أخي خاصة مع خبراتي المنعدمة كليا ..

هتفت أماني بجذل :
- هذا رائع ، ليتني استطيع فعلها لكن السيد طاهر يرفض مجرد التفكير في الأمر رغم إلحاحي عليه ، أتظنين ادهم يوافق أن اعمل معه؟
ردت ندى بحماس :
- و لما لا ؟ إن شقيقي متفتح الذهن و لن يمانع في عمل زوجته أبدا ..
أدفئت العبارة قلبها هامسة لنفسها : زوجته ! آه يا لها من صفة جميلة ..
- يجب إن أعود لخالد الآن ، نلتقي فيما بعد أوصلي تحياتي للخالة أحلام ..
رددت أماني بسعادة خرجت من أعماق قلبها :
- حسنا حبيبتي ، أدام الله عليكما السعادة لا تنسي ما أخبرتك به ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ربت السيد عثمان على كف زوجته بمحبة صبغتها السنوات بمزيد من الدفء و التقدير قائلا بصوته الخشن الرجولي النبرات و بعربية تعلمها لأجلها منذ عرفها حتى لا تشعر بأدنى غربة معه :
- ما بالها توأمة الروح شاردة و عابسة في وجه زوجها المسكين ؟

التفتت إليه قائلة بقلب مثقل :
- أترى عثمان كيف بقينا بمفردنا رغم وجود الأولاد ، كل منهم لاهي بعالمه لكنهم ليسوا سعداء ، مراد كل لحظة من حياته يحفها الخطر و لا يكف عن إثارة رعبي عليه ، إنني مثل كل أم أريد ابني إلى جواري آمنا مستقرا لكنه ابعد ما يكون عن ذلك ..
لفها بذراعه مقربا إياها من صدره الحنون قائلا بحكمة صقلتها الخبرة :
- انه يؤدي واجبه زينب و دعواتك له تحفظه ، يجب أن تفخري به حبيبتي أما استقراره فسيحدث لا محالة ، اشعر انه على الطريق ..
ردت بحدة و انفعال :
- مع من ؟ تلك العارضة اللعوب ! أفضله أعزب وحيد إذن ..
عاد يجادلها بهدوئه المعروف :
- منذ متى تستخدمين هذا المعيار في الحكم زوزو فـ.....
قاطعته قائلة بثبات :
- أنا لا افعل لكنها لا تحبه كما يفترض ، قلبي لم يشعر بها عثمان و قلب الأم لا يخطئ

في أحكامه أبدا بخلاف ما يفعل الرجال لكن هذا ابسط متاعبي ، جبل الهموم الذي يقض مضجعي يقبع داخل غرفته بالطابق العلوي و لا يغادرها ..

نرفين تذبل و يزداد انعزالها عن الجميع ، إنها تنام طيلة اليوم إمعانا في تجنبنا ، ماذا فعلنا ليعاقبنا الله بهذا الشكل !

غامت عيونه بقلقه المستتر على طفلته :

- استغفري الله زينب و كثفي لها الدعاء فهو مقلب القلوب و على كل شيء قدير ..

تعلقت به هاتفة برجاء :

- يمكننا التواصل مع اكبر أطباء في مجال العظام لإجراء العملية المفترضة ، من يدري قد يتبدل حالها بعودة أملها المفقود ..

اطرق رأسه قائلا بأسى :

- لقد فعلت ذلك عدة مرات ، لكنها ترفض بإصرار فلم أرد تكرار الحديث معها حول الأمر حتى لا تشعر بالنقص أكثر ، إن مشكلتها ليست جسدية بل نفسية ، عليها التوقف عن تضخيم حالتها و رؤية نفسها كشيء ناقص ..

إنها ترفض كل الأطباء ، أظنها بحاجة لمعجزة تنتشلها من التخبط و الضياع الذي الم بها ، بلسم شافي يضمد أوجاعها و يعيد إليها الثقة ، سنجده حبيبتي ، بمشيئة الله سنجده

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

- الم يصل شاهين بعد ؟

قالتها قدرية بينما تدلف إلى الردهة في المنزل الكبير و تشارك ناريمان التي أنهت اتصال هاتفي لتوها جلستها ، أشارت بكفها تجيبها بحنق :

- كلا ، فهو يعمل بشكل متواصل هذه الأيام و لا نكاد نراه ! يخيل إليّ انه يتعمد ذلك قدريه ، كأنه يخاصمني ! قلبي يشعر به حزين و يدفن ذلك بإحاطة نفسه بالخطر ..

قلبت السيدة شفتيها قائلة :

- و هل يلومه احد إن فعل ! لقد أخبرتك مرارا انك ترتكبين خطأ جسيم بتدخلك في حياته على هذا النحو السافر ، شاهين لم يعد طفل كما أن تلك الفتاة لم تكن لائقة به أبدا ، لكنك كالمعتاد تصمين أذنيك إلا عن صوتك وحده ، تحملي الآن

رفعت الأخرى حاجبيها قائلة باستنكار كوميدي

- في كثير من الأحيان تنسي انك تعملين لدي قدريه عزيزتي و ليس العكس ..

أشارت المرأة بكفيها قائلة دون مبالاة :

- اطرديني إذن ..

تابعت ناريمان برثاء على الذات :

- لا اعرف لما احتملك لكنك ضرورية في حياتي للأسف ، لن أنكر أن شيري تصرفت بغباء و خيبت أملي فيها ، بصراحة لم أتوقعها بهذه الشخصية السيئة ! لقد كانت أختي تحدثني للتو و قد كررت اعتذارها عن تلك الليلة للمرة الألف ..

قاطعتها قدرية قائلة :

- أختك و ابنتها مضطرين لاحتمالهم لصلة الرحم و القرابة لكن ما ذنب ولدي المسكين لتبتليه بها و تفسدي حياته ..!

منحتها نظرة غاضبة قائلة بعناد الرد المعتاد بينهما :

- انه ابني أنا ، بعض النظر عن ذلك لقد كنت أحاول إيجاد فتاة مناسبة له ، أين الخطأ ؟ أردت إسعاده يا امرأة !!

عارضتها الأخرى من جديد :

- و لما لا يحاول هو ؟! أظنه أصبح راشد منذ سنوات طويلة و شب عن الطوق ، يا الله انه شأن خاص و قلبه من عليه الاختيار ليس أنت أيتها المتسلطة ..

عكست ملامحها الفتية الرفض و التمرد هاتفة :

- و اتركه يعقد حياته مع فتاة لا تناسبه و لن تعرف السبيل لإسعاده ! لا و ألف لا ، إذا كانت شيري حمقاء سأجد غيرها و غيرها و لن اكف حتى اعثر على من تستطيع إغراقه بحبها و حنانها الذي يستحقهم ..

نهضت قدرية عن مقعدها هاتفة بنفاذ صبر :

- لا فائدة أنت مستحيلة و لن تتعلمي من أخطائك ، سأذهب إلى مطبخي أفضل من الجدل معك ، على الأقل اعد وجبة جيده لولدي تعينه على احتمالك ..

ثم انصرفت تتمتم بكلمات غير مفهومه بينما هتفت ناريمان بارستقراطية تليق بها :

- انه ابني أنا أيتها العنيده و سأفعل ما يحلو لي رغما عنك ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ألقت نازلي الهاتف من يدها بحنق شديد و زمت حاجبيها بقهر بينما تواجه المرآة الضخمة المحتلة جدارا بأكمله داخل غرفة التبديل التي تتشاركها مع زميلاتها من العارضات ..

هتف عقلها بغضب يتصاعد كلما تكرر الأمر :

تبا طالما كرهت ذلك ..
لقد ظلت تتصل بمراد مرارا و تكرارا دون فائدة ، لم تتلقى سوى الرنين و المزيد من الرنين ، لا ريب انه بأحد تلك المهام الشائكة التي لا تعرف ماهيتها فهو يبالغ في الحفاظ على سريعة عمله و هذا الغموض يدل على الخطورة و الريبة ، الأمر لا يحتاج لذكاء خارق لتعلم انه يتبع جهة أمنية ما ..
زفرت بعدم رضا غير قادرة على استيعاب أن شاب مثله ينتمي لعائلة من اعرق و أثرى العائلات يتمسك بعمل مثله ! إن كان يهوى المغامرات فهناك الكثير من الأنشطة التي توفر له ذلك دون تعريض حياته للخطر على هذا النحو !
يجب أن يتركه و يتفرغ لأعمال عائلته و يوفر لها الحياة الكريمة التي تستحقها فلن تضحي بنظرات الإعجاب و الشهرة مقابل زواج غير آمن ، سوف تبذل قصارى جهدها لتجعله يفعل ما يرضيها ، سيكون مراد رجل أعمال صاحب نفوذ و على رأس إمبراطورية والده و هي ستكون الملكة في يدها زمام كل شيء و ...
ابتسمت بدلال و غابت في دنيا الخيال تحلم بنفسها و العالم كله أسفل قديمها .....

صرف ماجد حارس منزله بفظاظة بعد أن وضع هذا الأخير أكياس المشتريات فوق طاولة المطبخ ثم غادر سعيد بانتهاء مهمته مع الشاب الدائم التذمر متمتما كالعادة بتعجبه من اختلاف طبيعته عن والديه الذي عمل لديهم منذ سنوات خلت دون أن يستمع لكلمة واحدة مسيئة بينما الابن لا يكف عن التطاول عليه دون مراعاة لسنه !
كان ماجد يعيش بمنزل والديه وحيدا بسبب غيابهم معظم أشهر العام خارج البلاد بغرض العمل و قد اعتاد على ذلك بل يفضله حيث يحيا بحرية دون رادع أو مراقب لتصرفاته كما نشأ مدلل مترف كل طلباته مجابة بحكم كونه الولد الوحيد بعد فتاتين تكبرانه !
غمغم بغيظ :
- أين هي تلك الغبية ؟ لما تأخرت لهذا الحد ! لقد ترك لها المدخل الخلفي مفتوح منذ اتصل و طلب حضورها حتى لا يراها العم إدريس المرابض أمام البوابة الرئيسية و يخبر والديه ..
وصله صوت نقرة خاصة على باب المطبخ فاتجه إليه لتدلف بمجرد فتحه ثم تغلقه مباشرة

و قد بدا عليها الشحوب و الارتباك فرفع حاجبيه سائلا بسخرية :

- ماذا بك ؟ إنها ليست المرة الأولى التي تزورين فيها منزلي !

رفعت رانيا عيونها بدلال سمج قائلة :

- اجل لكني أخاف أن يراني احدهم ، ماذا لو علموا أن الطالبة تزور منزل أستاذها الوسيم الذي يقطنه بمفرده !!

قادها إلى الردهة ثم جلس دون مبالاة بقولها مشيرا لها لتحذو حذوه قائلا :

- أريدك في أمر هام ..

نظرت إليه باهتمام فتابع بسرد كل ما لديه ببساطة .....

عندما انتهى قفزت من مكانها هاتفة بفزع :

- لا لا ، أنا لا استطيع فعل ذلك ، لقد منحتك رقم هاتفها و سربت الشائعات عنكما لكن ما تطلبه كثير ماجد ، لقد تماديت هذه المره ..

هدر بها غاضبا :

- رانيا ، لا تتجاوزي حدك حتى لا تري ما لن يسرك ..

عادت لمقعدها صاغرة فهدأت حدة صوته و استخدم أسلوب المهادنة الذي يجيده :

- ماذا لو أخبرتك أن نجاحك مضمون هذا الفصل الدراسي حتى لو لم تؤدي الاختبار من الأساس ؟ بل العام بأكمله ، هل ما زلت ترينه كثيرا ؟!

لمعت عيونها لإغراء العرض و بدأ شيطانها في إثارة أطماعها ، في النهاية هل لا تهتم سوى لمصلحتها ، غمغمت قائلة بضعف :

- لكن ...

قاطعها و قد عرف كيف يستغل تلك الثغرة و ينفذ منها :

- لا يوجد لكن ، ستكونين بأمان بل أنت الرابحة و لن تفعلي سوى ما أخبرتك به في الوقت الذي احدده بعد ما يذهب ذلك الرجل في الخارج للقيام بأجازته ..

عندما استمر صمتها استخدم الكارت الأكثر فاعليه :

- لا تظنني أسألك روني ، انه أمر عزيزتي و عليك تنفيذه و إلا .....

اتسعت عيونها هاتفة بذعر جلي :

- هل تهددني ماجد ؟! بعد كل ما فعلته لأجلك !

ابتسم بسخرية و تابع :

- أنت لم تفعلي شيئا مجاني حلوتي ، بل تقبضين

الثمن أولا بأول و هذا يجعلك تحت قبضتي ،
أظن لا داعي للمزيد من الإيضاح ..
ازدردت لعابها قائلة بوجل :
- حسنا لقد ربحت ..
رفع ذقنها بسبابته و إبهامه قائلا بابتسامة بغيضة :
- و دائما افعل لا تظني عكس ذلك أبدا ، الآن عليك الاختفاء من الكلية ليومين أو يزيد ، لن تذهبي حتى اتصل بك و أخبرك الخطوة التالية ..
أومأت باستسلام بينما تردد بجشع :
- لكنك ستفي بوعدك و سأحتفل باجتيازي العام بفصليه منذ الآن ..
أومأ برضا بينما تحتل عينيه نظرة أشبه بثعلب نجح بفتح قن الدجاج ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

زرعت جيّدا الأرض جيئة و ذهاب مرات لا تحصى ، بدت لها المدة التي قضتها داخل تلك الغرفة الشاسعة المترفة الأثاث أشبه بدهر طويل في حين لم تتعدى بضع ساعات بالتوقيت المتعارف عليه ..
جالت عيونها على المكتب الخشبي الضخم بزخارفه الفنية التي تحمل فخامة و أصالة الفن العربي الذي تقدره عيونها المحترفة ، يقبع خلفه مقعد جلدي مهيب دو مسندين و حجم ملكي ، أسفل قديمها سجادة فارسية سميكة احتلت قطاع كبير من أرضية الغرفة المصقولة أما الجهة الأخرى فيقبع بها طقم من الأرائك الوثيرة مزيج من اللونين العاجي و البني تتوسطهم طاولة زجاجية مستطيلة تحمل مزهرية كرستالية ..
الجدار المجاور تحتله لوحة لفتت انتباهها و لو كانت في ظروف أخرى لأخذت وقتها بدراسة عناصرها المتقنة ، أما الآخر المقابل فيمثل نافذة كبيرة من الزجاج العاكس بشكل كامل ، تؤمن إضاءة طبيعية مريحة للمكان مع الخصوصية التامة ..
تبدو غرفة لرجل مهم لكن من و لما هي هنا ؟ عقلها لا يهدأ عن طرح الأسئلة ، أي مكان هذا ؟ إنها حتى لا تعرف الطريق الذي أوصلها إليه !
بدا الهدوء المحيط مريبا و تحيطه هالة مبهمة من الغموض لابد أن تلك الجدران عازلة للصوت استدارت مجفلة تواجه الباب الذي ولج منه رجل وقور خط الشيب فوديه بأناقة فبادرت هاتفة

و صوتها تحكمه رجفة تشتت و ارتباك ناهيك عن الرهبة :

- لما أنا محتجزة هنا ؟ و من تكون ؟ أين ذلك الرجل الأزرق العينين ؟ لقد تركني دون كلمة رغم انه وعد بإجابة أسئلتي !

تقدم السيد ارسلان رئيس الجهاز و صاحب أعلى رتبة به ليجلس أمام مكتبه بأريحية قائلا بنبرة صوت أبوية و لغة انجليزية سليمة :

- أنت لست محتجزة يا ابنتي ، اجلسي رجاء و استرخي فالغرض من وجودك هنا حمايتك و ضمان سلامتك ، لذا حرصت على التعامل معك بنفسي تقديرا لوضعك و كل ما مررت به ، خطوة ذهابك للإدلاء بالإفادة هي قمة الشجاعة

احتلت المقعد المقابل له بآلية و غمغمت بدهشة :

- حمايتي !!

أومأ بتأكيد :

- اجل ، لقد ذكرت الشجاعة لكن ترتب عليها وضعك في دائرة الخطر ..

شحب وجهها و غارت منه الدماء فتابع شارحا :

- ما رأيته لم يكن مجرد جريمة قتل بل تصفية لأحد عملاء منظمة متعددة الأنشطة ، هذا ما نعرفه نحن بالطبع بينما أمام الآخرين هو رجل دبلوماسي شريف تم اغتياله بخسة ..

بالكاد وجدت صوتها مرددة بغصة :

- و من انتم ؟!

ابتسم بحنو قائلا ببساطة :

- يكفي أن تعرفي انك الآن تحت حماية جهاز امني شديد الحساسية و التطور ، نتعامل مع القضايا الكبرى التي تخص امن الوطن ، كما علمنا عن وجودك الطرف الآخر فعل و ذلك معناه صدور أمر بالتخلص منك فهم لا يتركون خلفهم أدلة ..

تمتمت بادراك خالطه الرعب :

- ذلك الهرج عند المخفر كان محاولة لقتلي .. !

تابع تفسيره بصبر :

- بالعكس كان محاولة تمويه عنك ، لقد تولى الأمر أكفأ فريق لدينا و ها أنت هنا قبل أن يصلوا إليكِ فاطمئني ..

هبت من مكانها بذعر :

- اطمئن !! هناك من يسعى للتخلص مني الآن أم لعلي لم افهم ما أخبرتني به للتو !

أشار إليها لتعاود الجلوس قائلا بنبرة صوته الرخيمة :

- بل صحيح لكنك أصبحت تحت حمايتنا و هذا يبدل كل شيء ، يجب أن تعرفي يا آنسة انك صرتِ خيط مهم في القضية و قد تم تغطية آثارك كلها ، انه عملنا و رجالنا تجيده ..
لديهم معلومة عن وجود شاهدة رسمت تخطيط لمسرح الجريمة ، مجرد سائحة عربية هذا ما توصلوا إليه عبر جواسيسهم قبل إحباطنا لعملية اختطافك ، حاليا لا يوجد ما يشير لوجودك بالفندق حتى غرفتك باتت تشغلها غيرك في الواقع و السجلات بتاريخ قديم ..
باختصار سوف نخفي هويتك لان لقبك تم تداوله داخل المخفر و نستفيد من عدم اطلاعهم على ملامحك حتى نعيدك إلى وطنك سالمة ..
شعرت انه يشبه والدها بعيونه التي تحمل لها الأمان فأومأت باستسلام :
- حسنا ، لكن أغراضي و رفاقي في الرحلة ..
قاطعها قائلا بادراك :
- كلها موجودة بانتظارك أما عن أفراد الفوج فتم نقل حجوزاتهم إلى فندقين بعيدين عن بعضهما بشكل غير لافت للانتباه ، تم تقسيمهم بينهما حيث لا يكون غيابك ملحوظ ، و لدينا تغطية مناسبة عند اللزوم ، أخبرتك أن لا تقلقي أبدا ..
دعينا نعود للقضية ، لقد قرأت إفاداتك كلها قبل قدومي لرؤيتك ، ذكرت انك تعجزين عن تذكر ملامحهم بينما تعرفت على شخصية القتيل فهل كان ذلك مجرد تخمين ؟
ركزت أفكارها لتدرك صحة قوله فقالت بحيرة
- بل تعرفت عليه هو نفسه ، عندما رأيت صورته على الشاشة تذكرت ملامحه على الفور ..
شبك كفيه أمام وجهه درسا كل كلمة قبل أن يردد بهدوء :
- جيّدا هل تمانعين الخضوع لبعض الفحوصات؟
قطبت حاجبيها بحيرة :
- فحوصات من أي نوع ..!
منحها ابتسامة مطمئنة :
- لا تخشي شيئا ، مجرد حديث مع بعض الخبراء لنتأكد من فرضية سأخبرك عنها فيما بعد ..
أومأت بالقبول بينما ذهنها في قمة التشوش لكل ما تمر به دون أن يخطر لها على بال :
- حسنا ..

❖❖❖

يومان طويلان مرا على الفتاة تنتقل من خبير لآخر ، خضعت لأشعة و فحوصات لا تعلم عنها ، شاهدت عدد لا نهائي من الصور لأشخاص بكافة المجالات و تفاقم ضيقها من الأحاديث التي لا تفهمها بسبب حاجز جهلها باللغة ..

علمت مدى أهمية تعلم اللغات و استنكرت قول البعض حول تجنب لغات و ثقافات الأعداء ، ذلك أشبه بالانغلاق على الذات و دفن الرأس بالرمال!

صدق رسول الله صلى الله عليه و سلم عندما كان يرسل بعثات من صحابته لمشارق الأرض ومغاربها للتعليم و التعلم ، اللغات ، الثقافات ، العادات ، و كل ما يتعلق بتلك الأماكن دون حدود أو حواجز ..

ما خفف عنها ثقل وطأة ذلك الوقت هو تعرفها على تلك الفتاة اللطيفة رُقية ، كم كانت بحاجة لرفقها التي عوضتها عن وحشة تواجدها بمفردها وسط دوامة ما يحدث ..

أخرجها صوت السيد ارسلان من أفكارها و أعادها للواقع قائلا :

- لقد اتفقت تقارير المختصين حول أمر واحد جيّدا ، هناك ستار يحجب ذاكرتك بسبب الصدمة التي تعرضت لها عند رؤيتك للحادث ، فالأمر لم يكن هينا على أعصابك ..

المعلومات لازالت موجودة لكن عقلك اختار تنحيتها في ركن مظلم حتى تستثار فتخرج مباشرة كما حدث عند رؤيتك صورة القتيل في حين فشل التنويم المغناطيسي في استحضارها ..

أومأت توافقه قائلة :

- اجل لم استطع تذكر ملامح الشخصين رغم كل الاختبارات التي خضعت لها طيلة يومين ..

رد الرجل بتفهم :

- المعذرة بنيتي ، اعلم إننا زدنا الوطأة عليك و أرهقناك في الساعات الأخيرة ، لكن الأمر غاية في الأهمية و أنت الخيط الوحيد المتوفر لاستكمال الحلقة المفقودة ، لقد أكد الخبراء على أن ذاكرتك ستنشط من تلقاء نفسها بمجرد رؤيتهم ، هل تعلمين معنى ذلك ؟

حركت رأسها نافية بحيرة بينما تابع هو شرحه كأن ما يخبرها به عادي و تراه كل يوم

- بمنتهى البساطة أنت مضطرة للبقاء معنا لبعض الوقت ..

قطبت حاجبيها متسائلة :

- تقصد امدد فترة إقامتي هنا بتركيا ؟
هذا مستحيل ماذا عن عائلتي ! إنهم لم يعرفوا شيئا حتى الآن ..
ردد بثبات حازم :
- و لن يعرفوا ، لهذا لم نجعلك تتواصلي معهم حتى الآن ، لقد دبرنا أمر بقائك هنا بشكل مقنع أمامهم ..
قاطعته بعيون متسعة :
- هذا لن ينفع سيدي ، أنت لا تعرف بابا ..
ابتسم قائلا بنبرة أبوية :
- ماذا بك يا فتاة ؟ نحن لسنا هواه نمزح ، أين الثقة ؟!
لقد صدر صباح اليوم وثيقة رسمية من وزارة الثقافة التركية بضمك لفريق العمل المكلف بالإشراف على دورة الفنون التشكيلية المتعددة الجنسيات بوصفك ممثلة عن دولتك مع تأمين كافة سبل الراحة و الأمان و بالطبع العذر المقنع لاختيارك لهذا الدور
ستخبرينه بنفسك عن الفرصة التي أتيحت لك و ستصله نسخة عن التكليف الموثق و إذا أراد الاطمئنان أكثر سيحدثه مسئول من الوزارة ..

فغرت فاها قائلة بذهول :
- و هل هذا صحيح ؟
أشار برأسه قائلا :
- رسميا اجل ، هذه الدورة حقيقية و تنطلق فاعليتها كل عام و تضم الفنانين من مختلف الدول ، لكن بالنسبة لك لن يتم ذلك في الواقع فأنت لن تستخدمي هويتك الحقيقية داخل الأراضي التركية مطلقا و هذا ينقلنا للأمر الأكثر أهمية و الذي يتطلب تعاونك معنا ..
عاد عقلها يدور مفكرة ، لا يعقل ان تظل جاهلة أقصى ما تستطيعه هو رد السلام أو الإجابة إذا ما سألها احدهم عن صحتها ، اتخذت قرارها فهي تتحدث الانجليزية بطلاقة و بعض الفرنسية ، الآن بما إنها عالقة هنا لفترة لا تعلم مداها يجب على الأقل أن تفهم اللغة لتعرف ما يدورن حولها ..
- جيّدا أنا انظر ردك ..!
انتفضت على سؤال الرجل المهيب أمامها قائلة بعفوية :
- اجل سيدي ، بالطبع سأتعاون بكل ما استطيع ، سأتعلم اللغة التركية ..

لم يتمالك الرئيس نفسه من الضحك و أمامه تلك البراءة المتجسدة داخل عيونها الخلابة و عندما انحسرت الموجة ردد بحنو :

- هذا سيكون رائع بالطبع ، يشرفنا أن تتعلمي لغتنا آنستي لكن ليس هذا ما قصدته ، عليك الإقدام على شيء أكبر قليلا ...

بادلها النظر لوهلة قبل أن يتابع بثبات

- باختصار ، لقد تقرر زواجك ، سوف تتزوجين من رجل تركي لتحملي كنيته ..

نهاية الفصل

دمعات القمر

القطرة الثامنة

حركت رأسها بكلا الاتجاهين آملة أن تكون قد أخطأت فهم عبارته قائلة بتوجس :
- أنت تمزح صحيح ؟
أجابتها نظرة عيونه التي لا تعرف التواني قبل أن يؤكد قوله ببساطة :
- بل جاد كليا ..
هبت عن مقعدها تقاطعه و قد عكست كل خلية من جسدها ثورتها الآخذة بالتصاعد هاتفة :
- هذا مستحيل قطعا و لن يستطيع احد إرغامي ، سوف الجأ للسفارة حتى تعيدني إلى وطني في الحال ..
أشار لها بهدوء و تابع حديثه بثقة :
- اجلسي جيّدا و اهدئي ، لا يوجد أي إرغام بالعكس هذا لصالحك ، انه مجرد إجراء وقائي ، زواج شكلي لن تكتمل أركانه بالطبع ..
لم تخف حدة نبراتها عندما رددت :
- لكن لماذا ؟! بأي شيء يفيد ذلك طالما ذكرت إنني تحت حمايتكم من الأساس !! ماذا عن عائلتي ؟ هذا مستحيل لا استطيع فعل ذلك بهم
تابع تفسيره بابتسامة حانية قائلا :
- أولا الأمر سيظل محصورا هنا حتى ينتهي بنهاية المهمة كأن لم يكن ، لذا عائلتك لن تعرف عنه أي شيء ، اعتبري نفسك في وظيفة بدوام كامل ..
ثانيا هناك العديد من الفوائد بغاية الوضوح لو فكرت دون انفعال سترينها ، المشكلة لم تعد عائلتك أو رفاقك بالفوج السياحي فقد تم تغطية غيابك أمامهم بشكل طبيعي لن يثير الشكوك بعد خبر التحاقك بتلك الدورة و صار انتقالك من الفندق حتمي ، لكن رجال المنظمة باتوا يعرفون أن اسمك المدون في الأوراق الرسمية ما هو إلا سراب خادع لذا لن يكترثون به لأنهم ليسوا أغبياء و يعلمون انه لن يقودهم لشيء ، اللعب الآن بأوراق مكشوفة جيّدا المهم من يكن له السبق ، حمايتك مفروغ منها لكن هذا ليس كل شيء ، من المفترض أن تنخرطي داخل المجتمع بشكل طبيعي و لكي تفعلي ذلك يجب أن يكون لديك هوية و صفة جديدة تبعد عنك الشبهات و تكفل لك حرية التنقل ، الزواج سيمنحك ذلك و يشكل غطاء جيد لإخفاء شخصيتك الحقيقية ، ناهيك أن أمنك الشخصي سيكون مسئولية ذلك الضابط الذي سيرافقك بصفة زوج

(تابع بنبرة ماكرة يعرف تأثيرها عليها) أم لعلك توافقين على مشاركته المنزل دون رباط رسمي !!

نفت قوله هاتفة دون تفكير :

- بالطبع لا ، لكن لما عليّ العيش معه من الأصل ؟!!

أجابها بتلقائية :

- لأنه حارسك الشخصي عزيزتي و واجبه البقاء بقربك حتى تنقشع الغمامة عن ذهنك دون لفت للأنظار ، بالإضافة لأنه سيسهل ظهورك في العديد من المناسبات دون تحفظ أو تساؤل حول حقيقة تواجدك و ذلك ضروري و إلا كيف سنتوصل للرجل الذي نريده ، الأمل الآن معقود على مصادفتك له و التعرف عليه و هذا هو الغرض من خوضك لكل ذلك فنحن لا نريد منك الاختباء بل العكس تماما ..

سحبت نفس مرتبك قبل أن تصحح له قائلة :

- إنهم رجلين ..

أومأ بادراك :

- اجل مخططك واضح يظهر القاتل و هناك المراقب الذي استولى على الأدلة و المستندات و هذا ما نرغب في كشف هويته بالمقام الأول أما الآخر فهو احد القتلة المحترفين و اغلب الظن انه غادر بعد انتهاء المهمة ، لدينا تصور عنه فهو معتاد على ترك علامته على مسرح الجريمة ، نوع من البارانويا أو ما يطلق عليه جنون العظمة

رفعت حاجبيها قائلة :

- لما لم تلقوا القبض عليه و تقوموا باستجوابه إذن ؟! أليس ذلك أفضل من انتظار ذاكرتي التي قررت حجب المعلومات !!

ابتسم بخفة قبل ان يردد :

- لأننا ببساطة لا نعرفه عزيزتي ، المعلومات المتوافرة عنه لا تكفي للتوصل لشخصيته ، مجرد اسم لشبح لم يره احد فهو يجيد التخفي بقدر مهارته في أداء عمله لذا لم نعول على رؤيتك له الكثير لأنه يظهر بصوره مختلفة بكل مهمة يقوم بها ..

اتسعت عيونها قائلة بفزع مبرر :

- قتل الآخرين !

أشار آسفا :

- اجل و هو خطر جدا و أنت رأيته ، هل فهمت معنى ذلك الآن ؟ أمثاله لا يجازفون بترك أدنى اثر خلفهم جيّدا ..

ارتجف قلبها لقوله وشعرت برائحة اخطر تحاصرها فازدردت لعابها رغم الغصة التي استحكمت حلقها هامسة :

- ماذا عليّ أن افعل إذا ما صادفت أيهما ؟

لمعت عيونه ببريق صارم مرددا بثبات :

- تتحكمين في ردة فعلك حتى لا يظهر عليك أي لمحة تأثر ثم تخبرين زوجك في الحال بشكل لا يلفت الأنظار و هو يعرف ما عليه القيام به ..

غمغمت بتشتت يجتاحها :

- زوجي !!

أومأ برضا لتقبلها الأمر مبدئيا :

- الضابط المكلف بحراستك ، و أمام القانون سيكون الرجل الذي تحملين كنيته ..

استنشقت الهواء بنهم لتبعد الدوار الذي يهدد بابتلاعها هربا من كل ما يحدث :

- اممم هل هو نفس الرجل صاحب النظرات المشعة الغريبة ؟

ابتسم لتشبيهها عيون شاهين الزرقاء اللافتة بالفعل قائلا :

- كلا ، بل الآخر الذي امّن خروجك من المخفر

ردت بإصرار :

- انه هو من أخرجني ..!

أشار بكفه قائلا بتفكه :

- و ماذا عن الذي افتعل الهجوم و الشغب في الخارج لإبعاد الأنظار عنكما !!

تدلى فكها بشكل مضحك قبل أن تهتف بعدم تصديق :

- أتقصد أن الحرب التي اندلعت خارج المكان يومها أشعلها رجل واحد ! (جحظت عيونها بهلع متابعة) يا الهي و يفترض بي التعامل معه مباشرة دون وسيط ..!

لم يتمالك السيد ارسلان نفسه من الضحك مرددا بتأكيد مستمتع بتعبير وجهها الذاهل :

- اجل و مهمته القادمة هي تأمينك بصفة زوجك المستقبلي ، انه مراد اوزاوغلو ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

رفعت سُلاف رأسها عن لوحة الرسم المثبتة فوق الحامل الماثل أمامها و تناولت الهاتف الذي يومض بصورة أماني هاتفة بترحاب :

- مرحبا مانو ، لما تذكرتي سُلافك المسكينة الآن ؟

وصلها الصوت الرقيق يهمس قائلا :

- كفي عن الضجيج يا فتاة ، أريدك عندي في الحال ..

قلبت شفتيها قائلة باستياء :

- للأسف هذا غير ممكن فانا عالقة هنا ، عليّ انجاز فروضي و إلا عاقبني الأستاذ ، و قبل أن يذهب عقلك بعيدا انه المستبد عمر ..

صدحت ضحكات أماني قائلة باستمتاع :

- يا له من انجاز ، لقد تمكن من تحقيق المعجزة ، افعل أي شيء و أراك الآن ..

هتفت الأخرى بحنق :

- ها ها ، حسنا اضحكي سأردها لك في القريب العاجل ..

تابعت أماني بنفس النبرة الرقيقة :

- فيفي يا حلوتي ، خذي استراحة من الدراسة و تعالي لنخرج قليلا فقط ..

عادت تردد بحنق كوميدي :

- أخبرتك لا استطيع فعمر على وشك الوصول و لم انهي رسم اللوحة التي كلفني بها و أنت تعرفين لسانه ..

هتفت بنفاذ صبر يائس :

- لكني عاجزة عن الخروج و لن أتمكن من ذلك بدونك ، كيف التقي ادهم الآن !! كنا سنتفق على موعد لقائه مع والدي الذي يفرض حصاره حولي كالمعتاد ، فماذا افعل ؟ لقد اعتمدت عليكِ لإخراجي من المنزل !

ردت سُلاف بقهر :

- أتمنى لو استطيع المساعدة لكني غير مستعدة لفقد رأسي الغالي حسب آخر تهديدات السيد عمر ، استعيني بالخالة أحلام هذه المرة ، هي تعرف كيف تتغلب عليه ..

فكرت لوهلة قبل أن تنفرج أساريرها قائلة :

- حسنا سأحاول فهي تدعم ادهم منذ قابلته و أعجبها شكلا و مضمونا ، اخبريني قبل أن اذهب الم تتصل جيجي ؟

أجابت قائلة ببساطة :

- يبدو أن العاصفة الثلجية لم تنتهي بعد ، آخر رسالة منها تقول أن الطقس قاسي هناك و شبكات الاتصال تتأثر لكنها بخير و ترسل تحياتها ..

- بإذن الله دائما بخير ، سأحاول الاتصال بها و أجرب حظي ، عودي أنت لفروضك قبل أن يصل الأستاذ ..

تعالت ضحكات سُلاف المرحة قائلة :

- دعواتك حتى لا أتهور و اقتله إذا رفع حاجبه كالمعتاد بينما يخرج الأخطاء السبعة من لوحتي الجميلة ، عموما سأنتظر اتصالك لاحقا لأعرف آخر التطورات و أخبرك إذا كنت سأدخل السجن بتهمة اغتياله هذه المرة أم القادمة ..

بادلتها ضحكاتها الشقية قائلة :

- حسـنا اتفقنا ، إلى اللقاء أيتها الطالبة المجدة ، رفقا بأستاذك يا فتاة ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

قفز عن مقعده و كل خلية بجسده تنتفض غضبا و عدم تصديق ، عقله يدور دون توقف يقذف الحمم لكنه لا يستطيع التعبير عنها أمام رئيسه الذي يكن له كل احترام و تقدير وهذا يؤجج ثورته أكثر و يدفع اللهيب داخل أوردته الرافضة ..

استحضر أقصى قدراته على ضبط النفس منحيا مشاعره السلبية بقوة فولاذية قائلا بنبرة صوت صارمة :

- افترض انك لا تسألني رأيي الآن سيدي !

ردد السيد ارسلان بوقار :

- بالضبط مراد ، إنها مهمة رسمية أكلفك بها ..

شد قامته قائلا بمهنية :

- أمرك سيدي ..

حدجه الرجل بنظرة إدراك قبل أن يتابع بروية :

- ألا يوجد لديك أسئلة ؟!

أجاب بنفس الجمود :

- بلى سيدي ..

افتر ثغره عن ابتسامة أبدلت ملامح وجهه قائلا:

- انس إنني رئيسك و تحدث بحرية مراد ..

استرخت أعصابه نوعا ما قائلا :

- حسنا لما أنا و ليس شاهين مثلا ؟! مع العلم إنني مرتبط و على وشك إعلان خطبتي بينما هو لا توجد فتاة بحياته !

منحه نظرة شاملة ثم أجابه ببساطة :

- لكنك لم تفعل بعد و هذا يعد مؤشر جيد لأنك الأنسب من عدة نواحي أهمها نصفك العربي و إجادتك للغة ، ذلك سيخلق جو من التفاهم و الألفة بينكما و يسهل التعامل ، الفتاة بحاجة لتشعر بالطمأنينة و الاحتواء فهي خارج وطنها بعيدا عن عائلتها و تشعر بالوحدة ناهيك عن خوفها مما يحدث ، واحدة مكانها كانت انهارت ..

زفر مراد و دوامات عقله تتخبط بكل اتجاه :

- هل تم إعلامها ؟

أومأ بالإيجاب قائلا :

- اجل و أصبحت تعرف عنك ، لقد اصطحبتها رُقيه لأحد المقرات الآمنة و ستظل معها حتى يتم الزواج و تنتقل لمنزلك ، أريد انخراطها في المجتمع بأسرع وقت مراد ، افعل اللازم لنشر الأمر بشكل طبيعي ..

احتل الحزم و الإصرار عينيه قائلا :

- حسنا ، سأباشر إعداد الأوراق و كافة

الإجراءات لكن ... بالنسبة لعائلتي سأختار الوقت المناسب لإخبارهم عندما أسيطر على الوضع أكثر ..

أشار بكفه قائلا :

- طالما لن يؤثر ذلك بالسلب على المهمة الخيار لك ..

شد قامته قائلا بمهنية :

- بالطبع سيدي ، هل تم الاتصال بعائلة الفتاة ؟

اسند كفيه على سطح المكتب قائلا بتفهم :

- الفتاة تدعى جيّدا تعود على ذلك مراد ، لقد سجّلت إفادتها بلقبها و ليس اسمها الأول لذا لن نضطر لتبديله و بعد صدور الوثائق ستكون لها شخصية جديدة أما عن سؤالك ستتصل بهم اليوم حسب الخطة ، ألا تود رؤيتها ؟

رفع حاجبيه قائلا باستخفاف :

- و هل ذلك يهم ! الأمر سيان لدي ، سأراها عندما استلم المهمة ..

نظر إليه من فوق إطار نظاراته عالما بما يدوي داخله :

- تستطيع الانصراف أيها الضابط و أرسل إليّ صالح ..

تراجع بعزم مدمدما بصلابة :

- بالإذن سيدي ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

- لما تصطحبين ابنتي معك و لديك زوجك ! سحبت أحلام نفسا عميقا حتى تحافظ على هدوئها لأجل أماني قائلة :

- لان عندي موعد مع الطبيب و احتاجها معي ، هل يجب أن تقيم تحقيق كلما غادرت الفتاة المنزل ! ما رأيك لو تضعها داخل قفص مبطن بالمخمل المرة القادمة ؟

تقدمت أماني إلى غرفة المكتب و قد شعرت بإنذار هبوب العاصفة التي من شأنها أن تحبط أملها في لقاء ادهم لو غضب والدها فقالت باسمة :

- مرحبا ، خالتي أنا جاهزة للذهاب ، أوه لا تقولوا إنني أقاطع الشجار اليومي المعتاد !

ردت الخالة بحنان :

- كلا حبيبتي ، لقد أخبرت والدك للتو انك ستقلينني لموعدي و كان يتمنى لي الشفاء ..

رفعت أماني حاجبيها بينما المرأة تبادله النظر بتحدي سافر ، تنفست الصعداء مدركة أن خالتها الحبيبة فازت بالجولة فتمتمت بحمد الله

ممتنة لوجودها في حياتها التي كانت ستتحول لسجن مترف دونها و الفتيات ، إنها تحب والدها لكن تملكه الذي يزداد كلما كبرت أصبح يمثل قيدا حول عنقها و لم تعد تحتمل أكثر ، لا تعلم هل ذلك بسبب عودة ادهم أم وصولها لدرجة الاكتفاء من الأسر كسجين طال اشتياقه للحرية !

آه يا أبي أرجوك كف عن دفعي بعيدا ، أخشى أن أصل لمرحلة قد تؤذي كلينا معا ..

لم يملك الرجل سوى الشعور بالحنق ، كان يرغب بقضاء الوقت مع ابنته بمفردهما لكن تلك المزعجة تفسد مخططاته ..

تأمل أميرته بعيون ناقدة لكنه لم يجد ما يعترض عليه ، كانت ترتدي طقم في غاية الاحتشام مع وشاح مطبع بفراشات دقيقة بدت تشارك صاحبته رقتها و هشاشتها ..

كلما أبصرها بتلك الطلة العذبة تذكر حبيبته الراحلة ، عندها يود لو يخفيها بعيدا خشية العيون المتربصة لخطفها منه ، إنها روحه فلما يرغبون بسلبه إياها ! ألا يكفي مره ، لن يقوى على تكرار خسارتها مرتين ..

زفر بشدة مانحا أحلام نظرة نارية بينما يردد بحدة :

- لا تتأخري بنيتي سأعمل اليوم من المنزل لذا أريدك أمامي بعد ساعة واحده ، هل تفهمي ؟

أومأت برأسها قائلة :

- حسنا بابا ، سأحاول جهدي عدم التأخير .. و سارعت بالمغادرة آملة بتحسن الأوضاع قريبا و أن يستجيب الله لدعواتها ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

- ماذا تقول رضوان ؟ كيف يعقل أن تظل ابنتي هناك وقتا إضافي ؟ لما وافقت على ذلك ؟

قالتها زهرة بقلب وجل بينما وقفت في مواجهة زوجها تعقيبا على اتصال جيّدا الأخير بعد إرسالها وثيقة وزارة الثقافة التركية فرد الرجل بهدوء :

- زهرة ، لقد حدثتها معي و سمعتي ما قالته فلما تلوميني الآن !

جلست إلى جواره قائلة :

- لأني افتقدها و لا أتصور غيابها لمدة أطول ..

أحاط كتفيها بذراعه قائلا :

- العقد يفيد بأنها ستكون جزء من دورة الفنون ،

أي أنها لفترة محدودة حبيبتي ، كما إننا نستطيع السفر إليها و الاطمئنان في أي وقت نشاء ..

رفعت عيونها إليه مرددة برجاء :

- هذا يعني انك مطمئن كليا ؟

ابتسم بحنو و تابع :

- بالطبع أنا أثق في ابنتي ، كما أني حدثت السفارة أمامك و تأكدنا من وجود اسمها ضمن فريق العمل المذكور ، أي إنها في أمان و تفعل شيء تحبه و تصقل خبراتها الفنية بالإضافة لأني سأحول لحسابها مزيدا من المال تحسبا لأي طارئ ، ماذا تريدين أكثر !

سحبت نفس عميق و فكرت لوهلة قبل أن تقول :

- أتعلم ربما هذا الترتيب القدري يحمل لنا الخير

قطب حاجبيه قائلا باستفسار :

- ماذا تقصدين تحديدا ؟

تراقصت ابتسامة جذلة على شفتيها :

- بالطبع عمر و فيفي ، الم تلاحظ صحة فرضيتي التي أخبرتك بها من قبل ، قريبا جدا سأطمئن كليا من جهتهم بعدها أتفرغ لحبيبتي جيجي هي الأخرى ، تعلّم أن لا تعارضني يا سيد

رفع الرجل كفيه باستسلام معترفا بنفاذ بصيرة زوجته و سعيدا بها في الوقت نفسه طالما عمر سيكون زوجا لإحدى أميرتيه ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

صدحت ضحكات نازلي المستمتعة بجلستها مع صديقتها بعد نهاية العرض الذي اشتركتا فيه بنجاح قائلة بغنجها المعتاد :

- ألم تري نظرات الإعجاب تهطل حولي كالمطر ، إنهم يحضرون لأجلي أنا عزيزتي و ليس بضعة أثواب بائسة ، ذلك المصمم عليه أن يشكر حظه لأني وافقت على عرض مجموعته ..

زمت الأخرى حاجبيها قائلة بخبث :

- ترى كيف سيكون رأي صديقك الغامض على قولك ؟ لا اعتقد انه سيتقبله بسرور ..

مسدت نازلي خصلات شعرها المصففة بإتقان قائلة :

- أوه لا تذكريني ، فهو متملك لأقصى حد و يغار بجنون ، لن تصدقي لقد طلب مني اعتزال العمل ..

اعتدلت الأخرى بمقعدها مرددة بدهشة :

- لكنكما لم ...

حثتها نازلي بقولها :

- إننا ماذا ؟ أكملي ..

تلعثمت بينما تردد بارتباك لتدخلها الغير مستساغ :

- اعني انك لم تنتقلي للإقامة معه حتى الآن رغم طول فترة تعارفكما ..

زفرت الأخرى قائلة بحنق :

- مشكلته انه قديم الطراز لا يحبذ العلاقات قبل الزواج تصوري ! لكنه يعد ملاك مقارنة بوالديه المتزمتين ..

ضحكت صديقتها بميوعة قبل أن تردف بقولها الوقح :

- أوه و هل يتوقع الزواج من عذراء خجولة !!

شاركتها نازلي السخرية قائلة :

- بل يريد الزواج مني أنا عزيزتي و لا احد غيري ، مراد لي وحدي و أظن الوقت قد حان لإعلان ارتباطنا الرسمي ..

صدح صوت هاتفها لتملأ صورة المعني بالحديث محيط شاشته فلمعت عيونها بظفر بينما سكن الحسد عيون الأخرى لكنها لم تلاحظ ذلك لانشغالها بتلقي الاتصال الذي وافق خططها عندما طلب لقاءها بإلحاح رافضا تأجيله ..

وضعته من يدها قائلة بمزيج من الثقة و الغرور

- أرأيت انه لا يقوى على الابتعاد عني ، أخبرتك أن كل الخيوط بيدي ، لا بد انه سيمنحني خاتمه الليلة فهو لا يستطيع الانتظار أكثر ، يجب أن أغادر على الفور لأنهي استعدادي قبل وصوله ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

اسند عمر ظهره إلى المعقد ناظرا لخالته و قد أخبرته للتو عن آخر التطورات حول سفر جيّدا الذي تبدل لما هو أعمق من مجرد رحلة سياحية !

قطب حاجبيه قائلا :

- هل تقصدي إنها ستعمل و تستقر هناك ؟

سارعت المرأة بالنفي قائلة :

- بالطبع لا ، بمجرد انتهاء تلك الدورة أو المعرض لا ادري ستعود ، رضوان يرى إنها فرصة لاكتساب المزيد من الخبرات لتعزيز موهبتها ..

أومأ قائلا بتفهم :
- اجل هو محق ، اطلاعها على ثقافات مختلفة و اندماجها فيها بشكل اقرب سوف يصقل فنها ، من يدري ربما شهدنا معرضها الخاص هناك (قطع حديثه و تطلع حوله ثم تابع) أين سُلاف؟ ليست هنا ؟!
تعالت ضحكات السيدة مرددة من بينها بجذل :
- فيفي موجودة بالتأكيد ، استعد للمفاجأة .. إنها تدرس في غرفتها منذ فترة ، أنا نفسي لم اصدق حتى رأيتها بنفسي ، كما أنها ذهبت إلى الجامعة هذا الصباح دون تذمر ! ماذا فعلت لها يا ولد ؟
شاركها ضحكاتها قائلا بمزاح :
- ذكرتها بكونها ستبقى في الكلية التي تكرهها فترة أطول إذا لم تبذل جهدها لتجتاز العامين المتبقين لها و قد أتى ذلك ثماره ..
حركت رأسها قائلة بإعجاب :
- لقد أحسنت ، و غياب جيجي أيضا ساعد فهي كانت تعتمد عليها كليا (نهضت متابعة قولها) سأستدعيها و عندما تنتهي اخبرني لاستعد ، سوف تقلني لأختي لان رضوان في الخارج ..

أومأ لها بسعادة و راقب خطواتها المبتعدة بينما عقله يحلل موقفه الأخير بغرابة ، كيف تقبل خبر غياب جيّدا بهذا الهدوء و الاريحيه !! لو كان سمعه قبل فترة لاستقل أول طائرة ذاهبا إليها ، صحيح انتابه بعض القلق عليها لكن ليس بالشكل الذي توقعه ، قلق ذاب بمجرد معرفته عن متابعة العم رضوان للأمر ..

ما الذي يحدث داخلك عمر ؟! أنا نفسي لم اعد أفهمك ! هل يمكن أن تتبدل المشاعر بهذه السرعة ؟ أم أنها لم تتواجد من الأساس ؟

نفض رأسه باعدا تلك الأفكار المشتتة تجاوبا مع صوت القفزات الشقية على الدرج الرخامي التي تقترب و قد استحوذت على كامل انتباهه و جعلت قلبه يرد بوثبات مشابهة تجاوبت مع هدير طوفان الدماء الذي تدفق داخل شرايينه بأنغام ملائكية تردد أحرف تمده بسلام روحي ينقصه حرف ليصبح اسمها ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

بحث خالد عن زوجته داخل أرجاء المنزل حتى وجدها تجلس أمام الشرفة من الداخل و تبدو مستغرقة بأحد الأمور ، لم تنتبه لتأمله المطول ممتعا بصره بطلتها الجميلة التي لا يمل التطلع إليها منذ رآها أول مره ، كانت تبدو متألقة نضرة كأنها عادت سنوات للوراء بتلك الخصلات الحرة اللامعة حول كتفيها و قد اختلط بها لوني العسل بالشكولا في مزيج غني ..

اقترب على مهل يعد نفسه لوصلة التذمر القادمة الآن لا محالة ، اجلي صوته قائلا بهدوء :

- سوف أغادر إلي العيادة ندى ..

لكنها خالفت توقعاته عندما رفعت رأسها قائلة ببساطة :

- حسنا حبيبي ، صحبتك السلامة ..

قطب حاجبيه متعجبا مما حدث أمامه للتو ! هل ودعته برقة ثم عادت بانتباهها للحاسوب ؟! ماذا يحدث الآن ؟ وجد نفسه يقترب مستطلعا ما يشغل اهتمامها لهذه الدرجة ..

- ماذا تفعلي ؟!

لقد شعرت به عندما اقترب من جلستها لكنها لم تلتفت إليه حتى وصلها صوته و ردت كما دربت

نفسها آملة أن لا تقتل أماني لاحقا إذا ما فشلت ملاحظاتها التي تطبقها ، لكن يا للعجب خالد لم يغادر مباشرة كما افترضت و ها هو يوليها المزيد من اهتمامه ، أوشكت على الصراخ بصخب ستقبل أماني عندما تراها ، تلك الفتاة عبقرية و شقيقها محظوظ بها ..

حجمت لهفتها و التفتت إليه قائلة بهدوء مدروس :

- أوه الم أخبرك ؟ لقد سجلت في دورة لتعليم الفوتوشوب و ملحقاته ، ثم بعدها سأبدأ ابتكار التصاميم و عندما أتقنها سيسندون إليّ المهام بشكل خاص ..

جلس على مسند مقعدها و تابع باهتمام متزايد :

- تصاميم من أي نوع ؟

أشارت بكفها شارحة :

- متنوعة ، أغلفة كتب ، منشورات ، بطاقات معايدة ، شخصية ، باختصار كل ما يتعلق بالتصوير والخطوط ..

افتر ثغره عن ابتسامة جذلة معجبا بجذوة حماسها المتقدة التي لم يرها منذ زمن ، أومأ باستحسان و مال طابعا قبل بطيئة على زاوية

- استمتعي حبيبتي ، سأذهب الآن لكن لن أتأخر .. غرد قلبها حبا و تأثرا بتلك النبرة التي استخدمها و قالت مسرعة :

- خالد قد اخرج فيما بعد ..

يبدو إنها لن تكف عن إدهاشه هذا اليوم ، سأل بحيرة :

- إلي أين ؟!

ردت مع ابتسامة جذابة :

- للقاء صديقاتي ، أتعلم كنت بحاجة لإعادة علاقتي بهن ، لقد كان خطأ كبير أن انعزل عن حياتي الاجتماعية بعد الزواج و أركز كافة جهودي على المنزل فقط ، أوه كدت أصاب بالجنون من فرط الرتابة و عدم التجديد ..

ومض بريق عينيه قائلا بتقدير :

- هذا صحيح ، كل إنسان بحاجة لمساحة خاصة به ، الرجل والمرأة على حد السواء دون أن يطغى احد الجانبين على الآخر ، الوسطية و الاعتدال مطلوبين في كل شيء لقد تعلمت الدرس بدوري ..

أومأت بسعادة لذلك التفاهم الجديد بينهم قائلة بصدق :

- و أنا أيضا و سأفعل المستحيل لصالح حياتنا ..

أسند جبينه فوق جبهتها المرمرية هامسا بتأثر :

- هل أخبرتك إنني احبك اليوم ؟

ادعت التفكير لوهلة ثم قالت بجدية :

- اممم يبدو أن الإجابة لا ..

رفرف قلبه لتلك النظرة الشقية التي سكنت أحداقها الفضية فنهض و جذبها معه متابعا همسه الخشن :

- ذنب لا يغتفر يضاف للائحتي السوداء ..

ثم ختم حديثه متناولا شفتيها بقبة خاطفة قادتها مباشرة لحدود الهذيان ، بادلته إياها طواعية بينما كفيها يستكينا فوق صدره كعصفورين يألفان عشهما الوحيد ..

أطلق سراحها أخيرا قبل أن ينجرف أكثر إلى الحافة و يتعذر عليه الذهاب لمرضاه المنتظرين ، فجمع زمام سيطرته قائلا بنبرة أذابها دفئها المنساب بين يديه :

- لا بد أن أتحرك الآن ، ماذا عن عاصم و لانا ؟

ارتجفت شفتيها اللتان تحملان أثره بفخر قائلة ببساطة :

- سأصطحبهم معي بالطبع ..

- هل ستقودين السيارة ؟

حركت رأسها نافية :

- لا اطمئن ..

مدت يديها تمسد قميصه برقة بينما يردد :

- اتصلي بي عندما ترغبين بالعودة و سآتي لأقلكم بنفسي ، اتفقنا ؟

أومأت بابتسامة راضية :

- اجل حبيبي ، لا حرمنا الله إياك ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

احتلت نازلي المعقد الذي بسطه لها مراد بكياسة فطرية ثم استدار حول الطاولة التي اختارها في مكان يؤمن لهما الخصوصية للحديث بحرية متخذا مجلسه مقابلها ، لم تغادر الابتسامة شفتيها ذات الطلاء الأحمر اللامع المغري ترقبا للحظة التي يخرج فيها الخاتم الثمين معلنا طلبه الزواج منها ..

كانت تتحرق شوقا و فضولا بينما ذهنها يرسم لها أشكال مختلفة لتصميم و نوعية أحجار حلمها المنتظر ..

أجلى مراد حنجرته قبل أن يردد بثبات :

- لدينا حديث مهم ناز لكن قبلها دعينا نطلب بعض المرطبات ، ماذا تفضلين ؟

أشارت بكفها أن الأمر سيان شرط أن يكون خالي من السكر منخفض السعرات ..

انتبه للمرة الأولى أنها تبالغ في احتساب كل سعر حراري يدخل جسدها المثالي و لا تكاد تتناول سوى طبق السلطة الخالي من كل النكهات كلما كانا معا ، مط شفتيه بلا مبالاة و استدعى النادل ليملي عليه طلبه قبل أن يعود إليها بعينيه ..

لمع الترقب واضحا على ملامحها فأيقن بما تفكر فيه و ذلك أشعره بالذنب مما هو مقدم عليها ، أيعقل أن يقتل أملها و يصدمها في أوج سعادتها و توقعاتها للأفضل بينهما ! لكن ماذا عليه أن يفعل ؟ الأمر خارج نطاق اختياره طالما يتعلق بواجبه و لا يملك الرفض أو التراجع ، الصالح العام فوق أي شيء عليها أن نفهم ذلك و تساعده إن ذلك اختبار جيد لما ستكون عليه حياتهم القادمة ، حسم أمره و توكل على خالقه قائلا :

- نـاز ، هناك أمور جدت تحتم علينا تأجيل ارتباطنا ، لم أكن أتمنى قولها لكني مضطر لهذا

قاطعته شهقتها المسموعة و اتساع عيونها بصدمة جلية قبل أن تغمغم بشحوب :

- أنت تحاول قطع علاقتنا مراد !! اخبرني أن ذلك غير صحيح و أنا من أساء الفهم ..

اقترب ناحيتها واضعا كفيه فوق يديها المرتجفتين قبل أن تنجح في سحبهما بعيدا ، مسد معصميها بأنامله برفق هامسا :

- بالطبع لا ، يجب أن تفهميني الأمر جاد و لا علاقة له بك شخصيا ..

اكتسب صوتها بعض الجدية و سحبت كفيها بعنف :

- كيف لا يعنيني مراد ! هل تراني غبية ؟ أنت تتحدث عن انفصالنا .....

هذه المرة هو من قاطعها قائلا من بين أسنانه :

- بل أنت من قفز لذلك في حين لم انطقها ، لقد ذكرت التأجيل و هناك فرق كبير ..

بدأ عقلها في العمل حتى لا تصبح خاسرة أكثر ، عليها الهدوء و التعامل بحذر فمراد لن يتقبل فقدانها لصوابها ، ظهرت خيبة الأمل في نظراتها قائلة :

- ما هو السبب ؟ اخبرني عنه طالما لا تحاول إخراجي من حياتك ، أظنني استحق تفسير مراد ، أم لعلك لا تثق بي ..

سحب نفس عميق قائلا :

- انه أمر يخص عملي نـاز و تعلمين معنى ذلك ..

كادت تصرخ من فرط القهر ، السرية و التكتم الذي يصر على إحاطة عمله البائس بهما يسببان لها الجنون ، تبـا .. سيطرت على انفعالها المتصاعد و عاد تردد قائلة بنبرة مختنقة بغصة البكاء الذي أصبح ملح :

- لكنه يخصني أيضا هذه المرة و بشكل مباشر (اكتسب صوتها بعض اللين متابعة) من حقي

أن اعرف ، من المفترض إنني شريكة حياتك المستقبلية ، أليس كذلك ؟

صمت لوهلة مفكرا يحلل موقفه فوجد انه من المناسب إخبارها الآن ، لا داعي للتأجيل ، معرفتها منه أفضل من أن يفاجئها الخبر ..

- عديني أن تتعقلي و تتفهمي ما سأخبرك به و الأهم انه سري لا تتلفظي به لمخلوق ..

أومأت برأسها قائلة بلهفة :

- أعدك ، هيا تحدث ..

دخل في صلب الموضوع مباشرة كما يجيد دائما :

- سوف أتزوج لفترة و بالطبع هذا يمنع ارتباطنا حاليا ..

شعرت أن النيران تندلع في جوفها حارة ، محرقة و انتابتها رغبة عنيفة بتحطيم محتويات المكان فوق رأسه ، هل نطق بما سمعته حقا ؟! يلفظها هي !! نازلي الجميلة لأجل فتاة غيرها !! ومضت عيونها بخطورة لم يغفل عن ما سينجم عنها فبادر مفسرا في محاولة لاستيعاب ثورتها المتنامية أمامه :

- أخبرتك انه أمر خاص بالعمل ، ليس شخصي ، أساسا أنا لا اعرفها ..

هدرت بصوت كالفحيح :

- أي عمل ؟ أنت تهزأ بي ...

ردد بثبات :

- عمل و كفى ، ليس عليك أن تعرفي أكثر من ذلك و لن أخبرك المزيد ..

زمجرت كلبؤة جريحة :

- لن اسمح أن تعاملني كحمقاء غبية ، أنت تتخلى عني لأجل هذه الحقيرة التي سرقتك مني و .....

أشار يوقفها بحزم قبل أن تتمادى أكثر مجمدا الكلمات في حلقها بنظرة صاعقة زلزلت داخلها و شملتها برجفة رهبة عارمة قبل أن يردد بنبرة فولاذية :

- اعذر مفاجأتك ناز و إلا كان لي تصرف آخر ..

قهرها الشديد حرر لسانها فتابعت قائلة باندفاع :

- ها أنت تدافع عنها ، و ماذا أيضا ! اخبرني المزيد سيد مراد ..

تملكه الغضب فردد من بين أسنانه :

- توقفي عن الهستيريا على الفور ، الفتاة ستكون مسئولة مني و تحمل اسمي أي أنها تحت حمايتي و لن اسمح بأي تجاوز بحقها ، الأمر صوري و مؤقت فاهدئي ..

نبهها الغضب الذي لون نبراته أن عليها المهادنة حتى لا تحرق كل سفنها رغم اللهب المتقد داخلها قائلة :

- كيف تريد مني الهدوء و أنت تعرضني لفضيحة ستدمر سمعتي و ...

قاطعها زاما حاجبيه :

- أي فضيحة ؟! نحن لم نرتبط رسميا و لن يحدث ما يسوء ، أوضحي مقصدك ..

تداركت نفسها بقهر :

- اقصد عائلتي و صديقاتي المقربات ، إنهم يعلمون إننا بحكم الخطيبين ..

أطبق عينيه و زفر مرددا بإعياء :

- لكن ذلك مجرد تخمينات ناز ، كرامتك و سمعتك بأمان و لن يطول الوقت حتى تعود الأمور لنصابها الصحيح ..

فكرت بذهن يغلي غضبا و حنقا عُجنا بالكراهية لتلك الدخيلة السارقة قبل أن تردف مفصحة عن ما دار بخلدها :

- هل هي حامل و تريد من يستر عليها أمام أهلها ، أم لعلك من فعلها ..

هدر بعنف مقاطعا سيل تخميناتها الغير لائقة ولا مقبولة بالمرة :

- نـــاز .. !!

شحبت و كادت تطفر دمعاتها قائلة بحدة :

- أخربني التفاصيل إذن ، لعلي استطيع إقناع نفسي بتصديق أن ذلك له علاقة بعملك الغالي الذي تتكتم عليه دائما و أبدا ، بما يفيدك الزواج من هذه الفتاة بعينها ؟!!!!

استبد بها الروع جراء العنف الذي احتل دكنة أحداقه حتى بدتا أشبه بجمرتين مشتعلتين فأدركت أنها قد تمادت و دخلت منطقته المحظورة فسارعت ترقق نبرتها و اجتهدت في ذرف الدموع ليحن قلبه و لا تفقده كليا حتى تنفرد بنفسها و تفكر بروية في مخرج لهذه الكارثة التي سقطت على رأسها :

- أنا آسفة مراد ، لكني اشعر بالحزن بل قلبي يتفتت و لا يمكنني تخيل ابتعادك عني ، يبدو انك لا تعلم مقدار حبي لك ، سأموت قهرا إذا رأيتك مع أخرى ، أرجوك اخبرني أن ذلك الكابوس البغيض غير حقيقي ..

تأثر بدموعها التي تتسابق فوق وجنتيها المخمليتين شاعرا بفداحة جرحه لمشاعرها الرقيقة فردد بنبرة دافئة :

- أعدك أن لا تتأثر علاقتنا بهذا الأمر أبدا حبيبتي ، هذه الفتاة ستعيش معي لفترة كزوجتي أمام الآخرين فقط ، لن يكون الزواج مكتمل لذا لا داعي للحزن أو الغيرة ، اعتبريه كأن لم يكن ..

جففت دمعاتها هامسة بدلال :

- إذن اسمح لي أن أكون بالقرب حتى أراقب بنفسي و اطمئن ..

حرك رأسه قائلا برفض :

- بأي صفة ناز ؟! لا يعقل أن تظهري في دور العشيقة بينما أنا متزوج ، هذا يسيء إلينا معا .. تابعت بعناد فهي لن تتخلى عن طلبها تحت أي ظرف :

- بل مجرد صديقة ، ليس هناك ما يعيب في ذلك أما تلك الفتاة فستعرف حقيقة موقعي داخل حياتك ، هذا شرطي لقبول هذه المهزلة ..

مسد جبهته بإرهاق ناظرا إليها فأشارت قائلة بحزم :

- لن أتراجع عن موقفي ، ستخبرها عني و لن أغيب عن المشهد ، يكفي إنني سأعيرك لها و لن أتنازل أكثر ..

أدرك انه ضغط عليها بما يكفي و من حقها عليه إشعارها بالأمان فأومأ دون كلمة آملا بانتهاء ذلك الوضع الشاذ في أسرع وقت ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

جلس ادهم بأناقته المعهودة مقابل السيد طاهر كندين متصارعين و قد حملت عيون كل منهما تعبير مختلف ، بديا بعيدين كليا عن الاتفاق و الرجل الأكبر يحدجه بنظرات عدائية رافضة ..

كان هذا هو الموعد الثاني بينهما بعد أن تنصل طاهر من موعد يسبقه لكن هذه المرة ادهم لم يترك له فرصة للتراجع و قدم مباشرة دون اتصال ..

- لقد عرفت ظروفي كلها سيدي و أظنها مناسبة من كافة الجوانب و ليس هناك أي قصور ، فلدي عمل ناجح و مسكن مناسب و دخل مستقر ، أما أخلاقي و سمعة عائلتي فلا غبار عنها و تستطيع التحري و التأكد من كل معلومة ذكرتها ..

راقب جلسة الرجل المتحفزة أمامه و كيف يقبض كفيه كأنه يقاوم رغبة ملحة في لكمه و ركله خارجا ، لم يفهم سر غضبه الشديد و لا سبب علائم الثورة البادية على كل خلية به !

- تحدث مباشرة أيها الشاب ، لما لا تقلها صراحة ، ماذا تريد من هذا العرض ؟

لمس ادهم رنة اتهام واضحة تموج بها نبراته كأنه ارتكب جرما لا يغتفر ، كان يعلم بصعوبة الأمر لكنه لم يتخيل أن يصل لهذه الدرجة !

هناك شيء ما خاطئ بالتأكيد فردات فعل والدها بعيدة كليا عن ما يتطلبه الموقف !

بإرادة فولاذية تجاهل أفكاره السلبية مرددا ببساطة و ثقة :

- يشرفني طلب الزواج من كريمتك الآنسة أماني ، و أعدك أن ابذل كل ما استطيع لإسعادها و توفير حياة لائقة بها ..

يقسم انه شاهد النيران تندلع داخل أحداق الرجل الذي رماه بنظرات عدائية عنيفة ، نظرات رجل جريح ليس والد لفتاة تُطلب للزواج !!

بدا كأنه يمارس ضغطا كبيرا على أعصابه حتى يتمكن من النطق قائلا بجمود :

- للأسف لا يوجد سبيل لطلبك هنا ، ابحث في مكان آخر ..

هده المرة كان ادهم هو الفريسة لمشاعر الغضب التي زحفت إليه حثيثا و صارت تقتات على تعقله و سعة صدره المعروف بها ، سأل بنبرة صوت محايدة نوعا ما :

- و هل لي أن اعرف السبب ؟
رد الرجل مباشرة دون مواربة كأنه يرغب في إنهاء اللقاء بيأس :
- أنت غير مناسب لها ..
تابع ادهم بصبر :
- من أي ناحية ؟
أجابه طاهر بعناد :
- من كل النواحي ، إنها ابنتي و أنا الأقدر على تحديد صالحها ، أنت غير ملائم و كفى ، لا يوجد لدي المزيد ..
بقدرة هائلة على ادعاء الهدوء تحدث ادهم بعقلانية :
- سيدي لعلك لاحظت إنها ليست المرة الأولى التي اتقدم لك بطلبها ، بل الثالثة ألا يوضح ذلك شيء !
التفت إليه هاتفا بشراسة :
- ماذا تقصد ؟
رد الآخر بثبات رجل يعرف ما يريده و لن يحيد عنه :
- ما هو واضح مثل نور الشمس و لا سبيل لحجبه ، إننا متحابين و نريد مباركتك لارتباطنا ..
هب عن مقعده صارخا بهياج :
- كيف تجرؤ ؟! ابنتي لا تعرف شيئا عن هذا الهراء الذي تتفوه به ، أنت تريد تشويه سمعتها و لن اسمح لك ، اخرج من منزلي و حذار أن تعود ، إذا رأيتك للمرة الرابعة سأزج بك في السجن ..
وقت ادهم يجابه ثورته بأعنف منها و قد خلع رداء الكياسة و قرر خوض الحرب التي يفرضها عليه الرجل الرافض للتعامل بأي منطق هادرا :
- بأي تهمه ؟! حب ابنتك على سبيل المثال ! يجب أن تفيق و تخرج من تلك الحالة التي تسيطر عليك و تجعلك ترتكب أخطاء جسيمة في حق اقرب الناس إليك ..
أنا لم أخطئ عندما أغرمت بها و رغبت في زواجها بل الخطأ أن تحاول الاستحواذ عليها و رفض اقتراب أي شخص منها عداك ، لو فعل كل الآباء مثلك لفنيت البشرية !
وصل غضب الرجل لمستويات فاقت الخطر و تخطته فزمجر بعنف :
- غادر في الحال ..
رد ادهم بعنف مقابل :
- سأفعل لأنني اكتفيت من هذا الجدل العقيم ، لكن لا تظن إنها النهاية ، لن ارتكب نفس الخطأ مرتين و أتخلى عن حبي ..

أشار بأصبعه متابعا بحزم :
- لن اخذل أماني و ستكون لي ..
هدر الآخر بغليان :
- اخـــرج من بيتـــي ..
حدجه الشاب بنظرة تفيض بعنفوان من يعرف هدفه و يصر للوصول إليه قبل أن يستدير رافع الرأس شامخ الهامة لا يعرف الانكسار سبيلا إليه ..
على الجانب الآخر كان هناك أملا يحتضر و أجهشت أماني ببكاء اليم يفضح أنات قلبها العاتب بعد أن تلقفتها ذراعي الخالة أحلام تدفن آهاتها داخل صدرها الامومي الرحب
كانت تقف معها في الرواق الواصل بين شقي المنزل الكبير تستمع للحوار الذي بنيت عليه سعادتها المستقبلية و قد انهارت و صارت كومة رماد بالية تبددها رياح عاصفة لا تبقي و لا تذر ..
تعالت شهقاتها بين أحضان مربيتها التي تقاوم انفجارها الملح في الرجل و قد فضلت الاهتمام بطفلتها أولا فصدمتها هذه المرة فاقت المرتين السابقتين بسنوات ضوئية ..

رفعت رأسها ليظهر وجهها الأبيض و قد احتقن بالدماء بصورة مرعبة و تورم جفنيها مع تدفق انهار العبرات بلا توقف ، حركت رأسها في كلا الجانبين باستنكار رافض هامسة بنبرة متهدجة من فرط النحيب :

- كلا ، لن أقف مكتوفة الأيدي هذه المرة خالتي ، لا بد أن يكون لي دورا فاعلا في حياتي لمرة واحدة على الأقل ، انه حقي ..

قالتها و هرعت إلى غرفة المكتب الذي يعتكف والدها داخله قبل أن تتمكن المرأة من إيقافها ..

❖❖❖

فوجئ بمرأى هذا الإعصار الدامع الذي يقتحم عليه الغرفة بشكل غير مسبوق من قبل فهب من فوره يتلقفها بين ذراعيه قائلا بجذع :

- أماني ! ابنتي ماذا بك ؟ هل آذاك احدهم ؟!

شهقت في محاولة لإيجاد صوتها وسط غصة البكاء المتلاحقة :

- نعم بابا ، لقد أوذيت بشدة ، لكنك من فعل ..

شملها بنظرة ذاهلة قائلا :

- أنا !!

هتفت بانفعال لم تكن لتجرؤ عليه لولا إحساسها الرهيب بالألم :

- اجل أنت ، عندما تتعمد هدم كل آمالي و أحلامي فأنت تقتلني ..

ضغط فكيه بعنف هاتفا بضياع :

- كيف ؟ ماذا فعلت !!

حاولت تجفيف سيل الدمع المنهمر دون فائدة :

- لما عاملت ادهم بهذا الشكل المهين بابا ؟

غادرت الحيرة و حل مكانها الجمود قائلا :

- انه شاب سيء ، يحاول تشويه سمعتك بإطلاق الأكاذيب حولك ، اقسم أن ..

قاطعته بصلابة لا تملكها :

- لكنه لم يكذب ، إننا متحابان بالفعل ، لطالما أحببته و لن أحب سواه ..

سكن عينيه تعبير غريب جعله بعيدا عن والدها الذي تعرف بينما امسك ساعديها و اخذ يهزها بعنف مرددا بثورة :

- لا ، أنت لا تفعلي لن اسمح لك ، انسي هذا الهراء و إلا قتلتك بيدي ، اخرجي من هذا الوهم حالا ..

تألمت لكنها عادت للهتاف بقوة تجددت :

- بل أحبه ، ليس هراء انه الحقيقة الوحيدة في حياتي بأكملها ..

غامت ملامحه خلف سحابة رمادية تنذر بالويل هادرا بشكل خارج عن السيطرة :

- اخرسي ، لن اصدق ذلك أبدا ، لا يمكن أن تخونيني أمنية ، هذا مستحيل ، هل تفهمي مستحيـل ..

خرجت منه الكلمات بذهن غائب أشبه بالهذيان بينما قبضتيه متصلبتين فوق عضدي الفتاة مستمرتان في هزها بقسوة تختبرها للمرة الأولى ، عيناه تحدقان بعيدا كأنه يواجه شبحا غير موجود !

بدا مشوش و منفصل عن الواقع بالكامل ، شعرت بالدوار و الإعياء لكن لم ينقذها سوى تدخل مربيتها الثائرة عندما تقدمت و خطفتها من بين يديه بشجاعة هاتفة بقوة :

- ماذا يحدث ؟! ألا تشعر بنفسك ! اترك ابنتي الم تكتفي بما فعلته بها حتى الآن !

هاله ما يرى أمامه ، لقد آذى طفلته بالفعل فأين كان عقله ؟! بهذه اللحظة خشي عليها منه ..

ابعد نفسه إلى خلف المكتب جاعلا منه سدا يحول بينهما وتمتم بنبرة ميتة :

- أخرجيها من هنا ، أريد البقاء وحدي ، لا اغرب برؤية مخلوق ..

سحبتها كالخرقة البالية مستنزفة الجهد و المشاعر و كل ما سمعته يدور داخل ذهنها كالدوامة التي تبتلع كل شيء دون هوادة ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

قطع السيد رضوان دراسته للأوراق المكدسة أمامه و رفع رأسه يستقبل اندفاع ابنته التي توجهت إليه مباشرة بعيون متسعة دامعة أوقعت قلبه :

- ماذا بك فيفي ؟ لما تبكي حبيبتي !

أفرغت كل ما لديها دفعة واحدة كعادتها عندما يزعجها شيء قائلة بكلمات متشابكة :

- إنها أماني بابا ، تبدو بحالة يرثى لها و منهارة في بكاء لا يتوقف لدرجة أني لم استطع فهم كلمة واحدة منها !!

أبعدها عن صدره برفق و ثبتها بذراعيه أمامه قائلا بهدوء :

- لماذا ؟ ما الذي حدث و أين طاهر ؟!

تابعت بلهفة و الحديث يتسابق في الخروج من شفتيها :

- يحبس نفسه داخل غرفة المكتب بعد أن تواجها بشكل عنيف ، كما أخبرتني الخالة أحلام انه خلط بينها و بين والدتها الراحلة .. !

شتم الرجل بخفوت و عاد يسألها بروية :

- احكي لي ما حدث بهدوء صغيرتي حتى افهم و استطيع التصرف ..

أومأت قائلة ببطء نوعا ما :

- حسنا ، لقد حدث ذلك بعد رفضه لطلب ادهم الزواج من أماني و طرده من المنزل

تساءل الرجل بحيرة :

- و ما الجديد في ذلك ؟ انه يفعله طيلة الوقت !!

حركت رأسها نافية و تابعت شارحة :

- كلا بابا ، إن ادهم ليس كالآخرين الذين لم تكن أماني تكترث لهم ، إنها تحبه ، الم تذكره ؟! انه ذلك الشاب زميلها الذي رحل بعد فشله في الارتباط بها مرتين بالماضي

بدت علائم الفهم على وجه الرجل فأكملت حديثها :

- لقد مرت السنوات دون ارتباط احدهما كأنهم ينتظران بعضهما ، هل أدركت الآن ما حدث ؟

أشار برأسه قائلا باهتمام :

- اجل و سوف اذهب لتهدئة الوضع لا تقلقي حبيبتي ..

قالت بإصرار :

- اصطحبني معك لأكون بجوارها ..

ردد بنبرة غامضة :

- بل سآتي بها إلى هنا ، استعدي لاستقبالها ..

❖❖❖

دار ادهم بسيارته دون هدف في الشوارع كالفهد الثائر حامدا ربه انه فكر بشكل سليم و قرر الزيارة بمفرده كما فعل في المرتين السابقتين مجنبا والديه الحرج ، لقد لجم نفسه بشق النفس عن ارتكاب حماقة فهو بالنهاية والدها و لا يريد أن تسوء الأوضاع بينهم أكثر ، لكن ما بدر منه يحفز عدد لا نهائي من علامات استفهام !!

انه ليس مجرد رفض لارتباط غير ملائم بل الأمر اكبر من ذلك و الأفكار التي تقتحم عقله الآن مخيفة ..

تناول هاتفه يريد الاطمئنان عليها لكن للمرة التي لم يعد يحصيها لا يستطيع فعلها ! يخشى عليها من ثورته الحالية ، لا بد أن يهدأ أولا ثم يحدثها ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

هتف طاهر بقهر ردا على تساؤلات شقيقه التي انهالت تلومه على تصرفاته الغير مبررة في نظرهم :

- يا الهي ، هل ألام على حبي و اهتمامي بابنتي ! أجرمت عندما أحاول حمايتها من زواج غير متكافئ !

رفع رضوان حاجبيه من قدرته على الجدل و قلب الحقائق لكنه ردد بهدوء :

- بل أنت تخنقها بالحرص و التملك الزائد طاهر ، اغلب الذين تقدموا للارتباط بها كانوا أكفاء و مناسبين لكنك لا تريد أن يشاركك فيها احدهم و هذا خطأ ، أفق لنفسك قبل أن تخرج الأمور عن السيطرة و تفقدها هذه المره .. دعنا نتحدث بأوراق مكشوفة في الماضي رفضت الشاب مرتين بحجة انه ما زال في بداية طريقه و مع تحفظي على رأيك وقتها و حالة الفتاة المتردية مر الحادث بسلام ، ماذا عن الآن ؟ ما هي أسبابك لرفضه طاهر ؟!

غمغم الآخر قائلا بضيق :

- انه لا يناسبها ، وقح ، مغرور و متسلط ، كيف أعطيه ابنتي !!

حرك رضوان رأسه قائلا بأسف :

- هذا لا يقنع طفل صغير ، أنصحك بزيارة طبيب نفسي أو تزوج و ارحم الفتاة ..

سحب شقيقه عدة أنفاس بعصبية قبل أن يردد :

- دعك من ذلك فلا فائدة منه و اخبرني عنك ..

جابهه رضوان بثبات رافضا محاولته :

- تتعمد الهرب و تبديل الموضوع كالمعتاد لكني لن اسمح لك ، يجب أن تفيق من هذا الوهم قبل تدمير ابنتك ..

لقد توفيت زوجتك و أماني ليست أمنيه التي لم تخرج من صدمة وفاتها رغم مرور سنوات طويلة و ترفض فعل ذلك متشبثا بصورتها ، عليك التوقف في الحال ..

شعر بكلماته تضرب إدراكه بعنف لكنه مشوش و تنتابه أحاسيس غريبة ، سيطر عليه شعور الخيانة و الغدر ، ربما كان رضوان على صواب فهو يشعر بحبيبته تتركه من جديد لكن هذه المرة لأجل رجل آخر ..!!

طعنه ذلك بألم ، تبا ماذا يحدث له ؟!!

- توقف رجاء ، أنا لم افقد صوابي بعد ، هل تظنني انظر لابنتي بشكل غير سوي !

تطلع إليه بحدة قبل أن يردد :

- حاش لله ، لكن إحساسك الداخلي مرتبك و ساعد على ذلك ارتباطك الشديد بها ،

من ناحية أخرى شبهها الكبير بوالدتها ..
عليك إقناع عقلك أن أُمنية لم تتخلى عنك ، فأنت خير من يعلم أن الوفاة حق على الجميع و ليست اختيار ..
هب الآخر هاتفا بعنف :
- يكفي رضوان ، أماني ابنتي و أنا أدرى بصالحها ، ذاك الشاب خطر عليها و سوف احميها منه لو رغما عنها ..
اتسعت عيونه قائلا بتعجب :
- أي خطر يا رجل ، انه يحبها و هي تبادله ذلك !
عاد طاهر ينتفض مرددا بشراسة :
- لا تعيد ذلك ثانية ، هو من يشيع عنها تلك الأكاذيب بينما طفلتي بريئة نقية التفكير لا تعرف هذه الأمور ..
لم يستسلم رضوان فواجهه قائلا بثبات :
- هذه الأمور تسمى حبا طاهر لا غضاضة فيه و أنت نفسك غرقت به ذات يوم فلما تنكره الآن ؟!!
بلغ به الإرهاق النفسي و الحنق مبلغا بعيدا فهدر بعنف لا إرادي :
- توقف رضوان ، رجاء يكفي لأجل إخوتنا ..
أدرك انه وصل لمنطقة شائكة تنذر بالخطر و من الحكمة التراجع قبل أن يحدث الأسوأ و قد زاد يقينه بصحة قراره الذي اتخذه قبل فتره لكنه سينفذه في الحال ..
- كما تريد طاهر ، لكني سأصطحب أماني معي ..
التفت إليه سائلا بحدة :
- لماذا ؟!!
مال برأسه مرددا بعبث :
- و لما لا ، هل بات منزلي يشكل خطرا عليها أيضا يا أخي ..!
تراجع بخجل أمام نظرات شقيقه الأكبر قائلا :
- لم اقصد ذلك بالطبع ، حسنا لكن لا تسمح لها بالخروج من المنزل ، لا أود لذلك الشاب أن يراها و يسمم أفكارها ضدي ..
أدار عينيه بحنق مغمغما بخفوت :
- لا حول و لا قوة إلا بالله ..
ثم انسحب بصمت باتجاه غرفة الفتاة المسكينة ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

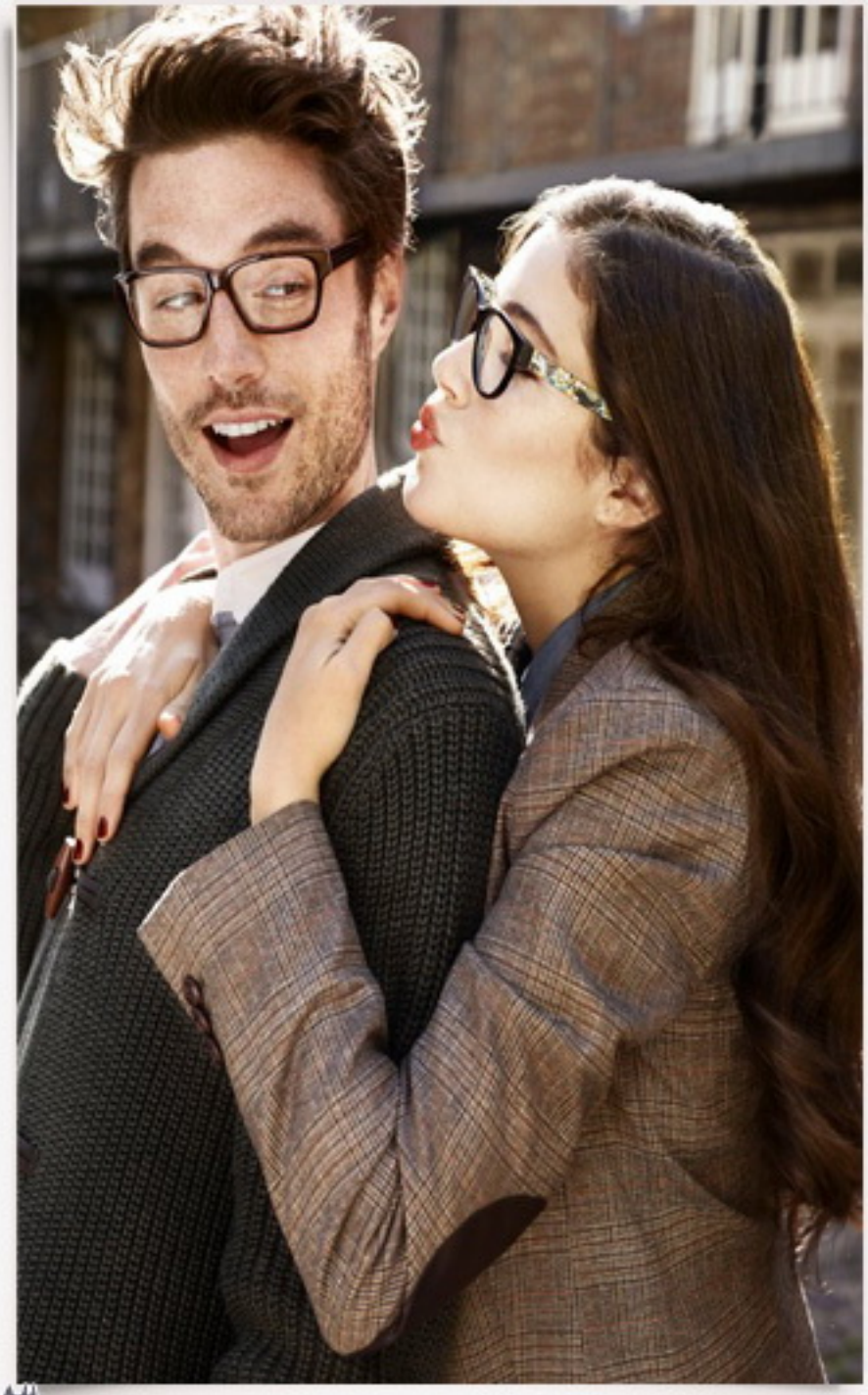

شعر صالح بالأنامل الناعمة تمسد كتفيه من الخلف برقة بينما صوتها يدغدغ أذنيه مرددة بحنو :

- أزح عينيك عن هذا الشيء الآن أيا كان ما تفعله و هيا معي لتناول بعض الطعام ، أحيانا يخُيل إليّ انك تعيش على الهواء !!

ابتسم بمتعة لنبراتها الامومية التي لا تكف عن استخدامها معه ، جذبها من كفها لتصبح في مواجهته بينما يحرك عجلات مقعده الدوار بعيدا عن شاشة حاسوبه المطور قائلا :

- أنت تحرضيني على ترك العمل يا آنسة و بإمكاني رفع تقرير سيء بشأنك ، لا تنس انك تعملين تحت إمرتي ..

سكنت شفتيها ابتسامة شقية بينما تبعد نظاراته عن وجهه قائلة بدلال :

- امممم يا لك من رئيس قاسي لكني سأجازف طالما النتيجة أن أحظى بك لنفسي و لو بعض الوقت فأنت لا تغادر المكان ليل نهار ..!

انطلقت العاطفة من عينيه و مد يده باعدا خصلة شعر تمردت و أبت إلا أن تقبل جبينها الوضاء هامسا :

- و لما اذهب إلى المنزل و أنت لست فيه حبيبتي ، على الأقل هنا أراك حولي (ثم استدرك بعبث) لكن سأبدل رأيي في الحال إذا ما قررت زيارتي ..

لكزته في كتفه مدعية العبوس قائلة :

- بأحلامك سيد صالح ، لن أطأ عتبة بيتك إلا و أنا ارتدي ثوب الزفاف و عندها سوف تحملني بالمناسبة ..

ضحك عاليا قبل أن يردد بمرح :

- جيد انك أخبرتني حتى أتدرب برفقة مراد و شاهين منذ الآن إذن ..

أومأت قائلة بثقة :

- اجل افعل لأني لن أتنازل عن ذلك ، انه حلم كل فتاة ..

اعتدل قائلا بجدية :

- رُقية حبي نحن خطيبين منذ أشهر و قريبا سوف نتزوج ، عليك زيارة المنزل لتحديد التغيرات التي ترغبين بها و أعدك لن أكون هناك ..

حركت رأسها نافية :

- كلا و هذا ليس عدم ثقة بك تعلم إنني استطيع اصطحاب ماما أو أيا من أخواتي لكني أثق بذوقك و أريد مشاركتك حياتك كما هي ثم لما العجلة ؟ أمامنا وقت كافٍ حتى عودة والديك من السفر كما اتفقنا ، لن تنطلي علي خدعتك أيها العبقري ، من كان يصدق أن ارتبط بمبتكر أشهر الألعاب الالكترونية على مستوى العالم (ثم غمزت بعينها) ناهيك عن الأنشطة الأخرى التي لا يعلمها سوى المقربين ..

أخشى أن تقيم حفل زفافنا داخل قرص مدمج بين المجرات بتقنية سباعية الأبعاد ! نهض عن مقعده متناولا سترته عاقدا حاجبيه قائلا بنبرة معتادة :

- لا فائدة منك لقد أفسدك دلالي ، كان من الخطأ الاعتراف لك بحبي قبل نهاية أول مهمة لك معي ، ضاعت هيبتي و فقدت نظاراتي تأثيرها

صدحت ضحكاتها بينما تشبك كفيها بذراعه قائلة بخصوصية محببة :

- لا تنس إنني كنت البادئة بعدها لم يستطع احد إيقافك حتى انك جلبت والديك من ألمانيا على أول طائرة ليقوما بطلب يدي رسميا خشية أن يرفضك بابا ..

أحاط خصرها بذراعه الآخر معلنا انتمائها له

كما دأب أن يفعل قائلا بمزاح معتاد :
- اعتقد أن كل العاملين في الجهاز باتوا يعلمون الآن هذا إن لم تكن قد بثت عبر الأقمار الصناعية ، سأقص لسانك الطويل ذات يوم ..
ميلت رأسها مردة بمشاغبة :
- لا تستطيع ذلك حياتي لأنك تحبني و تعشق ثرثرتي ..
عندها غامت عينيه عاكسة قوة مشاعره هامسا :
- أخبريني انك تحبيني مجددا رُقيتي ..
اتسعت ابتسامتها المدركة قائلة :
- ألا تمل تكرار ذلك ؟
مال ناحيتها أكثر مرددا :
- لا ، ربما لأني لم أتخيل يوما أن تغرم بي فاتنة مثلك مع غرابة أطواري ..
مست لحيته الخفيفة بظهر يدها هامسة :
- و ها قد وجدت الحمقاء التي هامت بك بمجرد أن عبست في وجهي باستياء لأني تجرأت و عارضت أمرا للسيد الذي يعرف كل شيء ، عندها كدت تركلني خارج المكان بأكمله ..
ضحك بحيوية كأن مجرد الحديث معها يجدد نشاطه و يمنحه طاقة ايجابية :
- لا تنسي انك لم تكفي عن مشاكستي منذ اللقاء الأول حلوتي ..
لمعت عيونها بشقاوة مضيفة :
- اجل لا أنكر إنني تعمدت ذلك لأنك كنت تزمجر طيلة الوقت و لا تكف عن النظر إليّ بتعالي ناهيك عن التذمر بفظاظة !
تناول كفها مقبلا باطنه قائلا بحب عميق :
- لأني كنت قد أغرمت بك و لم اعرف ما عليّ فعله !!
ضحكت برقة لحلاوة الذكرى :
- و ظللت صامت حتى فاض بي الكيل و صرخت عليك بأحد الشجارات أمام الجميع باني احبك يا أحمق ..
انطلقا معا في ضحكة صافية عكست خبايا قلبيهما بينما تابعت بثه مشاعرها كما يطلب منها دون كلل كأنه زاد يومي لا غنى له عنه :
- و ها أنا مدلهة بحبك سيد صالح و لا فكاك مني سواي ..
عاد لتقبيل كفها قبل أن يضغطه فوق نبضاته الصادحة بحروف اسمها مرددا بشغف :
- هنيئا لي بك يا أجمل و ارق عاصفة اجتاحت

حياتي ، سأظل اردداها للأبد و اعتذر لأني ظللت أحمقا احبك في صمت حتى أخذت بيدي للطريق و علمتني أبجديات التعبير و البوح ، كم احبك يا رقية الروح و تعويذة أمانها ..

ظللتهما فقاعة وردية عبقة بسحر مشاعرهما لفترة حتى انتبهت لمكانهما فاستعادت شخصيتها المرحة قائلة بحذر :

- احم ، حبيبي انظر أين نقف و نتبادل الغزل ! لو رآنا الرئيس سيكون النفي إلى جبال سيبيريا نزهة مقابل ما يفعله بنا ..

استرق نظرة حوله يتأكد من انشغال البقية هامسا بتواطؤ :

- السيد ارسلان يعد آخر همي ، الطامة الكبرى لو امسك بنا مراد أو شاهين عندها سأفضل الرحيل عن الكوكب هربا من لسانيهما ..

بادلته الضحك مع إيماءة تأكيد قبل أن تسأل بمرح :

- أنت محق لقد أفلتنا و لله الحمد بالمناسبة أين هما نصفيك الآخرين اللذان يقتلاني غيرة من وجودهم الدائم حولك !

تعالت ضحكاته هو هذه المرة قائلا :

- لا بد أن مراد يستشيط غيظا في مكان ما و شاهين يحاول امتصاص ثورته كالمعتاد ، مسكينة هذه الفتاة حظها العاثر رماها في طريق مراد و هو غاضب و هذا خطر ، كيف تبلي معك؟

أشارت بكفها قائلة بمهنية تتقنها عند اللزوم :

- متعاونة جدا و بغاية الذكاء كما أنها لم تعترض على أيا من الإجراءات رغم ثقل وطأة المطلوب منها ، أتعلم لقد صرنا صديقتين إنها فتاة في منتهى الرقة و لطيفة المعشر ، لا أظنها تمثل أي إزعاج لصديقك الثائر فليس لها متطلبات سوى تأمين اتصالها بعائلتها و هو مطلب مشروع ، لا يحق لمراد التذمر يكفي إنها تضحي مثل تلك التضحية الكبيرة ..

لمعت عيونه بالدفء لدفاعها الواضح عنها :

- هذا جيد ، احرصي على إمدادها بكافة الاحتياطات رُقية ، فخيار الخطأ ليس متاح بأي حال ، لقد أرسلها لنا الله بمعجزه ..

أومأت قائلة بجدية :

- نعم بالطبع لا تقلق حبيبي ، هيا للطعام قبل أن تبدل رأيك و تعود لجهازك الثمين ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

خرجت سُلاف من غرفة شقيقتها التي تشغلها أماني و أغلقت الباب خلفها برفق ليستقبلها والدها قائلا بنبرة قلقة :

- كيف حالها فيفي ؟

أخرجت تنهيدة حارة قبل أن تردد بأسى :

- سيئة بابا ، لقد ظلت تبكي طيلة الوقت ، إنها تشعر بخيبة شديدة و فقدان الأمل و هو إحساس بغيض ، حتى عندما هاتفها ادهم و ألح في محادثتها ظلت تحدق في الهاتف و دموعها تنهمر دون أن تلفظ بحرف ..

أخشى عليها جدا فلم أرها بهذا اليأس من قبل ، ماذا لو أصابها مكروه ! لقد نامت من فرط الإرهاق و مع ذلك لم يتوقف جريان دموعها ..

أخذها بين ذراعيه مواسيا قلبها الرقيق و تحرك معها بعيدا عن غرفة الفتاة بغية عدم إزعاجها ..

- بابا ، هل عمي طاهر ....

قاطعها قائلا :

- عمك طاهر يعاني بعض التشويش و الارتباك ، فهو لم يتخطى وفاة زوجته حتى الآن فقد كانت حب عمره و جاءت الوفاة فجأة و بسرعة خاطفة ، أصابته بصدمة عاش بها طيلة هذه

السنوات ، انه لا يقصد إيذاء أماني لكنه يفعل رغما عنه و علينا جميعا مساعدته ..

استفسرت بدهشة :

- و كيف نفعل ذلك ؟

لمعت عيونه قائلا بمكر محبب :

- سأخبرك عندما يحين الوقت لكني سأستغل موقفي كأخ اكبر ..

انعكس بريقه داخل أحداقها المشابهة فابتسمت و غرست نفسها بين ذراعيه تستنشق عبيره الرجولي هاتفة باطمئنان سكنها :

- احبـك بابا ، أنت أفضل والد في الكون ..

أومأ يوافقها بثقة :

- بالطبع يا فتاة هذا أمر مفروغ منه ، الآن أريد معرفة رأيك السُلافي العميق في شخصية هذا الأدهم ، كيف ترينه ؟

كانا قد وصلا للردهة السفلية فتركت كفه و جلست على إحدى المقاعد المنجدة بقماش الاوبيسون الحريري الذي تفضله والدتها قائلة بجدية مضحكة :

- لقد سألت الشخص الأنسب في هذا المجال سيد رضوان لأني و بلا فخر أثق من مشاعره تجاهها ، انه حب عاش و ترعرع لسنوات دون بادرة أمل أو تشجيع ، ستعرف بمجرد أن تراه لأنه يطل واضحا من نظراته و كل خلجاته ..

ظهر الرضا على وجه الرجل لكنه انتهز الفرصة و باغتها قائلا :

- و أنت صغيرتي ؟

ارتبكت و تلعثمت أحرفها :

- آآ أنا ماذا ! أنا لا شيء ..

ظهرت ابتسامة غامضة محتلة شفتيه قائلا :

- اجل بالطبع ، لنعد لموضوعنا ، لديك رقم الشاب أليس كذلك ؟

زمت حاجبيها قائلة بحيرة :

- ادهم ! استطيع أخذه من هاتف أماني لكن لماذا ؟!

تابع بثبات و قد ظهر عزمه واضعا :

- اتصلي به في الغد و اخبريه إنني أريد رؤيته ، ليأتي إلى هنا مساء ..

قطبت حاجبيها مفكرة لكنها أومأت قائلة :

- حسـنا سوف افعل ....

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

كل منا يمثل ترسا مستقل يدور في دولاب الحياة الكبير ، قد يلتقي دربه مع غيره فيحدث تآلف من نوع ما و قد يظل وحيدا يدور دون كلل للأبد ..

هناك تروس كبرى تعمل لأهداف و أغراض سامية تحُدث تغيرات للآخرين بينما غيرهم لا يُستشعر وجوده من الأساس ..!

اطل الصباح حاملا معه البشر غاسلا هموم الأرض مبددا غياهب الظلمة مانحا الأمل بيوم جديد ..

تراقصت أشعة الشمس منطلقة كطفلة تفترش بساط الطبيعة الأخضر تشاركها أجنحة الفراشات المزهوة بجمال قوسها صاحب الألوان السبعة و سيمفونيات تغريد الطيور ..

ضجت القاعة الرياضية بأصوات اللاعبين كما هو معتاد بهذه الفترة من الصباح قبل انطلاقهم إلى المهام الشاقة المبطنة بالخطورة كجزء لا يتجزأ منها ..

عثر صالح على ضالته يفرغ طاقة غضبه و شحناته السلبية بلكمات ضارية يمتصها كيس الملاكمة الأسود الذي يتأرجح بعنف تلك الضربات ..

- مـراد ! الم تفرغ بعد ؟ هل نسيت موعدك أيها العريس أم لعلك هارب ..

عض على نواجذه دون أن يوقف ضرباته و قد تصبب عرقا ثم التفت إلى رفيقه أخيرا قائلا بتحذير :

- إذا لم ترد أن تزين إحدى عينيك بكدمة داكنة ابتعد عن طريقي اليوم صالح ..

لم يستطع كبت ضحكاته أكثر فأطلق لها العنان هاتفا بمرح :

- لو رأتك عروسك الآن لقررت الفرار إلى بلادها ركضا ..

خلع قفاز الملاكمة من يديه و تناول منشفته يجفف عرقه و قد انتقلت إليه عدوى المرح ليهتف باسما :

- يا الله ، اعلم إنني لم أكن ملاكا لكني أيضا لست سيئا كفاية حتى أنال هذا العقاب ، أنا شبه مرتبط و أحب نازلي فلما تهبط على رأسي زوجة من السماء ؟ و خمن ماذا ! إنها شرقية من هؤلاء اللاتي يرفرفن بأهدابهن الطويلة من خلف البرقع أو مهما كان اسمه ..!

تعالت ضحكات صالح بشكل هستيري من ملامح صديقه الحانقة هاتفا :

- هون عليك يا رجل ، أنت متأخر قرن من الزمان على الأقل ماذا بك ؟! الفتيات الشرقيات لا يختلفن عن فتياتنا بل هن أكثر تمدنا و رقي في بعض الأحيان ، انه سحر الشرق يا صديق عليك أن تشكر حظك لكن لا تخبر رُقية حفاظا على رأسي بين كتفي ، ثم كيف تقول ذلك أنت بالذات ؟ ماذا لو سمعتك والدتك !

ضيق مراد عينيه قائلا بسخرية :

- أوه نعم بالطبع ، لما لا تحل مكاني إذن أيها المهذب و سوف أقوم بإقناع رُقية بنفسي ، اترك والدتي خارج الأمر لقد أمضت حياتها كلها هنا (ثم حرك رأسه و تابع بقهر) لا اصدق إنها ستقف أمامي منتظره أوامري قبل أن تخطو خطوة بمفردها ..

هذه المرة كاد صالح أن يغص بالضحك فأشار بيده قائلا :

- يكفي يا رجل أنت الآن وصلت إلى حقبة ألف ليلة و ليلة ! لما لا تنحني أمامك أيضا قائلة " أمرك مولاي " هيا يا شهريار عصرك قبل أن تعود بنا إلى زمن الكهوف ، الرئيس بانتظارنا و عروسك العتيدة معه ..

ألقى المنشفة بعيدا و اتجه للاغتسال و تبديل ملابسه قائلا :

- لا شكرا ، يكفي ما نالني حتى الآن ، الأوراق كلها معي و الأهم توقيعها ، اذهب أنت إلى زوجتي المصون و أنا سأتكفل بإنهاء الإجراءات ، لست متعجل على ذلك اللقاء أبـدا ، اصطحبها إلى منزلي و انتظرني هناك ..

يا الهي لا تصدق أنها ستتحول إلى زوجه لأحدهم بعد قليل ، شخص لم تره حتى هذه اللحظة ! الأمر كله مربك و مشتت و يضغط على أعصابها سالبا منها قدرتها على التفكير السوي ، كأن أمامها خيار بعد حديث السيد ارسلان الذي أوضح لها بما لا يدع مجالا للشك انه صار أمرا واقعا و عليها الخضوع له آملة بانتهائه دون خسائر ..

سحبت نفس عميق قائلة لنفسها :

- اهدئي جيّدا انه ليس زواج بل مجرد مهمة تتشاركان فيها ، ليس هناك ما يخيف و الأهم أن أمور عائلتها على ما يرام ، السيد ارسلان طمأنها خاصة بعد ما حدث والدها بنفسه ، ابتسمت بمودة و قد تذكرت كيف يشبهه بكلا جانبيه الصارم و المازح و فوق ذلك كله هي في معية الله و لم تخطو خطوة دون استخارة و دعاء استرعى انتباهها دقة مهذبة لكن حازمة قبل أن يفتح الباب و يدلف منه شاب متناسق الجسد يبدو سمح الملامح يرتدي نظارات طبية أنيقة تمنحه وقار و هيبة خلفها عينان تتقدان ذكاء و فطنة ..

وقع بصره عليها بمجرد دخوله لكن ردة فعله هي ما أثارت دهشتها ..!

❖❖❖

تقدم صالح إلى مكتب الرئيس استعدادا للقاء جيّدا للمرة الأولى ، كان لا يزال متأثر بحديثه مع مراد الذي يصور الفتاة كما لو كانت قادمة عبر عصور ما قبل التاريخ لذلك عند رؤيته لها لم يتمالك نفسه و سيطرت عليه موجة عارمة من الضحك حتى عادت رأسه للخلف فقد كانت ترتدي كنزة بغاية الأناقة من الكشمير الناعم ذات لون سماوي نقي تحيط جذعها بانسيابية راقية مع سروال من الجينز الداكن منح ساقيها رشاقة و طول ثم حذاء جلدي مرتفع الكعب و الساق ..

تعقد شعرها بشكل عملي يتدلى خلف ظهرها برونق لامع بينما وجهها مشع ببشرة نقية خالية من الزينة لكنها بدت متألقة ، عيونها قصة سحر بحد ذاتها ، عندما بادلته تلك النظرة المفعمة بمزيج من البراءة ، العفوية ، الثقة و المشاكسة أشفق على صديقه من ذلك الصاروخ المتفجر الأنوثة بإغراء مستتر و هذا

اخطر بكثير من الإغراء الموجه باستهداف صريح
فتمتم لنفسه : رحمك الله يا رفيق ..
نهضت عن مكانها لتصبح في مواجهته و قد ارتفع
احد حاجبيها بدهشة ثم خرج صوتها أشبه بعزف
القيثارة ذو بحة شجية تعبث بالأعصاب
و تأرجحها بنعومة قائلة :
- عفوا لكن ما الذي يستدعي الضحك ؟!
استدرك نفسه سريعا و أجلى حنجرته بعيون
مرحه ثم بادر بتقديم اعتذاره بصوته الرجولي
ذو الرنين المميز قائلا بانجليزية محترفة :
- المعذرة ، كنت أحادث صديقي المقرب قبل
دخولي مباشرة و هذا سبب ضحكي ، اغفري لي
هذه الإساءة الغير متعمدة آنستي ..
تراجعت خطوة إلى الخلف و قد استرخت
ملامحها التي فاجأته عندما أشرقت بابتسامتها
الأثيرة لتهتف أعماقه بإشفاقه على مراد من
جديد في حين رددت بثبات :
- لا لا ، لم يحدث شيء ، ظننت أن هناك خطأ
وقع ، لا داعي للألقاب جيّدا فحسب ..
تقدم بتهذيب يحيها ببشاشة لا تفارقه قائلا :
- تفضلي معي لأقلك إلى منزلك الجديد ..

زمت حاجبيها سائلة بدهشة :
- المنزل ! ألن ننهي الأمر أولا ؟
أومأ بالإيجاب شارحا :
- لقد انتهى بالفعل و يجدر بي تقديم تهانيّ رغم
غرابة الموقف ..
زاد انعقاد حاجبيها بينما سألت بحدة :
- ماذا ؟! أتعني أن الزواج قد تم !
ردد ببساطة كأنه أمر يحدث كل يوم :
- اجل أنت الآن السيدة جيّدا اوزاوغلو رسميا ..
أشارت بكلتا يديها سائلة بحيرة :
- لكن كيف ؟ أنا لم أتحرك من هنا ! فقط قمت
بالتوقيع على بضعة أوراق كانت باللغة
التركية فلم افهم محتواها ..
تابع بنفس الهدوء قائلا :
- إنها كافية في وضعنا الطارئ ..
فكرت لوهلة ثم قالت بتفكه ساخر :
- يا لها من طريقة غريبة للزواج ! إن الأمر
مختلف عندنا ..
قفزت البسمة تحتل شفتيه من جديد و قال
موضحا :
- و عندنا كذلك في الظروف العادية لكن

طبيعة عملنا تسهل لنا الكثير من الإجراءات
و نستطيع تخطيها بسهولة ..
احتل عيونها الخلابة استفسار جلي عبرت عنه
قائلة باهتمام :
- أيعني ذلك أن هذا الزواج .....
أدرك ما تعنيه فهتف قائلا على الفور :
- بل سليم تماما ، أنت الآن متزوجة قانونا
و زواجك صحيح ، يجب أن تتصرفي على هذا
الأساس ..
غزا الاحمرار وجنتيها رغما عنها قائلة بخفر
فطري :
- بالطبع افهم ذلك سيد مراد ، لا تقلق اسمك
بأمان معي ..
رفع حاجبيه و سارع يوضح لها سوء الفهم
الحاصل :
- أوه لا ، انه ليس أنا ، لقد صرتِ زوجة لشريكي
في العملية ، أنا ادعى صالح ..
عندها تحول احمرار وجهها من الحياء للغضب
الذي تصاعد بينما تحاول السيطرة عليه بخلق
حديث ودي قائلة :
هل تعني انك خطيب رُقية ؟ أم أن هناك أكثر
من شخص يحمل هذا الاسم ؟

أومأ مجيبا بسعادة :
- اجل أنا هو ، تسعدني مقابلتك أخيرا جيّدا
و أرجو أن تعتبريني أخا لك ..
تقبلت بادرته الطيبة بابتسامة مهذبة قبل أن
تزم شفتيها و قد عاد حنقها قائلة بنبرات صلبة :
- أين هو ذلك المراد إذن ؟!!
كبت ابتسامة استمتاع ملحة بينما عقله يهتف
داخله : من الواضح إنها سترفرف بأهدابها
يا شهريار ، أخشى على عنقك منذ الآن أيها
المسكين فهي تفضل دور مسرور السياف
كما اعتقد ،
ثم تابع حديثه مجيبا ببساطة :
- انه ينهي بعض الإجراءات الضرورية و سيلحق
بنا إلى المنزل ، هلا تحركنا الآن ؟
أومأت دون أن تخفي استيائها الواضح و خطواتها
تدق الأرض بغلظة ..
دار في أعماقها كل الأفكار السلبية بشأنه ، يبدو
انه فظ للغاية و عديم التهذيب ، ألا يكفي أنها
وافقت على هذا الهراء كله لمساعدتهم !
كان الأجدر به أن يترك الإجراءات البائسة
لزميله و يأتي هو ، على الأقل يُعرفها بنفسه ،
أليسا زميلي عمل الآن ؟ يا لها من مهزلة !

صبرا جميلا جيّدا قليل من الوقت و ينتهي هذا الوضع السخيف برمته ..
قادها إلى سيارته فاتحا لها الباب الأمامي بكياسة فأومأت له بابتسامة هادئة لم تنجح في عكس تأثير مشاعرها السلبية و لا تحجيم ثورتها الداخلية المنطلقة من عينيها فرفع حاجبيه بتفكه بينما يدور متخذا مقعده أمام المقود ..
مضى الطريق بصمت من كلا الطرفين بينما شحنت السيارة بذبذبات متباينة ، هي تكتم غيظها بينما هو يحارب الانفجار ضحكا ، لقد كان خبيرا في لغة الجسد و الآن كان يعلم يقينا إنها تشتعل غضبا ..
أمل أن يكون مطبخ مراد خالي من أداوت التقطيع و الأكياس البلاستيكية حيث من الواضح أن عروسه الفاتنة سوف تستقبله بالقول الشهير :
"أرى رؤوسا قد أينعت و حان وقت قطافها !"

نهاية الفصل

دمعات القمر

القطرة التاسعة

توقفت السيارة أمام منزل جميل ، ليس كبير لكن تصميمه يشي بالرقي و الحميمية ، يحيطه حديقة غناء تشع منها ألوان الزهور اليانعة رغم قسوة الطقس ، تسقط عليها أشعة الشمس صانعة انسجام فريد ، مظهرها وجده امتص غضبها المخزون و مدها بهدوء نفسي و بشاشة ثم أتى مزيج الرائحة ليكمل انتعاش روحها المحبة للطبيعة و الجمال ..

فتح الباب الخشبي ذو التصميم العصري مشيرا لها بابتسامة هادئة :

- تفضلي و هاك هذا سيكون مفتاحك منذ الآن ..

تناولت منه سلسلة المفاتيح و دلفت للداخل بعيون تتوثب فضولا تعمل كماسحات ليزر كاشفة لكل شيء ..

خلفها مباشرة كان صالح الذي ترك الباب مفتوحا ليصاحبهم إلى الداخل شعاع الشمس مفترشا الأرضية و مضيئا المفروشات المطبعة بالورود كما زاد من روعة و لمعان بريق الأثاث الخشبي الأنيق ..

أشار بكفه متابعا الشرح :
- غرفتك في الطابق الأعلى ستجدينها بسهولة لان أغراضك هناك ، الأخرى لمراد و لا يوجد غرف نوم سواهما ..
تعرفي على البيت بحرية و لا تظني نفسك ضيفة ، هناك سيدة تأتي للتنظيف أظن موعدها أسبوعي لا اعرف لكن لا يوجد خدم دائمين ، مراد لا يحبذ وجود الغرباء في محيطه كما انه طاهي بارع ..
هزها معرفة أن المنزل سيكون خالي إلا منهما ، اتخذت مجلسها بجوار مكتبة ضخمة عامرة بالكتب قائلة بوجل لم يخفى عن عينه الخبيرة :
- سيد صالح ، أرجو أن تبق و لا تغادر الآن ، على الأقل حتى يأتي هذا الـ... امممم أنت تعرف ..
احتل المقعد المقابل و عيونه ناضحة بالتفهم قائلا :
- ليس عليك الخوف أبدا جيّدا ، أنت الآن بمثابة زوجة أخي لذا لا ألقاب كما ذكرتِ من قبل ، اسمي هو صالح فقط ، للأسف لم تسنح لك الفرصة للتعرف على مراد بشكل صحيح لكنه رجل جيد أهل للثقة ، ستتفاهمان سريعا ..

أرادت أن تستزيد منه حول هذا الغامض الذي تزوجته و لا تعرف عنه سوى اسمه و رغم ذلك هي في منزله :
- كيف يبدو ؟
ابتسم و مازحها قائلا :
- أليف و لا يأكل البشر (ثم انطلقت ضحكاته الرنانة قبل أن يتابع بجدية) قد يبدو عصبي للوهلة الأولى لكنه حنون و مراعي ، شجاع و لا يهاب المخاطر باختصار أنت بأمان معه ، كل ما عليك فعله .....
قبل أن يتم قوله قاطعه رنين هاتفه فالتقطه على الفور و تبادل مع محدثه حوار خاطف بالطبع لم تفهم منه شيء و شكت أن تفعل حتى لو كانت تعرف اللغة فهؤلاء الرجال يتنفسون الغموض و يحيون به ..!
نهض عن مكانه قائلا بأسف :
- المعذرة جيّدا لن استطيع انتظار مراد معك تعلمين طبيعة عملنا ، يجب أن أغادر على الفور لكن كما أخبرتك لا تقلقي من أي شيء ..
أومأت بطاعة و صاحبته حتى الباب ثم أوقفها عند المدخل و تابع حديثه الجدي :

- هل معك رقم رُقية ؟
أشارت بالإيجاب مرددة :
- اجل انه معي ..
أكمل باستحسان قائلا :
- ممتاز ، لا تترددي باستخدامه كلما أردت الحديث أو أي استفسار و سأكون بالقرب أيضا ، أنت لست وحيدة هنا بخلاف مراد و السيد ارسلان أصبح لديك إخوة ، أنا و رقية و شاهين فكوني مطمئنة ..
غمرها الامتنان و الثقة فقالت بصدق :
- شكرا لك صالح ، اشعر بذلك حقا ، أرسل تحياتي لرُقية حتى التقيها ..
ردد بمشاكساته التي باتت معتادة لها بينما يتجه لسيارته على عجل :
- حسنا لكنها ستحقد عليك الآن لأنكِ سبقتها بالزواج ، أغلقي الباب و لا تفتحيه لأي شخص ، مراد لديه مفتاحه ..
راقبت مغادرته يصحبه ضجيجه المرح مما ذكرها بعمر ، إلى هذا الحد يتشابه البشر ! أم أن السلوك الإنساني يفرض ردات فعل معينة و هذا ما يولد الألفة ؟!

أبعدت أفكارها بينما تنفذ وصاياه و تغلق الباب ثم عادت أدراجها للبهو المتسع ..
جالت عيونها بشكل سريع فأعجبها طريقة تنسيق الموجودات بشكل ترك مساحات فارغة تتيح حرية الحركة مع النوافذ الفرنسة الطويلة التي وفرت إضاءة كافية و منظر أمامي للحديقة ..
تقدمت للداخل حيث هناك ثلاث أرائك وثيرة قماشها باللون العاجي يشكلون مربع ناقص ضلع و هذا تشغله شاشة بلازما متوسطة الحجم ..
تناثرت وحدات إضاءة ناعمة في الأركان بأناقة و لم يفتها المزهريات الكرستالية الموزعة هنا و هناك ، بشكل عام هذا المراد يمتلك ذوقا يروق لها وجدت عقلها يهتف مطالبا بمعرفة كيف يبدو شكله ؟ فدارت عيونها باحثة ، لا بد أن هناك صورة له في الأنحاء ....
أخذت تقلب بأرفف المكتبة الخشبية المتعددة الأفرع فوجدت عدة صور مؤطرة ، واحدة لسيدة جميلة مع رجل وقور يبدوان كوالديه ربما ، و هناك أخرى لفتاة لطيفة تحمل ملامح بريئة ، أما الثالثة فكانت لوجه امرأة رائعة الجمال

لكنها لم تحبها دون أن تعرف لذلك سببا ! قد تكون نظرتها لا تبعث على الراحة فهي خبيرة في تعبيرات الأوجه و الملامح بحكم إجادتها تسجيل انطباعات البشر على اللوحات ..

الأخيرة كانت لشاب يبدو .... اممم لا تعرف وسيم لكن ملامحه تحمل غموضا ما ، لا ريب انه هو ..

تأملته بعمق كان حليق الوجه ، قصير الشعر بشكل مبالغ فيه ، عيونه ليست ظاهره بسبب انعكاس الشمس التي حجبت نظرته ، لديه بشرة تميل للبياض مع ملامح حادة استفزت أناملها لتقوم بتجسيدها فوق إحدى اللوحات ..

ربما صالح محق ، انطباعها الأولى عن صاحب هذه الصورة انه يحمل داخله رقة و حنان و ربما الكثير من الرومانسية أيضا ..

نهرها عقلها عند هذه النقطة ، أي رومانسية حمقاء في مجال عمله أيتها المغفلة !!

حركت كتفيها بينما تعيدها إلى مكانها ترد على تأنيب عقلها : ما ذنبي هذا ما شعرت به ، على كل حال ربما لا تكون الصورة تخصه من الأصل ..

لكن نفسها هدأت بشكل عجيب كأن مجرد رؤيتها أشعرها باطمئنان كانت بحاجة إليه ..

لقد مرت بالكثير الأيام الماضية و هذا الصباح بالذات لذا شعرت بحاجتها للراحة و تبديل ملابسها ، اجل لما لا ؟ أليست في منزلها الآن ؟ لقد ذكر صالح هذا بوضوح و هي تثق به ، أوه إنها لا تطيق صبرا حتى تنتهي هذه المهمة بسريتها و غموضها لتستطيع أن تقص كل ما حدث معها على الفتيات و تخبرهم عن أصدقائها الجدد ، ستفعل دون شك عندما يحين الوقت المناسب ..

صعدت الدرج الرخامي متأملة كل ركن تمر به حتى وصلت الرواق المؤدي للغرف ،

فتحت باب الأقرب إليها لكنها أدركت منذ النظرة الأولى للأغراض الرجولية الواضحة إنها غرفته فأغلقته على الفور كأنها ارتكبت جرم انتهاك خصوصيته ..

اتجهت للتالية لتجد حقيبتها في استقبالها فوق سجادة تركية ذات تصميم رائع لغزالتين متعانقتين ، أعجبها تداخل ألوانها الصاخبة ، الأسود مع الأخضر و البرتقالي لكن ما أن رفعت عيونها حتى جعدت انفها هاتفة بحنق :

- أوه لا ، كيف يضعون هذا اللون للجدران !! يا الله إنها بشعة و لا تليق بالمفروشات التي نالت إعجابها لكن الطلاء رهيب ، سلخت عيونها عنه بصعوبة دون أن تفارقها تقطيبة جبينها المستاء ..

استكشفت الأثاث دون أن تجد ما يعيبه لحسن الحظ ثم رفعت حقيبتها أعلى الفراش المنتفخ بشكل يغري على الاندساس فيه و نيل قسط وافر من النوم ، لكنها أرجأت ذلك حتى تنتهي من الأهم ، دش ساخن يعيد إليها نشاطها ..

أخرجت بعضا من أغراضها و اتجهت إلى الحمام الملحق الذي وجدته بسهولة ....

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

مره أخرى أضاء هاتف سلاف بذلك الرقم الغريب ! لقد كانت في طريقها للاطمئنان على أماني المعتكفة داخل غرفة شقيقتها رافضة الخروج منها ..

ذكرها ذلك بموقف سابق لا تحبه لكن مع ذلك قبلت الاتصال هاتفة بفظاظة لم تعتادها من قبل

- نعم ، من تريد ؟!

سمعت على الطرف الآخر صوت أنثوي يردد بارتباك :

- سُلاف ! المعذرة يبدو إنني اتصلت في وقت غير مناسب ..

قطبت حاجبيها بحيرة و عادت لتهذيبها الطبيعي قائلة :

- عفوا لم اقصد ، لكن من تكوني ؟!

تابعت الأخرى قائلة بنفس الاستكانة :

- أنا رانيا زميلتك في الكلية ..

زاد تعجبها وحنقها هاتفة داخلها : يا الله كأن رقمي أصبح مشاع يعرفه الجميع ، هل يضعونه على لوحات الحائط ضمن جداول المحاضرات و أنا لا اعلم !!

- مرحبا رانيا ، لم اعرف صوتك لأننا لم نتحدث من قبل ، هل هناك شيء ؟

- اجل فكما تعلمين أنا متغيبة عن الكلية منذ بضعة أيام و قد فاتني العديد من المحاضرات و الاختبارات تدق الأبواب أم لعلك لم تلاحظي غيابي !

قلبت شفتيها بدهشة فهي لم تنتبه لذلك بالفعل لكنها تداركت الأمر قائلة :

- لعله خير رانيا ، لا مشكله نلتقي غدا في الكلية و سأجلب معي كل شيء لتنسخي ما ترغبين منهم ..

رددت الأخرى بلهفة :

- لالا أنت لم تفهميني ، لقد وقع لي حادث و أصيبت قدمي و قد أمر الطبيب بالراحة التامة حتى تشفى سريعا بحلول موعد الاختبارات ، لذا لن استطيع لقاءك هناك ، كنت آمل أن تجلبيهم إليّ في منزلي الليلة ، رجاء فيفي حتى أتمكن من اللحاق بكم و لا أتأخر أكثر ..

فاجأها طلبها فهي لم تكن مقربة منها يوما و قالت بحيرة :

- لا بأس عليك ، أتمنى لك الشفاء العاجل ، اسمعي لدي اقتراح جيد سأعد لك نسخة كاملة لكافة محاضرات الأسبوع الماضي و أسلمهم غدا لأيا من صديقاتك و هي توصلهم إليكِ .....

قاطعتها الأخرى قائلة بإلحاح :

- لكني أريد قراءتهم بأسرع وقت حتى يتسنى لي السؤال عن ما لا افهمه ، و صديقاتي قد يهملن الأمر مع احتمال عدم ذهابهن للكلية من الأساس و هكذا يضيع الوقت دون طائل ، أرجوك فيفي لن أؤخرك أبدا كما أن العنوان ليس بعيد

سحبت نفس حانق كأن ينقصها تلك المدللة !

منذ متى اهتمت بالمحاضرات أو الدراسة حتى !! إنها تأتي للجامعة و مع ذلك لا تحضرها فما الذي جد الآن ! أبعدت تلك الأفكار التي لن تفيد قائلة رغما عنها :

- حسنا رانيا أعطني العنوان و سوف اجلبهم ، اجعلي احدهم ينتظرني عند الباب لأني لن ادخل ، اتفقنا ؟

وصلها الصوت السعيد هاتفا :

- اجل اجل ، لن انس معروفك أبدا فيفي ..

دونت العنوان الذي أملتها إياه ثم أنهت الاتصال عابسة ، إن ما يحدث لا يروق لها أبدا ، تبا ....

❖❖❖

تكورت أماني على نفسها بشكل بائس بينما مآقيها الرطبة لا تكف عن إدرار المزيد ،

لقد تورمت جفونها و احتقنت عيونها كما التصقت أهدابها ببعضها في مجموعات متفرقة ناهيك عن انتفاخ وجهها و احمرار انفها باختصار كانت تبدو بشعة و تشعر بالإجهاد و التعب ، عيونها تحرقها و كذلك قلبها المكلوم ..

لقد أنهت لتوها اتصال مع الخالة أحلام اطمأنت فيه على والدها ، على الأقل هو بخير و هذا يكفيها ، لقد آلمها للغاية و حطم آمالها لكنها لن تحتمل أن يصيبه مكروه ، أما ادهم فلم تستطع محادثته رغم إلحاحه المتكرر ..

لا تريد الشعور بغصة العذاب في صوته أو تستشعر غضبه من أبيها ، صعب عليها أن تشهد ألمه بها من جديد ، أن تكون هي مصدر تعاسته يقتلها و يوأد روحها ..

لا بد انه مستاء من والدها و من يلومه لكنها لن تتحمل ذلك فكليهما توأم روحها و كل حواسها تئن لأجلهما معا ، يا الهي ماذا تفعل و هي عالقة بينهما بينما الظروف تشكل عائق ثانية ؟ أي عذاب يمزق قلبها !

لا بد أن هناك مخرج من ذلك النفق ، لكن كيف ؟ ستجن حتمنا من تكرار هذا السؤال دون أن تجد جوابا شافيا ..

واسني بعينيكَ في لحظة أهرب بها .. مني !
أعرف أنّي أعزُ عليك .. يا حبيباً فارقني
فأزح بحق خالق المعزة حارق الجمر عن صدري !
نَفسي يا حبيبي ..
نَفسيـــ يا حبيبي تتنفسُ موتاً لا مفر منه !
تشهقُ غداً اجرداً من وصال محبتنا
من بلسم التقاء أعيننا
مهما تسولنا أنا و أنتَ من يد الأيام .. اللقاء !
و مهما أرقنا خالص الدمع على أبواب الرجاء !
فحتى لو اشترينا ألف ثوبٍ من الأماني ..
جسد واقعنا عاري .. من دفء الأحلام ؟!
ساعدني ...!
يا من لا أملك عونك أعني
بحلم تزورني فيه !
تكتم نعيق الفقد و تضع لقمة نسيانٍ في فيـه !
فأنا أشتهي شهيقاً صافحه طيب أنفاسك
أتوق لعناق سمعي و طيف كلامك !
مرهـــقةٌ أنـــا بعدك ...
يا قهوة صباحي الحلوة !
متـــعبةٌ أنـــا من دونك
يا غفوتي من الأحزان !!

قتيلةُ قدرنا أنا !
و أظافري تخضبت رملاً أسوداً
من حفر لحد صبري !
فكل صباح .. أكافح الحنين
و أئدُ حب السنين تحت صخرة يومي
و حينما نُمسي تُمسي
برعماً عنيداً يشق الصخر
و يصرخ
أنتَ حاضري
أنتَ غدي ... أنتَ أمسي
تشنقني الصدفة على الطرقات
المح خدك الأسمر ناحلاً تحت شاحب النظرات !
أقَبِلُ رغماً عني
و عن عزمي
و عزة نفسي
تقطيبة جبينك
و عبوسك الناطق بالكبرياء ..
أهـــواك
كم أهـــواك !
آهٍ من هواك و حروفه المتكسرة في حنجرتي
أهرب بعشقي المخضرم قبل أن تراني
أخاف عليك ذبحة الشوق و مفضوح شقائي !
لذا ابتعد عنك !
و أتوارى منك !
و أهرب على مضضٍ من حيزك الذي يحيل
الآمي .. سُكرا
و يحيل جدب فرحتي ومرّ أيامي .. ورداً و سُكَرا !
أوان (وردة دجلة)

❖❖❖

وصلها صوت طرقات سُلاف فهي تعرفها بنغمتها المميزة ، بعدها اطل وجه الفتاة البهي ناقلا ابتسامتها الوضاءة قبل أن تخطو إليها قائلة :
- كيف تشعرين الآن مانو ! لا ريب أن الصداع يطرق رأسك بمطارق فولاذية فوجهك يشبه اليقطينة الناضجة ..!
رفعت إليها عيونها الذابلة بلا تعليق فقد غادرتها الرغبة في الحديث أو التواصل بكل أنواعه ..
اندست داخل الفراش بجوارها قائلة بمرح :
- أمي تعد لك ما لذ و طاب بالأسفل كما أني تركتها تحضر قدحا خاص من الأعشاب المجهولة المصدر أظنه لأجلك لذا هرعت اسبقها حتى أحذرك لتتمكني من الهرب ..

ظهرت ابتسامة ضعيفة محتلة شفتيها اليابستين على استحياء ، من ذا الذي يستطيع مقاومة الإعصار السُلافي الشديد البهجة ، كم تحبها ! تلك الفتاة تُعد هبة للبشرية ..

لكزتها في كتفها قائلة بمكر :

- اجعلي هذه الابتسامة تتسع أكثر و سأخبرك بما يجعلك تقفزين فرحا ..

التفتت إليها باستفهام صامت فتابعت جذلة :

- امممم رغم انك لم تحققي الشرط لكني سأرفق بعينيك الأشبه بعيني ملاكم خرج لتوه من الحلبة بعد مباراة حافلة .. ادهم سيحضر هذا المساء لمقابلة أبي بناء على استدعاء منه شخصيا ، و تعرفي عندما يتدخل السيد رضوان ماذا يعني ذلك ؟

اتسعت عيونها و قفزت طاردة الاستكانة لتستقر فوق ركبتيها هاتفة :

- هل هذا صحيح ؟ تحدثي على الفور ..

أومأت الفتاة بتأكيد هاتفة بانطلاق :

- و هل امزح في الشؤون العليا ! لكن لا أنصحك بالظهور فادهم لو رآك الآن سيركض إلى عمي و يقبل يديه مطالبا بتأكيد الرفض ..

قذفتها بالوسادة التي تشبعت بدموعها إلى حد البلل هاتفة :

- سخيـــفة ..

تلقفتها الأخرى بينما تحرك حاجبيها قائلة بعبث :

- أتعشم أن ما اغرق الوسادة هي الدموع فقط و إلا ستقتلك جيجي دون تردد فهي المفضلة لديها ..

ثم استدركت بجدية :

- كما أني لا امزح ، لن أتركك تغادري الغرفة بهذا الشكل المريع ، هيا إلى الحمام و لا تخرجي منه إلا في حالة واحدة ..

التفتت إليها أماني متسائلة :

- و ما هي ؟!!

فردت كفيها قائلة ببساطة :

- أن تنظري في المرآة و لا تصابي بالفزع ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

أنهى مراد كل شيء بدقة و كفاءة كما يجب أن يكون و عاد إلى منزله أخيرا ..

اتكأ على المقود شاملا إياه بنظرة ، إنها في الداخل الآن و ها هو يتسلم مهمته رسميا منذ اللحظة إلى ما شاء الله أن يقدر له ..

زفر أنفاسا قوية مستحضرا هدوءا يراوغه ، حسنا مراد أنت لها يا رجل ، هيا قم بعملك ..

ادخل السيارة في مكانها المخصص ثم شد قامته و دلف من الباب متوكلا على الله ، لقد علم بمغادرة صالح بالطبع لكن من يحتاجه ..!

رفع حاجبه مستطلعا المكان ، ما هذا الهدوء ؟ أين هي ؟! ثم ما لبث أن خبط رأسه بنزق ، أين عقلك يا أحمق ! لا ريب أنها في غرفتها ترتعد باكية بانتظار وصولي لأملي عليها ما يجب فعله ....

بالأعلى تمهل أمام غرفتها لوهلة آملا أن لا يخيفها فهو لا يجيد القيام بدور جليسة الأطفال طرقة صغيرة على الباب ثم اطل برأسه ، ليس هناك صراخ .. إنها بادرة جيدة ليتم دخوله إلى الغرفة التي بدت أنثوية مع أغراضها الظاهرة و قد أحاطته غيمة عطر أنعش حواسه رغما عنه ، فنفض رأسه كأنه يبعد الأريج الذي احتله و انتهى الأمر ، حسنا ماذا فيها ؟ عطرها محبب للنفس ، أي شيء يثبته ذلك !

السؤال الأهم الآن هو أين هي ؟!

هل هو مضطر للبحث أسفل الفراش أم داخل خزانة الملابس !!

ابتسم لتصوراته الصبيانية لكن صوت انهمار المياه اعلمه يقينا عن مكان وجودها و بدل أن يبعده ذلك تقدم بجرأة و دفع باب الحمام بحرص مستطلعا بعين خبيرة ثم و لغرابة الأمر ، تقدم إلى الداخل !!

جال ببصره في محيط الغرفة الصغيرة الفارغة فلم يجد ما يثير انتباهه ، هكذا هو مراد لا يترك شيئا للصدف و يحب أن يسيطر على كل الجوانب في قبضة يده ، استدار إلى كابينة الاستحمام الزجاجية المغلفة بالبخار الكثيف مما شكل ستارا يحجب رؤية من بداخلها فلم يظهر إلا خيال متحرك غير محدد المعالم ، فغمغم باستخفاف بينما يتحرك عائدا للغرفة :

- كأني اكترث بالرؤية من الأساس ! سأكون ممتنا لو ظللت خلف الستار ..

فتش أغراضها بدقة قبل أن يستولي على هاتفها و الحاسوب ثم يغادر بنفس الهدوء الذي دخل به .

❖❖❖

أنهت حمامها المنعش على مضض فقد كانت مستمتعة أسفل الرذاذ الحار لكن لا بأس يكفي ذلك القدر الآن ..

عصرت شعرها ثم تناولت مئزرها و ارتدته ليلفها بشكل كامل ، ما أن فتحت الباب الزجاجي حتى صفعتها رائحة غريبة في الأجواء ! جعدت انفها متسائلة :

- ما هذا العطر ؟! انه ليس الصابون بالتأكيد ..

استنشقت عميقا ، يبدو عطرا لاذعا مزيج من زهرة الليمون و نسيم البحر ساعة الفجر ، لكن كيف جاء إلى هنا ؟!

تلفتت حولها دون فائدة ، ليس هناك شيء مريب ، كل أغراضها في أماكنها كما وضعتها ، لا يهم ربما مزيج المستحضرات التي استخدمتها صنعها عندما اختلط بالهواء على كل حال لن ترهق تفكيرها بالأمر أكثر ..

جففت شعرها الذي قصرت بعضا من طوله مؤخرا إمعانا في التمويه ثم فرشته مرارا فبدا لامعا ، نظيف ، يتألق صحة ثم عقصته كذيل فرس كما تحب تاركة غرتها الطويلة حرة تربت على جانب وجهها بحنان ..

وضعت الكريم المرطب بعطرها المفضل على وجهها و يديها ثم ختمت برشة من العطر ذاته عزز أريجها و جعله يفوح من بشرتها بشكل أخاذ

اختارت ملابس مريحة تؤمن لها الدفء ، كنزة بيضاء بقبة منخفضة تميل ناحية اليمين و تظهر أعلى كتفها دون مبالغة و لكن بأنوثة طاغية ، إنها من اختيار شقيقتها المولعة بالأناقة و كل ما هو أنثوي مع سروال قماشي اسود حدد ساقيها برشاقة عفوية ثم انتعلت حذاء قماشي خفيف و هكذا أصبحت جاهزة ، ستهبط للأسفل تكمل جولتها الاستكشافية و تنتظره ....

❖❖❖

استشعر تغير الذبذبات حوله على الفور و بدا الهواء مشحونا بطاقة كهربائية غريبة فحرك رأسه باتجاه الدرج ليرى تلك القامة الهيفاء تهبط بخطوات ملكية تشع رقة و كبرياء موشى بسحر لم يعرف مصدره !

نهض عن الأريكة كالملسوع و عيونه المتسعة تعكس انبهاره بما يراه و يرفضه عقله لكن حركته المفاجأة لفتت انتباهها و جعلتها تستدير مجفلة ثم تصرخ فزعة :

- مـن أنـــت !!

أخرجه هتافها المستنكر من السُخف الذي الم به ليردد بعربية دغدغت مشاعرها بتلك اللهجة الشامية المميزة :

- أنا صاحب المنزل و المدعو زوجك على ما اعتقد . كان صدرها لا يزال يرتفع و ينخفض بصخب ، لقد أرعبها بحق و ظنت لوهلة انه احد هؤلاء المجرمين الذين يستهدفون قتلها ، لكن مهلا كيف يكون هو ؟! و مـــاذا ! هل تحدث العربية ؟!!

أجلت حنجرتها مستحضرة صوتها الهارب و ليتها ما فعلت لان مداعبة أوتارها الصوتية لأذنيه أردت به صريعا عندما قالت ببطء :

- لقد أرعبتني فأنت لا تبدو مثله ! كما لم يخبرني أحدهم انك تتحدث العربية !!

وضع كفيه فوق خصره قائلا :

- أنا نصف عربي ، والدتي سورية (ثم قطب حاجبيه عائدا لنصف عبارتها الأول مستفسرا بدهشة) مهلا مثـل من ؟!!

أشارت بيدها ناحية الأرفف قائلة بتنمر :

- ذلك الذي في الصورة ، أنت شعرك طويل و لديك لحية كما لا تبدو لطيفا على الإطلاق .. هل تحدثه بتلك اللهجة حقا ! ما الذي يحدث ؟ لا ريب أن هناك خطأ ما ..

جالت عيونه عليها بتفحص وقح غير معتاد منه بينما عقله يصرخ : من هذه ؟ لا يمكن أن تكون هي المقصودة أبـدا ! ذلك التشوش الذي أصابه نتيجة اختلاف تصوره عن ما يراه أمامه جعله ينطق بأغبى عبارة قد تصدر منه يوما :

- أنت في منزلي و لم تعرفي عن نفسك حتى الآن!

رفعت كفيها إلى خصرها النحيف بالمثل قائلة بسخرية :

- مرحى ، هل أنت معتاد على تجول الفتيات داخل منزلك شرط التعريف عن أنفسهن !

وضع كفه فوق رأسه بإعياء و قد عاد عقله للعمل بشكل سوي أخيرا بعد ما أظهره كأحمق بجدارة مع مرتبة الشرف الأولى فهتف مصعوقا و كان الأجدر به الاحتفاظ بهتافه العبقري لنفسه :

- أنت هي تلك الفتاة التي .....

أشارت بإصبعها تقاطعه بصرامة جعلت بقية الأبراج تطير من رأسه :

- لا تتحدث عني بهذه الطريقة يا هذا ، اسمي هو جيّدا و حذار أن تستخف بي أو تسخر مني ثانية ، إن كنت كاره لوضعنا السخيف قدرا فانا اكرهه أضعاف ..

لا لا لا هذا لا يحدث له في الواقع ، انه نائم و يحلم ! سيقتل صالح عندما يراه ، لقد تركه مع عاصفة اجتاحت منزله و تتصرف كأنها صاحبة الحق فيه !! عاد صوتها يلسعه ببحته الشجية من جديد :

- لنعد من البداية ، هل تلك الصورة لأخيك ؟!

نفض رأسه قائلا بجمود :

- بل هي لي منذ أعوام خلت عندما كنت اخدم في الجيش

أومأت بادراك قائلة ببساطة بينما تجول في المكان بحرية فجرت المزيد من دهشته :

- اممم فهمت ، لهذا بدا شعرك قصير و وجهك حليق ، لكنك الآن مختلف لم أعرفك ..

انتابتها حالة غريبة جعلتها تثرثر كالحمقاء لتشتت انتباهه عن تأثرها الجلي ، لم تتخيله هكذا أبدا ، يا الهي من بين كل البشر يكون زوجها الغير مرغوب به بهذه الجاذبية المهلكة و عيونه تبرق شررا رفضا لها ناهيك عن كونه عملاق يتعدى الـ ١٩٠ سم طولا و الأدهى لهجته العربية ..

يا لحظها الكبير لقد حصلت على المسلسل التركي و الدبلجة في عرض واحد ، سأقتلك يا سُلاف لا محالة ..

نهره عقله بحدة : ماذا دهاك مراد ؟ الم ترى فتاة جميلة في حياتك التعسة ! ماذا عن نازلي و غيرها ! أفق لنفسك و كف عن الحماقة ..

فرد مدافعا : انه ليس افتتان لقد تفاجأ فحسب لأنها خالفت توقعاته التي لا يعرف من أين

جاء بها أساسا ؟! يا للغباء أي هراء دفعه لتكوين تلك الافتراضات و التلفظ بها ؟! لقد دفعته الصدمة للهذيان و لا شك ! انه حتى لم يكترث بالنظر لصورتها المرفقة بالأوراق و لو على سبيل الفضول ..

داعب طيفها خياله من جديد ، جسد منحوت بأناقة ، نحيف برشاقة ليست تلك النحافة التي تشبه العصا بل قوامها مغري بطراوته و ليونته المميزة بمنحنيات أنثوية مناسبة جدا ، بل أكثر من مناسبة في الواقع إنها تشكل خطرا ، حسنا هذا يكفي سيريها الآن من المتحكم في زمام الأمور ، التفت يحدثها فلم يجدها حوله ! أين ذهبت ؟!!! لحق بها على عتبة المطبخ الفسيح بينما تتعرف على محتوياته باهتمام غير مبالية به ..

- هاي أنتِ ، لا تتحركي قبل أن انهي حديثي مجددا ، هناك العديد من القواعد عليك فهمها لنستطيع التعايش معا ..

تركت الإناء من يدها و جابهته بقوة مضحكة نظرا لقامتها الضئيلة مقابل طوله الفارع قائلة بثبات :

- اجل أنت محق لهذا استمع إليّ جيدا ،

هل تدخن ؟ تشرب ؟ أو .....

قاطعها و قد استنفرت أوردته و برزت بشكل سيء هاتفا :

- ماذا تظني نفسك لتقومي باستجوابي داخل بيتي !!

لم تمهله ليكمل و تابعت قولها باستفزاز مشيرة بيدها :

- زوجتك المؤقتة بالطبع و بما إنني باقية هنا معك فهو منزلي أيضا ولن اسمح بوجود شيء غير أخلاقي به كما أني اكره الرجل المدخن فإذا كنت هكذا اقلع عنه ..

أما لو كان لديك علاقات نسائية فعليك تأجيلها لأني لا أحب أن أبدو مغفلة أمام نفسي في المقام الأول هل هذا واضح ؟ إنها قواعدي (ثم استدركت مشيرة) آه كما عليك الاستئذان قبل دخول غرفتي بالطبع ، ما فعلته اليوم لا يتكرر .. و الآن أنا متعبه سأرتاح قليلا في الاعلى ، لا أريد شيئا حاليا ..

هدر الدم داخل أوردته بشكل يهدد بإصابته بارتفاع قاتل في الضغط و قد اتسعت عينيه بذهول يحدق في ذلك الكائن الفضائي العجيب

الذي احتل منزله ! ليس هذا فقط بل يفرض شروطه عليه هو مراد الذي يهتز أمامه أقوى الرجال ! يا للمهزلة ..

غمغم من بين أسنانه كابتا غيظه بقدرة رهيبة حتى لا يهدم المكان فوق رأسها :

- لا اصدق انك تحدثيني أنا بهذه الطريقة ؟!

استدارت قائلة بعنفوان تجيده عن اللزوم فلم يربيها والدها عبثا :

- و لما لا ؟! أنت هنا لحمايتي بمعنى أوضح تعمل لدي و عليك الاستجابة لكل ما أطلبه ، أما لو كان لديك اعتراضات حاش لله فاخبرها لرئيسك و ليس لي ..

نسيت إخبارك عليك التعود على النوم باكرا لأني سأحب الاستيقاظ لأرسم الشروق من هذه الإطلالة الجديدة ..

ثم غادرت دون مبالاة بذلك المشتعل خلفها الذي تمتم بذهول قائلا :

- لله الأمر من قبل و من بعد ، لابد إنني اقترفت ذنبا في غاية السوء لتكون هذه المتنمرة في ثوب ملائكي زوجتي !

يا للسخرية لقد عشت حياتي أتشدق باني لن ارتبط سوى بفتاة رقيقة مفعمة بالأنوثة تتيه دلالا و جمال ، ترنو كالنسيم العليل و تشعرني برجولتي ، أجد نفسي مضطر لمشاركة السكن مع مشاكسة ضئيلة تأمرني بما يجب عليّ فعله !

هل أبدأ الصراخ الآن أم انتظر ؟!

ضغط فكيه طاحنا ضروسه بينما يخرج هاتفه الذي يكاد يتحطم داخل قبضته المتصلبة مجريا اتصال بصالح الذي أجابه بعد أول رنة كأنه ينتظره فزمجر هاتفا بقهر :

- أريدك أمامي في الحال ، يا الهي النجدة يا رجل إنها تقتلني ..!

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

وضع كامل ملف متخم بالأوراق أمام ادهم الشارد و يبدو في عالم آخر قائلا :

- هاك كل ما يخص المناقصة الجديدة ، عليك إنهاء الأمر اليوم ادهم نحن بحاجة للفوز بها فهي ستدعم المكتب أكثر لذا اترك الشرود و ركز في العمل يا صديق ، انه ليس وقته أو مكانه ..

رفع بصره إليه قائلا :

- أنت محق كامل سأحاول جهدي لا تقلق ..
جذب المقعد أمام المكتب و احتله قائلا بمودة :
- تعلم إنني اهتم لصالحك أليس كذلك ؟
أومأ الآخر بالإيجاب فتابع الحديث قائلا ببساطة :
- لا داعي للبؤس و كل ذلك التفكير يا رجل ، إذا كانت مقدرة لك ستكون رغم أي عائق ، الم تفكر في مغزى لقاءكما من جديد بعد سنوات من الفراق و الصلة المقطوعة تماما و مع ذلك كأنكما على موعد ..
زم ادهم حاجبيه الداكنين قائلا باستفسار :
- ماذا تقصد كامل ؟!
أشار بكفه شارحا :
- الأمر بسيط لو نظرت إليه من هذا الجانب لن تغضب أو تستاء ، لقد انتظرتها و هي أيضا دون إرادة أو قصد من أيكما إذا هو ترتيب قدري ينظمه رب العباد ، الجأ إليه ادهم و سيسوق لك الخير ، افعل يا صديقي دون تأخير ثم تقدم معتمدا على يقينك في الله ، عندها سترتاح ..
أشرق وجهه بأمل و تفاؤل زرعته فيه كلمات صديقه فردد بامتنان :

- شكرا كامل ، سأعمل بنصيحتك على الفور و أعدك أن تكون هذه المناقصة لنا ..
غمز الآخر قائلا بمرح :
- و أنا أعدك أن أستقيل من وظيفتي الحكومية و أتفرغ للمكتب عندها ..
أشار له بعلامة النصر مرددا :
- اتفقنا ، و ستكون لك نسبة من الأرباح تعويضا عن هذه الخطوة الجريئة ..
لوح له بالموافقة و غادر يتابع أعماله بينما فتح ادهم الملف و بدأ دراسة الأرقام ..
اطل عليه وجهها الناعم بملامحه التي تلهب قلبه و تستحوذ على كل حواسه فغمغم :
- المعذرة كامل ، سأعود للعمل سريعا ..
ونهض خالعا سترته ثم رفع كميه و فعل المثل مع ساقي سرواله و اتجه إلى غرفة الحمام حيث أسبغ الوضوء فأشعره ذلك بخروج الطاقة السلبية بشكل فعال ..
بعدها استقبل القِبلة و قام بأداء ركعتين بخشوع أهدى روحه السكينة المفقودة و ختم بالدعاء الذي تدفق حاملا كل ما يعتمل في صدره مفرغا همومه على أعتاب من لا يرد السائلين و يهب بغير حساب ..

بنهاية صلاته ارتفع عن الأرض بروح جديدة كعملاق يستطيع الوصول إلى عنان السماء ، لا حدود لقدراته و لا حواجز لأمانيه ..
سحب نفسا ادخله لصدره المشبع بالرضا ثم عاد خلف مكتبه ينكب على الملف يقلب أوراقه بحماس مسجلا ملاحظاته واضعا تقريره النهائي و الذي سيكون هو الفائز بالعملية بمشيئة الله ..
ناهيك عن شعور آخر يستعمر قلبه و يدفعه للتفاؤل باللقاء الذي يعد الساعات الفاصلة عنه و قد تأمل خيرا في استدعاء السيد رضوان الآن بعد أن وضع الأمر بين يدي خالقه و استقر اليقين مزيلا كل اثر للشك ..

لم يكد يسترجع نفسه من اثر مواجهتهم الكارثة حتى وجد إعصاره الثائر يركض هابطا الدرج بخطوات غزال بري جامح هاتفة بحنق عكسته ملامحها المعقودة :
- أين هاتفي و حاسوبي ؟!
استقام أمامها بطوله المهيب واضعا كفيه فوق خصره راميا التحدي بوضوح قائلا :
- أخذتهم بالطبع فأنت لن تستخدمي أي غرض كان لك و يسهل تتبعه ..
قبلت الراية الحمراء التي يلوّح بها بكل رحابة صدر متخذة الوضعية نفسها مع فارق أنها كانت مضطرة لرفع رأسها لمحادثته قائلة بعناد:
- لكن لماذا ؟ أنت تتعمد إزعاجي ! لقد قمت باستخدامهم من قبل دون اعتراض من أيهم هناك ..
لمعت عيونه بانتصار قبل أن يردد متشفيا بجهلها:
- لان هناك يستحيل تتبع أي إشارة نظرا لوجود أجهزة تشويش على أعلى تقنية ، أتمنى أن يعمل عقلك قبل أي تذمر طفولي مستقبلي ..
ضيقت عيونها رافضة زهوه بالنصر عليها هاتفة:
- لكنهم لا يعرفوني يا سيد معتد بنفسك ، فلما قد يفكر احدهم بتتبع اتصالاتي !!

قرب وجهه منها قائلا بغيظ من تهكمها :
- لأني لا اترك شيء للصدف أيتها المتنمرة الصارخة ذات القواعد ..
سقط في خضم من اللون الشهي الذي لم يميز حقيقته فكان يتأرجح بين العسلي و الأخضر بومضات شقية جريئة تبثها عيونها الكبيرة فعاد للخلف و تابع دون انفعال :
- احم سوف أعطيك غيرهما و منذ الآن عليك استخدام كل شيء جديد ، بريدك الالكتروني و جميع الحسابات و الأرقام ، أنت الآن شخصية مختلفة و يجب التصرف على هذا الأساس ، بإمكانك إخبار عائلتك أي حجة كتعرض نظامك للاختراق مثلا ..
سحبت أنفاسها هاتفة بحدة :
- لما لا تومض بالجهاز الماسح للذاكرة أمام وجهي و تنتهي !!
لمحت المكر في عيونه الناعسة ذات الأهداب السخية بينما رفع حاجبه قائلا :
- قد افعلها بكل سرور لو ظل لسانك يعمل بهذه الكفاءة حلوتي ، و عندها سأترك داخل عقلك فكرة واحدة تخبرك إنني القائد هنا ..

قبل أن تنطق بحرف أخرج بضعة مستندات من جيب معطفه السميك الملقى على طرف الأريكة بإهمال ثم مدهم إليها قائلا :
- هاك بطاقة هويتك الجديدة مع وثيقة الزواج ..
تناولتها و فتحت ذلك الدفتر الصغير الشبيه بجواز السفر فوقع بصرها على العديد من البيانات المتراصة ميزت من بينها اسمها يتبعه لقب صيغ بأحرف طويلة ، ثم عاينت الهوية لتجد نفس الشيء و كلاهما يحمل صورتها ..
رغم علمها بحتمية ما يحدث لكنها لم تملك منع ثورتها من التصاعد فقد وخزها قلبها عندما لم تجد لقب عائلتها و قد الصقوا بها اسم ذلك الفظ العديم اللياقة !
أشارت بهما أمام وجهه هاتفة بحنق :
- أهذا هو التحضر و المدنية التي تتشدقون بها طيلة الوقت بينما تنكرون على المرأة ابسط حقوقها التي يكفلها لها دينها بأن تحتفظ بكيانها و هويتها و لا تذوب في كيان آخر كأنها مجرد تابع دون شخصية أو عقل يفكر ، احمد الله انه أمر مؤقت بالنسبة لي و إلا لما قبلت ذلك أبدا ..
كانت تتحدث بإباء و كبرياء يعانق هامة

السماء ، خلبت لبه و هو يراها شامخة إلى هذا الحد و رغم ذلك تصرخ كل خلية فيها بلهيب أنوثتها الطاغية ! أي قوة تخزنها تلك الفاتنة الشرقية داخلها !!

لا يدري لما فكر في هذه اللحظة تحديدا بماهية شعور والده عندما رأى فتاته العربية للمرة الأولى !

ردد بثبات منحيا تأثره الغير مستساغ و لا مقبول

- نحن لا نفرض ذلك جيّدا الأمر اختياري و القانون صريح ، المرأة التي تفضل الاحتفاظ بلقب عائلتها بعد الزواج يسمح لها بذلك ..

مهلا هل ما سمعته الآن بتلك اللكنة التي دغدغت أسماعها هي أحرف اسمها المعتادة ؟! لما بدا كما لو تسمعه للمرة الأولى إذن ؟ لا بد أنها لهجته الشامية ذات الوقع المحبب على الأذن ، بالطبع و ما غير ذلك ؟!!

نفضت تلك الأفكار مستعيدة تركيزها على حديثه الأخير و على أثره أصدرت صوتا أشبه بضحكة ساخرة قبل أن تردد :

- يسمح لها ! تتحدث كما لو كان هبه تمنح و ليس حقا مشروعا ، مجرد تواجد هذا الأمر الغير منصف يعد اهانة لكل امرأة و تعديا على حقوقها ..

جابهها بقوة مرددا :

- و ما أدراكِ عن تلك المشاعر ؟ لما لا تكون بحالة حب يجعلها ترغب في الاندماج مع حبيبها لدرجة حمل لقبه و الانتماء إليه !

ردت بعنفوان جعلها أشبه بأميرة أمازونية تناضل لحفظ كرامة شعبها :

- تكون مغفلة عندها لان هناك فارق كبير بين الحب و الانتماء و الضعف مع ضياع الهوية ، تندمج به روحيا ، تذوب فيه معنويا ، تمنحه قلبها و جوارحها طواعية لكن يظل لها مرجعا و شخصية مستقلة هي حق لكل مخلوق لا يمكن انتزاعه طالما هو حيا يرزق ..

منحها نظرة مطولة قائلا بنبراته التي باتت تطرب أذنيها و توقظ حواسها :

- ماذا عن قوامة الرجل على امرأته ! أم لديك اعتراض على ذلك أيضا ؟

أشارت بكفيها قائلة ببساطة :

- بالعكس انه الأساس الصحيح للعلاقة الزوجية و لا يصح لأي طرف منهما أن يحل مكان الأخر ،

لكلاهما حقوق و عليه واجبات ، الرجل له مكانته و قوامته على أسرته و المرأة لها حقها في الاستقلال المادي و الفكري مراد ، إنها سنة الله في اعمار الكون ..

ما هذا الزلزال الذي ضربه عندما ترنمت بأحرف اسمه بتلك الاريحيه كأنها اعتاد على فعلها طيلة عمرها !

أي حماقة تسيطر عليه الآن ! اثبت أيها المراهق ما به اسمك ؟ ألا يلقى على مسامعك كل يوم منذ ولدت !

رد على هاجسه ساخرا : ها قد قلتها أيها المتفاخر يلقى عليّ كما يقذف الشيء لكن ليس كما غردت به شفتيها ! رغم حدتها في الحديث خرج كهمسة غزل تداعب حواسه ..

استعاد نبرة صوته المحايدة بمعجزة قائلا :

- حسنا لن نختلف لكن يبدو انه ستنشأ بيننا العديد من المناقشات المماثلة فهناك الكثير من الاختلافات بين بلدينا ..

ميلت رأسها و سألت بعفوية دون أن تفكر لما لا تشعر بالغربة أو التحفظ معه بينما لم تره قبل اليوم :

- نعم أظن ذلك ، لكنك لم تخبرني بالمناسبة إلى أيا من نصفيك تميل أكثر ؟

لم يتوقع سؤالها لكنه ابتسم لتتحول ملامحه للنقيض ، اختفت الصرامة مع الوريد النابض أعلى جبهته كعنوان للغضب و الاستفزاز ، أما عيناه فسكنهما دفء مسها من الداخل و قد أطلقت شرارات جاذبة تهدد بالخطر ، اجل بالضبط هذا هو الوصف الأمثل لذلك الرجل ، مشع بالخطورة في غضبه و هدوءه على حد السواء ، ترى كيف يكون عندما يتحول لمحبا عاشقا ! انتفضت مبعدة تلك الأفكار العجيبة بينما تسمع إجابته على سؤالها :

- أنا كليهما معا ، انتمي بوجودي المادي لنصفي التركي و اعتبره وطني أما انتمائي الفكري فيميل للنصف العربي و هذا بفضل تنشئة والدتي الصارمة فهي لم تتقبل انفصال أيا منهما عن الآخر ، أتعلمي أنت تذكريني بها ، تحمل نفس روحك المحاربة هل كل الشرقيات هكذا ؟

كعادتها نسيت الخلاف سريعا و اندثر خلف ابتسامتها المدمرة التي أضاءت ملامحها بهجوم أكثر ضراوة على العملاق أمامها قائلة :

- الم تسمع عن سحر الشرق من قبل ! نحن مزيج من الدفء و العذوبة مع الكثير الكثير من العزة و الإباء ، لدينا روح مقاتلة لا تعرف الاستسلام مع قلب حنون هفهاف يشع رقة و حالمية ، دعك من ذلك و أخبرني المزيد عنك فلا يعقل أن اظهر كحمقاء لا تعرف شيئا عن من يدعى زوجها ، الم يتعارض ازدواج جنسيتك مع انضمامك للجيش ثم موقعك الحالي ؟

أخذته كلماتها بعيدا كأنه دخل عالم خيالي تجوبه حوريات صعبة المنال لا يحظى بشرف الفوز بهن إلا فارس لا يهاب خوض الأهوال و اجتياز عقبات المجهول ..

عاد عقله ينهره و يزأر معنفا : ما بالك اليوم صرت مهووسا ؟! أفق لنفسك و عد لطبيعتك تبـا لك ..

وجدها تتطلع إليه بعيونها الساحرة منتظرة إجابته فردد :

- كلا ، أنا مواطن تركي أتمتع بكافة الحقوق و الواجبات و يحق لي الالتحاق بأي جهاز طالما سيرتي الذاتية تؤهلني لذلك ، كما أن أمي لديها الجنسية التركية أيضا ..

استمر تبادلهم للمعلومات الشخصية و العامة فترة لا بأس بها و قد مر الوقت دون أن يشعر كلاهما أو يرشق الآخر بعبارة حادة كما بدأ تعارفهما ..!

سرعان ما لفهما تآلف سريع كأنهما يعرفان بعضهما من قبل ، كانت الفتاة بها شيء يجذب الآخرين إليها بلا إرادة ، قبول رباني يجعلها اقرب للنفس دون عناء ، أما هو فمنحها شعور بالاطمئنان و الراحة بقربه كأنه بيت الأمان و الثقة بمحيطه فلم يعد لديها أي رهبة أو خوف مما يحدث ..

أعجبها ذلك و أرادت المتابعة و معرفة المزيد مستغلة فرصة تجاوبه معها لكن رنين جرس الباب قطع تواصلهم و أوقف سيل الحديث المنهمر منذ ساعات ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

دلفت أماني إلى غرفة سُلاف بعد أن عجزت عن البقاء هادئة كلما اقترب موعد وصول ادهم ، عقلها يدور بلا توقف حتى كادت تفقد صوابها و العديد من الأسئلة يحتل رأسها حول غياب عمها المتكرر بالأمس و طيلة اليوم دون أن يكون في عمله كالمعتاد !

هتفت بمجرد أن وقع بصرها على ابنة عمها قائلة :

- ما هـذا ؟ لما ترتدين ثيابك ؟ لا تخبريني انك ستخرجين ؟!

تابعت الفتاة تنظيم الأوراق المتناثرة فوق مكتبها مرددة بقهر :

- للأسف مضطرة للذهاب لإحدى زميلاتي لكني سأعود سريعا ..

اقتربت منها هاتفة بتوسل :

- لا لا ، أرجـوك فيفي لا تتركيني الآن ، أنا بحاجة لوجودك فأعصابي على وشك الانهيار ..

هرعت سُلاف إليها قائلة :

- اهدئي مانو كل الأمور ستحل بإذن الله ..

حركت رأسها مرددة بعيون حائرة :

- حسـنا لكن أريدك معي ..

رفعت حاجبيها و زفرت قائلة :
- أنا أساسا لا رغبة لي بالذهاب فهي ليست صديقتي و علاقتنا سطحية ..
ردت أماني ببساطة :
- اعتذري لها إذن و لا داعي لذهابك ، اخبريها أن لديك أمور عائلية طارئة ..
أعجبها ذلك و أبعد عنها الضيق الذي سكن قلبها منذ أبرمت ذلك الموعد فتناولت هاتفها بسرعة باسمة و أعادت الاتصال بذلك الرقم و انتظرت سماع صوت رانيا الذي وصلها بعد عدة رنات تسأل بحيرة :
- مرحبا فيفي ، هل وصلتِ أنا بانتظارك ..
أجلت حنجرتها قائلة بثبات :
- للأسف لن أتمكن من الحضور حسب الموعد لان لدي ظروف عائلية طارئة ، سأرسل لك الأوراق كما أخبرتك من قبل ..
دار عقل الفتاة غيظا ، لا يعقل أن يفسد الترتيب بهذه البساطة فادعت الخذلان قائلة بنبرات خافتة :
- لكن ... حسنا لا بأس ربما ليس مقدر لي النجاح هذا العام فكل الأحداث تعاندني ..

ردت سُلاف بتعاطف :
- لما هذا التشاؤم ؟ الأيام الباقية ستكفي للإلمام بكل شيء و سوف أرسل ما ينقصك ، أين المشكلة؟
ادعت المزيد من التأثر قائلة :
- لأنك لن تجدي آيا من صديقاتي في الكلية ، تعرفي أنهن لا يكترثن بالحضور ، الأمل الوحيد أن تجلبيهم إليّ بنفسك هل يمكن أن تفعلي في الغد طالما اليوم ليس متاح ؟
رفعت عيونها للسقف حنقا و أرادت التخلص من هذا الأمر بأي شكل فرددت باستسلام
- حسنا رانيا ، إلى الغد إذن ..
هتفت الأخرى بنبرة متهللة :
- أشكرك جدا فيفي ، سوف انتظرك بنفس الموعد ...
ثم أنهت الاتصال لتحرك سيارتها الرابضة في مكان قريب من المنزل المعني بشكل مستتر يتيح لها مراقبة وصولها و التقاط الصور التي تثبت حضورها للمكان بملأ إرادتها بينما تتناول هاتفها الآخر و تسارع بإبلاغه كل ما حدث و بالطبع الموعد الجديد ..
❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

بمجرد أن فتح مراد الباب حتى اندفعت نازلي للداخل محيطة عنقه بذراعيها ضاغطة نفسها على صدره هاتفة بغنج مثير :

- اشتقت إليك حبيبي ..

كان هجومها الخاطف مباغتا فلم يتمكن من تفاديه لكنها شعرت بكفيه تبعدانها عنه بحدة لم تظهر تأثرها بها ، المهم أن تترك التأثير الذي أرادته على تلك البلهاء التي تقف مقابلهم فاغرة فاها و عيونها ..

ثم تركت كليهما خلفها و تقدمت إلى داخل المنزل بألفة متخذة مجلسها فوق الأريكة الجانبية بأريحية زادتها عندما خلعت حذائها و رفعت قدميها بينما كفها ذو الأظافر المطلية بعناية فائقة يربت إلى جوارها قائلة بنفس النبرة :

- ألن تجلس حبيبي ، أوه يبدو انك لم تخبرها بعد ، الم نتفق على ذلك ؟!

نهرها بعيونه أن تكف عن ما تحاول فعله لكن تقديرا لمشاعرها المهتاجة لم يتلفظ بما يجرحها أكثر ، لكن الرد جاء من اتجاه آخر عندما تقدمت جيّدا بما يليق بصاحبة المنزل و قد

فهمت أن تلك الفتاة صاحبة الصورة التي لم تحبها هذا الصباح توجه الرسالة إليها حيث تحدثت بالانجليزية ، أي أنها تعرف عنها ، إلى أي حد لا تعلم لكنها لم و لن تتراجع أبدا عن المواجهة و إذا أرادت الدُمية الملونة الحرب فستحصل عليها

رسمت على وجهها بشاشة مفتعلة اخفت خلفها رغبتها المتأججة في جذب شعرها المصفف بشكل مبالغ فيه قائلة :

- أهلا بك ، لقد اعتدنا في بلادي على الترحيب بالضيف و إشعاره انه في منزله مهما بلغت قلة مراعاته أو جهله بقواعد اللياقة ، في النهاية يظل له حقوق نحترمها ..

كما لو صعقها تيار كهربائي عالي الجهد انتفضت نازلي و هبت عن مكانها صارخة :

- كيف تجرئي على اهانتي أيتها السارقة الدخيلة ! اعلمي إنني امتلك الحق في المكان و صاحبه بصفتي خطيبته و زوجته المستقبلية ..

رفعت جيّدا حاجبيها قائلة باستخفاف :

- هل عليّ التصفيق الآن أم لديك هتاف متبقي ، الست احد المرشحات للانتخابات أو ما شابه ؟!!

لمعت عيونها بشراسة مخيفة قبل أن تردد باستنكار بالغ :

- مـراد !! هل ستظل صامت و تترك تلك النكرة تسخر مني !

لم تعرها اهتماما و أقدمت على ما أشعل جنونها أكثر عندما تناولت كفه و سحبته خلفها باتجاه المطبخ قائلة ببساطة أدهشتها هي نفسها لقدرتها على فعلها بأول أيام تعارفهما :

- مراد ، أريدك في أمر هام ، وحدنـــا ..

لا ريب أن ذلك اليوم لن ينتهي إلا و هو نزيل بأحد مكانين لا ثالث لهما السجن أو مستشفى الأمراض العقلية و هي الأرجح ..

حتى الآن لم يتدخل لفض النزاع الذي شب بضراوة أمام عينيه بل الأدهى أن ساقيه تتحركان طواعية مع محاربته الشرقية النافثة للهب بينما كفها الناعم الصغير يقبض بتملك على خاصته كأنها تحذره من الاعتراض !

وقفت في مواجهته أمام طاولة المطبخ تشير بيدها الغضة باتهام تشبعت به نبرات صوتها هاتفة من بين أسنانها :

- لم نكد نتم اليوم الأول كزوجين و جلبت فتاة

وقحة لمنزلي ! ماذا ستفعل بعد مرور الذكرى الأسبوعية التعسة ..

فاض به الكيل ، لقد تحمل اليوم بما يفوق قدراته لسنوات و سنوات ، قفز حاجبيه إلى الأعلى بشكل مضحك و زمجر طاحنا فكيه بخطورة :

- منزلك ! منـــزلك ؟!! يا الهي ألهمني المزيد من الصبر حتى لا افقد صوابي و أدق عنقها ..

تابعت دون مبالاة و بنبرة اشد حدة :

- اجل منزلي طالما أنا باقية فيه و احمل اسمك أم لعلك نسيت ، أخرجها منه حالا أو سأفعل بطريقتي و عندها سترى جانبا آخر من سحر الشرق لن يعجبك أبدا ثق بي ..

دار بأرجاء المكان واضعا كفيه فوق رأسه هاتفا بكل ذرة سيطرة يمتلكها :

- يكفـي ، لقد تحملت منك ما فيه الكفاية ليوم واحد ، أغلقي فمك و أعطي لسانك فترة راحة لأجل الله ..

هدرت رافضة بشراسة :

- اها و اتركها تتبجح أمامي ! لا يا سيد أنا لست تلك الخانعة المتخاذلة و الذي يجري بشراييني دماء حارة و ليست جليد ،

اقسم لو أساءت إليّ آيا من صديقاتك سأقتلع عينيها دون اكتراث و ستكون أنت المسئول لأني أخبرتك أن تبعدهم عن هنا حتى أغـادر ..

لمعت عيونه بالغضب هاتفا بدوره :

- لقد حان الوقت لتعريفي قواعدي أنت أيضا لأني تهاونت كثيرا ، أولا أنا رجل بشكل كافي لاحمي من تحمل اسمي حتى لو كان ذلك مؤقتا ، هذا لو حظيت بفرصة للتدخل بالطبـع ..

ثانيا لا امتلك صديقات و لست متعدد العلاقات ، إنها نـاز وحدها و كنا سنتزوج ..

فاجأته كما تفعل منذ التقاها عندما تحولت ملامحها العابسة و صدحت بضحكة رقراقة جعلت دمائه تهدر عاليا داخل أوردته و تنقله من حالة إلى حالة مغايرة ! تلك الفتاة تعد خطرا على البشرية جمعـاء ..

من بين ضحكاتها الرائعة غمغمت بمرح كبير :

- اسمها نـاز !! (ثم جعدت انفها استياء و تابعت) ماذا يعني ؟ لكن أتعلم يليق بها ، إنها فعلا تشبه النـــاز ..

حذرها من التلاعب قائلا :

- جيّـــدا ..

اتسعت عيونها ببراءة صعقته هاتفة خلف قناع الضحك :

- مـاذا فعلت ؟ أنت من ذكر اسمها !

اقترب منها عازما على تلقينها درسا حتى تكف عن السخرية لكن قاطعه دخول نازلي نافذة الصبر هاتفة بقهر من موقعهم المتقارب بشكل المريب :

- مـراد ! مـاذا يحدث هنـا ؟!

ثم تقدمت لتقف بينهم راغبة في تمزيق وجه تلك الوقحة المتباهية بأظافرها قائلة بقهر :

- الم تفهمي بعد معنى كلمة خطيبي ! هل اتهجئها لك لتدخل عقلك السميك ؟

تحرك سريعا واضعا حدا للمهزلة التي تدور في منزله و دور البطولة تتقاسمه زوجته مع خطيبته !

جذب نازلي خلفه قائلا :

- لن اسمح بالمزيد من الهزل هنا ، اصمتي ناز..

ثم توجه لجيّدا قائلا بالعربية :

- اتركينا وحدنا رجاء لأتفاهم معها ..

غلي الدم في عروقها لتخيلها شكل هذا التفاهم الذي سيقوم به لتهدئة تلك القطة الغاضبة فضربت قدمها في الأرض قائلة بعنـاد :

- أنا أقف في مطبخي ، أخرجها هي و يا حبذا من المنزل بأكمله ..

بإرادة فولاذية منع كفه من الإطباق على عنقها المرمري الطويل الذي يستفزه للفعل خاصة مع رفعها لرأسها رافضة التنازل فتابع قائلا بحزم :

- جيّـدا ، اعتقد أن مرافعتك عن حقوق المرأة قبل وقت سابق تفرض عليك تفهم مدى جرحها نتيجة ما يحدث ، في الحقيقة أنت سلبتها حبيبها و لو بشكل عارض و أجّلت إعلان ارتباطها ناهيك عن إحراجها أمام الآخرين ..

أحنقها صحة منطقه فقطبت حاجبيها قائلة :

- لكن لا ذنب لي في تلك القائمة المطولة من الاتهامات كما لم اسع لهذا الوضع السخيف ..!

أكمل بنبرة ثابتة :

- اعلم و لست اتهمك ، لكن اطلب بعض التفهم و الدعم ، نحن شريكين في المهمة و يفترض أن تساعديني بدلا من تحويل حياتي إلى جحيم وهذا تبرعين فيه منذ دخلتها عزيزتي ..

مطت شفتيها قائلة بطفولية :

- حسـنا لكن افهمها إنني لن اصمت إذا ما سخرت مني بهذه التصرفات التي تتعمد القيام

بها أمامي ، و هناك أمر آخر وضعي الحالي في حياتك التي أحولها لجحيم عليك احترامه و الحفاظ على شعوري بعدم التمادي معها ، انتظر حتى ننفصل ..

قفزت بسمته المحببة محتلة شفتيه رغما عنه ردا على قولها و تعبيرها الناطق بالعفوية قائلا برقة كهربت الأجواء :

- اتفقنا ، لك ذلك ، هيا تحركي و انتظرينا في الخارج ..

عند هذه اللحظة فرغ صبر نازلي التي راقبت ذلك التواصل الحميم بينهما و الذي فاق كل توقعاتها و أسوأ كوابيسها ، كيف ظنت أن فتاة قد تشارك رجل كمراد حياته و يمر الأمر دون عواقب ! فما بالها إذا كانت مثل هذه الكارثة المتمثلة أمام عينيها ! لن تنكر جمالها و حيويتها و تلك الهالة الغريبة التي تحيطها بينما تعجز عن فهمها ، إنها خطر ، بل خطرا بالغا في الواقع .

صرخت بعنف من خلف ظهره فقد نسياها كما يبدو :

- تحدثا بلغة افهمها ، تبا ..

رفعت جيّدا عيونها الخلابة إليه بنظرة عابثة ثم أشارت بكتفيها بما يعني أن لا شأن لها ، استدارت عائدة إلى الردهة الخارجية تاركة حديثا تركيا صاخب يندلع خلفها ..

من النبرات العالية للفتاة أيقنت أنها تتشاجر معه و هذا ناسبها فمع غضبها لن يحدث بينهما أي تقارب من النوع الذي لا تريده ..

ألقت نفسها على الأريكة معنفة أفكارها ، كيف تشعر بهذا التملك تجاه رجل تعرفت عليه للتو ! لكن هذا منطقي بما انه زوجها المفترض فكرامتها تأبى عليها المشاركة

اجل هو ذلك بالطبع فلم تفقد عقلها بعد حتى تغار على جلف مثله لديه زوجة و خطيبة في نفس الوقت !!

يا الهي هل خفت أصوات الشجار أم يخيل لها ؟! اهدئي جيّدا فما يحدث هناك لا علاقة لك به ، تعقلي يا فتاة ..

تسارعت أناملها بنقرات سريعة على مسند الأريكة بينما ساقها تتحرك بعصبية و عيونها معلقة تكاد تخترق الجدار الفاصل ..

لا ، لقد استغرقا وقتا طويلا فليذهب التعقل إلى الجحيم ، هبت من مكانها عازمة على استطلاع

ما يحدث بنفسها لكن أوقفها رؤيتهما عائدين باتجاهها فجلست من جديد ترقب خطوته القادمة ..

قادها برقة نحو تلك المتربصة بوضوح فعيونها كانت من الشفافية ليدرك ببساطة ما تفكر فيه ، لكن مهلا منذ متى أصبح يجيد فك طلاسم تلك اللجة المحيرة اللون ! يا الهي انه يغرق ، نحى تلك الدغدغة المصرة على النيل منه بعيدا و بادر بالحديث قائلا :

- احـم الآن سوف ننسى كل ما حدث و نبدأ من جديد ، جيّدا هذه ناز صديقة عزيزة للعائلة ، ناز هذه جيّدا زوجتي ..

هكذا سيكون التعامل بكل الأوقات و خاصة أمام الآخرين و لا مجال لإشهار الأسلحة من جديد .. نهضت الفتاة بعيون متقدة جذلا لمحاولته فرض السلام لكنها ستوقع المعاهدة بالطبع و لن تكون البادئة بخرقها على كل حال :

- مرحبا نـاز ، تسعدني زيارتك ، تفضلي بالجلوس لما لازلت واقفة ..!

للمرة الثانية لم تفته المشاغبة التي تتقافز بتلك الأحداق الساحرة فاكتفى بهذا القدر حقنا للدماء و أشار بكفه قائلا :

- للأسف نازلي مرتبطة بمواعيد هامة و لن تستطيع البقاء أكثر ، أليس كذلك عزيزتي؟

أومأت برأسها دون كلمة حتى لا تظهر هي المخطئة أمام تلك الخبيثة ذات العيون الماكرة بينما تتميز غيظا لاضطرارها تركها وحدها مع مراد ، لكن لو ظنت أنها تستسلم فعليها إعادة حساباتها فهي لا تعرف من تكون نـاز عندما تدافع عن شيء يخصها ..

رافقها حتى سيارتها و همس لها بحديث لم تسمعه جيّدا في وقفتها أمام الباب المفتوح لكنها لوحت بكفها كإشارة وداع عابثة فهمت الأخرى معناها دون الحاجة لإيضاح فطحنت ضروسها غضبا و غيـرة بينما لم يرها مراد لأنه كان يوليها ظهره ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

- هذا كل شيء من البداية للنهاية و مع ذلك أنا مستعد للذهاب إليه من جديد مرات و مرات ، لأجل أماني افعل المستحيل ..

قالها ادهم بعد حديث مطول مع السيد رضوان تبادلا فيه النقاش حول كل ما يخص عرضه للارتباط بابنة أخيه ، بعد أن نشط في جمع المعلومات و التحري حول الشاب و عائلته ..

فهم الرجل انه كلما زادت مميزات الخاطب و مثابرته سيرفضه طاهر أكثر لأنه في هذه الحالة يمثل له غريم ينافسه ليسلبه تلك الصورة الوهمية التي نسجها من الخيال تحمل أطلال الماضي فشقيقه يتشبث بما فقده و يرفض التطلع للمستقبل ..

هذا ما ذكره الطبيب النفسي الذي زاره هذا الصباح و شرح له حالة أخيه بالتفصيل طالبا منه المشورة قبل مقابلة ادهم ليعرف السبيل الصحيح في التعامل مع الأمر و بناء على نتيجة الجلسة المطولة علم ما عليه فعله ..

اعتدل ناظرا في عيون الشاب الناضحة بالذكاء و الرجولة :

- حسنا ادهم ، من البداية يجب أن تعرف

إنني لا امتلك أي تحفظات عليك و لو كنت تقدمت طالبا إحدى ابنتي لما رددتك و بالمناسبة أماني هي ابنتي الثالثة ..

أشرق وجه الشاب بالرضا قائلا بلهفة :

- هذا معناه انك توافق على ارتباطي بها سيدي ، أليس كذلك ؟

أومأ رضوان قائلا بطبيعته السمحة :

- شرط أن تتعود على دعوتي بعمي و ليس سيدي ، ما ذكرته الآن هو أولا فقط لا تكن متعجل ، الباقي يجب أن تشارك فيه أماني و توافق عليه ..

ثم وجه حديثه للفتاة الشابة التي وضعت الصينية المحملة بالأطايب أمامهم و تأتي بشكل يومي لمساعدة السيدة زهرة في أمور المنزل قائلا :

- استدعي أماني و البقية رجاء بنيتي ..

أومأت ببشاشة و هرعت تنفذ ما اخبرها به داعية أن يكون هذا الشاب الوسيم من نصيب الآنسة أماني الرقيقة فهي تستحق كل الخير ....

لم يمر عدة دقائق حتى سمع وقع خطواتها الأنيق يشنف آذانه و العم يستقبلها بابتسامة أبوية حانية قائلا :

- مرحبا بعروسي الجميلة ، تقدمي حبيبتي و اجلسي إلى جواري ، و أنت أيضا سُلاف قلبي تعالي للجهة الأخرى و بالطبع زهرتي العطرة شرفينا بالمشاركة ..

تبادلت الفتاتين ابتسامة مرحة بينما تخضب وجه السيدة التي اتخذت مجلسها مرحبة بالضيف و قد شعر من أسلوب العم الحكيم انه يرفع الحرج و يشعره بالاندماج بينهم و قد أسعده ذلك و زاده تقديرا له ..

حاول التقاط عينا حوريته لعله يطفئ عطش قلبه الدائم لها لكنها أبت عليه هذه اللمحة و ظلت تزرع بصرها على الأرض بعناد ، يكفيه طلتها التي أنعشت روحه بردائها الأصفر الزاهي الجميل يعلوه وشاح رقيق مطبع بزهرات من نفس اللون فبدت نضرة بهية رغم الشحوب و الإرهاق الذي احتل محياها بوضوح ..

عاد رضوان للحديث قائلا بنبرة جدية :

- جميعنا يعلم سبب هذا اللقاء لذا سنتحدث مباشرة ، مانو ادهم يطلب الارتباط بك و أنا أراه شاب جيد من كل النواحي فما هو قولك ؟

احتقن وجهها بشدة طاردا الشحوب و تلعثم قولها

- أ أ أنا ، لكن بابا ....

ردد بحزم صارم :

- لا عليك من أبيك أنا من يحدثك الآن ، هل توافقين على الشاب و مستعدة للنضال من اجله ؟

أومأت هامسة بحياء جميل :

- نعم عمي ..

ابتسم و ناظر الشاب الذي يلتهمها بنظراته قائلا بمرحه المحبب :

- ركز معي أنا لو تكرمت ، نفس السؤال موجه إليك فهل أنت مستعد للتضحية عند اللزوم لأجلها ؟

أجاب بسرعة و عنفوان :

- حياتي بأكملها فداء لها ..

أومأ الرجل قائلا بتقدير :

- عظيم ، ننتقل للجزء التالي الذي جمعتكم من اجله ، لا مهرب من الإقرار أن شقيقي يعاني من خطب ما ، و هذا يرجع لسنوات خلت عندما توفيت والدة أماني رحمها الله عقب ميلادها

بوقت بسيط ، زوجته التي عشقها و حُرم منها بقسوة في ريعان شبابه ، طاهر لم يستطع التعامل مع هذه الحقيقة وقتها و بدلا من أن يحقد على الطفلة كما هو شائع في تلك الحالات حدث العكس و تعلق بها بشكل مرضي و تعامل معها على أنها روح زوجته العائدة إليه و كلما كبرت ذكرته أكثر بوالدتها و زاد تشبثه بطيفها ، بالطبع هو لا يقصد ذلك لكنه يتحكم به رغما عنه ، هذا ليس رأيا خاص بل تحليل الطبيب المختص الذي لجأت إليه ..

شهقت أماني و قد غلبها البكاء فاحتواها عمها بين ذراعيه قائلا :

- لا تقلقي على والدك فهو بخير لكن بحاجة لمساعدة منا جميعا بما انه لن يقتنع بالذهاب لطلب المشورة الطبية ، سنخرجه من هذه الحالة رغما عنه و لكن ذلك سيتطلب وقتا و تضحيات كما ذكرت ، ادهم سيكون عليك العبء الأكبر في هذا الأمر لذا اكرر سؤالي هل أنت مستعد ؟

عكست دكنة أحداقه إصرارا لا رجعة فيه قائلا :

- بالطبع عمي و اعتبرني منذ اليوم احد أفراد العائلة التي يشرفني الانضمام إليها ..

منحه نظرة ممتنة قائلا بصدق :

- و نحن أيضا و هذا ما جعلني أقرر ما سأفعله و ليقدرني الله عليه ..

سألته زهرة فهي الوحيدة التي تعرف معنى تلك النظرة المتألقة داخل عينيه :

- ماذا تنوي رضوان ؟ ما معنى ذلك العزم الذي أراه مشعا من كل خلاياك ؟

ضحك الرجل بمشاكسة أدفئت قلب الجميع هاتفا ببساطة :

- ما قرأته بوضوح عزيزتي ، سأزوجهما بالطبع

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ترددت ضحكات شاهين و صالح داخل جنبات القاعة مما لفت أنظار زملائهم المتواجدين حولهم على مسافة لا تؤهلهم لسماع الحديث الذي تمحور حول رفيقهم الثالث و ما يعانيه بوضوح من صوته عبر الهاتف ..

- كما أخبرتك لقد كانت مشحونة بالغضب لدرجة خشيت عليه و كلما تخيلتهما في مواجهة بعضهما أشفق على مراد ، تأكد لن ينفعه حجمه أمامها ..

أخذ شاهين يحرك كفه أمام وجهه قائلا من بين ضحكاته الصاخبة :

- يكفي يا رجل سأموت ، ماذا ستفعل إذا أخبرتك أن السيد ارسلان بنفسه اجتمع بمراد ليوصيه بها طالبا منه معاملتها برفق !

شاركه الآخر بينما قال :

- في هذه الحالة حضر كفنه مقدما ، أتظنه سيقتلنا لو رآنا الآن ..

أشار قائلا بتأكيد :

- هل تمزح ! انه يصرخ في أذني كل عشر دقائق و في الأخير ذكر إنها تعمل على طرده من منزله ...

هذه المرة لم تكن ضحكاتهم عادية بل انفجار من صالح جعل رُقية تتقدم منهما معنفة بتحذير كوميدي :

- لما اشعر أن كل هذا المرح مرجعه النميمة على المسكين مراد !

استدار صالح يواجهها قائلا بتفكه :

- لا داعي لاستخدام الحدس حياتي فهذا واقع لن ننكره ، صديقتك تقوده لمغادرة الكوكب على أول مكوك مغادر ..

لمعت عيونها بادراك جعل صالح يهتف بمرح :

- هيا قوليها ، ماذا يدور بخلدك يا فتاة ؟!

ردت بنبرة تموج مكرا :

- هل تراهنا أن الزواج المدبر لن ينتهي مع نهاية المهمة كما اعد له ؟

رفع صالح حاجبيه بينما اتسعت عينا شاهين مرسلة برقها الأزرق فتابعت بثقة :

- هذا هو الحدس الحقيقي يا رفاق ، تذكروا ذلك الرهان و استعدا للدفع لأني لا أتنازل عن حقي و هيا للعمل قبل أن اتصل بمراد و اخبره بما يفعل صديقيه بينما هو عالق وحده مع عروسه الفاتنة ...

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

هبطت مروحية صغيرة لا تحوي سوى قائدها الذي لا يعرف معنى المشاركة فوق سطح اليخت المتسع و قد أحاطته المياه من كل جانب فارضة هدوء رهيب خلا من أصوات طيور البحر التي أدركت حاجة المتواجدين للخلوة الكاملة فأمنتها بكل سرور

كان مكان اللقاء المثالي للشخصين المعنيين ، هبط من الكابينة الضيقة شاب عريض المنكبين وسيم الملامح تبدو بشرته البيضاء شفافة كما لو كانت لا تعرف الشمس ..

وجد باستقباله رجل خلت مقدمة رأسه من الشعر يجلس بعجرفة حاملا بين أصابعه سيجارا ضخم كلما سحب أنفاسه اتقد رأسه حارقا التبغ بنهم شابه صدر صاحبه الذي لا يعرف الاكتفاء ..

صب عليه نظراته النارية قائلا بصوت حجري يشبه قلبه :

- منذ متى تستدعيني لتصفية هواه !!

أشار الآخر بكفيه قائلا بغلظة :

- لا تنس أنها ليست عادية ، لقد شاهدتك ..

رفع حاجب ساخر وتابع بنفس النبرة :

- و شاهدتك أيضا ..

غمغم بعصبية :

- أنا لم أنكر ذلك لهذا أنت هنا ..

ومضت عيونه بشراسة ذئب ضاري نال منه الجوع مبلغا بعيدا :

- أين هي ؟

زفر الآخر مجيبا بحنق :

- تبخرت على بعد خطوة من أيدي الرجال دون معلومات تذكر ، طيلة الأيام الماضية بحثوا و تحروا دون جدوى لكننا أكيدين أنها لم تغادر البلاد ..

أصدر صوتا ساخطا :

- سأبحث عن إبرة وسط كومات من القش إذن ، ما المقابل ؟

اهتز الأصلع غضبا و هتف بحقد :

- انه عملك الغير منجز ..

اقترب منه بخطورة هادرا من بين أسنانه :

- حذار أن تعيدها ، أنا أعمالي فنيه يا سيد ..

تراجع الآخر مستدركا :

- بالطبع أنت غني عن التعريف يا ابيض ..

و كم كان محقا فذلك الوسيم الأنيق الطلة يدعى بالأبيض ليس للونه الأشقر بل تيمنا بالقرش الأبيض أشرس قاتل برا و بحرا .. لكونه القاتل المحترف الأكثر فتكا و ضراوة و صاحب أخبث عقلية إجرامية في مجاله أو هكذا يقال عنه في الأوساط الأمنية العالية المستوى حيث يعرف كشبح خفي لم يروه أبدا لذا يتحرك بحرية و يستطيع مراقبة أهدافه بدهاء دون أن يعرفه احد ..

يترك علامته دائما في مكان الجريمة كما يخلد الفنان لوحاته بنقش توقيعه !

يعرف عنه السرعة الخاطفة في التخلص

من ضحاياه و يفتخر أن سجله خالي من الإخفاق ، تعامل مع مختلف المنظمات الإرهابية التي تصنفه كآلة قتل تخدم من يدفع ، يمتلك فائض من الذكاء و دون قلب ..

و الآن صار لديه هدف جديد عليه إيجاده و التخلص منه ، هدف يمتلك عينان ساحرتان و ابتسامة فاتنة و بالطبع شخصية آسرة قادرة على إذابة الحجر ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

هتف الجميع بآن واحد :

- مـاذا ؟!!!

ثم تابعت زهرة سؤاله قائلة :

- كيف ستفعل بينما شرحت حالة طاهر للتو و التي تؤكد عدم قبوله ارتباط أماني بأي كان ؟!

أجاب دون أن تفارقه ابتسامته قائلا ببساطة كأنه يلقي التحية :

- و من جاء على ذكر طاهر ؟! أنا من سيزوجها بالطبع ..

التفتت أماني تحدجه برهبة قبل أن تردد :

- أتزوج دون رغبة أبي !!

تابع بنفس الهدوء دون تأثر لحالة الفوضى التي خلقها :

- لو كانت الظروف مختلفة لما تلفظت بها صغيرتي لكني اعرف حالة أخي لن يتقبل الأمر حاليا و لن أقف ساكنا و أراقب حياتك تهدر هباء حتى يفيق و يندم على سعادتك الضائعة ..

عندها تحدثت سُلاف قائلة بحيرة :

- لكن هل يجوز ذلك بابا ؟ الم تخبرني من قبل انه لا زواج إلا بوليّ ؟

ضربها فوق رأسها بخفة حانية مرددا بمرح :

- و ماذا أكون أنا أمامك يا فتاة ؟! العم وليّ في غياب الأب كما أني الأكبر و يحق لي أن أزوجها في وجوده ، ألا تذكري ما فعله والدك زهرتي ؟

ابتسمت السيدة قائلة :

- أوه رضوان أما زلت تذكر ! لقد دخل والدي حجرتي صبيحة عقد القران و أوصاني عندما يسألني الشاهدان عن الوكالة أن امنحها لعمي و ليس له احتراما و تقديرا لمكانة شقيقه الأكبر ..

أومأ ضاحكا :

- و هكذا سنفعل لكن دون أن نسأل رأي شقيقي المشاكس ، سنزوج هاذين البائسين بعدها نتفرغ لإخراجه من حالته العجيبة ..

ردت زهرة بنبرة مستنكرة :
- زواج بالسر رضوان ؟!
حرك رأسه نافيا بشدة :
- بالطبع لا ، سيعلم الجميع و سيكون لاماني أجمل حفل كما أنها سوف ترتدي ثوب الزفاف كأي عروس ..
صمتت الفتاة مفكرة بذهول غير قادرة على تصديق أن حلمها أصبح قاب قوسين أو أدنى من التحقيق ، بينما هتفت سُلاف بحماس ظاهر :
- و ماذا سنفعل مع العم طاهر بابا ، نخدره !!
تعالت ضحكاته على تعبير وجه صغيرته الغالية هاتفا :
- لا يا شقية ، الأمر بسيط سأختلق مشكله معقدة داخل فرع الشركة الخاص به لن يحُل سوى من الخارج و عندها سأجبره على السفر و لن يعود حتى ينتهي كل شيء هنا ، لما لم اسمع كلمتك حتى الآن ادهم !
رد الشاب بنبرة غمرها إحساسه المشبع بالسعادة :
- هذا لانني بالكاد اكبح رغبتي في القفز عاليا و الصراخ فرحا عمي ..
رفع الرجل حاجبيه قائلا بجدية :
- لكن هل فهمت معنى قولي بالكامل ؟ صحيح أنتما ستتزوجان لكن بمجرد عودة أخي ستعود أماني لمنزلها كأن الحال على ما هو عليه و هذا ما قصدته بالتضحية من قبلك ، ستكون أماني زوجتك لكنها ستعيش مع والدها و بالطبع مسألة الإنجاب مؤجلة لعام على الأقل ..
لو كنت اضمن درجة استجابة طاهر لاقترحت خطبة أو عقد قران لكن الوضع بأكمله غائم لذلك لن أجازف بوقوع ما لا يحمد عقباه ، لا أريد جوابك الآن فعليك استشارة عائلتك أولا ..
لكن الشاب أجاب بسرعة هاتفا :
- بل أوافق و مستعد للإقرار بذلك و الهتاف على قارعة الطريق ، لا تقلق من جهة عائلتي سوف يدعموني بأي قرار يقربني من حلم عمري و خاصة ندى شقيقتي ، الأهم هو موافقة أماني لهذا أنا أتعهد أمامكم ببذل كل ما استطيع لإسعادها و سأتحمل طالما في النهاية ستكون لي ..
مال الرجل هامسا للفتاة :
- ما قولك يا حلمه ؟
ابتسمت بخفر و أطرقت للأرض قائلة بهمس مذيب :

- سأفعل كل ما تراه عمي ..

أعاد أنظاره للجميع قائلا :

- على بركة الله ، حدد مع والديك موعد قراءة الفاتحة أدهم ثم أخبركم بالخطوة القادمة عندما يحين وقتها ..

نهاية الفصل

دمعات القمر

القطرة العاشرة

مرت فترة عمدت فيها جيّدا لالتزام السكون حرصا على عدم إثارة المزيد من ثورته بينما راقبها مراد بريبة و عدم فهم لهدوئها المفاجئ دون أن يسأل لكنه شغل نفسه بتحضير الطعام .. اكتفى بعدة أصناف خفيفة لتصبح الطاولة معدة عندها رفع صوته بعض الشيء حتى يصلها في مكانها قائلا ببساطة :

- ألن تأكلي ؟!

انتبهت من فورها متعجبة من تلك السكينة التي تغمرها في محيط لم تألفه من قبل و مع هذا تشعر بالاستقرار ! ألا يفترض أن تخشاه أو حتى ترهبه على الأقل ؟ لما تجد نفسها تهب للدفاع أمامه كأنها تثبت لنفسها شيئا ما ، خجلت لعدم عرضها المساعدة و تركته يعد الطعام بمفرده فتقدمت مع ابتسامة كالعسل المصفى قائلة بوداعة :

- أشكرك ، لا تظن إنني عديمة الفائدة ، سأقوم بحصتي في العمل لمنزلي بكفاءة لكني لم انتبه الآن ..

أشار برأسه انه لا عليها و استقر في مجلسه على رأس الطاولة كمن جُبل على القيادة و الترأس و اعتاد عليها فصارت جزء من شخصيته يمارسه بالفطرة و يليق به ..

راقبته من بين أهدابها بحرص دون لفت انتباهه ، حركة أنامله الرشيقة الانسيابية بينما يتناول الخبز ، كفه كبير الحجم لكنه جميل يصلح ليكون كف فنان ، أيقنت من حيث لا تدري أن لمسته ستكون دافئة حنونة تهدي الأمان ..

ثم ارتفعت لأعلى تراقب ملامحه المقطبة يدعي تركيزا على ما يفعله و خصلات من شعره الحالك تنسل فوق جبينه بصبيانية محببة تجعله اقرب للقلب ، عيونها المحترفة أدركت كم هو وسيم ، نظراته تتعمد بث الغموض بشذراتها الفحمية اللامعة ..

انه نموذج مثالي للجمال الذكوري التركي ، من بشرته البيضاء إلى ملامحه الحادة التي تضج رجولة لشعره السميك الناعم الذي تتوق أناملها الشقية لاختبار ملمسه !

شعرت بنفسها تهوي نحو مجهول خطر فتداركت نفسها و حشرت قطعة خبز داخل فمها قائلة :

- احم بالمناسبة ماذا تعمل صديقتك ؟

بادلها نظرة خاوية قبل أن يردد بتحذير :
- نازلي بمثابة خطيبتي ..
أشارت بكفها غير راغبة في شجار جديد لهذا اليوم :
- حسنا حسنا اعتذر على اقتحامي حياتكما و تأجيل الارتباط الرسمي ، هيا اخبرني ماذا تعمل ؟ أم لعلها ما زالت تدرس ؟
هذه المرة غمغم قائلا بفتور :
- إنها عارضة أزياء ..
رفعت حاجبيها و أطلقت صفيرا خافتا قائلة :
- امممم لهذا بدت كالصورة التي كانت تطبع فوق غطاء علب الشكولا القديمة ..
نهرها بعينيه مجددا و زمجر قائلا :
- جيّـــدا ..
صدحت ضحكاتها الشقية التي تجعل نبضاته تتسارع بينما تقول بدفاع :
- اهدأ ماذا بك ! لمعلوماتك هذه الصورة كانت جميلة و كنت احتفظ بالعلب الفارغة في طفولتي ، رغم إنها تغالي بالتكلف لكن للمرء فيما يعشق مذاهب ، انه ذوقك و أنت حر بالطبع دعنا نبدل الموضوع حتى لا تزأر عليّ من جديد ..

هاله البساطة التي تتعامل بها لكنه لا ينكر أن مزحاتها و تعليقاتها المشاكسة تعجبه ، بل الأصح هي كلها أشبه بإحدى قطع الحلوى التي تحب الاحتفاظ بعُلبها ، صغيرة الحجم ، جميلة المنظر ، شهية و تذوب في الفم حتى أن الشخص لا يكتفي بواحدة بل دائما يريد المزيد ..
كيف لم ينتبه أن لون عيونها يماثل الكراميل السائل منها خاصة الآن و هي تشع بالمرح تابعت مداعبته بأوتارها الصوتية التي تحول حروف الكلمات أنغاما ناعمة مرددة :
- كما انك لم تخبرني المطلوب مني فعله تحديدا ، هل عليّ أن أجول في الشوارع محدقة بكل شخص !
افترقت شفتيه بابتسامة صغيرة قائلا :
- بالطبع لا ، من نبحث عنهم لا نجدهم بهذه الطريقة جيّدا فهم لا يتواجدون بالشارع بل في الحفلات الكبرى و التجمعات الراقية التي سنجتازها معا ، كوني مستعدة ..
ارتجفت رغما عنها و قد التقط ذبذبات خوفها عندما سألته :
- هل هم خطرون لهذه الدرجة ؟

أوماً يوافقها فيجب أن تعرف قوة خصمها حتى لا تتهاون و تظل حذرة :

- اجل و أكثر مما قد يصل إليه خيالك ، إنهم تنظيمات دولية في غاية التعقيد ، تعمل بكل شيء غير قانوني و بالنهاية تصب العوائد في مشروعات عملاقة بغرض غسل الأموال و على رأس القائمة الإرهاب و تمويل الجماعات المتطرفة ، هناك العديد من الأوجه التي تتبدل باستمرار ..

عضت شفتها السفلية بقلق واضح ثم همست سائلة :

- متى سنقوم بذلك ؟

أجابها قائلا ببساطة :

- عندما اخبر عائلتي عن زواجنا أولا ..

رفعت حاجبيها و عادت تستفسر بدهشة :

- لديك عائلة ! ظننتك وحيدا ؟

ابتسم على تعبير وجهها الغير مصدق و أجابها :

- و لما لا ؟ لدي والدان و شقيقة صغرى تدعى نرفين ..

تراجعت في مقعدها قائلة :

- هل يعيشون في بلد أخرى أم مدينة مختلفة ؟

ضحك قائلا ما أدهشها كليا :

- لا هذا و لا ذاك بل على بعد شارع واحد من هنا

اتسعت عيونها كما تفعل كلما تعجبت لشيء فبدت له أشبه بإحدى الشخصيات الكارتونية التي ترسم بعيون تحتل نصف وجهها ..

تذكر شيء مهم فوقف عن مقعده و اخرج حافظة نقوده الجلدية من جيب سرواله الخلفي و سحب منها بطاقة بلاستيكية مدها إليها قائلا :

- نسيت أن أعطيك هذه مع الأوراق ، إنها لك فاستخدميها دون تحفظ ، رقمها السري هو آخر أربعة أرقام لهاتفك الجديد ..

قلبتها في يدها كانت بطاقة اعتماد تحمل اسمه ، حاولت أعادتها إليه قائلة :

- لكني لا احتاجها ، لدي حسابي الخاص و أنت لست ملزم بالإنفاق عليّ

حدجها بنظرة مظلمة كأنها مست كبريائه قائلا بفظاظة :

- أولا حسابك عليك نسيانه كليا فلن يمكنك استخدامه بهويتك الحالية ، ثانيا طالما تحملين صفة زوجتي فانا من سيلتزم بمثل هذه الأمور و عندما أشكو تطوعي بالمساعدة ..

غادر الطاولة بعنف و تابع :
- لقد اكتفيت من الجدل لذا حاولي قضاء بقية الليلة في هدنة ، سأكون بغرفتي تصبحين على خير ..
رماها بها بشكل بدا غير مقصود و سارع بصعود الدرج حيث اختفى عن عينيها ، أدركت أنها أغضبته جديا فآثرت الصمت فهي تعلم متى عليها التراجع
دست البطاقة داخل جيبها قائلة بخفوت كما لو كانت تخشى أن يسمعها و يعود لدق عنقها هذه المرة :
- حسنا سيد عملاق سأقبلها لكني سأرد المبلغ عندما ينتهي هذا الوضع العجيب و استرد هويتي فأنت لست زوجي بحق لأقبل منك المال ..
قالتها مرارا كأنها تقنع عقلها بالفكرة و تشحنه بها ثم وقفت و بدأت برفع الأطباق إلى المطبخ و ما هي إلا دقائق قليلة و كانت أعادت كل شيء لأصله و أغلقت الإضاءة في طريقها لغرفتها ..
أمامها عمل كثير على حاسوبها الجديد حتى تتمكن من التواصل مع الفتيات و تعرف التطورات الهائلة التي تنتظر هناك ..

أبصرت ندى زوجها مسترخيا على جانبه المعتاد من الفراش يصب كامل تركيزه على الحاسوب المفتوح فوق ساقيه عارضا إحدى العمليات الجراحية المتطورة كما يفعل اغلب الأحيان ، كان المشهد مألوف لها و يتكرر كثيرا ..
أنهت وضع المرطب المسائي على وجهها و ذراعيها كما تفعل كل ليلة ثم مشطت شعرها المنسدل بخصلاته الفاتحة الأنيقة متعمدة وضع الأشياء بصخب فوق السطح الرخامي أمامها بطريقتها المألوفة للفت انتباهه ..

نهضت عن المقعد ذو الظهر الدائري و تناولت عطرها الذي يفضله ثم رشت منه بخفة قبل أن تستدير لذلك الغافل عنها و تنزع ردائها الحريري كاشفة عن غلالة نوم في غاية الرقة تبدو كما لو نسجت من ضوء القمر في شفافيته و نقائه ، قصيرة بشكل لم تعتاده من قبل كانت ضمن المجموعة التي ابتاعتها مؤخرا مع سُلاف ، تقسم إنها ستتلاشى خجلا لو رآها طفلها بهذا الشكل ..

تقدمت حثيثا و رفعت الغطاء لتندس في مكانها إلى جواره تنعم بالدفء المنبعث منه رغم تركيزه الكلي على ما يفعله ..

أراحت ظهرها للخلف هامسة بنبرات ناعمة :

- خالد ، لديك الكثير من العمل ؟

ردد بخفة دون إزاحة عينيه عن ما يعرض على الشاشة :

- بمجرد انتهاء الفيديو سألحق بك حبيبتي ..

مطت شفتيها بحنق و فكرت أن ندى القديمة كانت ستضع رأسها فوق الوسادة و تنام بقهر لكن عقلها أضاء بكلمات أماني ، لا يشترط أن يكون هو البادئ بالتودد و الغزل ، حسنا لما لا !

شدت قامتها و التفتت إليه بنعومة خالصة و دلال أنثوي مثير مدت ذراعها لتحيط عنقه هامسة :

- حسنا بما انك منشغل لهذا الحد هل لي أن أقول تصبح على خير ..

ثم طبعت قبلة كسولة على زاوية شفتيه مما سمح بتغلغل عطرها الأخاذ لداخل مسامه ساحبا كل تركيزه إلى مصدره الملتصق به بشكل ألهب مشاعره و حفزها بقوة ..

لم تنسحب مباشرة بل تحركت بشفتيها على طول بشرة فكه الخشنة حتى وصلت لأذنه التي لفحتها أنفاسها مرددة تحية مساء تقطر هياما ثم ختمت بقولها :

- اشتقت لك ..

شعرت بارتجاف الكيان العضلي أسفل أناملها فانتشت مزهوة بتأثيرها و قبل أن تتراجع انش واحد كان ذراعه يلتف حولها و يغرسها فوق صدره أكثر مرددا من خلف ستار العاطفة التي أيقظتها :

- إلى أين ؟! ألا يجب عليّ رد التحية بالمقابل ..

أسندت ذقنها على كفها المستقر فوق صدره قائلة بغنج أذابه و جعل دمائه تهدر بغليان :

- لكنك منشغل دكتور ..

اشتعل بريق عينيه بعبث أبهج حواسها مرددا :

- من قال ذلك ؟!

أشارت بطرف عينيها للحاسوب الذي نسيه كليا فسارع يغلقه بكفه الحر و يعود بكامل انتباهه ليكتشف ما ترتديه و قد راق له كما تعكس نظراته الشغوفة قائلا :

- يبدو انه يفوتني الكثير هنا ، لذا علينا العودة للبداية ، حياتي هلا جلبت لي كأسا من الماء ؟

هبت تنفذ على الفور لكنها ما أن غادرت الفراش حتى التفتت إليه و قد ضربها الإدراك هاتفة :

- ماذا عن الإبريق الموجود بجوارك أيها المحتال ؟!

استقام بدوره يجذبها قبل أن تنجح محاولتها في الهرب أسفل الغطاء قائلا من بين ضحكاته المستمتعة :

- أردت رؤية ثلاثية الأبعاد لهذا العمل الفني الفريد الذي ترتدينه ، هل تخططين لقتلي قطرتي ! رداء مثل هذا كفيل برفع ضغط الدم لمعدلات قياسية ، لقد عرفت الآن سر ارتفاع معدل الوفيات للرجال عن النساء ..

حاولت التملص من بين ذراعيه و قد احتقن جسدها بأكمله باللون القاني جراء نظراته الجريئة بشكل أخجلها رغم سنوات زواجهم ! كانا أشبه بمن يعيد اكتشاف جوانب غير مطروقة من حياتهم و قد أبهجتهم التجربة و جعلت الدم يعود للتدفق مجددا علاقتهم ..

- خجلك يفتنني أكثر من ثوبك الصاعق حبيبتي ، لا تتغيري أبدا ، هكذا أريدك دائما عروسي الحلوة ذات العيون الشقية بنظرات تحارب الخفر ، مزيج إبداعي اعشق اكتشافه دون كلل ..

رفعت كفيها تحتضن جانبي وجهه مقربة شفتيها الهامستين :

- احبك كل يوم أكثر و سأظل هكذا إلى الأبد ..

التقط هبتها بشفتيه المرحبتين يبثها رده العملي بشغف متصاعد ، قبل أن يصل مداه وجدت نفسها تغوص بين الشراشف الحريرية بينما يطلق سراح أنفاسها و يهمس واعدا

- لدي الآن عملية أكثر أهمية من تلك المسجلة بالحاسوب ، سنكتشف معا خريطة ذلك الرداء مع تحليل كامل لكل خيط ساحر يمر به ..

ثم باشر بالفحص دون انتظار إجابتها الحماسية التي وصلت دون تأخير راضية كل الرضا ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

صباح مقبل و اشراقة كسولة تلوح خلف الأفق واعدة البشر بيوم جديد ، قبل أن تنجح سيدة السماء ببسط أشعتها لإيقاظ الأرض المتسربلة برداء النعاس فركت جيّدا عينيها و رفعت كفها لتحجب تثاؤب ملح لتقنع عقلها بالاستيقاظ ، تعجبت من قدرتها على الاستغراق في نوم مريح خالي من الأحلام و ها هي تشعر بالراحة و النشاط !

تناولت هاتفها مستطلعة الوقت ، بعدها هبت من الفراش إلى الحمام هاتفة :

- عليّ الانتهاء بسرعة البرق قبل أن تشرق مبددة الدمعات ..

أنهت ركعتي الفجر و خلعت إسدالها ليظهر خلفه رداها الرياضي الأزرق ، اعتمرت قبعتها الصوفية مع وشاح العنق ثم حملت أوراقها و هرعت مغادرة الغرفة ..

وقفت أمام بابه تتململ مترددة لبرهة لكنها لا تملك الوقت لذا دقته على عجل ، مرة ، مرتان ، ثلاث تبا لما لا يرد !!

يجب أن تذهب الآن و إلا خسرت وقتها المفضل ، فكرت أن تفعلها وحدها لكنها أبعدت ذلك سريعا ، ليس بعد ما اخبرها به الليلة الفائتة ، فرغم ما تحاول أن تبديه من قوة لكنها تخاف ..

أيعقل انه ليس بالداخل ؟! حسمت أمرها و فتحت الباب الذي استجاب لها بصمت ، مدت بصرها كاشفة محيطة الرجولي ، أوه لا !! لقد كان مستغرقا في النـــوم ...

حركها الحنق لتتقدم من فراشه بجرأة غير معتادة منها و تناديه هاتفة :

- مـراد ، الم أخبرك بضرورة الاستيقاظ مبكرا ! هيا انهض على الفور ..

أخرجه صوتها من سباته العميق الذي لم يحصل عليه سوى من وقت يسير فهب جالسا بالكاد يفتح عينيه ليبصرها تقف أمامه واضعة كفيها فوق خصرها كأنها والدته تعنفه لتأخره عن موعد المدرسة فغمغم بحيرة :

- مـاذا هناك ؟!!

جذبته من ذراعه لتخرجه من فراشه متعثرا بينما تهتف بغيظ :

- لا وقت لدي لأسئلتك هيا و سأخبرك لاحقا ..

سحب كفه منها ليفرك وجهه بقوة مستطلعا للخارج بذهول فما زال الظلام مسيطرا على الوجود !!

- إلى أين أيتها المجنونة ؟ لا ريب انك تحلمين و تسيرين أثناء نومك !

ردت بعنفوان و ثقة :

- بل مستيقظة و كلي انتباه ..

ثم دفعته بكلتا قبضتيها باتجاه الباب الذي

خمنت أن خلفه يقع حمامه الخاص و تابعت بنبرة آمرة :

- أمامك ثلاث دقائق تنهي فيها كل شيء لنغادر قبل أن يشق الضوء السماء و إلا لن أسامحك أبدا

استمر يحدق فيها بعدم تصديق هاتفا بقهر :

- أنت جادة ؟ توقظيني فجرا بهذا الجو القارص لرغبتك في الخروج !

أشارت بكفها قائلة بنبرة حادة :

- اسمع لا داعي لكل هذا الضجيج ، إنها مره واحدة فحسب حتى أتعرف على المنطقة بعدها لن أزعجك و سأحدد اتجاهاتي عندما اخرج و.....

قاطعها بعيون محتقنة :

- مهلا .. عندما تفعلين ماذا ؟!!

رفعت كتفيها قائلة ببساطة :

- اخرج بالطبع ، لا تظن انك ستحتفظ بي سجينة هنا ، لقد اخبرني السيد ارسلان إنني سأكون على طبيعتي و لن تحبس حريتي و لهذا كان الزواج ..

قبض كفيه إلى جانبية بعنف و غمغم من بين أسنانه :

- لا اله إلا الله ، يا رب ألهمني الصبر فلا أريد قتلها الآن ، جيّدا اخرجي من الغرفة ..

حركت رأسها قائلة بعناد :

- ليس بدونك ..

عد من الواحد إلى العشرة قبل أن يردد بنفاذ صبر :

- ارغب ببعض الخصوصية لتبديل ثيابي إذا لم يكن عند سموك مانع ..

احتقن وجهها حرجا و تحركت سريعا للخارج هاتفة :

- إياك أن تعود للنوم ، يكفي انك أخرتني عن موعدي المعتاد !

حرك أنامله داخل خصلات شعره جيئة و ذهاب مرددا :

- لا لا ، ما يحدث معي كثير ، هناك من يحاول الانتقام مني و هو ينجح بجداره ..

❖❖❖

لم تصدق كونها استطاعت إزاحته عن المنزل أخيرا و ها هو يغلق الباب الخارجي خلفهم قائلا بحنق ادعت أنها لا تلاحظه :

- أين تريدين الذهاب ؟

أشارت بكفها قائلة :

- بهذا الاتجاه هناك ربوة خلف المنزل ، لقد رايتها

في طريق الوصول ، حرك ساقيك أسرع لنتمكن من تسلقها قبل الشروق و إلا ذهب تعبي في إيقاظك سدى ..

لم يرد لأنه بالتأكيد لن يكون ردا مهذبا .....

❖❖❖

أسبل أهدابه يراقبها كيف تحرك أقلامها بمهارة ، كانا يجلسان فوق العشب الندي متكآن على جذع شجرة ضخمة بعد أن أخذته عنوه في جولة حول المكان ..

لا ينكر أنها أشعرته بانتعاش كبير خاصة عندما بدت مأخوذة كليا بقطرات الندى المجمعة فوق أسطح النباتات مكونة أشكالا رائعة الجمال و عندما انعكس عليها الشعاع الوليد بدت براقة كقطع جواهر نادرة ، عندها حثته على الاقتراب قائلة :

- انظر كم هي رقيقة دمعات القمر ، انه يذرفها كل فجر سعادة باستقبال الشروق الجديد مانحا الأرض دفقا من الحياة ، إنها هي التي تهبط لتغسل آثام و شرور البشر و إلا ما استطعنا العيش فيها ، جرب تذوقها ستجدها أنقى و أعذب من أي شيء تعرفه ، فهي هبة تتجدد كل صباح بعطاء الهي باذخ السخاء ..

قرنت قولها بالفعل عندما أفرغت مكونات إحدى الأوراق داخل كفها و قربته من فمها مستعذبة برودتها ثم كررت فعلها و مدت يدها إليه فلم يتمالك نفسه إلا و هو يهبط بشفتيه لاثما رحيق القطرة الذي بدا أطيب من الشهد مشبعا بأريج الزهور ....

كانت تجاوره بوجودها المادي لكن منفصلة بروحها الممتزجة مع الطبيعة الغناء حولها تخط و ترسم كأنها تتنفس ..

- مراد ، هل أنت نائم ؟

للمرة الثانية تفعلها و تجعل اسمه ينساب منها كمعزوفة عشق !

إنها تقتله بهذه العذوبة التي تقطر منها دون افتعال ..

حرك رأسه نافيا قبل أن يردد بسخرية يخفي خلفها تأثره بذلك الكيان الرقيق :

- لن استطيع مساعدتك في الرسم فهذا خارج نطاق قدراتي كسوبرمان لم يذق النوم إلا لماما ..

ضحكت باستمتاع قائلة بمرح :

- أوه لا تكن هكذا ، ستعاود النوم لاحقا لكني أردت شكرك لأنك جلبتني إلى هنا ، انه مكان ساحر و أشعرني بالسعادة ..

سألها بفضول :

- ماذا كنت تفعلين قبل قيامك بتلك الرحلة ؟

التفتت إليه محدقة بريبة ثم هتفت قائلة :

- لا تخبرني انك احد ضيقي الأفق الذين يعتقدون أي بلد عربي لا تزيد عن كونها مساحات من الرمال مع جملين و بضعة عنزات كما تصورها السينما الأمريكية إمعانا في طمس الواقع ، بلادنا بها أجمل الأماكن و أروع إطلالات طبيعية .....

أشار مقاطعا و تابع حديثه قائلا :

- مهلا أنا لم اقصد ذلك ، بل أردت السؤال حول من كان يصطحبك في مثل هذه الجولات المجنونة ؟

لانت ملامحها و أجابته ببديهية :

- لا احد ، لما احتاج للرفقة ؟! هناك يحيطني الأمان و الاطمئنان كما إنني اعرف كل الأماكن ..

لم يدرك سبب الضيق الذي انتابه لكونها تنتمي إلى مكان مختلف أو ربما الأنسب أن يقول لغيره!

من يعلم كم معجب متيم تركته خلفها هناك؟

وضعت أوراقها بينما ضمت الوشاح حول عنقها أكثر و التفتت إليه قائلة :

- اممم لدي المزيد أريد إخبارك عنه لكن عدني انك لن تصرخ ..

أيقن أن هناك كارثة قادمة فمال برأسه و انتظر وقوعها مرددا :

- هيا القها دفعة واحدة ..

حركت كفيها كطفلة مذنبة و قالت مباشرة :

- إنها غرفتي ، طلاء جدرانها يصيبني بالجنون ، لا اعرف كيف كنت تحتمله لكنه بشع

قطب حاجبيه بعدم فهم قبل أن يسألها عاكسا حيرته :

- لم افهم ما تريدين ؟ حسنا لون الطلاء سيء و ماذا بعد ؟!!

بادلته النظر بحنق كأنه ارتكب جرم عدم الفهم الذي لا يغتفر قائلة :

- أريد تغيره بالطبع فلا رغبة لي أن أصاب بالكوابيس ..

لاحت الثورة قادمة بوضوح فأسرعت تتابع قولها:

- لا داعي للغضب إنها مسألة بغاية البساطة ، كل المطلوب منك هو مساعدتي في إزاحة قطع الأثاث و أنا من ستقوم بالطلاء ، حسنا ..

سحب نفس عميق وصل صدره محملا بالروائح الشذية حولهم مرددا :

- جيّدا ! هل ترين الوضع مناسب لذلك الآن ؟! ثم أين ستنامين عندها ؟

ردت بنبرة واثقة :

- هذا كله لن يستغرق سوى يوما واحدا سأقضي ليلته على إحدى أرائك الطابق السفلي و اجل الوضع مناسب و لا أرى ما يعوق الأمر فلن اقضي وقتي في مكان لا أحب لونه ، اشكر حظك أن باقي المنزل يروق لي و إلا كانت ستكون مشكلة ..

مسد جسر انفه مرددا بإعياء :

- من الواضح انك قررت و انتهى الأمر ، أخبريني مباشرة بما عليّ فعله

فوجئت بنفسها تمد كفها مازحة و تمسد العقدة بين حاجبيه لكنها لم تقف أمام تفسير ذلك طويلا فهي منذ قابلته تحولت إلى أخرى لا تعرفها ، عوضا عن ذلك قالت :

- فك هذه التقطيبة فهي تسيء لمشاعري المرهفة وتجعلني أبدو كما لو كنت أقودك إلى الجنون ركضا ..

رفع حاجبيه بذهول فميلت رأسها و نظرات البراءة تتقافز داخل أحداقها التي عكست بريق الطبيعة حولها قائلة بعفوية :

- مـــاذا ؟!!!

عض على نواجذه و تسارع نبض العصب على جانبي فكه قائلا :

- أبـدا ، أنت ملاك عزيزتي ..

منحته ابتسامة معبرة قائلة بمرح :

- شكرا لك و أنت أيضا لا بأس بك ، احـم إليك ما أريد منك فعله ، بعد أن تنال قسطا من النوم سوف تصطحبني لشراء لون الطلاء الذي أريده و هذا كل شيء ، أرأيت كم هو بسيط ؟

بدا لا حول له و لا قوة فأشار بكفه قائلا :

- هل اكتفيت من هنا ؟ نستطيع الذهاب الآن ؟

فاجأته أكثر عندما شبكت كفها بذراعه في عفوية هاتفة بسعادة :

- اجل هيا بنا لكن ليس إلى البيت ، هناك رجل يعد ألذ فطائر محلاة قد تتذوقها يوما ، لقد قررت دعوتك للإفطار عنده لكن للأسف لا اعرف الطريق إليه من هنا ، أوه الم أخبرك ستتزوج أماني ابنة عمي ، لقد كانت مفاجأة فعمي طاهر ....

انتظر هل أخبرتك عنه من الأساس ؟ لا بأس هيا فلدينا حديث طويل حتى نستدل على عنوان الرجل ...

يبدو أن ملامحه ستظل عاكسة سمات الذهول طيلة الوقت و عليه الاعتياد على ذلك طالما ذلك الصاروخ المجاور يسمى زوجته !

مختلفة أنت عن كل النساء
يا امرأة عصفت بقلوب العقلاء
مختلفة حين تمرحين
و حين تضحكين و حين ترقصين على أنغام السماء
مختلفة حين تخطوا بقدميك المروج الخضراء
و حين تعبرين بصوتك جدار الصمت وتحي عالما من الأموات
مختلفة أنت عن كل النساء
مختلفة حين تنظرين بنجلاء عينيك لتسرقين قلوب الضعفاء
و حين تبكين لتزهقِين أروح الجبناء
مختلفة حين تصرخين بصخبك الموج حولك لتلوني هالتك البيضاء
و حين تلوني العالم من حولك بضحكتك الهيفاء
مختلفة أنت عن كل النساء
مختلفة حين تعكسين بأناملك الرقيقة فرحة فجر جديد
وتلونين بفرشتك دمعات القمر بلون الحياة
مختلفة أنت عن كل النساء
يا امرأة عصفت بقلوب العقلاء
الساحره الصغيره

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

سرعان ما انقضى صباح هذا اليوم و هلت تباشير المساء تحمل زخات هواء لاذعة البرودة ففضلت الكائنات الهجوع باكرا حيث دفء الملاذ ..

هبطت سُلاف الدرج تزفر تأففا لعدم رغبتها في الخروج لكنها وعدت نفسها بعودة مبكرة قبل أن يهبط الظلام بشكل كامل ..

استقبلتها ابتسامة والدتها قائلة :

- إلى أين حبيبتي ؟ الجو بالخارج غائم و يبشر بليلة عاصفة !

أسرعت إليها قائلة بحنق طفولي :

- اجل ماما اعلم ، لكني مضطرة للذهاب بهذه المحاضرات لإحدى زميلاتي المصابة ، بالنهاية سُلافتك الحلوة تعمل في توصيل الطلبات للمنازل ، يا لقسوة الزمن ..

ضحكت المرأة و أردفت بحنان :

- خيرا ، ما بها زميلتك ؟

مطت شفتيها قائلة :

- ذكرت شيء عن إصابة قدمها لا اعلم ، دعواتك ماما سأترك لها الأوراق و أعود قبل الغروب بإذن الله ..

أومأت قائلة من قلبها :

- حفظك الله و راعاك يا إحدى حبات القلب ، لا تنسي معطفك فلا أريدك أن تمرضي قبل الاختبارات ..

تحركت الفتاة بحملها من الأوراق هاتفة بمشاكسة لا تتخلى عنها :
- حسنا ماما أعدك أن امرض بعد الاختبار و ليس قبله ، حضري لي مقدار كبير جدا من الشكولا الساخنة حتى أعود ..
خطفت معطفها و أسرعت آملة في عودة أبكر فقد كانت تلك المهمة تجثم على أنفاسها و تشكل عبء دون أن تعرف لذلك سببا !

❖❖❖

تململت رانيا في جلستها المكررة داخل سيارتها قائلة بحنق متصاعد :
- لما تأخرت تلك البلهاء ؟ هل سأتجمد بردا في انتظارها ! تبا لك ماجد و لأفكارك المنحرفة ..
لم تكد تنهي هتافها المتذمر حتى أبصرت هيئة الفتاة تغادر سيارة الأجرة على مقربة من بوابة المنزل الذي تراه بوضوح من مكانها المستتر ..
أثارت حسدها وغيرتها كما يحدث دائما بطلتها الراقية الأنيقة بغير تكلف كأنما تنبع من داخلها و ليس ما ترتدي !
ترفل في معطف بلون العسل الداكن يصل لأسفل ركبتيها بقليل يعلو سروال صوفي باللون العاجي متسع الساقين مظهرا حذائها الجلدي المرتفع الكعب ، و تجمع شعرها الطويل بجديلة فرنسية لامعة ..
ميزتها بوضوح نظرا لخلو الشارع فسارعت ترسل الإشارة المتفق عليها ثم تعد كاميرا هاتفها لالتقاط الصور حتى حصلت على مبتغاها و أدارت محرك السيارة بلهفة لتغادر المنطقة بأسرها هاتفة بشماتة :
- إلى اللقاء أيتها الحمقاء ....
هبطت سُلاف من السيارة فأدارت عيونها بأرجاء الحي الهادئ الذي تطأه للمرة الأولى تتأكد من صحة وجهتها ، أعادت النظر للعنوان الذي تحمله لا ريب انه ذلك المنزل لكن لما لا يوجد لافتة أو أي إشارة تدل على اسم مالكه ؟!
حتى البوابة خالية من وجود الحارس ، أي إهمال هذا ! لقد أخبرتها أنها لن تدخل ، تبا ..
تقدمت بحذر و ضغطت الزر الخارجي و أخذت تتقافز لتصل بعيونها إلى الفتحات أعلى الحديد لترى أي مخلوق تستفسر منه بدل هذا الخواء الموحش حولها ، لكن الجواب وصلها بشكل عملي عندما فتحت الأبواب آليا بدعوة صريحة

للدخول لم تجد بدا من تلبيتها فتقدمت مرغمة تجتاز ما يشبه حديقة مهملة و تصل للباب الخشبي الداخلي بينما لسانها لا يكف عن إطلاق السُباب و تكاد تقفل عائدة من حيث أتت لكن قبل تنفيذ رغبتها حدث ما شتت عقلها لوهلة كانت كافية لتجد نفسها في مأزق حقيقي لم يخطر لها على بال ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

احتضنت أماني هاتفها بهيام بينما تستلقي فوق فراشها بوضع معكوس غارقة في محيط يموج بالمشاعر العاتية لفها بها ادهم دون رأفة بحداثة عهدها الخوض فيه ..

أسبلت أهدابها تمتع حواسها باعترافاته التي حملت أشواقه و سهده ليالي طويلة لم يبارحه طيفها النائي ، رفيقه الدائم طيلة سنوات غربته في الوقت الذي كان قلبها يرفرف بين غيمات العشق السرمدية ظل عقلها حائر يعاني التوتر و منقسم حول بِرها بوالدها و واجب طاعته و إرضائه الذي جُبلت عليه و يأمرها به خالقها بعبارات صريحة و مستقبلها الذي بات على المحك و القدر يمنحها فرصة جديدة مع حلم عمرها ..

ماذا عليها أن تفعل لتحظى بكلاهما دون تفريط بأيهما ؟

- اخبريني أن ما يحدث ليس حلما ناني ، أحيانا تستبد بي الهواجس فأخشى أن أفيق و أجدك بعيدة كنجمة أتطلع إليها دون أمل في الوصول لفلكها يوما ..

ردت بصوتها الحالم الذي يرطب روحه الظامئة و قد شققها جفاف الهجران :

- اجل حبيبي انه واقع يسّره لنا الله عن طريق عمي الذي تحمل عبء قلما تجد رجلا يرضى بمجرد المشاركة فيه و ليس أخذه كاملا على عاتقه ، لكني بحاجه لمساعدتك ادهم ، أريد الاطمئنان فعقلي لا يكف عن الدوار بلا فائدة ..

وصلها صوته الرجولي يعدها بنبرة لملمت شتاتها و حولته ليقين :

- أفهم ما تعانيه و أدرك اتجاه أفكارك فاطمئني يا منية الروح بعد أن علمت حقيقة أسباب تصرف العم طاهر و كونه لا يرفضني من هذا الجانب الذي ظننته تغيرت رؤيتي له ، انه يعايش مأساة عاشق حُرم بقسوة و جعله ذلك في حالة ارتباك مشاعر مزمن ، وضعت نفسي مكانه فلم أطيق لذا رحمته و أود حقا تقديم المساعدة ،

إذا كان عدم إتمام الزواج يريحك أنا على أتم استعداد لذلك حياتي ..
يكفيني أن تكوني بجواري ، تحملين اسمي و صفة زوجتي ، عدا ذلك كلها أمور لا تهم ستأتي عندما يحين وقتها ..
سكنها امتنان و عشق هادر لهذا الرجل الاستثنائي الذي يستحق فعل المستحيل لأجله فرددت بتلقائية :
- كم احبك ادهم و أرجو أن يقدرني الله على إسعادك كما تستحق ، أتعلم أن الخالة أحلام أخبرتني انك نتيجة دعوات والدتي لي من الجنة دغدغت أذنيها ضحكاته الاجشة و تخيلت شكل ملامحه الحبيبة عندما أردف :
- الخالة أحلام دوما آراءها صائبة ، ماذا فعلت عندما أخبرتها بالخطة ؟
بادلته الضحك قائلة برقة :
- لم استطع منعها من إطلاق الزغاريد حتى أن العم محسن زوجها هرع إلى الداخل هاتفا " ماذا بك يا امرأة هل جننت أم أصابك مس ! "
حمدنا الله على أن بابا كان في الخارج و إلا وقعنا في مشكلة تفسير ذلك ،

بعدها أعدت قائمة طويلة جدا تحتاج لسنوات من التسوق قائلة إنها كانت فاقدة الأمل في إمكانية تجهيزي كعروس يوما و الآن واتتها الفرصة و لن تفرط بها ..
تابع حديثه هاتفا بمرح :
- بالطبع يسعدني المشاركة ، أتطوع لاختيار ثوب الزفاف فلطالما داعب أحلامي و عذبني بتخيلك ترتدينه لغيري ..
ردت بشقاوة أنثوية يعشقها قائلة :
- اممم هل تخبرني انك كنت تفكر بي وحدي و لم تكن هناك ظلال لفتيات مختبئة طيلة فترة سفرك ؟
أجاب بعبث ماكر :
- أوه بالطبع كان هناك الكثير فاللون الأسمر عليه إقبال كبير في أوربا عزيزتي ..
هتفت بحنق طفولي :
- سخيف ، لمعلوماتك أنا غاضبة الآن ..
تعالت ضحكاته مرددا بمشاكسة :
- كم أود رؤيتك لأبدد هذا الغضب بشفتي ..
شهقت بنعومة قائلة بخفر :
- أنت وقح ..

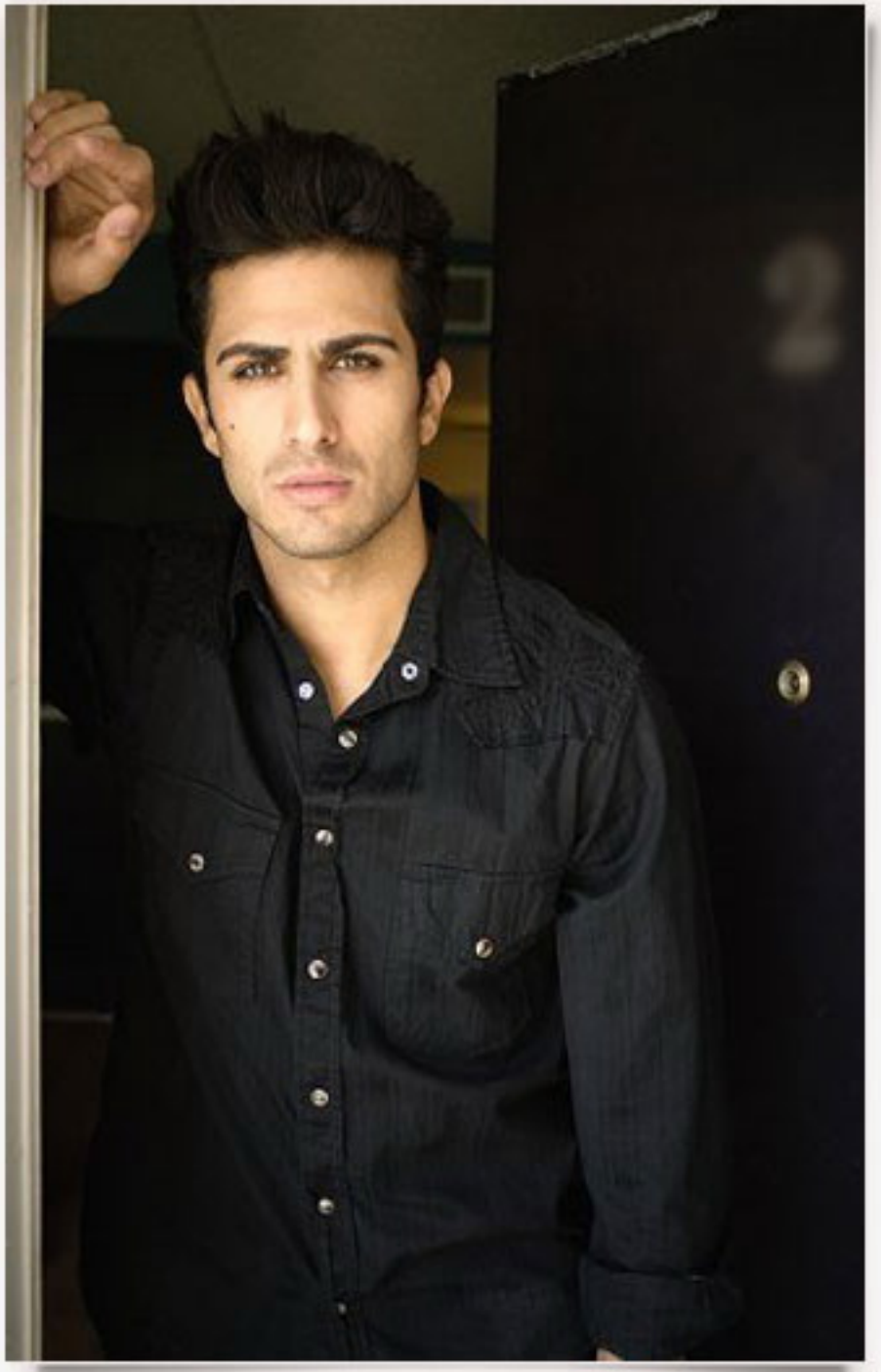

قال بتأكيد مع نظرة لو شاهدتها لذابت خجلا و تلاشت :

- و سأظل إلى الأبد يا ملاكي ، اعلمي أن فتاتي كانت موجودة على الدوام ، لم تفارقني في الصحو و المنام ، لم تستطع المسافات و لا الزمن إبعادها بل كانت أمانيّ و أمنيتي و زادي في البعاد ، هل عرفتها أميرتي !

تمتمت دون إرادة و قد اكتسحها فيض عشقه و جعلها لا تشعر بسواه :

- احبك حتى الفناء و عندها سأبقى أمانيّ ادهم الهائمة عشقا فيه و ارغب بالزواج منك في الحال ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

تسمرت على عتبة المدخل الذي جذبها إليه دون أن تفقه كيف ظهر من العدم و جعلها تخطو إلى الأمام قبل أن يغلق خلفها بأقل من الثانية ! بينما تحدق بدهشة عاجزة عن إيجاد رابط منطقي لوجود ماجد داخل منزل رانيا فعقلها البريء لن يسعفها لاستيعاب حقيقة المؤامرة التي سقطت بها ..

حركت شفتيها بحيرة ليخرج منها سؤال مرتبك :

- أنـــت ! لماذا تتواجد هنا ؟ هل أتيت لمساعدتها في دراسة ما فاتها ؟

ضحك عاليا في وقفته المستفزة أمامها بينما يسقط سلسلة المفاتيح داخل جيب سرواله الجينز بعد استخدامها في إغلاق الباب لتوه على غفلة منها ..

- يا لك من ساذجة ، الم يطرق الفهم أبواب عقلك بعد يا صغيرة !

تلفتت حولها بحذر قائلة :

- مـــاذا تعني ؟!

عاد لضحكاته القميئة مرددا بشماتة :

- انك هنا بمنزلي ، داخل بيت الذئب نفسه

كما يقال في الحكاية مع انك يا للخسارة لا ترتدين الأحمر ..

شهقت بفزع و قد ضربتها صاعقة الإدراك أخيرا لتفيق على كابوس واقعي تجسده دكنة عينيه التي تطفح بنظرات وقحة بغيضة خدشت حيائها لمجرد أن سقطت عليها و أشعرتها باشمئزاز بالغ و رغبة في استنشاق هواء نقي لا يشاركها فيه ذلك الذئب المتخفي وراء قناع المدنية مرتديا ثياب البشر رافضة المحيط الذي يلزمها باجتماع معه تحت نفس السقف ..

خطت للخلف فزعة و كفها تناضل مع المقبض اللامع الذي رفض بكل صفاقة صاحبه أن يستجيب ، جن جنونها بهذه المعرفة الجديدة ، إنها عالقة هنا مع آخر شخص قد ترغب في مجرد رؤيته ! و قد استبد بها الرعب و الغضب مع إحساس بشع بالخيانة التي ضربت صميم أعماقها ..

استدارت إليه لتجده لا زال يقف في مكانه يراقبها بتسلية كسولة جعلت معدلات ثورتها تنطلق بأقصى قوتها فصرخت بكل اشمئزاز نفسها :

- افتح هذا القفل البائس و أخرجني من هنا حالا

رفع حاجبيه مرددا باستخفاف :

- و إلا ماذا ؟!! الم تدركي انه حان وقت الاستسلام ! عليك تقدير الأمور جيدا سولي لقد خسرتِ ..

هدرت بصراخ رافض :

- لا تجرؤ على النطق باسمي حتى لا اضطر لكراهيته ، أنت لست سوى شخص مريض يرفض الاعتراف بالرفض ، ربما لم أكن وحدي من لفظتك و شعرت بحقيقتك ، يا لك من مسكين ..

عبارتها أيقظت كل شياطينه الكامنة فصار تجسيدا للخطر ، لمعت عيونه ببريق الشر و اتجه نحوها تعميه حقيقة قولها فما كان منها إلا أن صرخت و ركضت تحتمي بالطاولة الرخامية التي توسط المدخل يعلوها مزهرية أثرية ضخمة و تبدو باهظة الثمن ، أثناء ذلك سقطت منها حقيبتها و ملف الأوراق البائسة الذي جلبها لفخ ذلك الحقير ..

- مناورة جيدة ، هل تريدين اللعب ؟ إذن تحملي اختيارك حلوتي ..

تحرك باتجاهها أشبه بثور هائج تلوح أمامه مئات القطع الحمراء ثم امسك بطرف الطاولة الثقيلة التي تشكل حاجزا بينهما و قلبها لتسقط بما عليها محدثة دوي هائل تزامن مع صرختها المجفلة بينما تركض هاربة من براثنه الممتدة نحوها ..

لم تكن تعي إلى أين تذهب و ما عليها فعله فصارت تتخبط بين قطع الأثاث الفخمة و هو في أثرها يقدر شررا و يطيح بكل قطعة تحاول استخدامها كدرع يمنعه عنها حتى باتت الردهة أشبة بساحة معركة ، المقاعد الضخمة رأسا على عقب و التحف الثمينة حطام متناثر يعوق هربها مع الأرضية الرخامية التي صارت زلقة بسبب مياه الأزهار التي سحقها لتعدو جثثا مهشمة تسبقها لمصير أبشع أعده لها ..

تقطع صوتها نتيجة صرخاتها المتواصلة و سُبابها الذي لم ينقطع ، نعتته بكل الألفاظ التي تعرفها واصفة إياه بالحقارة و الخسة و كم تكرهه و قد جعله ذلك اعنف و أكثر إصرار على النيل منها ..

التفتت تواصل ركضها الفزع لكن لسوء الحظ

ارتطمت ساقها بإحدى الطاولات فتعثرت و كادت تسقط لولا قبضة قاسية لحقت بها و تمكنت من اقتناصها مرددا بظفر :

- إلى أين تظنين نفسك ذاهبة ؟ في النهاية مردك إليّ لا سبيل للهرب من هنا ، ألا تعرفين كم انتظرت تلك اللحظة التي لا تقدر بثمن !!

حاولت التملص من بين قبضتيه دون هوادة هاتفة بعنف :

- اتركني أيها الوغد الحقير ، لن تفلت بفعلتك و سوف أرميك بالسجن لتتعفن هناك

اقترب منها أكثر هامسا بفحيح جعلها ترتجف راغبة بتمزيق وجهه و تشويه معالمه :

- و من يصدق الطالبة الكسولة التي ابتزت أستاذها بعد أن فشلت في إغوائه فساومته أن يسرب لها الأسئلة مقابل علاقة معها و لدي الأدلة التي تثبت ذلك ، صورك يا حلوة و أنت تدخلين منزلي طواعية ، وحدك دون إرغام كما أن الشهود تتوافر بسهولة في مثل هذه الحالات طالما وجد الثمن ..

ناضلت لخمشه بشراسة صارخة بقهر :

- أنت و تلك الحقيرة الأخرى ستقبعان خلف القضبان ، لا تظن إنني سأخاف من محاولتك الرخيصة تشويه سمعتي ..

احكم ذراعيه حولها متابعا فحيحه الخبيث :

- سنرى تصرف عائلتك عندما تعلم عن فضائح مدللتهم الصغيرة و بالذات شقيقتك المغرورة جيداء ، فهي من بدأ كل ذلك ..

ناظرته بعيون سكنها الذهول فتابع باستمتاع مريض :

- اجل هي ، لقد أحببتها بكل جوارحي و حاولت التقرب منها مرارا لكنها لم تكترث و عاملتني كنكرة لا تراها من الأساس ، لم أكن جديرا بنيل اهتمام أميرة الجامعة فقررت الانتقام منها في أكثر شيء تحبه و تهتم له ، أنت عزيزتي ..

حاولت معك باللطف و اللين لكن يبدو انك مثلها لذا ستنالين ما تستحقانه ، ستكونين لي رغما عنك لتتألمان معا ، هل فهمت الآن سبب ملاحقتي لكِ ؟

كادت تنجح في الإفلات لكنه جذبها من جديلتها الطويلة ليقرب وجهها منه و يتابع :

- هل تدركين كم حلمت بفك خصلات هذه الجديلة المغرية ؟ تذوق تلك الشفاه الندية ؟

ستكونين أجمل و ألذ انتقام حظيت به جميلتي و ربما أعجبك ذلك و سعيت إليه طواعية فيما بعد ، أعدك أنها تجربة لا تفوت ..

أصابتها أنفاسه التي تلفحها بقذارة برغبة عنيفة في إفراغ معدتها فعادت للصراخ بنبراتها الجريحة :

- أفضل الموت على ذلك ، لن تمسني إلا جثة هامدة ..

و استجمعت قوتها تدفعه عنها ببسالة بينما هو يحاول تكبيلها بعد أن نزع عنها المعطف عنوه و انتقل إلى كنزتها التي لن تصمد طويلا أمام هجومه الضاري قائلا بهياج :

- لك ذلك إذن ، لكن احلمي بالإفلات من بين يدي ..

ثم دفعها إلى الأريكة الوحيدة التي ظلت في موضعها بعد الدمار الذي طال المكان بمجمله و جثم فوقها ككابوس اسود لا فكاك منه محاولا استنزاف قوتها و إسقاط حصونها بينما لم تتوقف صرخاتها و لا ركلاتها رغم الإعياء الذي بدأ يدب فيها مهددا بسحب وعيها بعيدا لكنها لن تسمح للضعف أن ينتصر عليها و يجعلها فريسة سائغة لهذا المتوحش ..

حاولت الدفاع عن نفسها بكل ما تيسر لها و عقلها يرسم لها خيالات رهيبة لو نجح في التمكن منها و كان ذلك يشحنها بطاقة إضافية لرفضه و دفعه عنها ..

استماتت يديها في إبعاد قبلاته اللزجة من السقوط على وجهها أو الاستحواذ على شفتيها كما يرغب ، كان الموت أهون عليها من أن يدنسها هذا الحيوان و لو بمجرد لمسة ..

بنفس الوقت جاهدت لالتقاط أي شيء تستخدمه كسلاح مقابل قوته الغاشمة حتى مس كفها جسم معدني جذبته بلهفة لتجده إحدى التحف النحاسية التي أسقطها هو بعنفوان جموحه لتكون وسيلتها في ردعه كما لو كانت دعوات والدتها تشكلت لتحميها ..

رفعتها دون تفكير و هوت فوق رأسه لتقابلها عيونه تحمل نظرة عدم تصديق مشبعة بشراسة ضبع جريح ، للأسف الأمر في الواقع لا يماثل ما يحدث في الدراما فالضربة لم تفقده الوعي كما يجسدون بالمسلسلات بل زادته جنونا وحشي لكنها كانت كافية لشج جبهته و تناثر رذاذ دمائه القذرة عليها و قد انتهزت فرصة ذهوله

لتجذب نفسها بعد أن جدد أملها في الخلاص منه قوتها ..

قبل أن ينجح في تحقيق ما لمع داخل حدقتيه و يسلبها سلاحها الذي تتشبث به كما لو كانت حياتها بأكملها تعتمد عليه ، رفعت التمثال من جديد و هبطت به على جانب وجهه فترنح لتأتي الثالثة على مؤخرة عنقه فقد كانت تضرب بهستريا دون تميز و لا بد أنها أصابت مركز الوعي بنجاح هذه المرة حيث ارتخى جسده أمام الأريكة دون حراك ، لم تشك ثانية انه يدعي ذلك فلو كان قادر لواصل هجومه عليها ..

دون أن تهدر ثانية ثمينة أو حتى تضع القطعة المعدنية من يدها ركضت إلى الباب لكن دون فائدة فهو مغلق و لا تعرف مكان المفتاح وسط الفوضى العارمة المحيطة بها و من المستحيلات أن تفكر في الاقتراب منه بحثا عنه ..

أين أغراضها ؟ لا بد أن تجد الحقيبة ، تذكرت مكان سقوطها فهرعت باحثة بين حطام القطع الرخامية التي مثلت سطحا لطاولة قبل قليل ، خدشت يديها المرتجفتين لكنها سحبتها لتخرج منها الهاتف و تضغط أزراره بلهفة صارخة :

- عمـــر ، تعال فورا أنا بحـاجة إليك ..

لم تكن بمزاج يسمح لها بالعمل و لا بتحمل لمزات زميلتها الوقحة التي لم تكف عن تلميحاتها الخبيثة و مع ذلك هي مضطرة للظهور بأفضل طلة أثناء العرض الذي تستعد له الآن ..

- ساعديني في إغلاق السحاب رجاء ناز ، و خففي من توترك عزيزتي فأنت بذلك تؤكدين صحة الشائعة التي تتردد حول مراد ، كما يفعل عدم حضوره لعرض الليلة ، الم تسمعي بها ؟ منذ الصباح يقولون انه تزوج فجأة و تخلى عنك ! طحنت ضروسها بقهر ، سحقا لهم جميعا لا تفهم كيف انطلق الخبر بمثل هذه السرعة !

واجهتها بملامح منعقدة قائلة :

- أيا كان ما يقال تأكدي أن مراد مرجعه إليّ أنـا ، تذكري هذا جيدا ..

لمعت عيونها باستمتاع بما يجري قبل أن تردد بنبرة ذات مغزى :

- أوه حسـنا ، دعينا من ذلك هل تعرفين من وصل قاعة العرض الآن ؟

نجحت في تحريك فضولها فالتفتت سائلة :

- من ؟!!

اقتربت كمن يقدم على إذاعة خبر خطير :

- رجل الأعمال و المليونير الشاب يعقوب عابد ، يبدو انه عاد مؤخرا من سفرة طويلة ، الم يكن هو خيارك الأول قبل اكتساح مراد ؟ لما لا تجربين حظك الآن !

أسبلت رموشها قائلة بابتسامة مائلة :

- عزيزتي من تعرف مراد لا تنظر لرجل آخر سواه ..

ثم أشارت بكفها تحثها :

- هيا دعينا نبهرهم و نعرض تلك الأسمال التي يظن صاحبها نفسه مصمما شهيرا ..

لحقت بها لتتهاديا على منصة العرض الطولية بينما فلاشات التصوير تحيط بهم من كل جانب مسجلة لقطات لكل حركة و زاوية تتهافت عليها مجلات الموضة أو حتى الاجتماعية التي بها أبواب تخص كل جديد في مجال الأزياء لمحته قابعا بالصف الأول يحيط به مجموعة أشبه بحاشية ملك تأتمر بأمره و تعمل على راحته ، بادلها النظر مع ابتسامة بالكاد ترى و إيماءة صغيرة كتحية خاصة لها ..

انه معجب بها و هي تعرف ذلك و يرضي غرورها الذي بعثره مراد بتصرفه الأخير ، لا بأس بهذا الإعجاب ، لا بأس أبـــدا ...

انفصل عمر عن كل ما يحيطه بمجرد سماع صوت صغيرته باكيا يصرخ مستنجدا به ، علم مكانها بينما يسابق الزمن داخل سيارته طائرا إليها في حين كانت هي هناك تنهي اتصالها الملهوف جذعه من احتمال أن يستيقظ ماجد قبل وصوله فعمل عقلها سريعا و دارت حولها باحثة ، وقع بصرها على بابا مغلق ركضت إليه لتجد خلفه غرفة مكتب غير مطروقة ، علمت ذلك من طبقات الغبار المتراكمة لكن ما همها في المقام الأول أن تبحث عن مفتاح الباب و كادت تقفز فرحا عندما وجدته معلق في قفله كالمعتاد فسارعت تديره حابسة نفسها خلفه مع كتم أنفاسها تقريبا بينما تعد الثواني حتى يصل عمر و يأخذها من هنا ..

أوقف سيارته بهدير عنيف و ترجل منها أشبه بإعصار يطيح بكل ما يقابله ، حاول فتح البوابة الضخمة دون جدوى فتحرك سريعا متفحصا السور و دار حوله باحثا عن ثغرة تقوده للداخل ، في الجهة الخلفية وجد بوابة اصغر و اضعف من الأخرى اتخذ قراره في لحظات و عاد أدراجه حيث سيارته ثم قادها إلى المكان مقتحما ذلك الباب الذي استجاب مرحبا به عبر مصراعيه ، ترجل تاركا إياها في مكانها و ركض يدور حول المنزل كأنه يعرف وجهته أو حدسه يقوده إليها لم يحتاج سوى عدة ركلات لينجح في كسر قفل باب المطبخ الواهي و هكذا صار في الداخل هاتفا باسمها و عيونه تعمل كاللواقط الليزريه بحثا عن أي مصدر حراري ..

كان وقع صوته على أذنيها المتلهفة أشبة بعودة الحياة لجسدها المرتجف فهرعت تخرج من محبسها الاختياري لتجده أمامها كالليث الغازي ..

أسرعت تلقي نفسها في ملاذها الآمن بين ذراعيه هاتفة :

- عمر ، أرجوك أخرجني من هنا ..

أبعدها ليتمكن من تأملها و قد احتل الجزع نظراته الثابتة فوق قطرات الدماء التي لوثت مقدمة كنزتها فأجابت استفساره الصامت قائلة بنشيج :

- لا انه ليس لي ..

زمجر سائلا بخطورة :

- لمن إذن ! و لما أنت هنا من الأصل ؟!

لم يمهلها الرد عندما تحرك مستطلعا و التقطت

عيناه حالة المكان كلما تقدم فيه بخطوات رجولية تدق الأرض و سرعان ما وقع بصره على ذلك الجسد الذي يعرف صاحبه و يكن له أسوأ انطباع قبل أن تنجلي الأمور أمامه تبعا لما يراه ! استدار إليها محملا بغضب تدفق حاميا ، حارقا كسعير يقتات على دمائه و يحولها لوقود لاهب يكوي كل خلية منه ..

ثورة سوداء عاتية تجعله قادر على حصد الأرواح دون أن يرف له جفن و هو المشهور بالهدوء و العقلانية ، استشعرت كل ذلك في نظراته المسمرة عليها لكنه تركها و تقدم إليه يقلبه بفظاظة ليتأكد من نبضاته ثم نهض متجها للمطبخ جالبا إحدى المحارم البيضاء لفها حول رأسه ضاغطا الجرح الذي ينز بخيط من الدماء أغرق وجهه و مقدمة ملابسه ..

فعلها على مضض لكنه خشي حدوث مضاعفات لو تركه يواصل النزف ، لكن ما أن واجهته الملامح الشاحبة الغائبة النظرات حتى تأججت أعاصير غضبه فرفع قبضته المضمومة بغرض تهشيم الباقي من ملامحه و العصب على جانبي فكه بنبض بجنون لكنه بإرادة فولاذية تمكن من تحجيم رغبته فليس هو من يجابه خصم لا يستطيع الرد ، ظلت قبضته معلقة في الهواء لبرهة كأنها ترفض طاعته قبل أن تستجيب و تهبط لينتفض مبتعدا كان مجرد اقترابه منه يلوثه ، لمح معطفها مفترش الأرض يستجديه انتشاله من دنس التواجد على أرضه فرقعه و رماه إليها قائلا بنبرة جامدة :

- هل لديك شيء آخر هنا ؟

نظرت إليه بحيرة قبل أن تردد ببراءة صرفة :

- حقيبتي معي ..

فعاد يكرر من بين أسنانه :

- أغراض أخرى سُلاف أنت تفهمين مقصدي ..

حركت رأسها نافية بينما انكمشت على نفسها خشية الهالة السلبية المنطلقة منه بوضوح ، ربما تخافه هذه اللحظة أكثر من ذلك الحقير الملقى كجثة نتنه !!

امسكها من مرفقها و قادها بقسوة إلى الخارج متخذا نفس الطريق الذي دلف منه ..

وضعها بالمقعد الأمامي ثم احتل خاصته ليخرج من تلك البؤرة الموبوءة قبل أن يفقد السيطرة على نفسه و يحدث ما لا يحمد عقباه ..

كان يركز بصره على الطريق الذي ينهبه ، سلاميات أنامله مشدودة بشكل عصبي فوق المقود كأنه يقيد ثورته به بينما هي لم تجرؤ على النطق أو حتى النظر إليه ، لكن الشرارات المتطايرة من جسده كانت كافية لتصيبها بوخزات حارقة طيلة المسافة التي قطعاها في صمت مهيب أشبه بمسيرة تأبين ينعون فيها فقيدا غالي ..

أوقف السيارة بفرملة قاسية قبل ثلاثة أمتار من بوابة منزلها لولا حزام الأمان الذي يلفها لطارت خارجها مخترقة الزجاج ..

لقد فرغ معينه من الصبر و لم تعد لديه طاقة لكبت الغضب الكاسح الذي يقتات على أعصابه منذ رآها داخل منزله بهذه الحالة التي تشي بوضوح عما حدث حتى بات كعملاق لا قبل له بردعه و للأسف سيكون من نصيب تلك المنهارة إلى جواره ..

استدار يرعدها ببرق عينيه و قد تغلب على مثيله الذي يومض أعلاهم في السماء بنفس اللحظة لتشاركه الطبيعة ثورته و يغيب القمر رافضا أن يشهد جرحا داميا طال الفؤاد البريء ..

- ماذا كنت تفعلين عنده أيتها المهذبة ! فتاة وحدها في منزل شاب ماجن استطيع تخيل ما يلي دون عناء ، هل بلغ بك الاستهتار ذلك الحد ؟! لا اصدق ...

الم تفكري في خالتي أو العم رضوان ؟ أما من حد لوقاحتك و انفلاتك ؟

تحجرت الدموع في عينيها التي اتسعت ألما من بشاعة اتهامه ، لا تتخيل انه يمطرها بهذه الاهانات ! ودت لو فقدت أذنيها قبل أن تنقل إليها نبراته المحتقرة ، أيعقل انه يراها هكذا !

يا الهي لا ، ليس تلك الصورة البشعة ، لا بد أن تتحدث ، تصرخ بالدفاع عن نفسها ..

هتفت بنبرة ممزقة بفعل سيل عبراتها السريع الجريان :

- عمر ، كيف تفكر هكذا عني ! لقد كـ.....

قاطعها بشراسة بينما يكافح رغبته في دق عنقها ، عنف رهيب يتحكم به و يسيره نحو الاقتصاص منها جراء الألم القاسي الذي يجتاحه و تلك الصورة البغيضة تأبى الغياب عن مخيلته :

- اخرسي ، أتمنى لو استطيع تأديبك و معاقبتك بما تستحقين ، لكن للأسف تقديري و احترامي لوالديك هو ما يغل يديّ عنك ..

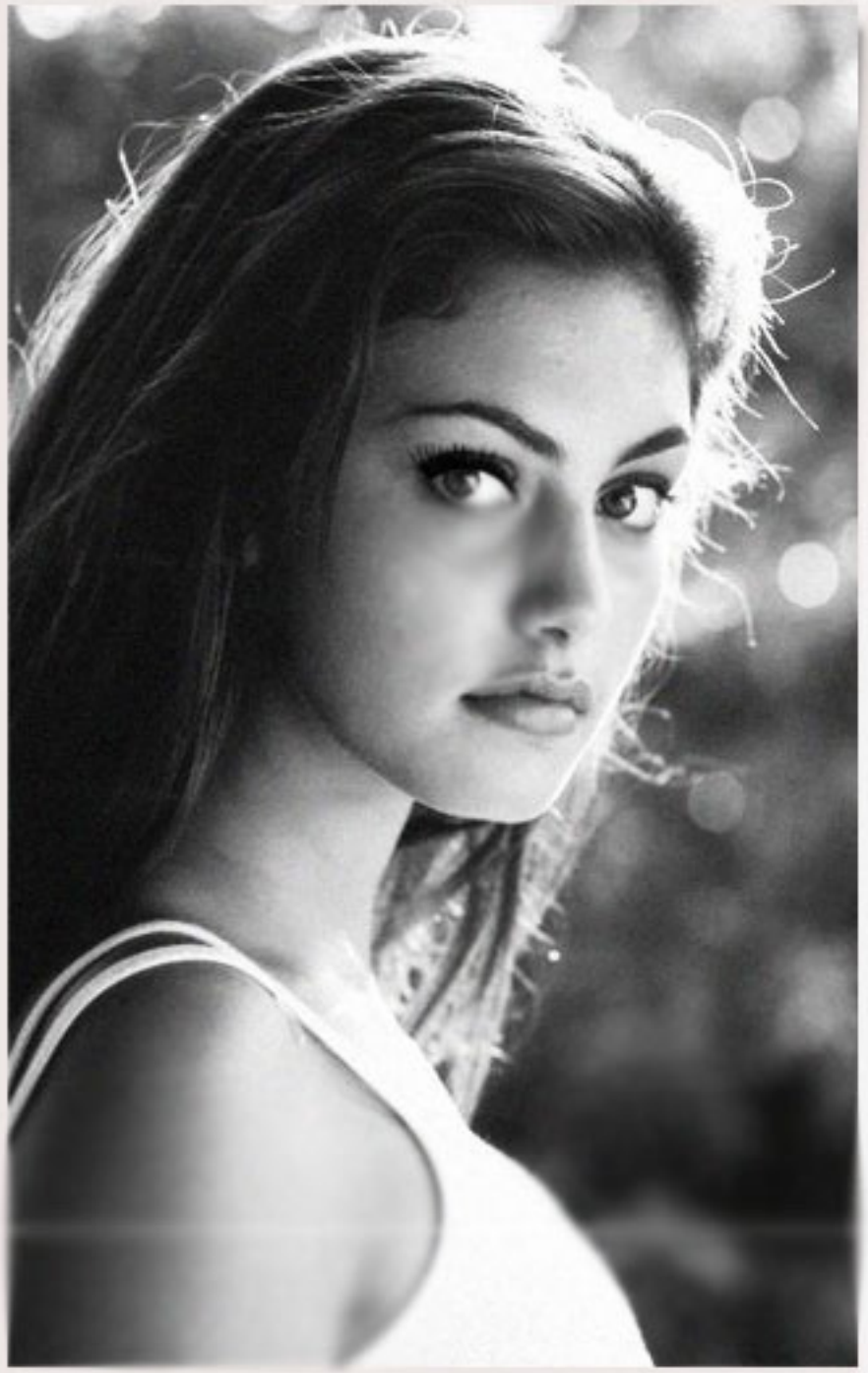

أدركت انه لا فائدة من محاولة التبرير و هو بهذه الحالة اللا منطقية فهرعت تترجل من السيارة راكضة إلى منزلها تحت سيل الأمطار المنهمرة بقوة دموعها التي تغرق وجهها كأن السماء أبت إلا أن تشاركها بؤسها ..

رحمها الله فلم تصادف احدهم حتى أغلقت باب غرفتها خلفها و تتكوم فوق فراشها منتحبة بعنف كما لم تفعل من قبل و أخذت تناجي طيف شقيقتها البعيد ، تعلم أنها الوحيدة التي كانت ستعرف كيف تحتويها و تمتص أحزانها برقتها الفطرية ثم تهديها إحدى بسماتها الشافية فيزول جرحها العميق النازف كالسحر ..

- آه جيّـدا ، أنا بحاجه إليك أختـي ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

على الطرف الآخر تململت توأم روحها في نومها بضيق كأن هناك من يطبق على أنفاسها و يحاول سلبها الروح لكنها لم تستيقظ بل ظلت تناضل إحساسها الغير مريح و قد تقطب جبينها بعبوس صبغ ملامحها الجميلة ..

فتح مراد باب غرفتها بخفة دون أن يطرقه و تقدم إلى الداخل بحرص مهتديا بإضاءة هاتفه ..
لقد قضت معظم اليوم تموج بالحركة و النشاط دون أن تكف عن الثرثرة بحديث شيق حول عائلتها و أصدقائها حتى انه بات يعرفهم ..
كانت شعلة لا تنضب من المفاجآت لكن فرغ وقودها بعد حلول العصر فتثاءبت معلنة حاجتها للنوم و انتهز هو الفرصة بدوره لنيل قسط من الراحة أخيرا ..
بما انه قرأ الملف الخاص بكل شيء عنها و درسه جيدا فقد علم بوجوب إيقاظها بنفسه الآن ، ناداها برفق :
- جيّدا ، لقد نمتِ وقتا كافيا هيا استيقظي ..
تحركت كطفلة في الخامسة تدفع عنها النعاس و بدأت برفع أهدابها لتعكس ملامحها الذعر الذي الم بها و تهب جالسة بينما تهتف متشنجة بشكل لا إرادي :
- مـــراد ..
جلس على حافة الفراش مشيرا بالضوء قائلا بنبرات رخيمة :
- اششششش اهدئي ، أنا هنا لا تخافي ..

حدقت به تتأكد من قامته المهيبة على ذلك النور الحثيث قائلة بنبرات أربكها الخوف :
- لماذا أطفأت الأضواء ؟! أنا لا أحب الظلام ..
رد قائلا ببساطة :
- اجل اعلم و لذلك فضلت إيقاظك بنفسي ، لقد هبت عاصفة ثلجية هي ما سبب انقطاع التيار الكهربي عن المنطقة بأسرها فخشيت أن يفاجئك الأمر و كنت محق كما يبدو ..
أومأت بامتنان و قد هدأ روعها :
- نعم شكرا لك ، كنت سأخاف كثيرا فلطالما كرهت الظلام الدامس ..
تناول كفها قائلا بتفهم :
- تعالي معي لنعثر على بعض الشموع أنها في مكان ما بالمطبخ ..
استكانت يدها الصغيرة داخل رحابة كفه و أسلمته قيادها ، خرجت من الفراش مرتدية خفها بلهفة تحاول إخفاء جزعها بشجاعة انتزعت إعجابه و غادرا الغرفة دون انتباه لكونها مرتدية منامتها الرقيقة و لم تضع شيئا عليها يقيها البرد أو نظرات زوجها المتفحصة ..
❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖
ظلت سيارة عمر في مكانها قابعة دون حراك

و هو داخلها لا يجد للهدوء سبيلا ، منذ غادرتها راكضة لم يزح عينيه عن مدخل المنزل عاجز عن الولوج خلفها و خلق فضيحة أو العودة و ترك الأمر ، سيموت إن لم يعرف لكنه يخشى المعرفة ..

للمرة الأولى يجد نفسه بهذه الحالة المزرية و لا يستطيع التصرف ..

زفر قهره بيأس و تناول هاتفه متصلا بها قبل أن يرتكب حماقة اكبر ..

استمع للرنين يدوي دون فائدة فأعاد الكرة بينما يقسم بعنف إن تجاهلته هذه المرة ستجده أمامها داخل غرفتها لو لزم الأمر ...

كانت تحدق في الشاشة المضيئة بصورته بذهول ، لما يتصل بها !!

لكن طرق عقلها خاطر أوقف شلال الدمع ،قد يكون هدأ و عاد عقله للعمل و يرغب بسماعها ، اجل هو ذلك بالطبع فعمر يعرفها أكثر من نفسها و مستحيل أن يفكر بالسوء عنها ، تناولت الهاتف بلهفة و قبلت اتصاله قائلة بنبرات متهدجة فاحبالها الصوتية قد استنزفها التعب :

- عمر .....

قاطعها بنبرة حاسمة :

- انزلي فورا ، أنا مازلت في الخارج ..

لم تستوعب مقصده ، هل يعني انه لا زال أمام المنزل تحت المطر و قد هبط الظلام !

حاولت الاستفسار لكنه قاطعها صارخا :

- أريدك أمامي في الحال سُلاف و لا تختبري صبري أكثر ..

قالها و أنهى الاتصال ! أي جنون هذا ؟ هل أصابته عدوى الهوس ؟!

تحركت سريعا تعيد ترتيب شعرها و كانت قد أبدلت ثيابها قبل اتصاله فهرعت إلى الأسفل و خرجت من المنزل حريصة على عدم المرور بغرفة المعيشة حتى لا يراها أيا من والديها ..

تجنبت الرذاذ المتطاير حاملا لسعة برودة جمدت قلبها خاصة مع رؤية بريق عيني ذلك الرابض خلف مقود سيارته أشبه بمجرم يخطط لاغتيالها ..

ما إن رآها تظهر من البوابة حتى تقدم بالسيارة آمرا :

- اصعدي ..

نفذت بآلية فدخل مباشرة بالموضوع قائلا بحدة اجفلتها :

- كم مره ذهبت إليه من قبل ؟ أريد أن اعرف كل شيء ..

عندها فاض بها الكيل كأن لهجته الدونية أعادت لها شجاعتها الهاربة فاستدارت تواجهه بعنفوان ناهرة إياه بقولها :

- اخجل من نفسك ، كيف تجرؤ على سؤالي هكذا ؟! لو كنت تمتلك دماغ يفكر لأدركت أني كنت ضحية خدعة و إلا لما آذيته و استنجدت بك ، لكن رأيك لا يهمني و لن ابرر لك ..

ثم همت بالترجل لكنه امسكها من رسغها ليعيدها مكانها هاتفا :

- قصي عليّ ما حدث و إياك و الكذب أو إخفاء أي هفوة مهما كانت محرجة ..

سحبت ذراعها من قبضته بعنف هاتفة بشراسة :

- لا ، لن أخبرك أي شيء ، إذا أردت الحقيقة ابحث عنها بنفسك لكن اعلم إنني لن أسامحك أبدا على اهانتي و تشكيكك بأخلاقي ، منذ هذه اللحظة انس اسم سُلاف و ألغيه من حياتك كما سأفعل معك ..

ثم تركته خلفها و عادت للداخل شامخة برأسها دون دموع هذه المرة فعيونها جفت مآقيها لكن قلبها كان هو الباكي ..

استمرت عبارتها تطرق مسامعه و تجلد روحه بسياط ملهبة (انس اسم سُلاف ..!) لما يشعر بها تطعنه بشدة و تسلبه جزء من كينونته ؟! متى كان لها هذه السطوة على مشاعره ! كيف استطاعت إشعال غضبه و لوعته بنفس الوقت و القوة ! ألهذا الحد هي ضرورية لحياته !! بهذه اللحظة تذكر نظراتها الجريحة التي رمته بها فانضم الندم للمزيج الهادر داخله لينوء بحمله حقا ، وضع رأسه على المقود مطبقا جفنيه بألم ساحق و عقله لا يكف عن الصراخ ، تبا سيجن إن لم يعرف حقيقة ما حدث ، ليته أغلق فمه الغبي و تركها تخبره ، لكنه سيعرف ...

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

أرشدهم ضوء الهاتف في البحث داخل أدراج المطبخ ، كانت هي من يوجهه بينما يبحث هو حيث رفضت ترك كفه و ظلت متشبثة به تستمد الأمان من قوة قبضته حتى عثر على ضالته فحمل الشموع مع الثقاب قائلا :

- اجلسي جيّدا و اتركي يدي لاستطيع إشعالها

قادها نحو الطاولة فاحتلت المقعد الخشبي صاغرة بينما وقف مطلا عليها يعمل بكفاءة .. سرعان ما انتشر الضوء راسما ظلال

على الجدران المحيطة شكلت مع صوت الرياح جوا غير محبب فحاول لفت انتباهها بعيدا عن ذلك و تشتيت إدراكه لهيئتها الصارخة بالأنوثة التي تستفز رجولته الوافرة قائلا :

- هل تعلمي أننا لم نأكل منذ مغامرة الصباح في البحث عن عربة صانع الفطائر الذي تجهلين اسمه أو أي شيء يتعلق به ..

نجح في مسعاه عندما صدحت ضحكاتها الآسرة مرددة بمرح :

- لكن لا تنكر إنني أوصلتك إليه في النهاية و تناولنا وجبة شهية ، هيا اعترف و لا تكن لئيما ..

رفع كفيه باستسلام قائلا :

- حسنا اعترف ، لكني جائع جدا الآن و علينا البحث بمحتويات البراد فقد انشغلنا بجلب طلاء غرفتك البشعة و نسينا التسوق و يستحيل طلب شيء مع حالة الجو في الخارج لذا علينا الاعتماد على أنفسنا و الاكتفاء بما نجده هنا ..

شاركته هاتفة باهتمام :

- و أنا أيضا أتضور جوعا كما اشعر بالبرد ..

ردد ببساطة مع لمحة سريعة :

- طبيعي أن تشعري بالبرد فانقطاع التيار يعني توقف نظام التدفئة ..

بهذه اللحظة انتبهت لنفسها و أدركت ما ترتديه فاحتقن وجهها بشدة آملة أن لا يكون قد تفحصها مليا ..

رغم الإضاءة الخافتة لم يخفى عليه ما الم بها و لمس حرجها فعرض ما يجنبها ذلك و يحافظ على سلامة عقله بالمقابل :

- ما رأيك أن تفحصي البراد بينما اصعد و اجلب لك معطفك أم تريدين شيئا آخر ؟

أومأت بتقدير و ارتياح ثم أخبرته عن مكان الملابس التي تريدها تحديدا كما طلبت جلب هاتفها تحسبا لاتصال أيا من أفراد عائلتها ..

استدار مهتديا بهاتفه من جديد ، عندها راقبت هيئته الصاعقة في الكنزة السوداء التي تبرز بنية عضلية صلبة لم تخطئها عيونها الخبيرة بأشكال البشر مع سروال ضيق من الجينز الذي يفضل ارتدائه كما لاحظت ..

عند عودته حاملا أغراضها كانت قد أفرغت كل ما وجدته يصلح لصنع وجبة فوق الطاولة .

ناولها الملابس متفحصا المواد أمامه باهتمام تعمده ليترك لها الخصوصية اللازمة لارتداء ثيابها الصوفية السميكة التي وضعتها بسرعة

فوق المنامة و بدت جاهزة للمساعدة .. لمحها بطرف عينه فتحدث بعملية :

- لدينا حليب و بيض اممم و هناك الزبد مع نوعين من الجُبن و العسل و اعتقد أن هناك بعض الطحين ..

تحرك و فتح احد الخزائن ثم هتف بانتصار :

- اجل ها هو ذا ، ما رأيك أن نصنع وجبة تركية أصيلة ؟ "خُبز أشما " لا بد انك تذوقته بالفندق فهو من أشهر المعجنات هنا ، يقدم ساخن مع الجُبن و العسل ..

مطت شفتيها قائلة بحيرة :

- لا اعلم ، ربما لو رأيت شكله اعرفه ، أنا لا أريد إحباطك لكني لا أجيد الخَبز ، أفضل عمل الحلويات و قد رأيت بعض الفريز و القشدة في البراد ما رأيك لو قسمنا العمل ، المالح لك و الحلو لي ؟

سكنت ابتسامة الرضا عينيه فجعلته يبدو مختلفا و خاطف للأنفاس قائلا :

- اتفقنا ، الحلوى جيده لأنها ستمدنا بالدفء بالإضافة لحرارة الموقد و هكذا حُلت مشكلة الطعام و البرد ، يا لنا من زوجين ..

ضربتها عبارته في صميم قلبها الذي يهوي تدريجيا في حب زوجها ! اجل لم يخنها التعبير فرغم قصر المدة الزمنية التي عرفته بها لكنها تشعر أن كل دقيقة تمر عليها بصحبته تجعله يتغلغل أكثر داخلها محتلا مساحة أوسع بقلبها الفتيّ الذي فتح ذراعيه يستقبله بترحاب كمن عاش سنواته ينتظر عملاق دافئ النظرات حاد الطباع سريع الغضب و الرضا ليسكنه !!

- هاي ، لما لا أرى عملا أمامي ! لقد قاربت على الانتهاء يا فتاة ..

انتبهت لقوله فنحت اكتشافها الرهيب جانبا و تطلعت لتجده قد خلط الطحين مع مسحوق الخبز و قليل من السكر و الملح داخل إناء عميق ثم صنع داخله فجوة في المنتصف كسر داخلها بيضة و اتبع بالحليب و قطعة من الزبد و قلب الجميع بقوة لتتكون أمام عيونها عجينة متماسكة و تبدو لينة بمهارة من اعتاد على ذلك!

كانت تراقبه بادية الدهشة فردد بابتسامة جذلة :

- ماذا ؟ هل فاجأتك ؟

حركت رأسها قائلة بانبهار :

- و متى لم تفعل ؟! أهناك شيء لا تجيده !

أومأ بشقاوة تراها للمرة الأولى فبدت مسحورة به أكثر عندما أجاب غامزا بإحدى عينيه :

- اجل ، الرسم ..

حركت قدميها عنوة خارج دائرة سحره باتجاه البراد و أخرجت الفاكهة مع علبة القشدة قائلة بنبرة جاهدت لتخرج طبيعية :

- هذا جيد لغرورك حتى لا يتفاقم و لا نستطيع السيطرة عليه ..

استدارت لتضع أشيائها فوجدته يجلس باسترخاء يراقبها بفضول كشفه بريق عينيه الداكن فهتفت قائلة :

- لما تجلس هكذا و لا تكمل عملك ؟ أين الخُبز !

فاجأها بضحكة رجولية عذبة مرددا :

- الآن صدقت انك لا تجيدين الخَبز ، انه يتخمر بالطبع لهذا أشعلت الموقد و وضعته بالقرب منه فالجو بارد و هذا لا يساعد ..

رفعت حاجبيها قائلة :

- اممم شكرا على المعلومة ، حسنا راقب و تعلم بدورك سأعد الفريز بالكريما ..

و شرعت تشق كل ثمرة من طرفها بشكل متعاكس حتى المنتصف ثم ترصها على قاعدتها بعدها أفرغت القشدة بإناء زجاجي مضيفة إليها بعض السكر للتحليه قبل أن تخفقها بالمضرب اليدوي بشكل سريع ، عدة لفات فحسب حتى حصلت على القوام المطلوب ثم ملأت شقوق حبات الفريز بها و ختمت بوضع القليل من العسل أعلى كل واحدة منها قائلة :

- و هكذا أصبحت جاهزة ..

رفع حاجبه هاتفا باستنكار :

- أتعلمين ماذا يطلق على ذلك ؟ انه احتيال مع سبق الإصرار و الترصد ، لقد غششت

أشارت بيديها ضاحكة :

- ما ذنبي إذا كان هذا هو كل ما توفر لديك !

حرك رأسه برفض :

- لا شأن لي ، أنا لا اقبل بالخداع ستساعدينني في تشكيل الخُبز ..

أومأت باسمة و تبعته بينما جلب الإناء و قد تضاعف حجم العجين داخله فقام بتقسيمه نصفين سلمها احدهما قائلا :

- افعلي مثلي ..

رش طبقة رقيقة من الطحين فوق الطاولة ثم حول قطعته إلى ثلاث كرات متساوية ، لف كل كره لتصبح عامود طويل بعدها الصق

أطراف الثلاثة من الأعلى و بدأ يجدلهم حتى النهاية أما الخطوة الأخيرة فكانت لف الجديلة بشكل دائري واضعا إياها داخل صينية مسطحة .
فعلت بالمثل و انتهت معه تقريبا فنظرت لخاصتها بفخر قائلة :
- انظر جديلتي أجمل من جديلتك ..
ضحك دون تعليق و تناول فرشاة صغيرة ثم دهن وجه القطعتين بمخفوق البيض فبدت لامعة شهية ، أردف طالبا منها بألفة :
- ابحثي في هذه الأوعية عن بعضا من الحبة السوداء أو السمسم ..
استدارات تنفذ بحماس و كليهما غافل أن من يرى الصورة من بعيد سيجد زوجين بغاية الألفة يتعاونان لإعداد وجبة حميمية على ضوء الشموع !!
ناولته البذور التي رشها على الوجه بحرفية قائلا بزهو :
- ها قد انتهينا ، ستتذوقين ألذ خُبز بعد قليل كما تعلمت صنعه ، أنت مدينة لي تذكري ذلك ..
أومأت راضية :
- حسنا ، لك عندي واحدة أيها الطاهي البارع ..

لم يكد يمر وقت إلا و هما يتناولان وجبتهما الشهية و يتبعان بالحلوى الخفيفة ..
عادت لتناول لقمة إضافية غمرتها بالعسل هاتفة :
- يا للروعة ، لقد اتخمت بالطعام لكنه لذيذ حقا ..
أسعده رؤية ملامحها الناطقة بالسعادة كما أبهجه أن تشاركه الطعام و تأكل بشكل حقيقي كالبشر الطبيعيين دون احتساب كم السعرات أو تصرخ هلعا من كمية الدهون في الوجبة ، لا يدري لما لفت انتباهه ذلك لكنه شعر بلذة الطعام أكثر مع تعليقاتها و مشاركتها ..

عادت بمقعدها للخلف بهناء غير راغبة بانتهاء جلستهم المشبعة بالدفء الداخلي و والخارجي و قد انعكس ذلك على كليهما فبديا مسترخيان و يألفان صحبة بعضهما قائلة

- في مثل هذه الأحوال إلى متى يستمر انقطاع التيار ؟

أجابها بلكنته المميزة :

- قد يمتد إلى الصباح ..

ابتسمت سائلة بفضول :

- بما انك تعتبر تركيا هي وطنك الحقيقي فلما تتحدث العربية بهذه الطلاقة ؟ اقصد فيما تفيدك هنا ؟

شملها بنظرة عميقة قبل أن يجيبها ببساطة :

- لمعلومتك هناك أكثر من ٢ ٪ من الأتراك يتحدثون العربية أما بالنسبة لي فقد نشأت بها و هي جزء من ذاتي ، ثقافتي التي لا أنكرها و انتمي إليها ..

أسندت رأسها إلى قبضتها و عادت تسأله بفضول بالغ :

- لقد ذكرت من قبل أن عائلتك تقيم بالقرب من هنا ، فلما لا تعيش معهم إذن !!

أشار بكفه قائلا بتلقائية :

- كل شاب بفترة ما يحتاج للاستقلال بحياته ..

تابعت بعدم اقتناع :

- لكن لماذا ؟! لا يوجد أفضل من البقاء بين دفء العائلة هذا لا يتنافى مع الاستقلالية أبدا ..

ميل رأسه بتفكه :

- هل تفعلون ذلك عندكم ؟

أومأت قائلة بحماس :

- بالطبع ، انه شيء أساسي ..

رفع احد حاجبيه مرددا باستهجان :

- يبقى الشاب مع والديه بعد النضوج ؟!!

أكدت بثقة :

- الأغلبية اجل ، و لما لا يفعل ؟!

اسند مرفقه على الطاولة و تابع بعناد :

- و أين حريته و حياته الخاصة ؟!

استمرت بنفس النبرة التي تبشر بجدل طويل :

- موجودة و لا مساس بها ، ينتقل إلى منزل مستقل بعد زواجه عدا ذلك ما الضرر من بقائه بين أفراد عائلته ؟ طالما لا توجد ضرورة للانتقال كظروف العمل أو الدراسة ! أنت هنا في نفس المنطقة و لا تبعد مسافة تذكر

كما قلت أي انك أردت القرب منهم ، أليس كذلك ؟

أومأ بصبر ثم قال شارحا :

- بلى ، و اذهب إليهم بشكل يومي تقريبا ، لكن هذا لا يمنع كوني بحاجة للاختلاء بنفسي ..

كتفت ساعديها أمام صدرها قائلة :

- بإمكانك فعل ذلك داخل غرفتك ؟؟

عاد يشير بكفه راغبا في إغلاق الموضوع :

- هذا لا ينفع الأمر مختلف ، احتاج لمكان خاص بي ..

ضربها الفهم فتضرج وجهها بالخجل الشديد حامدة الله على ضعف الإضاءة قبل أن تردد بخفر لذيذ أشعره بمتعة غريبة :

- أوه لقد فهمت ، انتم هنا تطبقون التجربة الأوربية كاملة رغم أنها بلد إسلامي !

رفع حاجبيه راغبا في مشاكستها بادعاء عدم الفهم قائلا :

- ماذا تقصدين ؟

لم تهرب من المناقشة كما ظن بل فاجأته بقولها:

- الانفتاح في العلاقات خارج إطار الزواج على سبيل المثال ..

حرك رأسه مرددا :

- لقد ذهب عقلك بعيدا ، لم انتقل لمنزل خاص لهذا الغرض ثم صدقي أو لا أنا لا أحبذ هذه النوعية من العلاقات ، يبدو أن الدراما أعطت فكره مغلوطة عن الحياة هنا ، لمعلوماتك هناك جانب كبير من الشعب التركي لا يزال محافظ على العادات و التقاليد ويرفض هذه الممارسات بل وصل الأمر عند بعض العشائر إلى قتل الفتاة التي تفرط في نفسها و يظل العار يطارد عائلتها جراء فعلتها ، لا تعممي ما يحدث في بعض الأوساط و المدن الكبرى على الريفية أو الشعبية مثلا ، للأسف التحضر الزائد يأتي معه تصرفات شاذة تشوهه في بعض الأحيان ..

أشعرها حديثه بالسعادة كما وجدت نفسها تحدق فيه كمراهقة وجدت نفسها أمام بطل أحلامها فجأة ! لكنها أرادت الوصول لنقطة معينة تؤرقها بشكل خاص :

- لا تظنني فضولية لكنك تمتلك صديقة و هي تزورك في منزلك و تتصرف بشكل يوحي بأنكما .....

قاطعها مكررا قوله السابق :

- أخبرتك أن ناز خطيبتي و ليست مجرد صديقة و قدومها إلى هنا لا يعني علاقة من هذا النوع ..

لمعت عيونها بمشاغبة بينما قلبها يرقص طربا قائلة :

- أنت لم تقنعني بالمناسبة ..

نظرتها أذابت قلبه و شعر بخطورة تغلغلها أسفل مسامه جلده لذا هب عن مقعده قائلا :

- لم أهدف لذلك أساسا فلك الحرية بطريقة تفكيرك ، لقد تأخر الوقت ألن تنامي !

حدقت في شاشة الهاتف لتفاجأ بمقدار الوقت الطويل الذي مر دون أن تشعر ، ألهذه الدرجة تنسى العالم بأكمله في حضرته !

أومأت باسمة :

- اجل لكن سأرتب الطاولة أولا ، اصعد أنت و سألحق بك ..

ابعد عقله بعنف عن المعنى الحميمي خلف عبارتها العفوية الذي لا تقصده بالطبع قائلا

- حسنا ، لكن ألن تخلي الظلام !!

حركت رأسها نافية ثم أوضحت قائلة :

- لا ، لقد اعتدت على المكان و طالما هناك بصيص من الضوء فالأمر عادي لا تنس إنني اخرج مع الفجر دون خوف ..

قبل أن يغادر المطبخ تاركا حميمته و دفئه خلفه بأسف استدار قائلا بلطف :

- لا تنسي إطفاء الشموع و إذا رغبت بشيء نادني ..

منحته احد ابتساماتها الساحرة جعلته يزدرد لعابه بصعوبة و يهرع بعيدا عن الخطر ..

أدركت ما الم به بغريزتها فشملتها موجة جارفة من السعادة حولتها لفراشة ملونة تحلق بمرح فاستدارت تجمع الأطباق و بقايا الطعام و ذكريات ليلتهم الفريدة تتسابق داخل مخيلتها و كلما مرت على جزء منها دمغته بطابع جديد تتشربه خلاياها بدفء لذيذ و توق للمزيد ..

أنهت أعمالها ثم عزمت على إطفاء الشموع لكن استوقفها صوت مكتوم لفت انتباها رغم خفوته و أشعل فضولها لمعرفة مصدره ..

نهاها عقلها عن فعلها لكنها قوّت قلبها ، سوف تكتشف ذلك الشيء الذي يخشخش على عتبة باب مطبخها و لن يصيبها مكروه ..
ثم أدارت المقبض المعدني بحزم ...

نهاية الفصل

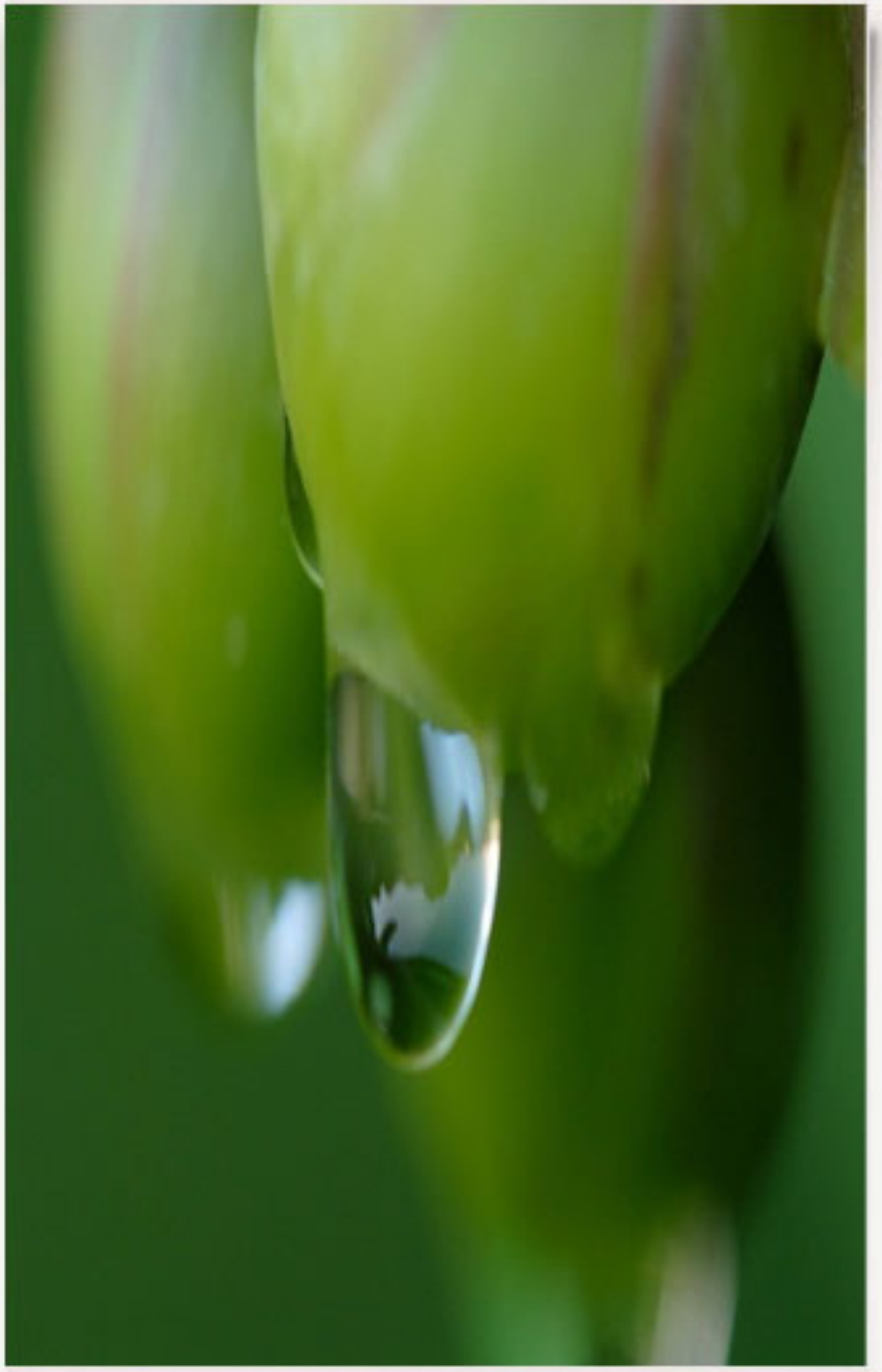

دمعات القمر

القطرة الحادية عشرة

أزاحت ندى الستائر لتسمح بعبور الضوء الشاحب الذي لم يتخلص من غيوم اليوم السابق لداخل الغرفة ثم استدارت بابتسامة حب لذلك المستغرق بالنوم بشكل مطابق لما يفعل ابنه كأنهما نسخة كربونية من بعضهما !

ألقت نظرة سريعة على نفسها ثم احتلت طرف الفراش بخفة و مالت إليه هامسة :

- خـالد ، لقد حان وقت الاستيقاظ أيها الكسول ..

تململ بكسل و غمغم دون أن يفتح عينيه :

- لما ؟ كم الساعة ؟

ردت قائلة بمشاكسة :

- بالكاد تتمكن من اللحاق ..

هب جالس بشكل مضحك هاتفا بدهشة :

- لا يعقل هل انتهى رنين التنبيه دون أن أعي !

صدحت ضحكاتها على ملامحه المستنكرة كأنه عاصم الصغير الرافض لترك الفراش هاتفة :

- في الوقع هو لم يبدأ بعد ، قصدت لحاق الإفطار حياتي ، أين ذهب عقلك !

منحها نظرة حانقة بينما يلقي نفسه للخلف مجددا و قد عاد الهدوء لملامحه الجذابة :

- لن تكفي عن المشاغبة ، ظننت الوقت تأخر حقا و لدي جراحة مبكرة ..

اتكأت على صدره بدلال أصبحت تكثر منه قائلة بنعومة :

- اعلم حبي لذا أيقظت قبل الوقت المحدد لتنعم بإفطار جيد حتى تتمكن من التركيز ..

رفع حاجبيه قائلا بدهشة :

- هل تهتمين بعملي حقا !

داعبت بشرته بأطراف أناملها قائلة بنفس النبرة:

- و ماذا ظننت ؟ بالطبع اهتم هيا اخبرني عن طبيعة الجراحة ، اقصد نوعها ..

لم تفارقه الحيرة فاعتدل جالسا قائلا بجدية :

- لكنك لم تفعلينها من قبل ، بالعكس كنت تتعاملين مع عملي كمنافس يأخذني منك !

استمرت في دلالها الأنثوي قائلة بصدق :

- اعترف كنت مخطأة و تعلمت أن اكف عن الأنانية و كما أطالب بحقوقي عليّ القيام بواجباتي و مبادلتك الاهتمام ثم اكتشفت أن ذلك يعجبني فالمتعة اكبر بكثير عند المشاركة و العطاء المتبادل ..

ابتسم و قد عكست عينيه نظرة تقدير فتناول كفها مقبلا باطنه قائلا :

- اعترافك هذا أسعدني للغاية و أجده قمة

الشجاعة فنحن لسنا خصمين حبيبتي بل نصفين و عندما يقصر احدهما على الثاني تذكيره بعبارات صريحة و تصرفات واضحة بدلا من الالتفاف حول الأمر بمشاجرات واهية تزيد من هوة الخلاف .. سأعترف بدوري إنني لم انتبه عندما جذبتني دوامة العمل بعيدا و كدت اخسر عائلتي و مدين لك بإعادة حياتنا أفضل مما كانت عليه ، أنت هي عمادها قطرتي و بوجودك فقط أكون الرجل المسيطر و الطبيب الماهر فلم تري حالتي وقت غيابك لقد نفر مني المرضى و الزملاء ..

تصريحاته أنعشت روحها فألقت نفسها بين ذراعيه و طبعت قبله عميقة فوق شعيرات لحيته التي تعشق ملمسها قائلة :

- هيا قبل أن يضيع الوقت ، سأحضر ملابسك حتى تنتهي من الحمام ..

سرعان ما كان ينهي استعداده أمام المرآة برش عطره متمما أناقته ثم الفت ليقف بين يديها التي تضع لمساتها المحببة عليه ، تمسد هنا و تضبط هناك ..

أخيرا استكان كفيها فوق صدره قائلة :

- أتعلم أنت لم تخبرني حتى الآن برأيك في طريقة زواج ادهم ..

حرك كتفيه قائلا :

- و بما يفيد رأيي طالما هو سعيد و قرر خوض الأمر ، يكفي انه يحبها و راض لا شيء يهم بعد ذلك ، لكني احترم شجاعته و سوف ادعمه بكل قوتي ..

رفعت كفيها تحيط عنقه قائلة بإصرار :

- أنا أصر على المعرفة ، ماذا كنت ستفعل مكانه ؟ تتزوجني رغم إرادة بابا ؟

ضحك عاليا و قد أدرك أخيرا المغزى الخفي لسؤالها فردد بمشاكسة :

- امممممم لكن عمي أعفاني من هذا الخيار لحسن الحظ و أعطاك لي مع البراد و الموقد هدية ..

ابتعدت عنه كما تفعل لانا عندما تغضب ثم دقت الأرض بقدمها هاتفة :

- لطيـف جدا ، أتعلم لم اعد أريد الحديث معك و استدارت لتغادر الغرفة لكنه لحق بها و طوق خصرها تسبقه ضحكاته المستمتعة بمزاج زوجته

ذات العيون الرمادية الآسرة ثم قربها منه واضعا جبهته فوق جبينها هامسا :

- حســنا لن امزح ، بالطبـع كنت سأفعل و افعل و افعل و ربما أُخيم أمام باب منزلكم حتى يشفق والدك عليّ فخالد لا يستطيع الحياة بعيدا عن قطرته ..

عادت تلف ذراعيها حول عنقه سائلة بدلال :

- حقــاً ..

التقط شفتيها في قبلة خفيفة مؤكدا :

- حقا صغيرتي ....

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

- مـراد ! لا يعقل أن أوقظك كل يوم !!
أي ضابط أنت ؟ من المفترض انك حارسي الشخصي و ليس العكس !
هتفت بها جيّدا بينما تزيح عنه الأغطية ، تعلم أن الوقت لا زال مبكرا لكنها ترغب بقضاء كل لحظاتها معه دون أن تخسر أيها ..
فتح عينيه بانزعاج هاتفا بصوت كسول :
- مـاذا الآن ؟ هل دق ناقوس حصة الرسم اليومية ! لاحظي أن لدي عمل غيرك أيتها المتسلطة و ليس معنى عدم مغادرتي المنزل إنني أهمله ..
وضعت يديها فوق خصرها هاتفة :
- اعلم انك تتواصل مع زملاءك طيلة الليل ، لقد وصلت أصوات ضحكاتهم الصاخبة إلى غرفتي ، لما يا ترى ؟!
أعاد خصلات شعره للخلف بحنق و قد تذكر تسلية رفيقيه على حسابه و اقسم أن ينتقم منهما لاحقا قائلا :
- لا شأن لك ، هل سنخرج ؟
أشارت بكفها إلى النافذة و قد أضاءها الشعاع الوليد الذي يناضل للمرور بين السحب المتكاثفة قائلة :
- ألا ترى الوقت ! لقد انتهيت من الرسم يا سيد كسول ..
دب فيه النشاط دفعة واحدة فهب قافزا من الفراش ليصبح بمواجهتها قائلا :
- هل خرجتِ بدوني !
حركت رأسها نافية :
- كلا ، لكني صعدت إلى سطح المنزل ..
رفع حاجبيه قائلا :
- ألم تقلعي عن تلك العادة ! بإحدى المرات ستسقطين و تدقين عنقك ..
تجاهلت قوله مرددة :
- هل تعلم أن لديك إطلالة رائعة من الأعلى ؟ يجب أن تشاهدها ..
عاد لنزقه مرددا :
- لا اله إلا الله ، لما أيقظتني بهذا الوقت إذن !
أدارت عيونها بنفاذ صبر قبل أن تردد بمكر :
- هل نسيت عملك الذي ينتظر ؟!
استدار إليها مستفسرا :
- أي عمل ؟!!!
شهقت مستنكرة ثم مطت شفتيها قائلة :
- الم تعدني بالمساعدة في طلاء الغرفة ! هيا أمامي لننتهي منها قبل حلول المساء ..

عطس فجأة دون سابق إنذار قائلا بسخط :
- هل أوصاك احدهم عليّ ! ألا تهدئين أبـدا ؟
ثم ختم قوله بعطسة أخرى و قد بدأ انفه في الاحتقان فسألت باهتمام :
- ماذا بك ؟ هل أصبت بالزكام ؟
تناول احد المحارم الورقية و مسح عينيه من غلالة الدمع التي رافقت قوة عطساته الغريبة قائلا :
- ليس على حد علمي ..
راقبته بإمعان مرددة بحنان :
- حسـنا سوف اعد لك بعض الشراب الساخن ، استعد و الحق بي في الأسفل ..
الدش الدافئ لم يزل عنه الحالة التي ألمت به و ها هو يدلف إلى المطبخ تصاحبه نوبة متتالية من العطس القوي و الأدهى أن جلده بدأ بالحكة ! استقبلته بنظرات امومية بحتة عارضة عليه قدحا يتصاعد منه البخار لكنه لم يكن ينظر إليها بل تركزت عينيه على إحدى أركان المطبخ و قد ارتفع حاجبيه بذهول مدركا سبب كل ما يعانيه هاتفا :
- من أين أتت هذه !!

تتبعت مسار نظراته ثم ابتسمت بمحبة و اتجهت للهريرة الصغيرة الأشبه بكرة من الفراء الناعم ، حملتها و عادت إليه ليتراجع إلى الخلف هاتفا بعنف :
- أخرجيها من منزلي حالا ..
ثم انتابته سلسلة متواصلة من العطسات القوية و بدأت أعراض الحساسية تظهر عليه ..
مطت شفتيها هاتفة برفض :
- لقد وجدتها بالأمس أمام الباب تعاني البرد القارص ، هل كنت اتركها تموت !

بالطبع أدخلتها و حممتها بالماء الدافئ ثم أطعمتها ، أتعلم لقد أحبت الخبز الخاص بك ، لا ريب إنها لأحد الجيران ..

بالكاد استطاع النطق بينما يواصل التراجع بعيدا عن المكان :

- لعلك لم تلاحظي حتى الآن إنني أعاني الحساسية من القطط و كل الكائنات ذات الفراء ، لذا أخرجيـــها ..

قال آخر كلمة بصراخ أيقظ ثورتها فهتفت به قائلة بدورها :

- كلا ، اخرج أنت ، ألا تعرف الرحمة ! كيف اتركها بمفردها ؟ أنت كبير و تستطيع التحمل بينما هي تائهة و خائفة ..

التصق حاجبيه بمنابت شعره مرددا بعدم تصديق :

- و ماذا عليّ أن افعل حتى تجد عائلتها ؟! انتفخ كالبالون ثم اختنق ..!

رفعت كفيها فوق خصرها كما تفعل كلما تحدته قائلة :

- ما رأيك لو اخبر السيد ارسلان انك تعرقل سير المهمة و تفسدها بعدم تعاونك معي ؟

استشاط غضبا و قد اتسعت عينيه هاتفا :

- مـــاذا ؟!!!

أومأت بإغاظة و تابعت حديثها المستفز :

- اجل فأنت تغضبني باستمرار و هذا لا يحفز ذاكرتي على العمل ..

أنقذها من رده الذي كان سيقترن بتصرف آخر لا محالة موجة العطس الجديدة التي سيطرت عليه بينما عيناه تدمعان و بشرته يزداد احمرارها فتحرك قلبها إشفاقا عليه ، كبتت ضحكاتها و سارعت بإبعاد صديقتها الصغيرة إلى ركنها الدافئ و عادت إليه قائلة :

- حسـنا دعنا نجد حلا وسط ، لن أخرجها من المطبخ و أنت ابق خارجه و سأحرص على تنظيف ثيابي من بقايا الفراء ، انه اليوم فقط حتى أجد أصحابها اتفقنـا ؟

أشار لها بتحذير هاتفا :

- ابتعدي ، حافظي على المسافة بيننا فأنفي بحاجة لفرقة مطافئ ..

هذه المرة لم تستطع تمالك نفسها و غرقت بالضحك على تعليقه لكن مظهر البقع الذي بدأ ينتشر على جلده آلمها كأنها تشعر بحرارتها معه فأردفت :

- أوه أيها المسكين أنا حقا آسفة ، اخرج من هنا و انتظر بالخارج سأضع لها بعض الحليب ثم آتي لنرى ماذا عن دوائك ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

استلقى ماجد داخل غرفته يغلي من فرط الغضب و الإحباط مع بعض التوتر ، لقد سار الأمر عكس كل توقعاته منذ أفاق ليجد نفسه ملقى بين الحطام ، رأسه و عنقه مدميان و يتألم كأن شاحنة دهسته ..!

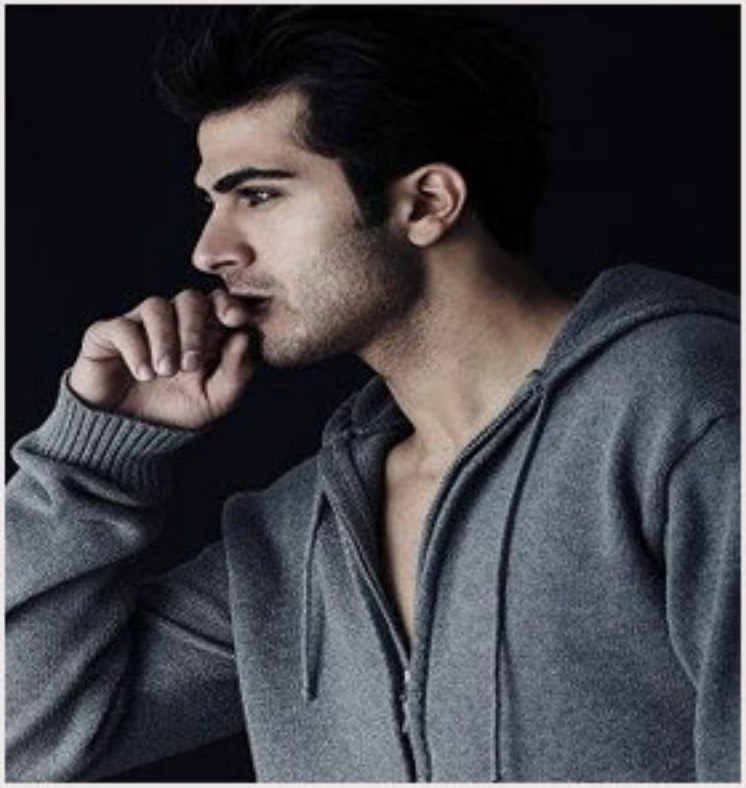

لا يذكر ما حدث بعد صراعهم العنيف كما لم يغفر لنفسه فقدانه الوعي أمام فتاة لا حول لها و لا قوة ! كيف سمح لها بالتغلب عليه ! و الأدهى كيف غادرت المنزل ؟ و من الذي ربط رأسه ؟ هي ! لا يعقل أن تفعل ، هناك شيء ما خاطئ و الغبية الأخرى لم تتصل به ليعرف عن الصور .. صر على أسنانه بثورة عارمة ، تبـا ماجد لقد أوقعت نفسك في مأزق هذه المرة لكنه سيجد المخرج ، قليل من التفكير و سيدرك ما عليه فعله ، الآن عليه طلب عدة أيام إجازة حتى يجد سببا لتلك الكدمة التي تحتل جانب وجهه بأكمله ناهيك عن جرحي رأسه و عنقه ، ربما يدعي تعرضه لحادث اصطدام ...

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

- ماذا بك فيفي ؟ صوتك غير طبيعي !

ألحت أماني في سؤالها و هي تشير لغياب روح المرح التي تميز ابنة عمها الصغرى التي ردت قائلة بهدوء :

- لا يوجد شيء ، كل ما هنالك إنني خرجت تحت المطر بالأمس فأصبت بالبرد ، لا تشغلي بالك بي يا عروس و اخبريني عنك ..

هتفت أماني قائلة :
- لا بأس عليك حبيبتي ، ارتاحي إذن لن نخرج اليوم حتى لا تتفاقم حالتك و يزيد عليك المرض
ردت سُلاف بثقة :
- بالعكس الراحة تجلب لي المزيد منه ، سنذهب للتسوق و لن يتغير شيء و لكن اجلي الموعد بعض الوقت لأني سأذهب إلى الكلية عند الظهيرة ..
سألت الأخرى بحيرة :
- الم تذكري انك لن تذهبي اليوم !
ردت قائلة بحسم :
- تذكرت أمرا هاما عليّ فعله و لا أطيق صبرا لانجازه ..
لم تفارقها الدهشة فأردفت بحيرة :
- حسنا اعتني بنفسك ، سوف انتظرك ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

هبطت جيّدا الدرج ركضا تستقبل مراد الذي دخل لتوه من الباب الرئيسي هاتفة :
- إلى أين ذهبت و تركتني وحدي ؟!
كانت أشبه بطفلة تعاتب والدها الذي لم يصطحبها لشراء حلواها المفضلة ،

كالعادة عباراتها تدغدغ داخله و هو يناضل لإبعاد هذا الشعور ببسالة :
- ذهبت لرؤية والدتي ، أخبرتك إنني افعل دائما كما كنت بحاجة لاستنشاق هواء نقيا حتى جلاء القطة التي احتلت منزلي ..
جالت عيونها عليه بلهفة سعيدة بانحسار الاحمرار عن بشرته هاتفة :
- كيف تشعر الآن ؟
أومأ قائلا ببساطة :
- أفضل كثيرا الحمد لله
عندها انفرجت أساريرها و عادت إليها عفويتها فاقتربت و سحبته من كفه باتجاه الدور العلوي هاتفة :
- لقد وعدتني بالمساعدة و أنا لم انس ذلك ، هيا لقد حضّرت الطلاء ، بقي إزاحة الأثاث و هذا دورك ..
لم تتركه حتى أصبحا داخل غرفتها العبقة بأريج الأنوثة و لمساتها في كل مكان تعبث بعقله ، شرد لوهلة ثم لمعت عيونه بخبث و احتلت ابتسامة ماكرة زاوية شفتيه قائلا :

- لدي فكرة أفضل لكن عليك نقل أغراضك إلى غرفتي ، كلها جيّدا لا تتركي شيئا حتى بالحمام ..

قطبت حاجبيها قائلة بحيرة :

- ما الداعي لذلك ؟ الأمر ابسط ما يكون و ....

وضع سبابته على فمها يقاطعها بأول بادرة منه للمسها دون أن يلاحظ قائلا :

- كفي عن الجدل ، ستفهمين لاحقا الآن لا أريد ترك شيء لك هنا قد يراه الآخرين ، هيا نفذي حتى أقوم باتصال سريع ..

و اتخذ طريقه للخارج لكنه استدار عند الباب و تابع :

- عندما تنتهين ارتدي شيئا يصلح للخروج و كوني جاهزة ..

ظهرت حيرتها جلية و سألته بنفاذ صبر :

- كيف نخرج و نترك كل هذا العمل ؟!

استمرت ابتسامته قائلا بغموض :

- سينجز العمل و كما ترغبين تماما ..

ثم أكمل طريقه تاركا دهشتها تتعاظم خلفه .

❖❖❖

نصف ساعة و سمعت الأصوات الرجولية المستفسرة بالردهة بين الغرفتين فخرجت مستطلعة لتجد مراد بصحبة شاهين و صالح و تبدو عليهم دلائل الحيرة مثلها !

حيتهم بلطف رده صالح أضعاف حيث كان أكثر تبسطا معها من رفيقهم صاحب النظرات المشعة و انطلق يبادلها التعليقات المازحة في حين سألته عن رُقية و أرسلت لها تحياتها ..

تصاعد إحساس مريب داخل مراد أشعره بالضيق و الرغبة بنفي صالح لمجرة أخرى فسارع يقف بينهما حاجبا قامتها الضئيلة بالنسبة له عن أعينهم التي تحمل تساؤل واضح عن سبب استدعائه العجيب ! أعاده لحالة العبث التي تملكته فقال بمشاكسة ماكرة مشيرا حوله :

- كما ترون هذه الغرفة لون طلاؤها بشع لذا مطلوب منكما تبديله قبل حلول المساء ، و حذار من إفساده و إلا أعدتما العمل من البداية ..

تبادل الشابين نظرة عدم تصديق في حين كتمت جيّدا ضحكاتها بمعجزة حقيقية و قد فهمت محاولته للانتقام بسبب مزاحهم الساخر منه فهبت لدعمه و حمل الراية معه قائلة بجدية كادت توقعه ضحكا :

- اجل ، انتبها لما أقوله جيدا ، أريد هذا اللون هنا (و أشارت على المساحة) بينما هذه الأطراف باللون الأخر و رجاء عدم الخلط بينهما و إلا فسد كل شيء و بالطبع يمنع تلويث الأرضية ..

مال شاهين على صالح قائلا بذهول :

- هل تسمع و ترى مثلي أم لعلي أصبت بالخيالات !!

رد صالح بنبرة مشابهة :

- بل هو واقع يا صديقي ، يبدو أننا وقعنا في شر مزحاتنا و حان وقت دفع الثمن ..

ربت مراد على كتف شاهين قائلا بعفوية أتقنها

- هيا باشر عملك يا شريك ، كل منا له نصيب من المهمة لا تغفلا عن ذلك أبدا (ثم اقترب هامسا) كما أن مراد لا يترك حقه مطلقا ..

ثم عاد يردد بنبرة محايدة :

- سأخرج مع جيّدا الآن كبداية للظهور سويا أمام الآخرين ، استمتعا ..

ثم وجه حديثه إليها قائلا بلطف :

- جاهزة عزيزتي ؟

رماهم بنظرة متفكهة قبل أن يغادر معها ، لكنها سرعان ما عادت قائلة ببراءتها التي تتقن إظهارها و التعامل بها :

- آه بالمناسبة ، هناك هُريرة في المطبخ حذار أن تزعجاها و إذا تأخرنا أطعماها ..

غمغم شاهين بدهشة مضحكة :

- ما الذي يحدث ؟! قطة في منزل مراد !!

ردد صالح قائلا بنفس الإحساس :

- ليس أعجب من حالنا يا رجل ، ألا ترى ما نفعله ! ستذُلني رُقية لعام كامل لو وصلها الخبر ..

ناوله احد الفراشي و تابع :

- هيا تقدم بصفتك صاحب الرتبة الأعلى ، إليك اللون الخاص بالتغطية و سأتولى أنا الأطراف ..

رفع شاهين حاجبيه قائلا :

- هل قالت هذا اللون أم ذاك ؟

أجاب صالح بحيرة :

- هل هناك فرق ؟!!

خبط الأخر رأسه هاتفا بقهر :

- ألهمني الصبر يا رب ....

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

خلعت سُلاف رداء الصدمة و الضعف ، لن تعرف التخاذل و لن تسمح بامتهانها ، لو ظنوها ستبحث عن جحر و تختبئ ستجعلهم يعيدون حساباتهم ..

ارتدت ثيابها بعناية زائدة لتعكس قوتها و عدم انكسارها بمواجهة الخسة و النذالة ..

دخلت الحرم الجامعي بعزة و عنفوان تعلم وجهتها و أين تجد ضالتها ..

شحب وجه رانيا بشدة عندما أبصرت سُلاف تتقدم بثبات رافعة الرأس من الطاولة التي تشغلها مع مثيلاتها اللاتي لا يعرفن بالجامعة سوى مكان الكافتيريا ..

وقفت أمامها مباشرة لتتوقف الكلمات بأفواه الجمع الذين اشتعل فضولهم لما يحدث على غير عادة فسُلاف نادرا ما تتعامل مع رانيا و مجموعتها !!

هتفت قائلة بنبرات صلبة :

- ماذا بك ؟ كأنك لمحت شبحا ! لم تتوقعي رؤيتي أليس كذلك ؟ للأسف حقارتك باءت بالفشل و ها أنا أمامك سأمثل كابوسك الدائم و لن أرحمك ..

تلعثمت الأخرى قائلة :

- ماذا دهاك ؟ لا افهم قصدك !

رفعت حاجبها مرددة بترفع :

- اقصد هذا .....

ثم هوى كفها بصفعة مدوية جحظت لها عينا الفتاة بينما سُلاف تكمل بكبرياء أبيّ لا يقبل الضيم أو يقر الاهانة :

- اقسم بمن رفع السموات سبعا طباقا و صورك بهذه الأخلاق المنحطة ستدفعين الثمن مع شريكك الحقير لو كان آخر شيء افعله في حياتي ..

أنت لم تعرفي سُلاف من قبل لكنك ستكتشفين حقيقتها الآن حتى لو اختبأت خلف ألف رقم مستعار ..

ثم شملتها بنظرة مشمئزة و استدارت مغادرة وسط ذهول زملائهم الذين يتطلعون لبعضهم بعدم فهم و فضول بينما ذلك المراقب من بعيد اختلطت أمامه كل الأمور .. !

❖❖❖

استقر عمر أمام المقود ساهما ، عقله يعمل بجهد لتحليل ما سمعه و شاهده قبل قليل ، تلك الفتاة ذات الشعر الملون هي الطرف الرئيسي في الحكاية و معها كل ما يرغب بمعرفته ..

نجح في إيجاد بداية الخيط و لن يتركه إلا مع نهاية الطرف الآخر ، لقد أتت مراقبته لسُلاف بثمارها من المرة الأولى موقنا أنها لن تخبره حرفا بعد ما حدث بينهما ..

حرك السيارة و قد انتظمت خطواته القادمة أمام عقله بوضوح ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ظهر الاستمتاع الشديد على ملامح مراد بينما يضع هاتفه عقب رابع اتصال من صالح و شاهين يستفسرون عن رأي جيّدا بما كلفتهم به ، و ساعد على تحسن مزاجه أن زوجته قد أبلت حسنا بتصرفاتها العفوية التي جعلت من وجودهما معا أمرا مسلما به ، بقي إخبار عائلته ليصبح كل شيء تحت السيطرة ، لكنه سيؤجل هذه الخطوة لما بعد عودتهم من الرحلة القادمة حتى يتفرغ للجدل الذي ستشعله والدته بكل تأكيد ..

راقبته بينما يقودها لأحد المطاعم المكتظة فقالت بمكر :

- تبدو سعيدا فهل السبب يكمن هنا أو ما يحدث هناك في منزلنا ؟

وخزته كلمة "منزلنا" و هي تنطقها على هذا النحو الطبيعي المألوف ،

الأدهى أنها تركت صدى محبب لديه كأنه لن يستطيع تخيل منزله بدونها تتحرك في كل زاوية ناثرة روحها حولها و كيف تنتزعه عنوة من الفراش بجبروت بات ينتظره !

منحها ابتسامة عينيه قائلا :

- كليهما معا ..

شاركته إحساسه هاتفة بمرح :

- يا لك من شرير ، لكني لا امزح سأجعلهما يعيدان العمل لو أفسداه ..

أشار لها بكفه قائلا :

- افعلي ما تشائين معهما ، أمنحك الضوء الأخضر بالتصرف ..

في الداخل وجدت " بوفيه مفتوح " ممتد مشتملا على كل شيء حتى المشروبات فأرشدها باسما :

- اختاري ما تحبين ثم استعلمي عن طاولتنا لقد حجزت بالهاتف ، سأجري اتصال هام ثم الحق بك ..

وجدت مكانهم بسهولة فطاقم العمل كان غاية باللطف كما يبدو أنهم يعرفونه بشكل شخصي ....

وضعت طبقها مع العصير ذو اللون الأبيض الشاحب و أخذت تتأمل المكان حولها ، لا بد أن من يرتاده هم علية القوم فتساءل عقلها هل عمله في ذلك الجهاز الأمني مهما بلغ شأنه يتيح له العيش بهذه الرفاهية التي تلاحظها في كل تصرفاته !
منزل فخم بمكان يشع بالرقي و سيارة تبدو باهظة رغم انعدام خبرتها في هذا المجال ناهيك عن بطاقة الاعتماد المفتوحة التي منحها لها دون وضع أي محاذير !!
أخرجها من أفكارها عندما احتل المقعد مقابلها واضعا طبقه لكن ما أن استقر بمجلسه حتى تغيرت ملامحه كأنه غاضب أو مستنكر لشيء ما !
تناول الكوب الطويل من أمامها قائلا بنبرة غلب عليها الهدوء :
- ما هذا جيّدا ؟!
أجابت بعفوية بريئة :
- لا اعرف تحديدا ، لقد طلبت منه شراب مرطب فأعطاني إياه ، أليس شراب اللوز أو ما شابه !
انفرجت أساريره بابتسامة خفيفة قبل أن يردد :
- هذا ما ظننته ، لا ريب أن الساقي اخطأ بتفسير طلبك بالانجليزية ،

لا يجوز أن تتناولي هذا عزيزتي لأنه شراب كحولي ..

شهقت برقه ثم ردت قائلة :

- أوه آسفة ، لم أكن اعلم ذلك بالطبع ، فكما ترى هو منتشر على اغلب الطاولات حولنا !

أومأ قائلا بأسف :

- اجل اعلم انه " الراكي" أو ما يعرف في البلدان العربية باسم " العرق" شراب كحولي مقطر يكون شفاف و عندما يضاف إليه الماء يصبح أشبه بالحليب المخفف كما ترين ، يقدم في المطاعم دون حرج و يتعاملون معه كمشروب وطني مع انه لا يختلف عن الخمور العادية و تركيا دولة إسلامية لكنهم يعتبرونه استثناء من القاعدة ..

ختم حديثه بإشارة للنادل الذي هرع إليهم مستفسرا إذا ما وقع شيء خاطئ فطلب منه تبديل الكوب بآخر من عصير البرتقال الطبيعي كالذي أمامه ..

هل يجب أن يكون بهذه الروعة ! و هل من المفترض أن تقاوم السقوط في غرامه ! كيف تستطيع فعلها ؟ آه سُلاف لقد تحققت نبوءتك و وجدت فارس أحلامي لكنه أفضل من كل أبطال المسلسلات خاصتك بسنوات ضوئية ...

تناولت طعامها بشهية قائلة :

- أتعلم أن هناك الكثير من الوصفات مشتركة بين بلدينا ..

لا يعلم لما بات يعشق تناول الوجبات بصحبتها ؟! إنها تضفي نكهة جمالية على الطعام و تجعله يبدو أكثر لذة شكلا و موضوعا ! أجلى حنجرته نافضا تأثره كما اعتاد أن يفعل مؤخرا قائلا :

- حقـا ؟

أومأت تكمل حديثها بينما تقضم قطعة الدجاج كما لو كانت تتغزل بها :

- اجل ، ذلك يرجع لسنوات الاحتلال العثماني الطويلة التي خضعنا فيها لحكمه ، نتيجة ذلك كان تأثير كبير في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية ..

ثم تابعت لنفسها : و ها أنا اخضع أسيرة لاحتلال من نوع آخر، اسر أرغبه بشدة و لا أريد الفكاك منه فهل تقبلني داخل دائرة نفوذك أيها الغازي !

أزاح عينيه عن مراقبتها لسلامة عقله قائلة :

- من الجيد أن يكون لدينا تاريخ مشترك لكن دون قهر أو استعباد ..

تناولت سكين المائدة ملوحة به بشكل كوميدي قائلة :

- أجل ، و من الأسلم أيضا ..
انطلقت ضحكاته الرجولية الخافتة فتابعت حديثها و سألته :
- متى ستخبر عائلتك عني ؟
رشف جرعة من كأسه قبل أن يجيبها قائلا :
- بعد عودتنا من رحلة قصيرة سنقوم بها في الغد بإذن الله ..
نشط اهتمامها بقوة و استفسرت :
- تخص العمل ؟
أومأ قائلا بإيجاز :
- اجل سأخبرك كل شيء في حينه ..
أيقنت انه أنهى الحوار حول الأمر فأذعنت بذكاء و نقلت الحديث إلى وجهة أخرى قائلة بروح تتدفق مرحا و حبا للحياة :
- ما رأيك أن تحدثني عن بلدك التي لا اعرفها ، بعيدا عن الدراما و النشرات السياحية و غيرها من هذه الأشياء ، الأماكن التي تفضلها و لك ذكريات بها ..
تفاجأت به يقف و يجذبها من كفها هاتفا بحماس :
- هيا معي ، سأجعلك ترينها بنفسك ،

سأصطحبك إلى قلب مدينتي التي اعشق ، لتكن إجازة لأننا سنبدأ عملنا منذ الغد ..

❖❖❖

قضت جيّدا بقية اليوم برفقته يتنقلان من ضاحية لأخرى ، أماكن حقيقية تضج بالناس ، الأطفال يملئون الشوارع رغم الصقيع ، يبتكرون ألعابا و يمرحون بطريقتهم الخاصة التي لا تعرف الكلل ..
أخذها إلى ساحات لهوه بينما انفتح معها بسرد ذكرياته و الكثير من المواقف الطريفة كما لم يفعل من قبل !
شعرت بنفسها تحلق بعيدا و قد خلا العالم إلا منه و هنا هتف قلبها دون مواربة .. أحبـك !
معلنا استسلامه الغير مشروط و قد عدل عن المقاومة أو المكابرة دون طائل فقد غزا عالمها و حطم القلاع و نصّب نفسه الحاكم الأوحد ..
السير في الهواء الطلق مع البرودة أشعرهم بالجوع من جديد أو ربما هي الصحبة الجميلة و الثرثرة التي لم تنقطع فدعاها لوجبة خفيفة ، جلسا على أرائك الطريق يتناولان شطائر السمك التي تشتهر بها المنطقة و يتفنن أصحاب عربات الوجبات السريعة في إعدادها ..

لاذت به كهريرة صغيرة تتلمس دفء صاحبها فوجد ذراعه يلتف حولها بحماية يقيها هبات النسيم الجليدي ، الذي يراهما من بعيد يظنهم حبيبين يهيمان ببعضهما و قد ادفئتهم حرارة المشاعر المنطلقة بكثافة حولهما ..

وجدت نفسها تضحك قائلة بمرح لا ينضب :

- أتعلم ، لو لم أكن معك لما صدقت انك نفس الشخص النزق الذي عرفته الأيام الماضية ..

قطب حاجبيه قائلا بافتعال :

- لما ؟ ماذا فعلت ؟

ضحكت على تعبيره العابس مرددة بشغف :

- لم أتخيلك بهذا الدور ، تأكل في الشارع و تجلس على الرصيف ، نلهو بالثلج ثم نرتاد المقاهي الشعبية ، لقد أعجبني الشاي بالمناسبة ..

عقب على قولها بحنق واضح :

- الشاي أم صاحب المقهى الذي نعتك بالجميلة و ظل يغازلك طيلة الوقت !

صدحت ضحكاتها أكثر قوة هاتفة :

- أنت تمزح صحيح ؟ الرجل تخطى الثمانين من عمره و يبدو اكبر من جدي ! لكنه يمتلك الذوق بالتأكيد و قد راق لي ، ليته اصغر بخمسون عاما ..

رفع حاجبيه باستنكار حقيقي مرددا من بين أسنانه :

- نسيت أن أخبرك ، هناك شيئا بغاية الأهمية لم يتغير داخل الرجال هنا مهما اكتسبوا من عادات أوربية و هي الحمية و الغيرة على المحارم لذا اصمتي قبل أن أدق عنقك عزيزتي ..

رقص داخلها تجاوبا مع تلك النبرة التملكية العنيفة و منحته نظرة آسرة من بحر عينيها الواسع بشكل يرحب بالغرق فيه ..

يا لها من عيون تخطف الأبصار ، عندما يتأملها يشعر برحابة الكون و صفائه ..

استدار على الفور يحدق في اللا شيء قائلا :

- احم لقد استغرقنا الوقت ، علينا العودة الآن فلو تأخرنا أكثر لن اضمن ردات فعل شاهين أو صالح ..

خبطت رأسها قائلة :

- أوه صحيح لقد هبط المساء كيف نسيتهم ؟! (ثم نظرت إليه بتواطؤ غامزة) إذا لم تكن قد اكتفيت بالنيل منهم اخبرني حتى لا يعجبني العمل ..

ارتجفت أعماقه بقوه من جديد فهي لا تكف عن العبث بمشاعره و إبهاج قلبه ، لا يذكر أن هناك من استمتع برفقته مثلها ، و عاد السؤال الملح يطرق عقله بجدية : كم من الأشخاص المغرمة تركت خلفها !

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

استمر عمر في ملاحقة الفتاة منذ غادرت الحرم الجامعي في وقت متأخر عازما على جمع كل المعلومات عنها قبل أن يبدأ تنفيذ خطته لكن القدر أهداه فرصة من ذهب عندما وجدها تنعطف بسيارتها الصغيرة داخل شارع يعرفه بعينه و يكره ساكنه ..

سرعان ما صدق حدسه عندما ترجلت و تركت السيارة في مكان بعيد نوعا عن منزل الحقير و أكملت الأمتار الباقية على قدميها ..

لم تتقدم من البوابة الرئيسية بل اتجهت للجزء الخلفي بشكل اعتيادي أثار غضبه و أجج رغبته في اقتحام المكان و قتلهما معا حرقا ، لكن عليه الصبر حتى يصل لغايته كاملة

انتهز فرصة خلو الشارع من المارة وقام بإفراغ إطارها الأيمن ببساطة ثم عاد لسيارته يراقب عودتها التي جاءت سريعة و لو كان اقرب لسمعها تدمدم بحنق :

- تبـا ، أين ذهب هذا المجنون ؟!

أرادت أن تعلم ماذا حدث و تخبره عما فعلته سُلاف معها فعقلها عاجز عن استيعاب كيف تبدو بهذه القوة بل و تطلق التهديدات أيضا ! لكن هاتفه غير متاح و لم تجده بالمنزل الآن ..

صرخت بقهر هاتفة :

- أوه لا ، كيف يعقل أن أحتمل كل هذا البؤس! تركها تدور حول السيارة شاعرة بالعجز لفترة كافية قبل أن يقرر بدأ اللعب ، دار بسيارته ليدخل الشارع من الجهة المخالفة و عندما كاد يتخطاها أبطأ من سرعته و اطل من النافذة سائلا بنبرة لا مبالية :

- عفوا يا آنسة ، هل تحتاجين مساعدة ؟

أشارت إلى السيارة بقلة حيلة و غصة البكاء تخنقها فترجل بمنتهى الكياسة و التهذيب بحجة استطلاع الوضع عن قرب ..

- انه الإطار إذن ، هل لديك الآخر الاحتياطي ؟

أخرستها الطلة الرجولية الساحقة التي استقامت أمامها و الملامح الغاية في الوسامة

ناهيك عن نبرة الصوت التي تعد خطرا على فتيات الكوكب ، تداركت نفسها عندما كرر سؤاله فخشيت أن يظنها بلهاء و يتركها في ورطتها التي نسيتها ، فحركت رأسها بعدم خبرة قائلة :

- حقيقة لا اعلم ، ربما في الصندوق ..

حاصرها لون عيونه الفريد قبل أن يردد :

- هلا قمت بفتحه حتى أرى ..

غمغمت مشدوهة :

- ما هو ؟!

مالت شفتيه بما يشبه ابتسامة عبث قائلا :

- الصندوق بالطبع ..

تحركت لتنفذ ما طلبه بينما يزهو بانتصاره الخاطف :

اخرج الإطار قائلا :

- ليس مليء كما يجب لكنه يفي بالغرض لإيصالك ..

تمتمت بنبرة تقطر إعجابا بينما مالت علي هيكل السيارة بدلال :

- لطف منك أن تضحي بوقتك و تتوقف لمساعدتي ..

منحها ابتسامة خلابة قائلا بمكر :

- بالعكس يسعدني دائما تقديم العون للجميلات ..

صدحت ضحكاتها رنانة قبل أن تردف بميوعة :

- هل اعتبر ذلك إطراء أم مغازلة !

رفع حاجبه مرددا بجرأة :

- لما لا نقول كليهما ..

جلب العدة اللازمة لتبديل الإطار الفارغ من صندوق سيارته و بدأ العمل قائلا :

- ألا يحق لي معرفة اسمك الآن ؟

راقبت كل حركة منه بجشع غير راغبة بانتهائه قبل أن تحظى بفرصتها معه فلن تصادف شابا كهذا كل يوم ، سكنت شفتيها المصبوغة بكثافة ابتسامة مدروسة قائلة :

- رانيا و أصدقائي يدعوني روني ، و أنت ؟

ركز على ما بيده مرددا دون أن يرفع عينيه تجاهها فخطته أن تحاول هي اصطياده و ليس العكس :

- عمر ..

تابعت قائلة بغنج :

- عمر فقط !

صعقها بزفير عينيه مرددا :
- طالما أنت روني فقط أظل أنا عمر ، ها قد انتهيت ، إطارك عاد سليما جميلتي ..
ثم جمع الأغراض و أعادها لمكانها بينما يمسح كفيه بعدة محارم ورقية ، لاحظ تلكئها أمام السيارة فادعى العودة لخاصته و كما توقع أتاه صوتها المحمل بغنج أثار اشمئزازه هاتفة :
- مهلا ، لا يعقل أن تمضي دون أن تتاح لي فرصة تقديم الشكر ..
استدار إليها و كتف ساعديه أمام صدره قائلا بمكر :
- و كيف ذلك يا ترى ؟
ميلت رأسها قائلة بعيون وقحة :
- ماذا تقترح أنت ؟
أجابها بحسم :
- لما لا نناقش ذلك في مكان دافئ بدلا من برودة الشارع ؟
ردت بلهفة :
- أين ؟!
ابتسم بتفكه و أشار إليها قائلا :
- اتبعيني بسيارتك لتعرفي ..

و دون كلمة إضافية احتل مقعده أمام المقود و بادر بالتحرك واثقا إنها ستتبعه كالجرو الأليف كما يتبع صاحبه ..
توقف أمام احد المطاعم الشهيرة و أهداها نظرة راضية من خلال مرآته الجانبية ، دقائق قليلة و كانا متجاورين أمام إحدى الطاولات المنعزلة يمليان طلباتهما على النادل
- حسنا اسمح لي سأذهب لغرفة السيدات و أعود سريعا ..
فأومأ برأسه قائلا :
- بالطبع عزيزتي ..
راقبها تحمل حقيبتها و تستدير تاركة خلفها سلسلة المفاتيح و الهاتف فكل ما يهمها هذه اللحظة هو مظهرها و حقيبة الماكياج التي لا تفارقها ..
بمجرد غيابها عن بصره اقتنص هاتفها يفتش فيه بأصابع خبيرة ، كاد أن يحطم الطاولة بما عليها عندما عثر على صور سُلاف بالإضافة لصور الفتاة نفسها بصحبة ماجد و غيره ..
ثم مقاطع فيديو لحفلات صاخبة داخل احد المنازل وجد ماجد ظاهر في احدهم ،

و العديد من الرسائل النصية المتبادلة بينهما قرأ في إحداها وعد صريح بمساعدتها في اجتياز اختبار ما مقابل أمرا يريده منها ..

لقد اتضح كل شيء في ذهنه بشكل تقريبي ، لكن عليه إثباته و قبلها الحصول على هذا الهاتف بأي ثمن !

أعاده إلى مكانه و عقله يعمل بسرعة البرق في حين لمحها تعود بخطوات متمايلة و قد جددت زينتها و بدت أشبه بصورة ملونة داخل إحدى المجلات ..

أدار معها حوار تافه احتمله ببسالة ، عرف عنها الكثير من المعلومات بينما يعد الدقائق لينهي هذا اللقاء القميء قبل أن يتغلب اشمئزازه منها و يقوم بصفعها ..

أراد الهتاف فرحا عندما غادر المطعم و أوصلها إلى سيارتها ليقول مودعا :

- لن اسمح لك بالذهاب قبل تبادل الأرقام ، أعطني هاتفك ..

راقها ذلك جدا فناولته إياه بدلال ، فعلها سريعا ثم أعاده إليها و عيونه تسجل كيف أسقطته بإهمال داخل حقيبتها و قبل أن تغلقها وضع كفه عليها بحجة إيقافها لقضاء المزيد من الوقت معها ، ثم سحبها من بين يديها ليضعها فوق سقف السيارة بشكل طبيعي لا يدعو للريبة قائلا :

- مهلا هل أضجرتك لهذه الدرجة ! تبدين متلهفة على الذهاب ..

كان يتحدث بينما يميل عليها و يحتجزها بين جسده و هيكل السيارة ، تلفحها أنفاسه العطرة مما أسكرها و جعلها شبه مغيبة ..

كفه التي تظنها مستندة إلى جانب رأسها تعمل بكفاءة لص محترف حيث تسللت أنامله بخفة لتلتقط الهاتف من داخل الحقيبة المفتوحة و تعود ظافرة بحملها الثمين إلى خبايا جيب سترته غير منتبه للهراء الذي تتفوه به و نظرتها الوالهة كأنها تدعوه يائسة لتقبيلها ..

انتفض رفضا لمجرد تصور ذلك و عاد خطوة للوراء قائلا :

- حسنا حلوتي مضطر لتركك تذهبين حتى لا تتأخري ، لكني سوف اتصل بك ..

ابتسمت بهيام قبل أن تستدير متناولة الحقيبة لتلقيها على المقعد الجانبي بإهمال ثم تستقل الآخر مشيرة له بدلال ..

رد تحيتها بابتسامة آلمت فكه حتى حركت سيارتها أخيرا ليتحرر من عبء وجودها المقيت و يغادر و قد ظهرت خطوته القادمة أمامه بغاية الوضوح ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

جلس الأصدقاء الثلاثة محتلين الأرائك الوثيرة في ردهة منزل مراد و قد أصرت جيّدا على دعوتهم للعشاء من يديها بعد تعبهم طيلة اليوم في طلاء غرفتها بنجاح كما اكتشفت عند عودتهما ..

ردد مراد بمزاح :

- أظنه كان تدريب جيد يا رفاق كما أنها خبرة للمستقبل من يعرف ماذا يحدث غدا !

هجم عليها شاهين بضربات رجولية معتادة بينهما قائلا :

- سأنتقم منك لا محالة ، لقد أفسدت اليوم كنزتي المفضلة بسببك ..

تعالت ضحكات مراد بينما صالح يردد :

- أنت فقدت كنزتك ماذا عني أنا الخبير التقني الأول في مجاله اقضي اليوم كمساعد لطلاّء لا يجيد استخدام الفرشاة ، إنها مهزلة سوف يسطرها التاريخ ..

دفع مراد الأول قائلا للآخر :

- انتظر حتى تعلم رُقية بمواهبك الدفينة ، ماذا ظننتم ! شركاء في المهمة بالاسم فقط بينما أتحمل العبء كله وحدي ! يكفي أنكما غير مضطران للاستيقاظ قبل الطيور يوميا

رفع شاهين حاجبيه قائلا بعدم تصديق :

- و هل تفعل ؟!

أومأ الآخر بقهر :

- مجبر آخاك لا بطل ، لطالما سمعت عن الاستيقاظ المبكر لكني اختبرت الآن مرحلة الابكر من المبكر و يا ويلي لو أخرتها و أشرق الضوء عندها ستجف الدمعات ..!

قطب صالح حاجبيه قائلا بحيرة :

- أي دمعات ؟! حالتك تتطور يا رجل ..

أشار مراد بكفه قائلا :

- الأمر يطول شرحه ، اخبرني هل أنهيت الهدية؟

عاد للجدية بسرعة قائلا بمهنية :

- ليس بعد ، يومين إضافيين و تكون جاهزة ، بهذه المرحلة المصمم يعمل عليها لكني أزوده بالتعليمات ..

سرح مراد رغما عنه في دفء بشرة أشبه بالعسل

المذاب و عيون تخفي السحر أسفل الأهداب تتموج بألوان مزاجية تسبي القلوب فوجد نفسه يردد بحالمية لم يختبرها قبلا :

- أريدها من الذهب الأصفر و التصميم يحمل أزهار و بهجة ..

قفز حاجبي الشاب عاليا بينما ابتسم شاهين قائلا بعبث :

- كرر ما قلته مراد فلم أسمعك بشكل واضح ..

التفت إليه كمن يفيق من غيبوبة احتلت عقله مرددا :

- مـــاذا ؟!!

قبل أن يبادله الرد التفت ثلاثتهم للفتاة المشعة التي حرصت على التوقف بعيدا عن جلستهم بمسافة كافية و تحمل بين كفيها هرة مستكينة براحة قبل أن تردد قائلة :

- مراد ، سوف أذهب للمنزل المجاور لأعيد القطة ، فقد لمحت طفلة في حديقتهم تبحث عن شيء لا بد أنها تقصدها ..

بمجرد رؤيتها أشار بكفه قائلا بحدة :

- ابقي حيث أنت و لا تتقدمي أكثر فلن أعيد الكرة يكفي لم أتخلص من الحكة كليا حتى الآن ..

زمت شفتيها ثم تمتمت بشيء لم يصل مسامعهم لكنهم أيقنوا انه سُباب ما ثم هتفت بعنفوان واضعة إحدى كفيها فوق خصرها :

- و ماذا تراني افعل الآن يا سيد العباقرة ؟! تنتابني أفكار جدية بتأجيل ذهابها و جعلها تقضي الليلة داخل فراشك فما رأيك ؟

لانت ملامحه بشكل مضحك و هتف مشيرا بكفيه معا قائلا بسرعة :

- اذهبي بكل سرور عزيزتي ، هل تريدين مني إيصالك ؟

حدجته بصرامة لوهلة قبل أن تستدير قائلة بترفع :

- لا داعي ..

انطلق شاهين و صالح في موجة ضحك هستيرية بينما يضربان اكفهما ببعضهما باستمتاع جعل الثالث يستشيط غيظا و يردد بتحذير :

- يبدو أن الطلاء قد راق لكما و ترغبان باكتساب المزيد من الخبرات الجديدة ..

أشار شاهين بالنفي هاتفا :

- لا لا ، اهدأ يا رجل كل ما في الأمر أنكما تبدوان كزوجين متلائمين و طبيعيين جدا ، أليس كذلك صالح ؟

أومأ قائلا بتأكيد :

- بلى و الأعمى يرى ذلك ، انك محظوظ يا صاح فهي لطيفة جدا ..

التفت إليه مزمجرا بحدة ناهية :

- صـــالح ..

نظر الشابين لبعضهما قبل أن يردد الأخير بدهشة :

- ماذا بك مراد ؟ لما هذا الانفعال الكبير ! نازلي تعمل عارضة أزياء و تنهال عليها عبارات الإطراء دون أن تحرك ساكنا بينما الآن لا تطيق كلمة عفوية على جيّدا هذا و أنت تعرفني خير المعرفة فماذا أطلق على ذلك ؟ غيـرة !

تراجع في مقعدة زاما حاجبيه قبل أن يردد :

- أي هراء هذا ! الآمر أنها تُعد زوجتي لا شيء آخر ..

أنقذه من التعليق القادم تغريد الفتاة بأسمائهم معلنة أن العشاء ينتظرهم ....

مر الوقت بسرعة بين مزاح لا ينقطع و دماء تهدر بغضب مكبوت داخل أوردة صاحبها بينما يتوعد رفيقيه و يكاد يلقي بهما خارجا إن استمرا في ذلك اللطف السخيف معها..!

انهالت عبارات الإطراء عليها حاملة استحسانهما لطيب الأطعمة العربية التي حرصت على إعدادها بمهارة لتعرفهما عليها ..

رددت بزهو زوجة داخل مملكتها :

- لقد أعددت لكم الحلوى أيضا ..

ثم مالت تجاه ذلك العابس المحتل صدر الطاولة وتابعت بمرح غير خفي :

- و هذه المرة لم احتال ، بل أوقدت الفرن ..

فسأل شاهين بفضول :

- ماذا يعني ذلك ؟

ابتسمت و أجابته بعيون تلمع جذلا :

- انه أمر خاص بيننا ..

كبت شاهين ضحكته بينما صالح يلكزه بقدمه من أسفل الطاولة ...

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

اندفعت ندى إلى داخل المنزل تضرب الأرض بخطوات غاضبة و ملامحها المنعقدة تشي أن الشجار لم يبدأ بعد !

دلف خالد خلفها بهدوء بينما يزفر أنفاسه ليستمر على حالته ، عندها استدارت إليه متابعة الحوار الذي يبدو أن وصولهما قطعه :

- لقد رأيتك تضحك لها فلا تحاول إقناعي بالعكس ..

كانا مدعوان لإحدى السهرات و الأمور تسير على خير ما يرام إلا أن تقدمت إحدى السيدات محيية خالد ببشاشة ، انه لم يذكرها حتى لكن توجب عليه مجاملتها :

- يا الله انضجي ندى إنها إحدى مريضاتي ، ماذا يفترض أن افعل عندما التقيها صدفة و تبادر بالتحية ؟ أشيح بوجهي !

وضعت كفها فوق خصرها و جابهته قائلة بقوة:

- هل أنت أكيد أنها مجرد صدفة دكتور ؟ ماذا أعجبك بها ؟ خصلات شعرها المصبوغ أم لكوني محجبة ؟!

قبض كفيه إلى جانبيه هاتفا بغضب :

- نـدى ! هل جننت ؟ أنا لا اقبل هذه التلميحات ..

أشاحت وجهها قائلة بانفعال :

- لا تلميحات و لا غيرها ، ليلة سعيدة سيد خالد ، اهنأ بالفراش وحدك ..

قالتها و توجهت إلى غرفة الضيوف صافقة الباب خلفها ! بالمقابل استدار هو إلى غرفتهم الرئيسية حامدا ربه أن الطفلين يقضيان الليلة عند والدته ..

❖❖❖

استلقى بالفراش ساهما لديه رغبة عارمة بالذهاب إليها و هزها حتى البكاء ، الحمقـاء كيف تشك به و تتهمه بعد عِشرة السنوات ..! تبـا و هو الذي أمضى الوقت يحلم بقضاء ليلة رومانسية حالمة في غياب الصغيرين!

لكن سرعان ما ومض عقله بالفكرة و علم ما عليه فعله ، فنفض عنه الغطاء و قد تألقت ملامحه بابتسامة رجولية آسرة مشبعة بالإثارة ....

على الجانب الآخر خلعت حجابها الفضي المشابه للون عينيها و اتبعت بسترتها لتظل بالكنزة الرقيقة العديمة الأكمام ..

مطت شفتيها بحنق منها و منه بينما عنفها عقلها على تلفظها بهذا الاتهام الأحمق ! كيف طاوعها لسانها ؟ صحيح هو رقيق مع النساء و يتصرف بكياسة تضايقها في بعض الأحيان و تشعل غيرتها رغما عنها لكنه لم يتطاول بنظرة يوما ..

زرعت الغرفة جيئة و ذهاب لاعنة تسرعها و عجزها عن التفكير في الخطوة الصحيحة لرأب الصدع الذي أحدثته بتهورها ..

انتبهت لصوت وصول رسالة لهاتفها فتناولته بإحباط غير راغبة في معرفة شيء لتتسع عيونها و يقفز قلبها كما حدث معها ذات ليلة عندما أرسل لها رسالة مشابهة ..

فتحتها بلهفة لتنساب إلى أذنيها الكلمات العذبة التي أهداها إليها فاتحا لها المجال ....

و بحبك وحشتي .. بحبك و أنت نور عيني
دا و أنت مطلعه عيني .. بحبك موت
لفيت قد إيه لفيت .. ما لقيت غير فحضنك بيت
و بقول لك أنا حنيت .. بعلو الصوت
و كأن الوقت فبعدك واقف ما بيمشيش
و كأنك كنت معايا بعدتي و ما بعدتيش
في دمى حبيبتي و أمي وزى ما كون .. ببتدي أعيش

كلمات / ايمن بهجت قمر

هدر قلبها عشقا لذلك الرجل الذي أرشدها للخطوة التي رغبت بها فطارت إليه ركضا لن تفرط بثانية ثمينة قد تقضيها بقربه ...

لم يطل الوقت و وصلته النتيجة التي انتظرها عندما أرسل ندائه المنغم رسولا عنه ..

فُتح باب الغرفة بعنف و وقفت على أعتابه بنظرة مذنبة بينما تقضم شفتها السفلية ..

رآها هذه اللحظة طفلته التي تقف منتظرة العقاب أو الصفح ففتح ذراعيه قائلا بنبرة أجشة حملت دفء العالم :

- تعالي يا حمقـاء ..

هرعت تلقي نفسها عليه بعنف كاد أن يوقعهما معا ليعود الوئام و تسير الليلة في مجراها الطبيعي كما خطط لها بمبادرة صُلح تحدت العناد و المكابرة دون أن يفكر احدهما من المخطئ و أيهما البادئ بالسلام ...

- إلى أين تودين أن تصلي يا ابنة زينب ؟! الم تكتفي من مزاجك السوداوي طيلة تلك الفترة لتكملي الآن بمقاطعة الجميع !!

استدارت نرفين تستقبل والدتها التي اقتحمت غرفتها كإعصار غاضب و تابعت هجومها الرافض لسلوك ابنتها الانعزالي و الذي زاد عن حده بالفترة الأخيرة !

- أتستطيعين إخباري منذ متى لم تغادري جحرك البائس الذي تختبئين داخله كفأرة مذعورة ؟ تبا أنت لا يمكن أن تكوني ابنتي التي ربيتها !

أرخت أهدابها تخفي تأثرها لوهلة ثم رفعت ذقنها قائلة بحدة :

- حسنا ماما ، لك ذلك طالما يريحك ، اعتبريني مجرد فتاة تسكن غرفة بالطابق العلوي من منزلك الكبير ، بقليل من الجهد لن تشعري بوجودها ..

تقدمت منها بقهر و قلبها يئن لوعة عليها ثم رفعتها من كتفيها لتقف أمامها باستقامة هاتفة :

- تحلمين لو ظننت لحظة إنني سأسمح لك بتدمير نفسك ، ادفني رأسك في الرمال كما تحبين لكني سأظل احفر و أخرجها ..

وضعت الفتاة كفيها حول وجهها صارخة :

- لما لا تتركوني و شأني فحسب ، هذا كل ما اطلبه ، هل هو كثير لهذه الدرجة ! أنا لا أريد عالمكم الكبير بكل ما فيه ، لا ارغب بالتعامل مع احد ، إنه خياري فاحترموه ، ذلك من حقي ..

صرخت زينب بالمقابل هاتفة برفضها لحال طفلتها التي تنطفئ و تذبل كل يوم أكثر أمام عيونها :

- و ماذا عن حق والديك نرفين ؟

كيف طاوعك قلبك على فعل ذلك بنا !
والدك يعاني بصمت بينما عيونه كسيرة غارقة في الهم و.....
قاطعتها قائلة بفظاظة خشنة كأنها لم تعد ابنتها التي تعرف :
- الم نتفق على كوني مجرد مستأجرة هنا سيدتي ! أنا وحيدة في الدنيا فلما قد اكترث بـ.....
هذه المرة قاطعتها الصفعة التي هوت فوق وجنتها فتحجرت العبرات داخل أحداقها رافضة الهطول فبدت أشبة بتمثال جامد خلا من الروح بينما هتفت والدتها كابتة ضعفها و رغبتها في زرعها داخل أحضانها التائقة :
- ربما قصرت في تربيتك بالسابق ، لكن اقسم على تصحيح الوضع من الآن فصاعدا
ثم استدارت شاعرة بنبضات قلبها تهدد بخطورة تاركة الفتاة التي أبت الإفراج عن دموعها ، بل عادت إلى حاسوبها كآلة مجردة من الإحساس لتغرق أكثر في عالمها السوداوي بصحبة تلك المجموعة ذات الأفكار الشاذة ..!

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ظل يراقبها خلسة بينما تتحرك بخفة حوله تزيل آثار العشاء و الضيافة بعد ذهاب رفيقيه حاملين معهما نظراتهما الغامضة !
تأملها طويلا كانت تدندن شيء ما لم يتبينه ، الغريب أنها لم تتذمر بل تقوم بكل أعمال المنزل بأريحية و تبدو دائما باسمة ، و آه من ابتسامتها التي تحرك أعماقه الراكدة و تحوله لغر لا خبرة له بالنساء ..
أيقن أن مسار تفكيره يأخذه لمكان لا يريده فسارع بالنهوض متجها للدرج قائلا :
- بما أن طلاء غرفتك يلزمه الوقت ليجف فماذا ستفعلين ؟
التفتت إليه مشيرة ببساطة :
- أخبرتك أن لا مشكلة ، سأقضي الليلة هنا على الأريكة بينما اقلب في القنوات الفضائية ، تصبح على خير مراد ..
يا الله إنها لا تكف عن تحويل اسمه لوسيلة تعذيب !
تابع طريقه بحدة غير مقصودة و كل ما يشغل تفكيره هو مأزقه الجديد ..

كيف يستطيع النوم بهناء مع أغراضها الموجودة داخل غرفته ! بالرغم من كونها حرصت على شغل اقل مساحة ممكنة منها لكنها تظل مصدر الهاء يعبق برائحتها التي باتت تشبع حواسه ، يستطيع القول بمنتهى الصدق أنها العملية الأصعب في تاريخه المهني بأكمله ...

أنهت كل شيء بقلب يخفق بأحرفه ، كل ما حولها يذكرها به ، أثاثه ، أدواته ، أوراقه ، منزله ، حتى هي باتت مدموغة باسمه ، الهواء نفسه محمل بعطره اللاذع الذي يسكن رئتيها رافضا تركها و شأنها ..!

تمددت فوق الأريكة الرحبة و دثرت نفسها جيدا فقد حرصت على جلب حاجياتها في وقت أبكر حتى لا تزعجه بعد دخوله غرفته ، لكنها لم تجد أي رغبة في النوم !

عقلها يقظ و يعمل بلا توقف أملا في إيجاد حل لوضعها الغريب ..

نفضت عنها الغطاء و تطلعت إلى الخارج بشرود ، لقد اخبرها أن العواصف هنا تمتد لعدة أيام ، لكنها ترى الليلة هادئة و السماء صافية إلا من عدة غيمات متفرقة !

أرسلت ابتسامة لصديقها المطل عليها ببهائه و هالته الفضية المضيئة هامسة :

- مرحبا يا ملاذ العشاق و رسول الأشواق ، رائع منك أن ترافقني رحلتي ، ربما أنت نفس القمر تتربع على قمة الأرض تسمع أنات المحبين لكني لم اعد تلك الفتاة التي كانت تسهر معك لتقص لها حكايا المغرمين ، لقد جئتك الليلة مثلهم ..

اجل يا صاحب دمعات الحياة لقد أحببته و لا تسأل كيف ؟ لان لا جواب لدي ، لكن حبي لا يشبه غيره فلست سوى عملا يقوم به ، الجزء الجاف من حياته بينما الرطب المحمل بالمشاعر تملكه غيري ..

الأخرى تشبه الدمية الملونة لكنها تحظى بقلبه ، قلب زوجي الغريب و ما أقسى ذلك ..

أتعلم تحرقني الغيرة لمجرد تخيله يهمس لها بكلمات الغرام الآن بينما يصبر نفسه على احتمالي ، فهل أجد لديك علاجا لحماقتي ؟

لا تعنفني رجاء اعلم انه لم يكن عليّ حبه لكن ذلك مستحيل ، آه لو رأيت الدفء الساكن خلف جفنيه كلما ابتسم ، انه هو من يصدق فيه قول الشاعر " جفنه علم الغزل"

أهيم بحاجبيه المرتفعين حنقا عندما أتعمد إثارة حفيظته ..

أسمعك الآن تسخر قائلا : عاشقة بائسة لزوج مرتبط بخطبة غيرها ..

حسنا لا بأس سأكتفي بكونه لي الآن بينما غدا يملكه خالقه ، إلى اللقاء يا قمري سأغفو فقط ليأتي الصباح سريعا و اهرع لإيقاظه و أمتع روحي بزفراته الغاضبة ..

ابتعدت عن النافذة لتعود أدراجها لكنها سرعان ما التفتت من جديد تواصل همساتها المتآمرة لصديقها المكتمل :

- الم أخبرك إنني سأقضي يوما آخر برفقته ؟ لا يهمني أين يصطحبني لكني سأكون معه ..

توسدت كفها و قد حفظت صورته أسفل هدبيها المسدلين و سرعان ما غابت في عالم الأحلام الجميل و ابتسامة ناعمة تسكن شفتيها ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

وضعت نازلي كل اهتمامها في التركيز على إزالة ماكياجها ثم وضع مستحضرات العناية بجدية بالغة ، فجمالها و نضارة بشرتها يمثلان كل حياتها ..

تأملت طلاء أظافرها الفرنسي لوهلة قبل أن تشرد مستحضرة ذكريات سهرتها الناجحة بكل المقاييس ...

لقد تناولت العشاء برفقة يعقوب عابد الذي لم يرفع عينيه عنها طيلة الليل ، لما لا طالما مراد منشغل عنها بتلك الطفيلية التي لن تهدأ حتى تصل للسبب الحقيقي خلف زواجه المزعوم منها !

لقد رأت بينهما كيمياء لا تعجبها كما أن نظرات الفتاة المختلسة إليه تشي بتأثرها الواضح به ، عليها التحرك دون إبطاء قبل أن يصل هذا الإحساس إليه فهي لن تهزم أمام هذه السخيفة الوقحة أبـدا ، مراد لها و سيظل حتى تقرر هي العكس ..

مالت شفتيها بابتسامة ماكرة عندما تذكرت دعوة يعقوب لقضاء عدة أيام على يخته الخاص ، و قد لمعت عيونها بتقدير و ردت بدلال :

- لا استطيع فذلك لن يروق لخطيبي المستقبلي .

عندها رفع حاجبيه ساخرا و ردد بتفكه :

- أوه حقـا ! و هل يروقه تناولك العشاء في منزلي!

عادت تنتشي بذكرى نظراته التي انسكبت عليها بجرأة دون اكتراث بمحاولة ادعاء العكس ، لا تنكر انه رائع و مميزاته لا تعوض لكنه غامض و بعض الأحيان يكون مخيف خاصة عندما يرتدي قناع القسوة و تتحول ملامحه عاكسة لاستيائه من شيء ما

هي لا تحب لك ، مراد مختلف رجولته ساحقة تدغدغ أنوثتها لكن دون تلك الهالة الخطرة رغم نوعية عمله ..

أجهشت زينب ببكاء حار فوق صدر زوجها قائلة من بين عبراتها :

- سأموت بحسرتي عثمان ، نرفين لم تعد ابنتي التي اعرفها ، هناك شيء ما خاطئ بها ، حتى نظراتها باتت مختلفة كما لو تلبستها روح غريبة ..

ضمها إليه باحتواء رجولي شاملا حزن رفيقة دربه و حب عمره قائلا :

- ادعي لها بالهداية و الحفظ زينب ، الفتاة حساسة بشكل زائد و تلقت صدمات لم تقوى على احتمالها ، أتعلمي ما هي بحاجة إليه ؟

رفعت رأسها قائلة بلهفة :

- مـاذا ؟! أنا مستعدة لفعل أي شيء لتعود ابنتي لحالتها الطبيعية ..

ردد بحكمة و إدراك :

- إنها تحتاج لمؤثر ايجابي شرط أن يكون خارجي بعيد عنا ينتشلها من هوة اليأس و الضياع التي تغوص بها ..

زمت حاجبيها قائلة :

- تقصد حب !

حرك رأسه نافيا :

- بل صداقة ، نرفين وحيدة حبيبتي ، حياتها خالية من الأصدقاء الحقيقيين و هنا تكمن المشكلة ..

بادلته النظر بحيرة :

- و ماذا علينا أن نفعل بهذا الشأن ! كيف السبيل لعقد صداقات بينما تصر على عزل نفسها و عدم الانخراط مع من حولها حتى نحن أفراد أسرتها !

قبل جبينها يهدئ من روعها قائلا :

- لهذا طلبت منك الدعاء لها فالله قادر حبيبتي و لديه من كل ضيق مخرج ..

تمتمت برضا كامل و قد استكان قلبها :

- سبحانه القادر على كل شيء ، ليرزقنا معجزة تهبط من السماء تبدل حال الجميع للسعادة و الهناء ، حفظكما الله يا ولديّ و أحاطكما برعايته و أمنه ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

استلقت ندى بين ذراعي زوجها هانئة بمقدار العاطفة الصافية التي أغدقها عليها بسخاء ، أحاطها بحنان و احتواء لغيرتها التي انطلقت برعونة ، لم يحاول الدفاع عن نفسه بالكلمات بل ترك مشاعره تعبر عنه لتصلها أسرع و اصدق ..

ما حدث لم يكن علاقة زوجية لإرضاء رغبة الطرفين بل التقاء روحي عميق شمل مادية الوجود و شفافية الإحساس لتصل لها الرسالة كاملة غير منقوصة ، أن هذا الرجل لها وحدها و بالمقابل هي تنتمي إليه ..

لديها عائلة و أهل تحمل لهم تقدير و حب و احترام فائق لكن في النهاية مرجعها له ، ملاذها و نصفها الآخر ، تختبئ من عيون الجميع بين أضلعه هو ..

مسدت شعيرات لحيته البالغة القصر بإبهامها قائلة بنعومة :

- خالد ، ما رأيك لو ذهبنا لرحلة بعد زواج أماني و ادهم ، هل ستكون منشغل ؟

ردد بخفوت دون أن يفارق الغمامة السحرية التي تلفه قائلا :

- استطيع تنظيم جدولي طالما لدي فسحة من الزمن ، لكن ألن يكون عاصم قد عاد للدراسة في ذلك الوقت !

أومأت سعيدة لتجاوبه :

- بلى لكني قصدت رحلة خاصة لنا وحدنا بدون الطفلين ، بعض الأيام بلا ارتباطات أو أعمال ، أنا و أنت فقط لنستعيد أيام الخطبة و شهر العسل ..

قالتها و صمتت بترقب لردة فعله ، لو سخر منها الآن بالتأكيد ستجهش بالبكاء ..

فوجئت به يشدد قبضته حولها و يلصقها به مغمغما بهمس أجش :

- اممم إن هذا الاقتراح هو الأفضل منذ تزوجنا ..

رفعت رأسها هاتفة بجذل :

- أتعني انه راق لك ؟

ضحك يجاريها مرحها :

- بل أحببته و يعجبني جدا ، هل سيمكث الطفلين عند أمي ؟

حركت رأسها نافية و قد اتسعت عيونها بشكل مضحك :

- بل عند ماما بالطبع لذلك قلت بعد زواج ادهم حتى تكون أنهت كل استعداداتها اللا نهائية أما والدتك فأشك أن تقتلني إذا أخبرتها إنني أود السفر معك وحدنا ..

غص بالضحك على إشارتها لعدائية والدته لكنها محقة فهي تتعمد الجفاء معها منذ غادرت المنزل و لم تغفر لها تركها لابنها :

- حسنا اتفقنا حبيبتي ، سأرتب مواعيدي منذ الآن و اعد لكل شيء ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ظل طاهر ساهرا داخل غرفة مكتبه إلى وقت متأخر ، يضع رأسه بين كفيه بينما يدور داخله مزيج مرعب من الأفكار ..يؤلمه رؤية البريق يغادر عينا صغيرته لكن رغما عنه كلما تخيل أن يأخذها منه احدهم يشعر بالروح تفارق جسده ! كيف يعقل أن يتخلى عن امتداد حبيبته ! إنها الذكرى الوحيدة التي تركتها أُمنيه ..

إن فرط فيها يكون منح طيف زوجته لغريب ! بالطبع لن يفعل ، سيحمي الذكرى الغالية من أي دخيل و على أماني تفهم ذلك و التعاون معه في الحفاظ على حب والديها خالدا للأبد ....

❖❖❖

هكذا يتدفق نهر الزمن مارا بمختلف مشاعر البشر ، فتارة تخيم السعادة و أخرى يعم الحزن غاسلا وجه الحياة بدمعات قلوب تنفطر .. لكننا بين هذا و ذاك نتنسم عبير الأمل ، تدفعنا الرغبة بالتغيير فالغد دوما يصاحبه شروق جديد و لن يتوقف نهر الزمن ...

نهاية الفصل

دمعات القمر

القطرة الثانية عشرة

- أسرعي جيّدا يجب أن نتحرك الآن ..
هتف مراد بنفاذ صبر بينما يتناول هاتفه و سلسلة مفاتيحه ، ركضت هابطة الدرج بقفزات حيوية بينما تعدل وضع وشاحها الصوفي بأناقة حول عنقها و تمسد كنزتها الكحلية التي تصل لمنتصف فخذيها و تعلو سروال من الجينز الفاتح ثم جلست على المقعد المجاور للباب حتى تتمكن من عقد رباط حذائها الرياضي الخفيف ..
بدت طلتها عملية أنيقة و قد أبدلت ثيابها بسرعة البرق عندما ترك لها مراد غرفته التي تحوي أغراضها عازمة على إعادتها إلى مكانها بعد عودتهم هذا المساء ، غرفتها ! كيف يعقل أن تشعر بهذا المكان بيتها و تألفه على هذا النحو السريع ، لكن لما تتعجب و قد أسكنت صاحبه قلبها بعد ساعات معدودة من أول شجار بينهما !
لقد أصابها فيروس ما أبدل جيناتها بمجرد أن وطأت الأراضي التركية بقدميها ..
سرعان ما نحت أفكارها و أنهت ما تفعل ثم علقت حقيبتها بوضعها المتعاكس الذي تفضله قائلة :

- ها أنا جاهزة ، الم يحن الوقت لتخبرني عن وجهتنا !
قيّمها بنظرة فاحصة لاحظت انه يفعلها دائما كأنه يبحث عن شيء ما ليعترض عليه في مظهرها قبل أن يردد بمهنية :
- سنقوم بزيارة لضيعة بعيدة نوعا من المدينة ..
ظهر الاهتمام و التركيز عليها بينما تنتظر أن يفصح عن الهدف الأساسي من الرحلة فهو لا يصطحبها لرحلة سياحية بالتأكيد و لم يخيب ظنها عندما تابع مفسرا :
- إنها موطن القتيل و بها منزل عائلته الذي كان يحب قضاء إجازاته فيه بعيدا عن جلبة الصحافة و العيون الفضولية و لا يوجد أفضل من هذا المكان لحفظ الذكريات ، لذا سنبحث هناك عن أي خيط أو شيء قد يبدو مألوفا لك ..
أومأت بادراك و قد علمت أن وقت الجد حان و عليها عدم تخييب ظنه ..
لم يحدثها عن الأمر أكثر بينما يقود سيارته ذات الدفع الرباعي بمهارة و ثقة لكنهما تبادلا نقاش ودي شمل طبيعة و تاريخ كل من بلديهما و أخذا يعقدان المقارنات حول العادات

و التقاليد و مختلف النواحي محصيان أوجه الشبه و الاختلاف ..
بديا أشبه بصديقين قديمين كل منهما يفهم الآخر بل وصل الأمر حد إكمال عبارات بعضهما البعض ثم يتوقفان و ينطلقان في موجات من الضحك كما لو كانا في نزهة و ليس مهمة عمل من النوع الخطر !
في حين لم تشعر بذلك فوجوده يمنحها إحساس بالأمن و الثقة المطلقة ..
لفت انتباهها لوحة إرشادية كبيرة تشير إلى الجانب من ناحيتها ، لم تتمكن من قراءتها نظرا لسرعة السيارة لكن المناظر بعدها كانت غنية عن التعريف ، كأنها انتقلت لبُعد آخر مشبع بالجمال و النقاء البكر للطبيعة الفتية ..

مساحات شاسعة من اللون الأخضر بدرجات لم تتخيل رؤيتها يوما و قد فتنها ذلك بشدة فشهقت إعجابا و تمتمت " سبحان الخلاق العظيم " قبل أن تلتفت إليه بعيون احتلها الانبهار سائلة :
- أي مكان هذا مراد ؟ بل الأصح أي واحة غناء !
افتر ثغره عن ابتسامة مدركة قائلا :
- كنت أثق أنها ستلفت انتباهك ، نحن الآن نمر بمدينة " بورصة " و هذه غابات "كنت اورماني" المعروفة بغطائها النباتي المتنوع ، كما أنها مزار سياحي و تشتمل على شلال " كوريكليدير " الشهير ..

ضمت كفيها أمام صدرها قائلة :
- أوه يا للروعة ، هل نستطيع التوقف عندها قليلا في طريق العودة ، رجاء ؟
حرك رأسه نافيا قبل أن يردد :
- للأسف لن نتمكن من ذلك بسبب حلول الظلام وقتها ، لكن أعدك بزيارة في وقت لاحق ، و هناك العديد من الغابات غيرها ، تركيا غنية بثروة نباتية عملاقة ..
أومأت برأسها توافقه دون أن تلتفت إليه مأخوذة بالمشاهد الخلابة التي تمر بها كما لو كانت داخل لوحة ملونة لا تضاهى ..
استمر الطريق لعدة ساعات لم تشعر خلالها بالملل بسبب رفقته الشيقة و سحر الأماكن التي تتبدل حولها ، فبعد اختفاء المباني الشاهقة الجميلة و الطرق السريعة تحول الأمر لمحيط أخضر مترامي على الجانبين ..
لاحظت مرور قطعان من الماشية و الأغنام بعرض الطريق كان يتوقف و ينتظرها باسما دون لمحة تذمر واحدة ..
أدركت أنهم في نطاق ريفي بدا خلابا أشبه بالخيال ، سارعت بفتح نافذتها المجاورة و أخذت تستنشق الروائح باستمتاع لا حد له رغم لفحات الهواء الجليدي الذي يصفع وجهيهما لكنه لم ينهاها و تحمل ذلك لرؤية مدى البهجة الصادرة من أعماق روحها ..

عندما أدرك وجهتهم أوقف السيارة على مشارف الضيعة و اخبرها أنهم سيتجولون في البلدة على الأقدام حتى لا يلفتان الأنظار أكثر ففي هذه المناطق الجميع يعرف بعضه و يميزون الغريب بسهولة ، سيتصرفان كسائحين عاديين و يتحينان الفرصة المناسبة لبلوغ هدفهما ..

اصطحبها لتناول الغداء في مكان مفتوح أعجبها اعتماده على الطبيعة المحيطه و الاندماج معها بغير تكلف ، جلسات منخفضة و المخبوزات تعد أمامهم على تنور بدائي يشبه ما كان يستخدم قديما ..

اختلطت الروائح الشهية بأريج الحقول القريبة مع دفء الأفران العملاقة ليسود جو خيالي عزلهم عن العالم الخارجي لفترة ستخلد داخل ذاكرتها للأبد ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

أنهت أماني اتصالها مع ندى بعد أن أخبرتها بعدم قدرتها على مصاحبتها لرؤية المنزل الجديد الذي ابتاعه ادهم حيث طلب منهما في وقت سابق إلقاء نظرة عليه ليعلم بالتغيرات المطلوبة و يتمكن من الانتهاء منها مبكرا لكن الخالة أحلام رفضت ذهابها قائلة انه لا يجوز للعروس أن تدخل المنزل قبل الزفاف ..

بناء عليه قررت ندى اصطحاب والدتها و القيام باللازم بينما تفرغت أماني للتسوق الذي تصر عليه خالتها يوميا لابتياع مستلزمات العروس .. لقد تمت الزيارة العائلية بنجاح داخل منزل العم رضوان الذي شرح لوالدي ادهم الوضع باختصار دون الدخول في تفاصيل لن تهم حفاظا على خصوصية شقيقه و قد تفهما ذلك و أبديا استعدادهما للمساعدة طالما ابنهما سعيد و سوف يحظى بمن اختارها لتشاركه حياته ، من هنا بدأت الخطوات الجدية للإعداد للعرس الذي سيقام بمجرد سفر طاهر .....

دلفت سُلاف للردهة الرئيسية بمنزل عمها هاتفة بمزاح حاولت من خلاله الظهور بمظهرها المعتاد :

- ما معنى ذلك آنسة أماني ؟! لما لا تريدون اصطحابي معكم في جولات التسوق !!

رحبت بها الفتاة بذراعين مرحبتين قائلة :

- مرحبا بمدللة العائلة ، أنا بريئة من هذا الاتهام الجائر ، كل ما هنالك أني لا أريد تعطيلك عن الدراسة خاصة و لم يتبقى شيء يذكر عن الاختبارات ..

ألقت نفسها على المقعد الوثير زافرة بملل :
- تبـا للدراسة و كل ما يخصها ، لا تذكريني فانا موشكة على الانفجار دون الحاجة لوسائل مساعدة ..
قبل أن ترد أماني تقدمت منهما الخالة أحلام قائلة بنبرات امومية :
- وصلني صوت صغيرتي الحلوة فأتيت مباشرة لأخذ قبلتي ، كيف حالك يا فتاة ؟
هبت سُلاف إلى السيدة التي بمثابة خالتها و قد نشأن جميعا على يديها ، ألقت نفسها بين ذراعيها الحنونتين ثم قبلتها على جانبي وجهها هاتفة :
- بمجرد انتهاء الاختبارات البائسة سأكون بألف خير دعواتك خالتي ، قبل أن أنسى ماما طلبت مني إخبارك إنها ابتاعت الستائر هذا الصباح كما جلبت مفروشات غرفة النوم ..
تهلل وجه المرأة هاتفة بسعادة :
- حقـا ! عظيم جدا سأذهب لمهاتفتها حتى أتأكد من مطابقة الألوان التي اتفقنا عليها ، ثم هرعت إلى الداخل تشيعها ابتسامة الفتاتين ..
التفتت سُلاف قائلة بنبرة صوت خافتة :

- كيف تبلين مع العم طاهر ؟ الم يقل شيئا ؟!
حركت أماني رأسها نافية :
- أبدا ، لم يتطرق للأمر من أي ناحية كأنه لا يود مجرد تذكره ، لا أنكر انه ينتابني الضيق بسبب تنحيته عن زواجي بهذا الشكل و كلما ضعفت أتذكر كلمات عمي مع وعد ادهم فيقوى عزمي من جديد ، أي أن الوضع جامد على حاله فدعك مني و اخبريني عما بك ؟
رفعت عيونها المجفلة إليها هاتفة بدهشة :
- أنا ! ماذا بي ؟
منحتها نظرة لائمة قبل أن تردد بثقة :
- سُلاف ! هل تظنني حقا لا اشعر بما تخفينه ؟ هناك شيء ما يكدرك و محاولتك ادعاء المرح لا تنطلي عليّ لذا هيا ابدئي السرد ..
رفرفت أهدابها و قد تجلى إحساسها الحقيقي قائلة :
- حسنا سأتحدث لكن لا تخبري جيجي ، اتفقنا ؟
أومأت الأخرى بوعد صامت لتبدأ قص كل ما حدث بأكمله ...

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

جال مراد وجيّدا بين طرقات البلدة الصغيرة العامرة بأسواق تضم كافة السلع المتراصة بشكل يجذب العين ، ابتاعت الفاكهة الطازجة من رجل بشوش يعرض كافة الألوان و الأشكال كأنه كرنفال من الثمار اليانعة و قد تناولاها مباشرة دون تحفظ ..

استوقفته كثيرا أمام المشغولات اليدوية و مواد العطارة بروائحها النفاذة لكنه ما لبث أن جذبها بحنق قائلا من بين أسنانه :

- عندما ننهي مهمتنا الأساسية احملي معك السوق بأكمله لن أمانع وقتها ، هل نسيت لما نحن هنا !

نظرت إليه ببراءتها المعتادة هاتفة بخفوت :

- لا و لكنك طلبت أن أتصرف كسائحة لعدم لفت الانتباه ..

رد قائلا بينما يكبح صوته :

- اجل ذكرت ذلك ، لكن دون اندماج كلي في الدور ، هيا تحركي لقد وصلنا ، انه ذلك المنزل هناك ..

التفتت لمكان إشارته لتجد بيتا ريفي منعزل يبدو معتنى به لكنه مغلق بشكل كلي ، حثت الخطى إلى جواره غير عالمة بما يتوجب عليها فعله بينما هو فحص المكان بدقة قبل أن يتجه للمنطقة الخلفية يتابع دراسة الموقع بتركيز خشية أن يكون المنزل مراقب

كانا يتحركان معا بتناغم ، أناملها تعانق كفه باستكانة كأنه مكانها الذي خلقت له ..

استطلع كل النواحي بحذر و ترقب لوهلة فرفعت رأسها إليه قائلة بتفكه ساخر لم تستطع كبته :

- إن كنت تأمل أن نتخفى عن العيون فانس ذلك ، أنا من الجائز جدا ألا يلاحظوني لكن أنت بهذا الحجم الوافر لا اعتقد أبدا ..

منحها نظرة حانقة قبل أن يردد بغيظ :

- شكرا على المساعدة و الإحباط ..

ابتسمت بعيون جذلة :

- في أي وقت حاضرة دوما ..

من حظها انه لم يرد بينما جذبها ليخترقان السور الخارجي من خلال فرجة مهملة لا تظهر واضحة بين الشجيرات التي تغطي المنطقة ، عندما أصبحا في الداخل اتجه مباشرة لإحدى نوافذ الدور الأول و عالجها بمهارة لتفتح بين يديه و قبل أن تدلي بتعليقها العبقري كان قد قفز نحو الغرفة ثم استدار إليها قائلا :

- أعطني يدك و لا تخافي ، سوف أرفعك ..

فعلت دون كلمة و ما أن أصبحت فوق إطار النافذة حتى شعرت بكفيه يحيطان خصرها و يحملها مثل طفلة في الثالثة ثم يضعها على الأرضية الخشبية دون صوت ..

رددت هامسة :
- ماذا تفعل ؟ لما لم نستخدم الباب كالبشر الطبيعيين ؟!
أدرا عينيه بنفاذ صبر قائلا بتهكم :
- اجل ندق الجرس بكل تهذيب مرددين هلا سمحتم لنا بقليل من التلصص أيها السادة ؟ و سنكون شاكرين لطفكم ..
لمعت عيونها قائلة بتهور :
- لا تسخر مني ، يفترض أن تكون رجل صالح و ليس لصا يجيد التسلل إلى منازل الآخرين !
حرك رأسه بقهر قبل أن يردد بغيظ مكبوت :
- اخرسي جيّدا و ابدئي البحث عن أي شيء مألوف ثم اخبريني فورا ..
جالا معا بأنحاء البيت الفارغ معتمدين على الأضواء الكاشفة التي يحملانها بأيديهما ، التصقت به فعليا و لم تغادر جانبه بينما قلبها يقرع بدوي طبول الحرب ..
انتهيا داخل غرفة مكتب مزدحمة بالأشياء ، بحثت أنامله الخبيرة بين الأرفف و المستندات حتى وجد بأحد الأدراج البوم صور قديم منحه لها قائلا :
- اجلسي هنا و تصفحي هذه الصور بدقة ، استخدمي مخيلتك كفنانة و راعي الفارق الزمني فقد تجدين صورة أقدم لهدفنا و بالطبع سيبدو مختلف ..
أومأت بحماس و باشرت بالعمل و قد عاد هو لتفحص كل شبر من المكتبة الخشبية باهتمام علّه يتوصل لمخبأ سري أو ما شابه ..
غرقا لفترة في الصمت لا يسمع سوى حفيف الأوراق حتى حملت صورة بيدها هاتفة :
- أوه ما أجملها ، انظر مراد أليست رائعة ، هل يمكنني الاحتفاظ بها !
رفع كفه إلي فمه و عض إصبعه بقهر حتى لا ينفجر صارخا و يجلب سكان البلدة جميعا عندما وقع بصره على مشهد الطاحونة القديمة داخل الصورة قبل أن يزفر بعمق مستحضرا هدوءه ثم يقول ضاغطا على نواجذه :
- جيّدا ، عزيزتي ، لم أجلبك لمشاهدة المناظر الطبيعية الخاصة بالرجل ، ركزي في المهمة حتى نغادر المنزل التعس ، نحن نقتحم ملكية خاصة الآن و ذلك عقوبته السجن حلوتي ..
أعادتها بخيبة ثم رددت بحنق :

- حســـنا (لكنها أكملت بنبرة أكثر خفوتا) مفسد للبهجة و غليـظ ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

احتوتها أماني بين ذراعيها بحنان فقد كان استرجاع تلك المشاهد العنيفة ليس هينا على الفتاة هاتفة بقهر غاضب :

- يا له من وغد حقير متبجح خالي من الإحساس ، حمد لله انه لم يتمكن من إيذائك ..

رفعت سُلاف رأسها قائلة بشراسة :

- كنت قتلته عندها دون اكتراث لشيء ، لقد صدمني اعترافه بحبه لجيجي و محاولته الوصول إليها من خلالي ، أتري كم هو مريض !

أومأت أماني قائلة بغيظ شديد :

- اجل بالفعل ، لكنك شعرت به من البداية و لم تنخدعي برقته الزائفة ..

وافقتها قائلة بحيرة :

- السؤال الآن حول كيفية التعامل معه بعد أن كشف أوراقه بهذا الشكل ؟

اتسعت عيون الأخرى هاتفة برفض :

- لن يكون هناك أي تعامل معه بالطبع ، هل جننتِ انه معتوه حقيقي ، لكن لابد من الإبلاغ عنه حتى ينال جزاءه هو و تلك السافلة المنحطة التي نصبت لك الفخ ، و بنفس الوقت تكوني أنت بعيدة عن الأمر ..

بادلتها النظر قائلة بهدوء :

- و هل تظنينه يسكت بعد كل ما حدث ؟ بالطبع لا ، لقد هددني صراحة بان هناك أدلة على ذهابي إليه بإرادتي سوف يحمي نفسه بها عند اللزوم ..

مسدت أماني جبهتها مفكرة قبل أن تقول :

- وهذا ادعى بعدم تدخلك ، من يجابهه يجب أن يكون ندا قويا يرهبه ، بمعنى أوضح انه دور عمر خاصة و هو يعرف الأمر و شارك به ..

احتل العبوس ملامحها فهتفت بغيظ :

- لا تذكري ذلك الأحمق أمامي أبـدا ، وهو لن يتدخل بأي أمر يخصني ، أفضل التعامل مع قاطع طريق بدلا عنه ..

أشارت بكفيها قائلة بسرعة :

- حسنا حســنا اهدئي ، سأخبر ادهم إذن ..

زفرت سُلاف قائلة برفض :

- بل لن تفعلي أي شيء حتى اطلب منك ذلك ، لقد ذهبت إلي الكلية و هاجمت مساعدته البلهاء و هددتها ،

لا ريب أنها ركضت إليه و أبلغته الرسالة لهذا سوف انتظر خطوتهم القادمة و بناء عليه سأخبرك ما نفعله ..

ازدردت لعابها قائلة برهبة :

- اتفقنا لكن عديني أن لا تخطين خطوة واحدة بهذا الأمر دون أن اعلم بها ..

أومأت بوعد صادق قائلة :

- أنا حتى لن أذهب للجامعة حتى بداية الاختبار ، لم يعد هناك محاضرات على كل حال ، الآن هيا نخرج لقد مللت ، أريد المشاركة في تجهيزات العرس ، ما رأيك بجولة بين أثواب الزفاف ..

ابتسمت أماني قائلة برقة :

- لك ذلك لكن لا تخبري ادهم فهو يريد اختياره بنفسه ..

كشرت الفتاة بشكل طفولي هاتفة باستنكار :

- يحلم إن ظن نفسه قد يراه حتى ، هل أنت حمقاء أو مغفلة ؟ اختاري

زمت حاجبيها هاتفة باستياء :

- و لما يا آنسة مهذبة ؟

ردت ببساطة و قد ذهب عنها الحنق :

- لان ثوب الزفاف هو سر مقدس لكل عروس ، يا الهي لا اصدق انك الكبرى ، المهم اتصلي بعمي و استأذنيه بينما اخبر الخالة أحلام ، لا ريب أنها ما زالت تحدث أمي و تجادلها بشأن عدد قطع طقم البورسلين مفخرة كل الأمهات !

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

- هل أنت مستاء مراد ؟

سألته بينما تلف حزام الأمان حولها بعد عودتهم إلى السيارة خالين الوفاض ..

التفت إليها مستفسرا بهدوء :

- لما عليّ أن أكون !

أشارت بكفيها قائلة :

- لأننا لم نعثر على شيء ذو قيمة هناك ..

أضاء وجهه بدفء ابتسامة عينيه التي تخلب لبها و تصيب نبضاتها بلوثة قائلا :

- بالطبع لا ، نحن قمنا بواجبنا دون تقصير ، كما أن عملي عودني الصبر فالطريق لا يكون مفروش بالأزهار و الأدلة طيلة الوقت ، كثيرا ما تفشل المساعي في حين أن مجرد صدفة قد تحل أصعب الألغاز كما حدث معك ، لا تقلقي لو فشلنا بمهمة سيوفقنا الله و ننجح في غيرها عندما يحين الوقت ..

أعجبها منطقه فقالت بمرح :

- ممتاز ، إلى أين سنذهب الآن بعد أول مهمة مشتركة فاشلة لنا ؟

دغدغتها ضحكاته الرجولية قائلا :

- إلى منزلنا يا صغيرة ، لقد مرحتِ اليوم بما فيه الكفاية كما أن المساء سيحل و الجو يصبح شديد البرودة في هذه المناطق ..

استكانت في مقعدها بهناء مرددة دعاء السفر و قد حرك السيارة بسلاسة ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

تردد طويلا قبل أن يحسم أمره خاصة بعد محادثته الأخيرة مع والدته و قد أخبرته عن شوقها لرؤية سُلاف التي لم تصادفها منذ عدة أيام ، كما انه بحاجة لمناقشة العم رضوان في أمور تخص العمل ..

دلف لمنزل خالته شاعرا بالتوتر لأول مره بحياته فلطالما اعتبر هذا المكان بيته ، لم يستسغ هذا الهدوء المخيم على الأجواء لأنه لا يجلب إليه روح صغيرته الشقية ..

قفزت ابتسامة تلقائية إلى شفتيه حالما تذكرها تركض نحوه بصخب طفلة في الخامسة من عمرها بينما هو في الثانية عشرة و قد بدأ يطرق أبواب المراهقة ، و كلما تواجد كانت ترفض الذهاب مع غيره و تصر على أن يصطحبها إلى كشك الصحف المجاور لتبتاع المجلات التي تحب شكل غلافها ثم تجبره على قراءتهم لها المرة تلو المرة دون كلل ، كم كان يحب ذلك و يتمتع به انتبه من رحلته العابرة على صوت خالته تتبادل معه حديث لم ينتبه إليه بل سأل بشكل مباشر:

- أين فيفي خالتي ؟

ابتلعت ابتسامتها المدركة قائلة ببساطة :

- منذ عادت من الخارج و هي في غرفتها ، اعتقد أنها تدرس ، عموما سوف استدعيها الآن طالما معلمها وصل ..

تركها تصعد الدرج حيث الأميرة ذات الجديلة جالسة في برجها و توجه إلى غرفة المكتب حيث يتواجد عمه في هذا الوقت لمراجعة الأعمال كما يحب أن يفعل دائما بينما عقله يرتب عبارات الاعتذار التي تتسابق داخله ، لقد اخطأ و جرحها و عليه محو ذلك في الحال ، عذره أن الغضب العارم أعماه و كان هو من يسيره ..

- اخبريه ببساطة إنني منشغلة ماما ، ما الغريب في الأمر ؟ أنا ادرس ..

قطبت السيدة حاجبيها بدهشة فلم تتوقع هذا الرد أبدا قائلة :

- بإمكانك أخذ فترة راحة فيفي ، كما أن عمر يساعدك في الدراسة ما الذي جد الآن ؟!

ردت من بين أسنانها :

- لقد انتهينا ، اقصد من مراجعة المحاضرات و لم اعد بحاجة إليه ..

ردت والدتها قائلة بتفهم :

- حسنا لما تشاجرتما ؟ اخبريني بصراحة ..

هبت من فراشها هاتفة :

- لا شيء ، أنا لا أريد رؤيته فحسب ، هل هذا كاف لإقناعك أمي ؟ لا وقت لدي من اجل ابن شقيقتك الغالي لأني استعد للاختبارات الوشيكة

حركت كفيها بقلة حيلة فهي أدرى الناس بابنتها عندما تقرر العناد ، من الواضح أنها تعاقبه ، لما ؟ هذا الذي ستعرفه دون شك ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

تصاعد غيظه منها بشكل يهدد بتصرف أحمق ، تغضب منه بدل التماس العذر ! ألا تعي مقدار

السوء الذي شعر به عندما شاهدها في منزل ذاك الحقير و تخيل ما الذي أوشك على الحدوث لولا عناية الله ..!

- هل هي تدرس حقا خالتي ؟

رفعت حاجبيها قائلة بمكر :

- أنت أدرى مني بذلك ، لكن لو أخبرتني بما يحدث بينكما بالتأكيد سوف أساعدك ..

أشاح وجهه قائلا بقهر :

- لم يحدث شيء بالطبع ، لما تظنين ذلك ؟

واجهته قائلة بثقة :

- و هل تظن خالتك ساذجة بهذا القدر يا ابن قلبي ! تحدث مباشرة فلن تستطيع مصالحتها بمفردك ، أنا اعرف ابنتي ..

غمغم بضيق :

- صدقيني الأمر لا يستحق ، لقد عنفتها على لوحة أخطأت رسمها ..

حدجته بنظرة يعرفها جيدا ثم طوحت كفها في الهواء قائلة :

- حسنا كما تشاء ، لا أريد أن اعرف لكن تحمل أخطائك وحدك يا فتى ، لن أحرك إصبعا واحدا لأجلك ..

تركته غارقا في حيرته و اتجهت للمطبخ تكمل أيا كان ما تفعله بينما يناظر أعلى الدرج بقهر ، شيطانه يوسوس له أن يصعد و يجلبها من شعرها الطويل بنفسه حتى لا تعذبه بالتجاهل مره ثانيه لكن بقية من التعقل تمنعه ، لقد أعلنت الخصام و هذا ليس سهلا و هو خير من يعرف ..

عادت عبارتها الموشاة بالدمع تدوي داخله (لن أسامحك) ليطلق مزيدا من اللوم لنفسه ، يعلم انه جرحها بعمق و إلا ما احتجبت عنه بهذا الشكل و عليه إيصال حقيقة موقفه ، ما تلفظ به كان وليد التهور و الغضب ليس لشك أو اتهام ..

- تبا تبا ، لو كانت جيّدا هنا لعلمت كيف تتصرف ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

هدر صوته عاليا يهتف بغضب عاتي يكاد يحطم الهاتف داخل قبضته :

- كيف حدث ذلك أيتها الغبية ؟!!!

ردت بنبرة مماثلة :

- لا تصرخ عليّ فانا لم أخطئ ، أنت من اختفى بشكل مريب دون ترك كلمة ، لقد فقدت هاتفي

التعس في مكان ما لا اذكره فماذا افعل الآن ؟
اقتل نفسي !
لم يستطع كظم غيظه من هذه الحمقاء المغفلة فهتف بقهر :
- ألا تفهمي معنى عدم وجود تلك الصور ؟! لقد أفسدت كل شيء ، ليتني ما اعتمدت عليكِ ..
صرخت به غاضبة بدورها :
- لقد فعلت كل ما طلبته ، لا ذنب لي بكونك فشلت معها ، لا تلق بذلك عليّ ، الاتفاق واضح و قد نفذت جانبي منه دون تقصير و لن أتنازل عن وعدك فلن أكون الخاسرة الوحيدة هنا ، هي بالمقابل لا تمتلك دليلا ضدك و لا أظنها تتطرق للأمر ، متى احصل على الأسئلة ؟
زمجر قائلا بعنف :
- ليتك تسمحين لعقلك بالعمل بدلا من لسانك ، أنا بإجازة يا ذكية ..
تصاعد غضبها و كشرت عن أنيابها هاتفة :
- لا شأن لي ، و لا تفكر بالتنصل مني الآن فلست وحدك من تمتلك تسجيلات بالمناسبة
قالتها بقهر ثم أنهت الاتصال تعضها الخيبة فهي لا تهتم بكل ذلك الهراء ، أمر واحد فقط بات يشغل عقلها و هو فقدانها لرقمه بضياع هاتفها ، كيف السبيل إليه من جديد !

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

لاحظت جيّدا انعقاد حاجبي مراد أو لعله إحساسها الفائق به هو ما جعلها تلتفت إليه سائلة بفضول :
- ماذا هناك مراد ؟!
رد بشكل مباشرة دون أن يحيد بعينيه عن الطريق :
- السحب تتكاثف بشكل أسرع من المعتاد و الظلام يسود قبل موعده جيّدا ، كما أن صفعات الرياح بالخارج تشي باقتراب عاصفة ..
لم يكد ينهي عبارته حتى شاهدت أمامها أولى رُسل المطر ترتطم فعليا بزجاج السيارة ، القطرة تلتها أخرى تبعها المزيد بسرعة كبيرة و قد اجتهدت الماسحات في إزالتها لتوضيح الرؤية ثم ما لبث أن تحولت لسيل عارم أغشى كل شيء ..
اجفلها الصوت القوي الذي ضرب فوق رؤوسهم معقبا ذلك الوميض الذي أضاء السماء بشكل يرهب الأبصار فتمتمت بصوت مسموع :
- سبحان الذي يسبح الرعد بحمده و الملائكة من خيفته ..

توالت ضربات البرق و الرعد على فترات متقاربة فبدت صفحة السماء أشبة بساحة حرب ضروس راحت السيارة تلتهم الطريق الغارق في الظلام عدا عن ومضات البرق الصاعقة ، كانت تجلس متشبثة بمقعدها كاتمة أنفاسها حتى لا تشغله عن التركيز فكل ما تراه بالخارج يبدو مرعبا قابضا للنفس ، ثورة حقيقة للطبيعة الغاضبة ..

فجأة شعرت بضربة عنيفة تصدم مقدمة السيارة من الأسفل رغم ارتفاعها و تجبرها على الانحراف عن الطريق بشكل خطر لولا قبضتي مراد المحكمتين على المقود و قدراته الفائقة باحتواء الأزمات لانقلبت و حدثت كارثة بسبب السرعة و الطريق الزلقة و قد ساعده أيضا نوعية إطاراتها الخاصة على الثبات نوعا ، لكنها تظل في النهاية مجرد وحش معدني ثائر بحاجة لمروض قوي يعرف أبجديات السيطرة ..

أكمل انحدارها بعيدا عن الإسفلت إلى الجانب الترابي بسلاسة ثم وجهها باقتدار ناحية دغل متشابك الأشجار أوضحته له إحدى ومضات البرق بعيدا عن طريق أي مركبة قد تصطدم به وسط الظلام المنتشر بكثافة على مد البصر ..

بالكاد وصل لوجهته ثم أوقفها بهدوء دون إحداث المزيد من الضرر ، سكن داخلها تماما و لم يعد مسموع سوى صوت بكاء الطبيعة العنيف بالخارج ..

أخيرا تمكنت من إطلاق أنفاسها المحبوسة فقد بدت لها الثواني الماضية كأطول ما مر بها في حياتها لتسبقه بالهتاف ناقلة إليه اهتمامها كبير قائلة :

- أنت بخير مراد ؟

التفت إليها قائلا بدهشة عارمة :

- تسألين عني أنا ؟!!! و الأدهى انك لم تصرخي كما يفترض بأي فتاة مكانك فهل اسأل الآن عن السبب ؟

رفعت كتفيها قائلة ببساطة :

- الأمر بسيط ، لأني أثق بك بالطبع ، ما هذا الشيء الذي صدم السيارة ؟

إجابتها فجرت ينابيع حيرته بشكل غير مسبوق لكن معها أشعلت فتيل زهوه و قد انطلقت أضواء الاحتفالات تضيء سماء عقله المنتشي بهبتها السخية التي اغدقتها عليه للتو ، أي فتاة هذه التي تشبع كل تطلعاته و تتخلل مسامه !

لا يعلم كيف تمكن من النطق ليجيبها بنبرة محايدة :

- لا ريب أن الصاعقة أسقطت إحدى الأشجار على الطريق و قد أصاب الجذع أسفل السيارة بسبب الظلام ..

أومأت بتفهم و عادت تسأله :

- هل سننتظر هنا حتى يتوقف المطر ثم نواصل طريقنا ؟

حرك رأسه نافيا قبل أن يقول :

- لا لشطري عبارتك ، لن نستطيع المواصلة بالسيارة فالصدمة أصابت خزان الزيت الذي فرغ الآن ، كما لن نتمكن من البقاء هنا لان العاصفة سوف تستمر لمدة و علينا الاحتماء و طلب المساعدة ..

نقلت بصرها للمؤشرات أمامه لترى بنفسها ارتفاع درجة حرارة السيارة نتيجة فقدان الزيت الذي يبرد المحرك و بالطبع لن يعمل بدونه لذلك سيتوجب عليهما قطرها لأقرب ورشة صيانة فابتسمت تخفف عنه قائلة :

- امم أرى ذلك ، حسنا لا بأس على أي حال أنا أحب السير تحت المطر ..

رفع حاجبيه بعدم تصديق لردودها التي تقع على الدوام بعيدا عن نطاق توقعاته فقال بتحذير واضح :

- عليك تذكر انه ليس معنا معاطف واقيه كما أني لا اعرف أين نحن تحديدا بسبب الظلام الذي يشي بانقطاع التيار الكهربي عن المنطقة ..

قالها مستعدا لانطلاق موجة التذمر و الصراخ لكن ليس تلك الابتسامة العذبة التي تعصف بكيانه مع ردها العفوي عندما قالت بمرح :

- هيا مراد لا تكن كئيبا ، سنبحث عن أي مصدر للضوء و نسير باتجاهه شرط أن لا تترك يدي لأني كما تعرف لست من هواة هذا اللون الأسود القابض ..

ثم قرنت قولها بالفعل عندما علقت حقيبتها بإحكام ثم انتهزت وميض البرق لترى موطئ قدمها و ترجلت من السيارة لتتفاجئ بقوة الرياح و صفعات المطر القاسية ..

وصلها صوت إغلاق الباب الآخر ثم احتواء ذراعه الداعم مشيرا لاتجاه بعينه قائلا :

- إلى هناك ، أترين ذاك الضوء الحثيث ؟ يبدو قادما من مئذنة مسجد أو ما شابه ..

تحركت مع خطواته قائلة :
- اجل يبدو بعيدا لكن ربما هذا خداع بصري بسبب ظاهرة الانكسار ..
كلما شعرا بالبرد ازدادت سرعة خطواتهم لكن العاصفة كانت قوية بالفعل فلم يكدا يسيران عدة خطوات إلا و قد غرقت ملابسهم بالماء الذي تغلغل إلى الداخل بسرعة شديدة كما التصق شعرها الذي تعقده بعيدا عن وجهها برأسها بينما تدلت خصلات شعره على جبينه تتساقط منها قطرات المطر لعينيه ..
احتملت كل ذلك ببسالة لكن الأرض الطينية كانت زلقة و حذائها الخفيف لا يساعد على السير السريع و سرعان ما زلت قدمها و فقدت قدرتها على التوازن ..
صحيح مراد أنقذها من السقوط الكلي عندما رفعها بقبضة قادرة لكن ذلك لم يمنع أن يصبح سروالها خريطة من الأوحال كما تلوثت إحدى يديها نتيجة محاولتها الاتزان ، عندها هتفت قائلة بقهر :
- لقد تراجعت عن قولي ، مازلت أحب المطر لكن ليس مقترنا بالوحل و الظلام بالتأكيد ..

لم تتوقع أن تستمع لضحكات مراد الذي هتف بجذل :
- أوه الحمد لله و أخيرا حظيت بردة فعل طبيعيه هذه الليلة ..
لم تتمالك نفسها و فاجأته بتصرفها عندما مالت و حملت قبضة من الأوحال ثم رشقته بها فهتف صارخا :
- لا ، لما فعلت ذلك ؟!
رددت ببساطة مع نظرة عابثة من حسن الحظ انه لم يرها :
- حتى لا أصبح بلهاء وحدي ، اضحك ثانية و هذه المرة سأدفعك لتسقط أرضا أيها اللطيف ..
كبت ضحكاته بالكاد فتهديدها لم يكن من فراغ لكن قلبه ضج بها رغم غرابة وضعهم كونهم عالقين تحت هدير السيل العارم ..!
أخيرا لاح لهم المبنى الذي شاهدوا الضوء يصدر عنه ، بالفعل كان مسجدا من دور واحد يبدو أنهم أشعلوا به مصباح يدوي بغرض الإرشاد لكنه مغلق و خالي ، على الأقل تمكنا الآن من رؤية دربهم ، إنها مشارف إحدى الضياع ذات طرقات حجرية لكنها خالية و قد لاذ الجميع

بمساكنه ، اصطحبها لأقرب منزل ظهر أمامهما ، بدا كبيرا و محاط بسياج حديدي يفصل ساحته الداخلية عن الطريق ، مال عليها سائلا بتفكه :

- هل اكتفيت من السير تحت المطر الآن أم علينا البحث عن منزل أبعد !

ضيقت عيونها و أشارت بقبضتها مهددة قبل أن تردد بسخرية مماثلة :

- ماذا ترى ؟ أنا مبللة حتى العظام و مغطاة بالوحل و قد أوشكت على التجمد بالمناسبة

منع تعليقا آخر يلح عليه قائلا بدلا منه :

- حسنا اهدئي لأنهم لو سمعوك سيظنونا من قطاع الطرق ..

لم ينتظر ردها و قد اتجه بالفعل لبابه الكبير و شرع بدقه بقوة حتى يصل الصوت للمعتصمين بالداخل ، سرعان ما استجاب لهم رجل بعمر والدها معه شاب قد يكون ابنه ..

اخبره مراد عن وضعهم بعبارات سريعة على أثرها أفسحا لهما المجال ليدلفا إلى داخل الساحة الواسعة ثم قادها الرجل الأكبر بسرعة بعيدا عن السيل المنهمر حيث باب آخر يؤدي لمنزل من دورين عامر بالدفء و الروائح الشهية

ذكرها بمنزل جدتها رحمها الله

لم تفهم شيء من الحديث المتبادل بالطبع لكنهم اصطحبوهما إلى ردهة مضاءة بمصابيح يدوية انتشرت في الأركان لتغطي المساحة كلها ناشرة جوا حميمي لطيف يجتمع بها العائلة بأسرها كما يبدو ، سيدة حولها فتاتين ناضجتين تماثلنها في العمر تقريبا يجاورهن مراهق ربما في الثالثة عشر من عمره ..

ألقى مراد تحية المساء التي تعرفها بينما ناولتها إحدى الفتيات منشفة جافة مدتها ببشاشة ملحوظة ، أخذتها شاكرة بيدها النظيفة و خففت وجهها و شعرها بينما تولى والدهم مهمة التعريف ..

انتبهت للسيدة تحدثها فترجم مراد لها قائلا :

- اذهبي معهم إلى الداخل جيّدا ، السيدة تخبرك أن عليك الاغتسال من الأوحال و ارتداء ملابس جافة مع إنني أراك جيدة جدا في الواقع ..

ردت عليه بأن مدت لسانها مغيظة فتعالت ضحكات الجميع و قد كسرت بعفويتها حاجز الغربة في ثواني معدودة ..

سرعان ما شملها الدفء من جديد بعد الحمام السريع الذي حظيت به و قد استطاعت التواصل مع الفتاتين بحكم معرفتهما للانجليزية و إن كان بعدم إجادة لكنه أفضل من لا شيء ..
لطالما امتلكت ذلك القبول الفطري الذي يجعلها تتآلف سريعا مع كل من تتعامل معه ، و هكذا توطدت العلاقة و نمت المودة سريعا و في الفترة القليلة التي ارتدت فيها الملابس الجافة كن تبادلن العديد من المعلومات ...
عرفت أنهما في بلدة ريفية صغيرة تقع بالقرب من منطقة جبل كليوس ، كما أخبرتها عائشة الابنة الكبرى للعائلة عن البقية ...
والدتهم الخالة مقبوله أما والدهم فهو من استقبلهم و فتح له بيته يدعى السيد شوكت ، عندها تطوعت حفصه و هي الفتاة الثانية ذات الوجه البشوش النضر و التي منحتها من ثيابها لإكمال التعارف قائلة :
- أخينا الأكبر أنور هو من كان برفقة بابا ثم آخر العنقود أمير ..
منحتها جيّدا ابتسامة تفيض شكرا و امتنان قائلة :
- انتم في غاية اللطف ، كنت أشك بإمكانية الشعور بأطراف ثانية ..
جذبتها عائشة بعفوية محببة قائلة :
- سوف تتحسنين أكثر بعد وجبة دافئة و كأس من الشاي ، هيا قبل أن يظن زوجك إننا اختطفناك فقد بدا قلقا عليكِ ..
اتسعت عيون الفتاة و سألتها بلهفة ناسية نفسها:
- حقا فعل !
ميلت حفصه رأسها قائلة بشقاوة :
- اممم يبدو أن لدينا عاشقة صغيرة هنا ..
نهرتها شقيقتها الكبرى قائلة بلوم :
- اخرسي حفصه ، لا تحرجيها ..
لكن جيّدا أعلنت الصداقة عندما وقفت في المنتصف و أحاطت كلتا الفتاتين بذراعيها قائلة:
- اتركيها عيوش ، أنا لا أحرج بسهولة ..
ضحكت الصغرى و قالت تسر لها الخبر :
- أنا اعلم سر غضبها المفتعل فهي تخشى أن انقل الكرة لملعبها لأنها عروس حديثة و حفل زفافها بعد يومين ..
التفتت لها جيّدا قائلة بدهشة :
- أوه ، تهاني إذن ، أتمنى لك السعادة ..

شكرتها عائشه قائلة بخفر :
- لن تصدقي لكن برغم أننا قد تعارفنا للتو لكني اشعر بك قريبة و أتمنى لو تتاح الفرصة و تحضري زفافي ..
مالت جيّدا و قبلتها بأخوية على إحدى وجنتيها قائلة :
- هنيئا لسعيد الحظ زوجك المستقبلي فأنت بغاية الرقة و الطيبة ، أتمنى لو استطيع ، ليت الظروف تسمح بذلك ...
انضموا للبقية لتجد عينا مراد في استقبالها ، شعره مصفف و يرتدي ثياب جافة لابد أن الشاب قد أعاره إياها ..
وصلها ترحيب الخالة مقبولة الحار و عرضها للطعام كما ميزت من بعض الكلمات و قد أكدت لها حفصة التي تطوعت للقيام بالترجمة منها و إليها ..
بمرور الوقت ذاب حاجز اللغة و الغربة لدرجة أنها استشعرت روح وطنها فهؤلاء الأشخاص كانوا اقرب لأهل بلدها بنظراتهم الطيبة الودودة و بشاشتهم في استقبال الضيف و خاصة عندما ربتت الوالدة على كتفها قائلة أن تعتبر نفسها قي بيتها و تطلب ما تريده ..

لاحظت تغير ملامح مراد فمالت عليه بعفوية و سألت قائلة :
- ماذا هناك ؟!
اخبرها بالانجليزية احتراما لوجود الجميع :
- العم شوكت اخبرني أن الأمطار قد تتوقف مع الصباح لكن سيكون من الصعب قطر السيارة حتى تجف الطرق الطينية خارج الضيعة كما أن الاتصالات مقطوعة مثل الكهرباء فالهاتف لم يعمل ..
اتسعت عيونها جذلا و ردت بسعادة فاجأته كالمعتاد هاتفة :
- أي أننا سنظل هنا ليومين ؟ إذن استطيع حضور الزفاف ؟ قل اجل رجـاء مراد ..
قطب حاجبيه بعدم فهم لمقصدها لكنه لم يكد يهم بسؤالها حتى قفزت حفصه هاتفة بدورها :
- حقـا ؟ هل هذا صحيح ؟
(و صفقت كفيها متابعة) يا للروعـة ..
ثم ركضت تزف البشارة لشقيقتها مع والدتها في المطبخ كون أمنيتها تحققت بهذه السرعة ..

حدجها بذهول قائلا بدهشة عارمة :
- لا اصدق انه أصبح لديك خططا هنا و لم نكد نمكث وقتا يذكر ..
عندها ضحك العم شوكت قائلا ببشاشة حانية :
- اتركها يا ولدي لقد انسجمت مع الفتيات و أنا أصر على ما أخبرتك إياه ، ستظلان في ضيافتي حتى تجف الطرق و تذهب برفقة أنور لقطر السيارة إلى ورشة الصيانة ، لن تغادران إلا و كل الأمور على ما يرام ..
ثم التفت لجيّدا قائلا :
- لن تحضري حفل الزفاف فحسب بل موسم الحصاد أيضا ، الأيام القادمة ستكون حافلة لا يغرك الهدوء الآن بسبب المطر فمع أول شعاع للضوء ستضج طرقات البلدة بالحركة عندما تتجمع الفتيات لجمع الثمار من اجل حفل الصابون ..
عكست ملامحها مقدار انبهارها و سألت بفرحة عارمة :
- أهذا الحفل حقيقي ! يا الله ظننته من وحي خيال مؤلفي الدراما ..
تعالت ضحكات الرجل الذي أجابها قائلا بصوته الأجش الخشن :
- كل شيء لا بد أن يكون له منبع حقيقي بنيتي و نحن هنا لا زلنا نتمسك بالعادات القديمة و نحميها من الاندثار ، لقد تأخر الحصاد هذا العام بسبب اضطراب الأحوال الجوية و إلا كنا انتهينا قبل وقت ، كأننا كنا ننتظر وصولكما !
جلست إلى جواره تشاركه الحديث قائلة باهتمام :
- ماذا تزرعون هنا أيضا غير الزيتون ؟
احتل وميض الفخر عينيه قائلا :
- نزرع العنب و التين ، البندق و الفستق كما لدينا بعض البقول و الخضراوات ..
لا تعلم لما ذكرها بوالدها من جديد ! ربما لان صوته يحمل حماسه كلما تحدث عن شيء يحبه و يعكس نقاء سريرته ..
ابتسمت قائلة بتمني واضح :
- هل استطيع الذهاب مع عائشة و حفصة غدا ؟
أومأ قائلا بتأكيد :
- رغم أن العمل يكون قاصرا على الفتيات الغير متزوجات لكنك ضيفتنا و لك معاملة خاصة
(ثم التفت لمراد قائلا) بعد موافقة زوجك بالطبع ، المعذرة بنيّ أنتما مثل أبنائي لذا أعطيت نفسي الحق بمنحها الإذن ..

تألق وجه الشاب قائلا بابتسامة صادقة :
- كلمتك لا ترد عماه ..
ردد الرجل باستحسان :
- حسنا ، ستمرح جيّدا مع الفتيات بينما أصطحبك بجولة لترى مصنع عصر الزيتون الذي تم إنشائه حديثا ، لقد تعاونت البلدة بأكملها في إقامته ليستوعب إنتاجنا من الثمار بالإضافة للبلدان المجاورة ..
استمرت الأحاديث المتنوعة على طاولة الطعام و ضوء المصابيح اليدوية يضفي أجواء بمنتهى الخصوصية حتى أعلن العم شوكت ضرورة الخلود للنوم لان الغد سيكون حافل ثم قاد مراد و جيّدا إلى إحدى الغرف قائلا :
- تفضلا ، هذه ستكون غرفتكما و هاك المصباح ، اعتذر لا يوجد مدفأة بالداخل لكن هناك أغطية كافية و ستدفئان بعضكما ..
بعدها استدار مغادرا لتجد نفسها وحدها معه في الغرفة ....
شملت الموجودات حولها بنظرة قبل أن تلتفت اليه قائلة بتعنيف :
- أعجبك الآن ! نحن عالقين معا في غرفة لا تحتوي إلا فراش واحد و مقعدين حتى لا يوجد أريكة ..
وضع كفيه فوق خصره قائلا :
- صرت أنا المخطئ الآن !! هل كان عليّ الكذب و إنكار زواجنا !
رفعت كفيها قائلة بنبرة أهدأ :
- كلا و لكن كان يمكن أن تقترح بقائي مع الفتاتين على سبيل المثال ..
رفع احد حاجبيه قائلا بسخرية :
- هذا على فرض إنني السلطان مراد صاحب الأمر المطاع ! ماذا بك نحن مجرد ضيفان هبطنا عليهم دون سابق إنذار ..
يبدو أن ارتباكها من وجوده الطاغي على قلبها قبل المحيط المادي حولها أثر على منطقية تفكيرها لكنها لم تتخلى كليا عن العناد قائلة :
- حسنا لكنك لن تتقاسم الفراش معي بالطبع ..
مالت شفتيه بابتسامة عابثة قبل أن يردد بمكر :
- بل أنت التي لن تتقاسم الفراش معي جيجي ..
أصابها الذهول جراء لفظه لاسم الدلال الخاص بها بهذه النبرة المتلاعبة و أيقنت أن فكها السفلي قد تدلى أمامه الآن و بات يراها كبلهاء حقيقية

لذا سارعت بالعودة لشخصيتها المتنمرة خشية أن يلاحظ قفزات قلبها المجنونة ..
عقدت حاجبيها قائلة بغضب :
- التهذيب و الشهامة يحتمان عليك التضحية لأجلي ، أنت الرجل هنا !
لا يعلم لما تبتهج روحه و ينبض داخله بعنف كلما رأى تلك الشعلة المتوهجة داخل أحداقها كأنها تمده بدفق هائل من الطاقة المشبعة بأشياء أخرى لا يعلم تفسيرها ..
رد على قولها بتفكه قائلا ببساطة :
- و لهذا تحديدا يجب أن أنال قسط وافر من الراحة لأستطيع مواكبة نزواتك آنستي ..
شهقت هاتفة باستنكار :
- نزواتي أنا ؟!! أيها السيد المتذمر طيلة الوقت !
اقترب منها قائلا بتحدي :
- على الأقل لا انتزعك من فراشك كل فجر لأرسم الشيء نفسه ..
كشرت بطفولية مرددة بشكل مضحك :
- حسنا لنقترع ..
أومأ برأسه ثم أخرج عملة معدنية من جيبه قائلا بمرح :

- موافق ، الصورة لي ..
أمسكت كفه و خطفت العملة منه قائلة :
- أنا من سترمي ..
و قامت مباشرة بتقليبها داخل كفيها قبل أن تلقيها عاليا لتهبط بين يديها المغلقتين في حين وقف يراقب النتيجة باهتمام ، رفعت كفها العلوي بحذر ليهتف عندها بانتصار :
- إنها الصورة تخسرين يا حلوه ، هيا اذهبي المقعد يناديك ، تصبحين على خير يا ملكة الصابون ..
راقبته يندس بين الشراشف براحة غير مبالي بها فقلبت شفتيها باستياء مدمدمة بقهر :
- غليـــظ جدا و فظ ..
ثم سحبت احد الأغطية مع وسادة و قربت المقعدين من بعضهما بشكل متقابل لتكون فراش مصغر ، قفزت داخله و دثرت نفسها بالكامل فعادت تشبه القطة الناعمة الباحثة عن الدفء ..
بالكاد استمر في كبت ضحكاته المستمتعة بتمتمتها الخافتة التي تصب لعناتها عليه دون شك ، بالطبع لن يتركها هناك لكنه أصبح يحب مشاغباتها ليرى تحول لون عينيها من الصفاء للأدكن الموشى بنيران الغضب ..

كمن في مكانه لعدة دقائق حتى أصبح الفراش دافئ بفعل حرارة جسده فنهض عنه متجها إليها قائلا برقة خرجت تلقائية دون افتعال :

- جيّدا ، اعلم انك مستيقظة فصوت الشخير لم ينطلق بعد ..

شهقت بصوت مسموع و استدارت إليه قائلة بحدة :

- أنا لا اصدر أي صوت أثناء نومي !

ضحك على ملامحها المتحفزة فأومأ قائلا :

- حسنا لا تغضبي امزح معك ، هيا تحركي قبل أن يبرد الفراش لقد أدفأته لك و ها هو ينتظرك مرحبا ..

تعلقت بنظراته التي نقلت إليها حنان العالم بأسره تلك اللحظة ، لما يفعل بها ذلك ؟! ألا يدرك خطورة تلك العينان عندما تعكسان كل هذا اللطف المشبع بالعبث ! قاومي يا فتاة و كفي عن الحماقة ..

ترجمت تحذير عقلها إلى كلمات قائلة :

- لا أريد ، أنا مرتاحة هنا ..

لم يترك لها المجال لقول المزيد حيث مال عليها فجأة واضعا احد ذراعيه أسفل ساقيها و الآخر حول كتفيها ثم حملها ببساطة قائلا :

- أنت من اختار فلا تلومي سوى نفسك لأني أطلب مره واحدة فقط بعدها أباشر بالتنفيذ دون استئذان ، اعتادي على ذلك ..

تبا إنها لا تكف عن إثارة دهشته و تحويل مسار توقعاته ، فبدلا من الركل و التذمر استكانت بين ذراعيه و الأدهى لفت نفسها باتجاهه لتصير أنفاسها أمام عنقه و ذراعها الغض تنام حوله مما أصابه بصاعقة كهربائية عالية الجهد ..

سرى داخله إحساس ناعم لم يختبره من قبل بالرغم من كثرة ما تعلقت به نازلي و حاولت إثارة رجولته بينما هذه الساحرة لم تفعل أكثر من الاستكانة بوداعة بين يديه ،لا يعلم لما استحضر ذهنه تلك اللحظة أبيات شعرية

سمعها من والدته ذات يوم ..

مُذهلة ..

ما هي بس قصة حسن ...

رغم إن الحسن فيها بحد ذاته مشكلة

كل شي فيها طبيعي و مو طبيعي

أجمل من الأخيلة

طيبها .. قسوة جفاها ..

ضحكها .. هيبة بكاها ..

روحها .. حدة ذكاها ..
تملأك بالأسئلة ..
مُذهلة ..
الأمير الشاعر / عبد الرحمن بن مساعد

أدرك انه لو ظل يشعر بها على هذا النحو دون أن يتحرك و يضعها سيرتكب حماقة تفسد الوضع بأكمله ، منذ متى لم تستطع السيطرة على نفسك مراد ! هذا ما هدر به عقله بينما يستدير واضعا إياها بين الأغطية و يعود إلى المقعد دون كلمة ..

لم ينفعه فراشها المضحك نظرا لطوله ففصل المقعدين وقرب احدهما من أسفل الفراش ثم استلقى عليه فاردا ساقيه بعرض السرير و كان هذا أقصى ما يستطيع فعله ، عليها تحمل جزء منه يشاركها الفراش !

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

همت الخالة قدرية بالعودة لفراشها عندما شعرت بتيار من الهواء البارد يحرك ستائر الردهة فظنت نفسها نسيت إغلاق الشرفة السفلية قبل ذهابها للنوم ، اتجهت إليها ليستقبلها ذلك الكيان الساهر يقف ساهما كأنه لا يشعر بالصقيع !

خبطت على صدرها هاتفة بجذع :
- شاهين بنيّ ! كيف تقف في هذا الجو البارد و التوقيت المتأخر ؟! هل عدت من عملك للتو ؟
استدار إليها مطلقا زفرة تحمل هموم العالم قائلا :
- لا خالتي ، أنا هنا منذ بعض الوقت ، لا تشغلي بالك بي وعودي إلى النوم ..
جذبته إلى الداخل قائلة بحزم امومي :
- كيف أتركك بهذه الحالة الغريبة ؟ هل تظنني قد أتمكن من النوم ! احمد الله أن والدتك لم تراك و إلا أقامت الدنيا ، تعلم كم تحبك و تخشى عليك ..
أغلقت الباب بإحكام و سحبته خلفها إلى المطبخ متابعة :
- سأعد لك شيئا دافئ ثم نتحدث ، لما تتحمل تلك البرودة الشديدة ؟ إن كفك متجمد !
ردد بلا مبالاة :
- صدقيني لم اشعر به فداخلي حريق مشتعل ..
أجلسته أمام الطاولة و احتلت المقعد و قد عكست عيونها الملتاعة قلقها البالغ سائلة :
- لماذا حبيبي ؟ أخبرني بكل ما يؤلمك ..

بادلها النظر لوهلة قبل أن يردد باستسلام كأن قلبه لم يعد يحتمل وطأة ذاك الحمل الذي تمكن منه سنوات دون قدرة على البوح قائلا :
- أحبها خالتي ، لكني اشعر بالعجز و رفضها يكبلني ، منذ عرفتها احتلت قلبي بنظراتها الجائعة للحنان رغم الحب و الرعاية المحاطة بهم من جميع أفراد عائلتها ، لكني شعرت بها تصرخ بحاجتها لمشاعر من نوع آخر ، تمنحها الثقة و تثبت أقدامها و كلما حاولت منحها ذلك تمعن في الهرب مني و تحيط نفسها بجدار واهي و رغم ذلك لا استطيع تجاوزه ، لقد تعبت ..
كانت تعلم انه يخفي داخله الكثير لكن لم تتوقع أن يعاني صغيرها لهذا الحد ! هل والدته محقة في محاولتها الدائمة لحمايته من ذلك الحب الغريب ؟ ربتت على كفه الذي بدأ يستعيد حرارته قائلة بتفهم :
- الم ترها منذ ذلك اليوم ؟
حرك رأسه نافيا و أضاف :
- كيف لي أن افعل و هي لا تغادر غرفتها و لا تجيب الهاتف ، بعد أن طعنتني آخر مره عندما صرحت بكراهيتها لي ، أتري مدى بؤسي خالتي ..

من سكنت روحي تكرهني و تتهمني بإزعاجها بغية رد جميل مراد تصوري !

هتفت قائلة بقوة مستنكرة :

- لا توجد من هي قادرة على رفضك بنيّ ، لكن الفتاة تعاني عدم الثقة و هذا لا شأن لك به ، أتعلم بهذه النقطة أنا اتفق مع والدتك في خوفها عليك من تأثير تلك العلاقة المعقدة ..

عليها النهوض بنفسها و ترك الشفقة على الذات حتى تستطيع رؤيتك بالشكل الذي تستحقه ..

رفع عيونه المرهقة إليها قائلا :

- ماذا عليّ أن افعل لأتخلص من هذا الإحساس الموحش بمجرد أن افرغ من العمل و اترك الرفاق ! أنا لا أريد الابتعاد بل ارغب بمساعدتها و إمدادها بالقوة ، يا الله أنا أحبها و هذا ليس بيدي ..

ظهرت الصرامة على ملامحها قائلا :

- كف عن النواح يا ولد ، تبا للحب الذي يتعس صاحبه ، اسمعني جيدا ، لتستطيع دعمها عليها هي البدء بمواجهة ضعفها وحدها ، اتركها تكتشف نفسها الحقيقية بعدها يأتي دورك و ليس قبل ذلك ..

الآن عليك الكف عن محاولة التودد إليها و لا تتصل بها ، اتركها هي من تسعى إليك ..

حرك رأسه قائلا برفض :

- لن تفعل ذلك أبدا ..

أجابته بتأكيد :

- بل ستفعل ، ثق بي ، لأنها شقيقة مراد ستفعل

تعلقت نظراته ذات الوميض الأزرق بالأمل ، راغبا في ذلك بشدة :

- هلا قمت بخدمة لأجلي ..

أشرق وجهها بابتسامتها قائلة :

- بالطبع حبيبي ، كل ما تريده ..

اتبع قائلا بلهفة :

- أريد منك زيارتها لتخبريني عن حالها ، سأجن لو ظللت بعيدا هكذا ..

أومأت قائلة بحنان :

- بعيد الشر عنك ، سترى قدراتي الاستخباراتيه الكامنة و سأتفوق عليك شخصيا ، برغم أن والدتك ستقتلني بكل سرور عندما تعلم بزيارتي لعائلة اوزاوغلو دون معرفتها ، تعلم كم هي مستبدة ، لكني سأتحملها لأجلك ، اطمئن و اترك الأمر لي ..

تناول كفها ليطبع عليه قبلة امتنان هاتفا :
- أشكرك خالتي ، أنت ملاك ..
رفعت حاجبيها قائلة بمشاكسة :
- اعرف ذلك ، عليك إقناع والدتك فهي التي تشكك بهذه الحقيقة الواضحة كنور الشمس ..
❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖
استيقظت جيّدا شاعرة بدفء لذيذ يغمرها لتكتشف حقيقة كون قدميها الصغيرتين قد اندستا دون إرادة أسفل ساقيه المديدتين المحتلتان أدنى الفراش ..
اتقد وجهها بشكل فاتن بينما عقلها ينهرها هاتفا : ماذا بك يا حمقاء ؟! انه مجرد تماس عرضي ، ستموتين إذا لو غمرك بين ذراعيه و همس بكلمات الغزل !
عندها ضربتها ذكرى حمله لها بشكل أخرسها عن النطق لأنها لو فعلت وقتها لكانت هتفت بحبه ضاربة بأي اعتبار آخر عرض الحائط ، لذا اكتفت بالصمت و تركت نفسها تعانق هدير نبضاته الصاخب بلحظات ثمينة خارج نطاق الزمن ..
ظلت ساكنة دون حراك حتى سمعت بوادر الحركة خارج الغرفة كإعلان عن استيقاظ أهل المنزل فتحركت ببطء ساحبة قدميها حتى غادرت الفراش كليا ..
قفز قلبها لرؤيته ينام بهذا الشكل النصف مستلقي فوق المقعد فمالت عليه هامسة بنعومة فطرية :
- مراد ، هيا انتقل للفراش حبيبي لقد استيقظت فتح عينيه بنصف وعي فتناولت كفه غافلة عن ما تفوهت به دون انتباه و قادته للمكان الذي كانت تشغله قبل دقيقة ..
تحرك معها بينما لم يغادره النعاس الذي زاره بالكاد ليجد نفسه في مكان سحري يحيطه أريج طالما ارق تفكيره و شدو البلابل يدغدغ أذنيه بفظ تحبب خطف أنفاسه ، يا له من حلم لذيذ يريده أن يستمر ، فما كان منه إلا أن أغلق عينيه باسما و دفن انفه بالوسادة يستنشق بجشع
وقفت تتأمله لبرهة فخرجت منها تنهيدة عميقة جعلتها تنتبه على نفسها فمدت يديها و دثرته جيدا كما تفعل الأم بوليدها و نظراتها تنطق بمشاعرها الدفينة ..
❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

استقبلتها ابتسامة حفصه الواسعة و تقدمت منها هاتفة بتحية الصباح و اتبعت بقولها :

- هيا أسرعي الشاي معد في المطبخ ، لقد توقف المطر و نريد المغادرة إلى الساحة حيث تتجمع الفتيات لننطلق مبكرا ، لا تخبريني انك لن تأتي لقد اخبرني بابا ..

تعالت ضحكة جيّدا على محاولة الفتاة لإفهامها فقد كانت تستخدم لغة مختلطة بين الانجليزية و التركية مع إشارات يديها فعلقت قائلة :

- بالطبع سوف آتي فلن أفوت هذه الفرصة حتى لو كانت الثلوج تنهمر ، لدي اقتراح بما أننا معا ليومين ، ما رأيك أن تعلميني بعضا من التركية و أعلمك العربية في المقابل ، لن أتقنها بالطبع لكن على الأقل سيزداد محتوى قاموسي اللغوي ..

هتفت حفصه بموافقتها قائلة :

- اتفقنا فأسرع وسيلة لتعلم اللغة هي ممارستها سماعا و لفظا و أساسا لغتنا سهله ستدهشك النتيجة ، كل ما عليك هو التركيز في كيفية تركيب العبارة و حفظ الكثير من المفردات الرئيسية و سوف نبدأ من الآن ..

ثم ذكرت عبارة تركية و اتبعت قائلة :

- ما قلته الآن يعني ملابسك قد جفت و تستطيعين ارتدائها ، هلا كررتها أنت ؟ سأعيد لذا انتبهي ..

نطقت نفس العبارة ببطء لتتمكن جيّدا من التقاط كل كلمة و تخزينها و بعدها نجحت في قولها باسمة و قد أشرقت عيونها بالفهم مع كل عبارة جديدة تسمعها قبل أن تقول :

- حسنا لقد فهمت ، دورك الآن سأعد لك عبارة سهلة بالعربية لكن أولا هل استطيع التبديل عندكم بالغرفة ؟

منحتها نظرة حائرة و سألت :

- ما بالها غرفتك ؟ لما لا تعودين إليها ؟!

هتفت دون وعي :

- مستحيل .. (ثم انتبهت لما تفوهت به فاستدركت قائلة) اقصد إن مراد لازال نائما و أخشى إزعاجه لو تحركت حوله ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

هبطت سُلاف الدرج بقفزاتها العفوية هاتفة بتحية الصباح لوالديها فتلقفها والدها بين ذراعيه كما اعتاد أن يفعل منذ طفولتها ..

بينما والدتها بادرت بالسؤال :
- هل تحدثت مع شقيقتك الليلة الماضية فيفي ؟ لم استطع الوصول إليها عندما حاولت الاتصال لأكثر من مره الآن !
حركت رأسها نافية و قالت :
- لا لم تكن متواجدة على الشبكة ..
تناول رضوان زمام الحديث قائلا :
- اهدئي زهره و اطمئني ، لا ريب أن الاتصالات ضعيفة بسبب سوء الأحوال الجوية ، الم تتابعي ذلك بنفسك ؟
ردت الفتاة تدعمه :
- اجل ماما ، جيجي سبق و نوهت أن ذلك يحدث لان الطقس هناك أقسى من عندنا ..
استرخت ملامح السيدة قائلة :
- حسنا هيا للطعام ..
سألت والدها قائلة :
- هل حددت موعد الزفاف النهائي بابا ؟
أجابها بهدوئه المعتاد :
- بمجرد سفر عمك سنقيم الحفل بإذن الله ..
تابعت بشقاوة :
- و متى يسافر عمي ؟

تابع بابتسامة صبورة :
- قريبا فيفي ، لكل شيء موعد مقدر و معلوم ..
أومأت توافقه قائلة :
- بالطبع بابا ، كنت أسأل فقط لأطمئن انه سيكون بعد الاختبارات ..
- اطمئني حبيبتي ، ركزي في دراستك حتى تمر هذه الفترة على خير و تتفرغي لمساعدة ابنة عمك ، لا أريد أن تتدهور نفسيا أو تشعر بأي نقص و الحديث لك أيضا زوزو ، أنت و أحلام بمثابة والدتيها ..
ردت السيدة قائلة بصدق :
- بالطبع رضوان لا توصيني على ابنتي الثالثة كما أن أحلام لم تترك شيئا لم تفعله لتجعلها تشعر بإحساس العروس المقبلة على الزواج ، ركز أنت مع شقيقك و ما تخطط له ..
نهضت سُلاف عن مقعدها قائلة :
- بما أني عرفت دوري لهذه المرحلة سأذهب إلى غرفتي و ادرس لبعض الوقت فلم يتبقى سوى يومين ..
منحها والدها ابتسامة راضية قبل أن ينهض بدوره قائلا :

- و أنا سأذهب لعملي ، إلى اللقاء حبيبتي ..
ودعته زوجته سريعا لتستدير قائلة لسُلاف التي همت بصعود الدرج :
- فيفي عندما تنتهين من الدراسة اخبريني حتى نذهب معا لزيارة خالتك ..
التفتت تواجه والدتها بكامل جسدها هاتفة :
- لماذا ؟!
رفعت زهرة حاجبيها قائلة بنبرة ذات مغزى :
- هل يجب أن يكون هناك سببا لزيارة شقيقتي الوحيدة !
ازدردت لعابها قائلة :
- بالطبع لا ، قصدت السؤال حول وجودي معك ماما ..
رفعت كتفيها قائلة ببساطة :
- و لما لا ؟ خالتك ترغب في رؤيتك ..
زفرت مدركة لما تحاول والدتها فعله بينما رددت بنبرة لطيفة :
- للأسف لن استطيع مرافقتك ، فبمجرد تفرغي من الدراسة سأذهب مع أماني لمقابلة مصممة الأزياء فقد حددت الموعد معها سلفا و بالطبع لن اتركها وحدها ناهيك عن كون عمي لن يسمح لها بالخروج من دوني كما تعرفين ..

التقت السيدة ذبذبات الرفض المنطلقة من طفلتها التي تعرفها حق المعرفة فسألت بعناد:
- و متى تنتهيان ؟
تابعت بنفس النظرات المتآمرة :
- أوه و لا حتى بعد الموعد فلدينا جولات لا تنتهي ، لكن لا تقلقي سوف اتصل بخالتي على هاتفها و أتفاهم معها ، اعلم إنها لن تغضب مني و ستقدر انشغالي مع مانو ..
قالتها بينما تطبع على وجنتها قبلة ترضية ثم سارعت بالانسحاب إلى غرفتها قبل أن تجد والدتها سببا آخر تشن به هجوم جديد لأجل دفعها لمقابلة عمر ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

تألقت عيون ندى ببهجة الفضة عندما أطلت عليها صورة زوجها الباسمة من خلال شاشة هاتفها ، تلقت اتصاله هاتفة بمرح :
- مرحبا طبيبي الوسيم ، هل آمل في كونك اشتقت إليّ يا ترى ؟!
وصلتها ضحكاته الرنانة قبل أن يردد بعبث :
- يمكنني الوصول إليك بسهولة لأجيب على السؤال بطريقة عملية فما رأيك ؟

بادلته المزاح قائلة بمكر :
- للأسف لا يمكن ذلك لأني لست في المنزل ..
تبدلت لهجته إلى الجدية قائلا :
- لما ؟ أين أنت تحديدا ؟
تابعت بنفس النبرة الناعمة :
- في منزل ادهم الجديد ، ارفع المقاسات و أسجل الملاحظات بعد أن أوكلت أماني هذه المهام الضخمة لي ..
عاد يسأل باهتمام :
- و ما هي خططك بعدها ؟
أجابته قائلة ببساطة :
- لا شيء معين سأذهب لمساعدة ماما لبعض الوقت ثم اصطحب عاصم و لانا للمنزل
وصلها صوته يحدث أحدهم قبل أن يعود إليها قائلا :
- حسنا حبيبتي اعتني بنفسك و الأولاد ، لا بد أن اذهب لأنهم بانتظاري داخل غرفة العمليات ، لقد اتصلت لأخبرك أن تستعدي في المساء لزيارة منزل عائلتي ..
سألته باهتمام متصاعد :
- هل حدث شيء ؟ والدتك بخير ؟

أجابها سريعا :
- اجل اطمئني لكن أمي اتصلت تدعونا أكثر من مرة ..
- هذا يعني انك لن تذهب إلى العيادة ؟
- بل سوف افعل لكن لمعاينة الحالات المهمة فقط و أقوم بتأجيل الباقين ، كوني جاهزة
- اتفقنا حبيبي سننتظرك ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

دلف عمر إلى مكتب العم رضوان بحجة دراسة بعض الملفات معه بينما ذهنه بعيد كليا عن ما يدور ..
فاجأ الرجل عندما صرح مباشرة بأول شيء خطر على باله قائلا :
- عمي كنت أود الذهاب لشراء هدية زفاف فكما تعرف أنا و ادهم صرنا مقربين ..
غمغم الرجل دون أن يرفع عينيه عن شاشة الحاسوب المشرع أمامه :
- ما الذي يؤخرك ! (ثم اتبع بسخرية) لا أظنك أتيت لتطلب مني الإذن بالانصراف مبكرا !
بالرغم من سطحية الطلب لكنه لم يملك سوى المضي قدما قائلا :

- كلا بل أريد شيء آخر ، أن تجعل سُلاف تذهب معي لتساعدني في الاختيار ..

استمر العم رضوان في متابعة الأرقام المتوالية أمامه قائلا بمنتهى الهدوء و الثقة :

- لا ..

ومض البريق الكحلي الشفاف داخل عيون الشاب قبل أن يسأل بلهفة :

- لماذا عمي ؟! هل تخشى عليها مني !

رد الرجل بنفس الهدوء المغيظ دون أن يرفع عينيه مرة واحدة :

- لا تكف سخيفا يا ولد ، تعلم انه لم يتبقى على اختبارها شيئا يذكر و هي تدرس ، اجّل خُطتك العبقرية لبعد انتهائها ..

تابع حديثه المتلهف قائلا بسرعة :

- لكني مستعد للمراجعة معها و ...

ثم زم حاجبيه بتركيز في عبارة العم لوهلة قبل أن يستفسر بحيرة :

- أي خطة تقصد ؟!!

أخيرا رفع الرجل بصره عن الشاشة و حدجه بنظرة تموج بالتسلية من أعلى إطار نظاراته الطبية الأنيقة قائلا بقهقهة مستمتعة :

- أنا لا تخفى عليّ خافية أيها الشاب و بالطبع أدرك كونها ركلتك خارج نطاقها و ترفض رؤيتك (مط شفتيه ليتابع بمكر مدروس) لا اعلم ما الذي فعلته لها و لا أريد ذلك لكن يبدو أنها أعلنت الخصام التام أو الموت الزؤام و صدقني هذا ليس سهلا أبدا ، أنت في وضع ميئوس منه يا صاح و يلزمك تدخل دولي ..

سكنت عيونه نظرة جرو تائه و ردد برجاء :

- لكن لو طلبت منها أنت لن ترفض و .....

قاطعته ضحكات رضوان الذي بدا يعجبه الوضع للغاية قائلا :

- ماذا بك يا ولد ؟ هل تريد مني أن آمرها بالموافقة على رؤيتك ! و ماذا لو لم ترغب ؟ أعاقبها على سبيل المثال !!

ثم تعالت ضحكاته على ملامح الشاب المتعضة و تابع بسعادة :

- يا لها من فتاة ، هذه هي ابنتي ، أنا لا دخل لي عمر ، كما أغضبتها قم بمصالحتها و ليساعدك الله على مواجهة عنادها ..

هب الشاب عن مقعده يتآكله الغيظ و يتوعدها لكل ما تفعله به قائلا :

- حسنا عمي ، شكرا على المساندة و التسلية ، سأغادر الآن و قد لا أعود اليوم ..

تابع الرجل بتفكه :

- لشراء الهدية ؟!

ردد من بين أسنانه بقهر :

- بل لدي عمل مهم يجب عليّ إتمامه ..

و استدار مغادرا الغرفة تشيعه ضحكات الأب المستمتع بمعاناة الشاب و بالمقابل إعجابه بطفلته القوية و قد اطمأن عليها الآن أكثر لما لمسه من مشاعره القوية تجاهها .

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

أوقف سيارته أمام احد النوادي الشهيرة و راقب المدخل ، يعلم أن هدفه سيكون أمامه الآن فاستعد بارتداء قناع يكرهه لكنه مضطر إليه ليصل لما يريده ..

انطلقت سلسلة من الضحكات الصاخبة تخللها تعليقات عابثة من مجموعة الشباب الذين أصبحوا خارج بوابة النادي ..

بدا كأنهم يتواعدون على اللقاء التالي قبل أن يغادر بعضهم إلى سياراتهم المتناثرة بعشوائية حول المكان ..

حرك سيارته ببطء حتى أصبح مقابلهم و دون أن يغادرها صدح صوته الرجولي الآسر قائلا :

- مرحبا أيتها الجميلة ..

تعلقت الأنظار بذلك الوسيم و كل فتاة تمني نفسها انه يقصدها دون غيرها ، لكن واحدة بعينها تقدمت هاتفة بعدم تصديق و سعادة واضحة :

- أنـــت !!

نهاية الفصل

دمعات القمر

القطرة الثالثة عشرة

تبارت الفتيات اللاتي يحملن السلال في جمع ثمار الزيتون المتساقطة عن أغصانها الغنية و قد تجمعت فوق غطاء بلاستيكي تم وضعه أسفل الأشجار لهذا الغرض ..
لم تمنعهم الأرض الرطبة عن الانطلاق و المرح بينما الطبيعة البكر حولهم تغطيهم بردائها الاموي حانية عليهم ..

بدت الوجوه نضرة مستبشرة و الوجنات محمرة تزدان بابتسامات فتية خالية البال ، شاركتهم جيّدا كل ذلك و اندمجت بتلك اللوحة الفطرية الساحرة ..

بعد مضي فترة لا بأس بها لم تستطع مقاومة رغبتها في تخليد هذا المشهد بأناملها المتذوقة للجمال ..
سحبت حفصه من بين الفتيات و طلبت منها بضعة أوراق بيضاء مع قلم فأشارت لها نحو مبنى قريب قائلة :
- ستجدين في المصنع كل ما ترغبين به ، على كل حال بابا هناك ..
حثت خطاها بالاتجاه الذي أشارت إليه ثم عبرت الساحة المتسعة العامرة بالصناديق المتراصة إلى المكاتب و بالفعل وجدت العم شوكت يناقش بعض الرجال من ذوي الشوارب الضخمة لكن ما خطف بصرها و استحوذ على كامل انتباهها هو وجود زوجها المهيمن على المكان بحضور فطري طاغي دون أي افتعال ..
استقبلتها نظراته الفاحصة باهتمام تحايل حتى لا يطلق عليه مسماه الحقيقي ، الشوق الجارف لرؤيتها منذ استيقظ و لم يجدها ..
بدت رائعة و هي تلف رأسها بنفس القطعة المطرزة التي تستخدمها فتيات الضيعة ، كفيها ملوثان ببقايا التربة الموحلة ، ملامحها ناطقة

بجاذبية ساحقة و أنوثة لا قبل له بردعها فهل يرجع الفضل لعيونها الواسعة اللامعة بلون الطبيعة في الخارج ، أم وجنتيها المزهرتين بفعل الجهد و المرح ؟ بل هي شفتيها الباسمة كرمز للإغراء المجسد و قد تدفق لونهم الطبيعي بسخاء موجع لثباته ، تبـــا ها هو يخضع للسحر من جديد !

تقدم منها العم شوكت مرحبا فبادرت بطلب ما تريده هربا من ذلك الصياد الذي لفها بشباك الأسر و كبلها بدفء أحداقه الداكنة ...

❖❖❖

جرت أناملها فوق الصفحة البيضاء لتحيلها بستان ينطق بالجمال رغم خلوها من الألوان لكنها بدت كما لو سكبت روح الطبيعة الغناء حولها في حركة الفتيات التي جسدتها بإتقان جعل كل واحدة منهن تطلب زاوية خاصة لها بينما تحمل سلتها المحملة بالخير الوفير ..

بعدها انطلق الجمع عائدين لساحة المصنع حيث ينتظرهم الرجال لاستلام الثمار حتى تبدأ المرحلة الثانية و يعمل المختص على عصرها بالطريقة اليدوية التي أسعدها رؤيتها على الطبيعة بينما الساحة الواسعة حولها تضج بالغناء الذي شاركت به الفتيات و قد اندمجت كليا بينهم و ذابت الحواجز ..

كانت الخطوة التالية اقل جهدا حيث قام الرجل بصب الزيت الطازج داخل إناء كبير و بدأ عملية صنع الصابون باحتفالية كبيرة تقام كل عام ابتهاجا بالحصاد القادم ..

لفت انتباهها قيام العم شوكت بنثر بعض العملات المعدنية داخل الخليط فسألت عائشة عن سبب قيامه بذلك ؟

وصلها صوت الفتاة بالكاد بسبب الضجيج تجيبها قائلة :

- كان لدينا تقليد قديم حول إسقاط قطعة ذهبية داخل خلطة الصابون لتختفي بقطعة ما تكون من نصيب الفتاة الأوفر حظا لكننا الآن نضع عدة عملات معدنية لمجرد إحياء العادة و في النهاية توزع قطع الصابون على الفتيات الغير متزوجات و من تجد إحدى العملات تستبشر بزواجها قبل الحصاد التالي ..

راقبت مرحلة صب الخليط في القوالب الخاصة ثم قربها من موقد عملاق ليسرع من عملية جفافها ، كل هذا و الغناء لم يتوقف و المرح يلف الجميع ..

فرحت كثيرا بمعايشتها ذلك الكرنفال الملون و تمنت لو استطاعت تسجيل بعض المقاطع على هاتفها لتراها سُلاف لكنها لم تفعل حرصا على خصوصيتهم خاصة أن الضيعة ليست مطروقة من السُياح و تكاد تكون منغلقة على أهلها ، لكنها ستقوم برسم المشهد لاحقا بالطبع ..

في النهاية حصلت كل فتاة على جائزتها المنتظرة تبعا للتقاليد لكنها لم تحصل على واحدة مثلهم لأنها تعد زوجة ..

وقفت على مقربة عيونها تسافر بالأفق الرحب عاكسة نظرة حنين لم يفت مراد معناها و قد اقترب قائلا :

- يا للمسكينة ، عملت بجهد دون أن تحصلي على قطعتك مثلهن ..

قلبت شفتيها هامسة :
- ربما لن تصدق لكني كنت أريدها ..
قطب حاجبيه بحنق تصاعد رغما عنه :
- لماذا ؟ هل ترغبين بالزواج لهذه الدرجة ! للأسف أنت هكذا بالفعل و القطعة ليست من حقك ..
أومأت بخيبة دون أن تغادرها نظرة التمني قائلة:
- أتعلم لقد جسدوا ذلك في الدراما لكن الأمر لا يقارن بالواقع ، انه أكثر روعة بمراحل
انطلق دفء عينيه الذي يفتنها بينما تناول كفها بتلقائية و سحبها خلف إحدى الأشجار ثم مد يده أسفل كنزته و أخرج شيئا ما تم لفه بحرص وضعه بين يديها باسما و تركها تستكشفه بنفسها ..
وصل فضولها لذروته فقامت بفض الغلاف بلهفة لتجد قطعة الصابون الغالية التي تمنت الحصول عليها ، رفرف قلبها بإحساس عارم بالفخر كأنه لم يحتمل أن يرى رغبتها بشيء فبادر بجلبه لها كما يهرع الفارس لتلبية أحلام أميرته ..
تألق الفرح بلمعة عيونها التي انطلقت ببذخ بينما تتقافز و تصفق بيديها هاتفة بجذل شديد

- أوه مرحى إنها صابونتي ، أنت رائع مراد ..
لم يصدق مقدار سعادتها ! لقد بدت كما لو أهداها جوهرة نادرة و ليس قطعة صابون مجانية ! راقبها منشغلة باستنشاق عبيرها الطازج باسمة بامتنان قبل أن تسأله :
- لكن كيف حصلت عليها ؟!
(ثم اتسعت عيونها متابعة) هل سرقتها ؟
تعالت ضحكاته مرددا :
- يا لخيالك الجامح ، بالطبع لا لقد أخبرت الرجل أنها لأختي الصغرى و هو لم يمانع بل بدا سعيدا في الواقع ..
تبدلت ملامحها قائلة :
- هي لشقيقتك إذن ؟
حرك رأسه نافيا دون أن يزيح عينيه المسحورتين بكل انطباعاتها قائلا بتأكيد :
- بل هي لك فأنت من عمل بجد و قد استحققتها و طالما أردتها كان لزاما عليّ جلبها
غاب لوهلة داخل الخضرة العسلية التي فاقت جمال محيطه الشاسع حتى كاد يغرق هامسا بمقدار جمالها الآسر لحواسه لولا أن نفض رأسه متابعا بنبرة بسيطة :

- احم ناهيك عن كوني لا أؤمن بتلك العادات البالية يا زوجتي ، لكنها ستفيد بشرتك ، الم تفهمي المغزى ؟ إنها تجمل شعر و بشرة الفتيات لذا يأتي الزواج ..

ضمت القطعة لصدرها بإعزاز و قد صارت تمثل لها معنى مختلف بعد أن باتت هديته ثم رددت بمكر متعمدة إغاظته :

- امممم من يدري ربما أجد إحدى العملات داخلها و أتزوج قبل انقضاء العام ..

هدر الدم صاخبا ضاربا رأسه ، تتـزوج !! يا الهي ما هذا الحريق الذي نشب داخله ؟ رفع كفه ماسحا وجهه ليعيد الصفاء لعقله قبل أن يحرك رأسه بنفاذ صبر ثم يقودها إلى منزل العم شوكت بينما يقاوم رغبة عارمة تدفعه لدق عنقها عقابا على عبارتها الأخيرة التي قبضت صدره و أثارت ضيقه !

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

لم تصدق أنها تراه أمامها من جديد بعد أن يئست بسبب ضياع هاتفها ، ركضت إليه قائلة بلهفة :

- كيف وصلت لمكاني ؟!

ترجل عمر من سيارته بتكاسل و حرك كتفيه قائلا بلا مبالاة :

- أنت من اخبرني عن تواجدك هنا بهذا التوقيت رغم أني لم أكن لآتي بعد أن تجاهلت اتصالاتي

ردت تفسر بسرعة :

- لا لم افعل ذلك أبدا ، لقد فقدت هاتفي بعد أن تركتك لذا أنا سعيدة لكونك أتيت ..

لانت ملامحه قائلا بمرح :

- أوه هكذا إذن ، من حسن الحظ أني لم اسمع لعقلي الذي نهرني رافضا المجيء ..

مالت باتجاهه قائلة بغنج :

- يا لعقلك القاسي ، كاد يُفسد كل شيء ..

مالت شفتيه بشبه ابتسامة قائلا :

- اصعدي للسيارة حتى نعالج هذا في الحال ..

هرعت تنفذ كأنها كانت تنتظر قوله بفارغ الصبر و بمجرد استقرارها جواره انطلق دون كلمة إضافية ..

أخذت تثرثر بعبارات تافهة رد عليها باقتضاب محاولا إخفاء اضطراره لاحتمالها و مثله سيارته التي بدت مستنكرة لوجودها داخلها !

- إلى أين نذهب عمر ؟

أجابها دون النظر إليها قائلا :
- ستعلمين في الحال ، لقد وصلنا ..
أخذت تتلفت بكل اتجاه ليصطدم بصرها باللون الأصفر المحيط بهما من كل جانب قائلة بدهشة :
- ما هذا المكان ؟ لما نحن هنا ؟!
استدار إليها ساندا ظهره على نافذته قبل أن يردد بتسلية :
- هذا المكان يدعى صحراء عزيزتي و نحن هنا لأني أرغب بالانفراد بك بعيدا عن الفضوليين ..
رفرفت أهدابها قائلة بدلال مقيت :
- لديك أفكار ثورية أيها الوسيم لكنها تروق لي ..
ضحك بتفكه ثم أشار لها بينما يترجل قائلا :
- اتبعيني إذن و ستدهشك بقية أفكاري ..
وقف مستندا على الهيكل المعدني يتطلع للخواء المترامي في حين اقتربت منه دون حياء لتضع كفها فوق صدره قائلة بميوعه :
- أتعرف انك تستحق مكافئة كبيرة على إقدامك بالبحث عني ، لا تتصور مقدار قهري عندما ظننتني فقدتك مع الهاتف البائس ..
رفع حاجبيه دون إبداء أي بادرة قبول لما تعرضه بسخاء قائلا بسخرية :
- يا للخسارة ، هل كان البائس باهظ الثمن ؟
مطت شفتيها قائلة بأسف :
- ليس هذا ما يهمني بل ما يحتويه و على رأسهم رقمك ..
أسبل أهدابه دون أدنى تأثر بتقربها الوقح :
- مثل ماذا ؟ أرقام لآخرين ؟
ظنت انه يغار عليها فهتفت بجذل :
- اطمئن لم اكترث سوى لرقم واحد فقط أما البقية فبضعة أشياء لم تعد تهم ..
مالت شفتيه بابتسامة ذئبية قبل أن يردد ببساطة :
- كصور سُلاف على سبيل المثال ..
تراجعت خطوة للخلف بعنف و قد اتسعت عيونها قائلة :
- مـاذا ؟!!
رفع حاجبه قائلا بسخرية كسولة :
- ماذا بك ؟ هل تفاجأتِ أم نسيتِ زميلتك التي صفعتك على مرأى من الجميع !
عكست ملامحها استنكارها هاتفة بدهشة مشوبة بالغضب :
- ما هذا الذي تقوله ؟ من تكون ؟!

اعتدل في وقفته المتراخية قائلا ببساطة :
- أوه يا لقلة تهذيبي ، الم أعرفك بنفسي حتى الآن ! اغفري لي لا بد أن جمالك شتت انتباهي ، أنا عمر ابن خالة سُلاف و ستخبرينني الآن بتفاصيل ما فعلته معها ..
زاد اتساع عيونها رعبا بينما تمعن في تراجعها كأن باستطاعتها الفرار منه بهذا المكان الذي فقد سحره و أصبح مخيفا فجأة بالنسبة لها ، لكن سرعان ما أدركت حقيقة وضعها و أخذت تحرك رأسها في كلا الاتجاهين صارخة بهستيرية :
- أنا لم افعل شيء ، لا شأن لي بما حدث ..
عندها تحول من الكسل ليهب فجأة كالأسد الهصور قابضا على مؤخرة شعرها بقبضة لا تعرف اللين مما جعل رأسها تميل للخلف هادرا بفحيح أرعدها :
- لقد بدأت اغضب الآن ..
تحدثت بارتباك فخرجت العبارات غير مترابطة :
- انه هو .. مـ ماجد ، لقد هددني ، لطالما أرادها و حاول التقرب منها بكل وسيلة و عندما رفضته طلب مني جلبها إليه حتى يجبرها على الموافقة ، صدقني لم يكن بوسعي شيء أنا ضحية مثلها ..

زادت قسوة قبضته لتصرخ ألما بينما يردد باحتقار
- الكذب لن يفيدك بالعكس يؤجج غضبي و يجعلني ارغب في الانتقام أكثر ، ما رأيك لو قتلتك الآن و دفنتك هنا ؟ لن يجدك مخلوق أو يربط بيننا ، صحيح ؟
شاهد الرعب جليا على محياها بينما دموعها تغرق وجهها صانعة لوحة مشوهة من الألوان المختلطة :
- لم أكذب أرجوك اتركني هذا ما حدث ..
منحها نظرة مشتعلة بالكره قبل أن يعيد استجوابه قائلا بصرامة أرجفت قلبها :
- مقابل ماذا ؟ ما هو ثمن حقارتك ؟
ترددت لوهلة لكن خصلات شعرها التي تصرخ ألما جعلتها تقرر سريها قائلة :
- أسئلة الاختبار ..
تركها نافضا يكفه كأن مجرد لمسها يلوثه :
- و متى سيتم ذلك ؟
مسدت رأسها قائلة :
- الليلة أو غدا على ابعد تقدير فالاختبار باليوم الذي يليه ..
اسند جسده القوي على هيكل السيارة من جديد قائلا بحسم :

- إليك ما ستفعلينه ، ستحددين موعدا معه و تخبريني به ثم تسلميني المستندات ..

حاولت الاعتراض قائلة :

- لكـن ....

قاطعها بإشارة من يده و تابع ببساطة :

- لا تنسي مقاطع الفيديو اللطيفة على هاتفك الذي تصادف وجوده معي بالمناسبة ناهيك عن الرسائل النصية بالطبع ..

وضعت كفها فوق فمها تكتم شهقاتها المتلاحقة فتابع بابتسامة صفراء :

- بالإضافة لذلك هناك تسجيل سلمته لي سُلاف يحمل صوتك بوضوح تخبرينها العنوان و التوقيت ، بالنهاية كانت هي الأذكى و يبدو انها لم تثق بك أبدا ، مقطع مثل ذلك قد يزج بك في السجن لو فكرت هي بتصعيد الأمر أليس كذلك ؟

ذهب كل اثر للون من وجهها فأدرك انه أصاب الهدف بهذا الافتراض وليد اللحظة و الذي اقتنع به عقلها المشوش بكل بساطة ..

انهارت فاقدة القوة و كل ذرة فيها ترتجف رعبا قائلة بخفوت :

- حسـنا سوف افعل كل ما تريده لكن أرجوك لا تؤذني ، أنا سوف اختفي كليا ..

قذف لها حقيبتها آمرا :

- اتصلي به في الحال و بعدها ستخبرينني بأسماء الطلبة الذين سبق و تلاعب في نتائجهم ، لقد تحريت عنه و صرت اعرف الكثيـر ..

أومأت باستسلام قبل أن تخرج هاتفها الاحتياطي و تتصل بماجد الذي أجاب بتأفف فصرخت به دون مقدمات :

- أريدك أن تنفذ اتفاقنا في الحال لن اقبل أي تأخير ، سأنتظرك في المكان المعتاد بعد ساعة واحدة ..

و قامت بإغلاق الهاتف بعدها لتواجه الليث المتحفز أمامها فيبدو انه لم يفرغ منها بعد

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

تنفست ندى بصوت مسموع علها تدفع عنها السأم الذي تمكن منها في تلك الجلسة المملة ، لقد تجاهلتها حماتها كليا و بالكاد وجهت لها الحديث بينما صبت كامل انتباهها على ابنها و حفيديها !

خالته كانت متواجدة أيضا و لم تكف عن الثرثرة في أمور لا تخصها فاكتفت بالمراقبة طالما لا تجد من تحدثه خاصة أن والد خالد في الخارج ..

لا تنكر أن زوجها حاول إشراكها معهم أكثر من مره لكن عندها كانت والدته تبادر و تبدل الموضوع ..

و يبدو أنها لم تكتفي بذلك فاصطحبته إلى الداخل بحجة الحديث معه بأمر خاص لم تهتم له ندى بينما اجتهدت في مراقبة الساعة آملة أن يمر الوقت سريعا لتعود إلى منزلها ..

جلست الخالة على مقربة منها قائلة :

- تبدين مرهقة ندى ! لما يا ترى ؟ أتعشم أن يكون هناك حدثا سعيدا و نفرح قريبا بطفلكما الثالث

رفعت حاجبها بعدم تصديق ، كانت السيدة ذات موهبة حقيقية في استخراج المعلومات لكنها تداركت نفسها مرددة بهدوء :

- أبدا لا يوجد شيء من هذا ، لكني أساعد أخي في تجهيز منزله الجديد لان زفافه بات قريبا ..

أسندت ظهرها للخلف قائلة :

- عجبا ! لقد ظننت أن ذلك هو سبب عودتك للمنزل بعد أن هجرتِ ابن أختي ..

اندفعت قائلة بحدة :
- عفوا و لكني لم اهجر منزلي ، لقد قضيت عدة أيام عند والداي ترحيبا بشقيقي العائد من السفر و ذلك كان بمعرفة و موافقة خالد ..
اتكأت السيدة على مسند الأريكة قائلة بمكر :
- لو كان الأمر على هذا النحو لما سعت شقيقتي لتزويجه إذن ! بالطبع لديك فكرة عن ذلك و إلا لما قطعت أجازتك لدى والدك و عدت راكضة ..
عند هذا الحد استشاط غضبها و لم يعد أمام عينيها سوى اللون الأحمر بينما يغشى أذنيها الطنين ، ما هذا الهراء الذي تسمعه ؟! خالد يتزوج غيرها !! أنقذها من الرد الذي تجهله دخول المعني بالحديث يسبقه أريجه المميز و جلوسه إلى جوارها قائلا بمرح :
- أتعشم أن لا تكونا قد اتفقتما عليّ ..
ردت خالته بضحكة صاخبة :
- ليس بعد ، ربما لو كنت تأخرت قليلا ..
تماشى معها مرددا :
- دائما أحسن التصويب خالتي ..
استمرا بتبادل العبارات المازحة لفترة قبل أن يفطن أخيرا لتلك الصامتة دون أن يصدر منها ما يشي بالبركان الناشط داخلها ..

مال عليها قائلا بلطف :
- ماذا بك حبيبتي ؟ تبدين هادئة للغاية !
ردت قائلة بجمود :
- لا شيء ، أعاني بعض الصداع فحسب ..
مد كفه بتلقائية يمس جبهتها ليختبر حرارتها قائلا :
- هل لديك احتقان أو دوار ؟ ربما التقط عدوى الزكام ..
أشاحت وجهها قائلة بضيق :
- بل أنا بألف خير ..
ابتسم متناولا كفها ليجذبها معه و يقفان قائلا:
- دائما بإذن الله ، لعله بعض الإرهاق نتيجة انشغالك طيلة اليوم ، هيا للمنزل لتنالي قسطا من الراحة ..
انهالت عليهم حملة اعتراضات بقيادة والدته الرافضة لذهابهم لكنه استطاع إقناعها مع وعد بلقاء قريب ..
لم تطلق أنفاسها براحة ألا بعد تحرك السيارة فعليا لكنها ظلت على صمتها خاصة مع وجود الطفلين بالأريكة الخلفية ..
❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

أحسنت زينب استقبال قدرية التي تعرفها منذ زمن طويل رغم قلة الزيارات المتبادلة بينهما لكنها تعتزم تغيير ذلك الآن لأجل ابن قلبها شاهين ..

بعد جلسة ودية تبادلتا فيها حديثا عام شمل عدة نواحي و تطرق لأنشطة الجمعية و غيرها وصلت السيدة لهدفها الذي أتت من اجله قائلة :

- كيف حال الصغيرة الحلوة ؟ السيدة ناريمان دائمة الحديث عنها ..

غامت عينا زينب دون إرادة و احتلت سحابة الكدر وجهها فتابعت قدرية الحديث مرددة بادراك فطن :

- هل استطيع رؤيتها ؟

كانت المرأة أشبه بغريق يتعلق بقشة فأومأت بالموافقة ثم نهضت بخفة تصاحبها إلى الطابق العلوي حيث أشارت لغرفة نرفين ثم تركتها و استدارت عائدة تتمتم بالدعوات لعل قدرية تنجح فيما فشلت هي به ..

دقت الباب بهدوء دون أن يصلها رد لكنها لا تعرف الاستسلام ، أخذت قرارها ثم توكلت على خالقها و شقت طريقها بعزم ..

قابلتها عيون الفتاة المستنكرة لكن بقية من تهذيبها دفعها لاستقبال السيدة قائلة :

- مرحبا خالتي ، الم تجدي والدتي ؟

منحتها ابتسامة وقورة ثم تقدمت منها مرددة بحنان :

- بل أتيت لزيارتك فلم أرك منذ مدة و ها أنت أمامي تبدين بخير ، لما هذا الاختفاء إذن !

أشاحت وجهها مرددة ببرود :

- لست مختفية و لم يحدث جديد هذه حياتي كما اعتدت أن تكون ، اخبريه أن لا فائدة ..

تصنعت عدم الفهم و تساءلت بحيرة :

- اخبر من ؟!

التفتت إليها قائلة بحدة :

- الذي أرسلك ..

لمعت عيون المرأة بالمكر قائلة :

- و من هو الذي أرسلني !

أجابتها بثقة :

- شاهين ..

احتلت ابتسامة ثغر السيدة قبل أن ترد ببساطة :

- و ما شأنه بك ليرسلني إليكِ ؟! لا بد أن الأمور قد اختلطت عليك صغيرتي !

تطلعت إليها بحيرة فتابعت الخالة التي بدت مسيطرة تماما على الوضع :

- غريب أن تظني ذلك بينما هو يشغله ألف أمر و أمر ، لقد أتيت لمناقشة والدتك بخصوص أحد مشروعات الجمعية و أحببت رؤيتك هذا كل شيء ..

شحب وجه الفتاة أكثر مما كان و أربكها شعورها بالخيبة الشديدة كأنها كانت تغذي كبريائها الجريح برفضه و الجهر بالنفور منه !

ردت قائلة بتلعثم :

- أنا لم اقصد انه ..

قاطعتها قدرية و أكملت لتزيل عنها الحرج بينما قلبها يتألم لمظهر الفتاة الذابل لكن لا بد من القسوة للوصول إلى غايتها ..

- اجل أدرك ، بالطبع أنت تعلمين طبيعة شخصية ولدي شاهين و كيف هو رجل حقيقي لا يهاب المواجهة و لا يتوارى خلف أحدهم خاصة عندما يريد شيء فهو يتقدم و يحصل عليه ، إن له نصيب كبير من معنى اسمه ، صقر قناص لا يعترف بالضعف و كبريائه في السماء ، أليس كذلك نرفين ؟

أومأت برأسها دون كلمة و دوامات عاصفة تشوش كل شيء داخلها ..

تابعت قدرية الحديث حول أشياء بعيدة عن الشاب عدة دقائق أخرى قبل أن تنهض معلنة رغبتها في الذهاب ..

و كفها فوق مقبض الباب التفتت إليها قائلة بنبرة امومية :

- انتبهي بنيتي ، العمر يتسرب أسرع من ذرات الرمال و يبدده الزمن ، لن تدركي ذلك إلا بعد أن تصبحي في عمر سيدة مسنة مثلي ، اقتنصي فرصتك و ناضلي لأنها تستحق ، إذا لم تخلعي رداء الخنوع و تستخرجي قوتك الداخلية لا تلومين سوى نفسك لاحقا ..

كلمات حملت العديد من المعاني و التصريحات قالتها بكل حزم و ثقة ثم خرجت بهدوء تاركة نرفين خلفها تشعر بالعالم يضيق و يطبق بشدة على أنفاسها ..

تتنامى داخلها رغبة عنيفة بالبكاء و البكاء حتى تجف مآقيها ، رغبة لا تعلم سببها أو الأصح لا تجرؤ على التفكير به ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

شعر خالد بطاقة الغضب الكامنة داخل زوجته المعتصمة بالصمت منذ غادروا منزل والديه و هاهي تضع الطفلين داخل فراشهما بآلية ثم تتوارى خلف جدران غرفتهما ، يعلم أن أمه كانت دائما متملكة بشأنه و قد زاد ذلك بعد مغامرة ندى بترك المنزل فماذا حدث هناك يا ترى ؟!

أغلق باب غرفة النوم خلفه بهدوء ليجدها تلقي حُليها فوق طاولة الزينة بعصبية ، أبصرت استفساره الصامت بإلحاح عندما بادلها النظر من خلال المرآة فاستدارت إليه هاتفة بحدة :

- إذن كنت ستتزوج دكتور ! متى كنت ستخبرني يا ترى ؟ بعد عودتك من شهر العسل أو ربما لن تهتم بإخباري من الأصل ..

جمد كفيه فوق السترة التي كان يهم بخلعها و تقدم منها قائلا بدهشة :

- أي هراء هذا ؟ ماذا دهاكِ ندى !

وضعت يديها فوق خصرها و غيوم عينيها تطلق صواعق برق عاتية :

- ماذا ترى ؟ لقد جننت ! أكاد أطير من الفرح لأني علمت الخبر السعيد ، فزوجي من فرط

حبه لي انتهز فرصة غيابي عن المنزل ليجدد نشاطه بزواج جديد ..
أصبحت ملامحه تنضح بالاستنكار الفعلي قائلا بخشونة :
- نـدى ! تعقلـي و اتركي هذا العبث الذي لا أساس له من الصحة ..
ميلت رأسها قائلة بتحدي :
- هل تقول أن السيدة خالتك كاذبة !
مسد جبينه هاتفا باستياء :
- يا الهي أي جنون هذا (ثم استدرك قائلا بمحاولة للهدوء و التفهم) حبيبتي الأمر ليس على هذا النحو ، إنها مجرد فكرة تكونت لدى والدتي لغضبها منك بذلك الوقت و أنا حتى لم أشارك بها ، لقد سمعت عنها مثلك و لم أعطيها المجال لمجرد الحديث عنها
لمعت عيونها باتهام جلي قبل أن تسأله بنبرة اهدأ :
- لماذا لم تخبرني ؟
أشاح بيديه هاتفا بسخط :
- لأنه مجرد وهم لم أتوقف عنده و نسيتـه كليا
رددت بعنف :
- إذا كنت نسيته فمن الواضح أنهم لم يفعلوا ، تبـا لقد اعتقدوا عودتي للمنزل سببها الخوف من التهديد ..
ثبتها بنظراته العاصفة واضعا كفيه أعلى كتفيها قائلا بعتب :
- و هل يهم ما يظنه الآخرين لهذه الدرجة ، فليفكروا كما شاءوا المهم أنا و أنت ، أليس كذلك ؟
نفضت يديه عنها هاتفة بقهر :
- لا ، طالما الأمر يمس كرامتي
مسد خصلات شعره إلى الخلف زافرا بإعياء :
- حسـنا ، ماذا تريدين الآن ؟
تراجعت خطوتين إلى الخلف هاتفة :
- كل ما اعرفه إنني غاضبة جـدا بهذه اللحظة
تابع خلع ملابسه ثم تناول منشفته متجها للحمام قائلا :
- عندما تهدئين و يعود عقلك للعمل حدثيني إذن ..
تابعت رمي أشيائها حتى أنهت تبديل ملابسها ثم دخلت خلفه غير عابئة به لتقوم ببقية طقوسها الليلية بعدها اندست داخل الفراش تفوح منها رائحة النظافة و كذلك فعل هو

و استلقى على جهته كل منهما يعطي ظهره للآخر و صوت أنفاسها المتسارع يخبره بوضوح أن الثورة لم تخمد بعد ..

دقائق معدودة و نفضت الغطاء عنهما معا ثم هبت جالسة لتسأله بحدة :

- من هي ؟!

غمغم دون أن يستدير :

- لا اعرف عمن تتحدثي !

هتفت بنفاذ صبر :

- الحمقاء الكريهة التي كانت والدتك تنوي دفعك للزواج بها ..

هب جالسا بدوره مرددا بغيظ :

- لا اله إلا الله ، لم و لن اكترث و لا أظن انه يوجد واحدة من الأساس ، أخبرتك أن الأمر كله كان مجرد فكرة و لم اسمح بتداولها أمامي ..

كان ردها أن كتفت ساعديها أمام صدرها بعناد فأراد معاقبة تلك المغفلة التي ترفض الفهم لذا دفعها من كتفيها فوق وسادتها من جديد بينما اقترب بوجهه منها قائلا بتهديد :

- كلمة زائدة حول ذلك الهراء و ستواجهين غضبي الحقيقي ..

تقابلت أنظارهما لبرهة قبل أن تفاجئه عندما طوقت عنقه بذراعيها و جذبته إليها أكثر بسرعة خاطفة ليجد شفتيها بانتظاره تحسنان استقباله و يتحول العقاب لشيء آخر أكثر حميمية انطلق داحرا الظل الأسود الذي خيم عليهم الساعات الماضية و قد اجتهد خالد بإخبارها عمليا كم يكملان بعضهما و لا سبيل لوجود ثالث ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

عزز بريق الانتصار من حدة لون عيون عمر الكحلية فصارت أشبه ببحيرة صافية وقت الغروب ، لقد ظفر بما يريده و أوقع بالحقير ..

حمل الملف الذي يحتوي أدلة الإدانة التي جمعها بذكاء و مهارة عازما على تقديمها في الصباح الباكر لوضع حدا للمخالفات المخزية التي يرتكبها من يفترض فيه حمل لواء العلم و الأخلاق و تقديم قدوة يحتذى بها بين طلابه كما لم ينس تدعيم الملف بالمقاطع التي تؤكد الأدلة دون أن يتطرق من قريب أو بعيد لشيء يمس سُلاف أو يشير إليها ، هذا سيكون الحق العام أما الخاص فلديه خططا أخرى بشأنه ستأتي لاحقا ...

رشفت جيّدا من كوب الشاي الساخن مستمتعة بتلك النكهة المحببة التي صارت تفضلها بينما احتلت الابتسامة شفتيها لذكرى ملامح مراد المستاءة و هو مستسلم لقضاء ليلة أخرى فوق المقعد بنفس الوضعية المتعبة دون جدال أو مناورة و ها هي تركت له الفراش عبقا برائحتها و انضمت لأفراد العائلة السعيدة بهذا اليوم المميز تشاركهم الإعداد لليلة الحناء الخاصة بعائشة ..

أصبح المنزل يموج بالحركة منذ الصباح الباكر و توافدت عليه النساء و الفتيات بعضهم سبق و تعرفت عليهم أما البقية فتولت الخالة مقبوله أمر اندماجها معهم و قد صارت خبيرة بترجمة الإشارات و الإيماءات الضاحكة بالإضافة للمفردات الجديدة التي تتعلمها باستمرار ، صحيح هذا لا يجعل منها خبيرة لكنها ناجحة بالتواصل معهن على الأقل ..

خرج العم شوكت لإدارة شؤون المصنع بينما علمت أن مراد و أنور سيتوجهان لقطر السيارة إلى ورشة الصيانة بوقت لاحق حتى يعود المحرك للعمل ..

نقلت لها حفصه سؤال إحدى السيدات قائلة :
- الخالة يلدز تسألك عن فترة زواجك ؟
أجابت و قد لفها الحياء الفطري و رغما عنها احتقن وجهها كما لو كانت عروسا حقيقية قائلة بخفوت :
- لم نكمل الشهر الأول بعد ..
تعالت صيحات النساء المهللات مما زاد خجلها و علقت الخالة مقبوله قائلة ببهجة :
- إذن لدينا عروسا إضافية اليوم ، هيا اتركي ما بيدك لتذهبي مع الفتيات إلى الحمام ..
نظرت بتساؤل حائر إلى حفصه التي فسرت لها قائلة بمرح :
- حمام العروس يا فتاة ، الم أخبرك إننا هنا نتمسك بالعادات القديمة و نطبقها في كل المناسبات ! ستتعرفين على الحمام التركي الأصيل اليوم ، إنها تجربة لا تنسى ....

❖❖❖

تحركت وسط موكب الفتيات تجاور عائشه المخضبة بحمرة الخجل و الجميع يصفقن بوتيرة منغمة كما صدحت الأصوات بالأغاني الخاصة بالمناسبة مع نقر خطواتهم الراقصة فوق طرقات البلدة الحجرية ..

داخل المبنى الأثري العتيق شاهدت أحواض تتصاعد منها الأبخرة و الروائح العطرة و قد اعد المكان و تم تجهيزه لاستقبال العروس و صاحباتها بطقس معتاد ليصبح أكبر حمام قد تشاهده يوما يعبق بسحر الزمن القديم ..
انتشرت الفتيات بين الغرف المعدة للتبديل ثم خرجن و كل واحدة ملتفة بمنشفة ضخمة غطتها من أعلى لأسفل بعدها حملن الأدوات الموسيقية و بدأت وصلات الرقص و الغناء بلا توقف ..
وقفت جيّدا تحدق فيما يحدث بانبهار نبهها منه كف حفصه التي جذبتها هاتفة بجذل :

- ماذا تنتظرين ؟! هيا افعلي كما نفعل ..
تركت نفسها ليد المختصة تدلك كتفيها و ظهرها بحركات دائرية بخليط خاص من الصابون البلدي الطبيعي الخالي تماما من الكيماويات ، أخبرتها الفتيات أن فيه سر النضارة و النعومة ثم تركته على بشرتها عدة دقائق قبل أن تبدأ إزالته بنفس الطريقة الدائرية من الداخل إلى الخارج ..
بعدها غطت جسدها مع وجهها بخليط غريب يفوح منه رائحة المسك ، لم تنتظر حفصه سؤالها و أخبرتها على الفور انه الترمس المطحون ..
تركته حتى يجف ثم قامت بفركه بحركات مشابهة و أرشدتها حيث تذهب و تشطف جسدها بالماء الدافئ جيدا و تكون مستعدة للخطوة التالية و هي مسح بشرتها بالكامل بماء الورد الطبيعي و أخيرا تدليك خفيف بكريم عشبي خاص عزز نعومتها و تركها لامعة تتلألأ نقاء و صحة و ترطيب كأنها ولدت من جديد ..
هكذا فعلت جميع الفتيات و قد تلا ذلك مرحلة الاهتمام بالشعر بالإضافة لعناية خاصة بالعروس عائشه ..
ابتهجت جيّدا لما حدث فتعالت نبرات صوتها بالدندنة الشجية مما لفت نظر البقية لجمال صوتها فتحلقوا حولها تاركين لها المجال لتغني وحدها بينما يرددون خلفها كلمات إحدى الأغاني العربية التراثية الشهيرة التي تتحدث عن الحناء و إعداد العروس لحبيبها و يبدو أنها قد أثارت إعجابهم رغم عدم فهمهم للمعاني لذا ألحوا عليها بطلب المزيد فانطلقت تتذكر أغنيات جدتها التي علمتهم لها في الصغر و تشدو خالقة جوا من السعادة و المرح لا مثيل له ..

الحنه يا حنه يا حنه .. يا قطر الندى
يا شباك حبيبي يا عيني .. جلاب الهوى
يا خويفي من أمك تسألني عليك
لأحطك في عيني يا روحي و أتكحل عليك
الحنه يا حنه يا حنه .. يا قطر الندى
يا شباك حبيبي يا عيني .. جلاب الهوى
يا خويفي من أختك لتدور عليك
لأحطك في شعري يا عمري و أتضفر عليك
الحنه يا حنه يا حنه .. يا قطر الندى
يا شباك حبيبي يا عيني .. جلاب الهوى
و أن جاتني العوازل تسألني عليك
لأحطك في صدري يا عيني و اللولي عليك

كلمات من التراث

مر طريق العودة يشبه الذهاب و كلما مروا بأحد المنازل يلقي عليهم الأطفال أوراق الزهور أو القصاصات الملونة حتى وصل الموكب لبيت والد العروس ..

بمجرد عبورهم البوابة الخارجية و دخولهم الساحة الواسعة أمام المنزل انطلقت الزغاريد التي أشعرت جيّدا أنها بين نساء موطنها فمظاهر الفرح و الاحتفالات بدت متشابهة إلى حد كبير ، أيهما أخذ من الآخر لا يهم لكن التراث يمد جذوره متحديا عوامل الزمن ..

بدت الفتيات مشرقات متوردات أشبه بزهرات تفتحت بنضارة طبيعية تألقت مع شكل الساحة التي فرشت بالزينة المتنوعة الألوان و لمعت الشجيرات بالأضواء الوامضة أما المنزل فملأته أطواق الورود ..

التقطت عيون جيّدا بعض اللمحات التي أيقظت فضولها و حركت إدراكها فتقدمت من الفتاة الساهمة و جذبتها من كفها إلى ركن بعيد عن الضجيج و سألتها مباشرة :

- حسنا ما كان هذا ؟ اعترفي على الفور ..

رفرفت حفصه أهدابها البنية الكثيفة قائلة بارتباك :

- ماذا ؟ لا افهم ما تعنيه ..

ميلت رأسها بمرح ثم قالت بتلقائيتها المحببة :

- صحيح ؟ لا بأس أقصد تلك النظرات المختلسة بينك و ذاك الشاب صاحب العيون الخضراء ، إنها ليست المرة الأولى التي ألاحظها لقد تواجد بالأمس أيضا و ظل يحدق من بعيد ..

عضت شفتها السفلية قبل أن تزفر بأسى قائلة :

- انه جلال ، طلبني للزواج لكن بابا رفض رغم انه يشيد بأخلاقه ..

زمت جيّدا حاجبيها و سألت بحيرة :

- لما الرفض إذن ؟!

أشارت بكفها مجيبة :

- بسبب عداء قديم بين والدينا ..

كتفت ذراعيها أمام صدرها قائلة بجدية :

- و هل أخبرته ؟

سألت حفصه بعدم فهم :

- عن ماذا ؟!

أجابتها ببساطة :

- عن حبك له بالطبع ..

اتسعت عيون الفتاة قائلة بوجل :

- أنا لا .. لم .. كيف عرفتِ ؟!

ابتسمت قائلة بتفهم :

- الأمر واضح و لا يحتاج خبير ليفهم طبيعة تلك النظرات ، استمعي لنصيحتي و اخبريه ، يجب أن يعرف حتى يستطيع الصمود و لا يتملكه اليأس ، برأيك كيف يناضل لأجل شيء هو غير متأكد منه ؟!

وضعت طرف سبابتها داخل فمها تفكر لوهلة قبل أن تعاود النظر إليها قائلة :

- هل تظنين ذلك ؟

أدارت عيونها في الفراغ قائلة :

- بالطبع ، عندما يطمئن من ناحيتك سيكون أكثر شجاعة في المواجهة و ذلك سيقنع والدك بجديته أكثر و قد يدفعه لتسوية الخلاف لأجلكما ، هذا حسب معرفتي بشخصية العم شوكت فهو ليس مستبدا بل رجل عطوف ..

تهللت ملامح الفتاة الأصغر و فاجأتها بعناق صاخب هاتفة :

- نعم سأفعل ، أشكرك جيجي أنت الأفضل ..

❖❖❖

لاحقا على طاولة الطعام لم يستطع مراد الإشاحة ببصره عن تلك المتألقة أمامه و تبدو لامعة بشكل فاتن ، ماذا فعلت لتبدو جميلة إلى هذا الحد مع علمه أنها لا تضع أيا من مساحيق التجميل ؟! يا الهي عليهما العودة قبل أن يفقد صوابه كليا ، لقد أصبحت السيارة قيد الصيانة الآن و كما اخبره المختص ستكون جاهزة في الصباح ، عليه احتمال هذه الليلة برجولة و سوف تنتهي المحنة ، فهناك بالمدينة ستعود علاقتهما لنصابها العملي ، أليس كذلك ؟ بالتأكيد ستعود ..!

- أوه ماما فاتك اليوم اكتشاف مذهل ، لقد مرحنا و رقصنا على انغام صوت جيّدا الرائع ، هذه الفتاة الجالسة أمامك تخفي الكثير من الموهبة ..

عبارة حفصه لفتت انتباه الجميع فتوالت التعليقات حولها بينما راقبها مراد قائلا بدهشة:

- حقا !

لم تعرف بما تجيب فنظرت للفتاة الضاحكة قائلة بتساؤل :

- ماذا أخبرتهم ؟ لقد سمعت اسمي ..

أجابتها الأخرى بمرح :

- عن صوتك بالطبع ، انه رائع يا فتاة !

ازدان وجهها بروعة الخجل قبل أن تلتفت إليه هامسة :

- إنها تبالغ ..

و ظلت تحملق في طبقها هربا من الاهتمام الذي انصب عليها فجأة بعد قول حفصه التي ستقتلها لاحقا لا محالة ..

❖❖❖

ارتدت الثوب الجميل الذي أعارتها إياه عائشة و خرجت حيث يتجمع السيدات بالساحة الخارجية و قد خلا البيت من الرجال كما تقضي العادة فليلة الحناء خاصة بالفتيات لكن ببعض الأحيان يقام احتفال مصغر عند أهل العريس يحضره الرجال كما يحدث الآن ..

وجدت عائشه ترتدي ثوبا احمر براق مطرز بخيوط فضية و تجلس على مقعد يتوسط الساحة يغطي رأسها وشاح مماثل للثوب أسدلته والدتها على وجهها حاجبة ملامحها كليا و كان ذلك إيذانا ببدء مراسم الاحتفال ..

شكلت الفتيات حلقة واسعة حولها و أخذن باللف و الغناء على تصفيق الأكف الناعمة ، لكن جيّدا شعرت أن هناك شيئا خاطئ خاصة عندما اقتربت حفصه من شقيقتها و رفعت النقاب عن وجهها لتنظر إليها سريعا ثم تعيده و تحرك رأسها نافية لتتعالى وتيرة الغناء الذي كان و يا للعجب حزينا جدا و الأصوات تقطر بالشجن !! عندها لم تستطع الصبر أكثر فجذبت حفصه خارج الدائرة و سألتها بدهشة :

- ماذا يحدث ؟! أين الاحتفال ؟!!

أشارت الفتاة بكفيها قائلة ببساطة :

- ها هو ! ألا تقضين وقتا لطيف ؟

حدقت فيها بغرابة ثم قالت دون أن تفارقها الحيرة :

- هل استمع وحدي لهذا الغناء الحزين إذن ؟! لقد أوشكت على البكاء ..

أشرقت ملامحها بينما هتفت بسعادة :

- حقا ! هذا جيد (ثم استدركت قائلة) سأفسر لك هذا هو الغرض يا فتاة ، سنظل ندور حول عائشه و ننشد أغاني حزينة حتى تبكي عندها نتوقف و يبدأ المرح ..

احتل الذهول ملامح وجهها هاتفة :

- لكن لماذا ؟!

حركت كفيها بلا مبالاة قائلة بينما تجذبها إلى الحلقة من جديد :

- لا اعرف تحديدا ! لكنها العادات يجب أن تبكي العروس و إلا لن نتوقف ..

أخيرا مرت تلك المرحلة ببكاء عائشه الضروري دون سبب معروف لكن عقل جيّدا نشط في البحث عنه ، ربما المقصود بهذه الدمعات هو توديع للحزن و تركه على أعتاب حياتها الجديدة ..

جلبت الخالة مقبوله وعاء الحناء الواسع المضاء حوله الشموع و دارت به مع بقية النساء حول العروس تصاحبهم الأهازيج الفرحة ثم وضعت قطعتين ذهبيتين داخل كفي عائشه بغرض جلب الرزق و الغنى الوفير و فوقها خليط الحناء المعطر ثم ربطت كل كف بقطعة قماش حريرية حمراء ، بعدها وزعتها على الحاضرات حسب الرغبة ..

اختارت جيّدا نقش كفها الأيمن على سبيل التجربة لأنها لم تفعلها من قبل و قد بدت النتيجة مبهرة بتلك النقوش الرقيقة التي امتدت لما بعد معصمها الغض ..

انقضت بقية الليلة في توزيع الحلوى مع الغناء الصاخب و الرقص الذي شارك به الكبار و الصغار على حد السواء و لم ينفض الجمع إلا بوقت متأخر من الليل رغم ضرورة استيقاظهم المبكر استعدادا للزفاف المنتظر ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

- لم يكن عليك قول ذلك خالتي ..

قالها شاهين بحده تعقيبا على ما أخبرته به قدريه التي أشارت بكفها قائلة بحزم :

- بل هو التصرف الصحيح و أنت ستظل بعيدا ..

حرك رأسه برفض جلي :

- لا استطيع ، لن أتخلى عنها في هذه المرحلة ، نرفين بحاجة لمن يحميها من نفسها و يشعرها بأهميتها في حياته و هذا ليس ضعف مني بالعكس سأتحمل نظراتها الرافضة و نفورها الصريح حتى اطمئن عليها عندها فقط سوف ابتعد ..

وضعت كفها فوق ذراعه قائلة بهدوء :

- استمع إليّ بنيّ هي قادرة على تلمس طريقها بمفردها و إلا لن ينفعها شيء ، المخدر ليس علاج شافي و هذا ما تفعله أنت بسبب حبك لها ، عليها أن تنتفض و تثور على وضعها ، يجب أن ترى نفسها بنفس الطريقة التي تراها بها حتى تلتقيان بنجاح ، لا يمكن لطرف أن يمنح و يبذل طيلة الوقت بينما الآخر يأخذ فقط ..

مسد وجهه بكفيه شاعرا بالإرهاق ، لما عليه أن يعاني و يتعذب في حبه منذ طرق أبواب قلبه و تربع فيه ! ربما أنت محقة لكن الأمر اكبر من طاقتي ، تريدين معرفة السبب ؟ لأن نرفين ليست مجرد حبيبة بالنسبة لي خالتي بل هي النسمة التي تهب على صحراء حياتي ، إنها الطرف الثاني الذي يوازن المعادلة حتى لا تختل و يصير الأمر لا يطاق ..

ظروف عملي تحتم عليّ منهج معين للتفكير و التصرفات لان اقل تردد أو تهاون يمكن أن يكون ثمنه حياة أبرياء ، هذا أنا طيلة الوقت و أمثالنا من الرجال إذا لم يجد حب يحفظ له كيانه الإنساني يتحول لآلة ، أي إنني بحاجة إليها كما تفعل هي فقلبي لم يعشق سواها ..

ربتت على كفه قائلة بتفهم :

- حسنا حبيبي ، هذا ادعى أن تكون هي جديرة بهذه المكانة التي تحتلها بقلبك حتى لا تشقى بها ، ما رأيك بحل وسط ؟ تظل متواجد و لكن كصديق للعائلة فقط ، لا تشعرها باهتمام خاص هذه الفترة ، اتركها تتلمس طريقها و تجدك في نهايته عندها ستتأكد انك منتهى أملها ..

أومأ قائلا بجمود :
- أعدك أن أحاول خالتي ..
بهذه اللحظة دلفت والدته قائلة بريبة :
- ماذا يحدث ؟ هل هو اجتماع مغلق ؟!
جابهتها قدرية بنظرة غامضة في حين استقام هو متناولا سترته قبل أن يقول :
- أبدا أمي نحن نتبادل الأخبار فقط ، سأغادر الآن و لا اعرف متى أعود فلدي عمل ..
ظهر القلق على وجه السيدة رغم ادعائها العكس قائلة :
- بهذه الساعة المتأخرة ؟!
أجابها و قد احتل زاوية شفتيه ابتسامة مائلة :
- منذ متى كان لعملي مواعيد ثابتة أمي !
أومأت قائلة بتفهم :
- اجل حبيبي ، اهتم بنفسك و لا تتهور ..
ودعهما بتحية مختصرة و تركهما خلفه تلهجان بالدعاء لحفظه سالما ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

اجلسي و اهدئي فيفي ما زال الوقت مبكرا و لن تخرجي دون إفطار حتى لو فاتك الاختبار ..
رددت زهرة هذا الأمر بصرامتها التي تلجأ إليها عند اللزوم و دعمها زوجها بدوره قائلا :
- استمعي لوالدتك سُلاف و لا تقلقي سأقلك بنفسي للجامعة ..
زفرت الفتاة بقلة حيلة ثم ألقت نفسها أمام كأس الحليب الضخم الذي أجبرتها والدتها على تناوله كاملا قائلة :
- سينعشك و يجعلك أكثر قدرة على التركيز .
يا الله كم تكره التوتر الذي ينتابها قبل كل اختبار ناهيك عن ذهابها إلي الكلية بحد ذاته فلا تنكر قلقها من صمت ماجد المريب !
وضعت الشوكة من يدها هاتفة :
- ها قد تناولت إفطاري ، لن أقوى على الانتظار أكثر فلا أحب ذلك ، أريد المواجهة مباشرة ، عندما أجد نفسي أمام القاعة و حولي زملائي يزول التوتر ..
منحها رضوان نظرة تفهم ثم استقام قائلا :
- حسنا حبيبتي ، هيا بنا ..
اتجهت إلى والدتها و عانقتها قائلة :
- لا تتوقفي عن الدعاء حتى اتصل بك ماما ، اتفقنا ؟
قبلتها بحنانها الامومي هاتفة بصدق :

- اتفقنا سُلاف قلبي ، اطمئني حبيبتي سأستمر بالدعاء مثل المعتاد ....

سرعان ما انطوت المسافة بسرعة البرق لتجد نفسها أمام الحرم الجامعي بهيئته المهيبة فودعت والدها برجاء مماثل و ترجلت متسلحة بقوتها التي استحضرتها كاملة العتاد ..

بدت الأجواء في الداخل معتادة و ليس هناك من يحدق بها ، على الأقل بداية جيدة لكن لفت انتباهها حالة استنفار تعم المكان و همهمة كثيرة بين طلاب قسمها !

لم تستطع فهم شيء فاقتربت من مجموعة الزملاء المقربين منها قائلة :

- مرحبا ، ماذا هناك ؟ لما لا تركزون على مراجعة المادة كما نفعل بالعادة ؟!

بادلتها نهى التحية بمودة دون أن تتطرق لأمر مواجهتها الأخيرة مع رانيا و التي سمع بها الجميع بالطبع قائلة :

- أهلا فيفي ، اشتقت لك يا فتاة ، الم تصلك الأخبار بعد ؟ لقد الغي الاختبار أو تأجل لا اعلم تحديدا ، هناك أنباء عن تسريب الأسئلة و الكلية لم تهدأ منذ الأمس ، ما سمعته أن شخصا قام بتقديم بلاغ مباشر لرئيس الجامعة مرفق معه نسخة من الأسئلة و هناك مخالفات أخرى و الشؤون القانونية بدأت التحقيق و الأمر قد يصل للنيابة العامة ..

اتسعت عيونها هاتفة بعدم تصديق :

- من هو ؟!

اقتربت الأخرى هامسة :

- إنهم يتكتمون حوله لكن الشائعات انطلقت تعرفين هذه الأمور لا يمكن إخفائها ، انه ماجد و أخرى تعرفينها دون أن نضطر للحديث عنها ..

أطلقت صفيرا خافتا تعقيبا على قولها فتابعت نهى بتواطؤ :

- يقال أن الإجازة التي قام بها كانت تمويه ليبعد عنه الشبهات لكنها أضعفت موقفه ..

تهلل داخلها لكنها كبحت شعورها و قلبت شفتيها قائلة بغموض :

- كل إنسان يجني ما زرعت يداه ..

تابعت الأخرى قائلة بجذل :

- لكننا أفلتنا من الاختبار ..

ضربتها سُلاف على رأسها بخفة قائلة بمرح تدفق بأوردتها ماسحا كل ما سبق :

- يا لك من بلهاء ، انه قدر لا مفر منه ، لا بد أنهم سيعيدون الأمر لما كان عليه ، أي نفس الموعد القديم (استدركت بقهر مضحك) الم أخبرك أن هذه الكلية تنوي جديا القضاء عليّ !

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

لم تهدأ الحركة داخل منزل العم شوكت و بدت السيدات منشغلات بإعداد أنواع مختلفة من الأطعمة و المقبلات بينما الفتيات تشارك في تجهيز العروس و لف باقات الحلوى الصغيرة لتوزيعها على المدعوين ..

اقتربت حفصه من جيّدا قائلة بخفوت :

- جيجي إليك آخر الأنباء ، لقد استلم زوجك السيارة لكن بابا رفض ذهابكم قطعيا قبل حضور الزفاف لذا أنا سعيدة جدا ، فقد اعتدت على وجودك بيننا ..

ظهر التأثر على وجه الفتاة التي قالت :

- و أنا أكثر امتنان و سعادة حفصه و أشعر هنا بأني بين أفراد عائلتي ..

تابعت الفتاة قولها ببشاشة :

- بمناسبة العائلة هل اتصلت بأهلك بعد عودة الشبكات للعمل ؟

أومأت قائلة بمرحها المعتاد :

- اجل اتصلت و طمأنتهم و شقيقتي ستبدأ اختباراتها اليوم ..

تعالت من الخارج أصوات الطبل بإيقاع مبهج عندها هتفت الفتيات :

- مرحى لقد وصل موكب العريس ..

علمت جيّدا انه يأتي مع مجموعة من أهله و أصدقائه ليصطحب عروسه إلى حيث يقام الحفل تحيطهم الأهازيج و رقصات الشباب ..

خرجت عائشة من غرفتها بكامل بهائها متسربلة بثوب النقاء و الطهر يغلفها الحياء بهالة ملائكية شفافة ، أحاطها أفراد عائلتها يقدمون تهانيهم ثم قام شقيقها أنور بلف شريط حريري احمر اللون حول خصرها و عقده ، بعده غطى وجهها بالوشاح نفسه الذي استخدمته بالأمس وقت الحناء قبل أن يسلمها لوالدهم الذي قادها إلى الخارج ..

مالت جيّدا على صديقتها التي تكاد لا تفارقها و سألتها :

- لماذا فعل ذلك ؟!!

أجابت الفتاة بتلقائية :
- الوشاح يجب أن يرفعه العريس كاشفا وجهها أمام الجميع أما الشريط فهام جدا ، يعقده شقيق العروس أو عمها فوق ثوب الزفاف لينزعه عنها زوجها لاحقا و حدهما ، أوه افهمي وحدك جيجي لقد تزوجت و تعرفين هذه الأمور (ثم توهج وجهها و تابعت) انه يعد رمزا للعفة و عذرية العروس ..

أشاحت وجهها آملة أن لا تلاحظ حرجها المتزايد و ركزت على مشهد عبور عائشه بوابة المنزل و قد حملت والدتها مرآة كبيره ليكون طريقها مضاء مدى الحياة ..
و قد تبارى الشباب بالرقص حول العروسين أمام المنزل و الرجال بنثر العملات النقدية كما أطلق البعض الأعيرة النارية في الهواء ابتهاجا بالمناسبة ، كان الجو صاخب عامرا بالمرح و السعادة ، تجربة فريدة لا يمكن لها نسيانها ..

تحرك الموكب في طريقه لساحة البلدية لبدء المراسم و الاحتفال لكن الخالة مقبوله عادت للداخل من اجل تحضير صينيه العروسين فاختارت جيّدا و حفصه البقاء معها لمساعدتها ثم اللحاق بالجمع السعيد ..

وضعت أصناف عديدة من الأطعمة الشهية أعلى صينية فضية مستديرة ، لاحظت جيجي انه لا يوجد عليها سوى كأس و أدوات مائدة لشخص واحد فسارعت تضيف الناقص لكن ضحكات حفصه أوقفتها قائلة :

- لا لا ، إن الأمر مقصود ، كأس واحد و شوكة واحدة ليزداد تقارب العروسين و تزول الرهبة سريعا ، إنها العادات ..

أعادت الأغراض لمكانها قائلة بجذل :

- اجل بالطلع العـادات ...

❖❖❖

تلى عقد القران مراسم مشابهه لما اعتادت عليه جيّدا كأنها تحضر عرس احد أقاربها بآخر مراحل الحفل وقف العروسين لتلقي التهاني و الهدايا التي انهالت عليهما ، أوراق نقدية و قطع ذهبية يتم شبكها بدبابيس فوق ملابسهما ناهيك عن المشغولات الذهبية التي ملأت عنق و معصمي العروس ..

أرادت جيـدا المشاركة فاقتربت من عائشه مع ابتسامتها الآسرة ثم قامت بخلع سوارها الذهبي و وضعته لها قائلة :

- كنت أتمنى تقديم هدية جديدة لكن ما باليد حيلة الظروف لم تساعد ..

عانقتها الفتاة بود صادق قائلة بتأثر :

- أوه جيجي إنها الأفضل حبيبتي ، ليتك لا تغادرين و تظلي هنا ، لقد تعلقنا بك كواحدة منا ..

أشارت بكفها لتبعد دمعة ملحة قائلة :
- لكننا سنبقى على اتصال ، رقمي معك أليس كذلك ؟

❖❖❖

انتبهت على قبضة رجولية تمس كفها لتجد مراد أمامها قائلا :
- يجب أن نتحرك الآن جيّدا حتى لا نتأخر أكثر ..
أومأت قائلة بتلقائية :
- حسنا لكن عليّ العودة إلى المنزل لأعيد ثوب حفصه و اجلب حقيبتي ..
ثم أشارت للفتاة لتصاحبها و تحركت بالفعل غافلة عن عينيه التي تراقب بشغف انصب على قامة زوجته الهيفاء في ذلك الثوب الناعم القصير الذي تمايل حولها مع كل خطوة كأنه يمعن في ملامستها و يحرق أعصابه موقظا غيرة بدائية مؤلمة ..
لقد كانت المرة الثانية التي يراها مرتدية ثوبا و ليس سروال لكنها الأولى برداء يظهر ساقيها بهذه الفتنة الصارخة الأنوثة ، لقد بدتا رشيقتان متناسقتان تشعان بالنعومة ، لم يكن يتعدى الركبتين و لكن هبات النسيم منحته بركتها و كرمها عندما ثارت بتلك اللحظة لتتطاير تنورة الثوب المطبعة بألوان الزهور مظهرة شامة بنية أعلى باطن ركبتها اليسرى من الخلف فعلت بعقله الأعاجيب و ذهبت به إلى مناطق غير مرغوب بها على الإطلاق ..
جز على أسنانه غضبا بينما يتطلع حوله ماسحا المنطقة بعينيه خشية أن يكون لمحها احدهم غيره ثم أطلق أنفاسه حامدا ربه لان الجميع كان منشغلا بالحفل و الطريق خالي إلا من الفتاتين و عقله يزأر بعنف : تبا للأثواب كلها ..
تفاجأ من نفسه فلم يعهدها على هذا النحو من قبل ! يا الله انه يحدق بالفتاة كمراهق مهووس تغلبت عليه هرموناته الغير مستقرة بينما تعفف عن فعلها من قبل مع توفر كل المغريات حوله !
عاد عقله لينهره هاتفا : لكنها ليست مجرد فتاة يا أحمق ، إنها زوجتك و يحق لك التحديق بها ..
نفض رأسه بحدة كأنه يعاقب عقله العابث قائلا بصوت مسموع :
- لا ، هذا لا يجوز في حالتنا ، انه محض عمل ، أفق لنفسك مراد ..

أجهشت حفصه بالبكاء بينما تعانق جيّدا هاتفة :
- ليس عدل أن تغادري أنت و عائشة بوقت واحد ، كيف أظل وحدي !
ربتت عليها و بالكاد تقاوم غصة الدموع قائلة :
- لا تكوني حمقاء ، سنظل على اتصال لأعرف أخبارك كلها ، كما انك لن تظلي بمفردك طويلا ، الم نتفق ؟!
أومأت الأخرى و أخذت تجفف دموعها فتابعت جيّدا بإخوة :
- ممتاز ، كوني قوية و بالتأكيد سنرى بعضنا ثانية و من يعلم قد احضر زفافك بأقرب وقت ، هيا ابتسمي يا بلهـاء سوف ابكي معك ..
منحتها ابتسامة شاحبة في حين انتقلت لوداع الخالة مقبوله التي أخبرتها بكونها صارت مثل بناتها و ستفتقدها ، تلاها العم شوكت الحنون قائلة له :
- لقد قضيت أسعد أيامي في منزلك عماه ..
ربت الرجل على كفها بمودة قائلا بصوته الوقور :
- إن الله يسوق خطى الإنسان بمقادير محسوبة بنيتي و قد شاءت إرادته أن ينضم لعائلتنا فردين أضافيين ، أنت و مراد مُرحب بكما في أي وقت ...

تراجعت حيث السيارة لتبصر زوجها يقف على مقربة مع أنور و شاب آخر فاجأها كونه جلال و ليس غيره !

التفتت إلى حفصه التي بادلتها النظر بغموض و عدم فهم ، كان هناك حوار غير مسموع يدور بينهم و قد انضم إليهم الرجل الأكبر سنا ، استمر لبرهة قبل أن تشاهد مراد ينفصل عنهم بعد تبادل تحية رجولية مع ثلاثتهم و يتجه إليها قائلا :

- هيا جيّدا اصعدي للسيارة ..

سألته بلهفة :

- أخبرني عما يدور ..

أومأ باسما قبل أن يقول بلطف :

- سأفعل في الطريق ..

بعد استقرارهما داخل السيارة أشارا للعائلة خلفهم بتقدير و امتنان و سرعان ما كانا على الطريق مجددا استئنافا لرحلة أُجلت قصرا لتمنحهم إجازة لم تكن في الحسبان قربتهما من بعضهما أعواما بمقياس البشر العادية ..

اعتدلت لتصبح في مواجهته هاتفة بنفاذ صبر :

- هيا مـراد ، ابدأ الحديث ..

عانى صعوبة حقيقية في نزع عينيه عن كفها المنقوش بذلك الشكل المغري كأنه يستجديه ليتناوله و يشبعه لثما كما يستحق ، فادعى انشغاله بالقيادة و أشار بكفه قائلا :

- انه أمر بسيط لكن نتائجه كانت ستكون وخيمة ، بدأ مع اكتشاف العم شوكت تلاعب في الحساب المصرفي للمصنع و اختلاس مبالغ كبيرة منه على دفعات متتالية بشكل منتظم تقريبا ..

ما لا تعرفينه أن هذا المصنع أشبه بشركة مساهمة يتشارك به أهل الضيعة بنسب متباينة ، لكن من يتولى إدارته فعليا هما رأسي أكبر عائلتان في البلدة ، العم شوكت و السيد اركزان اللذان يوجد بينهما عداوة منذ سنوات طويلة ..

كانت تتابع كل كلمة ينطقها بشغف دون مقاطعة فتابع :

- يوم احتفال بدأ الحصاد نشبت مبارزه حامية بالكلمات بين الرجلين كادت أن تتحول لشجار فعلي و كل منهما يلقي الاتهام على الآخر بإصرار و عناد فهما وحدهما صاحبي السلطة لسحب و إيداع الأموال التي وفقا للدفاتر تدخل

الحساب سليمة و كل الدفعات مسجلة بمنتهى الدقة في أوراق المصرف و المصنع بنفس التزامن ..
هتفت بشكل عفوي :
- لكن العم شوكت لا يفعلها ..
رماها بإحدى ابتساماته قائلا ببساطة :
- لاحظي انك هكذا تتهمين الآخر دون بينه ..
قلبت شفتيها مرددة :
- لم اقصد ذلك لكن .....
قاطعها ليتابع حديثه قائلا بمهنية و لكن بنبرة ودودة :
- طالما وجد الشك يكون الجميع داخل دائرة الاتهام جيجي و العداء بين الرجلين يُعقد الأمور أكثر ..
حركت رأسها قائلة بحيرة :
- ماذا إذا ؟!
تابع سرده بتلقائية :
- لقد توقعت أن المبالغ تختفي في إحدى المراحل المحاسبية داخل المصرف و ليس خارجه لكن ذلك لا يُبرئ أيا منهما أيضا لذا ارتجلت خطة سريعة بدائية لكن فعاله ..
في اليوم التالي بمجرد عودة الاتصال اتفقنا على تحويل دفعة استثنائية للحساب بعد أن أجريت اتصالي بصالح و طلبت منه تتبعها بوسائله الخاصة فهو قادر على معرفة توقيت اختفائها تحديدا ..
أجابته بابتسامة متسعة قائلة :
- اعتقد أن ذلك يمثل نزهة بالنسبة له ..
أومأ يوافقها بينما تابع قائلا :
- بالضبط و دون الدخول في تفاصيل لا طائل منها وصلني اتصاله في وقت متأخر و قد اتضح أن الفاعل هو احد موظفي المصرف ، لا علاقة له بكلا الرجلين و لم يقابلهما من قبل مطلقا ، ظن نفسه ذكي و بإمكانه اقتطاع مبلغ من كل دفعة بشكل دوري يحولها إلى حساب سري بعد سلسلة من التعقيدات حتى لا يسهل اكتشافه لكن ليس على صالح بالطبع و قد تحرك شاهين ليظهر الأدلة بشكل عفوي كي تستطيع الشرطة التعامل مع الأمر فلا دخل لنا ظاهريا ..
رددت بانبهار :
- و هل أخبرتهم ؟
زرع عينيه على الطريق بينما يجيبها قائلا :
- اجل هذا الصباح و قد اعتذرا لبعضهما في بادرة

أولى من نوعها ، يبدو أن الشابين لهما دورا في ذلك ، اقصد أنور و جلال ..
تقافزت بمكانها هاتفة بجذل :
- يا للروعـة ، هذا عظيـم ..
التفت إليها مرددا بدهشة :
- لما تهتمين بهذا الشكل ؟!
صفقت كفيها قائلة بمرح :
- سأخبرك فهو ليس سرا ، جلال يحب حفصه و هي تبادله مشاعره و قد طلبها للزواج لكن العم شوكت رفض ، و أظن مع هذه التطورات ربما يتبدل موقفه ..
حرك رأسه دلالة على الفهم فتابعت قائلة :
- لكن كيف لم نشعر بأي شيء من ذلك ؟!
ردد بتعبير تمثيلي :
- كنت تمرحين طيلة الوقت عزيزتي بينما أنا اعمل ..
رفعت حاجبيها قائلة بإغاظة :
- أوه ، يا لك من مسكيـن ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

انتشر خبر تأجيل اختبارات سُلاف بين الجميع فاتسعت ابتسامة عمر المزهو بانجازه ، سيظل كامنا هذه الفترة حتى تنتهي التحقيقات مع ذلك السافل و التي يعرف نتيجتها المتوقعة بعدها يحين دور حقه الشخصي لكن عليه رؤيتها يجب أن تتحدث معه شاءت أم أبت ، لا بد أن تفهم حقيقة ما حدث فذلك الوضع يثير استيائه لأنه لم يعتاد ابتعادها عنه بهذا الشكل ..
انه بحاجة للمساعدة ، شخص ما يتطوع دون أسئلة عن سبب الخصام ، فهل يطمع في إيجاد مثل هذا البطل بين سكان كوكب الأرض ..!

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

- لا طاهر ، هذا الأمر لن يحله سواك ، إنها سمعة الشركة و لا نستطيع المجازفة ..
قالها رضوان الذي يترأس اجتماعه المنزلي مع شقيقه و ابنه الروحي عمر الذي كان يلتزم الصمت أمام براعة عمه في إدارة الأمور و توجيهها كما يرغب تماما ..
قلب طاهر شفتيه قائلا ببساطة :
- حسنا لا أرى مانعا من السفر ، كنت اخطط لذلك على كل حال ..

تابع الأكبر قائلا :
- عظيم ، كما أريد منك قبل العودة أن تمر بتركيا لرؤية جيجي و الاطلاع على أحوالها هناك على الطبيعة ..
أومأ قائلا باستحسان :
- بالطبع أخي ، سوف افعل لكن يلزمني بعض الوقت لأرتب أموري قبل السفر ..

قالها و نهض طالبا استدعاء ابنته من غرفة سُلاف لأنه ينوي المغادرة ..
انتبهت كل خلية داخل جسد الكيان الوسيم الذي يجاوره تحفزا لما هو قادم ..
لم يكد يمر وقتا و هبطت أماني الدرج برقة لتلتقي بالجمع المنتظر أسفله ، حاصرتها عيون عمر بتساؤل ملح لم يبارحها منذ أبصرها وحدها فرفعت كتفيها بإشارة صامتة أن لا حيلة لها ..
كاد أن يعلق لكن خالته سبقته عندما تقدمت هاتفة باستنكار :
- ما هذا طاهر ! هل أصبحت بخيلا في هذا السن ؟ لا يمكن أن تغادرا قبل العشاء ..
التفت إليها بعرض منكبيه و رشاقة قده الذي يناقض سنواته الخمسون و يظهره أصغر عمرا بشكل جلي قائلا :
- اعتذر منك زهرة سامحيني الليلة لأني أود اصطحاب ابنتي الحلوة للعشاء في الخارج فقد أهملتها هذه الفترة و أريد قضاء بعض الوقت برفقتها ..
أشارت السيدة بكفيها قائلة :
- في هذه الحالة لا بأس ، اقضيا وقتا لطيف ..

استدار رضوان من وداع شقيقه قائلا لزوجته :

- اصعدي و اجلبي سُلاف من غرفتها رجاء زهرة اخبريها أنني أريدها ..

لمحت نظرة التوسل تتقافز داخل الأحداق الملونة أمامها فأومأت برأسها و تحركت إلى أعلى مباشرة حيث تقبع ابنتها العتيدة بدرجة امتياز

❖❖❖

دلفت بعد دقة سريعة على باب الغرفة لتجد في استقبالها مشهد عجيب !

ما هذا الذي تراه ؟!! اقتربت من ابنتها المنهمكة أمام المرأة بينما تلف كيس بلاستيكي شفاف فوق رأسها المنتفخ بشكل مريب جعلها تشبه أحد الكائنات الفضائية الشهيرة ، هتفت قائلة بذهول:

- ما هذا سُـــلاف ؟!!!

رفعت الفتاة عيونها إلى والدتها بنظرة بريئة بشكل مضحك ثم عدلت المنشفة فوق كتفيها قبل أن تجيب قائلة ببساطة :

- مرحبا ماما ، أوه تقصدين الذي فوق رأسي ، انه حناء ، تعلمين كم أحب الاعتناء بشعري ..

رددت السيدة بعدم تصديق للمشهد الماثل أمامها:
- حنـــاء !! و لما الآن تحديدا ؟ حســنا تعالي لأساعدك في إزالتها سريعا ..
تراجعت إلى الخلف بفزع تمثيلي قائلة :
- بالطبع لا ، لقد تعبت في وضعها و يجب تركها حتى تجف ، لن اغسل شعري قبل ثلاث ساعات على الأقل ..
أخذت زهره تفتح فمها و تغلقه بلا حول غير قادرة على النطق و ردع تلك الشقية التي تعرف كيفية الوصول لما تريده بشكل مغيظ ..
رفعت الفتاة احد حاجبيها قائلة بعبث لذيذ :
- هناك شيء ماما ؟!
حدجتها بنظرة مدركة لما تفعله ثم استدارت عائدة من حيث أتت و قد عكست ملامحها الجميلة ما يدور داخلها بشفافية ، لتعرف سُلاف أنها ربحت الجولة بالضربة القاضية أو بالأصح بخلطة الحنـاء ..!

❖❖❖

استقبلها زوجين من العيون و قد سكنها تعبير مختلف فأجابت التساؤل قبل أن يقال :
- اممم إنها لن تتمكن من القدوم ..
ثم فاجأتهم عندما غرقت بالضحك مرددة من خلاله :
- صدقاني لن تستطيـع ..
أدرك رضوان أن صغيرته لجأت لإحدى حيلها فنكس رأسه ليخفى موجة الضحك التي سيطرت عليه لكن اهتزاز كتفيه كان ابلغ من أي تعبير ظلا على هذا الحال طويلا دون قدرة حقيقية على التوقف أو حتى التنفس بينما الآخر هدرت دماء الغضب داخل شراييه و علم انه قادر على خنقها بيديه في هذه اللحظة ..
تعلقت نظراته بأعلى الدرج لبرهة قبل أن يكبح جنونه المتصاعد و يحثه على ارتكاب حماقة أمام الجميع فهب من مكانه قائلا بقهر :
- كان بودي مشاركتكما هذا المرح لكني للأسف مضطر للمغادرة ..
ردت خالته بعيون تشع مكرا :
- إلى أين يا فتى ؟ انتظر فالساعات تمر سريعا و من يعلم قد تمُنح إطلاق سراح غير مشروط ..
ومضت عينيه ببريق الخطر مرددا من بين أسنانه :
- خـــالتـــي ..

أشار رضوان بكفه قائلا بمشاغبة واضحة :
- دعك منها وتعال اجلس إلى جواري ، أنا هو عمك الوحيد و بئر أسرارك ، اخبرني صراحة لما أهدرت طفلتي الرقيقة دمك مؤخرا و قد أساعدك ..
انفجرت زهرة مجددا بالضحك و سرعان ما انضم لها زوجها بشكل عاصف جعل الشاب يصل لمنتهاه من التحمل فاتجه مباشرة إلى باب الخروج بخطى عاصفة تاركا تعليقه الحانق خلفه :
- اخبراها إنني أنا من لا يريد مقابلة الأميرة و كفا عن الضحك رجاء فزيادته تضر بالصحة ..
تقابلت نظراتهما بتعبير مرح قبل أن تعود الضحكات للسيطرة عليهما من جديد بينما رددت زهرة التي احتقن وجهها بشكل لافت :
- يبدو أننا سنتناول العشاء وحدنا حبيبي ، فطفلتك التي وصفتها بالرقة قبل قليل تحمل صحنا لاقطا فوق رأسها و لن تغادر غرفتها هذه الليلة ..
نهض من فوره قائلا بجذل :
- بالطبع لن أفوت على نفسي هذا المشهد الفريد ، سأصعد لأتسلى برؤيتها حتى تعدي الطاولة لنا وحدنا ..
راقبته يتجه لغرفة فتاته المميزة بخطوات تموج بالفخر فخبطت كفيها ببعضهما قائلة :
- و يقولون الفتاة تشبه والدتها ! يجب عليّ مراجعة بقية الأمثال الشعبية لأجد ما ينطبق على هذا الثنائي المشاغب الذي أعيش معه ..!

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

دارت جيّدا داخل غرفتها الجميلة شاعرة بالخواء و البرودة مفتقدة لوجوده إلى جوارها ، لقد مثلت غرفتهما الصغيرة بمنزل العم شوكت واحة من الدفء و الأمان لأنه شاركها بها حتى و إن كان مرغما ..
إلى أين ذهب يا ترى ؟ فهو لم يكد يدخل المنزل بعد وصولهم و تركها مغادرا ! هاجمتها صورة نازلي متحدية فهتفت بقهر :
- يا الهي هل يعقل ؟ ذهب إليها دون انتظار ؟ هل اشتاقها لهذا الحد !
وصلها صوت محرك سيارته فهرعت تستقبله آملة في بقائه لبعض الوقت معها ..
دلف إلى المنزل شاعرا بالإرهاق حتى انه

لم يستطع المرور لرؤية عائلته بعد فراغه من لقاء صالح واعدا نفسه بالذهاب مبكرا ..
دغدغ اسمه المنطلق من بين شفتيها أسماعه عندما قالت :
- مـراد ، أنت لم تنل أي قسط من الراحة اليوم ، سأعد لك وجبة سريعة ..
أشار ليوقفها قائلا :
- أشكرك لكن لا داعي لقد تناولت شطيرة مع صالح ، تعالي لدي شيء لك ..
نزلت عبارته على قلبها بردا و سلام ، لم يكن معها إذا ، كم تحب هذا الصالح ستوصي رُقيه به خيرا ..
أجلسها إلى جواره بحميمية على الأريكة التي احتل معظمها بجسده الكبير ثم اخرج من الحقيبة الأنيقة التي يحملها علبة مخملية قدمها إليها قائلا :
- تفضلي جيّـدا ، ارتديها مباشرة ..
تناولتها منه بعدم فهم وفتحتها بأنامل مرتجفة من فرط التوقع لتجد أمامها طقما ذهبي يجلس بفخامة على الوسادة السوداء التي ضاعفت بريقه الأخاذ ..

كان التصميم غاية في البساطة لكنه جميل و لم تكن لتختار لنفسها أفضل منه ، قلادة عبارة عن عدة زهرات رقيقة تراصت كما لو كانت تُقبل بعضها ثم سوار مشابهه تم صياغتهم من الذهب التركي الأصفر الشهير ، محبس زواج يتداخل به اللونين الأصفر مع الأبيض ثم أخيرا الخاتم يتربع على عرش الجميع كملك متوج عكس روح القطع الثلاثة السابقة ، يحمل زهرتين متعانقتين تلفهم باقة من الأحجار الماسية المنسقة بشكل أنيق ..

سلخت أنظارها عنه أخيرا قائلة :
- إن هذا كثير ، تعلم انك لست مضطر لإهدائي

ردد بنبرة محايدة :

- الأمر ليس على هذا النحو بالضبط جيّدا ، اجل هي هدية لك لكن لها شق خاص بالمهمة ..

زمت حاجبيها بعدم فهم جلي فتناول القلادة و حرك قلب الزهرة الرئيسية بشكل فاجأها قائلا :

- كما ترين هذه ليست زهرة عادية بل جهاز تتبع فائق الحساسية ، عليك ارتدائها و عدم خلعها تحت أي ظرف فلن أكون متواجد معك بكل مكان ..

وضعها من يده و تناول السوار و تابع :

- أما هذه فتمثل جهاز اتصال عندما تضغطين ذلك البروز الأشبه بالقفل يعمل على نقل صوت ما يحدث معك ..

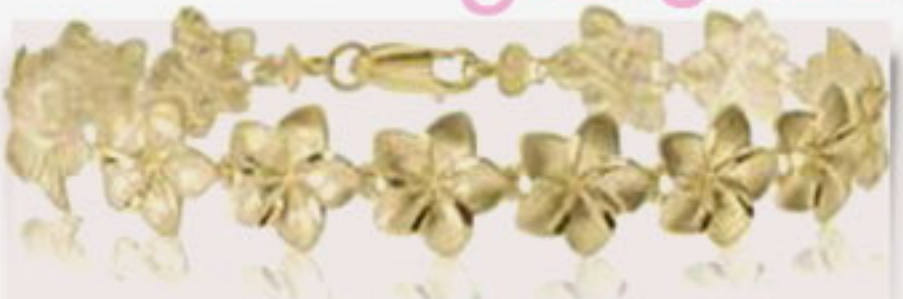

مدت له معصمها بتلقائية ليضعها حوله ببساطة كأنه أمرا معتاد ! ثم رفعت الخاتم و سألت ببراءة :

- ماذا عن زهرة الخاتم ؟ ماذا تفعل ؟

احتل الاهتمام ملامحه قائلا بوضوح :

- إنها الأهم و تعد احدث ابتكارات صالح العبقرية ، اصغر جهاز يستطيع رصد و إيصال أدق إشارة عنك من مسافات بعيدة و كما تريّ لا يمكن للعين التقاطه لأنه مصمم من نفس معدن الخاتم و يعد احد نقوشه ، انتبهي عند اللزوم تضغطين أحجاره بهذا الشكل و سيبدأ تلقائيا بالعمل ..

تأملت القطعة من جديد قائلة :

- انه غير تقليدي و فريد ، لم أصادف خاتما يشبهه من قبل ..

أومأ يوافقها بينما يشبع عينيه ببريق أحداقها الأجمل من المعدن النفيس الذي تحمله قائلا :

- اعلم ذلك ، لقد تم صنع المجموعة لتتناسق مع بعضها و تعكس روحك المحبة للطبيعة ، هل أعجبتك الهدية ؟

أشارت بالإيجاب قائلة بسعادة واضحة :

- نعم كثيرا ، لقد أحببتها ، ألن تلبسني البقية ؟

احمرت أذنيه بشدة لكنه تناول المحبس و وضعه في بنصرها اليسار ببساطة ثم اتبع بالخاتم ، بعدها فتح قفل القلادة ليهم بلفها حول عنقها عندها أسرته رائحتها المتغلغلة بالأساس داخل رئتيه مع نظرة أشبه بالصاعقة هزت كيانه فاكتفى بوضعها داخل كفها و تراجع قائلا :

- ضعيها أنت ، اعتقد أني قد أوضحت كفاية بضرورة عدم خلعك لأيا منهم ..

منحته موافقتها فأكمل قوله :

- اتفقنا إذن ، سأصعد لغرفتي فانا في توق شديد لفراشي و ساعات طويلة من النوم ..

ركضت بشقاوة صاعدة الدرج قبله هاتفة :

- سوف أسبقك للنوم حتى يتسنى لي إيقاظك بوقت أبكر ..

أشار بإصبعه مهددا :

- حـذار جيّـدا ، حرصا على حياتك لا تفعليها ..

قاطع صوت جرس الباب العالي ضحكاتها المرحة ليلتفت كلاهما باتجاهه قبل أن يردد بحزم :

- اصعدي أنت حتى استطلع هوية زائرنا اللحوح ..

غابت أعلى الدرج لكنها ظلت تتابع خشية أن تكون نازلي قررت الزيارة من جديد فهذه الفتاة تشكل عبئا على عقلها الرافض لوجودها حتى و إن كانت هي الدخيلة !!

فتح الباب بحدة ليقفز حاجبيه إلى الأعلى بصورة كوميدية هاتفا :

- أمـي ..!

دفعته المرأة بصرامة لتتقدم إلى الداخل قائلة بثورة تهدد بالخطر :

- حسنا يبدو إنني لم افلح في تربيتك أنت أيضا لكني لن أناقش ذلك الآن فلدي الأهم ، أين هي تلك العديمة التهذيب التي تزوجتها ؟؟

نهاية الفصل

دمعات القمر

القطرة
الرابعة عشرة

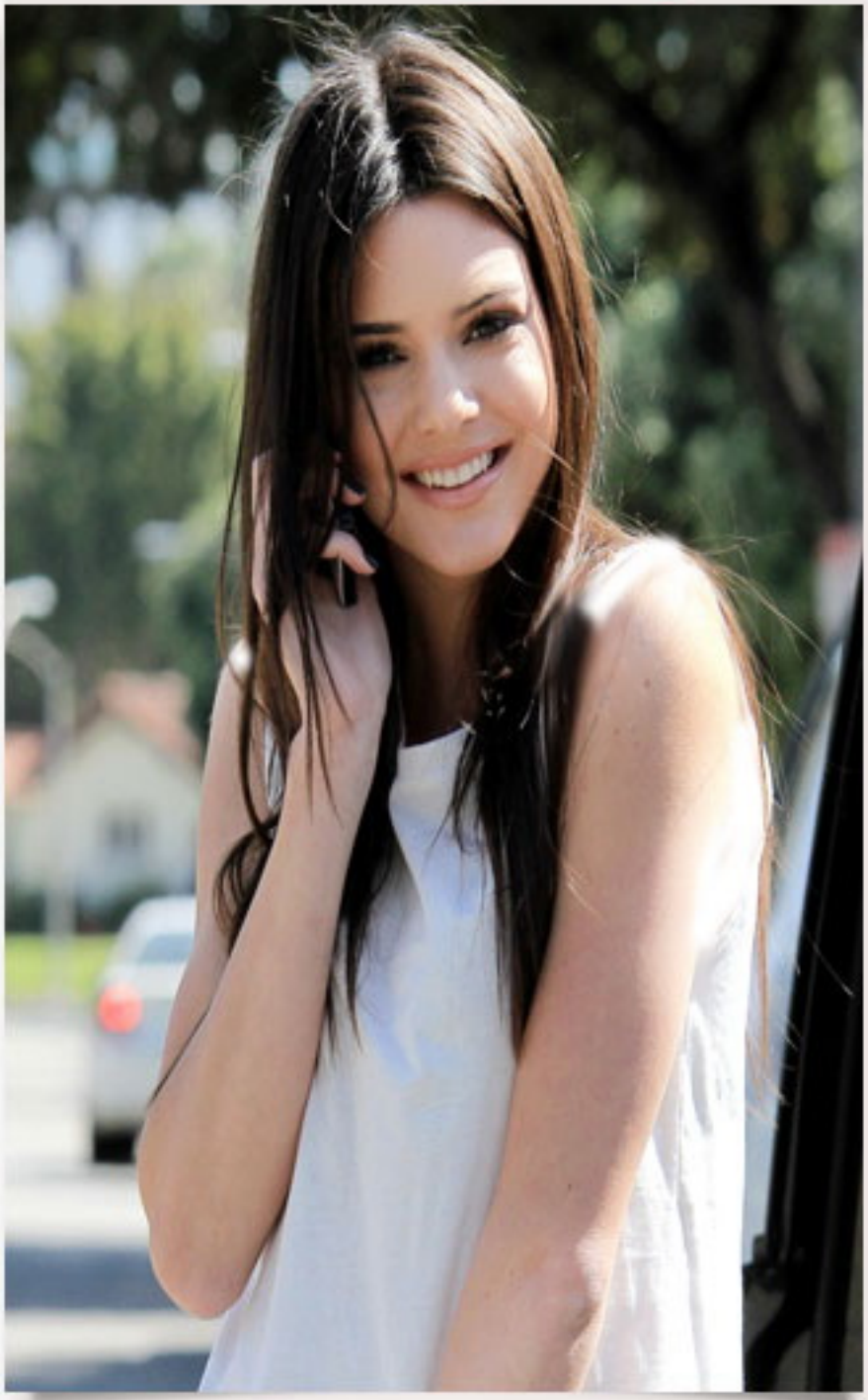

صدحت ضحكات سُلاف رقراقة الناعمة و قد ظهر بريق شعرها اللامع المحيط بكتفيها و ما زالت أطرافه ندية لم تجف كليا بينما تقص ما حدث على أماني في اتصال هاتفي تعدى الساعة الكاملة و الأخرى تجيبها بضحكات مماثلة :

- لكن رغم البرد الذي شعرت به و الحناء محتلة رأسي لساعات حصلت على نتيجة رائعة ، شعري منتعش و ناعم كما منحته الحناء بريق يعجبني ..

وصلها صوت أماني تردد :

- لكن إلى متى فيفي ؟ لقد بدا يائسا حقا لرؤيتك ، هناك شيء مختلف به ! هذه الليلة لم أرى عمر الواثق الذي اعرفه ، عليك فك الحصار و يكفي الفترة الماضية ..

مطت شفتيها قائلة بعناد :

- لا ، لقد أخبرته أني لن أسامحه و هذا ما سيكون ، أنت لم تسمعي اهاناته لي و لا رأيت نظراته وقتها لقد بدا كالمجنون و أخافني بشكل جاد دون أن يراعي الصدمة التي أمر بها و لا بكوني استنجدت به ، الأحمق اتهمني و شك بي ..

ردت أماني بجدية :

- أليس هناك جديد حول ذلك الأمر ؟

- كلا و لا أظن أن يحدث بعد فضيحة ماجد في الكلية ، فهو ليس غبي حتى يجلب لنفسه مزيدا من التعقيد ، يكفي قائمة الاتهامات التي يتحدث عنها الطلبة ، بند واحد منها كفيل بإيقافه عن العمل ، كم أنا ممتنة للشخص الذي أوقع به ، ليتني اعرفه ..

زفرت أماني قائلة بارتياح :

- الحمد لله لا تتصوري كم كنت قلقه بهذا الشأن ، الآن فقط اشعر بالاطمئنان ..

أكدت سُلاف قائلة بمرح :

- اجل لقد انتهى بفضل الله و سوف أنساه ، ركزي أنت على زفافك القادم ، من حظك أني أصبحت متفرغة لك هذه الفترة لذا تدللي يا عروس ..

- تأكدي إنني سأفعل ، اشعر كملكة و الجميع يعمل جاهدا لإرضائي و كلما حاولت القيام بشيء تصرخ الخالة أحلام أن العروس ترتاح و تأمر فقط ، أخشى أن يلاحظ بابا من فرط حماسها أو العم محسن و عندها سنقع بمشكلة حقيقية تعلمين كم هو مخلص لوالدي و بالتأكيد سيخبره ..

ضحكت سُلاف قائلة :

- لا أظنه سيكون متفرغ لذلك وسط ازدحام العمل ، لقد أدى عمك دوره ببراعة و خلق ارتباك داخل الشركة كفيل بلفت انتباهه طيلة الفترة القادمة و ....

قاطعها صوت أماني تردد بلهفة :

- فيفي سنكمل لاحقا لان ادهم يتصل ..

ودعتها بتعليقات مازحة حول العريس المتيم ثم اندست بين الأغطية و عقلها يسترجع عبارة عمر الأخيرة التي نقلها إليها والدها المستمتع بما يحدث ..

رفعت كتفيها قائلة لنفسها : يستحق كل ما افعله به ، أنا أساس لا ارغب برؤيته و لا اكترث له ..

ثم أسدلت جفنيها على تلك العبارة لتخرس هتاف قلبها الذي ينعتها بالكاذبة المشتاقة !

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

عانده النوم فكف عن المحاولة و هبط لحديقة منزلهم لعل لسعة برودة الليل تزيل عنه إحساس الضيق الذي استعمر داخله بجبروت الغزاة التي تأبى الرحيل دون إراقة الدماء و هو فقد سلاحه معها عندما قررت هجره ..

شعر بإحدى خفقاته غائبة عنه بينما لم يزره ذلك الإحساس عند سفر جيّدا فأي تخبط هذا !

انه بالكاد يتذكرها و التواصل بينهما شبه منقطع ، فلما لا يكترث ؟ هل خدعته مشاعره لسنوات و زينت له الوهم ؟ يا الهي ساعدني ..

قادته قدميه للبقعة الأثيرة لديها ، تذكر كم كانت تحب اللعب في هذا المكان و تغضب منه عندما يرفض مشاركتها مفضلا الخروج من أصدقائه ..

لمس الأرجوحة التي اشتاقت لصاحبتها الشقية ، لقد صنعتها لها بيديه ..

تراءى له طيفها جالسة فوقها تحلق و صيحاتها الجذلة تتصاعد حتى تبدد الغيمات و تزيد الجو صحوا و بهاء ، جدائلها تتطاير حولها كأميرة غجرية تنثر من خلالها أريج السحر و تعطر العالم ..

لقد كبر و غفل أنها تكبر معه بينما وضعها عقله في مرحلة الطفولة رافضا إخراجها منها خشية خيانة أمانة خالته ، اجل هو ذلك ..
فضل تركها صغيرته على أن يجرحها بنظرة تسيء لعلاقتهما الأثيرة ، لكنه كان أحمق و الزمن لا يتوقف ..
انطلقت من داخله زفرة حارة ، لما تبدل كل شيء ؟ ما الذي حدث ليتباعدا و بالكاد يتحملان بعضهما ! آه يا صغيرة ماذا تفعلين بي ....

الأماكن كلها مشتاقه لك
والعيون اللي انرسم فيها خيالك
والحنين سرى بروحي و جالك
ما هو بس أنا حبيبي ..
الأماكن كلها مشتاقه لك
كل شي حولي يذكرني بشي
حتى صوتي و ضحكتي لك فيها شي
لو تغيب الدنيا عمرك ما تغيب
شوف حالي من تطرى علي
الأماكن كلها مشتاقه لك

الشاعر منصور الشادي

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

قفز قلبها جذعا و اتسعت عيونها الجميلة للعبارات الغاضبة التي تتناهى لسمعها في مكانها المتواري أعلى الدرج بينما مراد يحاول تهدئة والدته ..
تبدو سيده شديدة في الحق و تجاهر برأيها دون مواربة ، جزء من عقلها يجدها محقة في ثورتها لكن ما ذنبها هي !
- أمي اهدئي رجاء و اجلسي لنتحدث ..
لم يستطع قوله التأثير عليها و لا الحد من غضبها المتنامي منذ وصلتها تلك الأنباء حول زواج ابنها الوحيد دون علم أهله فهتفت قائلة بحدة :
- أي حديث يا رجل العدالة و حفظ الحقوق ! الفتاة التي تقبل الزواج من رجل بهذه الطريقة تكون عديمة الأخلاق ، كيف تفعل ذلك ! تقبلها لأختك ؟
أشار بيديه في محاولة للشرح :
- أمي رجاء أسـ.....
قاطعته قائلة بحزم :
- و لا كلمة واحدة ، سألتك أين هي ؟
استدعها أمامي على الفور ..

بالرغم من شعورها السلبي لهذه المحادثة الدائرة عنها بالأسفل لكنها لم تعد تستطيع البقاء صامتة ، حركت قدميها إلى الأمام بمعجزة بينما تناضلان لمعاندتها و البقاء في مخبأها الآمن هبطت درجتين بالكاد لترى سيدة جميلة ممشوقة القوام ترتدي حجاب أنيق و تبدو محتفظة بشبابها و نضارتها هاتفة بارتباك استبد بها تقاطع الجدل الدائر قائلة :

- أنـا هنـا ..

التفتت زينب بحده و عدم تصديق للغة التي طرقت أذنيها بوضوح ، ليس هذا ما توقعت رؤيته أبدا ! كانت موقنة أن الفتاة الوقحة نازلي هي المعنية بالأمر فمن تكون تلك ؟!

وضع مراد كفه على مقدمة رأسه بحنق ، لم يكن يريدها أن تعرف بهذه الطريقة أبدا لكن تأخيرهم بالضيعة افسد ترتيبه ، لن تمر الليلة بخير فهو يعرف والدته ..

صمتت السيدة و قد عقدت حاجبيها بدهشة بينما استمرت جيّدا في التقدم منهما ..

أول من قطع الصمت كان سؤال زينب الحاد :

- من تكوني ؟!!

ظهر الخجل الساكن أحداقها فبدت أشبه بطفلة تقف بمواجهة مديرة المدرسة لكنه مس قلب السيدة ..

ازدردت لعابها بصعوبة لم تخفى على الأخرى لكن مراد اخذ المبادرة و سحبها إلى جواره رافعا رأسه بهيبة في لفتة حماية واضحة جعلت نبضاتها تهدأ و تستكين ، لقد كان لقبضته حول كفها مفعول السحر كما أعادت لها ثباتها الهارب ..

- أمي تحدثي معي أنا و دعيها خارجا فلا ذنب لها بأي شيء ..

أشارت إليه بإصبعها هاتفة بحيرة :

- أنت تصمت فدورك لم يأتي بعد ، بحق الله كم فتاة وعدتها بالزواج ؟! إنها ليست من ظننت !

ثم وجهت إليها الحديث قائلة :

- هيا ابدئي و اخبريني بحقيقة ما يحدث ..

شدت على قبضته فلم يخذلها ، شبك أناملهما و منحها نظرة مطمئنة فحاولت إيجاد نبرات صوتها قائلة :

- احـم اسمي جيّدا و اعلم أنت توقعت رؤية نازلي لكن المعذرة أنا من تزوج بها ،

ليس كما يبدو أمامك بل ..... امممم آسفة سيدتي مراد هو الأقدر على شرح آمر أفضل مني

ارتفع حاجبي زينب دون أن تفارقها الدهشة و رددت بادراك :

- أنت عربيه ..!

أومأت جيّدا بالإيجاب دون كلمة فجالت عيونها بينهما بتقييم محاولة سبر أغوار ما يخفيانه و قد انتبهت لإقدامه على حمايتها و الذود عنها تبعات غضبها ، لقد فاجأها هذا الاختلاف لكن لن تنكر أن الفتاة تثير اهتمامها و هي بالطبع أفضل من تلك النـاز التي ثارت عواصفها لمجرد لتخيل أنها صارت كنتها ، هناك شيئا ما لا تفهمه و لن تكون زينب إذا لم تفعل ..

بادلته نظرة صارمة ورثها عنها بجدارة قائلة :

- اخرج و اتركنا وحدنا ..

شهقت جيّدا رغما عنها و تشبثت بساعده بكلتا كفيها فربت على يدها بدفء بينما يردد من بين أسنانه :

- أمـي أخبرتك أن لا شأن لها و ....

قاطعته قائلة بنبرة أكثر بثبات :

- قلت اخرج في الحال يا ولد و لن أعيد كلامي ..

عض على نواجذه بقهر فهو يعرف هذه النظرة التي تعني عدم التراجع بالإضافة لتلك المتوترة التي تستنجد به و قبضتها تحفر بذراعه و لا يستطيع خذلانها ، مال عليها هامسا برقه :

- لا تخشي شيئا سأكون بالقرب ، تذكري أن أمي موضع ثقة ..

ثم أشار بكفيه لولدته يطلب منها الرفق بها ثم أعلن استسلامه قائلا :

- أنا في الحديقة ..

ما أن أغلق الباب خلفه حتى جلست باسترخاء مشيرة للمرتبكة أمامها لتفعل المثل قائلة

- هيا يا فتاة أنا أسمعك ، ابدئي بالسرد و لا تهملي التفاصيل ..

فتحت فمها و أغلقته بعجز ثم تذكرت عبارته الأخيرة فانطلق لسانها من البداية بكل سلاسة و يسر ....

أما مراد الذي استند على السور الخارجي أمام الباب فقد اخرج هاتفه و أجرى اتصال بشاهين يطلعه على المستجدات ..

وصلته ضحكات الآخر قائلا :

- لقد وقعت إذن ، ألا تلاحظ أن الخالة زينب دوما تسبقك منذ كنت صبيا يركض أمامها
رد مراد قائلا بحنق :
- ليس وقت مزاحك الآن ، تعرف أمي لن تهدأ حتى تعلم كل شيء ..

أكد شاهين بثقة :
- هذا إذا لم تكن علمت و انتهى الأمر ، من حظك أنها متفهمة و انتظرت الشرح ، لو كانت والدتي لعلقتني على اقرب مشنقة أولا قبل أن تبدأ السؤال ...

أنصتت زينب باهتمام دون مقاطعة حتى انتهت جيّدا من إخبارها ما حدث بإيجاز مفصل
فأشارت السيدة إلى المكان جوارها قائلة بملامح غير مقروءة :
- تعالي إلى هنا ..
سألتها بوجل :
- الم تصدقيني ؟!
نهرتها بعيونها فتحركت سريعا لتجلس حيث أشارت عندها تبدلت ملامحها إلى البشاشة و أحاطتها بذراعها قائلة بنبرة متخلفة :
- هل أزعجك ولدي بشكل لا يطاق ؟
تجاوبت معها الفتاة بطبيعتها العفوية التي تأسر القلوب قائلة بمرح عاد إليها بسرعة :
- في البداية فقط لكنه أصبح لطيفا بسرعة ..
ردت السيدة بمزاح :
- اخبريني دون خجل لأني والدته و اعرف انه يصبح مخيف أحيانا ، لكنه غير مؤذي و الآن بعد أن عرفت الحقيقة استطيع الترحيب بك في عائلتنا جيّدا ، اسمك جميل بالمناسبة بل أنت بالكامل جميله ..
أهدتها ابتسامتها الخلابة و قد زال عنها أي شعور سلبي :

- شكرا لك سيدتي فـ....

قاطعتها قائلة بود محبب :

- لا لا أنا الخالة زينب ، اعتبريني بمكانة والدتك هنا ..

وجدت نفسها تقترب و تقبل وجنتها ببساطة تلقائية قائلة :

- يا لي من فتاة محظوظة إذن ..

❖❖❖

كبح تثاؤب ملح و قد بلغ به الإرهاق مبلغا كبيرا :

- حسنا أمي بما انك اطمأننت أن كل شيء على ما يرام الآن هلا سمحت لي ببعض النوم رجاء ..

رفعت كفيها قائلة بلا مبالاة باسمة :

- و من منعك حبيبي ؟! اصعد إلى غرفتك و افعل ما يحلو لك انه منزلك على كل حال أما نحن فسنغادر ..

لطالما كانت والدته قادة على الإطاحة بصوابه ، طار كل اثر للنوم مع تصريحها العجيب فهتف بعدم تصديق :

- المعذرة هل سمعت جيداً ؟! هناك حرف نون خاطئ في عبارتك بدلا من الألف ..

رفعت حاجبيها بتفكه و قالت ساخرة :

- عليك العودة لمرحلة التعليم الأساسي من جديد ، لفت نظرك حرف النون في " سنغادر" و أغفلت " نحن " بأكملها !

أصدرت صوتا مستنكرا قبل أن تكمل :

- حقا أنت نصف ناعس ..

ضيق عينيه بنفاذ صبر فوالدته تتقن فن الإغاظة عندما ترغب :

- أمي ، هلا كففت عن المزاح فانا مرهق حقا ..

تابعت القول بنفس الابتسامة :

- أنا لا امزح أبدا ، سأصطحب جيّدا معي للمنزل الكبير الآن ، الم تسمعني اتصل بوالدك و اخبره عن حقيقة نبأ زواجك !

مسد وجهه هاتفا بعنف :

- لا اله إلا الله ، هيا لأقلك إلى هناك أمي و غدا سنقوم بالزيارة ..

حركت رأسها نافية بعناد :

- تقلني !! على أساس أن منزلي الذي يفصله عن هنا شارع واحد بعيد ! اصعد للنوم يا فتى لمعلوماتك هي ليست زيارة بل ستقيم معنا ..

- مـاذا ؟!

تابعت دون اكتراث بتعبير وجهه المذهول :
- اجل فلا يصح بقائها هنا معك وحدكما ..
رفعت جيّدا حاجبيها بدهشة لكنها ظلت تراقب بصمت في حين انفجر مراد هاتفا بعدم تصديق :
- بالله عليك أمي إنها زوجتي رسميا ..
أشارت بكفها توقفه قائلة بصرامة :
- هذا هناك في العمل و أمام رئيسك و لكما الحرية في تصديق نفسيكما لكن عندي أنا الفتاة ليست زوجتك و لن تمكث هنا ، أما إذا أردت إكمال المسرحية فسيكون هناك في منزلي و أمام عيوني ، نقطة و انتهى السطر .
ثم استدارت إلى جيّدا قائلة :
- أما زلت واقفة يا فتاة ؟! اذهبي لجلب أغراضك في الحال ..
نظرت إليه لوهلة ثم أشارت بكفيها علامة أن لا حيلة لها و هرعت إلى الأعلى تنفذ ما طلب منها ..

❖❖❖

وضع الحقيبة من يده بعنف على الأرضية الرخامية الجميلة لمنزل عائلته الذي خلب لب الفتاة بجمال تصميمه و فخامته ..
الآن عرفت سر تصرفاته السابقة فهو سليل عائلة بالغة الثراء كما يصرخ كل شيء حولها بذلك ..
- لعلك راضية الآن أمي ..
أومأت برأسها قائلة :
- اجل كل الرضا ، و لا تعقد جبينك هكذا فانا لم افرض عليك مصاحبتنا ، عرف زوجتك على المنزل حتى اخبر عثمان عن وصولنا ..
ثم غادرت دون انتظار رده لكن مهلا ،
هل قالت زوجته !! الآن أمه هي من تقوده لفقدان صوابه بجداره ..
أشار لها بالتقدم إلى الردهة الشاسعة و العامرة بمفروشات غاية في الرقيّ بلا مبالغة ثم احتل احد المقاعد الوثيرة دون أن يتخلى عن عبوسه ..
جلست على آخر يشبهه قائلة بعبث :
- لا تنظر بهذا الشكل فلا شأن لي كما أن خالتي زينب محقة فهي لم تجبرك على الانتقال معي ..

حدجها بنظرة مرعبة عكست الظلمة الساكنة أحداقه و قد تكاثفت على نحو مخيف و أنقذها من تعليقه عودة السيدة بصحبة زوجها الذي كان نموذجا آخر للرجل التركي بسماته الخاصة ، الشعر الناعم و الحية الكثة مع الشارب ، ربما مراد سيبدو على هذا النحو بعد ثلاثون عاما أو يزيد ..

استقبله ابنه بتحية وافرة التقدير ، وجدته يميل بتلقائية مقبلا ظهر كفه بمودة ثم يتبع بأخرى على جبينه بينما الرجل يمنحه بركته مع ابتسامة حانية جعلت عيونه نسخة عن عينا الأصغر عندما تشع بالدفء ..

استدار مرحبا بها قائلا بلغتها :

- لو اخبرني احدهم هذا الصباح إنني سأقابل زوجة ابني ليلا لنعته بالجنون لكن النتيجة تروق لي جدا ، انك تذكرينني بزينب عندما رأيتها ..

احتقن وجهها بشدة لكن مراد تدخل سريعا و مد كفه يسحبها إلى جانبه قائلا بتملك :

- حسنا شكرا على المجاملة أبي ..

ضحك الرجل قائلا بمكر :

- هل جربت الآن شعوري عندما كنت تستحوذ على زوجتي ! يبدو أننا سنمرح كثيرا الأيام القادمة و بالمناسبة هذه لم تكن مجاملة ..

أدار عينيه في الفراغ مرددا بنفاذ صبر :

- يا الهي ألن تنتهي هذه الليلة ؟!!

لم يرحمه والده من تعليقاته حتى انشغل مع زوجته بحديث جانبي فمالت عليه سائلة بهمس :

- الم تخبرني أن لديك شقيقه ؟!

أومأ بالإيجاب فتابعت :

- أين هي إذن ؟!

ردد قائلا ببساطة :

- في غرفتها ، لاحقا سأصطحبك إليها ..

تعجبت من ذلك ، لكن متى كان ما يحيطها هنا طبيعي ! لقد ودعت كل ما هو مألوف في صالة سفر بلدها ..

❖❖❖

قبل أن يقودها إلى غرفتها التي اختارتها والدته في أقصى الجانب المقابل للرواق الموجودة به غرفته عامدة اصطحبها لمقابلة نرفين التي صار عندها فكرة عن زواجه دون تفاصيل تذكر فهي لم تهتم حتى بالسؤال !

دلف إليها بعد نقرة على بابها ليجدها في جلستها المعتادة أمام الحاسوب و كل شيء على حاله بشكل مغيظ ..

تقدم منها قائلا برقة :

- مرحبا نريفي ، كيف حالك صغيرتي ؟

تلقت قبلة شقيقها على وجنتها بآلية مرددة ببرود :

- بخير ..

وقع بصر جيّدا التي كانت تتبعه على الكرسي المدولب أمام الباب فارتجف قلبها ألما للفتاة الرقيقة ، ليته اخبرها أن شقيقته مقعدة ..

اقتربت منها قائلة بابتسامة :

- مرحبا أنا جيّدا ..

أشاحت الأخرى وجهها بإشارة صريحة لعدم رغبتها في تبادل التحيات و التعارف قائلة

- حسنا ..

تراجعت إلى الخلف و قد أدركت الرسالة لكنها تقبلتها بصدر رحب كما اعتادت أن تلتمس الأعذار لكل إنسان و لا تسارع بإصدار أحكام دون بينة ..

سارع مراد بإنهاء اللقاء و خرج معها تاركا نرفين مستمرة بالدوار داخل دوامة بؤسها

رفع عثمان حاجبيه بينما يراقب زوجته الشاردة أمام مرآتها ثم تحدث بنبرة مدركة :

- ستطيلين البقاء عندك زوزو !

التفتت إليه مجفلة ثم تقدمت منه ليفسح لها المكان إلى جواره على فراشهم الزوجي الذي جمعهم سنوات طويلة فأصبح يفهمها أكثر من نفسه فتابع :

- تعجبك الفتاة أليس كذلك ؟

أومأت قائلة ببساطة :

- اجل رغم قلة الوقت الذي عرفتها خلاله لكن الانطباعات الأولى لدي تصيب دائما ، و اعرف أنها تعجبك أيضا ..

وافقها ثم عاد يسأل مجددا :

- لأنها عربية ؟

أشارت بكفها و قالت باسمة :

- لنقل إنها ميزة إضافية لكنها تحمل داخلها شيء يجذب الآخرين إليها دون عناء كما أن ابنك يغار عليها ، رايته عندما تصرف مثلك دون أن يدري ! لم يكن يمزح بالمناسبة لقد اتقدت عيناه بذلك البريق المألوف و ظهرت غيرته واضحة الشيء الذي لم أره مع تلك الدمية نازلي

لا تظنني أراقب دون جدوى عزيزي إنها تؤثر به لكنه لا يعرف أو لا يريد الاعتراف بذلك لهذا أصررت على نقلها إلى هنا و ليكن بعلمك لقد أصبحت تحت حمايتي ..

قهقه بضحكات صاخبة مرددا بجذل :

- ليكن الله بعونك بنيّ ، ها هو سحر الشرق عاد يضرب من جديد ..

منحته نظرتها الخاصة التي لم تفقد تأثيرها رغم السنوات فأحاطها بتملك قائلا بحب حقيقي :

- بما أن المشاغب أصبح له ما يخصه الآن فليدع لي ما يخصني إذن ....

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

اطل الصباح فتيا صحوا موشحا بغناء العندليب الشجيّ ، قفزت الابتسامة لثغر جيّدا ترحيبا بساكن نافذتها الجديدة و الذي سيكون زائرها المستديم ، نهضت بنشاط و أزاحت الستائر الحريرية ليحلق بعيدا منتشيا بانطلاقة الحرية غمغمت برقة ترد تحية العصفور الصغير :

- و صباح سعيد لك أيضا يا صاحب الجناحين ، أشكرك لإيقاظي و سأنتظرك كل يوم

فكرت لوهلة في عادات رفاقها الجدد ، يا الله لقد مرت بالكثير منذ جاءت لهذه البلاد كأنها تعيش احدث مسلسل درامي من النوع المفضل لشقيقتها!

حسنا لا بأس لديها حديقة باهرة بالأسفل ستقوم باكتشافها بينما تعرف ما عليها فعله ..

أعدت نفسها بسرعة و بساطة ثم اصطحبت معها أغراضها الخفيفة مع دفتر الرسم بالطبع ..

توقفت باسمة تتطلع إلى نهاية الرواق الممتد ،

لقد اشتاقت لتذمره الصباحي عند إيقاظه لكنها الآن تخجل لمجرد الاقتراب من غرفته و يا للعجب تشعر هكذا بعد أن تشاركت معه غرفة واحدة !

سيصيبك الجنون في النهاية يا جيجي و سيكون مصيرك خلف جدران مستشفى الأمراض العقلية ..

مرت بغرفة نرفين فلفت انتباهها الإضاءة الواضحة من أسفل الباب ، هل نسيته أم تحبذ النوم في الضوء ؟ تلك الفتاة تثير حيرتها لكنها ترغب في التقرب منها ، بهذه اللحظة تذكرت حفصه و عائشة و كم كانتا عفويتين مرحبتين و قد جمعتهم أواصر الصداقة في دقائق معدودة ! ذكرت نفسها أن تهاتفهما لاحقا عندما ينتصف الصباح ، الآن سترى ما يخبئه لها القدر مع هذه الفتاة العابسة !

دقت على بابها بحذر خشية إيقاظها و عندما لم يصلها رد أطلت برأسها لترى الفتاة على حالها بنفس جلسة الأمس فدخلت هاتفة بدهشة :

- الم تنامي بعد ! امممم لهذا تتركين الضوء في حين اطل الصباح في الخارج و ملأ الدنيا بهجة ..

تقدمت بعفوية أمام ذهول الأخرى لتغلق زر الإضاءة الكهربائية ثم تزيح الستائر السميكة عن النافذة و تفتحها على مصراعيها ليدخل الهواء النقي مجددا الجو الخانق حولها ، سحبت نفس عميق قائلة بمرح :

- كيف تتركين كل هذا دون التمتع به ؟!

عندها نفضت نرفين دهشتها و نبذت الصمت ثم هبت عن مقعدها صارخة بعنف :

- أنت يا .. أيا كان اسمك كيف تسمحين لنفسك باقتحام غرفتي و التجول بها كما يحلو لك !!

ارتفع حاجبي جيّدا بحيرة بالغة و يبدو أنها لم تسمع حرفا مما تفوهت به الفتاة الغاضبة بينما تحدق بوقفتها الثابتة أمامها ..

- مهلا ، أنت بإمكانك الوقوف و السير ؟! لما هذا المقعد ذو العجلات هنا إذن ؟ لقد ظننت .....

عادت الأخرى للصراخ هاتفة :

- لا شأن لك بأي شيء يخصني ، الم تفهمي قولي ! اخرجي حـالا ..

عندما تحركت أمامها بثورة استطاع عقل جيّدا اللماح استيعاب كل شيء بلحظات فنظرت إليها قائلة بمشاكسة ذات مغزى :

- حسنا آسفة ، اغفري لي تطفلي على عزلتك الاختيارية كما يبدو ، لكن قبل أن اخرج اسمحي لي بسؤال واحد ، طالما أنت بهذه القوه و تجيدين الصراخ على فتاة مسكينة مثلي لما لا تتخلي عن هذا الكرسي لمن يستحقه و لا يستطيع توفيره ؟

قالتها و غادرت الغرفة دون انتظار إجابة تدرك أنها لن تحصل عليها بينما الأخرى تطلق شحنات غضبها بتمتمة عاصفة تصب فوق رأس تلك الفتاة العجيبة التي اجتاحت غرفتها دون سبب و لا دعوه !

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

أنهى خالد استعداده للخروج في الوقت الذي اقتربت ندى حاملة لانا التي ما أن رأت والدها حتى تعلقت بعنقه هاتفة باسمه فبادلها المزاح قائلا :

- مرحبا أميرة بابا ، أين قبلتي الحلوة ؟

عندها قربت فمها الصغير بتلقائية واضعة كفيها على جانبي وجهه كما اعتادت بعدها سأل ندى :

- أين عاصم ؟ ألم يستيقظ بعد !

حركت رأسها نافية :
- لا ، لقد ظل ساهرا أمام فلمه المفضل بعد أن أجبرني على الموفقة ..
تعالت ضحكاته و أشار لنفسه قائلا :
- انه شبل من ذلك الأسد ، لكن ماذا فعل ليقتنص الموافق ؟
أشارت بكفها شارحة :
- تحداني انه يستطيع إنشاء بريد الكتروني جديد باسمه فلم أصدقه ، لكنه فعلها ببساطة و بالطبع لم أتمكن من التراجع عن الاتفاق ..
غرق في موجة ضحك عاتية مرددا بمرح :
- أيعقل ندى ! كيف نسيت أن عاصم كان يستخدم الحاسوب قبل أن يتعلم السير ..
منحته ابتسامة صفراء قائلة :
- ها ها ها ، أتدرك انك تشبهه الآن يا لكما من متلاعبين ، أعطني ابنتي قبل أن تلتقط العدوى بدورها ..
ضحكت الصغيرة كأنها تستوعب ما يقال و بمجرد أن وضعها أرضا حتى انطلقت بسرعة الصاروخ خارج الغرفة تكمل لعبها ..
تقدم منها قائلا بعبث :

- ماذا قطرتي ؟ هل يضايقك أن يشبهني عاصم !
ردت بمشاغبة محببة :
- لا يضايقني لكنه مقلق فهو يسير على خطاك بشكل مرعب ، كيف سأتعامل مع محتالين دفعة واحدة ؟ ناهيك عن أميرتك التي تجيد الابتزاز بمهارة تحسد عليها ..
سحبها من خصرها قائلا بمكر :
- يا لك من مسكينة ستضيعين بين ثلاثتنا ، لكني هنا و قد أنقذك منهما شرط أن أحظى بقبلة أقوى من قبلة لانا الصاخبة ..
ضحكت قائلة :
- لا أظن انه يوجد أقوى منها فقد شكا الجيران أنها توقظهم من النوم ..
بادلها الضحك قائلا بمشاكسة :
- لا اقصد قوتها الصوتية قطوره ، أنت تفهمين قصدي ..
أحاطت عنقه قائلة بدلال :
- لا افهم ، وضح أكثر يا طبيب ..
لمعت عيونه بمرح و غمغم قبل أن يسحبها ناحيته أكثر :
- بهذه الحالة أفضل الشرح العملي ...

غابت كليا تحت وطأة عناقه الرجولي المتطلب الذي سلبها أنفاسها كما يفعل دائما ، الحاجة للتنفس كان لها دور البطولة بفض اشتباك الشفاه قبل أن يخرج عن السيطرة و تكون النتيجة تعديل جدول العمليات بأكمله ..

خرجت منها تنهيدة كادت أن تودي بتماسكه الواهي فردد محاولا استعادة قدرته على الخروج من دائرة المشاعر و العودة لرداء الطبيب المتعقل :

- حسنا عليّ التحرك الآن قبل أن يحدث ما لا يحمد عقباه و اضطر لمواجهة ثورة المرضى المنتظرين ، ماذا ستفعلين اليوم ؟

سحبت نفس قوي قائلة :

- أولا سأصطحب الطفلين لوالدتي ثم اتجه إلى منزل ادهم لأتابع عمال الديكور هناك و أخيرا سأذهب لزيارة أخرى ..

قطب حاجبيه قائلا بحيرة :

- لما لم تكملي ؟! إلى أين هذه الزيارة ؟

تراجعت خطوة للخلف قائلة :

- إلى منزل والدتك ، و قبل أن تعترض أنا بحاجه للحديث معها و إيضاح عدة أمور ..

مسد جبهته قائلا بإعياء :

- ندى ، لا داعي لذلك رجاء ..

قاطعته قائلة بإصرار :

- أرجوك حبيبي لا تقلق لن يحدث أي صدام ثق بي لكني سأوضح لها مدى حبي لك و كوننا لسنا بصدد التنافس عليك ..

ضرب جبينها بجبهته برفق قائلا بمرح :

- هذه الرأس يابسة جدا و لا تلين صحيح ؟

أومأت توافقه قائلة بعناد :

- اجل و لهذا تحبني ، هيا اذهب لعملك و لا تعطلني أكثر فلدي الكثير من المهام

أضاء وجهه بسعادة ثم لثم شفتيها سريعا قبل آن ينسحب مغادرا بصدر منتشي واثق بحسن تصرفها ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

لأول مره منذ عرفته تشعر جيّدا بإحساس الزوجة عندما يغادر زوجها ، فقد قطع استغراقها بنقل حوض الزهور الخلاب للوحتها اقترابه منها مرتديا ملابس غير التي ارتداها بالأمس فعلمت لما لم يجلب معه أي غرض ..

استقبلته ابتسامتها المذيبة التي اقتحمت أحلامه عنوه لكنه لن يقف عند ذلك الآن ، أسعده

ارتدائها لهديته لكنه ارجع ذلك إلى حجة التزامها بتعليماته و ليس أي سبب شخصي بالطبع :

- أرى انك تستمتعين بوقتك جيّدا ، آمل أن لا تشعري بالغربة في منزل عائلتي ..

ردت بصدق :

- بالعكس أنا سعيدة هنا و أفراد أسرتك رائعون معي ..

أومأ قائلا برضا :

- ممتاز ، سأغادر الآن ..

استوقفته قائلة بلهفة :

- لماذا ؟ إلى أين تذهب ؟!

ابتسم بخفة قبل أن يجيبها برقه :

- لدي عمل جيجي ، هل نسيتِ ذلك ؟ لهذا رضخت لرغبة أمي أفضل من تركك وحدك في المنزل لمعلوماتك أنا لا أقوم بأي أمر رغما عني ..

عادت تستوقفه و تسأل من جديد :

- و ماذا عني ؟ ألا يفترض بي فعل شيء !

حرك رأسه نافيا :

- حاليا لا ، اقضي يومك كما يحلو لك حتى إذا أردت الخروج لا مشكله طالما ترتدين هديتي ، لكن قبلها بالطبع ستتصلين بي و إذا لم تتمكني من الوصول إليّ اخبري أيا من والداي ...

لاحقا شهدت انصراف العم عثمان مبكرا بعد تحية دافئة لزوجته جعلت ابتسامتها تحتل وجهها ثم جمعتها طاولة الإفطار مع الخالة زينب وحدهما !

عندما استفسرت عن انضمام نرفين إليهما تكدرت ملامح السيدة و زفرت بألم لتقابلها نظره تشع براءة أطلقت لسانها لتخرج كل ما يجيش بصدرها في حديث ودي علمت منه الكثير حول الفتاة و اندفاعها المستمر نحو الاكتئاب مما كون لديها فكرة عن الطريقة المثلى للتعامل معها ..

بما أنها تريد الانفصال عن الجميع و عدم التدخل في شؤونها ستمنحها ذلك بكل سرور ، و لكن على طريقتها الخاصة بالطبع ...

شغلت فترة الصباح بأحاديث متنوعة مع السيدة حول العديد من الأمور أثرى معلوماتها و جعلهما اقرب لبعضهما ثم استأذنتها لتجري اتصال موسع مع عائلتها فقد كانت بغاية الشوق لوالديها و شقيقتها و أماني بالطبع ..

تفاجأت بتأجيل اختبارات سُلاف و آخر تطورات زفاف ابنة عمها القادم و قد ودعتهم سريعا لانشغالهم بالتحضيرات القائمة على قدم و ساق كما أجرت اتصال سريع بعائشة حتى لا تشغلها عن زوجها ، بمجرد تقديم تهانيها انتقلت لمحادثة طويلة مع حفصه التي أوصلت إليها تحيات العائلة كلها خاصة أمير شقيقها الصغير مما ذكرها بوقتها السعيد معه تلقنه قواعد الرسم بينما هو منتبه لها بكل حواسه ..

عادت إلى الخالة زينب لتجدها على أهبة الاستعداد للخروج فرددت بعفويتها المحببة :

- هل ستتركينني وحدي أنت أيضا !

لمعت عيون المرأة قائلة بمكر :

- من تقصدين بـ (أيضا) هذه يا فتاة ! لا أظن عثمان هو المعني بها لذا هيا اعترفي ..

أدفء قلبها نشوء هذا التقارب الامومي السريع بينهما لكن ذلك لم يمنع احتقان وجهها قائلة بحياء تجاهد لإخفائه دون جدوى :

- تشبهين زوزو خاصتي الآن ، فوالدتي تدعى زهره و تجيد تصيّد الأخطاء كما تفعلين معي أنا المسكينة الوديعة ..

خرجت ضحكة السيدة من أعماق قلبها بينما تأملتها مفكرة فيما تمتلكه هذه الفتاة لتكون قريبة من القلب لهذه الدرجة ، إن الضحكة لم تزرها منذ فتره توقفت عن عدها لكنها بعفويتها و رقتها الفطرية جعلتها تفضي إليها بمكنونات صدرها المتعب بل و خففت عنها بتلقائية مدهشة ، أجلت حنجرتها قائلة :

- اتركي المزاح و استعدي لتأتي معي إلى الجمعية ، لدي اجتماع مع الأعضاء و لا بد أن ناريمان تحلم بإدارته الآن و بالطبع لن اسمح لها

صدحت ضحكاتها العذبة قائلة :

- إنها والدة شاهين إذا لم تختلط عليّ الأسماء ، أليس كذلك ؟

أجابتها المرأة قائلة :

- بلى إنها صديقتي اللدودة ، لا نتوقف عن الشجار لكني لا أتخيل الحياة بدونها ..

أشارت الفتاة بعيونها للطابق العلوي قائلة :

- إلا يمكن اصطحاب نرفين ؟

أطلقت تنهيدة من قلبها قائلة بأسى :

- أخبرتك أنها لا تغادر غرفتها ..

وعدتها بصدق :

- سأجعلها تفعل و في اقرب وقت ..
اتسعت عينا زينب قائلة بتأثر :
- هل أجرؤ على الحلم بذلك ؟
انطلق بريق عيونها تردد بعزم :
- صدقيني أنت لا تعرفين كم أكون عنيدة عندما أرغب ، المعذرة لن استطيع مصاحبتك لان لدي خططا أخرى هنا ..
تجلت الحيرة في عيون السيدة فتابعت قولها :
- لا تقلقي و ثقي بي ، اعرف ما افعله لكن لا تتأخري حتى تنقذيني لو قررت ابنتك الشروع بقتلي ..

❖❖❖

كعادتها عندما تقرر أمرا تنفذ دون تأخير ، استطلعت التوقيت قائلة :
- امممم حسنا ، ربما لم تنم إلا في الصباح لكن يكفيها هذا القدر ..
ثم ركضت إلى غرفة نرفين و قد ذكرها ذلك بمراد ، كم اشتاقت إليه ..
دخلت ببساطة و أعادت فتح النافذة ليغمر الضوء المكان بالكامل بعدها اتجهت للفتاة المستغرقة بالنوم و قد أعدت نفسها للثورة القادمة ، هذا لو منحتها الفرصة بالطبع :

- هاي نرفين ، استيقظي الآن على الفور ..
هبت الأخرى جالسة و قد ظهر الفزع داخل عيونها المحمرة لعدم كفايتها من النوم و صرخت هاتفة بغضب :
- هل أنت مجنونه ؟! لا بل أنت هكذا بالفعل ، من أخبرك أن غرفتي مشاع للجميع يدخلونها كلما رغبوا ؟! ثم كيف تجرئي على إيقاظي !!
احتلت طرف الفراش بأريحية دون اكتراث بالعاصفة المتفجرة أمامها و الغافلة عن شبهها الواضح بشقيقها عند غضبه قائلة :
- ما هذا يا فتاة ؟ هل ترحبين بضيوفك هكذا ! ألا يكفي إنني عالقة هنا وحدي و لا أجد من يحنو عليّ ! كما أني خائفة و أردت الاحتماء بوجودك
عبارتها أيقظت شيء ما طال كمونه داخل نفس الفتاة التي سألت بفضول غلبها :
- ماذا تقصين ؟ الست زوجة أخي ! مما تخافين إذن ؟!
ادعت التأثر و رسمت على وجهها تعبير بائس قائلة بخفوت :
- لا اعرف ما عليّ فعله فانا غير مسموح لي بإفشاء الأمر و من الواضح انك لا تعرفين شيئا ..

اعتدلت الفتاة التي نسيت ثورتها الرافضة قائلة بحيرة تضاعفت :

- أي أمر ؟! من أنت ؟

أشارت بيدها لنفسها مرددة :

- أنا جيّدا ، مجرد ضيفة مؤقتة هنا ، أوقعت نفسي في ورطه جعلتني مهددة بالقتل و ترتب على ذلك زواجي بشقيقك بغرض الحماية و توقفي عن استدراجي لان مراد سيقتلني بنفسه لو عرف أني أخبرتك بحرف ، لكني أعاني الوحدة الشديدة و اشعر انك أهلا للثقة ، الست كذلك ؟

رفعت حاجبيها بريبة و فكرت لوهلة قبل أن تهتف قائلة باستنكار :

- هل يفترض بي تصديقك الآن ! لقد كنت محقة في انطباعي الأول بأنك مجنونة ، هيا غادري غرفتي و لا تعيديها ..

شهقت جيّدا التي أجادت تقمص دورها قبل أن تردد بينما تنهض من جوارها بأسف جلي :

- يبدو إنني أثقلت عليك فسامحيني ، أنت محقة لما عليك مشاركتي مأساتي ! أعدك أن لا الجأ إليك ثانية حتى لو ظللت وحيدة كليا ..

ثم استدارت تهم بمغادرة الغرفة و قد وضعت كل آمالها على استدرار مشاعر الفتاة التي تحاول طمسها جاهدة عن طريق ادعاء الضعف و قلة الحيلة الذي يجعل الأخرى في مرتبة أقوى و أكثر قدره و عليه استنفار فطرتها الإنسانية لتقديم المعونة لمن هو اضعف منها ..

استمرت بالتقدم نحو الخارج بخطى متخاذلة دون التفات للخلف حتى أوشكت على عبور الباب المفتوح عندها وصلها صوت الفتاة يستوقفها بخفوت لتطلق أنفاسها التي حبستها ترقبا خشية فشل خطتها ..

- انتظري ..

التفتت إليها بنظرة البراءة التي تجيد ترك أثرها في القلوب فتابعت نرفين قائلة :

- هل ذكرت الحقيقة فيما قلته ؟

أومأت بالإيجاب قائلة بسرعة :

- بالطبع و هل امزح في مثل هذه الأمور ! الم تسألي نفسك عن كيفيه حدوث هذا الزواج العجيب في الوقت الذي يرتبط فيه شقيقك بأخرى ؟

سألتها بدهشة :

- هل تعرفين عنها ؟!

حركت رأسها قائلة ببساطة :
- اجل و قابلتها أيضا (ثم جعدت انفها متابعة بخفوت) لا تخبري أحدا لكني لم أحبها
حكت نرفين رأسها قبل أن تقول ببطء :
- حسنا تستطيعين البقاء ، طالما لم تعجبك ناز فعلى الأقل أنت خارج معسكر الأعداء
اخفت إحساسها بنشوة الظفر بأولى مراحل خطتها ببراعة و باشرت بالثانية دون إبطاء ، شغلت نفسها بتفحص مجموعة الاسطوانات المدمجة المتراصة فوق المكتب الأنثوي عندما لاحظت حرج الفتاة التي تحركت على استحياء تتناول بعض الملابس مع المنشفة و تخطو باتجاه الحمام ، أيقنت أن هذه مشكلتها الحقيقية فهي لا تحب أن يراها احدهم بينما تسير لهذا لجأت للكرسي المدولب كوسيلة للاختباء ..
لفت انتباهها الصوت الصادر عن الحاسوب المفتوح و الدال على وصول رسالة ، كانت بطبيعتها تحترم خصوصية الآخرين لكن شكل الصفحة المحتلة الشاشة هو ما جذبها لتلقي نظرة سريعة على محتواها الذي لم تفهم اغلبه لأنه باللغة التركية بالإضافة لبعض المشاركات الانجليزية و الفرنسية التي كانت كافية لتفهم الفكرة العامة لمبادئ تلك المجموعة و مفادها التمرد على كل الأعراف المجتمعية و العيش بحرية تصل لحد الانفلات كما ترى من الصور أمامها و مظهر أصحابها الغريب ..
تركت كل شيء على حاله و أعطت ظهرها للغرفة بكل ما فيها لتستقبل لوحة الخالق البديعة في الخارج و تمنح نفسها بعض الصفاء الفكري لتهتدي إلى التصرف الأمثل وفقا لما رأته الآن ، لقد أزعجها و أثار خوفها على الفتاة فهي أشبه ببرعم فتي يكافح ليرى النور و يكابر بإظهار قوة لا يمتلكها و مثل تلك الأعشاب الطفيلية قادرة على وأد حياته بمنتهى ببساطة قبل حتى أن يدرك ..
عليها التصرف بسرعة و حرص حتى لا تنفرها منها كما الآخرين ، لقد أنشأها والديها لتكون إنسانة ايجابية تتحمل المسئولية و تجيد اتخاذ خطوات حاسمة عند الزوم و هذا ما ستفعله الآن بكل تأكيد فالوضع لا يحتمل أي تأخير ..
لمعت عيونها عاكسة بريق العزم بينما تستدير لمواجهة الفتاة التي غادرت حمامها للتو قائلة بعفوية مقصودة :

- لم تخبريني عن سبب وجود هذا الكرسي في غرفتك طالما منحك الله نعمة الصحة و القدرة على السير !

اكفهر وجه الأخرى فاشاحته قائلة بجمود :

- هل تدعين عدم الملاحظة ! حسنا إليك المفاجأة أنا معاقة ، تصوري !

لم تتأثر من نبرتها الهجومية و رددت ببساطة تتقنها عند اللزوم :

- أوه حقا ؟ غريبة تبدين لي بكامل عقلك !

حدجتها بنظرة تشبه الخاصة بأخيها عندما تتعمد ارتكاب ما يثير حفيظته هاتفة :

- ما به عقلي ! إنها ساقي و كفي عن المراوغة أو اتركي الغرفة ..

تركت حافة النافذة و اقتربت منها قائلة بجدية

- إنها الحقيقة عزيزتي لو سمحت لي بالطبع ، لو اعتبرت ما لديك إعاقة مع تحفظي لما تطلقينه عليها تكونين من هؤلاء الذين ينكرون انعم الله عليهم لأني أراك كاملة لا ينقصك شيء ، عقلك يجيد أداء وظيفته و إحساسك يعمل بكفاءة فلما السلبية ؟ من يظن خلاف ذلك يكون هو المعاق بطريقة تفكيره و عليك تجاوزه و المضي قدما لأجلك أولا ثم الآخرين ..

بادلتها نظرة ميتة ثم تقدمت وعقصت شعرها الداكن برباط أنثوي ملون قبل أن تتخذ مجلسها أمام حاسوبها النقال مرددة بلا مبالاة :

- أنا لا اهتم بالآخرين و افعل ما يحلو لي ، انه حقي و ليس لأحد الاعتراض أياً كان ..

ومض المكر داخل الأحداق التي احتلها عسل النظرات الشقية و باغتتها بفعلتها العجيبة عندما اقتربت منها و سحبت رابطة شعرها بغلظة دون اكتراث لتأوهها المتألم ثم التفتت و تناولت احد الأقراص المدمجة و ألقت به من النافذة و أخيرا صعدت فوق الفراش بحذائها و أخذت تتقافز عليه !

عجزت نرفين عن النطق لوهلة قبل أن تردد من بين أمواج الذهول :

- للمرة الثانية أتأكد من كونك فاقدة العقل

(ثم هبت من مكانها غاضبة و أشارت إليها ناهرة)

توقفي و انزلي في الحال لتخبريني لما قمت بتلك الأفعال الغريبة ؟! أنت غير طبيعية على الإطلاق

قفزت جيّدا عن الفراش قائلة ببراءة نظرتها المعتادة :

- ماذا بك ؟ لما غضبتِ ؟ أنا لم افعل غير ما أخبرتني به لتوك !

أشارت لنفسها هاتفة بدهشة :
- أنـا !!!
أومأت بابتسامة متسعة و قالت شارحة :
- اجل طبعا ، لقد مارست حريتي دون اكتراث بالآخرين ، أخذت رابطة شعرك لأنها أعجبتني و ألقيت بالقرص بعيدا لأني لا أحب نوعية الموسيقى به ثم احتفلت عندما رغبت بذلك ، أين الخطأ ؟ أليس حقي !
نكست الفتاة رأسها بخجل فتابعت جيّدا طرق الحديد و هو ساخن قائلة بلطف :
- هذا ما يحدث عندما نغفل عن حقوق الآخرين نرفع ، نؤلمهم و نجرحهم و يزداد الألم كلما كانوا اقرب ، اعتذر لأني جذبت شعرك و تصرفت مثل البلهاء ..
ترقرق الدمع بعيونها قائلة بغصة :
- أنا لم اقصد سوى الابتعاد ..
لم تعطيها فرصة للرثاء على الذات بل جذبتها إلى النافذة و جاورتها قائلة بقوة تثير الإعجاب :
- اليأس و اعتزال الحياة هو قمة الخذلان و ذلك بعيد عنا بعد المشرق عن المغرب يا فتاة ، نحن عرب مهما توالت علينا الخطوب و دب الضعف ينخر عظام هويتنا لا نستسلم بل نقاوم ببسالة و نعود أقوى و أكثر صلابة و إلا كان الأجدر أن أنهى حياتي بيدي طالما هناك من يستهدفني بالسوء بدلا من المقاومة و الانتصار ..
أنت تذكريني بعصفور وجدته ذات يوم ملقى داخل شرفة غرفتي ، رماه احدهم بحجر فكسر جناحه ، أتعلمين ماذا يمثل جناح العصفور نرفع ؟
انه حيـاته ..
سألتها بحزن عكس رقتها الداخلية :
- هل مات ؟

حركت رأسها نافية و تابعت سرد الحكاية :
- لقد حاولت تضميده بقدر استطاعتي و أخذته لأحد جيراننا كان طبيبا بيطري اخبرني صراحة انه لن يتمكن من العيش و عليّ إمداده بالماء و الطعام حتى يفرغ اجله ، لكن العصفور كان مقاتل حقيقي و رغبته في الحياة غلبت الخوف و الألم ، كنت أراقبه يوميا يحاول تحريك جناحه كأنه يقوم بالتمارين و شيئا فشيئا وجدته يرتفع داخل القفص و من وقتها لم يعد للأرض مجددا ..
لو كنت معي و رأيته عندما فتحت أمامه باب الحرية ليحلق منتشيا بانتصاره لما فكرت بهذا الكرسي مطلقـا ..
راقبت توالي الانفعالات على وجه الفتاة التي قالت بخفوت :
- ربما كان للعصفور ما جعله يتشبث بالحياة ليعود إليها ..
أشارت جيّدا للخارج قائلة :
- بالضبط و هذا شأننا جميعا ، انظري حولك و تأملي هذا الجمال الذي وهبه لك الخالق جل شأنه بينما أنت ترفضين الهبة و تغلقين عيونك عنها ، إنها ليست منظر جمالي فحسب بل ترسل أشارت لا يجيد الجميع ترجمتها ، راقبي الأشجار بروعة شموخها و هامتها التي تطاول عنان السماء تمنح الخير بسخاء ، الطيور المغردة كأنها تطلق نداءات الحرية و البذل دون انتظار مقابل ، الزهور برقتها و هشاشتها و عمرها القصير لكنها تعطي الأمل و تبهج النفوس فتترك انطباعات لا تزول ، و هذا النسيم الشقي الذي يحمل الحياة بين ذراته الغير مرئية لكنه إذا ثار يتحول لأعاصير لا تبقي و لا تذر ، كل هذا مسخر لنا فأي كائن عظيم نحن البشر !
يكرمنا رب الكون و صاحبه لكننا أحيانا نغفل عن طاقاتنا و ننكرها ، ها أنت خير دليل على ذلك ، كيف تنظرين لنفسك بدونية لأجل لا شيء ..
بادلتها النظر بحدة فتابعت دون مبالاة بانفعالها المتصاعد فهي تريده :
- اجل لا شيء ، إن ما تعانينه لا يعد قطرة في بحر مآسي الآخرين فكوني واقعية و كفي عن الشفقة على ذاتك ، ما هو الأمر العظيم الذي يعوقك !
مجرد عرج خفيف سيصبح من الماضي إذا أعملت

عقلك بايجابية و استخدمت الأحذية المناسبة بينما تفعلين العكس و تضخمينه باستخدام هذا المقعد التعس كأنك تضعين سهما اصفر من الحجم الكبير فوق رأسك لينظر الجميع للمسكينة المعاقة .. !

شهقت نرفين بعدم تصديق و استدارت صارخة :

- أنت فتاة وقحة ..

جلست على احد المقاعد قائلة بهدوء :

- لن اغضب منك لأنك تذكريني بشقيقتي سُلاف ، هي تشبهك في العناد و المشاكسة لكنها تخالفك في التعامل مع مشكلتها بعدم استسلامها لليأس ..

قطبت حاجبيها و تحرك فضولها من جديد قائلة

- مما تعاني أختك ؟

أجابت بتلقائية :

- تحب شخصا يبدو غير مباليا بها في الظاهر ..

حركت رأسها قائلة بادراك :

- حب من طرف واحد إذن ..

أشارت بالنفي موضحة بثقة :

- بل من كلا الطرفين لكنه غير مدرك له ..

قطبت حاجبيها سائلة :

- اهو لغز ؟!

ابتسمت و تابعت بمودة :

- كلا الأمر في غاية البساطة ، عمر نشأ معنا تقريبا و سُلاف كانت الأقرب إليه دائما ، لكن تكرار كونها أخته و مسئولة منه و عليه العناية بها وحمايتها و ما إلى ذلك من عبارات الأهل المعتادة ولّد لديه حاجز نفسي أمام تلك المشاعر الخاصة فنحاها عقله بعيدا و اتخذ وجهة مخالفة ظنها الأكثر قبولا ..

رفعت حاجبيها هاتفة باستنكار :

- هل أصبح يحبك أنتِ ؟!

نفت قائلة بقوة :

- بل توهم ذلك ، مشاعره الحقيقية لشقيقتي و الجميع يعلم ذلك عداهما فقط و الدليل تقاربهما السريع بعد سفري ..

عادت نرفين للسؤال باهتمام حقيقي أسعدها لنمو ذلك الرابط بينهما :

- اتظنينه سيكتشف ذلك سريعا ، أخشى أن تتأذى مشاعر أختك قبل أن يفعل ..

حركت رأسها قائلة :

- الم أخبرك إنها لا تستسلم ، فيفي مقاتلة قوية

مثل ذلك العصفور البطل ، أوه لقد تحدثت كثيرا حتى جف حلقي ، و أنت الم تشعري بالجوع ؟ هل تأتين معي للمطبخ نقوم بجولة ؟ صحيح أنا ضيفة مؤقتة لكن الخالة زينب منحتني الضوء الأخضر للتجول في هذا المنزل الشاسع ..

عندها أشارت نرين قائلة :

- انتظري سوف استدعي إحدى الخادمات تجلب لنا الطعام و العصير ، أنت لم تخبريني عن ظروف زواجك من مراد ..

أومأت بالإيجاب قائلة :

- حسنا لكن قبلها أود اطلاعك على شيء ، هل تسمحين لي باستخدام حاسوبك ؟

عندما فرغت من طلب الوجبة السريعة كانت جيّدا قد عثرت على ضالتها فقربت منها الشاشة لتبصر صورة لشاب اسمر هادئ الملامح تزينها لحية خفيفة مستلقي على ظهره و تبدو سمات الإيمان و الرضا ناطقة من خلجاته ، أسفلها مقال طويل ..

- انظري نرين هذا الشاب من بلدي مصاب بشلل رباعي لا يتحرك من جسده سوى إصبعين و مع ذلك انتصرت إرادته و برع في البرمجة على الحاسوب ..

نقلت عيونها فوق الأسطر بلهفة تلتهم الكلمات التي تشيد بعبقرية الشاب بينما لم تعطها جيّدا الفرصة للتعليق عندما انتقلت لصفحة أخرى قائلة :

- و هذا كان بطل العالم في السباحة ، و كما ترين مبتور الساقين ..

انتظري هذا ليس كل شيء هناك المزيد ، تأملي تلك المشغولات الرائعة الجمال ، إنها من صنع هاتين الفتاتين و هما بالمناسبة ولدن كفيفات لم تبصرن الحياة ساعة واحدة و مع ذلك حسهما الجمالي لم يبهت بل فاق رؤية الكثير من المبصرين ..

هل بعد ذلك ترين نفسك تعانين من شيء ! أدركت أنها أصابت الهدف بنجاح عندما اختفت نظرة العناد من عيني الفتاة و حل مكانها الخجل من نفسها ، أين هي من تلك النماذج البطولية التي تستحق أن يخلدها التاريخ !

عندها هتفت جيّدا بمرح :

- لديك كل الوقت لاحقا للتعرف على هؤلاء

الأقوياء فمنهم الكثير لكن الآن حان دور الموقع الذي تركته للنهاية ..

راقبت نرفين بفضول متوثب بينما تقلب في الصفحة الرئيسية لإحدى الشركات العالمية المتخصصة في صناعة الأحذية ذات المواصفات الخاصة التي يتعامل معها كل من يعاني خطبا ما في ساقيه أو قدميه ، سألتها جيّدا بحماس :

- ما رأيك بهذه التشكيلة ؟ هل تلاحظين أي فرق بينها و غيرها من الأحذية المعتادة ؟

حركت الفتاة رأسها نافية لتتابع الأخرى :

- هذا لأن المختصين يعملون على تعديلها من الداخل حسب متطلبات كل حالة ليظل المظهر الخارجي دون تغير ، هناك الأحذية الرياضية ، النهارية و الخاصة بالمناسبات ، كل ما عليك فعله هو إرسال تقريرك الطبي مع أرقام الموديلات المختارة و القياس عندها سيكون لك ملفا هناك و تستطيعين بعدها التعامل بشكل سلس و مذكور هنا أن الطلب يصل في غضون أياما قليله ..

عضت نرفين شفتها السفلية كطفلة تم اكتشافها متلبسة بالذنب قائلة :

- لم أكن أعلم ذلك ..

أشارت جيّدا قائلة بعبث :

- بل لم تهتمي لتعرفي فبالتأكيد طبيبك قد أشار للأمر لكنك أغفلته عامدة لانشغالك بتضخيم المشكلة حتى اقتنع عقلك بذلك فهو ليس سرا و إلا كيف عرفت به أنا !

❖❖❖

لاحقا تناولتا الشطائر معا بينما غرقتا بتصفح المئات من الموديلات المتنوعة و قد اختارت نرفين قائمة كبيرة غافلة عن عودة البريق المفقود من عيونها و الابتسامة تحتل شفتيها بشكل لم يحدث منذ سنوات ..

حاولت جيّدا سحب الحاسوب بعيدا هاتفة بجذل

- هاي ماذا بك يا فتاة ؟! هل نويت افتتاح متجر من قياس واحد ! لقد اخترت كمية كبيرة لدرجة أن الشركة ستحتاج لعام حتى تنجزها ، واضح انك سترهقينني معك ..

انطلقت ضحكات نرفين بشكل مفاجئ مما أبدل ملامح وجهها تماما و جعل اللون يتدفق إليه طاردا الشحوب بعيدا عن وجنتيها قائلة :

- حسنا ماما جيّدا ، سأكتفي بهذا القدر الآن

حتى لا أتسبب بإفلاس والدي ، الآن حان دورك اخبريني كيف صادفت أخي و استطعت انتزاعه من بين براثن نازلي المطلية !

رفعت كتفيها قائلة ببساطة :

- أنا لم انتزعه منها ، هي لازالت خطيبته كما دأب شقيقك اللطيف على قولها أمامي بكل مناسبة ، الأمر مؤجل لبعض الوقت فحسب ..

رفعت حاجبيها باستنكار مستاء هاتفة :

- مراد خاطب و متزوج بنفس الوقت ! ابدئي بالتفاصيل و إلا سأكمل اختيار مجموعة الأحذية ..

أشارت بكفيها هاتفة بذعر كوميدي :

- لا ، رفقا بمشاعري المرهفة ، سأخبرك بما حدث و طبيعة زواجنا الغير مكتمل لكن دون تفاصيل تخص عمل مراد فانا من الناحية الرسمية أعد مهمته الحالية ....

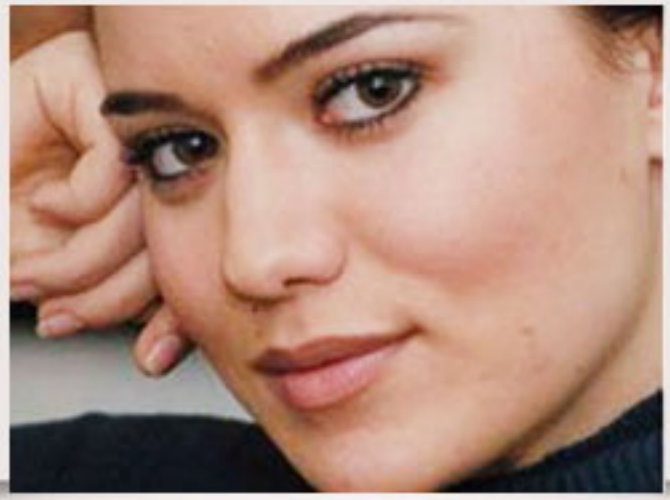

- يا الهي لأول مره أرى هذا الوجه منك ندى !

قالها ادهم بنظرات فخورة بشقيقته التي تجاوره داخل السيارة و قد اتصلت به ليقلها من منزل والدة خالد بعد ما انتهى اللقاء الذي مر دون خسائر في الأرواح لحسن الحظ ..

التفتت إليه و قد عكست عيونها اللامعة ببريق الفضة مقدار سعادتها بخطوتها الشجاعة لأجل استقرارها الأسري هاتفة :

- من شابهت أخاها يا سيد ، أكمل أنت المثل ، لقد تعلمت منك الاستماتة في الدفاع عن حبي و حياتي و التمسك بتحقيق أحلامي مهما كانت العقبات ، الم تفعل ذلك مع أماني !

أومأ قائلا بقوة :

- اجل و مستعد لفعل المستحيل لنجتمع سويا لكن الظروف مختلفة ، أنت متزوجة من خالد فعليا فما الذي دفعك للذهاب إلى والدته و مواجهتها بهذه الصلابة ؟!

أشارت بكفها قائلة :
- حتى تعلم بكوني جادة و لن أتهاون في المساس بأي شيء يخص عائلتي ، أخبرتها صراحة إنني لست زوجة خانعة سأتوارى خلف معتقدات بالية تاركة كل من يحلو له التدخل أن يفعل كما صارحتها بمشاعري تجاه خالد دون خجل لان من حقها الاطمئنان انه يحظى بالحب الذي يستحقه و كل هذا دون أي انفعال أو نبرة صوت زائدة كما لم اقلل من احترامها أو مكانتها في حياتنا ..
ضحك معجبا بشجاعتها قائلا بتقدير :
- و قد أتت الزيارة ثمارها ..
أومأت قائلة بحماس :
- نعم ، فهي سيدة قوية و أعجبها أن خالد لديه من يهب للدفاع عنه كما فعلت ، لقد عانقتني قائلة أنها سعيدة لزواجه مني في بادرة أولى من نوعها ، مازلت لا اصدق !
انطلقت ضحكاتهم السعيدة فردد مستبشرا :
- هذه هي فتاتي ، لذا تستحقين الاحتفال لكن قبلها لدينا مهمة ضرورية ..
اعتدلت سائلة باهتمام :
- ماذا ؟

- احتاجك لمساعدتي في شراء خاتم العرس و هدية الزفاف الـ.....

قاطعته قائلة بدهشة :

- لكن ألا يفترض أن تختارها أماني بنفسها ؟

أضاءت حدقتيه الداكنتين برسائل الغرام فور سماعه لاسمها الحبيب قائلا :

- لديها رؤية خاصة حول هذا الأمر ، برأيها أن الخاتم أو الهدية بشكل عام هي مفاجأة من العريس لعروسه و تعكس إحساسه بها فكيف تختار هي ما يفترض أن يفاجئها !

رفعت حاجبيها قائلة بمشاغبة :

- امممم نظرية تستحق الوقوف عندها ، حسنا سأنقذك من الورطة و أساعدك في الاختيار ، هيا بنا ..

تحرك إلى وجهتهما مغمغما :

- يا لك من حنونة ، هنيئا لخالد و ليعينه الله ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

- بالطبع مراد علينا تكثيف المراقبة هنا و إلا فقدنا المزيد من الخيوط و ذلك يعرقل كشفنا لرجلهم الجديد ..

قالها السيد ارسلان بينما يشير إلى منطقة بعينها فوق مخطط غريب الشكل مثبت أسفل منضدة زجاجية تتوسط اجتماعه مع الفريق الثلاثي ، مراد ، شاهين و صالح الذي أكد على صواب فكرته قائلا :

- هذا صحيح فكل الإشارات التي التقطتها مجموعتي تتفق بعد تحليلها أنها لنفس المصدر و إذا استمر الحال على ما هو عليه لن نتمكن من مواكبة سرعة تحركاتهم ، اليوم وفقنا بإحباط محاولة تفجير جديدة كانت ستخلف مئات من الضحايا ، لكن إلى متى ؟ تحديد شخصية الرأس الموجود بالداخل سيجعلنا نسبق خطواتهم كما كدنا نفعل قبل اغتيال السابق ..

علق شاهين قائلا :

- ماذا عن التقارير الموفدة من الخارج ؟ اعتقد أنها تضيق نطاق البحث فهم كل مره يختارون الشخص التالي بناء على سجل أعمال معين ، كأنها شفرة متفق عليها تتماشى مع الظروف السياسية لكل بلد على حدا ..

تناول منه مراد طرف الخيط و تابع :

- هذا صحيح ، لذا علينا مقارنة ملف كل من تصدر هذه المكانة في المنظمة و التدقيق بين الأسطر لإيجاد العامل المشترك ..

علق الرئيس قائلا :

- لاحظ أن من أهم سماته أن يكون منخرطا في المجتمع و متصل بأغلب فئاته لهذا لا نستطيع المجازفة بإطلاق الشبهات بهذه البساطة ، الطريق الأمثل هو البدء من القاعدة و اختراق الخلايا الأصغر وصولا لرأس التنظيم ، هذا هو الجانب الذي تعملون عليه الآن بينما الجانب الآخر و هو الأكثر حسما و فاعلية يعتمد على تحرك ذاكرة الشاهدة و التعرف على منفذين الاغتيال ، زوجتك مراد ..

أومأ بتفهم ثم نهض ثلاثتهم إشارة على نهاية الاجتماع بعد عبارة شاهين الأخيرة :

- نعم سيدي و سنعمل جاهدين بكلا الجانبين في نفس الوقت ..

ردد من خلفهم بهيبة منحتها له حنكة سنوات من العمل الدءوب :

- الله الموفق و المستعان ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

- الم تعد أماني من الخارج بعد !

وجه طاهر تساؤله لأحلام التي ردت بثبات :

- إنها في الطريق لا داعي للقلق ما زلنا مبكرا ..

أشار بكفه و هتف مستنكرا :

- لا افهم سر خروجها المتكرر بشكل أصبح شبه يومي ! ماذا تفعل تحديدا ؟

رفعت السيدة حاجبيها برفض تجيد التعبير عنه دون مواربة فهي و زوجها الذي يعمل مع السيد طاهر يعدان من أفراد العائلة لكنها آثرت المهادنة بهذه الفترة قائلة بهدوء :

- اتركها تفرج عن نفسها ، الفتاة لم تطلب شيء

زائد كما أنها مع ابنة عمها طيلة الوقت و ليست بمفردها ..

زم شفتيه قائلا بحنق :

- ألا استطيع قول شيء دون أن أحظى بمرافعة دفاع عن حقوق الإنسان ؟!!

رفعت رأسها قائلة بإباء :

- بلى حتى تتوقف عن ذلك و تترك فتاتي تستمتع بحياتها ..

قاطع وصلة الجدل المعتادة وصول المعنية دائما بالأمر محملة بالحقائب و الأكياس مما جعل السيدة تهرع إليها و تأخذهم بخفة لتواريهم في المخبأ المعد لتجهيزات الزفاف قبل أن يسأل والدها و يصر على رؤية ما ابتاعته ..

تقدمت بتحية باسمة :

- أهلا بابا ، هل تنتظرني ؟

أومأ قائلا :

- اجل حبيبتي ، اجلسي فلم يتسنى لنا مناقشة إجراءات السفر ..

جمدت قدميها في مكانها و سألت بريبة :

- المعذرة لكن أي سفر ؟!

أجابها بتلقائية :

- الم أخبرك عن سفري الوشيك ! ظننتك بدأت الإعداد ، أليست تلك المشتريات لهذا الغرض ؟!

ازدردت لعابها بصعوبة قبل أن ترد بتلعثم :

- لا ، اممم اقصد نعم ، اعلم أن أمور العمل تستدعي سفرك لكن لم أظن إنني ...

قاطعها قائلا بحيرة :

- انه أمر بديهي أماني ، منذ متى سافرت بدونك ؟!

خرج صوتها حادا رغما عنها :

- لكني لا استطيع ..

حدجها بنظرة استفهام قائلا :

- و لماذا ؟!!

فركت كفيها ببعضهما مرددة بارتباك :

- لعدة أسباب ، منها انك ستنشغل بالعمل و تتركني وحدي على سبيل المثال ..

أشار بكفه قائلا ببساطة :

- ذلك لفترة فقط لكن بعدها سنقوم بزيارة تركيا منها سياحة لقضاء وقتا ممتعا و منها نطمئن على جيجي الم تشتاقي إليها ؟!

اسقط في يدها لكن ما لبث أن عمل عقلها و أدركت انه أعطاها المخرج بنفسه فقالت باسمة :

- بالطبع اشتقت كثيرا لكنك أغفلت أمرا هاما بابا ، ماذا عن فيفي ؟ كيف اتركها بمفردها أنا الأخرى مع غياب شقيقتها ! ألا تعلم كم هي متعلقة بنا ؟

عقد حاجبيه بصرامة و خرج صوته حادا قائلا :

- ماذا يعني هذا ؟ تريدين البقاء هنا وحدك !

سارعت تهتف بالنفي قائلة :

- لا لا ، سوف انتقل لمنزل عمي بالطبع ..

أنقذها تدخل الخالة أحلام في الوقت المناسب قائلة :

- هيا إلى طاولة العشاء قبل أن يبرد ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

رفضت سُلاف دعوة أماني بالدخول معها حتى يتسنى لها الوقت بالعودة للمتجر حيث تركت ثوبها الجديد الذي ابتاعته لأجل الزفاف بغرض تعديل مقاسه و قد وصلت على الموعد الذي حددته لها المختصة لتجده جاهز و ينتظرها داخل حقيبته البلاستيكية ..

تأكدت أن كل شيء على ما يرام قبل أن تحمله متجهة للخارج بسعادة متخيلة رد فعل والدتها عندما ترى ثوبها الجميل ....

تحرك عمر من فوره بمجرد تلقيه اتصال أماني التي أخبرته عن وجهة سُلاف ، بحساب بسيط أيقن انه وصل قبلها و سرعان ما جاءه التأكيد عندما أبصرها تترجل من سيارة الأجرة و تدلف إلى المتجر الشهير أمامه ..

انتابه نوعين متناقضين من المشاعر ، رجف قلبه بلمسة حنان أيقظه رؤيتها التي حُرم منها و ثار غضبه لتجولها بمفردها و هي بهذه الروعة ..

ثوبها الليموني خطف بصره و قصته الوافرة الأنوثة سببت تسارع أنفاسه ، كيف تجرؤ على تعذيبه بهذه الطلة الفاتنة و براءة جديلتها الطويلة التي تتأرجح بشقاوة على ظهرها

انتظر بصبر بينما يمني نفسه بأنه سيقلها إلى المنزل و يتحدث معها أخيرا شارحا دوافعه ثم يعاقبها على استقلالها سيارة أجرة بمفردها و هو موجود ..

تنقلت خطواتها بمرح راغبة في الوصول للمنزل بسرعة البرق لكن مهلا هل ما تعكسه لها الواجهة الزجاجية صحيح ؟!

ضيقت عيونها بوعيد ، لقد فعلتها أماني إذن ! ستقتص منها حتما ، لا ريب أنها ستفعل ..

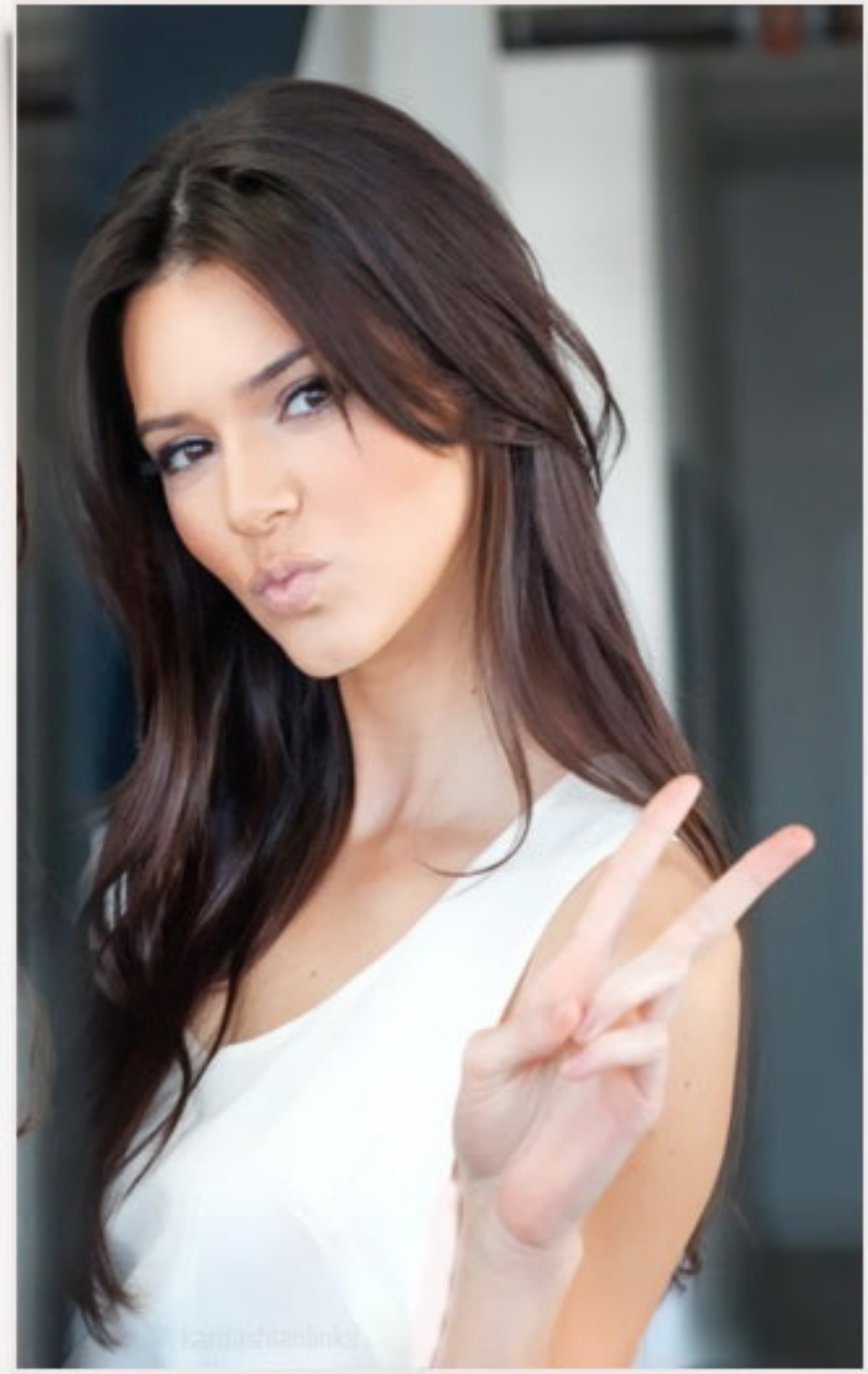

سارعت بالتواري خلف إحدى العارضات البلاستيكية أمام المدخل ثم انسحبت عائدة للداخل و عقلها يجتهد بحثا عن مخرج من هذا المأزق ، لن تكون سُلاف لو منحته الفرصة التي يظن نفسه فاز بها الآن ..

تقدمت منها العاملة قائلة باستفسار :

- هل حدث شيء آنستي ؟

ردت باسمة :

- لا اممم أريد تفقد قسم الملابس النهارية ..

قادتها بكل سرور عندها علمت سُلاف ما سوف تفعله بكل بساطة ..

اختارت سروال جينز اسود مع كنزة حمراء قانية قائلة :

- سأجرب هذه القطع ..

تألقت ابتسامة الانتصار على وجهها بينما تمسد نسيج الكنزة الناعم رغم دفئه ..

تركت غرفة القياس حاملة ثوبها و طلبت من البائعة لفه و استخراج فاتورة بما ترتديه و في طريقها للخزينة سحبت إحدى القبعات

الصوفية التي تجمع بين اللونين بأناقة
و إضافتها إلى قائمة المشتريات ثم ارتدتها
لتغمر رأسها كليا و تخفي جديلتها الحبيبة
أسفلها برحابة ..
بعدها حملت حقائبها و غادرت المتجر بكل ثقة
حيث استقلت سيارة أجرة إلى منزلها بعد أن
رمت ذلك المتململ أمام سيارته بنظرة ساخرة
بينما بالكاد تمكنت من عدم الانفجار ضحكا
خشية أن يلقي بها السائق للخارج ...

❖❖❖

تصاعد حنق عمر الكاره للانتظار ، تبا ماذا
تفعل بالداخل كل هذا الوقت ؟! ثم حسم أمره
بعد أن أوشك الملل على قتله و تقدم بعيون
تلهج بحثا عن اللون الليموني المبهج و الجديلة
المتأرجحة دون فائدة !
وأخيرا قرر تلبيه النداء الصامت لنظرات
العاملات حوله ، تقدمت إحداهن باسمة
استجابة لإشارته فبادر بالسؤال واصفا بغيته
فأومأت قائلة :

- اجل تلك الآنسة لقد غادرت قبل وقت ..
عقد حاجبيه قائلا بحدة :
- غادرت ! أنت أكيدة ؟
أجابت قائلة بثقة :
- اجل أنا لا انس الوجوه أبدا سيدي ..
خرج بخطوات تضرب الأرض غيظا بينما
يجري اتصال سريع بخالته التي أجابت تساؤله
العاصف قائلة :
- اجل سُلاف وصلت لماذا تسأل ؟
تابع قوله بحنق يتصاعد بخطورة :
- المعذرة لكن ماذا كانت ترتدي ؟
أجابته قائلة ببساطة :
- كعادتها لا تصبر على تجربة ثيابها
الجديدة لذا عادت بها ، لكن لماذا ؟
اعتصر الهاتف بأحداق تنفث اللهب :
- حسنا خالتي إلى اللقاء ..
ثم طحن فكيه فعليا بينما العصب على جانبيه

ينبض بجنون ، سيقتلها ، سيدق عنقها بيديه هاتين ..

أنا جيدٌ جداً .. إذا أحببتني
فتعلمي أن تفهمي أطواري..
من ذا يقاضيني ؟ وأنت قضيتي
و رفيق أحلامي ، و ضوء نهاري
من ذا يهددني ؟ و أنت حضارتي
و ثقافتي ، و كتابتي ، و مناري..
إني استقلت من القبائل كلها
و تركت خلفي خيمتي و غباري
أصغيرتي .. إن السفينة أبحرت
فتكومي كحمامةٍ بجواري
ما عاد ينفعك البكاء و لا الأسى
فلقد عشقتك .. و اتخذت قراري..

نزار قباني

نهاية الفصل

دمعات القمر

القطرة الخامسة عشرة

مرة أخرى تثبت جيداء الشرق أن لها سحرا رباني خاص تنثره أينما حلت سابية القلوب ، تاركة أثرا لا يمحى كالنسيم العليل عندما يرطب وجه الأرض القائظ رحمة بالبشر ..

انقضت فترة من الزمن نجم عنها تغيرات كبيرة على كافة الأصعدة ، قربت أناس و أبعدت غيرهم ..

احتضنها منزل السيد عثمان بين جدرانه بحنو و اعتبرها احد أفراده ، جمعتهم طاولة الطعام الواسعة .. الأب يحتل الصدارة تجاوره زينب مقابلها مراد ثم جيّدا التي تتقبل ملاحظاته الخافتة بينما لم يخفى ذلك على المرأة فهبت لدعمها قائلة :

- دع الفتاة و شأنها مراد ، أنا من اصطحبها إلى الخارج و أظنك كنت واضح في كونها تستطيع التحرك بحرية ..

أومأ بغيظ من تدخلات والدته التي تزايدت بشكل خانق كأنها نصبت نفسها مسئولة عن الفتاة التي تحمل اسمه كما يفترض :

- اجل أمي لكن بشرط إخباري و هي لم تفعل بالمناسبة ..

علقت جيّدا قائلة بذنب :

- حسنا اعتذر ، لن اخفي عليك لقد نسيت و اندفعت بالذهاب مع خالتي ، سأنتبه المرة القادمة

سكنت جمرات اللهب أحداقه ، ليتها ما بررت ، ألهذا الحد لا يشغل تفكيرها ! لما يعاني هو تشوش ذهنه و يجد صعوبة في التركيز على عمله ، تبا ..

قاطع كل ذلك الصوت الرقيق الذي صدح مضيئا الغرفة بابتسامة قلب الوالدين التي أشرقت كشعاع شمس طال حجبه خلف الغيوم المثقلة :

- مرحبا ...

تهلل صوت زينب ترحيبا بعودة طفلتها النائية هاتفة بشكل بعيد عن المبالغة كأنها تترك برجها و تنضم إليهم كل يوم :

- أهلا حبيبتي ، تعالي إلى جواري مقعدك مُعد بانتظارك ..

تقدمت بارتباك و توتر كأن عزلتها السابقة و طول صمتها قد أحاطاها بنوع من الغُربة لكن سرعان ما نال منها الدفء و غمر قلبها عندما لاحظت أن مكانها كان مُعد لاستقبالها حقا

و أدوات المائدة منسقة بترتيب أمام مقعدها الخالي كما دأبت والدتها أن تفعل كل يوم استعدادا لعودة عصفورتها الغائبة بعناد ..
أخذت تعنف نفسها .. كيف استطاعت إيلامهم بهذا الشكل !
لم يعلق احدهم عندما احتلت موقعها الذي اشتاقها بجوار والدتها رغم ثورة مشاعرهم الداخلية التي جاشت بقوة لتلك المفاجأة السعيدة و قد طال انتظارها و تعاملوا معها بطبيعية خشية إشعارها بالغرابة في حين عادت للطبيعية أخيرا ..
بينما جيّدا تلوح للفتاة التي توطدت علاقتها بها في الآونة الأخيرة بإشارة خفية قبل أن تعود بعيونها إلى الخالة زينب لتجدها تبادلها نظرات غشيها الدمع مع فيض من الامتنان و شفتيها ترسلان عبارة شكر صامتة ..
بالكاد سيطر عثمان على رغباته التي تحثه لاختطاف طفلته و إخفائها داخل أحضانه مدعيا ثباتا لا يملكه داعيا أن تصل صغيرته لشاطئ أمانها بسلام ..
شرد عقل مراد بعيدا و سؤال واحد يملأه ،

كيف تتمكن تلك الجنية ذات العيون الساحرة من فعلها كل مرة ؟!!
إنها أشبه بالربيع عندما يمر بلطف معيدا للطبيعة شبابها و نضارتها ، تحيل الجدب إلى بستان يشقه جدول رقراق و تشفي الصدور ..
هل يكمن السر في ابتسامتها الآسرة ؟ أم نظرة عيونها المغوية ببراءة لاهية ؟ أو لعله نابع من خفة و نقاء روحها ؟ بل هو سحر الشرق الكامن فيها عاكسا كل ذلك ..
- مـراد لما لا ترد أنا أحدثك !
انتفض على صوت والدته قائلا :
- مـاذا ؟ المعذرة لم أسمعك ..
رددت بحبور سكن روحها :
- حسـنا سأكرر و أمري لله ، كنت أتحدث عن جيّدا ، لقد مر وقت كافٍ وأصبح من الضروري أن نقدمها للجميع كزوجه لك بشكل رسمي لذا اقترحت إقامة حفل ندعو إليه الأهل و الأصدقاء للتعرف عليها عن قرب ، ما رأيك ؟
فكر لوهلة ثم أجابها قائلا بهدوء :
- لا بأس أمي ، لا مانع لدي ..
منحته ابتسامتها الراضية ثم التفتت لابنتها

بترقب آملة أن لا تواجه اعتراضا كبيرا على حضورها كما العادة :

- و أنت نرفي ؟

ردها جعلها تشك في مدى صلاحية أذنيها عندما قالت ببساطة :

- نعم ماما ، كأنه عرس متأخر و إلا سيتساءل الآخرين عن سبب زواجهم دون إعلان

أرادت أن تحثها على إعادة قولها ، هل هذه نرفين التي تتحدث ! أيا كان ما تبدل هي سعيدة بهذه الحالة الجديدة و لا تريد تغيرها ، هبت من مكانها هاتفة بحماس جعل ملامحها تتألق سعادة :

- إذن سأبدأ تحضير قائمة الاستعدادات على الفور ، سيكون حفلا كبيرا و جميل و بالطبع سوف تساعدنني يا فتيات ، أوه يا للروعة ، الحقوا بي إلى الصالون نشرب القهوة و نكمل الحديث ..

غادرتهم بخطوات مرحة استعادت الق الشباب و حيويته لينظر الأربعة لبعضهم ثم ينفجروا ضاحكين حتى نرفين التي أطلقت سراح روحها و سمحت لها بتجربة إحساس طالما كبتته دون وجه حق !

عندها نهض والدها و جذبها لصدره قائلا :

- تعالي هنا يا شقيه ، لن تعلمي كم اشتقت إليك طفلتي ..

راقبت جيّدا كل ذلك و الحنين يأخذها إلى والديها بمواقف أشبه بما تراه الآن و قد انشطر قلبها نصفين جزء هناك و الآخر يهفو لذلك المحتل جانبها و لا يشعر بها ..

مرت سحابة كدر عكرت داخلها عندما ذكّرت نفسها أنها لا تزيد عن مرحلة مؤقتة فُرضت عليه ، عابرة سبيل بحياته ربما تترك أثرا أو تمحوه الأيام كليا كأنها لم تكن !

قالوا أن الحب يأتي بلا استئذان
أو طرقات على باب القلب ..
قالوا لي أن الحب يكون كالإعصار
ينشأ في لحظات ليتعاظم
و يصبح جبار ..
قالوا أن العشق داء
و دواءه هو المعشوق و بغيره سيكون
الداء مرض عضال ..
قالوا و قالوا و أنا على كلامهم اضحك
و أردد ما بال هؤلاء الناس يترنمون

بآلام الحب و العشق !!
كيف للحب أن يكون سببا للحزن ؟
لم أدرك إنني سأكون في قلب الإعصار
أن اعشق عطره و نظرة العينين ..
و يخفق قلبي كرفرفة جناحي العصفور
بحضوره ..
و يكون هو بعيني كل الرجولة ..
و فارس الفرسان
آه آه أعشقه وهو لأخرى موعود
هو وجعي هو دائي هو دوائي
لا اعرف كيف و لماذا أحببته ؟
يا حبيبي القريب البعيد
اصرخ و بكل جنوني بحبك
بمنتهى الصمت الأليم
إنني احبـك
و لغيرك لن أكون
سأودعك قلبي الذي يأبى أن ..
يترك من يحب و اعتصم بجوارك
أصبحت وأضحيت و أمسيت
نبضا يذكرني بكل خفقة
إنني غيرك ما أحببت ..

بقلم / نداء الحق

ارتشفت زينب من قدحها الساخن ثم وضعته و أكملت حديثها دون التفات لصوت الجرس الخارجي الذي صدح مشيرا لقدوم زائرا ما :

- أتعشم أن يكون الجو مناسب يومها حتى أتمكن من إعداد الحديقة و تزينها للحفل ، سأتصل بإحدى شركات الخدمات لهذا الغرض و .....

قاطع حديثها الصوت الناعم الذي ألقى التحية يصاحبه نقر كعب حذاء مدبب بينما تتقدم نازلي بطلتها البالغة الأناقة من الجمع العائلي مضيفة باللغة التركية متعمدة تجاهل غريمتها :

- يا للمفاجأة يبدو إنني وصلت بالوقت المناسب ، هل تقيمون حفلا ؟

صمت الجميع و قد فاجأهم حضورها أو لعلهم تناسوها كليا في غمرة التطورات الأخيرة ، لقد استشاطت غضبا طيلة الفترة الماضية عندما علمت بانتقال مراد مع تلك الفتاة إلى منزل عائلته كأنها تثبت أقدامها أكثر داخل حياته و هذا ما لن تسمح به مطلقا

أول من قطع الصمت كان مراد الذي تقدم منها بابتسامة محايدة قائلا بالانجليزية :

- مرحبا ناز ، لقد أسعدنا وجودك ..
تناول كفها برقه لكنها لم تكتفي بهذه التحية العارضة و ألقت نفسها عليه بحركة بدت عفوية مقبلة وجنتيه بخفة سارع هو لإبعادها دون أدنى تجاوب و لكن بلباقة متجنبا مزيدا من الإحراج ..
إجابتها جاءت على لسان نرفين التي أدهشت الجميع للمرة الثانية في فترة قياسية عندما صدحت نبراتها تردد بثقة :
- اجل نقيم حفل زفاف متأخر لمراد و جيجي و أنت بالطبع مدعوة ..
تغيرت ملامحها بشكل ملحوظ لكنها سيطرت على انفعالها المتنامي ببراعة تحسد عليها ، سارعت زينب تردد بنبرات حكيمة :
- لما لا تجلسي نازلي أنت لست غريبة (ثم نهضت متابعة) سأوصى لك بالقهوة ..
شعرت بلهيب الغيرة يخرج من أذنيها و الجميع يراه بوضوح لذا اعتصمت بالصمت خشية فضح مشاعرها أو القيام بما يوسوس به عقلها فتسارع بركلها خارج المنزل بأكمله ..
وصلها صوت الخالة التي لاحظت ما يدور داخلها على ما يبدو قائلة :

- هلا أتيت معي جيّدا ، أريد رأيك فيما اعتزم فعله بالحديقة قبل الاتصال بالمنفذين ..
ذهبت معها دون كلمة تاركين السيد عثمان يدير الجلسة المتوترة بأحاديث متنوعة لبعض الوقت قبل أن يعتزم المغادرة بدوره قائلا :
- عفوا يا ابنتي مثل ما قالت زينب أنت لست ضيفة ، لدي بعض الأعمال الضرورية و يجب أن أغادر الآن (ثم التفت لابنه الذي بدا مسيطر على نفسه و غير مبالي بما يحدث و تابع قوله) مراد أريد استشارتك بأمر لن يستغرق أكثر من خمس دقائق ..
صاحبه قائلا بود عميق :
- بالطبع أبي ..
انتهى بها المقام مع الفأرة المعقدة إذن ! لا بأس من بعض التسلية حتى عودة مراد ، انتقلت لأحد المقاعد القريبة منها واضعة ساق فوق الأخرى قائلة بعجرفة :
- لا افهم سر هذا الاهتمام كله بتلك الدخيلة كـ.....
قاطعتها نرفين بثبات و نظرة تراها للمرة الأولى أكسبتها روح جديدة غير معتادة منها حيث نهرتها قائلة :

- إياكِ و التمادي ، لن اسمح لك بالتطاول على صديقتي و التي هي بالمناسبة زوجة أخي و من يعترف بها الشرع و القانون ..

رفعت حاجبيها بدهشة ثم رددت بنبرة ساخرة :

- أوه ، ماذا أرى ! منذ متى أصبح للقطة الصغيرة مخالب ؟!

جارتها في السخرية بكفاءة فاجأتها هي نفسها قائلة بتهكم :

- منذ نبت للدمى الملونة ألسنة و صارت تتحدث

هبت من مكانها قائلة بغضب :

- تأكدي أن مراد لن يرضى باهانتي ..

رفعت نرفين إحدى حاجبيها قائلة بعبث :

- أوه حقا ؟ لا أنصحك بذلك فهو بالتأكيد لن يسمح باهانة زوجته في المقام الأول ..

هتفت بثورة متزايدة :

- توقفي عن ترديد ذلك ، هي ليست زوجته أبدا و لن تكون ..

تابعت الأخرى بابتسامة مغيظة :

- إذا كان تكرار ذلك يفيد أنصحك به لكن من الواضح انك بحاجه لمهدئ أعصاب عزيزتي

(ثم اقتربت قائلة بتأكيد) هي زوجته و الجميع سيكون شاهدا على ذلك في الحفل القادم ،

الم تفهمي بعد أيتها المسكينة ! ماما تحبها و ترغب أن تكون كُنتها ..

ثم نهضت و تحركت للخارج بخطوات معتدلة مختالة بنجاحها في الاختبار الذي أعدته لنفسها و قبل بلوغها باب الغرفة عادت تلتفت إليها قائلة باستفزاز :

- استرخي عزيزتي فلونك أصبح قرمزي و العبوس يسبب التجاعيد المبكرة ..

أكملت طريقها تاركة خلفها الأخرى غير قادرة على استيعاب ما حدث للتو ، تأكلها الثورة مع الذهول لتلك المواجهة التي لم تتخيلها مطلقا

أخذت نرفين طريقها إلى حيث والدتها و جيّدا ، لكنها توقفت أمام مرآة المدخل الضخمة التي عكست صورتها بالكامل عندها رقص قلبها سعادة لما شاهدته أمامها ..

نظرة واثقة لفتاة نضرة خلعت رداء الدونية الذي لفت نفسها به مع ثوبها الكئيب و اختارت تنورة قصيرة بلون الحياة أبرزت رشاقة ساقيها الخاليتين من العيوب عكس ما كانت تظنه وفقا لوسوسات و هواجس جثمت على أنفاسها طويلا و احتكرت أفكارها حتى كادت تقضي عليها ..

انتقلت عيونها لحذائها الجديد بكعبه المرتفع و رباطه الأنيق المحيط بكاحليها الرقيقين ، شعرت بالامتنان و السعادة تتدفق داخلها فقد بدا جميلا بتصميم حديث ، معالجته الطبية عوضت قصر ساقها اليسرى عن اليمنى بروعه و سلاسة فوقفت باعتدال زاد من ثقتها الوليدة التي استمرت في تغذيتها الأيام الماضية حتى قويت و صارت فتية و ها هي نجحت في تحجيم تلك المغرورة بمنتهى البساطة ..

اتسعت ابتسامتها بينما تتحرك يمنة و يسار تتفقد طلتها بطريقة لم تفعلها من قبل ثم أزاحت إحدى خصلات شعرها الداكن لخلف إذنها لتعاود الانزلاق من جديد كأنها فرحة بإطلاق سراحها أخيرا و لم تعد تطيق الأسر أعلى رأسها في تلك العقدة الرهيبة ، لطالما كان شعرها ناعما أملس يسعى لمعانقة كتفيها بترحيب مشتاق ..

أبصرت بطرف عينها شقيقها يصطحب ناز إلى الشرفة فجعدت أنفها اشمئزازا من حركاتها المكشوفة بالتمسح به و قُربها المتعمد منه مغمغمة بخفوت مسموع :

- عديمة الحيـاء ...

سأكـون أنـا ..
سأنتزع تلك العصابة عن عيني ..
وأطالب بحقي في مملكتي
لن اصبر حتى يضيع حلمي مجددا
ولن اسمح لأيا كان أن ينتزع روحي متعمدا
سأحارب الماضي إذا لزم الأمر
و ألون بفرشاة الحياة مستقبلي ..
سأصرخ مطالبه بحقي في حياتي
و أقدم المرافعات عن أحلامي ..
سأضع قوانين جديدة لعالمي
و احكم مملكتي بشريعتي ..
سأكون أنا و ليس نسخة من احد
و سأحظى بحريتي حتى و إن طال الأمد
و غدا سيكون من نصيب فرحتي ..

بقلم / الساحره الصغيره

❖❖❖

تنفس مراد الصعداء عندما تحركت سيارة نازلي مغادرة أخيرا بعد وصلة عتاب و لوم نالت من أعصابه ختمتها بالبكاء و اتهامه انه لم يعد يحبها ، يا الله كأن حياته ينقصها المزيد من التعقيـد ..

استمع لصوت عقله يتعالى و يجادله : اعترف إنها محقه مراد فأنت حتى لا تذكرها و لم تشعر بأي تلهف أو توق تجاهها ! لما أصابك الضجر من البقاء برفقتها اقل من ساعة واحدة بينما لديك استعدادا لقضاء أيام بطولها تستمع لمزح و تعليقات جيّدا بل و تتمتع بمشاغباتها الطفولية و إثارتها لجنونك ؟!

قفزت ابتسامة تطلق دفء عينيه لمجرد تذكرها ، يا لها من فتاة تحيل العالم لمكان يشع بهجة و براءة ..

اهتز الهاتف في يده مظهرا صورة رفيقه صاحب الشذرات الزرقاء الوامضة فأجاب على الفور قائلا بفضول :

- مرحبـا شاهين ، لما تتصل على هذا الرقم ؟!

وصله صوت الآخر قائلا بتلقائية :

- لأنه اتصال شخصي ليس متعلقا بالعمل ، لم أرك اليوم و أردت الوقوف على أخبارك

لمعت دكنة عينيه بضحكات مكتومة قائلا بمرح:

- آه يا صديق ، كنت بحاجة للدعم الثلاثي قبل برهة ، ناز كانت هنا بزيارة ودية للعائلة و عليك تخيل ما حدث ، أردت من صالح التدخل و تشفير الحوار ..

بادله الآخر ضحكاته المرحة قائلا من بينها :
- يا لك من مسكين ، لهذا القانون التركي لا يعترف بالزيجة الثانية رغم إقرار الشرع حفاظا على حياة الرجال ، لكن لما لست حانقا و تتحفني بتذمرك الآن يا ترى ؟!
تابع مراد بنفس البشاشة :
- لأني سعيد ، فاليوم أخيرا رأيت نرفين بالصورة التي يجب أن تكون عليها ..
تراقصت دماءه لوقع اسمها المربك لقلبه و صدحت أوردته بهدير الشوق الذي تعدى كل الحدود بمراحل مرددا أحرفه بترنيمة عشق أزلية ، أخيرا أجلى حنجرته محاولا التحدث بنبرة لا تفضحه قائلا بغموض يخفي تلهفه :
- لما ؟ ماذا حدث ؟!
تابع مراد ببساطة غافلا عن ما أصاب صديقه :
- هناك شيئا تغير بها ، كأن روحها هبت من جديد مودعة نظرات الضعف و الاستكانة و قررت المواجهة ، لن تصدق حتى تراها ..
انتهز شاهين الفرصة بل الأصح تشبث بها فهو يائسا لرؤيتها و مستعد للنضال مقابل لمحة واحدة ، فقال بترقب :
- حسنا لما لا ؟ أنا ادعوك مع جيّدا و نرفين لسهرة في المكان المعتاد ، نحن بحاجة للترفيه من وقت لآخر و لم نفعلها منذ فترة ، ما رأيك ؟
هتف مراد باستحسان و قد راقه الأمر :
- أوافق بالطبع و اتصل أيضا بصالح و رُقية ، سيرحبان بالانضمام إلينا ..
سارع الآخر بالرد جذلا :
- اتفقنا ، موعدنا الغد سأنتظركم عند السابعة
أنهى الاتصال بعد تأكيد الموعد و اتجه مباشرة للتجمع النسائي المستمر بالثرثرة حول الطاولة الخارجية في الحديقة متأملا جمال و سحر الليلة الدافئة آملا في استمرار ذلك الإحساس الذي يغمره ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

لم يدري أيا من أفراد الجهتين البعيدتين أن الصباح التالي سيجمعهم في مهمة واحدة ، التسوق ..
فقد اصطحبت زهره أماني و سُلاف بجولة شرائية لاختيار أثاث المنزل الجديد وسط مرح و ضجيج الأخيرة التي استمرت بمشاكسة ابنة عمها كعقاب لم ينتهي بسبب إفشائها مكان تواجدها لعُمر تلك الليلة ..

- أريد هذه الغرفة ، تبدو جميله بتصميمها الانسيابي ..
قالتها أماني مشيرة بسعادة لإحدى غرف الطعام المتراصة بأناقة داخل صالة المعرض الشاسعة ، منحتها زهره نظرة استحسان بينما سبقتها سُلاف بتعليقها المستبد :
- لا بل الأخرى التي تحمل نفس التصميم لكن دون هذه اللمعة ، لم أحبها !
رفعت أماني حاجبيها هاتفها بدهشة :
- لكنها تعجبني ..!
وضعت كفيها فوق خصرها بمشاغبة معتادة هاتفة :
- و أنا قلت الأخرى أجمل أيتها الواشية ذات اللسان الطويل ..
علقت والدتها بملامح متعجبة :
- يا الهي ماذا افعل بك هل أكمم فمك ؟! اتركي الفتاة تختار ما يروق لها و كُفي عن التدخل بكل صغيره و كبيرة أو الأفضل اتركينا و عودي للمنزل ، افرضي شروطك عندما تختارين لنفسك بعد عمر طويل ، هذا لو وجدت رجلا يمتلك عقلا داخل رأسه و يوافق على الاقتران بك

حركت رأسها قائلة بإغاظة لكلتيهما :
- و لا كأني سمعت شيئا و سنأخذ الغرفة الأخرى التي اخترتها ..
تبادلت أماني نظرة يائسة مع زوجة عمها في حين تركتهما سُلاف و أكملت الجولة دون اكتراث ...
على الجانب الآخر كانت زينب تقوم بنفس الدور مع نرفين و جيّدا لكن لاختيار أثواب مناسبة للحفل القادم بالإضافة لرداء يليق بدعوة شاهين لان حقيبة سفر جيّدا لا تحتوي على هذا النوع من الملابس فكل ما جلبته كان أطقما مريحة تناسب جولاتها السياحية فحسب تراقص قلبها طربا لرؤية ابنتها تمارس حياتها بطبيعية و تعتني بأنوثتها كما يفترض بفتاة في سنها ، منذ زمن بعيد لم تتشاركا هذه الاهتمامات أو تتبادلان المزاح بهذه الأريحية ..
اتفقت الفتاتين في سلاسة الذوق الخالي من البهرجة و التكلف لذا كانت الجولة مريحة و ناجحة حيث تم الاختيار بوقت قياسي بعدها اصطحبتهما السيدة إلى قسم الإكسسوارات و أدوات التجميل لابتياع ما تحتجن إليه ..

فاجأها مدى استمتاع نرفين بالجولة كأنها طفلة أطلقوها داخل متجرا للألعاب ، أخذت تتفقد كل شيء بتسلية حماسية ، تجرب القبعات و القلائد بينما التعليقات المرحة منطلقة تزينها الضحكات ..

آخر قسم اتجهن إليه كان للمنتجات الجلدية حيث ابتعن عدة حقائب ثم استغرقت جيّدا في استعراض الأحذية لاختيار ما يلاءم ثوبها الجديد ، شاركتها نرفين باهتمام مما جعل الأخرى تردد قائلة بعبث :

- ماذا تفعلي ! أنت بالذات لديك مخزون يكفيك لعشر سنوات قادمة ..

ضحكت الفتاة التي ودعت حساسيتها و أصبحت تتقبل المزاح بصدر رحب قائلة بمرحها الذي أضفى عليها جمالا فوق الجمال :

- و رغم ذلك سأشاركك الاختيار ، لقد صار انتقاء الأحذية من هواياتي المفضلة

ثم أشارت لموديل جميل ذو كعب مرتفع و مرصع على الجانب بأناقة و تابعت :

- ما رأيك بهذا لسهرة الليلة ؟

حركت جيّدا رأسها نافية بينما أشارت لآخر ذو عنق طويل قائلة :

- بل أفضل هذا لان الثوب قصير ..

رفضت الأخرى مرددة بعناد :

- كلا ، اختياري هو الأفضل و سيكون أكثر ملائمة لتصميم الثوب الذي لن اسمح لك بإفساده ..

❖❖❖

لاحقا في المنزل تناول ثلاثتهم الغداء وحدهم لان السيد عثمان و مراد كانا في الخارج ثم أوت الفتاتين لغرفتيهما من اجل الاستعداد للدعوة ..

تأملت نرفين محتويات خزانة ملابسها بشرود لا تنكر كونها سعيدة و غاب عنها شعور الكآبة الذي غرقت به و اقتنعت بنفسها أكثر لكن هذا لم يساعد في إبعاد خشيتها من لقاءه خاصة بعد آخر اتصال بينهما ..

لا زالت غير قادرة على التخلص من تأثير إحساسها السلبي تجاهه ، هي تحاول التعامل معه كصديق لشقيقها لكن كلما نظر إليها بهاتين العينين الفريدتين يصيبها الدوار و تستمر تردد نفسها بإلحاح أنه لا يقصد و الأمر لا يعدو أكثر من شفقه على حالها ..

الليلة ستريه أنها لم تعد تلك المسكينة ،

اجل سوف تستطيع فعلها حتى يحتفظ باهتمامه لنفسه فهي لست بحاجته ، و ظلت تكرر كأنها تطبع العبارات داخل ذهنها :

- سترى نرفين الحقيقية سيد شاهين ، استعد للمفاجأة ...

طرقت أسماعها نقرات شقية على بابا غرفتها فهتفت باسمة :

- ادخلي جيجي ..

أطلت برأسها قائلة :

- هل أعطلك ؟ استطيع الذهاب للرسم فأغراضي معدة و لم يتبقى سوى ارتداءها ..

أشارت إليها قائلة :

- بل تعالي و اتركي الفراشيّ ترتاح ، ألا تملين الرسم طيلة الوقت ! أنا أيضا أعددت كل شيء ، سأقوم بغسل شعري فقط ..

أغلقت الباب خلفها ثم جلست فوق الفراش بأريحيه قائلة :

- كيف أمل من عملي و هوايتي المفضلة ! بالمناسبة أنت لم تخبريني عن دراستك ..

رفعت كتفيها قائلة ببساطة :

- لقد درست القانون لكني لم أحبه ..

رفعت جيّدا حاجبيها هاتفة بدهشة :

- لم أتخيلك من هذا الجانب أبدا ، لما لم تبدلي التخصص إذا ؟!

قلبت شفتيها قائلة بأسف :

- وقتها كنت فاقدة الرغبة بعمل أي شيء و لا امتلك هدفا فلم اكترث لما ادرسه ..

أومأت الفتاة بتفهم فهي تعرف قصة ذلك الطبيب الوغد التي بدأت معها مرحلة الإحباط و اليأس قائلة :

- حسنا دعي الدراسة جانبا ، ما الذي تحبين فعله غيرها ؟

لمعت عينيها قائلة بجذل :

- سأخبرك لكن لو ضحكت سوف أضربك ..

أشارت جيّدا بالنفي فتابعت الحديث :

- لطالما أحببت البيع و الشراء ، في المدرسة كنت دائما أفضل لعبة السوق و آخذ دور البائعة ..

شردت الأخرى لوهلة ثم انطلقت قائلة بحماس

- عظيم جدا و مفيد أيضا فانا بحاجتك ..

رفعت نرفين حاجبيها باستفسار جلي قائلة :

- كيف ؟!!

منحتها ابتسامتها التي لا ترد قائلة :

- تعلمين بكوني عالقة هنا لفترة لا اعلم مداها لذا لن أظل عاطلة عن العمل ، صحيح مراد منحني بطاقة ائتمانية مع حرية كاملة بالتصرف لكنني غير راضية عن هذا الوضع ، و بالمناسبة لا تخبريه عن قولي ذلك حتى لا يطيح برأسي ..

أشارت بكفيها قائلة بحيرة :

- لا زلت لم افهم مقصدك ..!

تابعت قولها بشرح أكثر إيضاحا :

- بمنتهى البساطة سنكون شركة معا ، أنا ارسم اللوحات و أنت تتولين بيعها بما أني لا اعرف الأماكن و لا أجيد اللغة ، بعبارة أخرى سأعينك مديرة لأعمالي يا فتاة ، هيا افرحي ..

قذفتها الأخرى بإحدى الوسائد ثم ما لبثت أن عانقتها هاتفة بفرحة غامرة :

- يا لها من فكرة رائعة ، لقد أحببتها إليك عرضي ، لن أتقاضى منك أجرا بعد بيع أول لوحة إنما بعد الثانية لن أرحمك ..

صدحت ضحكات جيّدا قائلة :

- اتفقنا ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ومض بريق الإدراك داخل الأحداق التي ذاب فيها الأخضر مع العسلي و احتلت ابتسامة ماكرة شفتيها المغريتين الذي زادهما الملمع إغواء بينما تراقب نظرات شاهين التي انسكبت على نرفين دون هوادة رافضة الإشاحة عنها واشية بمشاعر ليست حديثة العهد أبدا ، هتف عقلها يهنئها على دقة الملاحظة أو ربما هو حدسها الأنثوي الذي يجيد التقاط ذبذبات الغرام ..

مال عليها مراد قائلا باستفسار :

- ماذا هناك ؟

كانت غافلة أن نظرات زوجها الذي يجاورها لم تحد عنها بالمقابل ، فهو منذ أبصرها قادمة بصحبة شقيقته المتأنقة ضربته صاعقة داخلية و أراد إعادتها للداخل غير راغب أن يراها الآخرين بهذه الطلة المُعذبة ..

ثوبها بدا بسيطا بتصميم اقرب للطفولة ذو تنورة قصيرة متسعة تنتهي عند ركبتيها بعناد لأعصابه المستنفرة لكنه منحها أنوثة و فتنة فطرية ..

وجد عيناه ترفضان طاعته و تتمردان على أوامره بعدم النظر و البحث خلسة عن الشامة المخبئة بحرص كأنه بات يتوق لرؤيتها من جديد ..

عندها رحب بارتدائها المعطف السميك فوق ذلك الرداء المحتال ، لكن ماذا يفعل الآن بعد أن صاروا بالداخل و قد منحته ببساطة لتلك الفتاة المختصة بحفظ معاطف الرواد ؟

أجلت حنجرتها لتجيب تساؤله بهدوء :

- لا شيء ، فقط سعيدة بهذا المقهى الجميل ..

و كانت صادقة فمن أول وهلة دلفوا إلى القاعة المزينة بأضوائها الملونة و قابلها صوت كوكب الشرق تدندن بعذوبة مالئة الأجواء بعبق النغم الأصيل أدرك نظراتها المتسائلة فأوضح شارحا أن المكان يمتلكه رجل عربي و قد حرص على إبراز هويته فذاع صيته و صار ملتقى لكثير من أبناء الجاليات العربية كما يرتاده السياح و الأتراك على حد السواء ..

وجدت انه يستحق الشهرة فقد تم الاعتناء بكل تفصيلة داخله و توفير سبل الراحة خاصة عندما بدأ عزف الألحان الناعمة التي انسابت بكل ركن دون صخب منفر حرصا على عدم الإزعاج أو مقاطعة الأحاديث الدائرة ..

انهمكت نرفين بحديث جانبي مع رُقية التي تعرفت عليها للمرة الأولى هذه الليلة فتدخلت جيّدا قائلة بمشاكسة :

- يا لثرثرة الفتيات التي لا تنتهي ! ماذا و لم يمر على تعارفكما أكثر من دقائق ؟!

رفعت رُقية حاجبيها قائلة :

- يا الله لقد بدأت الغيرة ، لما لا تهتمين بزوجك ! فنحن مازلنا متفرغات ..

صدحت ضحكة نرفين الناعمة ملقية بتعليق مماثل بينما هناك شخصا ضربته الصاعقة مع انطلاق تلك المعزوفة التي دغدغت روحه بشكل لم يسبق له مثيل ، ليتها تعلم بمدى عذوبة ضحكتها التي تعد خطرا على سلامته القلبية و العقلية معا ، كأن طلتها التي أخرسته ليست كافية لإصابته بانهيار عاطفي شامل ، الم يخبرها احدهم أن ارتدائها اللون الأبيض يعد جريمة دولية !

عـذرا صغيرتي ..
فلا خلاص مني حبيتي
أقولها لك صريحة أنت لي يا حلوتي
فدعي العناد عنك فلن ابتعد يا مهجتي
سأهد عالمك الذي بنيت و انشأ آخر بفرشتي
سابني لنفسي صرحا في أروقة قلبك المعتم
و أشعل مصباح حبي لينير دربك المظلم
و أدفئ نظرات عينيك بوله مشاعري
فعذرا حبيبتي ..
لا خلاص مني صغيرتي ..
سأعيد تعليمك أبجدية عشقي المتيم
و أخبرك بكل جديد عن عالمي و موطن
سأعيد تشكيل قلبك ليصبح على قياس معصم
و أسقيك الحب عمدا من شهد منابعي
و اخبر العالم اجمع انك حبيبتي
و لن احلق بعيدا عن حور عينيك
فعذرا صغيرتي ..
لا خلاص مني حبيبتي ..
اصرخي كما تشائين و قولي انك تكرهين
فقلبي صم آذانه و لن يسمعك تستنجدين
افعلي ما تشائين يا حلوتي فلن اكترث لما تشائين
فبحق من زرعك بداخلي ستكونين أنت زوجتي
و سأكون أنا كل ما تريدين
لذا عذرا صغيرتي
لا خلاص مني حبيبتي

بقلم / الساحره الصغيره

ضربات قلبه الأحمق باتت تهدد بالعصيان و الاعتصام المباشر أمام ذلك الكيان الرقيق المتسربل بالنقاء رافضة أي خيار عدا إعلان انتمائها له و أن الأبيض القادم سيكون لأجله ، مطالب محددة لا رجوع عنها أو تفاوض .. ليتها فقط تنظر إليه فعينيه تحملان لها حديث عشق مطوّل تقف أمامه الأبجديات عاجزة ، هيا مليكتي البيضاء استقبلي رسائلي ..

عاد إلى عالم الواقع مجفلا على أثر لكزة من كوع صالح الذي همس إليه ناهرا :

- كف عن ذلك أيها الأحمق ، لو لاحظك مراد ستودع عينيك الزرقاء للأبد ، لقد ألهيته بما فيه الكفاية بينما أنت غائب عن الوجود بتأمل شقيقته ، من هذه اللحظة سأنفض يدي منك و أدعو خطيبتي للرقص و ها قد أبرات ذمتي من دمك ..

علم من ابتسامة جيّدا المائلة أنها اكتشفت سره أيضا و هو لا يريد أن يعلم مراد بهذه الطريقة ، من يراه الآن لن يصدق انه نفس الرجل الصارم الذي تهتز لاسمه منظمات إرهابية و بؤر إجرامية لتأتي هذه النائية عنه بعناد و تجعله أحمقا متيم تم ضبطه بالجرم المشهود ، يا لك من عاشق ميئوس منه ..

❖❖❖

تناولوا عشاء شهي مكون من أطباق عربية مختارة و معدة بعناية وسط أحاديث متنوعة دارت بينهم ..

انطلقت نرفين مع صالح في حديث مرح حول أحدث إصدارات الألعاب الالكترونية التي تعشقها

و قد انبهرت عندما اكتشفت مشاركتها الطاولة مع احد امهر مبتكريها ..
ردد مراد بمشاكسة عابثة :
- مهلا نرفي ، يكفي إطراء عزيزتي لن نتمكن من محادثته فيما بعد و سيكبر رأسه عندها سوف تسقط نظاراته الحبيبة ..
تعالت الضحكات الصاخبة تعطر الأجواء بينما شاهين هو من لكزه هذه المرة في ساقه قائلا من بين أسنانه بخفوت :
- ذكرني أن أقتلك لاحقا ، حذار من الحديث معها أكثر و اهتم بخطيبك و إلا سأفقد صبري
رفع صالح حاجبيه بتفكه قبل أن يرد بهمس مماثل :
- طالما تصاحبني في الأماكن العامة عليك الاعتياد على حياة المشاهير يا صديقي ، ماذا افعل بالمعجبات ! لا استطيع أن أكون فظا بالطبع ..
ردد الآخر بغيظ حقيقي :
- أتدري ، لن انتظر و سوف أدق عنقك الآن لتكون شهيد المعجبات أيها اللطيف ..
بالكاد كبت صالح ضحكاته قائلا بمرح :
- حسنا حسنا لا داعي للعنف ، لكن ماذا لو وجهت إليّ الحديث ، أشير برأسي أو ماذا افعل ؟

أنقذه من الرد الذي لن يعجبه بالتأكيد صوت جيّدا الرقيق تردد بعفوية :
- الم تغريكم تلك النغمات بعد ! رُقية لما لا تقتنصي الفرصة و تخطفي خطيبك الدائم الانشغال ، و أنت شاهين لا تخبرني انك لا تجيد الرقص ، ألا ترى الحسناء الجالسة أمامك !
هيا نرفي أنت لم تتركي الطاولة منذ وصلنا ، هل تمانع مراد ؟
عبارتها جعلت قلوب تتسارع و عيون تتسع و حيرة تندلع ..
التفتت لها نرفين بنظرات متوعدة بينما مراد صمت لوهلة و بدا عليه التردد و كادت غيرته الشرقية على شقيقته تتغلب لكنه حجمها بصعوبة موجها نظرة ذات مغزى تحذيري واضح لصديقه قائلا باقتضاب :
- لا بأس إذا رغبت هي ..
سارع شاهين بقطع الطريق أمام اعتراضها الذي يسره لها شقيقها و نهض متجها إليها مباشرة مادا كفه بابتسامة مطمئنة لمراد المتحفز فلم تجد بدا من التحرك معه بعد ضربة مستترة ليد الفتاة الباسمة ببراءة ألبستها رداء الحمل الوديع

و مع غياب صالح و رُقية خشيت من سؤال مراد القادم فبادرت تشتت انتباهه عما قامت به لتوها قائلة :

- الم أخبرك ! سوف نعمل أنا و نريف سويا .... بالفعل نجحت محاولتها كما ألهته عن مراقبة كل شاردة تصدر عن شاهين بحديث دار في اتجاه مخالف تماما لما يدور هناك بين أزواج الراقصين ..

❖❖❖

همست رُقية مشيرة برأسها إلى الزوج المجاور قائلة :

- هل ما اعتقده صحيح ؟

ابتسم صالح و غمزها مجيبا :

- اجل ، دعينا نراقب هل سينجح الصقر أم يعود للطاولة خاوي الجناحين ....

كادت تخونها خطواتها و تتعثر مثل نبضاتها المبعثرة تحت وطأة ومضاته الليزرية اللافتة ، يا الهي تذكري يا فتاة أنت قويه و لست بحاجة لتعاطف أيا كان نوعه ..

سحب شهيقا عميق يملأ رئتيه من الهواء العبق بدفء قربها ، لا يصدق أن زهرة الياسمين التي أرقته باتت بين يديه أخيرا ، صحيح بالكاد يمسها فهو يخشى عليها حتى من نفسه لكن ذلك يعد نعيما خالصا بعد القحط الذي حكمت عليه به طيلة الفترة الماضية ، يكفي أنهما يتشاركان ذرات الأكسجين نفسها ..

- حسنا ! ألم تقرري محادثتي بعد ؟

اجفلتها نبرات صوته الاجشة برجولة طاغية و لامستها عيناه بمداعبة حميمة أثارت الرجفة بحواسها البكر ، كل الأسلحة التي شحذتها لم تؤهلها لذلك فقالت باندفاع :

- لا أرى أن هناك أي حديث مشترك بيننا ..

رماها بابتسامة ساحرة سببت انعقاد معدتها قائلا :

- لا داعي للقلق من هذه الناحية ، استطيع خلق واحد ببساطة لكن كنت بحاجة لمعرفة أني لا أزعجك كالسابق ..

أيقنت انه يلمح لتصريحها لكنها لن تعتذر له بالذات ، عليه تركها و شأنها و الاكتفاء بدميته التافهة شيري ، ردت بفظاظة تناقض رقتها البادية :

- إذا لم تكن تلاحظ لقد تغيرت و لم اعد اكترث لمن يحاول إزعاجي بل أرده إليه مضاعف ..

أسبل أهدابه بمكر استوطن خلفهم ، ربما تأثيرها عليه يربك مشاعره لكنه يظل صقرا و الاقتناص هو مجاله :

- بالتأكيد لاحظت انك مللت الاختباء و قررت إماطة اللثام عن شخصيتك الحقيقية

أضاءت عيونها بصواعق الليل قائلة بحدة خافتة:

- و ما أدراك بشخصيتي ! ألا زلت تحاول رد المعروف لشقيقي ؟

دمدم بغضب متصاعد :

- ما يحدث مع صديقي لا شأن لك به ، تأكدي انك خارج اللعبة تماما و أني اعرف عنك أكثر منك لكن إذا أردت معرفة ذلك عليك النضوج قبلها ، عندما تخلعين ثوب التفكير الطفولي كما فعلت مع الآخر الخاص باليأس و الخذلان أخبرك ..

الآن هيا حتى أعيدك لأخيك فقد اكتفيت ... من الرقص .

ثم سحبها من كفها بغلظة دون مبالاة بتأوهاتها المعترضة على معاملته الخشنة التي لم تعتادها و قد أدرك انه حانت اللحظة ليعمل بنصيحة الخالة قدريه ، بالنهاية الحكمة و خبرة السنوات تعرف أكثر ..

على الجانب الآخر التقت العيون المستطلعة بنظرة حائرة و سألت رُقيه :

- برأيك ماذا حدث ؟

رفع صالح كتفيه قائلا بعدم فهم :

- لا اعرف ، الأمر أشبه بتماس طريف السلك الخطأ ، عندها تحدث صدمة و ينقطع التيار .. سحب مقعدها بتهذيب بارد ثم تركها عائدا للجانب المقابل و تبادل حديث رجولي مع مراد بينما هي أخذت تحرك ساقها بعصبية راغبة برميه بكل محتويات الطاولة ، لكنه لم يمنحها الفرصة و تجاهلها كليا كأنه يتبادل معها الأدوار عامدا ..

سألتها جيّدا بقلق :

- ماذا بك يا فتاة اهدئي ؟ ستقتلينه بنظراتك !!

التفتت إليها نافثة اللهب :

- نعم هذا ما أريد فعله بالضبط ..

رفعت الأخرى حاجبيها قائلة بتفكه :

- لما ؟ ماذا فعل ؟!

أدارت عيونها بحنق قبل أن تجيبها لكن بصرها وقع على ما جعلها تعض على نواجذها هاتفة بسخط :

- أوه لا ! هذا ما كان ينقص حقا ..

لم تفهم جيّدا قصدها حتى التفتت تستطلع ما أزعجها لتصطدم عيونها بكتلة الغنج و الوقاحة المدعاة نازلي تتقدم ناحيتهم مختالة بعرض ثوبها الفج الخالي من الذوق ..

اتجهت مباشرة إلى مراد دون أن تعير الآخرين أهمية لتلقي عليه تحيتها المعتادة عامدة ترك أثر احمر شفاهها على جانب وجهه قبل أن تضع حقيبتها الصغيرة فوق الطاولة بإشارة واضحة لنيتها بالبقاء :

- مرحبا حبي ، هل تأخرت عليك ؟

قطع صالح همساته الرومانسية المتبادلة مع خطيبته عندما أبصر ما يحدث عند الرفاق قائلا:

- يبدو أن الليلة تأبى الرحيل دون خسائر بالأرواح ، هلمي حبيبتي لإنقاذ ما يمكن إنقاذه تبادلا تحية محايدة مع ناز الملتصقة كالغراء بمراد بينما ذهب صالح لجلب مقعدا بديلا عن الذي احتلته ..

ران صمت دخيل على أفراد الطاولة في حين لم يكفوا عن الصخب قبل قليل ، حاول شاهين ترطيب الأجواء فعرض الرقص على جيّدا من باب التهذيب و تحويل انتباهها المسلط على صديقه بنظرات اقل ما يقال عنها أنها قاتلة ، لكن الرد جاءه مباشرة من مراد قائلا بعصبية :

- إنها لن ترقص سوى معي شاهين ..

رد الآخر مشيرا بلباقة :

- آسف مراد ، لم اقصد أي تطاول ..

أومأ قائلا بتفهم :

- اعلم يا صديقي ..

عندها اندفعت جيّدا تردد بحنق بالغ :

- هاي أنا هنا بالمناسبة و لا اسمح أن يتم تجاهلي ..

حدجها مراد بنظرة بركانية قائلا من بين أسنانه :

- و ماذا كنت تريدين يا آنسة زوجتي ؟ إذا أردت الرقص فللأسف أنا هو الخيار الوحيد أمامك ..

زمت نازلي حاجبيها بغضب لكن سبقتها جيّدا التي شهقت هاتفة :

- لم أكن سأوافق ثم انه ليس شأنك من الأساس كما لن ارقص معك و لا تحلم بذلك حتى ..

ضحك قائلا باستخفاف :

- حسنا فهمت ، أنت لا تعرفين الرقص ..

ضيقت عيونها هاتفة بنبرة إجرامية :

- بل اعرف و أجيده كما لن تثير غيظي لأهرع بالإثبات لك لأنك لا تعني لي شيئا ..
تجمعت سُحب الغضب بأفق عينيه الداكن لكن قبل أن ينطق قررت نازلي التدخل عندما هبت من مكانها هاتفة بميوعة :
- حبيبي يكفي هذا الجدل الذي لا فائدة منه و هيا معي ، أغنيتنا الخاصة تنادينا ..
جذبته من كفه ففضل مصاحبتها متعجبا من قولها فهما لم يسبق أن تشاركا شيئا من هذا القبيل ! لكنه أفضل من خنق تلك المتنمرة عقابا على ما تفوهت به ..
لم تكتفي بذلك بل ألقت بنفسها على صدره رافضة الانصياع لمحاولة دفعها عنه و لو قليلا بينما عقدت ذراعيها حول عنقه بإصرار على تعكير صفو غريمتها السارقة كما تطلق عليها ..
أصبحت جيّدا هي من تحرك ساقها بعصبية متنامية الآن و العصب النابض على جانبي فكها يشي بما يعتمل داخلها من ثورة ..
زفرت نرفين قائلة باستياء :
- يا لها من وقحة ..
ردت جيّدا بعيون تكاد تطلق الرصاص على الثنائي أمامها :
- بل شقيقك هو الأكثر وقاحة عزيزتي بدعوته لها و لن أمررها له ..
ثم هبت عن مكانها بتهور ليستوقفها شاهين مستفسرا برجولة :
- إلى أين ؟!
مال ثغرها بابتسامة متلاعبة قبل أن تقول بغموض :
- سأحظى ببعض المرح بدوري ، ألا يحق لي !
تقدمت من الفرقة الموسيقية دون اكتراث لنظرات مراد الناهرة و مالت على قائدها هامسة ببعض الكلمات على أثرها أومأ الرجل بسعادة ثم أشار لأفراد فرقته بطريقة معينة تبعها تغيير إيقاع اللحن الهادئ إلى نغمات شرقية ذات توزيع بديع مبهج للحواس
بناء عليه تفرقت أزواج الراقصين بنظرات متسائلة تاركين الساحة خالية أمام تلك الفاتنة التي جسدت كبرياء الأنثى بوقفتها الشامخة ..
لم تمنح مراد الفرصة للاقتراب منها كما قرأت برسائل عينيه العاصفة عندما بدأت شدوها العذب بإتقان و براعة سمرت قدميه في مكانه و قد فاجأته من جديد .. !

عيناك ليالٍ صيفية
و رؤىً و قصائد وردية
و رسائل حبٍ هاربةٌ
من كتبِ الشوق المنسية
عيناك ليالٍ صيفية
و رؤىً ..
و رؤىً و قصائد وردية ..

سحرت الجميع بجمال صوتها الناعم
و تحركاتها المنسابة في المساحة الخالية
بينما تلاحقها العيون بشغف معيرين إياها
الأسماع و القلوب ....

من أنت ؟
زرعت بنقل خطاك الدرب
وروداً جورية
من أنت ؟
كالضوء مررت ،
كخفق العطر ،
كهزج أغانٍ شعبية
و مضيت شراعاً يحملني
كقصيدة شمس بحرية
لوعودٍ راحت ترسمها
أحلام فتاة شرقية
عيناك ليالٍ صيفية
و رؤىً ..
و رؤىً و قصائد وردية
يا حبيبي ..

ضاع مراد و ارتبك و لم يعد يعي ما يتوجب عليه فعله ، يضعها فوق ركبتيه و يصفعها ؟ أم يعانقها حتى تتقطع أنفاسها ؟ أو الأجدر به أن يخفيها بين أضلعه مانعا تلك الأعين المتربصة من الوصول إليها ..

لكنه كلما حاول الاقتراب منها تشير برأسها بدلال رافض فتضج القاعة بالهتاف المجنون و قد اشتعلت الغيرة داخل صدور الرجال الذين فهموا أنها توجه رسائل الشوق لهذا الرجل صاحب العينان الصيفية ...

من أنت ؟
و سحرٌ في عينيك
يزفُ العمر لأمنية
لكأنك من قمر تأتي
من نجمة صبح ذهبية
من أرض فيها شمس الحب
تعانق وجه الحرية
و أنا في العمر مسافرة
و معي عيناك و أغنية
عيناك ليالٍ صيفية
و رؤىً ..
و رؤىً و قصائد وردية
عيناك ليالٍ صيفية ..

نزار قباني

اعتصرت نازلي كأسها بحقد حتى كادت تكسره و قد لاحت في عيونها رغبتها أن تكون عنق تلك الفتاة مكانه بين يديها ..

أخيرا انتهت القصيدة و تقدم منها قائد الفرقة يحيها بإعجاب واضح و قد تعالت الأصوات تطالبها بأغنية أخرى لكنها لم تجد الوقت لإجابة أيا منهم حيث انتزعها مراد من مكانها ساحبا إياها خلفه و بالكاد مر برفاقه مزمجرا بخطورة حاسمة :

- اجلبا نرفين و الحقا بي ..

ثم أكمل طريقه نحو الخارج غافلا عن تلك التي ضربت قدميها في الأرض بغل قاتل و قد نسيها كليا ، تبا لقد فاض الكيل و أصبحت هذه الوقحة شوكة بخاصرتها و عليها الخلاص منها بأسرع وقت ..

رفضت نازلي عرض شاهين لإيصالها بفظاظة و غادرت تصاحبها أعاصير غضبها بينما مط الشاب شفتيه بلا مبالاة و أشار لصالح أن يقل رُقيه و هو سيتكفل بباقة الياسمين التي خُلقت لتكون مشكلة حياته و مصدر بهجتها ..

❖❖❖

ألقى بها داخل السيارة بقسوة دون التفات لصراخها الرافض فهو بالكاد يسيطر على نفسه بينما تراوده رغبة خنقها بيديه للمرة التي لم يعد يحصيها بهذه الليلة ..

لقد استبد به إحساس بدائي عنيف حد التوحش هناك عندما انصبت كل الأنظار عليها و لمعت العيون بالإعجاب الصريح و التمني لمن تكون زوجته و تخصه هو، وحـــده ..
احتل مكانه بعنفوان و عندما تجرأت و حاولت التحدث التفت إليها محذرا بحدة :
- اخرسي الآن جيّدا ، لمصلحتك لا أريد سماع صوتك نهائيـا ..

❖❖❖

قادها إلى الخارج بصمت مطبق ثم ادخلها لسيارته بمنتهى الكياسة و تهذيب مغيظ قبل أن يتلفت و يتخذ مكانه دون كلمة أيضا ! تحرك لعدة أمتار تحملتها بالكاد بعدها التفتت إليه هاتفة بحدة :
- من منا الذي يتصرف مثل الأطفال الآن ؟ هل تخاصمني ؟!
رفع حاجبيه و أجابها ساخرا دون أن يتجاسر على الالتفات إليها خشية أن يتهاوي قناع تماسكه الواهي :
- بما أني لن أقاطع صديقي و قد سئمت من اتهاماتك المتتالية فهكذا سيكون التعامل بيننا منذ الآن آنسه نرفين ..

ضغطت على فكها حتى ألمها ، الأحمق المغيظ هل يتعمد السخرية منها ! هتف عقلها بحنق لكنها زمت شفتيها بصرامة و عادت تنظر للأمام دون أن تنطق بما يدوي داخلها ، حسـنا لن تكترث به ، فهذا ما تريده و طالما سعت إليه ..
اجل بالطبع هي ليست بحاجه إليه و ليحتفظ بومضاته الزرقاء لمعجباته اللاتي يحاصرنه بالإشارات و رفرفات الأهداب بكل مكان ، لـن تكتـرث أبـــدا ..

❖❖❖

استمتعت إليه صاغرة ، ربما لرؤيتها ذلك الغضب المستطير يشع بوضوح من كل خلية فيه فبمجرد توقف السيارة أمام مدخل المنزل قفزت منها عازمة الهرب لكنه لم يعطيها المجال و سرعان ما كان يقبض على مرفقها و يعيدها إليه لتبدأ المواجهة في الحديقة و ثورته لم تخمد بل باتت متأججة لدرجة الاحمرار :
- لما تعمدت لفت الأنظار إليك دون اهتمام لوجودي ؟!
جمعت شجاعتها فلن تسمح له بهزيمتها مطلقا و سحبت ذراعها من قبضته بحدة هاتفة بدورها :

- لأنك تعمدت اهانتي بدعوة حبيبتك لمكان أنا متواجدة معك فيه ..

زمجر رافضا اتهامها :

- هل أنت حمقاء ! بالطبع لم افعل ، أنا نفسي كنت ضيفا على شاهين صاحب الدعوة حدجته بنظرات قطة مستعدة للخمش :

- على فرض أنها انضمت للسهرة من تلقاء نفسها لما لم توقف تصرفاتها المشينة تجاهك ؟ ماذا يقول عني الآخرين و من المفترض انك زوجي بينما هناك علقة ملتصقة بك طيلة الوقت ، أخبرتك من قبل لن أكون أضحوكة حتى لو كنت مؤقتة في حياتك ..

عض على نواجذه بعنف و مسح وجهه بكفيه قائلا :

- هذا لا يبرر العرض الذي قمت به ، لقد فاجأتني بحضورها و أنا لم اعتاد التعامل بفظاظة مع النساء خاصة الجريحات بسببي ..

رفعت حاجبيها هاتفة باستنكار :

- هذا يكون بينكما فقط ، أنا لا شأن لي ثم لما كل هذا الغضب و اللوم كأني ارتكبت جُرما لا يغتفر ؟ ماذا فعلت ! انه مجرد غناء و اعرف حدودي جيدا بينما هناك من تعرض نفسها جيئة و ذهاب و لم أرك حتى تعترض !!

قالتها و استدارت إلى المنزل بخطوات غاضبة بينما يقف مسمرا دون الإتيان بحرف ! بما يرد و هو عاجز عن التفسير لنفسه سبب هبوب أعاصيره الهوجاء بهذا الشكل العنيف ؟!

❖❖❖

شاركتها نرفين نفس الخطوات لكن بحنق إلى المنزل بعد أن أوقف شاهين السيارة ببرود جعلها تسارع بالترجل منها قبل أن يصل لبابها و يفتحه كإشارة واضحة أنها تبادله الخصام بآخر أشد منه ..

تقدمت مباشرة باتجاه غرفة جيّدا حيث أطلت برأسها قائلة بمرح تعمدته لتخفيف حدة الأجواء :

- لقد بحثت بين أشجار الحديقة و عندما لم أجدك معلقة على إحداها اطمأننت انك بخير

أشاحت الأخرى وجهها قائلة باستياء :

- لقد كان أخيك المتوحش لطيفا و لم يقتلني هذه المرة لحسن الحظ ..

ضحكت بينما تكمل خطواتها الرشيقة و تشاركها الجلسة على الفراش ثم تابعت :

- التمسي له بعض العذر جيجي فهو رجل مهذب و هي عديمة الحياء و تتعمد إحراجه

حدجتها بنظرة رافضة فتابعت الحديث قائلة بجدية :

- للأسف هذه الأمور انتشرت بشكل زائد في الأوساط الراقية و أصبحوا يرونها حرية شخصية ..

عقدت حاجبيها قائلة باستهجان :

- أين الرقيّ ؟! إنها ليست حرية بل انفلات و عشوائية و إذا أردت الدقة ستكون الفتاة التي تحافظ على عفتها و لا تفرط فيها لأيا كان هي من تمارس حريتها و حقها دون أن تتهم بالتخلف و الرجعية أو حتى التعقيد ..

أومأت نرفين توافقها قائلة بتأكيد :

- اجل أنا معك بكل كلمة و قد علمتني والدتي أن رغم كل تلك المهاترات عن التحضر و المدنية يظل الرجل دائما يفضل الزواج من عذراء تهبه براءتها له وحده ..

قلبت جيّدا شفتيها قائلة :

- هذا صحيح رغم انه يكون متعدد العلاقات لذلك أنا مقتنعة بان الفتاة تحافظ على نفسها لأجلها هي ليس لمطلق رجل حتى تحترم ذاتها و تشعر بأهميتها و لا تكون أداة للهو احدهم ، أما التي تطلق العنان لاستهتارها تحت أي مسمى فهي تخلع عنها تاج الحياء الذي وهبه لها خالقها و تصير بلا كرامة ، و لا اقصد هنا الشكل المادي للعذرية فهذا الجانب قد يفقد بسهوله نتيجة مرض ، حادث أو اعتداء لكن رغم ذلك تظل الفتاة نقية طاهرة ..

العذرية تنبع من داخلنا نرفين و تشمل عدة نواحي ، التفكير ، الروح و هما الأهم ثم يأتي الجسد في المرتبة الأخيرة ..

فوجئت بالفتاة تخلع حذاءها ملقية به و تربع ساقيها فوق الفراش قائلة بود :

- جيجي ، الم تفكري في البقاء زوجة لأخي ، اقصد زواج حقيقي ..

التفتت لها هاتفة بوجه محتقن :

- نرفي ! ماذا تقولين ؟ أنت تعلمين أساس ارتباطنا ..

رفعت كتفيها و تابعت ببساطة :

- اجل بالطبع لكن أرى ما خلفه أيضا ، إنكما تبدوان مناسبين جدا معا ، متآلفان و صديقان

كما أني لا أحب تلك الناز المغرورة ، حتى اسمها يذكرني بهتلر و النازيه !
صدحت ضحكات جيّدا رغما عنها على شكل ملامح الفتاة المستنكرة قائلة :
- ها أنت قلتها بنفسك ، مجرد صديقين ، هو لا يعتبرني أكثر من ذلك إضافة لالتزامه المهني تجاهي ، لا أنكر ان مراد لطيب ، حنون و مراعي ، آه لو تعلمين ما قلته له بأول لقاء ..
لمعت عيون الأخرى و سألتها بمرح :
- ماذا ؟ هيا اخبريني الست صديقتك !
حركت رأسها بالنفي قائلة بمشاكسة :
- نعم صديقتي لكن هذا سر ، اخبريني أنت ماذا عن الصقر الحوام ؟
قطبت حاجبيها قائلة بادعاء مكشوف :
- من تقصدي ؟
أشارت بكفها و تابعت مازحة :
- شاهين بالطبع ، هل لديك صقرا غيره !
أشاحت وجهها بعصبية مفضلة عدم الرد فعادت جيّدا تلح عليها :
- نريف ، لازلت انتظر الرد ..
تمتمت بغيظ مكتوم :
- لا يوجد لدي أي تعليق بشأنه و لا علاقة لي به على كل حال ..
شهقت جيّدا مستنكرة :
- ماذا ؟ حتى الآن لا شيء ! عرّضت نفسي للاغتيال من قبل شقيقك المتنمر لأجعلكما ترقصان معا بلا أي فائدة ! إنها حماقة منك إذن فنظراته لم تترك شيئا للتخمين ..
أوقفتها بكفها قائلة بضيق حقيقي :
- جيجي يكفي ، لا أريد الحديث عنه رجاء ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

استمرت نازلي برميّ الأغراض و التحرك جيئة و ذهاب بثورة لم تهدأ حتى خشيت زميلتها من التحدث معها بهذه الحالة لكن عندما وصل فضولها لمنتهاه و أرادت معرفة ما حدث قالت بحرص :
- حسنا ناز ، اهدئي الآن و اخبريني ما حدث بعد الاتصال الذي أطلعتك فيه عن مكان تواجد مراد
استشاطت غضبا من جديد و ضربت الطاولة الزجاجية بقبضتها قائلة بصوت كالفحيح :
- مهما حدث لن اسمح لها بالاستحواذ عليه حتى و إن اضطررت لقتلها ..

للمرة الثانية يتفق أفراد العائلتين البعيدتين في القيام بتحضيرات متشابهه للحفل المنتظر ، زفاف أماني الحقيقي و إعلان زواج جيّدا المدبر ، و الأعجب أن كلا الحفلين لا يعلم عنه الوالدين شيئا !

اندفعت لداخل الغرفة الأنثوية قائلة بحماس :

- هيا نريفي أريد النزهة لقد مللت البقاء في المنزل و ترك الجو الساحر بالخارج ..

نهضت عن سجادتها و خلعت إسدال الصلاة بعد فراغها قائلة بامتعاض :

- أي سحر ؟! إنها تمطر بغزارة !!

أومأت جيّدا بسعادة هاتفة بحيوية بينما تسحب كفها :

- اجل و هذا هو ، معقول لم تجربي السير تحت المطر و الغرق بللا ! لقد فاتك الكثير ، هيا معي لتعوضي يا حمقاء ..

جذبت كفها من يدها هاتفة برفض :

- لا شكرا ، اذهبي وحدك لن أشارك بهذا الجنون

وضعت كفيها فوق خصرها مرددة بحنق تمثيلي :

- تريدين الخلاص مني إذن آنسه نرفين !

(ثم مدت شفتيها بطفوليه و تابعت) تدركين أني سأضيع في الطرقات بدونك فانا مجرد مسكينة لا تعرف المدينة و لا اللغة .. ها الم تشفقي عليّ بعد ؟

أدارت عيونها في الفراغ بقلة حيلة قبل أن تضحك قائلة باستسلام :

- بغض النظر عن أدائك المفتعل و كوني متأكدة انك تعلمين الاتجاهات جيدا حسنا لكن بشرط ، سوف نستخدم السيارة ..

أومأت بالموفقة ثم أضافت ببراءة :

- لا بأس ، اممم هل سقفها قابل الفتح !!

حركت رأسها قائلة بيأس :

- لا فائدة منك ..

❖❖❖

صادفهم مراد القادم لتوه من الخارج ، ظهر الرفض الصريح داخل حدقتيه عندما أبصر طلتها البهية رغم أنها لم ترتدي سوى سروال صوفي أسود و كنزة سميكة مع وشاحها الذي لا يفارقها بألوانه المحببة يعانق جيدها المرمري يبثها دفئه بشكل مغيظ ..

تحكم في مشاعره قائلا بهدوء بعد أن شملهم بنظراته التقيميه :

- إلى أيــن ؟!!
أجابته نرفين بينما تحكم ارتداء قبعتها الصوفية و تخفي أذنيها أسفلها قائلة :
- نحي طقوس قبائل الهنود الحمر في الرقص تحت المطر أخي ، لا تنظر إليّ فهي فكرة زوجتك المجنونة ..
كان يجب أن يخمن ، وجه حديثه إليها محاولا عدم التأثر بنظرة البراءة التي تصوبها نحوه و تذيب فؤاده قائلا بعتاب :
- ألا تظني إنني بت أراك بالكاد في حين تقضين جُل أوقاتك بصحبة نرفي أو أمي سواء بالخارج أو هنا ؟!
كتفت ساعديها أمام صدرها قائلة بمكر تجيده:
- أنت لم تكلفني بأي أمر و أهملته و على حد علمي يفترض بي التحرك في المدينة لإنعاش ذاكرتي ، أليس كذلك ؟
زفر أنفاسا ساخنة مرددا من بين أسنانه :
- حسـنا جولة سريعة و أريدكما أمامي ، جيّدا ستصاحبينني الليلة إلى مكان مهم ..
أومأت قائلة بتفهم :
- اتفقنا و لن نتأخر ..

تسرب الزمن من بين الأصابع أسرع من ذرات الرمال ...

تركت نرفين والدتها لحديث نسائي مع صديقاتها و صعدت لغرفتها تتلهى بحاسوبها فقد اخذ مراد صديقتها التي باتت تشاركها اغلب أوقاتها و تشعر بالفراغ من دونها ..

في الصباح لديها موعد مع مدير إحدى الجاليرهات لتعرض عليه اللوحات المنتهية جعلها ذلك تشعر بالرضا عن حياتها و تدرك كم كانت حمقاء عندما عزلت نفسها وحدها بدل المواجهة ، فالإنسان حين يشارك من حوله و يصبح ذو تأثير ايجابي يتذوق طعم النجاح و تزيد ثقته بقدراته ..

هذا عن الغد لكن ماذا تفعل بوقتها الحالي و قد تسرب إليها الملل و اكتشفت أنها لا تمتلك أي صديقات عدا جيجي !

تذكرت المجموعة التي غابت عن بالها كليا في الآونة الأخير و قررت الاتصال بهم أفضل من الوحدة التي لم تعد تحبها ..

وجدتهم مجتمعين في الملهى الليلي كالمعتاد و قد رحبوا بها دون سؤال عن انقطاعها فهذا كان احد شعاراتهم (افعل ما تريد وقتما تريد و ليس لأحد حق الاعتراض)

عرضت عليها الفتاة ذات الخصلات الخضراء الانضمام إليهم واعدة بقضاء وقت لا ينسى ، فكرت لبرهة قائلة :

- لما لا ! لن اخسر شيء و لن تضير التجربة ..

أجابتهم بالموافقة و أخذت عنوان الملهى ثم نهضت من فورها تبدل ملابسها و تلحق بهم ..

❖❖❖

الصورة التي نقلتها شاشة حاسوبها لم تعطي المكان حقه الكامل في غرابة الأطوار فقد بدا المحيط غائم بسحابة من الدخان و هناك روائح غريبة عبقة في الجو كما كانت الأوجه التي تعرفت عليها افتراضيا أكثر تشوها بالألوان على الطبيعة ..

أوشام متنوعة و تصفيفات شعر عجيبة ، اعترفت أنها لا تشعر بالراحة و انتابها الانقباض لكنها نهرت نفسها قائلة : لقد ودعت الضعف ، انه فقط مكان مختلف و عليك تجربة الشيء قبل إصدار الأحكام ..

عرض عليها احد الشباب من ذوي الشعر الشائك سيجاره منتفخة بشكل مريب فأشارت بالرفض

متمتمة باعتذار لم تتبينه فسحبها بعيدا ببساطة دون أن يلح في العرض ..

اختارت مشروب غازي لترطيب حلقها بينما تتبادل الحديث مع فتاتين و شاب احمر الشعر اتخذ جانبها و بدا عليه إعجابه بها ، الأمر الذي لم يحاول إخفائه و ذكره لها بمنتهى الوضوح لكنها نظرت إليه من جانب الصداقة و الود الإنساني الذي يفرضه التعارف الأول ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

أوقف مراد سيارته بهدوء خشية إزعاج تلك النائمة إلى جواره أشبه بالملاك البريء ، لقد مرت السهرة دون تطورات لكنها أفادته في ترك انطباع حقيقي حول وجودها معه ، لاحظ إنها قضت الوقت تركز في مراقبة الأوجه و تحث ذهنها على الاستجابة عنوه عندها مال عليها هامسا أن تهون على نفسها و تتركها على سجيتها ، من الطبيعي أن لا تجد ما تبحث عنه مباشرة فالأمر غاية في الاتساع و يتطلب الصبر ..

استمر بتأملها لوهلة غافل عن البريق الذي انطلق من عينيه و ذلك الشغف المسيطر على حواسه ، لامست نظراته كل انش فيها و توقفت طويلا فوق الثغر الشهي راسمة خيالات و أمنيات عصفت بتعقله فسارع بإطباق جفنيه محتفظا بصورتها خلفهما و قد قررت السكنى هناك مدى الحياة ..

كعادته كلما تغلب تأثيرها عليه مسح وجهه بكفيه كأنما يبعد هالة المشاعر و يعود لتعقله لكن عليه الابتعاد عن مصدر الخطر ..

ترجل متجها للباب الآخر ثم فتحه و حملها بين ذراعيه ببساطة كما لو كانت طفلته التي غلبها النعاس بعد جولة صاخبة داخل مدينة الألعاب ..

تقدم بها إلى الداخل و بمجرد أن وضع قدميه على أول الدرج وصله صوت والدته المستنكر هاتفة :

- مـراد !!

استدار يواجهها قائلا بهدوء :

- نعم أمي ..

أشارت إليها قائلة باتهام :

- إلى أين تأخذ الفتاة ؟!

رفع حاجبيها مجيبا :

- إلى غرفتها بالطبـع ..

عادت تسأله :

- و لمـا تحملها !!

ردد بنفس النبرة الهادئة :
- لأنها مستغرقة في النوم ..
تابعت بغيظ من لامبالاته :
- أرى ذلك جيدا يا ولد ، لكن لما لم توقظها لتذهب بنفسها ؟!
دارت عيونه بحنق قبل أن يرد قائلا :
- فكرت أن ذلك ليس ضروريا طالما أنا موجود ..
أشارت بإصبعها محذرة بطريقة فكاهية :
- ادخلها الغرفة و انزل إلى هنا مباشرة ، هل تفهم ؟
طحن ضروسه من فرط الغيظ مجيبا :
- اجل أمي ، افهم ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

هبت نرفين عن مقعدها قائلة :
- لقد تأخر الوقت و يجب أن أغادر ..
البعض منهم حرك كتفيه بلا مبالاة و هناك آخرين استنكروا قولها عن الوقت بحجة انه لا يزال مبكرا و الليل بأوله ، بينما الشاب ذو الخصلات الحمراء نهض بدوره عارضا إيصالها ، لكنها ضاقت بمحاولاته للتقرب منها و عدم فهمه لإشاراتها الواضحة بالرفض فقالت بشكل حازم :
- شكرا لا داعي لذلك فمعي سيارتي ..
ثم ودعتهم سريعا إلى الخارج حيث صفعها الهواء النقي فأخذت تستنشق بنهم غاسلة رئتيها من الروائح التي علقت بها ، ربما لم تكن تجربة جيدة لكنها بحاجة للتعرف على أنماط مختلفة من البشر و أشكال الحياة ، لقد كسرت القمقم و لن تعود إليه ..
استقرت خلف مقود السيارة الصغيرة ليومض هاتفها مشيرا لوصول رسالة نصية جديدة ، وجدت المرسل رقم غريب و فحواها لا يزيد عن كلمتين (سأشتاق إليكِ) ثم صورة قلب نابض ! أي هراء هذا ؟! لكن سرعان ما قادها ذهنها اللماح و سرعة بديهتها لشخصية مرسلها الذي ذكرها لون ذلك القلب المرفق بخصلاته النارية ..!

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ارتفع النداء المتردد بين جنبات صالة السفر بعدة لغات يدعو الركاب لضرورة التوجه إلى الطائرة عندها ألقت أماني نفسها بين ذراعي والدها هاتفة بقلب وجل :
- سوف اشتاق إليك بابا ، تذكر دائما إنني احبك أكثر من حياتي و أنت الأهم لدي ..

شدد ذراعيه حولها ثم قبل جبينها الناصع مربتا على وجنتها قائلا بحنان بالغ :

- و أنا احبك أكثر صغيرتي ، اعتني بنفسك و لن أتأخر ..

تدخل رضوان قائلا بمرح :

- هل انتم مستمرون في ذلك الفيلم الهندي طويلا ! لقد اتجهت إلينا الأنظار باحثين عن المُخرج و الكاميرات ..

التفت إليه طاهر المتأثر بفراق ابنته للمرة الأولى قائلا :

- لا فائدة ، أنت لن تكبر أبـدا ..

عانقه برجولة قائلا ببساطة :

- لا تحلم بذلك ، انه سر الشباب أيها الهرم الأصغر مني ..

بادله الآخر الوداع قائلا بمودة :

- حسـنا اعترف بذلك أيها الشاب الذي تخطى الخمسون ، اهتم بأماني رضوان ، حافظ على ابنتي ..

أومأ بجدية و رد بتأكيد :

- سأحافظ عليها طاهر لا تقلق ، سأفعل كل ما هو في صالحها يا أخي ، لا تنس زيارة جيدائي و أوصل لها تحياتنا جميعا ..

- اجل بالطبع سوف افعل ..
ثم عانق أماني مجددا قبل أن يتجه إلى خلف الحاجز الذي لا يسمح سوى للمسافرين باجتيازه عندما توارى كليا عن أنظارهم أطلقت الفتاة لدموعها العنان فاحتواها عمها بين ذراعيه و قال مهدهدا :
- لمعلوماتك إذا لم تكن هذه دموع الفرح سأوقف كل شيء و أشحنك خلف أبيك ..
اختلط البكاء بالضحك قائلة بتأثر :
- كنت أريده معي ، يسلمني بنفسه لأدهم ، اشعر بأني فقدت قطعة من قلبي الآن ..
ربت على كتفها بحنان ثم داعبها قائلا :
- يا لك من حمقاء مغفلة ، تبكين بينما يجب عليك الفرح لان لديك والدان سيسلمك الاوسم بينهما لعريسك ! لا اصدق ..
تغلب الضحك الآن فقالت تجاريه :
- حسنا أيها الوسيم هيا للمنزل لان سُلاف تنتظرني حتى نتصل بجيجي و نمدها بآخر التطورات ..
شبك كفها بذراعه متجهين لبوابة الخروج قائلا بجدية :

- تأكدي لو لم أكن اعلم أن ما نفعله لصالح الجميع لما زوجتك يا ابنتي ، لكن ادهم رجل يعتمد عليه و اثبت انه جديرا بك ، كما انه على خلق و دين يتشرف أي والد بمنحه ابنته و هو مطمئن ، لا تظني أبدا انك تتزوجين دون رغبة والدك لأنه لو كان خارج وطأة تلك الضغوط التي خلفتها صدمة وفاة والدتك رحمها الله لما اتخذ هذا الجانب المتعسف ، و لكوني شقيقه الأكبر و الأعقل عليّ التدخل عندما أراه يخطئ في حق نفسه و يهدر حياتك سدى و قد وافقني الطبيب لذا اطمئني و استمتعي بما يحدث ..
أومأت باسمة و قد أعاد حديثه الهدوء لقلبها الوجل :
- اجل عمي ، أنا محظوظة لوجودك في حياتي و احبك كثيرا (ثم استدركت بوجنتين احتقنتا بالدماء) و ادهم كذلك ..
ضحك الرجل قائلا بمكر :
- بالطبع يجب أن يحُبني ، الم اهديه شقراء العائلة ! انه شاب محظوظ لكن مثابرته جعلته يستحق ، آه الم أخبرك لقد أبدى استعداده لتسجيل المنزل الذي ابتاعه باسمك

لكني رفضت و اكتفيت بالمهر و الشبكة ناهيك عن قائمة المنقولات التي اعدتها زوجة عنك بمساعدة خالتك في اجتماع عمل مغلق ، إنهما صارمتان جدا في هذه الأمور ، مسكين ادهم لديه بدل الحماة اثنتين ، زهرة و أحلام ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

أوقف عمر سيارته في الجهة الخلفية من سور المنزل الذي دلف إليه مره من قبل متخذا نفس الطريق عبر البوابة الصغرى و منها إلى الباب الخشبي الأنيق ثم قرع الجرس منتظرا ...

أطلق ماجد السُباب متأففا من حارس المنزل الذي أزعجه بالرنين المتواصل ، ترى ماذا يريد منه الآن !!

لكن كل توقعاته تبخرت بمجرد أن فتح و استقبل هذا المتكئ بكسل على الإطار الأمامي هاتفا باستنكار :

- أنـــت !!

اعتدل عمر ببطء و قد عاد إلى ذهنه المشهد السابق ليتأجج غضبه من ذلك الوقح الماثل أمامه انتهاء بالحصار الذي فرضته سُلاف عليه بسببه رافضة منحه الفرصة للحديث معها أو حتى رؤيتها رغم محاولاته التي باءت كلها بالفشل .. أجابه بينما يدفعه إلى الداخل بصرامة و يتبعه مغلقا الباب خلفه :

- اجل أنا ! لا تقل انك لم تتوقع زيارتي ، أم لعلي فاجأتك ؟

أشار ماجد للخارج هاتفا بعصبية :
- غادر منزلي فورا أو اتصل بالشرطة ..
رفع حاجبه قائلا بسخرية :
- بأي تهمة ! لقد أتيت لتهنئتك بقرار إيقافك عن العمل ، فأين حس الضيافة أيها الأستاذ السابق !!
تصاعدت حدة غضبه فصرخ قائلا :
- الآن تأكدت انك المحرك الرئيسي لما حدث ، الم يكفيك تدمير مستقبلي حتى تأتي للتشفي ..
أشار عمر بكفه قائلا بتفكه :
- بل الوحيد ، المحرك الوحيد لوصولك لمكانك الطبيعي ، ثم حاش لله أنا لست وغدا للشماتة في مصائب الآخرين حتى و إن كانوا يستحقونها ..
هدر الآخر بنفاذ صبر :
- لما أنت هنا إذن ؟ الم تكتفي !
زمجر عمر ببغض أخرجه من مكمنه أخيرا بعد أن ضاق بحبسه الذي طال :
- بالطبع لا ، أمر إيقافك كان حتمي جراء أفعالك لكن أين حقي أنا و حق ابنة خالتي التي حاولت استباحها بحقارة ، هل علمت لما أنا هنا الآن أم عليّ التفسير أكثر ؟
الوميض الشرس الذي انطلق من العيون النيلية أصابه بالارتباك فتراجع خطوة للخلف متمتما بريبة :
- ماذا تريد ؟!
وثب عمر كالفهد و اقتنصه من مقدمة قميصه مزمجرا بنبرة متوحشة :
- أريد حياتك كثمن عادل لدناءتك لكني كريم سأكتفي بهذا ....

و أطلق قبضته المشتاقة لوجه غريمه تعيث فسادا بملامحه التي كانت جذابة قبل أن تعيد لكماته القاسية تشكيلها ..

تحرك كالصاعقة عندما تباغت و تضرب محطمة كل ما يصادفها فلم يستطع الآخر فعل شيء أكثر من الدفاع و محاولة تفادي سيل الضربات و الركلات الموجعة حتى كادت تزهق أنفاسه بحق ..

لم يتوقف عمر حتى شعر بالإرهاق و آلمته قبضتاه جراء عنف اللكمات التي فجرت الدماء و لابد أنها حطمت بعض العظام ..

نفضه بازدراء على الأرض ليتكوم كالجثة البالية و كما دخل غادر دون أن يشعر به احدهم جلس أمام المقود بحاجبين معقودين يتفحص سلاميات أصابعه و قد أصابتها الخدوش و الرضوض لكنه يشعر بالراحة و قد خبا وهج نيران صدره أخيرا ..

بقي أن يحدث مشاغبته الصغيرة ، بل الأصح عليه النجاح في الوصول إليها أولا ..

فليساعده الله على ذلك ، انه بحاجه لذلك فعليا

نهاية الفصل

دمعات القمر

القطرة السادسة عشرة

- زينـــب لمـا لا أجد شيئا في هذا المنزل اليوم ؟!
أين أنت يا امـرأة !!
هتف بها عثمان الذي خرج من باب غرفته عاري القدمين و الصدر بقميصه مفتوح يلوح بثلاث رابطات عنق متنافرة الألوان و يبدو عليه الحنق جليا !
اقتربت منه السيدة بكامل أناقتها تشير له بذعر ليعود إلى الداخل هاتفة :
- أوه لا فائـدة ، متى ستتخلى عن عادتك بالصراخ كلما انشغلت عنك ؟ لقد كبرت يا رجل !
ألقى ما يحمله فوق الفراش و أحاط خصرها قائلا بصبيانية محببة :
- لن افعل أبـدا ، لقد تركتني و ذهبت لفتياتك ، كيف لا أغـار إذن !!
صدحت ضحكاتها قائلة بعذوبة :
- عليك أن تخجل من نفسك ، الحفل مُعد من اجل ولدك الذي صار رجلا يفوقك طولا و أردت التأكد من طلة جيجي ، أريدها أن تبدو كعروس حقيقية ناهيك عن فتاتي الأخرى لن تصدق عندما تراها ، لقد أصبحت فاتنة ،
من يصدق أنها هي نفسها التي كنت ابكي لأجلها كل ليلة ، الحمد لله و الشكـر ..
ردد بتبرم مستـاء :
- حسـنا حسـنا جيّـدا و مراد و نريفي أما عثمان المسكين فلا احد يذكره حتى لو قرر حضور الحفل بمنامته القديمة ..
حركت رأسها بعدم تصديق ثم قالت من بين ضحكاتها :
- بالمنـامة ! و القديمة أيضا !! لا لا لقد استوعبت خطئي و لن أكرره ، دعني أرى ، أولا هذا القميص غير مناسب و بالطبع ليس أيا من هذه الرابطات ، حبيبي بدأت اشك انك لا تستطيع التمييز بين الألوان !
لمعت عيون الرجل بعبث لتكشف تلاعبه المتعمد للفت انتباهها بينما هي تناوله الملابس الصحيحة قائلة :
- أسرع عثمان من المفترض انك جاهز منذ ساعة على الأقل و متواجد بالأسفل لاستقبال الضيوف ، لكن ماذا أرى ؟ الجميع أنهى ارتداء ثيابه و صاحب المنزل يقف عاري القدمين ، آبـاء آخر زمن ..
عدل من سترته قائلا بمشاكسة :

- هذا لان زوجته اهتمت بالجميع عداه فوجب عليه معاقبتها ..

ابتسمت دون رد و أخذت تساعده بتصفيف شعره الكثيف الموشى بخصلات فضية زادته وسامة و هيبة ثم اتبعت ببعض رشات من عطره المسكي و ها قد أصبح جاهزا أخيرا ..

جذبته من يده إلى الخارج قائلة بحزم :

- لا أريد أي تذمر إضافي لهذه الليلة و إياك أن تصعد إلى هنا حتى رحيل آخر ضيف ، اسبقني للأسفل حتى أتأكد من أناقة و سحر ولدي ثم الحق بك ..

سبحت الحديقة في بحيرة من الأضواء الناعمة بمزيج مبهج من الألوان و شذبت الأشجار بأشكال هندسية غاية في الإتقان و الروعة فبدت أشبه بشابة تزهو بجمالها الفطري رافعة رأسها بخُيلاء ..

الجميع أحسن القيام بدوره فخرجت النتيجة بعيدة عن التكلف لكن تعكس الرقيّ و الأناقة بكل ركن ..

انتشر المدعوين بين المنزل و الحديقة و دارت كؤوس العصائر الطبيعية بمختلف أنواعها دون توقف فمن المعروف للجميع أن منزل السيد عثمان لا يدخله أي مشروبات كحولية بعكس الكثير من أبناء طبقته الذين يرون في ذلك حسن ضيافة و إكرام لضيوفهم و لا يجدون غضاضة حول الأمر ..

لان سبب الحفل كان معلن عنه قبلها و قد خرج الخبر من حيز الشائعات فقد حرصت نازلي على اختيار ثوب يخطف الأبصار من احدث مجموعة قامت بعرضها لتثبت أنها موجودة و لم تهزم بل تستمتع بالنزال و سوف تسترد حقها عاجلا أم آجل ..

هناك أخرى حرصت على التأنق بشكل لم تفعله من قبل و كل ما يشغل فكرها هو ذلك المتعجرف المغيظ الذي قرر هجرها ، تذكرت منذ يومين عندما صادفته يجلس في الحديقة بصحبة أخيها يناقشان أمرا لم تتبين عنه شيئا و لم تهتم لأنها تعرف كون أمور عملهم لا مساس بها من قريب أو بعيد ، لكن ما أشعل غضبها هو التجاهل التام الذي منيت به عندما ألقت عليهما السلام ..

لقد رد تحيتها فهو ليس فظا حتى لا يفعل إنما

خرجت منه العبارة فاترة باردة كأنه يهش ذبابة أزعجه طنينها !

لم تجد ذلك الوميض الدافق يملأ عينيه و لم يضرب برقه الأزرق مغشيا بصرها كما اعتاد في السابق ! بل ما سكن أحداقه كان جبلا جليدي خالي من الروح ..

سنرى الآن هل يتفتت جليده بعد رؤيتها بهذا الثوب و قد أمعنت في اختياره مع تصفيفة شعرها المخملي التي أظهرت كمال استدارة وجهها و نعومة عنقها الغض

اكتفت من الزينة بالكحل العربي الأسود لتزداد كتافه أهدابها و غموض دكنة نظرتها و احمر شفاه قاني عكس بياض و صفاء بشرتها المعتنى بها ..

ببساطة كانت تمثل السهل الممتنع ، أنوثة بريئة تلفها هالة من الإغراء الخفي ، كل ذلك في إطار من الرقة و الاعتداد بالنفس ضاعف من تأثيرها استمعت لنقرات جيّدا بنغمتها المميزة على بابها و صوتها المرتجف يناديها :

- نرين ، هل أنت جاهزة ؟ أريدك أن تصاحبيني إلى الأسفل لأني خائفة و مرتبكة ..

كحوريات الأساطير بثوبها الملكي الموشى بلمعات الذهب الذي تماشى برقيّ مع طقم زواجها بزهراته اللائقة بها ، فهي نفسها كانت أشبه بواحدة يفوح أريجها معطرا الأجواء حولها ، تبثه بفطرية خلقت بها و تبدو غافلة عن تأثيرها ..

شدت على كفها البارد قائلة بمرح :

- تريدين أن تقتلني أمي ! إن مراد من سيصطحبك للأسفل آو عندها ستضحي السيدة زوزو بثلاثتنا دون نقاش فتعليماتها محددة بشكل قاطع ، والدي نفسه لا يجرؤ على معارضتها في هذه الأمور ..

ساعدها هذا الحديث العفوي على إبعاد التوتر الذي الم بها و هرعت عيونها تستقبله عند سماع وقع خطواته الرجولية التي تزرع الأرض قوة و أمنا بالنسبة لها ..

لم تنتبه أنها تحبس أنفاسها حتى غصت و أخذت بالسعال ! فما تراه أمامها خلب لبها و أصابها بخلل في معدل النبضات ..

كانت المرة الأولى التي تراه بهذه الطلة رغم مصاحبته لها في عدة مناسبات من قبل لكنه لم يكن بهذه الرسمية و ليته ما فعل فهي لن تتمكن من محو هذه الصورة البديعة التي انطبعت بذهنها مطلقا و ستظل تعذبها و تذكرها بحبها المستحيل لزوجها المرتبط بأخرى !!

اقترب منهما قائلا بنبراته المعجونة بالرجولة الصرفة :

- من المحظوظ الذي سينال شرف اصطحاب هذا الجمال كله للأسفل ؟ ليس عدلا أن تحتكرا السحر لنفسيكما و تتركان البقية تعاني !

ضحكت نرفين قائلة بدلال :

- لقد أصبحت خطرا يا أخي ، امممم سوف اسمح لك باصطحابي فأنت أيضا بحاجة للحماية بهذه الطلة الوسيمة ، أخشى أن تتقاتل الفتيات عندما تراك ، جيجي إياك أن تتركي ذراعه فلا نريد خسائر بالأرواح الليلة ..

ضحك بمرح ليخفي القفزات البهلوانية لذلك القابع خلف أضلعه لمرآها الذي يعد تجسيدا للفتنة بشكل خلاب ، مد ذراعيه لكلتيهما قائلا :

- بل سأكون مسار حسد الجميع عندما اظهر

و معلق بذراعي حوريتان بهذا الجمال ،
هيا فتياتي لنهبط و نشعل الأجواء ..
سارعت جيّدا تتمسك به ناشدة أمان و اطمئنان
كانت بأمس الحاجة إليهما و قد استحكمت
بقلبها غصة جعلتها موشكة على البكاء عندما
تذكرت قبل وقت قليل داخل غرفتها و الخالة
زينب تدور حولها كالدجاجة الأم ترتب شعرها
و تضيف هنا أو تزيل هناك ، كم كانت تشبه
والدتها التي اشتاقت إليها و تصاعدت حدة الذنب
داخلها متخيلة مقدار سعادتها عندما تساعدها
بيديها للظهور بأفضل صورة في حفل تقديمها ..
هتف قلبها بلوعة : سامحيني يا أمي فالأمر ليس
بيدي ، القدر يرسم خطواتنا دون إرادة و ما علينا
سوى خوضها لكني أعدك لن ارتكب ما يسئ
إليكم و سأكون دائما ابنتكم التي تفخران بها ..
ملئت همهمة الاستحسان و التساؤل المحيط
بأكمله بعد ظهورهم الذي فجر موجة الفضول
داخل الجميع لكن زينب استطاعت بمهارتها
المعتادة لفت الانتباه حول عدة أمور بعيدة عن
زواج ابنها المفاجئ ليمر الحدث بسلاسة دون
تعقيد ..

شخص آخر دلف محاط بسيدتين لفتهما الأناقة
برداء يليق بهما ، شاهين و تتأبط ذراعيه والدته
و الخالة قدرية اللتان اندمجتا فور الوصول
بينما اتجه هو إلى العم عثمان بتحية ملئها المودة
و من بعده لصديقه صاحب الحفل ..
تقابلت أنظارهما باللحظة نفسها كما لو كانت
تنتظره و هو لم يرى من بين الحشد سواها !
وجدت نفسها تفكر بغرابة كيف لم تنبهه
والدته بعدم جواز ارتدائه لذلك القميص الأزرق
الذي عكس أمواج بحيراته المسماة مجازا عينين
رأفة بالبشر !
إن ذلك ليس عدلا و يعيد الضربة مباشرة لقلبها
الرافض للهزيمة ..
ترجمت أفكاره نظراتها المستاءة قائلا لنفسه :
و من تحدث عن العدل يا مشكلتي الأبدية ، ألا
تمتلكين القليل من الرحمة لترأفي بمحاولاتي
البائسة للتماسك و ادعاء البرود أمامك ؟ كيف
تكونين بهذه الفتنة ! هل يلومني احدهم لو قمت
باختطافك الآن و إخفائك عن كل العيون ..
تعقل شاهين و اصمد حتى تصل لمرادك فلا نيل

المطالب بالتمني و لكن تؤخذ بالتماسك و ادعاء اللامبالاة حتى لو قتلك ذلك ، عليك التحمل و ارتداء قناع الجليد و اخرس ذلك المزعج الذي يهتف باسمها في كل ضخة دماء يرسلها لعقلك السميك ..

كادت تقذفه بكأس العصير دون اكتراث بمن حولها ، تقسم انه ظهر عليه التأثر لوهلة لكن سرعان ما عاد الجمود يسكن حدقتيه من جديد ! ماذا يحاول أن يفعل ؟! هل يتعمد التلاعب بها و إرباكها ؟

الشيء الوحيد الذي بدا في غير موضعه هو وجود نازلي التي تسير مختالة كالطاووس المزهو بريشه ، حاولت أكثر من مره الاستئثار بمراد لكنه حدجها بنظرة صارمة جعلتها تلتزم حدها خاصة بوجود أفراد عائلته و هي لا تريد ترك علامة سوداء أمامهم خاصة بعد التساؤلات التي دارت بشأنها ..

❖❖❖

مالت ناريمان على أذن قدرية قائلة بدهشة كما لو كانت لا تصدق عيونها :

- مـن هـذه ؟!

أجابت المرأة بهدوء :

- مـاذا بك ؟! إنها نرفين بالطبـع ..

عادت تكرر بعيون أكثر اتساعا :

- متى تركت الانحناء و السير كأنها تتوارى عن الآخرين !

منحتها قدرية نظرة فخر قائلة بادراك عكس بُعد نظرها :

- لكل جواد كبوه عزيزتي ، المهم أن يخرج منها سالما و يجد نفسه الحقيقية ..

تابعت ملاحقة الفتاة بإعجاب جلي قبل أن تنقل بصرها إلى جيّدا المحلقة بين الجميع برقة فراشة ملونة قائلة :

- ما بال ذكور هذه العائلة يفضلون العربيات !

أتعلمي بدأت استحسن هذه الفكرة ..

أومأت المرأة قائلة بنبرة ماكرة :

- اجل اعلم ذلك ، و كنت انتظره ..

تقدمت زينب ترفل بثوب أنيق يليق بحجابها الذي لا تتخلى عنه و تعتز به ، استقبلتها ناريمان

بابتسامة صادقة فلكل منهما مكانة لا تمس داخل نفس الأخرى :

- مرحبا ناري ، تبدين في العشرين من عمرك يا امرأة !! ماذا تفعلين بنفسك ؟ أحيانا أشك حقيقة انك من أنجب ذلك الشاهين المهيب ..

صدحت ضحكات السيدة قبل أن تردد بعبث ملأ عيونها الزرقاء التي أورثتهم لابنها لتكلل ملامح والده الصارمة بخليط دائم لفت الأنظار لوسامته الغريبة :

- لن أخبرك أبدا خاصة و انك تقتربين من لقب جدتي ، عندها لن اكف عن الضحك أيتها الجدة المستقبلية الواعدة ..

ردت زينب بمزاحها المعتاد بينهما :

- حسنا سنرى ضحكاتك عندما أطيح بك في الغد أثناء اجتماع الجمعية ..

تابعت الأخرى قولها بينما تحرك حاجبيها بإغاظة تجيدها :

- اشك في إمكانية حضورك من الأصل فبعد هذا الحفل ستنامين كلوح من العجين لمدة أسبوع لهذا سأترأس الاجتماع وحدي و أسجله لك خصيصا بينما اخرج لساني ..

أشارت زينب بكفها تتابع المشاكسة :

- لن استطيع منعك من الأحلام عزيزتي لكن حذار أن يصدمك الواقع ..

ردت ناريمان بابتسامة متلاعبة :

- اتفقنا جدتي ..

عندها تدخلت قدرية قائلة بنفاذ صبر كأنها معلمة تعنف طالباتها :

- ألا تكفان عن مشاغبة بعضكما أبدا ! يا الهي أولادكم صاروا رجال بينما ترفضان تخطي مرحلة المراهقة ، تبا ..

تحدثت ناريمان بمرح غير مكترث بلوم قدرية و قد اعتادت عليها هكذا :

- حقا زينب تحضيرات الحفل غاية في الروعة ، أعطني رقم الشركة المنفذة لأتحدث معهم لعلي أتمكن من إقناعهم بالمساعدة في حفل الجمعية القادم باجر رمزي ..

أومأت الأخرى بالموافقة لكنها لم تتمكن من النطق لان نازلي التي كانت تستمع للحديث التقطت طرفه قائلة :

- و أنا أيضا يمكنني المساعدة ، عفوا لقد سمعت العبارة دون قصد ..

زمت زينب شفتيها باستنكار بينما استفسرت ناريمان باهتمام :

- نحن نقبل كل الاقتراحات لإنجاح الحفل و الحصول على اكبر عائد مادي منه ، ماذا يمكنك تقديمه ؟

وضعت ساق فوق الأخرى قائلة بفخر :

- استطيع تنظيم عرض أزياء مُصغر يكون عائده لصالح الجمعية فلدي علاقات واسعة في هذا المجال و هناك الكثير ممن يرحبون بالمساعدة مقابل الإعلان فقط و هكذا تكون المنفعة متبادلة

حركت رأسها باستحسان للفكرة قائلة :

- اقتراح ممتاز ، سأنتظرك في المكتب غدا للتخطيط الجديّ و إدراجه ضمن برنامج الحفل قبل طبع الدعوات ، الديك مانع زينب ؟

ردت المرأة بحنق حاولت إخفائه :

- أبدا ، طالما يخدم هدفنا لما لا ؟

تركتهم نازلي تكملان نقاشاتهم حول الأمر و غادرت منتشية بانتصارها الذي أهداه لها القدر دون تخطيط منها ، شكرا لسرعة بديهتها التي تساعدها دوما ..

❖❖❖

انهمكت نرفين بحديث جانبي مع رُقيه التي تجاور خطيبها المستغرق بدوره في النقاش مع شاهين النائي بنفسه عن إغواء ضحكاتها الناعمة ، لا تعلم هل اختارت هذا المكان من اجل رُقيه حقا أم لأنه يشغله بهالته الغامضة و نظراته المتجاهلة !

قاطع سيل الأحاديث الدائرة صوت والدتها التي اقتربت من منصة الفرقة الموسيقية و تناولت مكبر الصوت قائلة :

- الآن حان موعد رقصة العروسين ، مراد جيّدا تفضلا إلى هنا ..

تألقت عينيه بنظرة خاصة كأنه يذكرها بحديثها السابق قبل أن يتقدم متناولا كفها بتحدي أن تستطيع الرفض وسط هذا الكم من المراقبين الفضوليين ..

انساب اللحن بحالمية آسرة و المطرب يعزف على قيثارته شاديا بكلمات تركية بدت كرسالة عشق تهمس للقلوب ..

هل ذابت بين ذراعيه كما لو كانت تخفي نفسها داخل صدره أم يخيل إليه ذلك !

لكن تظل هناك حقيقة واحدة يستحيل شك فيها

الشعور بها من هذا القرب كان النعيم بحد ذاته و عندما اسند ذقنه فوق رأسها أدرك أنه مكانها الصحيح الذي خلق لأجلها ، هي فقط دون سواها استمع لهمستها الخافتة تسأله عن كلمات الأغنية فانطلق لسانه يترجم داخل أذنها ، ليس المعاني فقط بل أدق الأحاسيس التي حملتها الرسالة ....

احبك جدا ألا تعرفِ ؟
لم استطع النوم أبدا ..
احبك جدا ألا تدري ؟
لم استطع الانتظار و أتيت إليكِ ..
أنت أمل حياتي و أنت ابعد أمنياتي ..

❖❖❖

في كل يوم و كل ليلة ..
أتمنى قضاء عمري معك ..
لا تعرفِ كم أريدك إلى جانبي ..
أنـــا .. أحبـــك

❖❖❖

أنا احبك ألا تعلمي ؟
أنا احبك ألا تشعري ؟
مهما حاولت إخفاء حبكِ في قلبي ..

في حياتي أو مماتي ..
سوف أظل أحبك جدا ..
سواء أحببتني أم لم تفعلي ..
أتيتِ أو لم تأتِ ..
أنـــا أحبـــك

لم تكن أنفاسه العطرة هي ما يلفحها بل نفحات حب دافئة احتلت روحها التائقة إليه ، تاهت عن العيون المحدقة بل عن الوجود بأكمله لا تعي غير أنها في جنتها الخاصة نبضاتها تعانق خاصته ، يتنفس أريجها و يبثها حنانه ..

تبادلت نرفين مع والدتها نظرة و ابتسامة قالتا الكثير بينما نازلي تقف في الخلفية تعض على شفتيها غيظا و قد اشتعل قلبها كراهية و حقدا ، يتأجج داخلها غضبا مخيف و عيونها ترميهما بقائمة اتهامات لا تحصى يتصدرها الكذب و الحب ..

مع نهاية اللحن و الكلمات لم يكن مستعدا لإفلاتها بعد ، أراد المزيد من دفق الإحساس الذي غمره سالبا روحه ليهبها لهذه المتوسدة صدره برقة طفلة وجدت ملاذها فأشار للمطرب أن يبدأ من جديد هامسا :

- الآن استمعي بعد أن عرفت معناها .....

احتضن الليل أحلام العديد من الساهرين هذه الليلة و اطل القمر بهيا سعيد بتنهدات العاشقين يؤنس وحدتهم و يحفظ أسرارهم ثم يودعهم بضحكة وجهه المضيء قبل أن يهرع بسكب دمعاته النقية التي تنتظرها الأرض بشوق فجر يتجدد واعدا بالمزيد من الحياة ينهل منها الراغبين و ينأى عنها اليائسين خاسرين هبة تمنح دون حساب كأن العالم سيكف عن الدوران و يقف ناعيا بؤسهم !

الأمر الذي أدركته نرفين فنزعت هذا الرداء بشكل كامل و أبدلته بثوب يحمل ألوان الربيع كأنها تستدعيه ليصل أبكر من موعده ..

أنهت وضع الدبوس الذهبي أعلى ياقة معطفها الأنيق ثم التفتت لترى جانبها الآخر عندها منحت انعكاسها المطل من المرآة قبلة راضية و هرعت تلحق بوالدتها التي سبقت للسيارة بعد أن أخبرتها عن عزمها حضور الاجتماع الأسبوعي لأعضاء الجمعية فلديها ما تود قوله أمامهم ..

تصدر الطاولة مقعدين كالمعتاد احدهما احتلته ناريمان بطلتها الأنيقة بينما الآخر كان لزينب التي بدت بحضور يليق بشخصيتها المسيطرة

تجاورها نرفين جالسة بظهر مستقيم و نظرات تشع بالثقة ، لم تخفى عليها زفرات الحنق النابعة من الطرف الآخر للطاولة حيث قبعت تلك الشيري يبدو عليها السأم ..

بعد افتتاح الجلسة بعرض جداول الأعمال و ما استجد خلال الأسبوع قالت ناريمان بإعجاب سكن أحداقها دون أن تعلم :

- تفضلي نرفين ، نرغب بسماع ما لديك ..

أومأت بشكر سريع ثم دخلت في صلب الموضوع مباشرة كأنها جُبلت على إبراز وجهة نظرها بتمكن و ثبات :

- بناء على خبرتي الشخصية اكتشفت ثورة تقنية هائلة في مجال الأجهزة التعويضية و قد أجريت بحث شامل تعرفت خلاله على العديد من المواقع و الشركات المعنية بتوفير الخدمات لأصحاب الإعاقة باختلاف درجاتها من البسيط إلى الأكثر تعقيدا لكن المشكلة تكمن في ارتفاع أسعارها بشكل يمنع الغالبية العظمى من الاستفادة بها لهذا اقترح تخصيص جزء من عوائد الجمعية لتوفير مثل تلك الخدمات للغير قادرين عليها ، نحن لدينا أنشطة مختلفة كلها

ضرورية سواء رعاية أيتام أو إقامة مشروعات صغيرة و غيرها فلما لا نضيف هذا الجانب و أنا مستعدة لتولي الإشراف عليه و التعاقد مع الشركات بشروط ميسرة و قد استطيع إقناعهم بمدنا بالمزيد من الخدمات على أن يمنحهم ذلك إعفاءات ضريبية أو حتى القبول بالتحصيل على دفعات دون فوائد ..

ابتسمت ناريمان بانبهار لما تراه بينما رفعت زينب رأسها بفخر أن هذه الفتاة القادرة ابنتها قائلة :

- لنجري تصويت على الموافقة (ثم رفعت يدها و تابعت) و أنا أول المصوتين بالقبول ..

تبعتها ناريمان برفع يدها قائلة بسرعة :

- و أنا بالطبع ، أحسنت بنيتي ..

توالت التعليقات الايجابية حتى فاقت النصاب المعمول به فأعلنت ناري أنهم يرحبون بالاقتراح و سيدرج على جدول الأعمال منذ اليوم و يتم الإعلان عنه ضمن الأنشطة الفاعلة ..

لمعت عيون الفتاة بالسعادة بينما تنهض متناولة حقيبتها دون اكتراث بنظرات شيري التي تطلق عليها رصاصات الغضب من تحولها الذي فاجأها قائلة :

- حسنا شكرا على حسن الاستماع و التفهم ، سأبدأ اتصالاتي و أخبركم بكل ما أتوصل إليه (ثم مالت تقبل وجنة والدتها و تابعت) يجب أن أغادر ماما فلدي عمل اقترب موعده ..

تحركت نحو الخارج يتعالى وقع نقرات كعب حذائها عاكسة صدى خطواتها الأنيقة ...

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

لم تكن المفاجئة من نصيب العم رضوان وحده عندما اندفع عمر إلى غرفة مكتبه تموج ملامحه بشتى الانفعالات كأنه في طريقه ليصبح خارج عن السيطرة بشكل كلي ..

فلم يتخيل يوما أن امتناع سُلاف عن لقائه سيستحوذ على عقله و تركيزه حتى لم يعد يفعل شيء سوى رصد تحركاتها لينجح في اقتناصها لكنها كانت كالشبح ، متواجدة بكل مكان و تمارس كافة أنشطتها المعتادة و مع ذلك تنفلت من بين أصابعه أسرع من قطرات الماء و هذا أصابه بالجنون و ها هو يعلن استسلامه و يرفع الراية البيضاء طواعية ..

حدجه رضوان بنظرة متسلية قائلا :

- ماذا هناك عمر ؟ هل انتهى الاجتماع بهذه السرعة !

خلل أنامله داخل خصلات شعره الكستنائية يعيدها للوراء قبل أن يقول :
- لا اعرف فانا لم احضره ..
ردد الرجل بتفكه :
- مرحى ، إذن رؤساء الأقسام مجتمعين ببعضهم دون الرئيس ، حسنا هات ما لديك دون مقدمات ..
سارع لسانه بالتنفيذ و انطلق مفصحا :
- أريد الزواج من ابنتك عمي ..
بادله النظر من فوق إطار نظاراته سائلا بإغاظة:
- أيهما ؟! فلدي اثنتين ..
استنكرت أذنيه وقع السؤال ، كيف عاش زمنا مع وهم رغبته بالزواج من جيّدا بينما لا يتقبل مجرد الإشارة لذلك الآن !
بادر بالهتاف قائلا :
- سُلاف بالطبع ..
رفع الرجل حاجبيه سائلا :
- و هل أخبرتها ؟
حرك رأسه نافيا بضيق فتابع العم حديثه السعيد بمشاعر الشاب الجلية أمامه :
- إذن لا شأن لي ، اذهب و اخبرها و عندما توافق تعال إليّ ليبدأ دوري ..

رد بنبرة ملئها الإحباط :
- لكنها ترفض لقائي ، أرتك أن تكون رسولي إليها ..
أشار رضوان بكفيه قائلا :
- هذا ليس حلا ، اثبت لي انك تستحقها ، اجعلها تفك الحصار و تستمع إليك أولا ، انه واجبك وحدك أيها الشاب فقم بما عليك فعله ..
هب من مكانه و قد أثارت الكلمات حميته مغمغما بوعيد قبل أن يغادر ..
- سأفعل ، أعدك أن افعل ..
❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖
تسلمت والدة خالد مسؤولية عاصم و لانا بكل سرور حتى تتفرغ ندى و والدتها لمتابعة التجهيزات النهائية التي تسبق حفل الليلة على أن ينضموا إليهم لاحقا بصحبة خالد الذي أسعده للغاية و أراحه تبدل معاملة والدته لزوجته بعد لقاء المصارحة و قد اختفى التحفز و غاب الجفاف بفضل إقدام قطرته الندية ....
❖❖❖
اتجهت ندى إلى المطبخ الخاص بمنزل شقيقها الجديد حيث تقوم والدتها بترتيب المواد الغذائية المتنوعة داخل البراد قائلة :

- لقد أنهيت وضع ملابس ادهم ماما ، ماذا افعل بعد ذلك ؟

أشارت السيدة المنشغلة :

- تأكدي من وضع كل شيء في مكانه داخل الأدراج ثم رصي أواني العشاء الجاهز داخل الفرن ، هيا أسرعي فعلينا المرور بمتجر الزهور لنتأكد أن كل شيء على ما يرام قبل انضمامك للعروس في مركز التجميل ..

❖❖❖

هتفت سُلاف ناهرة الفتاة المرتجفة تحت يدي المزينة قائلة :

- اثبتي مانو و إلا سأربطك بالمقعد ، ماذا دهاكِ يا فتاة إنها المرة الثالثة التي تفسدين فيها زينة عينيك !

رددت السيدة بتفهم :

- اهدئي صغيرتي و لا تقلقي ، تنفسي بعمق و فكري بشيء جميل ..

تابعت سُلاف بسخرية :

- اجل فكري بالشاطر ادهم يا ست الحسن و الجمال ..

وصلت ندى تحمل حقيبة بها ثوبها و أغراضها الأخرى هاتفة :

- ما هذا الم تنتهي بعد ؟ لما كل هذا التأخير ؟!

أشارت سُلاف تجيبها باستياء مرح :

- الحمقاء تفسد زينتها ، إنها ترتجف كأنها تساق للإعدام ، اعتريني ندى ماذا يفعل شقيقك عندما يحدثها !

صدحت ضحكاتها السعيدة بأجواء الزفاف البهية قائلة :

- نظرا لحالته النافذة الصبر منذ الصباح أصبحت اشك الآن ، عموما لقد أمنت المداخل و المخارج خشية أن يقوم باقتحام المركز و خطفها كما هي ، ما هذا الذي ترتديه بالمناسبة ! تبدو أشبه بزوجي في رداء العمليات الأخضر !

شعرت بضربة من كف أماني التي هتفت قائلة :

- اقسم أن لم تكفا سأقوم بطردكما إلى الخارج بنفسي ..

أشارت سُلاف بكفها لندى قائلة :

- أرأيت تأثير أخاكِ على ابنة عمي الرقيقة ؟ لقد صارت تهدد و توعد ، أخشى بعد الزواج أن تتحول لقطع الطرق ! سأذهب لارتداء ثوبي و عندما أعود أريدها جاهزة ، هيا مارسي سلطاتك و افرضي هيبتك كشقيقة زوجها لا تفضحينا ..

وضعت نرفين حقيبتها هاتفة بلهفة :

- هل بدأ الحفل ؟ لقد حاولت جاهدة عدم التأخير ..

استقبلتها جيّدا الجالسة بحماس أمام حاسوبها قائلة :

- ليس بعد لكن عمر ضبط وضع الكاميرا في مكان يسمح لنا برؤية مساحة كافية ..

جاورتها و قد انتقلت إليها عدوى الحماس و الترقب قائلة :

- أتعشم أن يكون الاتصال جيداً و لا ينقطع مثل الأمس ، كنت ارغب برؤية احتفال الحناء لديكم للنهاية ..

أومأت جيّدا قائلة بابتسامة واسعة :

- مشابه لاحتفالكم لكن دون فقرة دفع العروس للبكاء ، تفاءلي بالخير لن ينقطع بإذن الله

تابعت نرفين مراقبة الشاشة قائلة :

- جميل أن يكون الحفل بمنزلكم ، هذا يجعله أكثر حميمية ..

علقت على قولها ضاحكة :

- اجل أوافقك لكن ابنة عمي البلهاء لم ترفض إقامته بإحدى القاعات لهذا السبب بل خشية أن يصل الخبر لعمي و لا تسألي عن كيفية حدوث ذلك لأني لا اعرف ، كان الله بعون ادهم على القادم ..

أشارت برأسها قائلة بحيرة :

- مازلت غير قادرة على تخيل شكل ذلك الزواج الذي تعيش فيه الزوجة بمنزل والدها !

أسبلت الأخرى أهدابها قائلة :

- انه الحب نرفي ، كليهما مستعد للتضحية مقابل أن يكونا معا في النهاية (ثم استدركت ضاحكة) بالإضافة لخطط والدي بالطبع انه رائـع ..

وافقتها مرددة بود :

- أتمنى لهما السعادة ، لقد بدت جميلة و بريئة في حفل الأمس كما أحببت شقيقتك فيفي للغاية ، إنها تشبهك و والدتك أيضا رائعة جدا (صفقت يديها متابعة بجذل) أوه أنا سعيدة لأني سأتعرف على بقية أفراد عائلتك الآن ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

لم يصدق ادهم عينيه عندما أطلت عليه ترفل في ثوب زفافها الأبيض بدرجة الفضي من الحرير بأكمله ، تصميمه كان بدون أكتاف حتى تم تعديله و أضيف إليه جزء علوي منفصل ليناسب حجابها ، يبرز الخصر مجموعة من الثنيات الملتفة حوله بأناقة و تزينها زخرفة من الدانتيل تميل معه ممتدة حتى الخلف ، أما التنوره فكانت متسعة صممت بشكل كسرات أعطته طابع رقيق مع مشد خلفي جميل ينتهي بذيل متوسط الطول ، يغلفها طرحه من التول الخفيف زينت أطرافها بنفس تطريزات الثوب

عيونها غائمة بمزيج من الخفر و الحب لهذا الفارس المغوار الذي خطفها من دوامة كادت تبتلع الحلم بشكل نهائي هذه المرة و قد خطف قلبها اقترابه المهيب و عندما تناول كفها ليشبكه بذراعه معانقا أناملها بتملك رقيق أدركت أنها تسلمه زمام أمرها طواعية راغبة إهدائه حبها و حنانها و كل ما تملك من توق خزنته لسنوات

ترجم إحساسه بكل ذلك من خلال لمسات إبهامه الناعمة لظهر كفها الغض التي ألهبت مشاعرها و جعلت أنفاسها تتسارع ، فكرت بدهشة ، كل ذلك من لمسة خفيفة ! ماذا سيحدث لو فكر بتقبيلها على سبيل المثال ؟!
جيد انه أعفاها من واجباتها الزوجية و إلا تلاشت و اختفت حرجا ..
انتهت جولة العروسين المعتادة بسلاسة و دخلت السيارة المزدانة بأناقة إلى حديقة المنزل يحوطها موكب السيارات المصاحب لتنطلق الزغاريد من كل صوب و يهرع الجميع لاستقبال العروسين و قد انهالت التهاني و الدعوات من أفراد العائلتين
اعتدلت جيّدا هاتفة بسعادة كبيرة :
- ها هم وصلوا ، انظري هذا بابا الذي يجاور عمر و ذاك على اليمين والد ادهم و الذي يليه خالد زوج ندى التي رأيتها بالأمس ..
سألتها نرفين و عيونها معلقة بالشاشة خشية أن يفوتها شيء سعيدة لكونها تحضر حفل الزفاف على الهواء مباشرة :
- الشقراء التي تشبه العروس ؟
- كلا تلك إحدى قريبات أماني من ناحية

والدتها رحمها الله ، ندى شقيقة ادهم صاحبة العيون الرمادية (أشارات إلى الشاشة قائلة) ها هي التي دخلت الآن ..

تأوهت نرفين هاتفة بإعجاب :

- ثوب الزفاف جميل للغاية ، الحرير جعله يهفف بانسيابية و خفة ، ما شاء الله تبدو كالملاك ، العريس أيضا وسيم جدا و أنيق ، يليقان ببعضهما ، هل سيعقد القران الآن ؟

حركت رأسها نافية و قالت بإيضاح :

- لقد تم بالفعل هذا الصباح ، راقبي هناك الخالة أحلام تبكي و ماما تواسيها ..

أشارت إلى سُلاف التي تقترب من السيدتين قائلة

- تبدو رائعة في ذلك الثوب المرصع بالأحجار ، و شعرها تجمعه بعيدا عن وجهها ثم يتدلى مغطيا ظهرها كأميرة عربية هاربة من العصر القديم ..

ضحكت بينما تتذكر تعليق شقيقتها المرح عندما عرفتها على نرفين كصديقتها التي تشاركها السكن فقالت أنها تشبه ممثلة تركية تفضلها لكنها لا تذكر اسمها و سرعان ما اندمجت معها الفتاة بحديث ودي و قد أسعدها قولها ..

كانت تركز على نظرات ادهم لاماني بينما لكزتها نرفين قائلة :

- انظري بهذا الركن لقد حاول عمر استيقافها لكنها تجاهلته كما لو كان غير مرئي ! لما فعلت ذلك ؟!

أعارتها جيّدا انتباهها هاتفة :

- أين ؟ أوه خسارة ليته كان مقطعا مسجل لأتمكن من إعادة اللقطة ، لقد اخبرني منذ فترة أنها تخاصمه لكن لم يفصح أيا منهما عن سبب ذلك !

ظلتا تتابعان بشغف كل ما يحدث على الجانب الآخر و تعليقاتهما حول كل شيء لا تنقطع بسعادة و مشاركة حقيقية ...

❖❖❖

اشتعل الغضب كالحمم يلتهم أوردة عمر ، لم يشعر في حياته بالعجز أبدا كما يفعل الآن ، منذ وصولها بصحبة العروس و هي تشيح وجهها عنه ، لم تغادر جانب أماني إلا لماما و عندها كانت إما جوار والدها أو شقيقة ادهم ..

تلك الشقية تجيد التلاعب حتى و هي أمامه تنسل من بين يديه كالزئبق !

ماهرة في إثارة غضبه و مصممه على الخصام للنهاية ، لطالما كانت لا تحيد عن كلمتها لكنه لن يسمح لها ، ليس بعد أن فهم نفسه أخيرا و ترجم مشاعره بالشكل الصحيح ..
لقد ظلت كامنة لسنوات بانتظارها و الآن قلبه يهتف مدويا بعشقها ، يهدر بعنف إعصار كاسح مر داخله ماسحا أي وهم صوره له خياله ، اكتشف أن سلافه هي الماضي و الحاضر و المستقبل لم و لن يغرم بسواها و يرغب يائسا في إخبارها و سؤالها الزواج منه ..
يدرك انه سيعاني في إقناعها فحبيبته مهرة برية رافضة للخضوع و الطاعة لكن لا بأس هو يريدها على هذا النحو ، تجسيدا حيا للشموخ الخجول المعجون ببراءة الصبا و الجمال ، زهرة نقية عند اللزوم تتحول لأميرة البربر ، شديدة الاعتداد و تأبى الهوان ، لقد اخطأ في حقها و استحق العقاب لكن عذره انه كان وقتها فاقدا للعقل و السيطرة معا ، أي ليس عليه حرج فرقفا يا ذات الكبرياء ، امنحيني فرصة لأخبرك أني استعدت حقك و علمت قدرك و جهرت بعشقك منذ الميلاد ..

وقفت ندى بين العروسين حاملة العلبة المخملية الأنيقة تناول شقيقها المحابس فقد حانت لحظة ارتداء العروس لخاتم رباطهم الأبدي بعون الله ..
تبارت فلاشات الكاميرات تلتقط الصور للخاتم الذي تألق في بنصرها الرشيق يشع سعادة كونه أصبح منتميا لها ، كان غير تقليدي من البلاتين تصميمه بشكل وردة تفتح بتلاتها الأربع لتستقر بينهم ماسه مصقولة بخُيلاء ، يتناثر أسفلها قطع من الماس بأحجام متفاوتة وزعت بشكل جمالي ابرز تصميم المعدن النفيس ..

ثم اتبع بالمحبس و هدية العرس سوارا رقيقا من المعدن نفسه و قلادة أنثوية تكملان تصميم بعضهما برقة و بهاء يشبهان صاحبتهما ..

عندما حان دورها لوضع محبسه الفضي كادت توقعه من فرط ارتباكها لكنه سارع بمساعدتها معانقا أناملها رافضا السماح لها بالإفلات ..

اتقدت بشرتها الشفافة من فرط الحياء عندما فاجأها بطبع قبلة خفيفة أعلى وجنتها المغرية متوجا اللحظة بطابعه الخاص ، أو ربما الأصح يؤكد لنفسه أنها صارت حقا زوجته منذ وضع كفه بكف عمها أمام الشيخ داخل غرفة مكتبه صباح اليوم كأن وجود الشاهدين خالد و عمر لا يكفيه ليصدق انه يعيش الواقع و لا يحلم ..
آه لو علمت وقع هذه اللمسة الأشبه بدغدغة ريشة ناعمة على قلبه ، لقد أصابته بماس كهربائي انتقل من شفتيه إلى سائر حواسه ليتقد داخله و يزأر مطالبا بالمزيد ، ما تاق إليه منذ عرفها و صار من حقه لكنه منحها إياه بطيب خاطر لتطمئن و يا له من ثمن باهظ ، يقتله حتى مجرد التفكير أنها صارت له حلالا خالصا بينما لا يستطيع إيذاء مشاعرها المرهفة ، لكنه سيحتمل لأجلها ، بالتأكيد سيفعل ..
تقدمت سُلاف و ندى لتخبراهما بحلول وقت رقصة العروسين ..
ساعدتها ابنة عمها بالنهوض لتتسلمها ذراعي زوجها الذي ضمها بحب أوشت به أنفاسه الحارة التي لفحتها بقوة عندما همس من فوق طيات حجابها اللامع :

- هذه كلمات قلبي إليك يا كل كياني و أماني أهدتها همساته الرضا و السكينة كما عانقتها نبضاته الثائرة فتركت نفسها لرحابة صدره تعيش واقعها الذي فاق كل أحلامها روعة و سحر ...

أنا بعشقك ليه لأ .. وعندي ألف حق
ملقيتش أحن منك في الدنيا مفيش ارق
و سنيني معاك تمر .. مفيهاش ولا ثانية مر
سلمتلك حياتي ملك ايديك و أنت حر
أنا قولتلك و حلفتلك ..
هكملك لو حاجة فيك ناقصاك
قبلك أنا ضيعت وقت ..
دا أنا اتخلقت عشان أكون وياك

حاولت سُلاف تنظيم أنفاسها التي بعثرها بنظراته و قد حاصرها بعنفوان اكتسح كل محاولاتها للهرب مع رسالة معلنة سلبتها الإدراك ..

كان يحرك شفتيه بكلمات الأغنية مصرحا لها بكل ما يعتمل بصدره دون مواربة بإهداء وافر من الأحاسيس التي قرأتها بوضوح داخل أحداقه الغائمة بلون الزفير ،

عندما أرادت الإشاحة عنه لم تستطع فعلها ، هناك قوة قاهرة تُثبت عيونها في مواجهة نظراته الحارقة بينما يبثها مكنونات نفسه ....

على ايديك اتولدت .. و اتعلمت الحياة
أنا حد تاني بجد .. غير اللي الناس شايفاه
أنا قدامك كأني .. بكلم حتة مني
حبك غير حياتي و كنت هضيع لولاك
أنا قولتلك و حلفتلك ..
هكملك لو حاجة فيك ناقصاك
قبلك أنا ضيعت وقت ..
دا أنا اتخلقت عشان أكون وياك

حتى أنها لم تشعر عندما اقترب و تناول كفها ببساطة ليصطحبها إلى الحديقة كالخاضعة للتنويم المغناطيسي ..

قد تكون لسعة البرد هي ما جعلها تفيق و تتسع عيونها بوجل أو ربما هو برق عينيه الذي سبب لها تلك الرجفة لتنتفض و تحاول التراجع للخلف هاربة من هالة السحر الذي يكبلها دون رحمة ..

لكنه بادر بقطع طريقها و احتجزها أمام جزع شجرة لم تبخل عليه بالمساعدة مرددا على الفور:

- لا ، لن اسمح لكِ بتكرارها سُلاف ، عليك الاستماع إليّ حتى لو رغما عنك ..

عاودها العناد فرفعت كفيها تغلق أذنيها بطفولية جعلت الابتسامة تضيء ملامحه و تزيد جاذبيته خطورة :

- حتى لو أقمت بيننا ألف باب و هربت لأقاصي الأرض سيصلك هتافي و سأحظى بفرصتي ، لكني اعلم أن سُلافي لا تهرب بل تواجه بشجاعة ..

أخفضت كفيها قائلة بحدة :

- أولا أنا لست سُلافك ، ثانيا لقد أخبرتك من قبل أني لن أسامحك ، ثالثا لا شأن لك بي رد بعناد اكبر و مشاعره تثور داخله مهددة بفقدان السيطرة و هي أمامه بهذه الروعة الآسرة للروح :

- ارفض أولا و ثالثا ، أما ثانيا فالتمس سماع دفاعي ..

وضعت كفيها فوق خصرها هاتفة برفض :

- لا أريد سماع شيء ..

ثم حاولت تخطيه مجددا لكنه منعها بأن وضع نفسه أمامها فاضطرت للعودة إلى مكانها آسفة ليدوي صوته قائلا بصدق :

- أنا اعتذر سُلاف ، لم أكن بحالة طبيعية وقتها و لم اقصد ما تفوهت به في لحظة جنون ألمت بي من فرط الغضب لأجلك و ليس منك بالمناسبة ..

آسف صغيرتي إنها زلة واحدة فقط و قد عاقبتني بما فيه الكفاية ، لقد تعبت من الخصام و تعمدك البعد عني ، لم انطقها من قبل لكني لا اخجل من قولها الآن ، سامحيني رجاء ..

ارتجفت شفتيها تخنقها غصة البكاء ، لمست صدقه و تعلم انه يعني كل كلمة لكن شكه و اتهامه لا زال ماثلا أمامها بقض مضجعها و يؤذي أسماعها ..

لن تبكي أمامه و لن تظهر ضعفها تجاهه ، أشارت بكفها ليمنحها ما تريد و يفسح لها الطريق فرقعت ذيل ثوبها الطويل و تحركت مسرعة إلى الداخل ..

لم تكد تخطو خطوتين حتى سمرها صوته الذي هدر حاملا اعترافه :

- أنا احبك سُلاف ..

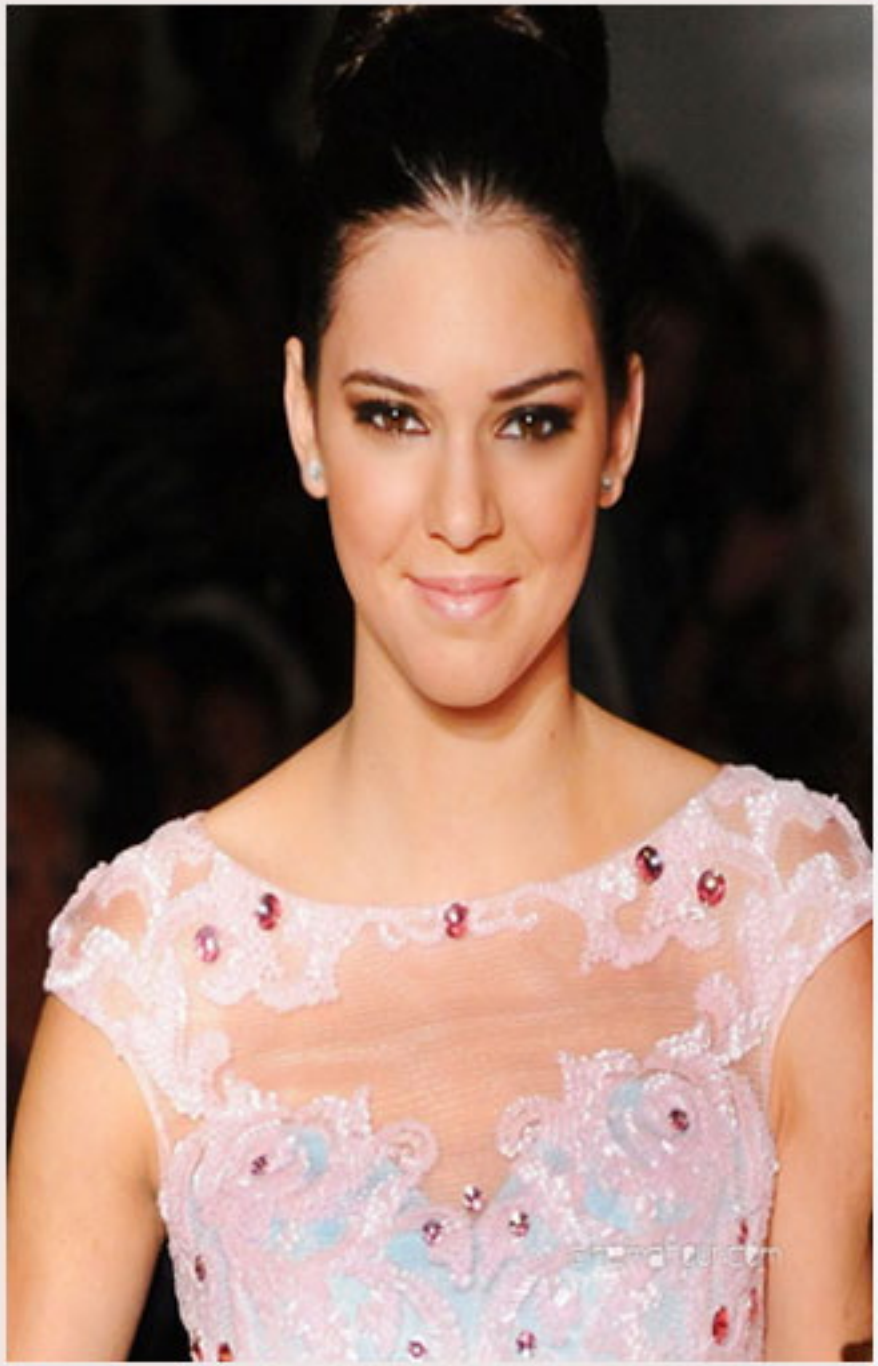

أوشك قلبها على التوقف حقا هذه المرة ، هل نطق بها أم عقلها بدأ بنسج الأوهام ؟ الكلمة التي حلمت بها منذ وعت على الدنيا ينطقها الآن !! لم ينتظر استدارتها و اتبع باعتراف أكثر قوة و يأسا :

- لطالما أحببتك أنت ، حتى و أنا تائه في دروب الحياة كنت أعشقك وحدك ..

التفتت إليه هاتفة بحدة من شدة غيظها و حنقها لكل لحظة عذاب تحملتها بينما تحاول التعايش مع نظراته المتيمة بتوأم روحها و شقيقتها الوحيدة :

- ذلك يجعل ذنبك مضاعفا ..

رمته بها ثم ركضت إلى الداخل كل خلية فيها ترتجف عاكسة انفعال لم تمر به من قبل و قد اختلط عليها الفرح و الحزن ، الرغبة بالقفز عاليا لتهتف فرحا أو الانفجار بكاء !

مالت عليها ندى هامسة :

- ماذا بك فيفي ؟!

حركت رأسها دون رد فتابعت ندى قائلة :

- حسنا الوقت غير مناسب لاستجوابك كما ينبغي ، تعالي فادهم و أماني مغادران ..

رغم السعادة المنطلقة بين الجميع و الحب الذي صبغ الأجواء يظل الوداع يشكل غصة داخل النفوس ، هكذا شعرت أماني بينما تودع أحباءها قبل أن يلفها ادهم بحنانه و يصطحبها داخل السيارة إلى حيث ينتظر عشهما الجميل ..

انصرف الضيوف في أعقابهما تاركين المنزل يعود للهدوء إلا من ضحكات جيّدا و نرفين المتبادلة مع والديها و سُلاف الشاردة بحثا عن أنفاسها التي سلبها و غادر بها وحيدا لان والديه استأذنا بوقت أبكر لارتباطهما بحضور حفل آخر يخص عمل زوج خالتها ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

قاد ادهم سيارته بنفسه رافضا أن يشاركه احدهم ثانية إضافية من وقته معها ، لعل قلبه يهدأ و يستكين و يكف عن طرق ضلوعه راغبا في الإفلات لينام هانئا بين كفيها ..

لم ينس كلمات العم رضوان أثناء وداعهما كأنه بحاجه لمن يوصيه بها ، هل بإمكانه التفريط في حلم طال انتظاره !

أجلى حنجرته التي أصابتها ثورة مشاعره بالجفاف حتى يستطيع النطق و يخرجها من صمتها الخجول ، يرغب بسماع صوتها يدغدغ أذنيه بنعومتها الحبيبة ..

- مبارك حبيبتي ، هل قلتها لك الليلة أم نسيت في غمرة سعادتي ؟

انفرجت شفتيها الجميلتين عن ابتسامة خلابة لونها حيائها الفطري لتهمس قائلة :

- اجل ، لعشر مرات على الأقل ..

انفجر ضاحكا و قد أنعشه ردها قائلا بعبث :

- لم أكن أدري انك بخيلة نانيّ ، كل هذه المرات و لم استمع لواحدة فقط تسكن فؤادي المتيم المسكين !

ذابت خجلا هذه المرة و لم تستطع النطق سوى بحروف اسمه لائمة مما أجج نيران غرامه فقبض بكفيه على المقود خشية ارتكاب حماقة على الطريق ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

لم يتخلص عمر من إحساسه العاصف الذي يتراوح بين الغضب و الحيرة ، ما معنى ذلك ؟ هل يفقدها ؟ هل ترفض حبه ؟ مستحيل لن يسمح لها أبدا ، سيحظى بمسامحتها و يجعلها تُسلم بحقيقة كونها خلقت لأجله ..

خرج من لجة تساؤلاته على دفعة قوية أصابت مؤخرة سيارته بعنف !
زم حاجبيه مسيطرا على اتزانها بينما اتخذ جانب الطريق يستطلع ما الذي الم بالسائق خلفه عله يعاني وعكة صحية فاجأته أثناء القيادة أو أصاب سيارته خللا ما جعلها تخرج عن السيطرة ..
لكن الظلام حوله لم يتيح له رؤية تفاصيل أكثر من كونها شاحنة مرتفعة يبدو سائقها مُصر على الاحتكاك به و دفعه عن الطريق !
كف عن محاولة الإشارة إليه بتخطيه و العبور و ضغط بقوة على دواسة الوقود لتطيعه السيارة و تنطلق بسرعة محاولا تجنب ذلك الانتحاري قاصدا المنعطف القادم الذي سيمكنه من رؤيته و خلق مسافة أكبر بينهما نظرا لفارق الحجم بين المركبتين لكن الآخر قرأ أفكاره و زاد من سرعته بالمقابل ليقطع عليه سبيل الهرب من حصاره و استمر بدفعه عامدا من زاوية مغلقة لا تسمح له بإيجاد مخرج من هذا الوضع الخطر ..
كان هدفه واضحا و نفذه ببراعة مجرم محترف رغم محاولات عمر المستميتة للسيطرة على سيارته التي لم تتمكن من الصمود أمام الوحش المعدني الثقيل بشكل جعله أكثر قوة ..
كل هذا لم يستغرق دقائق معدودة حتى انحدرت السيارة الرياضية عن المسار محطمة جانب من سور الطريق بطريقها لارتطام مدوي سمُع صداه لمسافة كبير قبل أن تخمد حركتها هي و من بداخلها لتكمل الشاحنة المجهولة طريقها غير آبهة بالحطام الذي خلفته ثم تناول سائقها هاتفه قائلا بصوت حاد النبرات و بلهجة قاطعة :
- لقد أنجز الأمر ..
❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖
حث ماجد خطاه طاويا ارض صالة السفر لينهي آخر إجراءات مغادرته و قد ارتدى نظارة سوداء ضخمة في محاولة لإخفاء قدرا من ملامحه المشوهة جراء ما ناله على يدي عمر ..
لقد ظل ملقى داخل منزله كالنفاية وقتا طويلا دون حراك حتى أفاق أخيرا و بصعوبة تحامل على نفسه و استدعى طبيبا من أصدقائه أسعفه و ضمد جراحه مع وعد بالتكتم بعدها قرر السفر إلى والديه لعله يستطيع البدء هناك و إنقاذ مستقبله من الضياع الكلي ..

سيستغل علاقات والده و يعمل بإحدى الجامعات الخاصة و يستقر دون عودة ..
صدح هاتفه باتصال متوقع فأجاب على الفور ليصله الصوت الغريب حاملا الخبر المنتظر لتومض عيونه مرددا بظفر :
- حسنا و ستجد بقية المبلغ في المكان المتفق عليه
ثم أنهى الاتصال منتشيا بحصوله على انتقامه ممن تسبب بهدم حياته و سلبه عمله و احترامه ، اخرج الشريحة من الهاتف و ألقى بها داخل اقرب صندوق مهملات كأنه بهذا ينهي آخر صلة له بوطنه الذي لفظه ثم يستدير مستجيبا للنداء بسرعة التوجه للطائرة ....

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

- هيا نانيّ لن نقضي بقية الليل أمام المدخل ، تعالي حبيبتي منزلنا ينتظرك مرحبا ..
قالها بينما يمد كفه يحثها على الترجل من السيارة المتوقفة منذ ربع الساعة على الأقل بينما هي تعض شفتها السفلية و تشعر بالرهبة لدرجة جعلتها عاجزة عن تحريك ساقيها ، نظرة عيونه جعلتها تنهر نفسها قائلة : ما بالك أيتها الحمقاء ! هذا ادهم حبيبك ، لا ريب انه يظنك بلهاء كليا الآن ، تحركي قبل أن يتراجع و يعيدك إلى عمك مع رسالة شكر ..
عانقت كفه بأناملها الباردة التي احتضنها بلهفة يبثها من دفئه ثم وضعت قدميها على الأرض بثبات أخيرا هامسة باعتذار خافت قابله بابتسامة متفهمة ثم اصطحبها صاعدا ثلاث درجات رخامية عريضة إلى باب خشبي مزدوج يزدان بنقوش متداخلة بفخامة عندها اخرج مفتاحه الذي دار في القفل بسلاسة قبل أن يلتفت إليها قائلا برقة :
- المعذرة نانيّ ، لكني طالما حلمت بفعلها ..
فتحت فمها لتنطق بسؤاله عما يعني لكن الإجابة وصلتها بشكل عملي لأنه حملها بين ذراعيه باسما بعيون سبحت دكنتها في لمعة آسرة و قد استجابت بلف ذراعيها حول عنقه بآلية بعد شهقة خافتة ..
كان ذلك هو أول تقارب فعلي بينهما بعيدا عن العيون المراقبة و قد ترك أثرا لا يمكن وصفه على كليهما..
شعرت بدفئه و صلابة جسده مع أريج عطره ينقلها لعوالم أخرى أخذتها بعيدا عن القلق

و التوتر و أي شيء عداه ، بينما هو احترق لمس جسدها الناعم رغم طبقات الثوب التي لم تمنع إحساسه العنيف بها ..

سمح لها بالهبوط على ارض الردهة الجميلة التي تراها للمرة الأولى و قد أعجبها الذوق العام و لم يعطه وصف ندى حقه ، جالت عيونها في المكان بسرعة قبل أن تردد هامسة :

- انه جميـل ..

رد بشغف نابع من روحه التائقة :

- أنت الأجمل يا عمري ، وجودك فيه ما يمنحه قيمته ..

رفرفت أهدابها بخفة فتابع ببساطة ليشعرها بالاطمئنان :

- أظنك لن تستطيعي التجول بحرية مع هذا الثوب الكبير ، فما رأيك بتبديله أولا ثم نرى ما لدينا للعشاء ، اعرف انك لم تتناولي شيئا منذ الصباح إن لم يكن أكثر ..

أومأت قائلة بخفوت :

- نعم أود ذلك ..

اصطحبها بسعادة إلى الطابق العلوي الذي يحتوي على ثلاثة غرف ، الرئيسية منهم أعدت لتكون مشتركة بينهما ، ادخلها إليها قائلا :

- مرحبا بك في مملكتك مولاتي ..

اختلطت بسمتها العذبة بالخجل فتابع مدعيا المرح :

- إن أغراضي هنا بالطبع لكني سآخذ الملابس الضرورية و أجد لنفسي مكان أبدل فيه ، اطمئني لن أزعجك أبـدا ..

جلست على الفراش المزدان بشرشف حريري رائع التصميم تراقبه بينما يسحب عدة قطع من خزانته بعشوائية ثم يتجه للخارج دون نظرة زائدة ، كم كان رائعا و هو يجاهد عينيه حتى لا تحيدان إليها ، وجدت نفسها ترفع خاتمه و تقبله هامسة بهيام :

- ستظل دوما حبيبي و أمير عمري ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

لم يكن الوقت متأخرا بشكل كبير ليعثر بعض المارة على سيارة عمر المهشمة بجانب الطريق و قاموا فورا بإبلاغ الشرطة و الإسعاف و قد علموا أنها خالية إلا من قائدها الذي لم يحاولوا تحريكه خشية إيذائه أكثر لكن ليس قبل التأكد من عدم وجود تسريب بالوقود أو ما يشكل خطرا من بقائه داخلها ..

مر بعض الوقت ثم تحولت البقعة الساكنة لخلية نحل بوصول المسعفين الذين فحصوا المصاب بعناية ثم قاموا بنقله إلى المستشفى بينما رجال الشرطة و البحث الجنائي تولوا أمر السيارة و دراسة آثار الإطارات الواضحة على الإسفلت مكونين صوره أولية عن كيفيه وقوع الحادث مع محاولة العثور على شهود عيان قد يكونوا لمحو أي شيء يفيد التحقيق ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

أخذت وقتا كافيا أمام خزانة ملابسها حائرة فيما عليها ارتداءه !

من المفترض إنها ليلة زفافها لكنه اخبرها بعدم نيته في الإقدام على ذلك ..

تناولت احد الأثواب الخفيفة و فردته على الفراش لكنها ما لبثت أن شعرت بالسخافة ، سيكون ذلك بمثابة إعلان أنها لا تريده و قد يجرحه ذلك ..

حسنا هي قلقه و مرتابة خاصة بسبب موقف والدها لكن ليس إلى هذه الدرجة ، لقد رحبت عندما أبدى استعداده بتأجيل حقوقه الزوجية ليس نفورا منه و إنما كأي فتاة تخشى المجهول و تخجل أيضا ..

استقرت على رأي محايد ستفعل كما أخبرتها الخالة زهرة و تستمتع بكونها عروس زُفت للتو إلى حبيب قلبها ، ستتصرف على سجيتها معه ، يكفي كل تضحياته لأجلها حتى الآن ..

حركت رأسها بعزم و أعادت الثوب إلى مكانه ثم انتقلت لركن آخر و أخذت تستعرض غلالات النوم الحريرية الهفهافة و تقارن بينها و ذلك الأبيض الذي حضرته لها ندى ، وجدته أكثر رقة و احتشام كما لو كان مصممه يقدر حياء العروس الجديدة فجعله يفيض بالأنوثة دون أن يكشف عن الكثير فبدا أنيق ، راقي و قد أحبته خاصة عندما وضعت الدثار المكمل له ، لطالما كان ذوق سُلاف جميلا في انتقاء الملابس ...

❖❖❖

إلى متى يظل يدور في أرجاء الردهة كالليث الحبيس !!

لكن سرعان ما انتبه عقله للطيف الملائكي الأبيض و سلاسل الذهب المنثورة بدلال على كتفيه هابطا فتسمرت قدميه برعونة رافضة الطاعة فعاد ينهر نفسه : تعقل يا أحمق و لا تتصرف كالمهووس حتى لا تخيفها ..

جلس مباشرة مدعيا هدوءا لا يملكه دون أن يستطع فعل شيء أكثر فذلك يفوق احتماله
تقدمت منه قائلة بصوتها المُعذِب :
- مرحبا ، هل انتظرتني طويلا ؟
غمغم مسحورا بما يراه :
- مـــاذا ؟!
ضحكت برقة و تابعت قائلة :

- ألن نأكل ؟ أم سحبت العرض لأني تأخرت في الأعلى ..
حرك رأسه نافيا ثم نهض على الفور مادا كفه إليها لتمنحه يدها طواعية و يتجها سويا إلى المطبخ الذي أعجبها ترتيبه و بينما يجلس على الطاولة المستديرة أخرجت الأصناف المحفوظة من مكانها و قد أخبرتها والدة ادهم عن كل ذلك سلفا ..
راقبها مفتونا بكل حركة تُصدرها ثم ردد بمرح:
- تصوري أنا لا اعلم إذا كنت تعرفين الطهي أم لا ؟
جلست مقابله و أجابت بابتسامه خلابة :
- بالطبع اعرف ، هل تظن الخالة أحلام تتوانى عن هذا الأمر ! لقد علمتني كل شيء رغم اعتراض بابا ..
غامت عيونها عند تذكره فتناول كفها بين يديه قائلا :
- سيكون بخير نانيّ و إذا كنت فاقدة للدلال سأعمل بديلا عنه بكل سرور ..
اختفت سحابة الكدر التي عكرت أجواء العسل و ظهرت بدلا منها لمعة سعادة :

- أتعلم ، أحب طريقتك في لفظ اسم التحبب الذي تطلقه عليّ ، تجعله خاص جدا كشيء ملموس يخصك كما لا يستخدمه سواك ..

رفع كفها يلثم باطنه بعمق فهبت مشاعرها تلفحها بصخب ثم تركها قائلا :

- لنأكل لان الجوع يجعلني ارتكب أشياء محظورة ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

- لا افهم لما أخذت أمي عاصم و لانا معها ، من المفترض أنها ستذهب غدا لزيارة منزل العروسين !!

احتلت ابتسامة ماكرة وجه خالد الذي اقترب من زوجته قائلا :

- لا لن تذهب لان ادهم أوصى بعدم الاقتراب من منزله و عندما يرغب سيقوم هو بالزيارة ..

صدحت ضحكاتها قائلة :

- اصدق انه يفعلها لقد بدا نافذ الصبر و احتمل الحفل بالكاد ..

أحاط خصرها قائلا بعبث :

- اجل كما اشعر أنا الآن ، لقد بدوت رائعة الحسن بهذه الطلة الساحرة قطرتي ..

ميلت رأسها بدلال آسر و رفعت ذراعيها حول عنقه قائلة بسعادة :

- اممم لهذا السبب تركت الأولاد لامي المسكينة

حرك رأسه بنفي مرح :

- كلا ، الأمر اكبر من ذلك ، لقد رتبته مع والديك منذ عدة أيام حتى لا تفسد المفاجأة ..

لمعت عيونها الفضية بالترقب هاتفة :

- اخبرني في الحال ..

تعالت ضحكاته على شكل ملامحها المتلهفة فمال لاثما انفها قبل أن يقول :

- لأننا لسنا متفرغين ، لدينا رحلة علينا اللحاق بها بعد وقت قليل ، بالكاد ستعدين الحقائب ثم ننطلق ..

هتفت بعدم تصديق :

- الآن !!

أومأ بالإيجاب فتعلقت به و قبلته بنفس طريقة ابنته ثم تراجعت قائلة :

- لكن ألن نمر لوداع الطفلين !

أجابها ببساطة :

- عاصم يعلم لقد اتفقت معه أما لانا فجدها كفيل بها ، تعلمين كم تحبه و تنسى الدنيا بصحبته ..

عادت تلقي نفسها على صدره هاتفة بجذل و قد تبخر كل تعبها :

- أوه أنت الأروع خالد ، احبك كثيرا ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

بالكاد مرت محنة الطعام على ادهم بخير فطريقتها في تناوله كانت أشبه بالعزف على أوتار قلبه ، يا الله كيف يصمد و هي تجسيدا للرقة بكل أشكالها !!

و ذلك الشيء العبقري الذي ترتديه لا يساعده مطلقا لدرجة انه كف عن النظر عندما بدأت الخيالات تغزو عقله حول أيهما الأنعم و الأكثر بياضا ؟ قماش الرداء أم بشرتها الحريرية الصافية ؟

عندما هم بالنهوض سألته باهتمام :

- أترغب في تناول الشاي أم تفضل العصير ؟

أجلى حنجرته قائلا بهدوء :

- ما تفضلينه أنت ، اجلبي لي مثلك ، سوف اجلس بالخارج ..

راقبت خطواته الهاربة ، اجل يهرب منها حتى لا يضعف و يخيفها ، كيف لا تشعر بكل ما يعانيه و هو جزء من نفسها ! انه يفعل كل ذلك لأجلها

شردت فيما يحدث لوهلة تفكر بعقلانية ، لقد تزوجا أمام الجميع زواج صحيح مكتمل الأركان فيما يفيد ابتعاده عنها مضحيا بحقه الطبيعي ؟ هل سيبدل ذلك موقف والدها ؟ لقد تزوجت منه راضية و يستحيل أن تسمح بفقدانه ، هذا ينهي كافة الأمور المعلقة بالإضافة لأنها عندما هدأت و زال عنها الروع لم تعد خائفة فهو لن يؤذيها أو يفعل شيء دون رغبتها ، أومأت لنفسها برضا و هبت تنفذ قرارها ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

تسارعت الخطوات الراكضة تجوب ممرات المشفى حتى وصل والدي عمر إلى المكان الذي يقبع خلفه وحيدهما ..

وضعت والدته كفها فوق فمها تكتم شهقاتها الملتاعة آملة في الخير كما اخبرها زوجها ، مرت الدقائق أشبه بالدهر دون أي خبر يهدئ جذعهما بينما الحركة لا تتوقف من و إلى القسم الخاص بالحالات الحرجة !

أخيرا نجح الرجل في استيقاف الطبيب المسئول عقب انتهائه من إلقاء التعليمات على فريق الأطباء المصاحب له و سأله مباشرة عن حالة

ولده المصاب و قد تداخلت كلمات والدته معه ليبدو الحديث صاخبا غير مفهوم ..
أشار الطبيب بكفه في محاولة للتهدئة و إيقاف سيل الأسئلة قائلا :
- لا بد و أن تهدئا حتى تنجلي الأمور فالحادث ليس هينا و نحتاج للمزيد من الفحوص حتى نقف على إبعاد الإصابة تحديدا ، لكن نجاته من الموت تعد معجزة بحد ذاتها عليكما شكر الله و عدم فقدان الأمل ..
هطلت دموع السيدة التي رفعت كفها فوق قلبها الوجل قائلة برجاء :
- أريد رؤيته دكتور ، أرجوك ..
تحدث بمهنية يلزمه بها الموقف الدقيق قائلا بحزم :
- للأسف هذا لا يمكن حاليا ، أدرك إحساسك سيدتي لكن صالح المصاب هو الأهم الآن ، من الأفضل أن تغادرا فبقائكما الليلة لن يفيده و إذا جد شيء سوف نتصل بكما فورا
اعترضت السيدة بقوه رافضة التحرك من المشفى بينما ولدها يصارع الموت ، حتى وأن كانت بعيدة عنه يمكنها منحه الدعم من مكانها الحالي و قد وافقها زوجها فهو أيضا لم يكن ليغادر دون الاطمئنان على وحيده ..
عندها أمر الطبيب بتحضير غرفة يستريحا بها حتى يقضى الله في الأمر ..
أحاط كتفيها بمساندة صامتة فمصابهما واحد و كل منهما بأمس الحاجة للآخر بهذه اللحظة غير راغبين بالاتصال و إذاعة الخبر قبل الصباح على الأقل حتى يعلما أي معلومة واضحة ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

أبصرها تتقدم ناحيته تحيطها هالة الأنوثة و البراءة حاملة صينية عليها كأس واحد من العصير وضعتها على الطاولة الزجاجية أمامه قائلة :
- تفضل ..
قطب حاجبيه قائلا بتساؤل :
- لما واحد فقط ؟! أخبرتك إنني مثلك إذا لم ترغبي فلا أريد بدوري ..
جلست ببساطة إلى جواره قائلة بدلال :
- أخبرني أولا من جلب عصير الأناناس المفضل لدي ؟
اعتدل واضعا ذراعه على ظهر الأريكة ليصبح في مواجهتها قائلا :

- أنا أخبرت أمي و هي من تسوق و نظم البراد ..
اتسعت ابتسامتها فمالت تحمل الكأس قائلة برقة أذابت الباقي منه ..
- لازلت تذكر إذن ، من قال إنني لا أريد ؟ لكننا سنتشارك هذا الكأس معا ..
ثم نفذت مباشرة و رفعته إلى شفتيها لترتشف منه بنعومة بعدها قربته من فمه هامسة :
- دورك حبيبي ..
أوضح لون أذنيه المحتقن عن هدير مشاعره الصاخب فتمتم بهمس أجش :
- لا تفعلي ذلك بي نانيّ ..
علقت بصرها به لحظات ثم أعادت الكأس لمكانه قائلة بخفوت :
- ادهم ، لقد وافقت على أن أكون زوجتك و أدرك معنى ذلك جيدا كما أني ... احبك
هل حقا تفوهت بذلك ؟! هل ترجم عقله فحوى رسالتها بشكل صحيح ؟ أم رغبته العنيفة بها هي ما صورت له أنها تحله من وعده ..!
سارعت إلى العصير ترطب حلقها الذي جف من تصاعد اللهب داخلها ، لقد نجحت بالكاد في قول العبارة السابقة آملة أن يفهم مقصدها و يجنبها الحرج ..

بينما هو كان بحاجة لإشارة ابسط من تلك بكثير ليهرع مقتنصا الفرصة التي أهدتها له فتناول الكأس من يدها قائلا :
- لقد كان دوري أليس كذلك ؟ إذن أريد رشفتي التي آخذتيها لتوك ..
أعاده للطاولة ثم سحبها دون كلمة إضافية ليتذوق رحيق شفتيها المسكر ...
رقصت دمائه بينما يعمق قبلته التي بثها غرامه الأبدي سالبا عقلها و إدراكها عندما امتزجت أنفاسهما بهذا القرب الساحق ..
استسلمت طائعة بتجاوب أذهله لتزأر رغباته عاليا تطالب بحقها الذي طال كبته بين الأمل و الرجاء ..
جال كفيه يستكشفان محراب جمالها برهبة أذابتها عشقا حتى وصلت حد التلاشي فيه كأنها ولدت لتكون نصفه المكمل و قد عرفته منذ أول لقاء و انتظرته لتصل هذه اللحظة الفارقة من حياتهما معا ..
تشبعت رئتيه بأريجها الذي لفه عندما أحاطته بذراعيها الغضتين تزرعان البهجة في حواسه بينما شفتيه تمرحان على بشرة عنقها المرمرية

بلثمات تجدد عهده بالحياة ثم تهرع راكضة
ملبية نداء الكرزتان المغويتان بتمتمة حروف
اسمه كترنيمة غرام وجد ليحيا و يثمر ..
حملها دون أن تفترق أنفاسهما لحظة فقد
استغنى بها عن الهواء لتجد نفسها ممدة بين
حرير الفراش المرحب لكنها لم تكترث سوى
بنصفها الآخر الذي اصطحبها لعالمهم الجديد
يكتشفان أرجائه للمرة الأولى معا ...

سيدتي ! عندي في الدفتر
ترقص آلاف الكلمات
واحدةٌ في ثوبٍ أصفر
واحدةٌ في ثوبٍ أحمر
يحرق أطراف الصفحات
أنا لست وحيداً في الدنيا
عائلتي .. حزمة أبيات
أنا شاعر حبٍ جوالٌ
تعرفه كل الشرفات
تعرفه كل الحلوات
عندي للحب تعابيرٌ
ما مرت في بال دواة
الشمس فتحت نوافذها
و تركت هنالك مرساتي
و قطعت بحاراً .. و بحاراً
أنبش أعماق الموجات
أبحث في جوف الصدفات
عن حرفٍ كالقمر الأخضر
أهديه لعيني مولاتي
سيدتي ! في هذا الدفتر
تجدين ألوف الكلمات
الأبيض منها و .. و الأحمر
الأزرق منها و .. و الأصفر
لكنك .. يا قمري الأخضر
أحلى من كل الكلمات
أكبر من كل الكلمات

نزار قباني

❖❖❖

استغرقت في نوم هانئ تهدهدها خفقات قلبه التي
توسدتها لبقية الليل حتى دق شعاع الشمس
الفتي جفنيها برفق حاني و تسلل بين الأهداب
يحثها على قبول دعوته ..
استجابت للطرقات الشقية فرفرفت أهدابها
بدلال مستقبلة صباحها الأول بين أحضان

زوجها السخية ، شعرت انه مختلف عن أي صباح مر عليها خلال سنوات عمرها الماضية ، صباح الحب و انتصار إرادتهم الصادقة التي صمدت دفاعا عن حقهم المشروع ..

سحبت نفسها بهدوء كي لا توقظه و اتكأت على جهتها من الفراش التي لم تستخدمها سوى الآن و أخذت تتأمله بافتتان ..

كانت تدرك انه وسيم لكنها المرة الأولى التي تدقق بتقاطيعه الرجولية بروية دون أن تهرب خجلا من نظراته المتيمة ..

رأته بعيونها الهائمة أجمل الرجال ، أهدابه ترسم قوسا من الظلال أعلى وجنتيه ، انفه البتار يعكس قوة و صرامة لا تلين ثم شفتين بلون نقي كإعلان جلي عن الصحة و مقاطعة التدخين و أخيرا فك تحيطه شعيرات جذابة دائمة التهذيب و قد منحه النعاس استرخاء تام لملامحه و حجب نظراته الشقية التي ترفع معدلات نبضها لأرقام خياليه

مررت كفها بجرأة غير معتادة تتلمس عضده برقة جعلت قلبها يقفز كأنها تخوض مغامرة لذيذة ، عندما تململ بابتسامة خاطفة للأنفاس سحبت يدها بعيدا خشية إزعاجه و أسندت ذقنها إلى ركبتيها دون أن تحيد حدقتيها اللامعتين عنه كأن مجرد رؤيته تمثل منتهى السعادة لها ، كم تحب تكرار لفظ زوجها كتأكيد غير قابل للجدل ..

فوجئت به يُشرق فاتحا عيونه و يجذبها دون مقدمات إلى صدره من جديد مغمغما بكسل :

- حبيبتي ، الحمد لله انه ليس حلما ..

داعبته بصوتها قائلة :

- صباح الخير حياتي ..

حرك رأسه لتتقابل نظراتهما و تلمح شذرات العبث تتوالى أمامها بكثافة إشارة على نواياه :

- انه أروع صباح و نانيّ بين ذراعي وحدنا دون عوازل ..

وضعت كفها على جانب وجهه هامسة :

- ألا تريد الإفطار ؟!

حرك رأسه مقبلا باطن يدها قبل أن تتعانق أناملهم و ينفض الكسل الذي لفه قائلا :

- هناك أمورا أكثر أهمية من الطعام بهذه اللحظة ..

رفعت حاجبيها سائلة بدلال مغوي :

- مثل ماذا يا ترى ؟

أجاب بنبرات متلاعبة :

- سأعقد لك اختبار لأرى مدى استيعابك للدروس التي لقنتك إياها الليلة الماضية ..

و قام بالتنفيذ مباشرة خانقا تأوهات الاحتجاج الراغبة و قد أثبتت توقها لتعلم المزيد من أستاذها الشديد الحرص على مستقبل تلميذته ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

استيقظت سُلاف بوقت متأخر عن ما اعتادته لأنها لم تحظى بالنوم إلا مع ساعات الصباح الأولى بعد أن حاصرها اعتراف عمر و نظراته التي قوضت دفاعاتها ..

لكن كلما تحرك قلبها تجاهه تطفو عباراته المهينة التي غيبت لون عينيه يومها ماحية إحساسها بالسعادة ..

نفضت الأغطية عنها و إحساس الغبطة يملئها رغما عنها فحديثه منحها ما تاقت إليه و غضبها لن يجعلها تنكر ذلك ، اجل قلبها يتراقص طربا و ترغب بالهتاف بنعم للزواج منه ، لكن سيظل ذلك داخلها فهي لن تتخلى عن خصامها له بسهولة ..

أعادت فرشاة أسنانها إلى مكانها مع ابتسامة تصلح لدعايات المعجون الذي استخدمته لتوها ثم ركضت تكمل طقوسها الصباحية و ترتدي طقم ملابس مريح فهي لا تنوي الخروج على أي حال ..

هبطت الدرج بقفزاتها الفتيه المعتادة هاتفة بصوتها الصادح :

- ماما ، أين أنت ؟ لقد استيقظت سُلافك الحلوة ، هل استطيع الاتصال بمانو الآن ؟

بنهاية عبارتها كانت وصلت للردهة الواسعة حيث تتواجد زهره كل صباح ، أبصرتها تضع الهاتف من يدها بملامح بادية الشحوب !

هرعت باتجاهها هاتفة بجذع :

- ماذا حدث ؟ هل الجميع بخير ؟

رفعت زهره عيونها الغائمة بالدموع مما جعل قلب الفتاة يهوي ساقطا قبل أن تسمع قولها القاتل :

- عمر بالمستشفى ، لقد تعرض لحادث اصطدام عندما غادر بالأمس ..

أكمل قلبها رحلة تعثره حتى كلله الثرى ،
ترجم ذلك ساقيها عندما تخليتا عن الصمود
و حملها ثابتة فتلقتها الأريكة خلفها غير قادرة
على البوح بما يصرخ داخلها حيث يتعالى النحيب
رافضا تصديق انه قد أصابه مكروه ، و ناحت
روحها ألما تتخبط باحتضار مزقها ، أيعقل
أن تفقده الآن بعد نطقه بها !!

نهاية الفصل

دمعات القمر

القطرة السابعة عشرة

مرت أيام من عمر الزمن حملت الكثير و الكثير من الاتصالات بشتى أنواعها ، استشعرها البعض أعوام متناهية الطول عكس الآخرين الذين وجدوها لا تزيد عن ومضات سحرية طافت بهم ارض الأحلام بلمحات خاطفة ، في هذه الأحوال يكون الوقت نسبي شديد الوطأة عند الانتظار و لا يحس عند الإبحار بنهر الحب ...

- نرفي هناك كارثة ستحط على رأسي و لا استطيع العثور على مراد ..

رفعت الفتاة الجالسة في ركن مشمس بالحديقة رأسها عن حاسوبها الشخصي تستقبل العاصفة التي هبت من داخل المنزل و تحمل اسم جيّدا ..

- ماذا حدث ؟ هل أعلنوا الحرب !

جلست تلتقط أنفاسها قائلة :

- كلا ، لكن الأمر أسوأ ، لقد أخبرتني سُلاف عن المفاجأة التي أعدوها لي ، خمني ماذا ؟ عمي طاهر بعد انتهاءه من العمل سيمر عليّ هنا للزيارة ..

رفعت الأخرى حاجبيها بتساؤل :

- هنا في المنزل ؟!

أشارت بيدها مرددة بحنق :

- بالطبع لا ، كيف سيعرف المنزل يا عبقرية زمانك ! أقصد هنا في اسطنبول ..

شردت نرفين لوهلة ثم هتفت ببساطة :

- و ماذا فيها ؟! لا توجد أي مشكله ، ستقابلينه و تتنزهان سويا ، لن يزيد الأمر عن بضعة أيام يقضيها في احد الفنادق ثم يرحل و هو مطمئن عليكِ ..

قلبت شفتيها بحيرة ثم عادت تقول :

- ماذا لو طلب رؤية مكان إقامتي ؟

أجابت الأخرى قائلة بمنطقية :

- اممم بسيطة اخبريه انه خاص للفتيات و ممنوع دخول الرجال ..

وضعت جيّدا كفيها على وجهها قائلة بوجل :

- يا الهي أنا خائفة ، ماذا لو علم عن الزواج ؟!

تحركت نرفين و أزالت يديها مرددة بثقة :

- كيف سيعرف ؟! انه أمر مستبعد لا تدعي خيالك يجمح و اهدئي ، متى سوف يصل ؟

أشارت بالنفي قائلة :

- لا اعرف تحديدا لكنه سيتصل بي قبلها ..

- عظيم عندها سنعد كل شيء بحيث تمر الزيارة على خير ما يرام و لن يقابل أي شخص يثير لديه الريبة ..

- أتعتقدين ذلك ؟
- نعم بكل تأكيد ، اطردي القلق بعيدا ..
لمعت عيونها بالرجاء و قالت بلهفة :
- لكنك ستكونين معي ، فأنت شريكتي في السكن كما يعرفك الجميع هناك الآن ..
أومأت بابتسامة :
- حسنا بكل سرور و سأكون دليلكما السياحي أيضا ، اطمئني سنجعل عمك يسافر سعيدا ..
انقشع القلق عن وجهها الصبوح بينما تهتف بالشكر و الامتنان ، ردت نرفين بابتسامة واسعة قبل أن تسألها :
- لا جديد عن حالة ابن خالتك ؟
رفعت كتفيها قائلة :
- مازال في المستشفى لكنه يتحسن ، ماما أخبرتني لان فيفي لا تتحدث عنه ..
علقت نرفين قائلة بمرح :
- منذ رأيتهما في الحفل علمت أن بينهم شيئا خطير ، كانت تتعامل معه كأنها تعاقبه على ذنب ما !
تألقت نظرات جيّدا بالمكر قبل أن تسأل بغموض :
- مثل من يا ترى ؟
ارتبكت الفتاة و تلعثمت قائلة :
- ماذا تقصدين ؟ لو لم تكفي عن تلميحاتك التي بلا معنى سأتوقف عن تسويق لوحاتك و أتركك مع عمك بمفردك ..
هتفت برعب مفتعل قائلة بطفولية :
- لا لا أعلن التوبة ، لن أتفوه بكلمة ، أنا أساس لم اقصد شاهين و لا انه أصبح يكثر من زيارة مراد في المنزل لأسباب واهية و يتعمد تجاهلك ، أنت حبيبتي نرفي أيعقل أن اقصد ذلك !!
اتسعت عيونها قائلة بتهديد مباشر :
- هل سيفتقدك احدهم لو قتلتك الآن و دفنت الجثة أسفل شجرة الياسمين التي تحبينها ..
هبت جيّدا عن مكانها ضاحكة :
- ماذا فعلت ؟! أنا لم اقل ذلك انه مجرد افتراض بريء ، لقد اكتشفت انك شريرة و لن اجلس معك ، سأذهب لمساعدة والدتك في طباعة الأسماء على دعوات حفل الجمعية ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

تململ عمر فوق فراشه بضيق واضح قائلا لخالته زهرة التي دخلت لتوها :

- هل أتيت وحدك خالتي ؟

ضحكت السيدة ثم مدت كفها تعيد خصلة تمردت و تهدلت بشقاوة على جبينه إلى مكانها قائلة :

- استرخي بني حتى لا تنتكس حالتك هل نسيت كيف كنت قبل أيام قليله ؟ الشكر لله انك تعديت مرحلة الخطر دون مضاعفات ..

حدجها بنظرة ذات مغزى قبل أن يردد بنبرة شحنها بالقوة :

- لقد تحسنت و صرت أفضل و ها أنا أمامك بخير ، و ما زلت انتظر إجابة سؤالي ..

رفعت حاجبيها قائلة :

- تعلم أن فيفي معي و هي جالسة في الخارج مثل كل يوم ..

ازدرد لعابه بغصة استحكمت حلقه و جثمت على أنفاسه لهذه الحقيقة فهي منذ علمت عن الحادث لم تتخلف يوما عن زيارة الممر خارج غرفته دون أن تتخطى عتبتها رافضة رؤيته ، لقد وصلته الرسالة بوضوح ، لكن الشوق يقتله

أكثر من إصاباته التي تتماثل للشفاء ، كيف أصبحتِ بمثل هذه القسوة صغيرتي ..
حملت عيونه توسله قائلا بخفوت :
- أريد رؤيتها خالتي ..
نهضت عن طرف الفراش قائلة :
- رغم غيظي لأنك لم تخبرني عن سبب ما يجري بينكما لكني سوف أساعدك يا ولد ، لن تراها فقط بل سأجعلها تبقى معك ، راقب و تعلم ..
أبصرها تعدل هندامها ثم تخرج الهاتف و تحمل حقيبتها متجهة إلى الخارج ....
وقفت تستقبل والدتها التي أنهت اتصال للتو على ما يبدو هاتفة بجذع :
- لما خرجت بهذه السرعة ماما ؟! هل أصابه مكروه ؟
حركت السيدة كتفيها قائلة ببساطة :
- لما لا تكتشفين بنفسك ! على كل حال أنا مضطرة للذهاب فوالدك يريدني معه لتلبية دعوة طارئة و خالتك لن تحضر الآن لذا ستحلين محلي حتى موعد وصولها و عمر ينتظرك ..

اتسعت عيونها في محاولة لاستيعاب قرار والدتها ، هذا يعني أن عليها الدخول إليه !!
ربما لم يفهموا سبب اعتكافها على أعتابه و امتناعها عن ما هو أكثر ، ليس لغضبها بل لأنها لن تحتمل رؤيته في موضع ضعف ، لقد كان دائما جبلها الراسخ ، شامخا جسور منذ حداثتهم و هي تضعه في مرتبة عالية لا يصل إليها سواه ، أشبه بفرسان الأساطير
يكفي أنها كادت تفقد عقلها عندما علمت بإصابته و ظلت تهذي ليومين بذهن غائب حتى اطمأنت انه تخطى مرحلة الخطر و بدأ يتماثل للشفاء و منذ ذلك الحين و هي هنا تتابع حالته دون أن تجرؤ على المزيد ..
بالإضافة لخوفها من انتصار قلبها الذائب لهفة عليه و الآن بمنتهى البساطة تدفعها أمها لمصدر رعبها الحقيقي !
- هـاي أنا أحدثك يا فتاة ! ماذا تنتظرين ؟
أجلت حنجرتها قائلة بارتباك :
- لكـن ، أنا لا استطيع ماما و .....
أشارت بكفها بمقاطعة صارمة :

- أنا لا أسألك سُلاف بل أكلفك برعاية ابن خالتك المصاب حتى تصل أختي ، نقطة و نهاية السطر .

شدت قامتها باعتداد ، تعرف هذه النبرة عندما تستخدمها والدتها تعني لا جدال لأنها لن تتراجع ، استدارت بقهر متشبثة بحزام حقيبتها بشكل لا إرادي ثم دفعت الباب بقوة ظاهرية مدعية البرود و التماسك حريصة على عدم النظر إليه دون فائدة فكل جزء بها تمرد على استبداد عقلها هرع قلبه يعانقها مرحبا و يسكب أشواقه بين كفيها ، عيونه تلامسها بجرأة حميمية سلبت أنفاسها الغير مستقرة من الأصل بينما روحه تعاتبها قائلة : يا لقسوتك حبيبتي ، الم تشفقي عليّ ! تتركينني ظامئا و شربة مائي على بعد خطوة مني ، لكن لا بأس إن كان ذلك يسعدك سأتحمل راضيا ، المهم أن تراك عيناي و أتنعم بضياء النجمات المطلة من خلف جفنيك ..

جالت نظراتها التائقة عليه بلهفة حاولت جاهدة كبحها متمتمة بتحية خافتة ثم تهرب من طريق سهام عينيه الفتاكة محتلة أقصى أركان الغرفة قبل أن تجهش بالبكاء ،

عليها التماسك و استرداد قناع البرودة خوفا على سلامتها القلبية فقد بدا بعيدا عن الضعف مفعما بالرجولة يشع بالثقة رغم الدعامة التي تثبت عنقه و الجبيرة التي تلف منطقة الكتف بأكملها ثم أجهز عليها تماما بنبراته الاجشة المذية عندما غمغم قائلا برقة :

- أخيرا رق قلبك على ابن الخالة المسكين ! الم تخشيّ عليّ سُلاف ؟ ماذا لو قضيت نحبي في الحادث و .....

كيف يتجرأ على التلفظ بهذه الكلمات السخيفة أمامها ! ألا يعلم أن قلبها الذي يتحدث عنه لم يسترد قدرته على النبض إلا بعد سماعها الطبيب يبشرهم بنجاته ! قاطعته بهتاف صارخ :

- سأبقى هنا حتى تصل خالتي شرط أن تكف عن الحديث و تستريح ، بل الأفضل هو النوم ، هيا نـــام ..

مالت شفتيه بابتسامة عابثة قبل أن يردف :

- لا اشعر برغبة في النوم ..

حدجته بغيظ قبل أن تردد بحزم :

- اصمت و أغمض عينيك ..

تعبيرها جعله يقهقه بضحكة مستمتعة قائلا بمكر :

- يا الهي هل عملت سجانة من قبل سُلافي ! انس النوم الآن و اخبريني هل صالحتني ؟

أشاحت وجهها قائلة بعناد :

- أنا لست سُـلافك ..

ردد بتوق شديد لزرعها فوق صدره و تركها هناك للأبد :

- بل أنت حبيبتي و سُلاف عمري ..

ضربت قدمها في الأرض بغيظ شديد و لم تجد سوى النافذة تتجه إليها و تسلط نظراتها على أشجار حديقة المشفى دون أن تراها ، روحها تهفو إليه و تهدد بإعلان العصيان ..

كان عليها إدراك أن عمر لا يعرف الاستسلام فقد وضع أكبر قدر من الإغواء في صوته قائلا :

- فيفي ، اشعر بالعطش ، هلا رويت ظمئي حياتي ..

التفتت بحدة قائلة من بين أسنانها :

- مـاذا تقصـد ؟

رماها بنظرة غاية في البراءة قبل أن يشير للطاولة على يمينه مرددا :

- أريد بعض الماء بالطبع ..

ضيقت عيونها ريبه ثم تقدمت بخطوات تهتز غضبا من تلاعبه الواضح و ناولته كأس الماء قائلة بغلظة :

- كف عن الحديث معي بهذه الطريقة و إلا صببته فوق رأسك ...

لم يكترث سوى لرائحتها الطبيعية التي تغلغلت بين مسامه مسكرة لحواسه و محتلة كل مراكز الإدراك لديه ، هل ارتشف من الكأس أو من أقداح الشراب المعتق داخل أحداقها !

لم يعرف فانسحابها السريع آخذة معها هواءه و بهجته جعله تائه يعاني الوحدة و ألم الهجـران ..

اعتصمت بركنها البعيد دافنة وجهها بين صفحات إحدى المجلات ، شكلت لها ملاذا آمن حجبها عن صواعق نظراته بينما أذنها ترصد كل نفس صدر عن الممرضة التي دلفت حاملة إليه أقراص الدواء الذي يرفض تناوله بعناد صبي في السادسة من عمره

عندما يئست منه استدارت إليها قائلة بانعدام حيلة :

- رجـاء حاولي معه أنت آنستي ..

كبتت صراخها الحانق من تصرفاته الصبيانية و تقدمت لتأخذ منها الوعاء البلاستيكي الصغير

المحتوي على دوائه ثم مدته إليه عاقدة الجبين و توشك على خنقه ، فما كان منه إلا أن زم شفتيه رافضا الطاعة قبل أن يردد بمشاكسة تعمدها :

- ابتسمي لي عندها سأقبل ..

حركت رأسها نافية ثم قالت بتهديد :

- الشيء الوحيد الذي ستحصل عليه مني هو ضربة تفقدك الوعي ..

رفع حاجبيه قائلا بمرح :

- تقولينها هكذا دون شفقة ! ألا تعلمين أن امتناعي عن تناول الدواء سيؤخر حالتي و قد أموت ؟

تجاهلت الغصة التي خلفتها عبارته المستفزة للمرة الثانية كأنه يتعمد إيلامها و قسّت قلبها قائلة :

- ستريح البشرية عندها ..

عكر الغيظ ملامحه لرفضها التجاوب بعناد تيس حشر في الزاوية ، لكن دخول طبيبه المعالج أنقذها من هجوم جديد فدفعت إليه الوعاء الصغير قائلة بحنق سببته مشاعرها المبعثرة :

- تفضل ، يرفض تناوله ..

مال عليه الطبيب الشاب مستفسرا :

- لما تفعل ذلك عمر ؟!

رد ببساطة مغيظة :

- لان سّلافي ترفض منحي ما أريد ، لا فائدة من الدواء في هذه الحالة ..

لمعت عيون الآخر بمرح مدرك فتماشى معه قائلا

- اممم الأمر هكذا ، لديك كل الحق كيف تتماثل للشفاء بينما سُلافك يؤلمك لهذه الدرجة ، بالمناسبة هلا أخبرتني أين يقع هذا السُلاف داخل جسدك تحديدا ؟ لأني كطبيب اجهل ذلك و قد يحرجني الأمر مع مريض آخر ..

أشار بالنفي مرددا بابتسامة موحية :

- لا تتعب نفسك دكتور فهو خاص بي وحدي و يقع هنا في الجهة اليسار ..

قالها مشيرا لقلبه في حين كانت هي بحالة يرثى لها من الخجل و الارتباك ، تتمنى الأرض تنشق و تبتلعها ، كأن لا يكفيها أحمق واحد لينضم إليه آخر و يتباريان بإحراجها !

ابتسم الطبيب و انسحب قائلا :

- حسنا يبدو أن لا فائدة لي هنا ..

و قبل أن يخرج اتجه إليها قائلا :

- الأمر بيدك فلا تبخلين عليه بالدواء ..

لقد تخطت مرحلة النظرات القاتلة و أصبحت تنفث اللهب الآن خاصة مع تلك النظرة العابثة التي تطل متحدية من خلف أجفانه النصف مسدلة ..

لوحت بكفها ضاربة الهواء و عادت لجلستها البعيدة قائلة :

- حسنا امتنع عن الدواء و الطعام و حتى التنفس لا اهتم ..

زفر قائلا بأسى :

- لما لا تقولين ليته نجح في قتلي و تنهي الأمر ! لقد وصلت الرسالة يا بنت الخالة ، إذا أردت الذهاب تفضلي فلست بحاجة لجليسة أطفال ..

أطلقت عبارته أجراس الإنذار داخل قلبها فهبت من فورها سائلة :

- من هو ؟ الم يكن الحادث قدري !!

أشاح بعينه لعدم قدرته على تحريك رأسه رافضا الحديث برعونة فعادت تحثه قائلة :

- عمر ..

رد ببرود من نفس وضعيته النائية :

- و ماذا يهمك في الأمر ؟ انه شأني ..

أشارت بتهديد هاتفة و قد بلغ صبرها حده :

- أجب سؤالي أو سترى ما لا يعجبك ..

عاد بعيونه قائلا ببساطة :

- ماجد هو من دبر الحادث و استأجر من يقوم به انتقاما مني و الدليل انه هرب خارج البلاد في نفس الليلة ، كنت اعلم انه مجرد جبان لا يستطيع المواجهة ..

خرجت منها شهقة ذعر و هرعت إليه كأنها تتأكد انه باقيا معها و يحدثها بالفعل ثم تدافعت الكلمات منها حاملة استفسارها :

- و ما شأن ذلك الحقير بك ؟! و كيف عرفت ؟ و لما لم تقدم بلاغا عنه ؟

أخيرا اقتربت منه طواعية و قفز الاهتمام و الخوف عليه ماحيا الغضب و الخصام و هو لن يفوت فرصته الذهبية لنيل غفرانها الكامل فردد بهدوء مفتعل :

- اتهامي له لم يكن ليفيد بدون دليل و خاصة بعد سفره لكني قدمت وصفا للشاحنة التي داهمتني بقدر ما رأيت وقتها ، أما بقية أسئلتك فلا أظن إجابتها تعنيكِ طالما لا امثل لك شيء ..

لكزته في كتفه المجبرة قائلة بحدة :

- تحدث أو سأضربك أكثر ..

تأوه بألم حقيقي ثم قال بسرعة :

- حسنا بشرط اقبليه أو ارفضي لكنه عرضي الأخير ، أخبرك بما فعلته و جعله راغبا في الانتقام مقابل أن تنسي حماقتي السابقة كليا و تنهي حالة الخصام بيننا الآن في التو

وقفت تحدق به لوهلة كمن يدرس خياراته قبل النطق بالحكم فتابع قائلا بمكر :

- أسرعي فقد بدأت اشعر بالنعاس خاصة و أني لم أتناول دوائي بعد و قد حدثت أمور كثيرة تتطلب طاقة لذكرها ..

حسمت أمرها قائلة :

- اتفقنا لكن أنا أيضا لدي شرطين (أشارت بكفها تمنعه من الاعتراض متابعة قولها) أولا تبتلع الأقراص ، ثانيا إذا اتضح انك تخدعني يكون الاتفاق لاغيا ..

أومأ برضا فسارعت تناوله القدح البلاستيكي ليصب محتوياته داخل فمه و يتبعه بجرعة كبيرة من الماء ثم يشير إليها لتجلس أمامه و يشرع بالسرد منذ تبعها إلى الكلية في اليوم التالي لشجارهم الكارثي بعد إدراكه انه افرغ انفعاله عليها و تسبب بإيلامها دون وجه حق .....

اتجهت نرفين إلى سيارتها بخطوات تتراقص طربا عاكسة سعادتها الشديدة لنجاحها في عقد أولى صفقاتها العملية بشروط أكثر من جيدة نظرا لانعدام خبرتها لكنها اكتشفت كونها موهوبة بالفطرة ، لقد غادرت احد اكبر (الجاليريهات) في المدينة بعد أن أغرت مالكه بشراء لوحة " مذاق النقاء" التي رسمتها جيّدا فوق التلة القريبة من منزل مراد ذلك اليوم عندما اصطحبته عنوة إلى هناك ..

كما طلب منها الرجل أن يتعرف بالفنانة مبديا استعداده لاقتناء المزيد من أعمالها التي أعجبته روحها العاكسة للطبيعة ..

همت بتحريك السيارة لتعود سريعا و ترى نظرات الفخر محتلة عيون والديها لكنها أبصرت أمامها ما دعاها للتوقف و خلع نظاراتها الشمسية لإعادة النظر مرتين !!

اجل انه هو بنفسه ، لا يمكن أن تخطيء تلك الطلة الرجولية الساحقة حتى من هذه المسافة البعيدة نوعا ، ليس رؤيته ما استوقفها بل تلك التي يسحبها من كفها خلفه مغادرين الباب الرئيسي لـ..... مـــاذا ؟!! فنـــدق !

هكذا إذن ، الأمر ليس بحاجة لشرح حتى تعلم ماذا كانا يفعلان سويا بالداخل ، رصدت عيونها حركات شاهين الغاضبة بينما يدفع شيري داخل سيارته قم يقود مباشرة ، مرحى و لدينا شجار عاشقين أيضا ..

ضربت كفها الرقيق بعنف على المقود أمامها حتى آلمها ، تبـــا إنها لا تكترث لأيا منهما ، فلما هذا الشعور الحارق يدفعها للتحرك خلف سيارته و صدمهم بقوه ! لا بل ستدهسهما دهسا و تظل تروح و تجيء فوقهما حتى يستويان بالإسفلت ..

الأحمقين لقد افسدا مزاجها و أغضباها بشدة ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

استمعت إليه بشغف دون أن تجرؤ على مقاطعته حتى انتهى و ظل يرقبها بانتظار ردة فعلها ، عندها تبدلت ملامحها عاكسة الفرح و الامتنان هاتفة :

- أنت من تسبب في تأجيل الاختبارات و حالة الفوضى التي عمت الكلية !

عقد حاجبيه مرددا بريبة :

- أتمنى أن لا يصبح ذلك نقطة سوداء جديدة تضاف لقائمة اتهامي المكتظة ..

أهدته ضحكتها التي طالما فتنته دون أن يدرك ذلك إلا مؤخرا قائلة بمرح طال افتقاده إليه :

- بالعكس ، انه يمحو القائمة كلها و يعيد سجلك ناصع البياض ..

رفرف قلبه فهتف قائلا بلهفة :

- حقا فيفي ..

لمعت عيونها مؤكدة بجذل :

- خاصة الفقرة الأخيرة بشأن ذهابك لمنزله و منحه ما يستحق ، أتعشم أن يترك ذلك أثرا دائما ، الآن فقط شعرت أن حقي عاد إليّ كاملا ، اممم حسنا لقد سامحتك و نسيت حديثك الفظ الوقح ، لنبدأ صفحة جديدة ..

حاول التحرك ناحيتها أكثر قائلا بعبث :

- و ماذا بعد الفظاظة ؟ هناك حديثا آخر كما اذكر ..

احتقن وجهها بينما تحاول التلاعب قائلة بدلال :

- أي حديث ! أنا لا اذكر شيئا ؟؟

خرجت نبراته مشحونة بالعاطفة و عيونه تعكس لهيب قلبه المتأجج قائلا بخفوت :

- اقتربي لأذكرك ..

قرأت رغباته بوضوح فركضت مبتعدة عن الفراش هاتفة :

- تهذب و إلا أخبرت والدي ..

ضحك عاليا بينما يحرك حاجبيه قائلا :

- لقد سبقتك و أخبرته ، لذا اقتربي طواعية و إلا سأنهض بنفسي ..

أشارت بإصبعها محذرة :

- إياك أن تتحرك ، ماذا تقصد بقولك السابق ؟!

رفع ذراعه السليم خلف دعامة عنقه قبل أن يردد باستمتاع :

- انه يعلم بكوني احبك و أريد الزواج منك و ينتظر أن اصطحبك إليه ليقوم باللازم ..

وضعت كفيها فوق خصرها هاتفة باستنكار :

- هكذا إذن ! من خدعك و أخبرك إنني أوافق على الزواج بك ؟

تابع بتفكه :

- لأنه لا مهرب لك مني ، إذا اعترضت سأخطفك و أظل أدغدغك حتى تعلنين القبول و يسمعه الجميع لذا وفري على نفسك العذاب و استسلمي ..

ميلت رأسها قائلة بغموض :

- هل تدرك ما ينتظرك إذا تزوجنا ؟

رفع حاجبه مرددا بأسى مفتعل :
- نظرا لما اختبرته أثناء فترة الخصام المريرة و عبقريتك في تجاهلي و التهرب من كل محاولاتي لاقتناصك فقد أصبح لدي فكرة عن شكل حياتنا إذا ما تجرأت و حاولت إغضابك ..
ابتسمت مرددة بشقاوة :
- و مع هذا تريد المخاطرة !
ردد باحتيال عكسه وميض عينيه الساحر بلون السماء الداكنة :
- بل أتوق لذلك و لن أتنازل عنه ، فقد ولدتِ لتكوني قدري و حبيبة عمري ..
ثم اكتست ملامحه بالجدية و تابع بإحساس هادر :
- أعشقك سُلاف ، أدرك أني آلمتك كثيرا و تخبطت أكثر ، تدركين ما اعني أليس كذلك ؟ لكني عثرت على الطريق بفضلك أنت حياتي ، كنت المشكاة التي أضاءت دربي لأجدك في نهايته و اعلم أني لم أحب أو أتمنى سواكِ ، رجاء اخبريني عن مشاعرك تجاهي ، ساجن إن لم احدد موقعي من حياتك ..
غامت عيونها بتأثر سلبها القدرة على التنفس فأسبلت أهدابها قائلة بخفوت أطار صوابه :
- لا زلت تصر على التمسك بصفة الحماقة يا ابن الخالة ، عار عليك أن تسأل هذا السؤال من الأساس ، الم تقل إنني ولدت لأجلك ؟ كيف يربطنا القدر من جانب واحد إذن ! اعلم الإجابة بمفردك فلن أقول شيئا ، أنت هو المعلم و ليس أنا لفها بنظرات سالت حنانا و صرخت بحب سكنه منذ الأزل :
- متى كبرتِ كل هذا الحد صغيرتي ! لقد رأيتِ ما غفلت عنه طويلا و هذا ما عليّ التماس سماحك لأجله ..
أجابت بابتسامة مُلئت بغرامها الذي نما معها منذ حداثتها و لم تعرف لحياتها شكلا دونه
- امممم سأفكر في ذلك ، عليك معرفة أن ما تطلبه مني يُعد تضحية كبيرة فقد كنت انوي الارتباط بأحد أبطال المسلسلات التركية فهم سريعو البديهة و الفهم أكثر منك بكثير ، الواحد منهم يكفيه ٢٩٤ حلقة فقط ليعترف بحبه للبطلة ثم قد يتزوجها قبل نهاية الجزء الثاني و لمعلوماتك هذا يعد انجاز ..
عض على سبابته لوهلة قبل أن يردد بغموض :
- اقتربي رجاء سُلاف ..

حركت رأسها هاتفة بمشاغبة :
- لا ، مع النظرة التي تلوح في عينيك الآن لن أجازف بالاقتراب خشية على حياتي الغالية ..
عندها تبدلت نظرته من التهديد إلى الشغف قائلا بخطورة :
- حسنا اقتربي و لا تخافي ..
تابعت الرفض هاتفة بمرح :
- هل تمزح ؟ بالطبع لا ، فقد أصبحت أخشى أكثر الآن ..
ضج بالضحك ساءلا بعبث :
- لماذا ؟ هل نسيت إننا أصبحنا في مرتبة الخطيبين و سوف نتزوج في اقرب وقت !
أسبلت أهدابها بخفر لفه المشاكسة عندما رددت:
- بل أنت الذي نسيت انك لن تؤثر عليّ بهذه الكلمات و إذا حاولت لمسي قبل عقد القران سأعيدك للمشفى بجبيرة كاملة ليس كتفك فقط ..
انطلقت ضحكاته بسعادة كاملة قبل أن يقول غامزا :
- سأكتفي الآن بإعلانك الموافقة على عقد قراننا حلوتي ..

عادت لوضع كفيها فوق خصرها هاتفة بصبيانية كوميدية :
- و هل ترى أن أمامك مهربا من ذلك ! مشكلتك الحقيقية انك لا زلت تجهل قوتي ، لن أتحدث كثيرا سأترك الأيام تعلمك بشكل عملي يا ابن الخالة و كان الله في عونك على ما ابتلاك ، لكن هناك أمر آخر لن أتنازل عنه ، أي خطوة رسمية بشأننا سوف تنتظر حتى عودة جيجي ..
رفع حاجبيه اعتراضا قبل أن يردد بإحباط :
- لكن هذا كثير ، أوافق على تأجيل الزفاف لكن العقد لا ..
أصرت على موقفها هاتفة بعناد :
- و لا أي شيء ، أريد شقيقتي معي كما انك غير مؤتمن عندما تغضب ، ارغب بفرصة لاختبارك أولا ..
قطب جبينه قائلا بقهر :
- ماذا تنوي أن تفعلي بي ؟! و متى ستعود جيّدا تحديدا ؟
رفعت كتفيها قائلة ببساطة :
- سوف أثير جنونك لأرى مدى قوة احتمالك ، هذا كل شيء و ها أنا أخبرتك على الرغم

من وجوب السرية حتى لا تحتاط لكن لا بأس أنا دائما كريمة و ملاك يمشي على الأرض ..
ماذا قلت أيضا ؟ آه جيجي أختي حبيبتي لم تذكر تاريخا محددا بعد لكن بالعادة الدورات من هذا النوع لا تستغرق طويلا ،
تعلم الصبر سيد عمر ..
دارت عيونه بالفراغ هاتقا :
- بل أنا بحاجة للدعاء ..
صدحت ضحكاتها التي تبهج روحه قائلة من بينها :
- ليساعدك الله حبيبي ، و اجل قلت حبيبي لم تخنك أذناك ، أتعلم تبدو أكثر جاذبية بهاذين الحاجبين المعلقان ، ماذا بك ؟ كأنك مندهش أو شيئا من هذا القبيل ، هل استدعي الطبيب !!
❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖
أغلقت حاسوبها بسأم من إلحاح ذلك الشاب ذو الخصلات الشوكية على دعوتها لسهرة الليلة ، لقد أخبرتها إحدى الفتيات أنهم يحتفلون بيوم ميلاد احدهم و هي مدعوة لكن تجربتها السابقة لم تحفزها كثيرا على القبول ، إنها حتى لم تعد تتواصل معهم أو تراسلهم ! ناهيك عن مزاجها السيئ الذي لا يترك لها رغبة لفعل شيء ....

عادت جيّدا من الخارج بعد أن صاحبها مراد لأحد المهام التي تتطلب تواجدها علها تصادف ما يثير اهتمامها دون فائدة و ذلك أحبطها لرغبتها القوية في مساعدته ، لكنه كالمعتاد أخبرها أن لا تقلق و تتعجل الأمور ثم اقلها للمنزل و قفل عائدا لمتابعة عمله ، سحبت نفس قوي تدعو ربها أن يحميه و يحفظه ..
وقع بصرها على نرفين تجلس بالردهة الخارجية و تبدو شاردة في عالم آخر بينما تحمل بين يديها وسادة صغيرة تعتصرها بقوة !
سحبت رابطة شعرها لتحرره من عقدته و اقتربت منها هاتفة بمرح :
- نرفي ! حبيبتي لما تحاولين قتل الوسادة ؟!
رفعت عيونها إليها قائلة بحنق :
- أنا أفكر يا حمقاء ..
عضت شفتها السفلية قائلة بعبث :
- في قتل من ؟؟
تراءت لها صورة شاهين محتلة خيالها قبل أن تنفض رأسها لطردها قائلة :
- مالك معرض الفنون الذي ابتاع لوحتك و أشاد بها ..

رفعت حاجبيها بشكل كوميدي قائلة :

- و لمـا ؟!!

ردت الأخرى بسخرية :

- لان ذوقه سيء ..

انطلقت نظرتها البريئة تدعم قولها :

- حسـنا ، لما تتنمرين عليّ الآن و لم انطق اسم شاهيـن بعد !!

ثم أطلقت ساقيها هاربة قبل أن تصيبها قذيفة الوسادة الطائرة نحوها بإصرار ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

وقفت أماني تتطلع للأفق الرحب من شرفة شاليه شهر العسل الذي اصطحبها إليه ادهم في رحلة متأخرة يحظيان ببعضهما بعيدا عن الجميع بتلك الخلوة الرائعة و الفراغ البديع الذي يؤمنه المنتجع لرواده ..

تنسمت أريج حبيبها يعطر الهواء المحيط باعثا في نفسها البهجة قبل أن تشعر بذراعيه يلفانها من الخلف و يلصقها بصدره مغمغما بالقرب من أذنها بنبرة صوته المهيمنة على حواسها :

- كيف سولت إليك نفسك أن تتركيني وحيدا بالداخل ! ألا تدركين ما يصيبني عند ابتعادك ؟

ضمت كفيه المستقران فوق خصرها بيديها ثم تركت نفسها تتكئ عليه ليتنسم عبق سبائك الذهب المعطرة قائلة بدلال :

- سامحني سيدي ، أقر بالذنب لكني لم أرد إزعاجك أثناء اتصالك بصديقك كامل ..

اسند ذقنه على كتفها قائلا بمكر :

- اممم و هذه جريمة أخرى ، لان لا يوجد لدي تعريف لكلمة إزعاج بأي شيء يخصك ، فهل لديك أقوال أخرى قبل توقيع العقوبة عليك ..

قهقهت ضاحكة بينما يحملها إلى الداخل ثم يمطرها بالقبلات الرقيقة التي تدغدغها مشعلة دماءها بقوة هذا الهجوم المغوي لحواسها العاشقة ركضت هاربة منه و ضحكاتها تملأ المكان بالعذوبة و الرقة هاتفة بشقاوة :

- لا لا ، لن اسمح لك بخداعي أيها المحتال ، لقد وعدتني بنزهة و أنا أتمسك بها ..

حاول مباغتتها لاقتناصها لكنها أفلتت بنجاح و أخرجت لسانها بإغاظة فردد متوعدا :

- اجل قلت ذلك لكني لم احدد التوقيت ، من منا المحتال إذن ؟

أشارت إليه هاتفة :

- أنت بالطبع و إلا لما جعلتني استعد للخروج مرتين من قبل دون فائدة لكن هذه المرة لن استسلم ، أريد العشاء في الخارج ..

كتف ساعديه أمام صدره قائلا بمكر يجيده :

- حسنا لا مانع لدي لكن أولا عليك تحفيزي للخروج ..

سألته بمرح دون أن تقترب :

- أخبرني بما تريد من مكانك ..

حرك رأسه نافيا :

- لا يجوز ، ما أريده لا يقال بل يُفعل ..

صرخت باعتراض عندما نجح أخيرا في حصارها و سحبها إلى صدره محتويا أنفاسها داخله ، رفعت ذراعيها تحيط عنقه طواعية لتقربه منها أكثر متجاهلة كل ما قالته قبل ثانيتين و قد انصهرت بين نبضاته التي تحتضنها بترحيب شغوف بينما ترضي رجولته باستجابة فطرية أكدتها أناملها التي انزلقت تفك أزرار قميصه و تمرح بحرية على عضلات صدره التي باتت خبيرة بكل تقاسيمها ..

حرر شفتيها لتمر قبلاته المتذوقة بطول فكها و يهمس مداعبا أذنها ..

- ماذا عن العشاء و النزهة ..
لثمت عنقه بنعومتها المفرطة هامسة بدورها :
- أي نزهة ! أن الجو بالخارج غائم و بارد لكني هنا دافئة و سعيدة ..
شدد ذراعيه حولها أكثر يقوده جنون عشقه الذي خلا من الحدود أو الضوابط منذ صارت له ، تنهل أنفاسها من عبير صدره العامر بغرامها ..
أخرجها من دوامة لمساته المسكرة صوت هاتفها يأتي من بعيد لولا صوت الرنة المميز لما اكترثت له و لطردت ذلك الإلهاء لكنها المخصصة لوالدها ، الشيء الوحيد القادر على انتزاعها من عالمه السحري الذي تهيم به ..
شعر بإجفالها بين ذراعيه فتراجع للخلف دون أن يفلتها قائلا بمزاح :
- والدك يجيد اختيار أوقاته دائما ..
لكزته بخفة و ابتعدت بعد أن سيطرت على اتزانها و جاهدت ليخرج صوتها طبيعي ..
تناولت الهاتف لكنها أشارت له بالخروج من الغرفة فرفع حاجبيه قائلا :
- لن يستطيع رؤيتي من هناك نانيّ ..
حركت رأسها برفض بينما تدفعه للخارج

كعادتها كلما اتصل والدها كأنها تنفي عن نفسها تهمة تواجدها مع زوجها ! أو تمنحه حقه بان تكون ابنته دون مشاركه ..
استجاب ادهم مشيرا بكفيه :
- حسنا حسنا سأنتظر في الخارج ..
ثم انتقل إلى الردهة الخارجية يعيد ترتيب قميصه الذي عبثت به أناملها المغوية متمتما بخفوت :
- عليّ الامتنان أنها لم تطردني خارج الشاليه بالكامل ..!
❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖
ارتدت احد أثوابها الجديدة مع حذاء من مجموعتها بكعب مرتفع و صففت شعرها بطريقة أنيقة لكن بسيطة ثم سحبت حقيبة مناسبة و مفاتيح سيارتها منطلقة إلى الخارج
لقد غيرت رأيها و قررت الذهاب للحفل ، لن تستلم للكآبة و التفكير فيما رأته هذا الصباح ، سوف تمرح هي أيضا كما يفعل هو ..
أخبرت والدتها عن سهرتها و ذهبت مباشرة إلى ذلك الملهى المعتادين على اللقاء فيه
دلفت نرفين لتقابلها نفس الأجواء الصاخبة

العبقة بسحب الدخان المتباين الرائحة كأنه نسخة مكررة عن المرة السابقة ..

حركت كتفيها بلا مبالاة ، ماذا يهم ستقضي بعض الوقت و حسب حتى مع ضيقها من المكان و رواده ..

تقدمت إلى حيث يتجمع مجموعة الشباب الغريبو الأطوار مهنئة صاحبة الحفل بيوم ميلادها رغم كونها لم ترى أيا من الأشياء المتعارف عليها بمثل تلك المناسبات ، لا القالب أو الشموع ! مجرد تجمع و ضجيج خالي من الروح أو أي معنى ، كأن حياتهم تسير بنفس الوتيرة خاوية من الصعود أو حتى الهبوط !!

شعرت بذراع تحيط استدارة خصرها الغضة فالتفتت بحدة تستطلع هوية من تجرأ على لمسها بهذه الوقاحة لتجد نفس الشاب صاحب الخصلات النارية الذي حاول التودد إليها من قبل أكثر من مرة !

انتفضت مبتعدة بعنف لتسقط ذراعه عنها فردد بسماجة :

- هاي لا تغضبي ، لقد اشتقت إليكِ و كنت أرحب بك فقط ..

لم تشأ صنع ضجة حول الأمر فكما يبدو أنهم معتادون على هذا النوع من التحيات لذا اكتفت بالقول :

- مرحبا ، لكني لا أحبذ أن يقوم احدهم بلمسي فلا تكررها ..

تفاجأت بشدة عندما تحدث ببساطة و دون مقدمات قائلا :

- حلوتي أنت تروقين لي و ارغب بعلاقة حب معك فما رأيك ؟

حُبست الأحرف بحلقها لبرهة طويلة غير قادرة

على استيعاب هذه الجرأة الغير مستساغة بل الوقاحة المتناهية هو التعبير الأنسب لما تفوه به ذلك الشيء المنفوش الشعر الذي تراه للمرة الثانية فحسب و ستكون الأخيرة بالطبع !! في الظروف العادية كانت ستصرخ به و تصفعه على الأقل ، لكنها أعملت عقلها بسرعة بديهة فما تراه أمامها يوضح طريقة التعامل السائدة بينهم فادعت الهدوء كابحة ثورتها المتنامية باقتدار و حركت رأسها بالنفي قائلة ببساطة مماثلة :

- لا ، أنا ارفض ذلك ..

مط شفتيه بتعبير مندهش أو غير متفهم سبب رفضها لعرضه قائلا :

- خسارة ..

لم تسمح باستمرار تلك المهزلة أكثر فاستدارات مبتعدة عنه ليقابلها آخر و يدعوها لمشاركة الرقص فاعتذرت بابتسامة صفراء و اتجهت إلى الساقي تطلب تحضير كأس من العصير الطبيعي يبرد حرارة جوفها المشتعل غضبا لعدم قدرتها على الرد بالطريقة التي يستحقها ذاك المنفلت عديم الأخلاق واعدة نفسها بالرحيل فور انتهائه و عدم العودة مطلقا ..

اقترب الشاب من نظيره الذي أعطاه شيئا ما أخفاه بقبضته ثم أشار برأسه لفتاة من المجموعة باتجاه نرفين فذهبت إليها على الفور و شغلتها بحديث غير مترابط في حين انتظر المعني بسخطها صامتا إلى أن قدم الساقي طلبها الغافلة عنه بينما تحاول فهم ما تتحدث عنه هذه الخرقاء أمامها ..!

عندها قام بإسقاط قرصا صغيرا داخل كأسها بلمحة خاطفة ثم ابتعد مشيرا للفتاة بانتهاء مهمتها ..

يبدو انه يعاني مشكلة ما في تقبل الرفض دونا عن البقية ، لقد أعجبته نرفين و قرر الحصول عليها إن لم يكن برغبتها سيجعلها تقبل بطريقته .....

تنفست الصعداء عند ابتعاد تلك الفتاة الغريبة التي تضع حلقة معدنية بطرف شفتها السفلية و قد تساءل عقلها بنفور مستاء : أي موضة هذه ؟ عجبا !! إنها بشعة ..

تناولت كأس العصير لترتشف منه جرعات كبيرة راغبة في الرحيل بوقت أبكر فقد كرهت كل شيء في المكان الغير محبب على الإطلاق

و كلما بقيت أكثر اكتشفت ما يثير المزيد من استيائها و بغضها ....

❖❖❖

رعدت دمائه بثورة داخل أوردته التي انتفخت غضبا لما رآه ، يود تحطيم ذلك القبر بأسره ثم يزهق روحها دون هوادة لعل ذلك يطفئ نيران صدره الملتهبة منذ دخل خلفها إلى هذه البؤرة الموبوءة بكل آفات المجتمع ..

إن كانت الحمقاء تظنه غافل عنها فهي مخطئة ، لقد دأب على الاطمئنان من بعيد لكل ما يحيطها و ها قد صدق حدسه الآن عندما أوقعت نفسها في مأزق كان ليسبب كارثة

راقب تقدم ذلك المنحرف الحقير منها فزمجر بصوت مسموع قبل أن يخرج من الركن الهادئ الذي استقر به راصدا ما يحدث بعيون الصقر التي يحملها :

- لقد انتهى العرض ..

عندما بدأت نرفين بالضحك على الخيالات العجيبة التي تتراءى لها مع فقدانها التحكم بردات فعلها ، أدرك انه حان الوقت لقطف ثمرته الشهية ..

أبصرت احدهم يقف أمامها رأسه يشبه بالون ضخم تمتد منه أشرطة حمراء زاهية متطايرة حوله ، يطلب منها الرقص أو ما شابه فانفجرت في مزيد من الضحك على شكله الغريب قائلة بنبرة بعيدة عن الاتزان :

- اجل لنرقص ، لما لا !

لم يكد يحاول ملامسة خصرها و يلف حولها ذراعه حتى فوجئ بمن يكبله معتصرا ذلك الأخير بقسوة خلف ظهره هادرا بغضب :

- اعد محاولة مسها بيدك القذرة حتى تفقدها نهائيا ..

ثم أداره بعنف ليواجه آتون من اللهب الأزرق قذفه بحمم من الغضب المستعر بهيبة جعلته يفقد السيطرة على النطق ليتابع شاهين بنبرة صوت جمدت الدماء في أوردة الجميع فتسمروا بأماكنهم كألواح الجليد :

- إذا رأيتك في محيطها مجددا لن اكتفي بضربك بل ستكون نهايتك ، أنا لا اكرر التحذير مرتين ..

ثم اتبع بلكمة ساحقة أوصلت صوت تحكم عظام فكه للمتواجدين بآخر القاعة الضبابية و تركه يتهاوى أسفل قدميه مع نافورة الدماء المتفجرة بعنف من انفه و فمه ..

استدار لتلك اللاهية عما يحدث وجدها تشير بإصبعها للفراغ و مستمرة بإطلاق الضحكات العالية فردد من بين أسنانه بمحاولة فاشلة لضبط النفس :

- هيا معي نرفين علينا مغادرة هذا المكان الآن ..

ميلت رأسها تنظر إليه باستكشاف قائلة بينما تعجز عن الوقوف ثابتة :

- لا ، أريد الرقص ، أوه لما تركت البالون يطير (ثم صدحت ضحكاتها متابعة) أردت بعض الأشرطة الحمراء ، اجلب لي بالوني ..

ثبتها ممسكا بمرفقها ليمنعها من التمايل و قد أدرك عقم محاولة الحديث العقلاني في حالتها ..

القى بعض المال فوق سطح البار و تناول حقيبتها ثم عاد إليها ليرفعها على كتفه و يغادر بخطى تضرب الأرض دون أن يجرؤ احدهم على اعتراضه بينما صوتها يعلو من موقعها المقلوب و رأسها مدلى خلف ظهره هاتفة ..

- أنا لا أحب هذه الأرجوحة ، ارغب في الأخرى التي تدور (و غرقت في نوبة هستيرية من الضحك قبل أن تتابع) كيف تمشي على السقف يا هذا ؟! أوه لقد أصبح السقف مليء بالأقدام !!

منع نفسه من صفعها بإرادة فولاذية إلى أن وصل لسيارته و انزلها لتستقر على الأرض حتى يتمكن من إدخالها دون أن تؤذي نفسها ، لكنها لم تتوقف عن التمايل أو الحديث الصاخب قائلة :

- لا لا ، أنت سيء جدا ، لما أخذت أرجوحتي ؟

ردد بنفاذ صبر :

- إنها بالداخل هيا اخفضي راسك لأعطيها لكِ ..

أشارت إلى السيارة عاقدة حاجبيها بشكل مضحك قائلة :

- هنـا !!

وضع كفه فوق رأسها و دفعها عنوه للمقعد و قد نجح بلف حزام الأمان حولها بمعجزة مع حركتها التي لا تتوقف قائلا :

- اجل هنا ، اهدئي حتى تدور ..

أومأت دون أن تتوقف عن الضحك هاتفة :

- حسنا لكن لا تنس البالون ..

أدار عينيه في الفراغ ثم لف متخذا مكانه و حرك السيارة ليمدها ذلك بموجة جديدة من البهجة فتحولت إلى النافذة و صارت تنادي المارة ، حينا تدعوهم لمشاركتها الأرجحة و تارة أخرى تصرخ رافعة يديها ثم تتحدث مع الفراغ قائلة

اغرب الأشياء بخليط من اللغتين العربية و التركية و أخيرا فتحت الدرج الأمامي و أخذت تلقي بكل ما فيه هاتفة :

- أين بالوني ! هيا اخرج و أعطني الشريط ..

وضع كفه فوق رأسه موقنا باستحالة اصطحابها لمنزلها بهذه الحالة ، ستثير فضيحة ، لكن إلى أين يذهب بها ؟!!!

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

أعدت زينب الطاولة الخارجية للعشاء في الحديقة بما أن الليلة دافئة و مغرية بالبقاء هناك ..

و عندما استقر أربعتهم حولها بدأت بسكب الطعام فتساءل عثمان قائلا :

- أين نرفين ؟ لما ليست هنا ؟!

أجابته زينب قائلة ببساطة :

- مدعوة لحفل ميلاد إحدى صديقاتها ..

رفع مراد حاجبه قائلا :

- يا لها من تطورات !

أومأت والدته مرددة باستحسان :

- اجل ، لقد تبدلت تماما ، الحمد لله حصلنا على معجزتنا المنتظرة ..

قالتها بينما تلقي نظرة ذات مغزى باتجاه جيّدا الشاردة في مسألة زيارة عمها التي تقترب فتابعت السيدة :

- هاي جيجي ! لما لا تأكلين ؟ ألا يعجبك الطعام ؟

انتبهت و تناولت شوكتها قائلة بابتسامتها المحببة :

- أبدا انه لذيذ كالمعتاد و الجو رائع ، كنت أفكر فقط ..

التقط مراد المراقب لها من البداية خيط أفكارها قائلا :

- ألم نناقش أمر عمك و أخبرتك ألا تقلقي !

أشارت بكفيها قائلة :

- نعم لكنه يحدث رغما عني ، فلم اعتد الكذب أو إخفاء شيئا عن عائلتي ، اشعر انه سيدرك ما أخفيه بمجرد النظر إليّ ..

تدخل عثمان قائلا بأبوة حقيقية يشعرها تجاهها :

- أنا مستعد للقائه و تسوية الأمر معه ..

غصت بطعامها فناولها مراد كاس الماء لترتشف منه جرعة ثم تردد بسرعة :

- لا لا ، رجاء عمي ، سوف اتبع خطة نرفين فهي جيدة ..

قطع حوارهم رنين هاتفها فتناولته مستطلعة لتزم حاجبيها بدهشة عندما رأت هوية المتصل !

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

فليعنه الله على تلك المشاغبة الرافضة إغلاق فمها لثانية واحدة ، لقد اصطحبها إلى الكوخ الصيفي الملحق بمنزله آملا أن يتمكن من السيطرة على نبرات صوتها العالية و إلا ستحدث الكارثة و تسمعها والدته ..

ما أن أضاء المصابيح حتى ركضت تستكشف المكان بنشاط و كلما أعجبها شيء تصفق يديها و تطلق عليه أعجب الأسماء !

تمتم بسباب جديد للمرة الألف هذه الليلة و قد أدرك تحديدا نوعيه المخدر الذي أعطاه ذاك السافل لها ، احد أنواع عقاقير الهلوسة التي لا تفقد المرء وعيه و لكن تجعله بحالة هستيرية من المرح و يمكن أن يقوم بأي تصرف بعيد كليا عن طبيعته ..

كان الكوخ أشبه ببيت كامل المرافق مستقل عن المنزل الكبير، حميمي للغاية بديكوراته الدافئة و مقتنياته التي اختارها وفقا لذوقه بما انه مأواه المفضل كلما أراد الاختلاء بنفسه بعيدا عن مشاكسات والدته ..

سحبها من كفها إلى المطبخ العامر بكل ما يلزم لان الخالة قدرية تحرص على توفير كل سبل راحته خاصة مع علمها انه يحبذ البقاء فيه و لقاء أصدقاءه ..

أراد إعداد قدحا من القهوة المركزة علها تنجح في إعادة بعضا من اتزانها ..

تمكن من إشعال الموقد بصعوبة دون أن يترك يدها ليعوق حركتها المستمرة و لو قليلا لكنها عندما أبصرت اللهب أمامها أطلقت صوتها و بدأت بالغناء و قد تخيلتها شموع الميلاد فأشار لها بالصمت ناهرا :

- اششششش ، اهدئي قليلا ستتسببين بفضيحة و لو رأتنا أمي ستعلقنا على أول شجرتين في الحديقة ..

فما كان منها إلا أن مطت شفتيها و حركت رأسها هاتفة باستياء بالغ :

- اششششش لا ، أريد إطفاء الشموع ..
ثم عادت لجولة جديدة من الغناء أكثر صخبا من الأولى فانتهز فرصة غليان الماء و رفعه سريعا قائلا من بين أسنانه :
- حسنا حسنا هيا أطفئيها ..
ضحكت بسعادة و ترنحت إلى الأمام نافخة بقوه بينما أدار هو المفتاح مطفئا الشعلة فسحبت كفها من قبضته لتصفق جذلة ثم استدارت إليه هاتفة بعيون متسعة :
- أين الهدية ؟!
رفع حاجبيه بعدم تصديق لما يحدث معه ! كان يبدو عليها التصميم على نيل هديتها و إلا ستندلع موجة عنيفة من الصراخ لن ينجيه منها سوى استدعاء فرقة مكافحة الشغب بكامل عتادها ..!
جال بعيونه حوله بسرعة ملتقطا اقرب شيئا منه و منحها إياه قائلا :
- اجل الهدية ، ها هي تفضلي ، كل عام و أنت تصيبينني بالجنون أكثر ..
تناولت منفضة الغبار من يده قائلة بسعادة :
- أوه شكرا ، يا لها من زهرة جميلة ، أنت لطيف

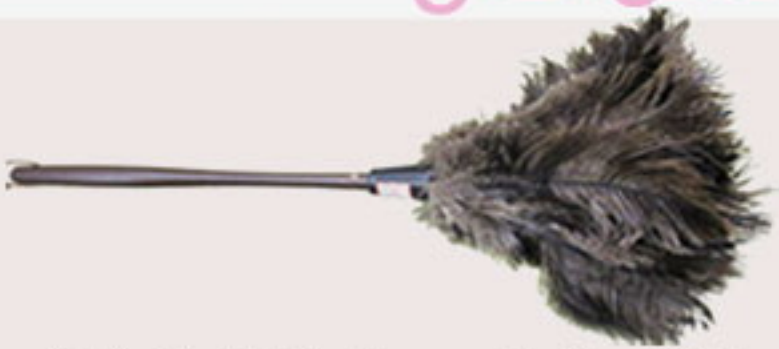

حمل القدح الساخن و جذبها خلفه إلى الخارج ثم أجلسها برفق على أريكته الوثيرة بلونها البني المتداخل مع العاجي بأناقة راقية

و بدأ يبرد لها القهوة المُرة كالأطفال ثم قربها من شفتيها لترتشف بروية لكنها لم تستسغ مذاقها الحاد فبصقتها عليه و جعدت ملامحها هاتفة :

- اععععععع إنها كعكة رديئة ، لا أريدها ..
رفع كفيه ينظر بقهر لقميصه الذي كان ناصع البياض و قد انتهى أمره الآن لكن لا فائدة من التذمر ستشربها حتى لو سد انفها و سكبها عنوة داخل حلقها ..
وجدها تحتضن الممسحة و تمسد شعيراتها بحنان لاهية عن انفجاره الوشيك فرقع القدح مجددا ثم دفعه أسفل انفها قائلا بهدوء قدر الإمكان :
- اشربي عزيزتي ، حتى أعيدك إلى الأرجوحة ..
اعتدلت هاتفة بمرح :
- حـقا ؟
أومأ بنفاذ صبر قائلا :
- اجل حقا لكن عليك تجرع هذا أولا ..
فتحت فمها كطفلة مطيعة فزأرت أعصابه احتجاجا لذلك الضغط الثقيل الوطأة الذي يتحمله لكنه مضطر لتجاهل مشاعره و كونه رجل عاشق لتلك المغفلة التي تتفنن في العبث به قربه منها حتى رشفت جرعة و سرعان ما ظهر الامتعاض على ملامحها و زمت شفتيها فعلم ما سوف تفعله ، عندها سارع لإغلاق فمها رغما عنها بإصبعيه السبابة مع الإبهام قائلا بنبرة آمرة :
- هيـا ابتلعيـها ..
أشارت بالرفض لكنه زم حاجبيه و أصر قائلا :
- لا مجال ، استمعي لما أقوله و إلا ستعاقبيـن ..
ترك شفتيها عندما أومأت بالإيجاب لكنه لم يكد يفعلها حتى أخرجتها من فمها بقوة لتصيب قميصه بدفعة جديدة من الرذاذ فهتف قائلا بقهر :
- تبـا ، الابتلاع يكون للداخـل و ليس للخـارج أيتها حمقاء ..
سحب منها الممسحة و قرب القدح من جديد فصرخت معترضة :
- لا لا اترك الزهرة ، إنها لي ، أنت سـيء ..
فأشار بإصبعه قائلا بعنف و قد نالت منه أفعالها حتى بلغ حده الأخير :
- صمتـا ، إن لم تشربي هذا سألقي بالزهرة في سلة المهملات ، تناوليه حـالا ..
زمت حاجبيها رافضة بينما ارتجفت شفتيها كطفلة موشكة على البكاء لكنه لم يترك لها المجال حيث امسك شعرها من الخلف معيدا

رأسها للوراء قليلا و اخذ يسكب القوة في حلقها دون السماح لها بالتنفس إلا عن طريق ابتلاعها ..
أخيـرا تركها و قد غامت عيونها بسحابة من الدمع ألمت قلبه قائلة :
- أين الزهرة هديتي ؟! هاتها لقد شربت ..
هذه المرة هو من كاد ينفجر بالضحك ، ناولها منفضة الغبار و استمر محدقا بها عاجزا عن إشاحة نظره و كان ذلك خارج إطار سيطرته كليـا ..
بدت أهدأ ربما من تأثير الشراب المركز أو نال منها التعب فهي لم تهدأ حتى هذه اللحظة ..
رفعت عيونها تبادله النظر ثم فوجئ منها تمحو التعبير الطفولي و تمنحه أروع ابتسامة قد يراها يوما ، بعدها فاجأته أكثر عندما أحاطت عنقه بذراعيها قائلة بنبرة مغوية فتكت بكل حواسه :
- عيونك جميلة جدا ، إنها تلمع مثل جواهر ثوبي !
افترقت شفتيها الكرزيتان بدعوة أطاحت بالبقية من صوابه كأنه كوخ من القش يواجه عنفوان زلزال مدمر بينما نظراتها منصبة عليه تحرقه كسياط لاهبة ..

تسمر جسده بالكامل عاجزا عن الحراك كأنها أصابته بمس كهربي و اشتعلت جمرات الشوق داخله لتزمجر حاجته إليها آمرة بإلحاح و قد هدأ العالم و سكن كل شيء عدا هدير قلبه الراغب و قد طال حرمـانه ..
أبصر في عيونها العالم يخرج من عباءة الظلمة و يرتدي لون الربيع ، كان اضعف من مقاومة كل ذلك فهم بقطف ثمرته المحرمة التي يهفو إليها منذ دهور ..
لكن بينما يدفعه التوق المحموم للترحيب بعرضها صفعته الحقيقة بقسوة وضعها الحالي و ردة فعلها عندما يزول فأي نذل يكون إذا استغل لحظة ضعفها الغير واعية !
و هناك مراد رفيقه الذي يثق به و يأتمنه على روحه ناهيك عن العائلة التي أعلنت انتمائه إليها دون شـرط ..
كان ذلك بمثابة حرب ضروس يخوضها مع قلبه الملتاع انتصرت فيها إرادته بسرعة فرجولته و ولائه يرفضان الخيانة و إن كان ثمن ذلك نيل كل أمانيه المستحيلة ..
أزال ذراعيها من حول عنقه بأطراف أصابعه

حامدا ربه انه لم يمسها فلم يكن ليسامح نفسه لو أساء لقدسيتها و حرمة طهارتها ..
أبعدها عنه ليجمع أجزاءه المبعثرة و يستحضر قوته ، كان بحاجة لمساعدة و يعرف لمن عليه اللجوء ...

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

تساءل عقلها بريبة لما تتصل بها نرفين من الحفل يا ترى ! اعتذرت منهم ثم انتحت ركنا قصي لتستقبل اتصالها قائلة بلهفة :

- نرفي ! ماذا حدث ؟! أنت بخير ؟

فاجأها الصوت الرجولي الذي لم يكن بحاجه لترجمة قولها ليفهم أنها تظن الاتصال من صاحبة الهاتف فبادر قائلا بالانجليزية :

- جيّدا أنا شاهين ، اذهبي لحيث لا يسمعك احدهم ..

هتفت بجذع و قد نال منها القلق :

- لما تتحدث من هاتف نرفين شاهين ؟!
وما الذي جعلك عندها من الأساس ؟!

شرح لها الأمر بعبارات موجزة دون ذكر تفاصيل حتى استوعبت ما حدث في الملهى و تابع القول :

- الآن أريد إدخالها المنزل دون ان يراها احدهم و اعتمد عليك بذلك فهل تستطيعين ؟

فكرت لوهلة قبل أن تخبره بحسم :

- امممم اجل ، سوف أتصرف هنا ، اسمع انتظر لنصف ساعة على الأقل ثم اجلبها ، سأكون في الحديقة ..

أنهى الاتصال بعد الاتفاق قائلا لتلك التي تحدق فيه بغرابة كأنها تستكشف كائن خرافي منقرض :

- حسنا نصف ساعة و ينتهي المأزق لكننا لن نقضيها هنا بالتأكيد ، بعض الأرجحة الإضافية ستفي بالغرض ، تعالي ...

ثم اصطحبها إلى السيارة عازما على القيام بنزهة حتى يمر الوقت بعدها إلى المنزل فذلك أكثر أمانا بالنسبة له آملا أن تحسن جيّدا التصرف هناك ..

أما هي فتحركت معه طواعية حاملة زهرتها المنفضة بحرص مبالغ فيه !

❖❖❖

في الوقت نفسه عادت جيّدا إلى طاولة الطعام عقلها يعمل بسرعة البرق متجاهلة نظرات مراد المتسائلة ..!

تناولت عدة لقيمات قبل أن تعلن انتهائها و رغبتها في الانتقال للداخل لأنها تشعر بالبرد .. و هناك جالستهم قليلا بينما عيونها معلقة بالساعة و الثواني تقفز هاربة بسرعة مغيظة ، انتهزت فرصة نهوض العم عثمان لتتبعه متعذرة بالصداع الذي فاجأها ..

اتجهت للأعلى مباشرة قاطعة الطريق على أسئلة مراد التي تحتل ظلمة حدقتيه بوضوح لكنها لم تتخطى آخر الدرج حيث راقبت مغادرة زوجها الحائر و انشغال الخالة زينب مع والده داخل غرفة مكتبه ، عندها هرعت على أطراف أصابعها إلى الحديقة بعد أن تأكدت من تحرك السيارة و ابتعادها و أخذت تراقب الطريق عبر البوابة الرئيسية و قد تبدل الحال و باتت تأمل أن يصل شاهين بسرعة قبل عودة الحارس أو مغادرة الوالدين لمكانهما ..

❖❖❖

لحسن حظه أنها بدأت تشعر بالنعاس فكانت رحلة العودة هادئة و لم تلفت الأنظار ، عند اقترابه من المنزل توقف قبله بعدة أمتار تحسبا و قد أبصر جيّدا في انتظارهم و تشير إليه أن يسرع ..

هرعت إليه بخطوات راكضة و مالت لنافذتها سائلة بقلق :

- مـاذا بها ؟!

رد شاهين الذي نال منه التعب و التوتر :

- حاليا هي نائمة ..

تنحت جانبا لتسمح له بالتقدم و فتح باب السيارة ثم أخرجها بحرص شديد و اتبع برفعها بين ذراعيه ..

حملها و تقدم ليدلف من البوابة بعد أن أخبرته جيّدا عن خروج مراد ، على الأقل لن يقتله لو رآه الآن ، استمر بالتوغل داخل الحديقة حتى أوقفته الفتاة و أشارت بكفها قائلة بخفوت :

- لا لن ينفع ذلك ، عليك تركها و سأدخلها أنا ، والديها في الدور السفلي و قد يخرجان بأي لحظة فهل لديك تفسير لهذا المنظر الفريد !

قطب حاجبيه قائلا بحيرة :

- لكنك لن تتمكني من فعلها بمفردك ..

مسدت جبينها مفكرة بسرعة قبل أن تعاود الهمس قائلة :

- علينا إيقاظها شاهين ، مقدار قليل فقط لتستطيع السير معي و سوف أساعدها ، لا مفر من ذلك ..

زفر قائلا بقهر :

- ستكون مجازفة ، أخشى أن تتخيل نفسها داخل قاعة الأوبرا هذه المرة و تتحفنا بأحد مقاطع لوتشيانو بافاروتي ..

وضعت كفها على فمها كابحة ضحكة تهدد بالانفلات قائلة بعدم تصديق :

- لما ؟ ماذا فعلت بك قبل أن تنام كالملاك ؟

أدار عينيه بالفراغ قبل أن يردد بنبرة جعلتها تدرك انه عاني هذه الليلة ما لم يتخيله طيلة عمره :

- فعلت !! لا هي لم تفعل بل أبدعت لكن هذا ليس موضوعنا الآن اسمعي بمقدمة السيارة زجاجة مياه ، حاولي إيجادها بين الأشلاء و اجلبيها ..

بالفعل عثرت عليها بين الكثير من الفوضى التي منيت بها المسكينة و عادت إليه قائلة بدهشة :

- ماذا حدث لسيارتك ؟!!

أجابها بينما يعدل من وضع الأخرى رافعا وجهها :

- انه نموذج بسيط لإبداع صديقتك الذي أخبرتك عنه ، هيا رشي وجهها بالماء علّ ذلك يفيد و لو أني أشك بالأمر ..

رفعت حاجبيها دون تعليق و باشرت بفعل ذلك ، بدأت تفلح بعد الرشة الرابعة حيث تذمرت الفتاة قائلة بانزعاج :

- أوه إنها تمطر ..

ردت جيّدا بلهفة :

- اجل عزيزتي ، تمطر بشدة تعالي أسفل المظلة ..

بادلها شاهين ابتسامة متفكهة قبل أن يضعها أرضا لتستقر على ساقين رخوتين لكن جيّدا استقبلت ثقلها المتراخي بمساعدته بالطبع ، حينها انكشفت مقدمة قميصه فاتسعت عيونها قائلة بهمس حاد :

- هل هذه بقع التي على قميصك شاهين ؟!

ضغط على فكه قائلة بنبرة مماثلة :

- ليس وقت التحقيق الآن اتركي قميصي و هيا تحركي قبل أن تفترش الأرض و تبدأ في الأحلام من جديد يا الهي يبدو أن الليلة تأبى أن تمر دون فضيحة ..

كادت تضحك من جديد لكنها أومأت توافقه و أحاطتها بذراعيها هامسة :

- حسنا اتركها لقد سيطرت على الوضع ، سأدخلها و تفضل أنت شكرا لك على كل شيء ، لكنك ستقص عليّ ما حدث لاحقا ..

همس بنفاذ صبر قبل أن يترك ثقلها كليا على عاتق الفتاة رغم عدم ثقته بإمكانية تحملها وزنها كل تلك المسافة فهي شبه ناعسة فعليا :

- يا للفتيات !! ركزي بمهمتك الحالية ، احترسي عليها و لا تخبرينها شيئا عندما تفيق ، سوف أتصل بك لأطمئن و أخبرك عن ما تفعلينه معها لأنها ستصاب بأعراض مرضية لكن ستمر دون عناء بإذن الله ..

حافظت على توازنها بصعوبة لكنها تماسكت و تمكنت أخيرا من إدخالها المنزل ، بعدها تخطت محنة الدرج الداخلي ببطولة تستحق الإعجاب لان الفتاة كانت بالكاد تحرك ساقيها !

أخيرا سقطتا معا فوق الفراش ، أخذت جيّدا وقتها في اللهاث و تهدئة أنفاسها المتلاحقة قبل أن تستقيم و تعدل من وضعها ثم خلعت عنها حذائها و دثرتها بحنان بينما عقلها يدوي بسؤال محير ..

لما تتشبث بمنفضة الغبار و تضمها بين ذراعيها و هي نائمة ؟!!!

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

حرصت على إبعاد الجميع عن غرفة نرفين بزعم أنها استغرقت في النوم بوقت متأخر بعد أن سهرت تقص عليها تفاصيل الحفل ..

أما شاهين فقد اتصل عدة مرات يطمئن على سير الأمور و أن أحدا لم يشعر بما حل بها حامدا ربه للمرة المليون كونه وثق بحدسه و تواجد في المكان و الوقت المناسبين ..

استيقظت نرفين عند الظهيرة تقريبا شاعرة أن رأسها يطفو بين غيمات رمادية تلفه بالكامل ، خللت أناملها داخل شعرها تدلك بشدة علها تعيد بعضا من وعيها الغائب ، ماذا حدث بالأمس ؟!! و كيف عادت للمنزل ؟ أيعقل أن السهرة أرهقتها لدرجة نسيان أحداثها ؟!

رفعت الشرشف السميك لتجد نفسها نائمة بنفس الملابس ثم قفز حاجبيها للأعلى حتى كادا يصلان لمنابت شعرها متناولة الشيء الذي يشاركها الفراش ..

لما منفضة الغبار تنام بجوارها !! ما هذا الجنون ؟

ثم تذكرت بعض المشاهد الغير مترابطة للحلم الغريب الذي رافقها طيلة الليل ..

يا الهي ما الذي ادخل شاهين في أحلامي ؟!

كأنها كانت في مدينة الألعاب أو حفل ميلاد ، لا تستطيع التركيز و هذا الصداع الرهيب يطرق رأسها بمطارق من الفولاذ ، بالتأكيد لن تذهب لهذا المكان أبدا مره ثانية بل لن تعرف مجموعة الحمقى المنحلين من الأساس ..

استمرت بتدليك جبهتها بألم و تعاني رغبتها في العودة للنوم من جديد ، وصلها صوت دقة لطيفة على الباب قبل أن تطل جيّدا برأسها مستطلعة بحرص لعدم إزعاجها ثم منحتها ابتسامتها الساحرة عندما وجدتها جالسة فوق الفراش بادية الانزعاج و الألم فدلفت بشكل كامل حاملة قدحا من الشاي المنكه بالأعشاب ، تتصاعد منه أبخرة برائحة عطرة بدت للأخرى أشبه بالنعيم قائلة :

- مرحبا أيتها النائمة ، هناك لافتة كبيرة فوق رأسك طبع عليها بالحروف المضيئة عبارة صداع ، هاك تفضلي اشربي و تناولي هذا القرص سيفيدك و يعيد إليك الاتزان ..

تناولته منها بلهفة ، ابتلعت الدواء دون سؤال ثم رشفت جرعة كبيرة من الشاي فقد كان حلقها جاف كالصخرة قبل أن تستفسر بدهشة :

- كيف عرفت عن صداعي ؟ أو بكوني بالفعل احتاج لهذا القدح بشكل يائس !

ابتسمت جيّدا بحنان قائلة بعفوية كادت تفسد الأمر :

- لقد اخبرني شا..... ش شعاع الشمس الذي توسط كبد السماء انك تعانين الصداع طالما تأخرت في النوم لهذا الحد ، احم كيف تشعرين الآن ؟ إذا رغبت بالتقيؤ لا بأس ؟

عادت تضغط على رأسها قائلة بحيرة :

- لا افهم ماذا حل بي ؟ كيف وصلت إلى هنا و نمت بثيابي !

أشارت بينما ترفع ساقيها و تجاورها قائلة :

- آه ذلك بسيط سأخبرك ، لقد عدت من الخارج بادية الإرهاق و الاستياء و دخلت مباشرة للفراش ، هل أغضبك احدهم ؟

فكرت لوهلة ثم أجابت قائلة :

- امممم لا ريب انه ذلك التافه ذو الشعر الأحمر و قد جعلني ذلك اغرق في لجة غريبة من الأحلام المتعاقبة ، تارة أرى نفسي أتأرجح

و أخرى احتفل ، لقد كانت ليلة عجيبة بالفعل ..

رفعت الفتاة حاجبيها قائلة بمكر :

- الم يكن هناك شخصا مألوفا حل ضيفا على هذه الأحلام ؟

قطبت نرفين جبينها و فرت هاربة من السؤال ، التفتت جانبها متناولة منفضة الغبار قائلة :

- اخبريني أنت ، هل عندك فكرة كيف وصلت هذه لفراشي ؟!!

رفعت جيّدا كفيها قائلة بصدق :

- هذه بالتحديد و بكل أمانه ، لا اعرف (ثم استدركت ضاحكة) ربما رغبت في ضرب هذا الذي أزعجك بالحفل ..

مطت شفتيها قبل أن تضعها جانبا :

- ربما ، رغم أن شعيراتها تبدو انعم من خصلاته الشائكة الأشبه بقنفذ هارب من الأسر

تعالت ضحكات جيجي هاتفة :

- يا الله ، إلى أين ذهبت يا فتاة ؟

نهضت عازمة على إنعاش نفسها بدش طويل قائلة :

- سأخبرك لاحقا ، الآن أنا بحاجة لحمام يعيد رأسي بين كتفي ..

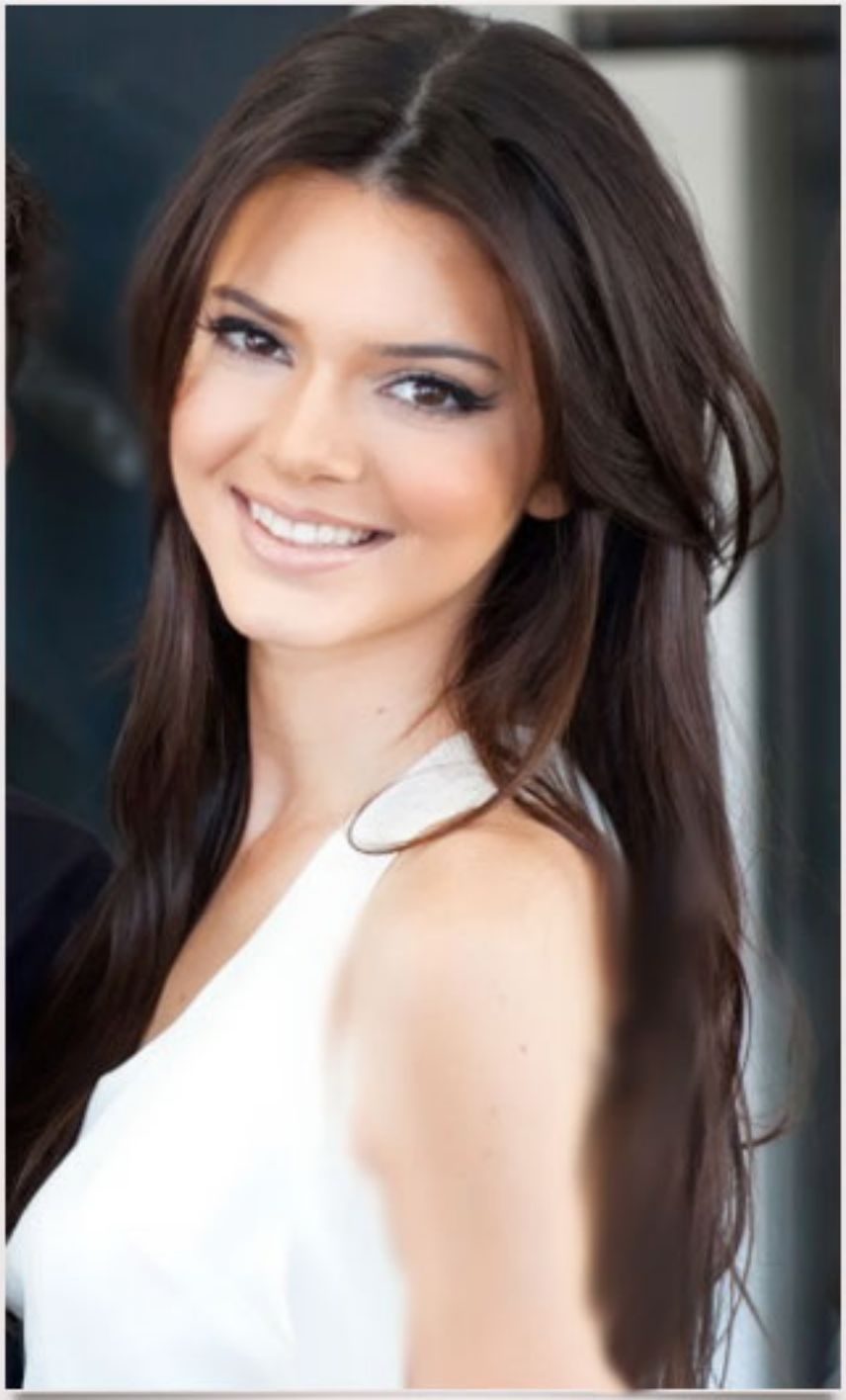

زفر عمر حانقا فوالدته تحاصره باهتمامها و تصر على حبسه بالمنزل رغم تحسن حالته و تماثله للشفاء بشكل كبير !
تاق لأيام المشفى على الأقل كان يراها يوميا ، آه يا سُلاف إنها تتعمد إثارة غيظه ببراعة لا تضاهى ..
تناول هاتفه الملقى أمامه و ضغط رقمها بحنق لتصله نبرة صوتها المتسلية بعد الرنة الثانية قائلة :
- مرحبا عمر ..
صدح صوته عاكسا إحساسه :
- يا للبراءة ، عمر مستاء و بات موشكا على الانفجار ..
استمع لصوتها الضاحك تشاكسه قائلة :
- لقد أصبحت مدللا للغاية يا ابن الخالة ، ماذا هناك ؟!
هتف بإحباط :
- أين أنت ؟ لما لم تحضري منذ أول أمس ؟!
- لأني منشغلة يا سيد ، ماذا تظن ؟ لا يوجد في حياتي غيرك !
ردد من بين أسنانه بغضب حقيقي هذه المرة :
- سُلاف ، لا تتحدثي بهذه الطريقة ..
تابعت دون تخلي عن المرح :
- حسنا ، لا ترفع صوتك إنهم أماني و ادهم ، لقد عادا من رحلة العسل اليوم و أمي دعتهم لتناول العشاء ..
عاد للهتاف باستهجان :
- و ما شأنك أنت ؟! هل عليّ التصديق انك حاش لله مستغرقة بإعداد ما لذ و طاب لأجلهم !!
صدحت ضحكاتها رنانة لتطرب أسماعه بينما قالت :
- لا طبعا ، لكن وجودي في غاية الأهمية أيها المتذمر ، فانا من تتذوق و تعطي الرأي النهائي قبل اعتماد كل صنف ..
يدرك أنها تتلاعب به بل هي تبرع في ذلك فردد بنبرة خافتة :
- سُلاف أريد رؤيتك ، تعالي الآن رجاء ..
ارتفع وجيب قلبها العاشق لهذا الأحمق الذي لم يعرف مقداره في حياتها بعد و قد بعثرتها نبرة صوته خاصة عندما يتحدث بهذا الشكل ..
ازدردت لعابها ببطء ثم تحدثت ببساطة آملة أن لا يشعر بما أصابها :

- لما الآن تحديدا ؟ هل اشتقت إليّ مثلا ؟!
غمغم بعاطفة جياشة :
- تعلمين أني أتوق إليك و أنت معي و أريدك جواري بكل وقت ، ارغب بتعويض ما فاتنا حبيبتي لكنك تعشقين معاندتي حتى عمي لم تجعليني اخبره قائلة انك من سيفعل و لا شيء من يومها ! قالت بابتسامة من الجيد انه لم يرها حرصا على سلامته القلبية :
- أنا لم أخفى عنك الحقيقة ، أخبرتك صراحة انك قيد الاختبار لذا تحمل و كن مريضا عاقلا ، لما لا تجرب بعض النوم ! سيجعلك تكبر و خالتي تطلق سراحك أسرع ، استمع لنصيحتي بنيّ حتى اجلب لك الحلوى ..
نبرته المنزعجة أعلمتها أنها بالغت في المشاغبة هذه المرة عندما ردد :
- أتمنى لو كنت أمامي الآن ..
علقت قائلة بادراك ضاحك :
- اجل اعلم ما كنت ستفعله لذلك لن أجازف بالاقتراب من محيطك لمسافة لا بأس بها حتى تختفي ميولك الإجرامية ، هيا لا بد أن أذهب لأساعد ماما كما أن مانو على وشك الوصول ، اعتني بنفسك لأجلي حبيبي ..

كعادتها تفاجئه بها ثم تهرع هاربة تاركة خلفها ذلك المتيم يعاني تبعات غرامه المتأجج الذي يزداد كل يوم أكثر من سابقه و هذه الساحرة المغوية المشاكسة الحلوة تأبى الرأفة بحاله ..
وضع الهاتف من يده و الابتسامة تشق وجهه دون إرادة مغمغما بهيام :
- سأفعل يا كل عمري و سلّاف حياتي ..
❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖
للمرة الثالثة على التوالي خلال هذا الأسبوع المنصرم تشيح نرفين وجهها عند مقابلة شاهين الذي تبرع لإيصال بعض القوائم الخاصة بحفل الجمعية المُقام هذه الليلة للخالة زينب ، بالطبع لأجل رؤيتها من بعيد فهو لم يتخلى عن سياسة التباعد التي انتهجها منذ فترة ..
لكنها باتت تبادله إياها بالتجهم و التجاهل !
تبا أليس مقدرا له أي تقارب معها !
ماذا يحدث الآن ؟! هل علمت بما وقع تلك الليلة لذا تشيح عنه ؟
لم يعد يفهم شيئا حتى مراد يبدو متغيرا و شارد على الدوام ! لن يستقيم الحال على هذا النحو أبدا لا بد من خطوة حاسمة قبل أن يفقد عقله نهائيا

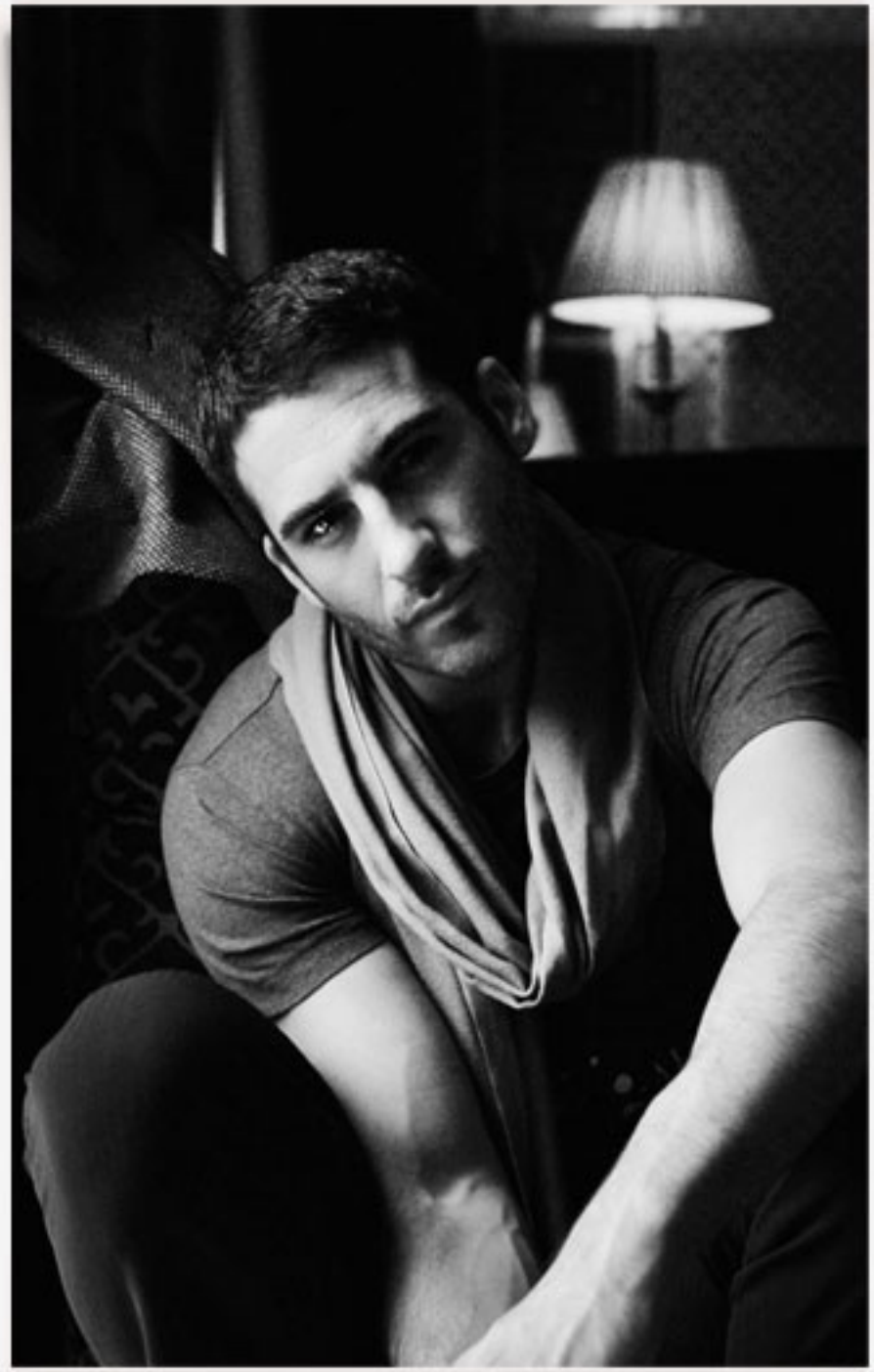

دفعت نرفين باب الغرفة بحنق لتقابلها عيون جيّدا المتسائلة عن سبب الثورة هذه المرة فهي منذ ذلك اليوم دائمة العصبية و هناك شيئا ما يؤرقها ..

أجابت استفسارها الصامت قائلة :

- لا شيء ، أتيت لأراك إذا أنهيت استعدادك أم لا؟

وضعت فرشاة الرسم من يدها قائلة :

- نرين ! الحفل في الليل و نحن ما زلنا عصرا و تعلمين أني لا استغرق وقتا لتحضير نفسي لذا هاتي ما عندك و اخبريني لما أنت مستاءة و تبدين كما لو تكبحين رغبة في قتل احدهم !

ألقت بنفسها على المقعد أسفل النافذة المشرعة قائلة بقهر :

- انه ذلك الشاهين المزعج ، أتى بالأسفل للقاء أمي ، لا افهم منذ متى يهتم بالجمعية و أعمال السيدات !!

قطبت حاجبيها قائلة بريبة :

- و ما الذي يغضبك منه ؟ هل فعل شيء ؟

أشارت بكفيها قائلة بحدة :

- و لما اغضب منه ! أنا لا اكترث به ..

منحتها جيّدا نظرة ذات مغزى فتابعت مقرة بالذنب :

- حســـنا لقد رأيته ذاك اليوم عندما غادرت الجاليري ، كان يخرج من احد الفنادق بصحبة قريبته المغفلة شيري ..

صدحت ضحكات الأخرى بينما تتناول فرشاتها من جديد قائلة بتفكه :

- اممم ، هذا هو الأمر ، لما تدعين اللامبالاة إذن ؟

جعدت الفتاة انفها قائلة بكبرياء :

- أنا لا ادعي إنها الحقيقة ، كل ما هنالك انه صديق مقرب لأخي و أخشى من تأثيره عليه ..

لمعت عيون جيّدا بالمتعة و قالت من بين ضحكاتها الرقراقة :

- أوه لقد صدقتك ، أنت قلقة على مراد من رفقاء السوء ، بالطبع فهو صغير و يخشى عليه من الفتنة ..

حذرتها الأخرى قائلة بتنمر :

- كُفي عن الضحك يا حمقاء ، لا يوجد شيء غير ذلك ..

زفرت جيّدا و عادت تجاورها مرددة بجدية :

- اسمعي نرفي عليك بالصدق مع نفسك أولا حتى تصلي لغايتك ، أنت تغارين عليه و هذا يعني اهتمامك به فلما لا تمنحين كلاكما فرصة حقيقية و تري إلى أين يقود ذلك ؟

نكست عيونها قائلة بضعف :

- كلا جيجي ، لا أريد جُرحا جديد بعد أن عثرت على ذاتي ، شاهين لا يحبني لقد كان يبدي اللطف و الاهتمام بي أثناء مرحلة التخبط لأنه شخص مسئول و يدين بالولاء لأخي أو لعله شعور إنساني بالشفقة على الفتاة التي كنت عليها ثم توقف عن ذلك بعد أن شعر بالملل ناهيك عن كونه سوف يرتبط بهذه الشيري كما ذكرت والدته من قبل

حركت رأسها قائلة باعتراض :

- ها قد قلتها بنفسك ، طالما سيرتبط بها ما الذي يؤخره و يضطره لاصطحابها إلى فندق ما بالخفاء لنيل متعة مسروقة ؟! أليس من الأجدر به إعلان علاقتهم طالما تحظى بالمباركة و التأييد ؟ ثم شاهين الذي اعرفه لا يلجأ لمثل تلك الأساليب الملتوية ، انه رجل جيد ..

تساءلت نرفين بحيرة :

- ماذا تقصدين ؟

اتسعت عيون الأخرى و هتفت باستنكار :

- يا الله ، لا اصدق انك تتعامي عن نظراته و مشاعره الواضحة تجاهك لهذه الدرجة !

إنها تكاد تصرخ ناطقة يا مغفلة ، كما أن مشهد الفندق يحتمل أي تفسير ، ربما كان يقلها لزيارة أو ما شابه ، لما لا تسألينه فهو صادق و سيخبرك بالحقيقة أفضل من جنوح أفكارك ..

زمت حاجبيها و سألت بحنق :

- من أين أتيت بهذه الثقة كلها ؟!

أشاحت نظراتها بعيدا قائلة بارتباك :

- أنا اعرف و كفى ..

جذبت وجهها إليها قائلة بادراك :

- ماذا تخفين عني ؟

ازدردت لعابها بصوت مسموع لكنها اتخذت قرارها فلطالما كانت كاذبة فاشلة :

- حسنا لقد وعدته لكني لم اقتنع بذلك و رأيت وجوب أن تعلمي ..

منحتها نرفين انتباهه كله و أسندت رأسها فوق قبضتها باستعداد كامل للاستماع في حين فركت الأخرى كفيها و تابعت اعترافها قائلة :

- هل تذكرين الأحلام الغريبة التي رأيتها تلك الليلة في اليوم نفسه ؟

أومأت الفتاة بالإيجاب فأكملت جيّدا شارحة :

- إنها لم تكن أحلام بل حقيقة ..

هبت نرفين عن مقعدها هاتفة :

- ماذا ؟ كيف ؟! اخبريني كل شيء ..

أشارت لها بالجلوس و انطلقت بسرد الجزء الذي اخبرها عنه شاهين فهو لم يفصح أكثر و احتفظ بالباقي لنفسه ، نهاية بتقديم قدح الشاي مع قرص الدواء بالفراش بناء على توصية هذا الأخير الذي بدا مهتما و قلقا للغاية ثم أتمت حديثها قائلة :

- انفضي عقلك من خيالات الشفقة و الامتنان السخيفة تلك و فكري ما الذي يجعله يتبع خطواتك المتهورة و يفعل كل ذلك لأجلك ثم يحرص على أن لا تعرفي ، عندها ستتوصلين لمعرفة منذ متى أصبح يهتم بأمور الجمعية و يعمل كرسول بين والدتيكما لمجرد أن يدخل المنزل ..

شعرت أن عقلها يعج بالتساؤلات و الفرضيات بشأن تلك الليلة و غيرها و ماجت نفسها بالكثير من الانفعالات المتضاربة ، رفض و قبول ، حزن و سعادة ، خجل مع حرج كبير ..

أدركت كم كانت قريبة من الخطر و قد أنقذها منه ، يا الهي أصبحت هي المدينة له الآن

لكنه لم يتبجح أو يستعرض أو حتى يعاتبها على حماقة أفعالها ! بل فضل طمس كل ذلك لحماية مشاعرها ! أي رجل أنت شاهين ! و ماذا تفعل بي ؟!

لم تنطق أيها لكن هاتف جيّدا هو ما قطع سيل أفكارها عندما أشارت به قائلة :

- لا اعرف من ؟ رقم غريب !

شجعتها الأخرى قائلة :

- هيا أجيبي لنكتشف صاحبه ..

راقبت شحوب وجه صديقتها التي كانت تعنفها كالمعلمة الصارمة قبل قليل و هي تردد عبارات مرتبكة حاولت جعلها تخرج طبيعية قدر الإمكان ثم أنهت الاتصال الذي خمنت صاحبه بالطبع قائلة :

- عمي طاهر يخبرني انه أنهى الجزء الخاص بالعمل و سوف يصل اسطنبول غدا بعد الظهيرة و بمجرد وضع أمتعته بالفندق سيأتي لرؤيتي ..

نهاية الفصل

دمعات القمر

القطرة الثامنة عشرة

انطلقت سيارة مراد تجاوره جيّدا أما نرفين فاحتلت الأريكة الخلفية بينما اصطحب والده زوجته و سبقا إلى حيث يقام الحفل الخيري بالقاعة المعدة لهذا الغرض داخل مقر الجمعية فقد كان يجب تواجدها هناك مع ناريمان و بقية العضوات في وقت أبكر من المدعوين ليعملن على استقبالهم بشكل مشرف خاصة و أن الحفل عليه دور كبير في زيادة مواردها المالية و حصتها من الدعم الحكومي ..

بمجرد وصولهم انضمت الفتاتين للسيدات و قد أبدتا استعدادهما للمساعدة و التحق مراد بالركن الرجالي حيث والده يقف مع بعض رجال المال و الاقتصاد البارزين في الدولة ناهيك عن صديقيه شاهين و صالح الذي رحبا بمشاركته الطاولة ثم غرقوا بأحاديث متباينة ..

تفاجئ مراد بكفين ناعمين يحطان فوق عينيه من الخلف و عطر مألوف يهب عليه منحه شعورا خانقا بدلا من البهجة كما يفترض أن يحدث ..

اتسعت عينا شاهين و اعتصم بدوره المراقب دون تدخل و هكذا فعل صالح عندما استدار رفيقهما ليواجه نازلي الباسمة و يمسك كتفيها بحزم رافضا محاولة إلقاء نفسها على صدره كعادتها قائلا بنبرة غلفها الهدوء و اللباقة :

- مرحبا ناز ، تبدين رائعة عزيزتي ..

تبرمت قائلة بسخط :

- جيد انك لازلت تذكرني فحتى هاتفك أصبح مغلق دائما في وجهي ..

ربت فوق كفها قائلا برفق :

- تعلمين أني اعمل ناز الأمر ليس شخصي ، لا أريد إفساد هذا الحفل رجاء لأنه هام للجميع ..

رفعت حاجبيها باستنكار لاتهامه الغير معلن قائلة :

- بالطبع اعلم و أنا هنا لتقديم المساعدة ، الم تخبرك والدتك ؟!

أومأ برأسه قائلا بإعياء :

- بلى اعرف عن تنظيمك لعرض الأزياء و ممتن لك بالتأكيد

تدخل صالح قائلا بهدوئه المعتاد :

- أظنهم يريدونك نازلي ، تلك السيدة هناك تشير باتجاهك ..

أومأت برأسها شاكرة ثم ودعت مراد مع وعد بالعودة عندما تنتهي ، التفت لصديقه قائلا بامتنان :

- أنا مدين لك ..

ابتسم شاهين مرددا بحياد :

- لكن بلحظة صدق مع الذات ألا تظنها محقة ؟ أنت لم تعد تذكرها مطلقا مراد و هذا غريب بالنسبة لرجل فكر في الارتباط الجدي !

حرك رأسه بحيرة قائلا بصدق :

- صدقا لا اعلم ، ربما كان مجرد إعجاب لم يصل لمرحلة الحب ، شعوري تجاهها أصبح متعادل التأثير ، الديك تفسير ؟

غمغم الآخر قائلا بتفكه :

- ربما عرفت الحب الحقيقي يا صاح ، لهذا بهت أي شعور عداه ..

حدجه بنظرة قوية فرفع كفه متابعا ببساطة :

- أحاول الاجتهاد لمساعدتك ..

❖❖❖

انهمكت السيدتين زينب و ناريمان بالإشراف على كل تفصيلة مهما بدت صغيرة أو غير هامة و قد بدتا متألقتين و في غاية الأناقة ..

توالت الفقرات كما تم ترتيبها دون إخلال أو تقصير و ها هو عرض الأزياء يلقى النجاح المرجو منه و قد توالى تسجيل طلبات المدعوات من التصاميم المعروضة للبيع ..

تقدمت نازلي بخطواتها الطاووسية توجه الحديث لوالدة مراد :

- أظن مردود العرض سيكون مبهرا و سيفوق كافة الفقرات الأخرى ..

أشارت السيدة برأسها قائلة :

- سنرى بالنهاية عزيزتي ، مازال الوقت مبكرا على الحكم ..

اقتربت ناريمان مرددة باهتمام :

- شكرا على العرض نازلي ، زينب أعلني عن افتتاح البوفيه فقد حان وقت العشاء ..

جالت جيّدا بعيونها بين المتواجدين بتركيز شديد كأنها تود النفاذ أسفل جلودهم ..
تقدم منها مراد بخطوات ثابتة تليق بهذا الكيان الشامخ مدركا ما تحاول فعله ، أحاط خصرها بذراعه كأي زوج محب ليميل عليها هامسا :
- أي شيء مألوف ؟
رد فعلها على تقاربه الحميم كان أعجب من إقدامه عليه فقد غرست نفسها جانبه كأنها جزء يعود لكله و استجابت تبادله الهمس بسرعة بديهة :
- لا جديد ، لكني لن أيأس ..
منحها ابتسامة عينيه التي تفتنها هامسا :
- هذه هي فتاتي ..
قطع سيل الهمسات صوت ناريمان عبر مكبر الصوت تدعو الضيوف للرقص لتنطلق النغمات تأكيدا على قولها فكان من البديهي بوضعهم الحالي أن يأخذها بين ذراعيه و يشرع في مراقصتها فلو انفصلا و فعلا غير ذلك لانطلقت الأقاويل و الشائعات ..
خطوتين فحسب و فوجئ الجميع بتبدل اللحن إلى نفس الأغنية التي رقصا عليها بحفلهما الخاص منذ فترة ،

التفتا سويا باتجاه الفرقة الموسيقية ليجدا نرفين تلوح لهما بعبث ثم تترك المنصة عائدة من حيث أتت ..
تقابلت أعينهما برسالة ابلغ من آلاف الكلمات ، وجدت نفسها تندس حيث مكانها الذي خلقت منه و له واضعة رأسها على كتفه ..
تحرك قلبه باندفاع فاتحا ذراعيه و قد برّح به الشوق فعانقها بهدير نبضاته التي صخبت بالكلمات المنسابة و قد أصبحت رمزا خاصا لهما
غمغم بنبرة ذائبة بالقرب من أذنها :
- أترغبين بترجمة فورية من جديد ؟
أظهر ثغرها الفتان ابتسامة روحها الساكنة أضلعه و الغير راغبة بمبارحة هذا النعيم هامسة بعشق لم تفلح بإخفائه :
- كلا ، لقد صرت أحفظها ..
وضع كفها المخفي داخل قبضته برفق فوق صدره ليتفرغ لاحتواء خصرها بشكل كامل كأنه يستأثر بها لنفسه و يخفيها عن الآخرين عامدا ..

حورية أنت جاد بها زماني
و ألقاها على شاطئ أحلامي

ينتهي ليلي بالتمني لوصالك
يهفو إليك خافقي
بكل تسارع إن لمح طيفك الغالي
أتمنى أن أحيطك بجدران تعزلك
عن عين كل الرجال لأنك أميرة متوجة
على عرش مشاعري و ذلك الخافق
الذي أعلن استسلامه و رضاه بقيد
عشقك الأبدي
فقولي لي ما الحل إذا ثارت مشاعري
كبحر حل به الإعصار
و رياح تعلو في كل حين تحمل
إليك اعترافاتي
هذا أنا يا مولاتي
أرى الشمس و مغيبها في عينيك
فقولي لي بالله عليك إنني
وحدي من أغرم بك
و تبادلينه العشق يا منتهى أملي
لأنني اقسم صادقا لن أحتمل أن
يكون غيري قد دخل قلبك الغالي
فهو ملكي و لي ابد الآبدين

هكذا أنا في العشق مجنون
و لن أرضى بغير ذلك بديل ..
بقلم / نداء الحق

❖❖❖

اوحت نظرات نازلي بالخطورة و استشفت نرفين من وقفتها المتحفزة و كفيها المضمومين أنها قادرة على افتعال فضيحة فسارعت تلفت انتباها بعيدا عن مراد و جيجي الغائبين بعالمهما الخاص كليا قائلة :

- نازلي أمي تريدك للإشراف على تسجيل حجوزات الثياب حتى لا يحدث خلط بين المقاسات أو التصاميم فأنت الخبيرة هنا ..

رفعت حاجبيها بقهر فلم تدرك هل تسخر منها أم تتحدث بجديه لكنها لن تجعلها تشعر بالتفوق عليها أبدا فرفعت رأسها و اتجهت لحيث يتم تقديم الطلبات دون كلمة ..

تمتمت الفتاة قائلة بحنق :

- حمقاء ، مغفلة ..

ثم التفتت تبحث عن ضالتها النائي بعينيه بعيدا رافضا النظر إليها بعناد ، لمحته يتجه للشرفة فحثت الخطى خلفه بعنفوان عازم ...

اسند قبضتيه على السور ساحبا نفسا عميق لعله يخفف حالة الاختناق التي تكبل روحه ، مالت شفتيه بشبه ابتسامة مسترجعا مشهد صديقه الذي عكست كل خلية به غرامه الواضح لكل شخصا عداه ، لما يبرع الجميع بقراءة ما يحيطهم في حين يعجزون عن رؤية أسفل أنوفهم !
لكنه متأكد أن أمر مراد لن يطول و سيكتشف اتجاه مؤشر بوصلته الحقيقي و الوحيد ..
استشعر وجودها بمحيطه قبل أن تبدأ قولها فهو الآخر لديه رادار قاصر عليها ، يدور بفلكها حتى لو من بعيد لكنه لا يغفل عنها مطلقا ..
أجلت حنجرتها قائلة في بادرة أولى من نوعها بالسعي إليه :
- احم ، مرحبا ، لما تعتكف هنا وحدك و لا تقدم المساعدة بالحفل ؟
خنق احتجاج قلبه الرافض لادعاء البرودة و عدم الاحتفاء بها قائلا بنبرة عادية كأنها تتحدث معه بشكل يومي :
- هل سألتك لما تركت الإشاحة بوجهك كلما تواجدت قربك ؟!
قوله البارد أثار غيظها بينما قلبها يهتف معنفا :
ماذا ظننت يا حمقاء ! يقفز طربا و يرحب بك ؟
لكنها اخفت ذلك و ردت قائلة بحدة :
- أنت تستحق ذلك فلا تدعي البراءة لكني لم آتي لهذا الغرض ، اممم لما ذهبت للملهى تلك الليلة ؟
رفع حاجبه لقولها و قفزت الابتسامة لشفتيه تلقائيا عندما استرجع تصرفاتها التي دأب على تذكرها كل ليله :
- هذا شأني ، لم اسمع بوجود قانون يمنع تواجدي بهذا المكان !
عضت على نواجذها بقهر ، لقد أصبح لا يطاق أين ذهب شاهين الرقيق المراعي ! عادت تردد بحدة تصاعدت :
- لكني كنت هناك و أنت تعلم ما حدث لذا اخبرني ..
مط شفتيه و رفع كتفيه قائلا بغموض :
- ربما الأمر كله مجرد صدفة ، أما عن ما حدث تحديدا فكل ما استطيع قوله انك كنت مسلية جدا ..
كادت تصرخ غيظا و إحباط لكنها سيطرت على نفسها قائلة :
- شاهين ، لا تختبر صبري فلن أكون لطيفة أبدا إذا فرغ مني ..

عاد يرسم ابتسامة تهكم هذه المرة قائلا ببرود :
- إذن وفري طاقتك لأني لن أتفوه بكلمة لك أو لتلك الواشية التي تلتصق بزوجها في الداخل ..
قبضت كفيها هاتفة بغيظ استبد بها :
- أنت سيء جدا ..
فاجأها عندما ضج بالضحك حتى تراجع رأسه للخلف و أضاءت آلاف النجمات أحداقه الوامضة بشكل ساحر مرددا :
- اجل أصبحت اعرف ذلك الآن ، فقد أخبرتني من قبل ..
قفز الفضول و الحيرة يحتلان عيونها الداكنة بروعة الليل الحالك ، قرأهم بوضوح فعاد يحرك رأسه نافيا و يتابع القول بنبرة متلاعبة :
- لن تعرفي أبدا ..
ظهرت عدة سيناريوهات قتل محتملة أمام عيونها الغاضبة الآن بشكل جعلها تخرج عن السيطرة و تهتف مخرجة مكنونات صدرها قائلة بعنف :
- لما كنت معها بالفندق صباح نفس اليوم ؟
ثم حل الصمت على كليهما هي مرتبكة لذلة لسانها الفاضحة و هو لا يكاد يصدق أنها نطقت ذلك بمثل تلك النبرة التي عشقها ، أراد الركض و معانقة الخالة قدرية بل و شكر الغبية شيري أيضا لكنه تمالك نفسه طامعا في المزيد قائلا بعبث أتقنه :
- لما عليّ إخبارك ؟ فأنت تنزعجين مني كما اذكر و هذا أمر شخصي ..
احتقن وجهها بشكل فاتن كأن غضبها يعيد إليه عنفوان مشاعره الغائبة ، صرخت بعنف محاولة إيجاد لفظ يعبر عن مدى استيائها دون جدوى :
- أنت .. أنـــت ....
قاطعها قائلا بمشاكسة :
- أنا سأتوجه إلى الداخل لعل والدتي تبحث عني ثم تحرك دون انتظار ردها لكنه توقف أمام باب الشرفة مباشرة و تابع الحديث بينما يوليها ظهره :
- لقد وضعت نفسها في مأزق كالمعتاد فهي تعمل بشركة سياحة كما تعرفين و قد خلطت بين حجوزات الأفواج ثم حاولت التنصل من المسؤولية و إلقائها بالكامل على إدارة الفندق فحدثت مشادة كادت تتطور لاستدعاء الشرطة لهذا اتصلت بي ..

أخيرا قرر الالتفات إليها ليواجهها قائلا بحزم :
- أنا لم أكن معها و لا ارغب بذلك لأني بكل بساطة مغرم بحمقاء أخرى ..
تركها تستوعب عبارته التي أربكت حواسها بالكامل و تابع طريقه عائدا للحفل لكن ملامحه حملت ابتسامة ظافرة حتى أن المكان بدا له أجمل و أكثر حيوية !!
ظلت مسمرة مكانها لوهلة قبل أن تنتفض خارجة من حالة الذهول و تبعت خطواته تلوح من خلف نظراتها ابتسامة مشابهة ..
وجدت جيّدا أمامها واضح عليها أنها لم تخرج من تأثير رقصتها مع مراد فبدت هائمة ترفل بثوب وردي رائع ، لف جسدها برقة مبرزا أنوثتها الفتية وجعلها أشبه بسندريلا ليلة حفل الأمير ، استخدمت معه وشاح حريري بدرجة لون أدكن لتغطية كتفيها بناء على توصية زوجها التي أملاها عليها منذ رأى الثوب و أدرك انه عاري الكتفين ..

جذبتها مباشرة إلى ركن هادئ غير آبهة باستفسارها الحائر حتى توقفت برقعة خالية نوعا و سألتها بلهفة :

- جيجي هل أنا حمقاء ؟

رفعت الأخرى حاجبيها بدهشة ثم رددت طواعية

- و هل عندك شك بذلك عزيزتي ! أنت كبيرة الحمقاوات بجدارة ، لكن لماذا ؟!

لمعت عيون الفتاة بجذل و سكنت شفتيها ابتسامة رضا ثم أخرجت تنهيدة راحة قبل أن تردد :

- لا عليك ، أردت المعرفة فحسب ، هيا استمتعي فمفاجآت الحفل لم تنتهي بعد ..

و ابتعدت بخطوات متراقصة تبعتها عيون جيّدا بذهول قبل أن تغمغم قائلة بخفوت :

- لا اله إلا الله ، لقد جنت الفتاة .. !!

❖❖❖

راقبت ناريمان تحركات نرفين بفخر و كل خلية فيها تهتف إعجابا بما تراه ، كانت الفتاة آية في الجمال و الرقي ، تشع ثقة و جاذبية كما لو خلعت ردائها القديم و خرجت منه فراشة جميلة ترغب كل أم أن تتخذها كُنه لها ، لقد اثبت شاهين انه صاحب نظرة ثاقبة و رأى ما عميت هي عنه ..

بادلتها قدرية نظرة ذات مغزى و أومأت برأسها كأنها ترسل إليها رسالة مفادها (الم أخبرك !) استقبلت محور أفكارها التي سألتها بعيون تتدفق حماس :

- خاله ناري ، أريد تقديم النشاط الجديد الآن ، لقد صار الوقت مناسبا ..

منحها السيدة ابتسامة ترجمت إحساسها قائلة :

- حسنا حبيبتي المنصة كلها لك ، لكن اخبريني أولا عن سر هذه الطلة المتألقة ؟ مساكين هؤلاء الشبان قلوبهم لن تحتمل ..

أسبلت أهدابها بخفر مع ابتسامة أنثوية ثم استدارت تتبعها عيون السيدة التي عقدت مقارنة سريعة بينها و شيري الجالسة من أول الحفل كالبالون الفارغ هامسة لنفسها :

- عجبا ، كيف كنت بهذا الغباء ! يحق لقدرية إن شمتت بي (ثم اتبعت بترفع تجيده) لا باس العظماء يخطئون أحيانا أيضا ....

❖❖❖

اعتلت نرفين المنصة أمام الفرقة الموسيقية بثقة ازدادت أضعاف عن بداية الحفل لسبب لا يعرفه الكثير من المتواجدين و بدت ترفل بأناقة ثوبها

الطويل ذو التنورة المتسعة من قماش الشيفون الهفهاف بينما الصدر بدرجة لون افتح ضيق بدون أكتاف يعلوه طبقة من الدانتيل الشفاف الذي شكل غطاء بغاية الأنوثة للأجزاء العارية منه ، باختصار كانت أشبه بأميرة رقيقة خرجت من كتاب الأساطير ..

تناولت مكبر الصوت لتجذب انتباه المتواجدين و قد أعاروها الأسماع بينما شرحت باختصار غير مخل عن الفرع الجديد للجمعية و الذي يبدأ نشاطه فعليا بتوفير الخدمات و الأجهزة التعويضية لغير القادرين على اقتنائها ثم اتبعت قائلة :

- و هكذا نحن بحاجة لمزيد من التبرعات و قد خصصت هذه الفقرة لذلك الغرض ، إليكم فكرتي سنقيم ما يشبه المزايدة (و أضافت بنبرة ضاحكة) بالطبع كل الشيكات سيتم قبولها ليس الأعلى فقط الذي سيفوز صاحبه بـ .....

ضحكت لنظرات الفضول التي صاحبت الصمت المخيم على القاعة بانتظار إعلانها للجائزة المفترضة فتابعت قائلة بمكر :

- حسنا لكن قبل أن أعلن عن الجائزة عليّ إخباركم بأمر تجهلوه و هو أن جيجي زوجة أخي تمتلك صوتا ملائكيا ، لهذا هي من ستتبرع بالجائزة التي ستكون أغنية تختارها و تهديها لصاحب المبلغ الأعلى في المزايدة ..

ختمت حديثها مصفقة بيديها ليتبعها الجميع و الأنظار كلها تتجه للشابة التي احتقن وجهها

خجلا بعد أن فهمت ما قالته نرفين بمساعدة العم عثمان الذي تطوع بالترجمة ..
انهالت التعليقات و الهتافات بينما نرفي تشير للفتاة بالانضمام إليها أعلى المنصة فاتجهت عيونها بآلية إلى زوجها الذي كان يحدق في شقيقته بنظرات قاتلة لكن لا سبيل للتراجع الآن فتقدمت من تلك الماكرة و قد بدأت الأرقام بالتوالي و نرفين سعيدة بهذا القدر من التفاعل ، مسها صوت شاهين هاتفا برقم تبرعه تبعه والدها مشجعا حتى صار الأمر أشبه بمزايدة حقيقية و الجميع يتبارى بمنافسة للفوز بالإهداء ..
بدأت الأصوات تخفت تدريجيا و قد وصلت لرقم مغري جدا تبرع به احد رجال الأعمال الذي أيقن بالفوز و تقدم منتشيا يقدم الشيك و يستعد لإعلان فوزه مما جعل نازلي تضرب قدمها في الارض بغل فقد كان ذلك المبلغ وحده يفوق إيراد عرض الأزياء بأكمله ناهيك عن المبالغ الأخرى التي سبقته !!
قبل ثانية من إعلان اسم الرابح صدح صوت مراد يقدم تبرعه الذي فاق آخر رقم بثلاثة أضعاف دفعة واحدة

فتعالى تصفيق الحاضرين بتهنئة الزوج الفائز ، كما منحه الرجل ابتسامة تقدير و تراجع مفسحا له المجال لتقديم إذن الدفع الخاص به بينما نرفين تعلن اسم شقيقها و تحث جيّدا على إهداءه أغنية من اختيارها ..

تواصلت بسهولة مع قائد الفرقة الموسيقية بالانجليزية و أطلعته على الأغنية التي كانت مسجلة على هاتفها لحسن الحظ ثم منحته بعض الوقت ليتعرف على اللحن بعدها اخبرها انه سيصاحبها وحده بالعزف على القيثارة مع احتفاظه بنسخة عنها أوصلها بالسماعة التي يضعها بأذنه ..

أثناء ذلك تركتها نرفين بعد أن منحتها مكبر الصوت فتحدثت بخفر جعلها تأسر الأنظار قائلة :

- أولا اعتذر لأني لا أجيد اللغة لكني اعمل جاهدة على تعلمها ..

أجابتها ابتسامات الحضور و بعض الكلمات المشجعة ثم تابعت :

- شكرا لكم و ثانيا يسعدني بالطبع أن أساهم في المساعدة بإنجاح هذا الحفل ، حسنا ساهدي للفائز هذه الأغنية و هي بلغتي لذا سأعطيكم ترجمة سريعة بالانجليزية حتى لا نفقد التواصل ..

ثم قامت بشرح مختصر لكلمات القصيدة التي صدح بها صوتها الشجي منتزعا آهات الإعجاب من الصغير و الكبير حتى عازف القيثارة بدا مستمتعا بمصاحبتها و قد شكلا ثنائي منسجم فنيا بينما عينا مراد لا تحيدان عنها و كل كلمة تنطقها تترك أثرها داخله واشمة قلبه بختم الحب الأبدي ....

يُسمعني .. حينَ يراقصُني
كلماتٍ ليست كالكلمات
يأخذني من تحتِ ذراعي
يزرعني في إحدى الغيمات
والمطرُ الأسودُ في عيني
يتساقطُ زخاتٍ .. زخات
يحملني معهُ .. يحملني
لمساءٍ وردي الشُرفات
و أنا .. كالطفلةِ في يدهِ
كالريشةِ تحملها النسمات
يهديني شمساً .. يهديني

صيفاً .. و قطيعَ سنونوّات
يخبرني .. أني تحُفتهُ
و أساوي آلافَ النجمات
و بأني كنزٌ .. و بأني
أجملُ ما شاهدَ من لوحات
يروي أشياءَ تدوخني
تنسيني المرقصَ والخطوات
كلماتٍ تقلبُ تاريخي
تجعلني امرأةً في لحظات
يبني لي قصراً من وهم
لا أسكنُ فيهِ سوى لحظات
وأعودُ .. أعودُ لطاولتي
لا شيءَ معي ..
إلا كلمـــــات

نزار قباني

عندما انتهت عاصفة التصفيق و عبارات الإطراء بصعوبة ساد بالقاعة جوا حالم يلفه الحميمية كأنها ألقت بصوتها الخلاب تعويذة سحرية فتنت الجميع و قد طاردتها نظرات الإعجاب مع كل لفتة تصدر عنها ، هنا لم يعد مراد يتحمل و ثارت نوازعه التملكية تتحكم فيه بشدة و تنسيه التحضر ، تناول كفها قائلا بحزم :

- هيا سنغادر الآن ..

تحركت معه دون كلمة حيث قادها باتجاه والديه و أخبرهم عن عزمه ثم غادر القاعة مباشرة من الباب الجانبي حتى لا يلفت الانتباه لتركهما الحفل ..

في الوقت نفسه أمام الباب الرئيسي اتكأ شخص آخر بكسل ، وصل بوقت متأخر ، عند منتصف الأغنية تحديدا لذا لم يلفت دخوله الأنظار التي تعلقت بتلك الفاتنة ذات الصوت المخدر للأعصاب ..

على مقربة منه وجدها تشتعل بغضب هادر تجاهد في كبته فغمغم بالقرب من أذنها بصوته المغوي قائلا :

- مرحبا نازلي الجميلة ..

التفتت بحدة لتتسع عيونها لمرآه بتلك الهالة الخطرة التي لا تنفصل عنه فردت بارتباك:

- أهلا سيد يعقوب ، لم أكن اعلم انك ضمن المدعوين للحفل ..

رفع حاجبه قائلا بعجرفة :

- يعقوب عابد دائما مدعو صغيرتي ، هو فقط من يقرر الحضور من عدمه ..

ثم أشار برأسه بسخرية مقصودة و تابع :

- تلك الفاتنة التي كانت تغني قبل قليل ، الم تصطحب خطيبك المفترض معها أم لعلي أخطأت !

رصت على أسنانها بقوة و قد فاض بها الكيل مرددة باندفاع :

- بل هو خطيبي و سيظل يحبني أنا بينما هي مجرد تافهة لا تمثل شيء حتى زواجهما المزعوم مؤقت لصالح عمله فحسب ..

اندلعت شرارات أحداقه تلفها بشراسة بينما ناقضها قوله الناعم الذي يحمل عدة معاني :

- عمله !! أليس رجل أعمال ؟!

بادلته النظرة الخبيثة نفسها قائلة :

- اجل بالطبع ، أعمال ، أعمال خاصة جدا ..

انتحى بها ركنا جانبي و أكمل حديثه بنبرة جدية :

- إنها عربية ، هل هي من عائلته ؟

حركت رأسها قائلة بانزعاج رافض :

- بل مجرد نكرة كانت هنا برحلة سياحية و فجأة صارت صديقة للجميع حتى شقيقته الغبية أصبحت تعمل معها و تبيع لوحاتها البالية ..

مال ثغره بابتسامة ذئب عثر على ضالته قائلا :

- ترسم إذن ، متى تزوجا تحديدا ؟

أخبرته التاريخ كأنها تلفظ سما زعاف عندها ومض الفهم داخل أحداقه و اتسعت ابتسامة الأفعى محتلة ملامحه الشاحبة :

- من يعرف الحلوة ناز و يستبدلها بأخرى ؟!

ما رأيك أن نكمل السهرة بمكان آخر أكثر إثارة من هذا الحفل الممل ؟

أومأت راضية و قد أعاد إليها اهتمامه جزءا من كرامتها المهدرة و اصطحبته مباشرة إلى الخارج تاركين الحفل يبدأ العد التنازلي معلنا انتهائه ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

الصباح التالي حمل نسائم البهجة و المرح و قد دارت في جنبات منزل السيد عثمان تلف الجميع بردائها الوردي و تمنحه أريجها العطر ..

هبطت نرفين بطلة مختلفة عكست سعادتها الداخلية حيث اختارت ألوان ربيعية موشاة بالزهور دعمت ابتسامتها المشرقة هاتفة بتحية الصباح لوالديها المتواجدين بمفردهما على طاولة الإفطار الرحبة اتبعتها بالتساؤل :

- الم تستيقظ جيجي بعد ؟

أجابت والدتها بحبور :

- بل هي في الحديقة تحدث مراد قبل ذهابه ، المسكينة زيارة عمها تثير قلقها بدرجة كبيرة و هذا جعلني أحبها أكثر لأنها تكترث لأمر عائلتها ..

أومأ عثمان يوافقها قائلا بنبرة خافتة :

- إنها فتاة جيدة و لا أخفيكم هي الزوجة المناسبة لمراد ، ليته يدرك ذلك و يكف عن التعامل معها كمهمة موكلة إليه ..

علقت زينب قائلة بحاجبين معقودين :

- لن تختلف إحدانا معك عزيزي لكني لن اسمح بتطور الأمور بينهما إلا بعد اتخاذ الخطوات الصحيحة للارتباط بها ..

ضحكت نرفين لصرامة والدتها بينما رد عثمان بمرح :

- بالطبع حبيبتي ، أنا لم أقصد غير ذلك و مستعد للسفر و طلبها من والدها بنفسي شرط أن يتحرك ابنك ..

غمزت نرفين بعينيها قائلة :

- سيفعل بابا ، هذا إن لم يكن حدث و انتهى الأمر ، الم تروهم في الحفل ، لقد بديا كعصفوري الحب (ثم استدركت ضاحكة) لقد كاد مراد يقتلني بنظراته لأني جعلتها محط للأنظار ، انه يغار بشدة و هذا انجاز بحد ذاته ..

بادلتها زينب ابتسامة متواطئة و تابعت تؤكد قولها :

- صحيح في حين لم يكترث لناز رغم نوعية الثياب التي عرضتها ..

لمعت عينا الرجل بجذل قبل أن يوجه الحديث لابنته قائلا :

- و أنت عصفورتي ؟ متى سنخطط بشأنك أيضا ؟

أخفضت وجهها قائلة بخفر :

- أنت تخجلني الآن بابا ..

ردت زينب ضاحكة :

- يبدو أن ذلك قريبا جدا عزيزي (ثم وضعت القدح من يدها و تابعت) عليّ الاستعداد للذهاب فاجتماعي بالأعضاء موعده بعد الظهيرة ، ألن تحضري نرفين خاصة و أن النشاط الجديد تحت إشرافك و قد جلب أعلى إيرادات الحفل ..

حركت رأسها نافية :

- للأسف لا ماما ، سأذهب مع جيجي للقاء عمها ..

نهض عثمان قائلا لزوجته :

- حسنا لا تتأخري حتى أقلك بطريقي ..

أومأت برضا ثم اتجهت لغرفتها تكمل استعداداتها للخروج بينما التفت الرجل لابنته و تابع القول :

- أي شيء يطرأ اتصلي بي أنا نرفين و ليس شقيقك ..

حركت رأسها قائلة بطاعة :

- اتفقنا بابا ....

قابلتها جيّدا أمام الباب الخارجي في طريقها للداخل فقالت بلهفة :

- نرفين ، كنت قادمة إليك ، ماذا سنفعل ؟

رفعت كتفيها قائلة ببساطة :

- لا شيء ، ننتظر اتصاله ثم نذهب لنمرح ثلاثتنا ، أليس معك اسم الفندق ؟
حركت رأسها بالإيجاب فتابعت :
- ممتاز ، عندما يتصل اخبريني و حسب ، الآن اذهبي لرسم شيئا ما حتى تهدئي ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

فوق ربوة عالية حيث خلا المكان من البشر وقف ذلك الأشقر يتحدث بهاتفه الخاص جدا و قد عكست عيناه نظرة خالية من الدفء أو الأحاسيس البشرية المتعارف عليها ، ملامحه جليدية أشبه بآلة لا تعرف الانفعال ..
- قم بتحويل المبلغ في الحال لقد وجدتها ..
وصله الصوت الخشن من الطرف الآخر يردد بلهفة :
- لقد تأخرت جاك ، هل أنت متأكد إنها هدفنا نفسه ، الأمر لا يحتمل أدنى خطأ ..
زمجر بنبرة باردة قائلا :
- أنا لا اعترف بشيء اسمه خطأ ، إذا أردت إنهاء الأمر نفذ دورك في الاتفاق فقواعدي معروفة للجميع ..
ثم أنهى الاتصال مكشرا عن أنيابه بما يشبه الابتسامة في عالم البشر ..

خرج طاهر من الفندق بعد أن ترك أمتعته و بدل ملابسه ، كان قد وصل بوقت سابق من الصباح و أجرى اتصاله بابنة أخيه التي اشتاق إليها ثم اتفقا على لقاء أمام مسجد آيا صوفيا الذي تحول لمُتحف و يعد من معالم اسطنبول السياحية الشهيرة ..

بدا شابا في ملابسه الغير رسمية التي منحته طلة فتية لم تنل منها السنوات ..

قبل أن يغادر طلب من موظف الاستقبال خريطة داخلية و ها هو يدرسها بتركيز ليحدد اتجاهه مفضلا الذهاب سيرا على الأقدام بدلا من استقلال سيارة أجرة فالمكان لم يكن بعيدا و الطقس دافئ يدعو للتنزه ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ألقت ناريمان حقيبتها على المقعد المجاور للسائق ثم تبتعها بنفسها مطلقة العنان للسيارة حتى تصل الاجتماع سريعا تبعا لمنافستها الأزلية مع زينب ..

وضعت نظاراتها الشمسية الأنيقة دون أن تحيد عيناها عن الطريق لكن فجأة زمت حاجبيها تأففا بسبب ذلك الغبي الذي خرج من إحدى الطرق الجانبية معترضا طريقها بصورة فجة على درجاته النارية بينما يقودها برعونة غير عابئ بغيره من قادة المركبات ..

لتتفادى الاصطدام المحقق اضطرت للانحراف بشكل فجائي مما جعل السيارة تخرج عن سيطرتها و تقفز باتجاه الرجل الذي ساقه قدره للمرور من تلك المنطقة بنفس الوقت !

انطلقت صرختها بالتزامن مع سقوطه و اندفاع الدراجة بسرعتها القصوى بعيدا عن الفوضى التي خلفها قائدها في الشارع و قد ازدحم المارة حول ذلك المصاب الفاقد للوعي ..

ترجلت راكضة إليه لتكتشف حجم الكارثة التي حلت عليها ، مالت ناحيته هاتفة :

- هل تسمعني يا الرجل ؟ ماذا حدث لك ؟ يا الهي هذا ما ينقصني الآن ..

توالت التعليقات من المتواجدين و بالطبع سمعت عبارة الشرطة تتكرر أكثر من مرة فهرعت للاتصال بشاهين لكنها وجدت هاتفه مغلق و كذلك مراد فتمتمت بقهر و توتر :

- تبا للعمل ..

لحسن حظها استجاب رقم صالح الذي نقل صوته القلق هاتفا :

- خالة ناريمان ! ماذا هناك ؟ أنت بخير ؟

أخبرته بما حدث بشكل سريع كما وصفت له شكل المصاب فطلب منها اصطحابه بسيارتها لأقرب مستشفى و هو سيلحق بها إلى هناك و يتولى الأمر ..

انتقلت للرجل الملقى أرضا و تمكنت من إدخاله للأريكة الخلفية بمساعدة الجمهور المراقب ثم اتبعت الخطوات المتعارف عليها في مثل هذه الحالات ..

لاحقا داخل المشفى نُقل المصاب لإجراء الإسعافات اللازمة له و قد وصل صالح و بقي معها بينما تدلي بإفادتها للشرطي المكلف بإجراء التحقيق حول الحادث ..

عندما انتهت و هدأ المكان من الضجة اقترب منها صالح قائلا بضيق :

- للأسف خالتي أنت المتسببة في الحادث و كل الأدلة و الإفادات تؤكد ذلك ، لم يكن عليك الانعطاف بالاتجاه المخالف و بهذه السرعة المفاجئة ..

هتفت بحنق :
- اجل اعلم لكنه ذلك الغبي قائد الدراجة هو من دفعني لتفاديه ..
أومأ بادراك قائلا :
- لنأمل أن يكون الرجل بخير ..
اتسعت عيونها الشديدة الزرقة مرددة بذعر :
- ماذا تقصد ؟ هل سأتعرض للمحاكمة ؟
أشار بكفه قائلا بأسى :
- القانون هو القانون خالتي و نحن حماته ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

تطلعت زينب لساعتها للمرة الثالثة و قد تسرب القلق لنفسها قائلة :
- إنها المرة الأولى التي تتخلف ناري عن احد الاجتماعات ! ترى أين هي ؟
التفتت إليها سكرتيرة الجمعية قائلة :
- لكنك متواجدة سيدتي و جميع العضوات ، يمكننا بدأ الجلسة برئاستك ..
حركت رأسها بنفي حازم قائلة :
- كلا ، ليس و ناريمان غائبة ، يؤجل الاجتماع لوقت آخر (ثم نهضت تاركة الطاولة المستطيلة و تابعت) حددي أنت مع البقية و أرسلي لي الموعد ..

خرجت من القاعة بخطوات ثابتة ثم تناولت هاتفها لتتصل بها و تستعلم عن سبب غيابها ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ألقت جيّدا الهاتف داخل حقيبتها بقهر ، لقد باءت كل محاولات اتصالها بعمها بالفشل منذ تخلف عن الموعد و هي تحاول دون فائدة !
- برأيك ماذا حدث نريفي ؟ لما لم يحضر و هاتفه لا يستجيب ؟!
حركت الأخرى رأسها بعدم فهم ثم قالت :
- دعينا نذهب للفندق و نسأل عنه ربما وصلنا لشيء ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

اندفعت ندى داخل منزلها و السعادة تلفها ثم ألقت نفسها على اقرب أريكة هاتفة :
- آه منزلي الحبيب لقد اشتقت إليك ..
وضع خالد الأمتعة و احتل جانبها فمالت عليه قائلة بحب :
- أشكرك حبيبي ، لقد كانت إجازة لا توصف ، لم أقم برحلة سفاري في الصحراء من قبل ، يا لها من ذكريات رائعة ، الخيام ، الليل وسط الخواء المترامي و السهر أمام النيران ..

لم أرى هذا الجانب المغامر بك من قبل دكتور ! ماذا سأكتشف بعد ؟ هيا اعترف ..

قهقه ضاحكا و أجاب بتلاعب :

- ما زال هناك الكثير ، لو اجتهدت أكثر سوف تصلين ..

شبكت أناملها بيده قائلة بهيام :

- اشعر إننا عائدون لتونا من رحلة شهر العسل ..

ثم قفزت من مكانها متابعة :

- يا الهي لقد نسيت الاتصال بأماني ، لا ريب أنهما عادا قبلنا ..

جذبها من كفها لتعاود الجلوس قائلا :

- اهدئي و اخرجي أخاك من راسك ، اتصالك هو آخر ما يشغل باله في هذا الوقت ، لنحظى بقسط من الراحة و .....

اعتدلت هاتفة :

- كلا لن نرتاح الآن ، هيا انهض لنجلب الأولاد

وضع رأسه فوق فخذيها قائلا بكسل :

- سنفعل بالطبع لكن اجليها إلى المساء لأني مرهق للغاية ..

منعته من الاسترخاء قائلة بإصرار :

- لا لا ، أريد أولادي في الحال ، لقد اشتقت إليهم ، رجاء خالد ..

استسلم لرغبتها ناهضا بتعب فقد كان هو الآخر يتوق إليهم قائلا :

- حسنا ، أين حقيبة الهدايا خاصتهم و إلا لن يسامحانا على السفر دونهما ..

أومأت توافقه ضاحكة :

- ها هي معي ، لا تقلق لن أغامر بإغضابهما الآن و إلا حدثت ثورة ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

بحث عنها طويلا قبل أن يجدها منشغلة بتفحص هاتفها و قد زمت حاجبيها باهتمام :

- نانيّ ! ماذا تفعلين كل هذا الوقت ؟

رفعت إليه عينين قلقتين قائلة بوجل :

- ادهم ، بابا لم يتصل اليوم ، تصور ! و عندما حاولت الاتصال به لم أتمكن من ذلك

جلس إلى جوارها قائلا بهدوء فهو يعلم مقدار ارتباطها بوالدها لدرجة تصيبه بالغيرة في بعض الأحيان لكنه يحاول إخفاء ذلك :

- حبيبتي تعرفين انه سيقابل جيّدا اليوم ، ربما هو منشغل معها الآن فلا داعي للقلق ..

لمعت عيونها و هتفت بفرح :

- اجل سوف اتصل بجيجي ، أحسنت حبيبي ..

رفع حاجبيه بعدم تصديق ، هل هذا كل ما فهمته من حديثه !

نهض ساحبا الهاتف من يدها قائلا بنزق :

- اتركيهم لبعضهما حلوتي ، لقد تحدثت مع والدك طيلة الليل حتى انك نسيتني ، لو أحصيت عدد ساعات اتصالكما منذ زواجنا سنكتشف بقائك معه أكثر مني ، لقد اشتقت إليك نانيّ ، أريدك لنفسي بعض الوقت فهل هذا كثيـر !

عضت على شفتها السفلية بذنب حقيقي فهي معترفة بمبالغتها في الحرص على التواصل مع والدها كأنها تخدر صوت ضميرها اليقظ على الدوام ..

رفعت ذراعيها تحيطان عنقه بدلالها الذي يفقده صوابه قائلة بنعومة :

- سامحني حياتي ، أنت محق لهذا سأعوضك الليلة بعشاء خاص أعده لك بيدي ، أنا و أنت فقط دون اتصالات ..

جذبها يغرسها على صدره قائلا بشغف تائق :

- و هذا أقصى أمنياتي ، لكن بما إنها ليلتي سأجري عليها تعديل بسيط ، لنبدأ بالخاص و ندع العشاء لوقته ، لست متعجلا عليه ..

ضحكت عيونها العسلية لتمنحه موافقة ضمنية على مخططاته التي راقت لها و اندفعت باستجابة للمساته العاشقة دون تحفظات ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

زفت إليهم الممرضة بشرى إفاقة المصاب و اطمئنان الطبيب على حالته ..

أطلقت ناريمان أنفاسها قبل أن تطلب الدخول إليه فأشارت الفتاة قائلة :

- تفضلي لقد أصبح مستقرا بهذه الغرفة ..

ثم غادرت تواصل عملها بينما تحدث صالح قائلا :

- سأرافقك خالتي ..

حركت رأسها نافية :

- لا داعي لذلك بنيّ ، أنا كبيرة بما فيه الكفاية لاستطيع التصرف وحدي ، اعلم كم أنت منشغل لهذا عليك الذهاب و .....

قاطعها قائلا بحزم :

- ماذا تقولين خاله ناريمان ؟! كيف أتركك بهذه الظروف ألا تعتبرينني مثل شاهين !

ربتت على كتفه قائلة بأمومة :

- بالطبع يا ولد ، لكني اعرف طبيعة عملكم المتطلبة كما أني بخير و الأمور مستقرة الآن ، سأتحدث مع الرجل و أتكفل بكل شيء ثم ينتهي الأمر ..

حرك رأسه بعناد رافض:

- لن أتحرك من هنا حتى يصل شاهين ، سأذهب لأرى نتيجة الفحص بينما تقومين بزيارته ..

أومأت باستسلام :

- حسنا بنيّ ، بارك الله فيك ....

طرقت الباب برفق قبل أن تدلف إلى الداخل متسلحة بكل هدوءها و سيطرتها التي تجيد استحضارها عند اللزوم ....

❖❖❖

كان يلفه غضبا عارم و لا يطيق ذلك الفراش الذي أضحى أسيرا له ، لطالما كره عرقلة

خططه و انفلات الزمام من بين يديه ، تبا ، لو وقع في يده المتسبب في تلك الفوضى سـ.....
قاطع لجة أفكاره العاصفة مستكشفا هوية زائره الأول بعدائية ، وقع بصره على سيدة في غاية الأناقة دون إفراط ، تبدو ارستقراطية بشكل مغيظ ، تقدمت منه بنقرات كعب حذائها المستفزة فهدرت الدماء داخل أوردته مؤججة ثورته المختلطة بالحنق خاصة عندما تحدثت قائلة بالتركية :
- مرحبا ، أتمنى انك تشعر بخير ..
وقع بصرها عليه ممدا فوق الفراش و هناك جبيرة ضخمة تلف ساقه المعلق في الهواء بالكامل ، وجهه يحمل جاذبية و وسامة ملحوظة ، قدرت انه يكبرها بعامين أو ثلاثة على أقصى تقدير ، لكن لما يبدو محتقنا على هذا النحو ! هل يتألم ؟ أو ربما .....
أجاب تساؤلها زئيره الهادر بالعربية :
- انظروا من وصل لرؤية ما جنت يداه ، السفاحة الحمقاء التي كادت تقتلني ، ماذا تفعلين هنا ؟!
تراجعت خطوة للوراء و قد فاجأها هجومه الصاعق فانتقلت للانجليزية آملة أن تستطيع التواصل مع هذا الهمجي من خلالها :
- هاي ، لا تجرؤ على اهانتي يا هذا ، لدي صديقة عربية و اعرف تلك النبرة جيدا ، أنت تسبني الآن صحيح ؟
رفع حاجبه قبل أن يرد بنفس اللغة بإجادة تامة مليئة بالسخرية :
- مرحى ، ظننتك مغفلة كليا لكن اتضح انه تبقى لديك ذرة من العقل ..
شهقت باستنكار و هتفت قائلة بعدم تصديق :
- أنت خالي تماما من اللياقة أو التهذيب ، كنت مخطأة عندما تخيلت انك تستحق زيارتي ، أتعلم بإمكاني مقاضاتك الآن ..
ميل رأسه بتفكه و تابع بنفس النبرة :
- كما استطيع أنا الزج بك إلى السجن مباشرة و سأفعل حرصا على حياة الأبرياء ، أنت خطرا على البشرية سيدتي ، لا افهم كيف يسمحون لك بالتجول دون رادع ؟!
اقتربت منه و قد فاض إناء عصبيتها الشهيرة واضعة كفيها فوق خصرها قائلة بتحدي :
- هل يجب عليّ الخوف و الارتجاف الآن ؟!

لو كنت تنظر أمامك لرأيت الأحمق الآخر الذي اعترض طريقي و أن انحرافي كان لتفادي كارثة اكبر ..

أشار بكفه مرددا بإغاظة :

- عندها قررت التخلص مني دفعا للضرر ، أهذا هو مفهومك عن تفادي المشكلات ! لا أنصحك بالخروج من منزلك في هذه الحالة ..

قبضت كفها برغبة ملحة في لكمه ، كم ستكون سعيدة حينها لكنها صرخت بانعدام صبر هاتفة :

- أنت رجل لا يطاق ، ماذا تريد الآن ؟

ردد من بين أسنانه يجيبها بحنق :

- أن تخرجي من هنا فوجودك يسحب الهواء و يصيبني بالاختناق ..

ضيقت عيونها باستفزاز ثم تحركت فجأة ساحبة المقعد البعيد لتضعه أمام الفراش مباشرة و تحتله واضعة ساقا فوق الأخرى قائلة ببرود :

- سأكون مرافقتك إذن و لن أغادر هذه الغرفة حتى تخرج منها إلى منزلك أو إلى القبر كما آمل ..

ثم تراجعت للخلف باسترخاء كامل بينما تمعن في التنفس بصوت مسموع رافعة رأسها مظهرة عناد لا يعرف اللين ..

ضغط الزر الذي يجاوره بعنف لكن الممرضة كانت بطريقها إليه بالفعل فدلفت تدفع عربة محملة بالأدوية مع ابتسامة هادئة قائلة بالانجليزية نتيجة تجربتها السابقة في التعامل معه :

- لا بد انك تتألم ، لقد جلبت المسكن و حالا سيتحسن شعورك ..

لم يكترث لقولها بل أشار لناريمان قائلا بحقد :

- أخرجيها من هنا ، إنها تزعجني ..

بادرت السيدة بقول عبارة ما بالتركية على أثرها اتسعت ابتسامة الفتاة قائلة :

- لماذا سيدي ؟ لقد تطوعت مشكورة بمرافقتك ! عليك أن تكون ممتنا لها ..

يا الهي سيرتكب جريمة في هذا المكان دون شك ، هل دخل لقسم الأمراض العقلية دون أن يدري !

قربت المحقن الشفاف منه لكنه سحب ذراعه بعيدا قائلا بعنف :

- ابعدي هذا الشيء لا أريده ، يكفي ما فعلتموه بي حتى الآن ، تبا لا اصدق إنني هنا منذ الصباح فقط ، أي كابوس هذا !

انطلق البريق الماكر يضفي القا خاصا على عيونها عندما هبت تاركة المقعد و تناولت المحقن من يد الفتاة التي تقف بحيرة قائلة بنبرة ناعمة :

- اجل بالطبع أنت فتاة لطيفة و سوف تستمعين إليه ، لكني لست كذلك بالتأكيد ، لهذا استمتع بها أيتها المتوحش البربري الفظ السليط اللسان

قالتها باسمة بينما تغرس المحقن في عضده بمهارة ثم سحبته سريعا بعد إعطائه الدواء متابعة بنفس النبرة المتسلية :

- اووووبس ، هل آلمتك عزيزي ! (استدارت للفتاة المتسعة العيون و يبدو عليها الذهول قائلة) لا تقلقي صغيرتي فلدي خبرة بالإسعافات لم اقتله بعد ..

ثم تركته و عادت لمقعدها ظافرة و غير مكترثة بسيل السباب الذي انهمر من بين شفتيه ناعتا إياها بشتى أنواع الجنون ..

انتظرت حتى انتهى و جعدت انفها قائلة بسخرية :

- سأخبرهم أن يغسلوا فمك بالصابون ، لا ريب انه تأثير الدواء ..

ظهرت حدة انفعاله من ارتفاع و هبوط صدره و الانتفاض الجنوني للعصب على جانبي فكه فانسحبت الممرضة التي تحاول استيعاب ما يحدث دون فائدة قائلة بهدوء :

- هل بإمكاني الخروج و تركتكما معا دون قتل بعضكما أو حرق المشفى !

منحتها ناريمان ابتسامة مميزة قبل أن تردد بمرح واثق :

- اذهبي عزيزتي فانا أجيد ترويض الوحوش ..

مسح وجهه بكفيه مرددا الاستغفار قبل أن يتابع بصوت مسموع :

- ماذا فعلت ليكون جزائي التعامل مع تلك السيدة الرهيبة ! إن أحلام تعد ملاكا بجناحين مقارنة بها !

أشارت إليه قائلة بحاجب مرفوع :

- ليس من الكياسة أن تتحدث بلغة لا افهمها ..

زم شفتيه هاتفا بقوة :

- أنا لم ادعوك للبقاء من الأساس يا امرأة ..

رفعت كتفيها قائلة بلامبالاة :

- و رغم ذلك أنا باقية ، عندما تفرغ من قتل نفسك غضبا أخبرني من تكون ؟

أغمض عينه مستحضرا هدوءه مفكرا لبرهة ثم فتحها بتعبير مغاير اختلط بالدهاء قائلا بنبرة غامضة :

- حسنا لك ذلك ، لقد قبلت بقاءك فما أنا فيه عائدا إليك بإلقام الأول ، من هذه اللحظة أنت عبدة لدي و ستنفذين كل أوامري ..

فاجأها بتحوله فهبت قائلة :

- ماذا ؟ هل جننت ! لا تستطيع إرغامي ..

تابع بهدوء مستفز :

- إما هذا أو السجن ؟ الخيار لك حتى تتعلمي أن التلاعب معي ليس في صالحك يا سيدة أيا كان اسمك ..

عندما طال صمتها بينما ترميه بشرر نظراتها اللاهبة الأخاذة أكمل حديثه قائلا :

- هيا لا تقفي هكذا دون فائدة ، ابحثي عن هاتفي لا ريب أن ابنة أخي قد نال منها القلق لاختفائي المفاجئ ..

اتسعت عيونها بعدم تصديق فهتف بعنفوان رجولي ساحق :

- تحركي يا امرأة ..

وجدت نفسها تهرع للتنفيذ دون وعيّ بينما تدمدم بالسُباب الحانق ..

مدته إليه بفظاظة فنظر إليه قائلا بتشفي :

- شغلي عقلك رجاء ، ألا ترينه مغلق ! أعيديه للعمل ..

عندها تساءل عقلها بلهفة ، إذا قذفته به و شجت رأسه هل سيعتبرونها إصابة إضافية تزيد العقوبة !!

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

- لا اعرف نرفي ، الأمر محيرا للغاية ، لقد أصبحنا في نهاية اليوم دون أثرا له !

قالتها جيّدا بينما تدور في إنحاء الردهة عاجزة عن فعل شيء آخر فردت الأخرى قائلة :

- اسمعي سأتصل بوالدي ، لقد طلب مني ذلك في الصباح بالتأكيد سيعرف ما عليه فعله أكثر منا ..

أومأت توافقها بلهفة فأخرجت هاتفها و بدأت إجراء الاتصال لكن عندها ارتفع الرنين من هاتف جيّدا التي صرخت قائلة :

- انه عمي ..

ركضت إليها الفتاة تستمع للحديث الذي طال انتظاره .....

- مرحبا صغيرتي ..

قاطعه هتافها الملح :

- أين كنت عمي ماذا حدث ؟ أنت بخير ؟

عاد صوته يردد :

- اجل اجل ، لقد تعرضت لحادث لكني بخير الآن

شهقت هاتفة بجذع :

- مـاذا ؟! كيـف ؟

- اهدئي يا فتاة ها أنا أحدثك بنفسي ألا يكفي ذلك لتطمئني !

أجابته بعناد :

- اخبرني عن مكانك عمي ، سآتي إليك في الحال

حاول إثنائها من جديد :

- لا داعي لذلك حـ.....

قاطعته بنبرة ثابتة :

- هل تريدني أن أجوب المستشفيات بحثا ؟

ردد مستسلما :

- حسـنا سأخبرك ، تشبهين والدك الآن ....

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

أقلتها نرفين و دخلتا بسهولة لان المشفى خاص و لا يتقيد بمواعيد صارمة للزيارة ، كما أنها حرصت على خلع الخاتم و المحبس و أخفتهم داخل حقيبتها قبل الدخول ....

كانت الساعة الماضية بغاية البؤس على ناريمان و ذلك الرجل البغيض لا يكف عن إلقاء الأوامر السخيفة عليها ، تبـا أي حماقة جعلتها تضع فكرة بقائها برفقته داخل رأسه الصلد !!

استدارت لترى قريبته التي ينتظرها ليستقبلها زوجين من الأعين المذهولة فهتفت قائلة بدهشة:

- نرفين ، جيّـدا ! ماذا تفعلان هنا و أين مراد ؟

حل الصمت مخيما على الجميع بينما نظرات الأربعة تصطدم ببعضها مخلفة ارتباك واضح

قطعه هو عندما تساءل بدهشة :

- كيف تعرفين ابنة أخـي ؟!!

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

عكست مرآة السيارة الأمامية نظرات الشراسة التي انطلقت من أحداق ذلك الأشقر الرابض خلف مقود سيارته و ابتسامة صفراء تحتل زاوية شفتيه تفكها لقدرته على معرفة كل شيء عن هدفه الذي رصده طيلة اليوم حتى غاب خلف أبواب ذلك المشفى

للأسف لن يتمكن من خلق لوحة جميلة هذه المرة لضيق الوقت و سيكتفي بتصفية تقليدية ، مجرد رصاصة بالرأس و ينتهي الأمر ، يا للملل

لكن لا بأس سيعتبرها بمثابة إجازة يقوم بها .. لطالما كان الصيد هوايته المفضلة ، على كل حال لن يفعلها اليوم لأنه يحب مراقبة هدفه و رصد تحركاته فهذا يشعره بنشوة القوة و يكون المسيطر المتحكم ثم يتخذ القرار ، و من جانب آخر يلعب بأعصاب ذلك الأصلع البدين المتفاخر بنفسه ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

لحسن الحظ أن المفاجأة جعلت ناريمان تتلفظ بسؤالها العبقري بلغتها الأم فلم يميز طاهر سوى اسم جيّدا و قد استفادت ترفين من الأمر عندما ألقت تحية سريعة و هرعت تسحبها خارج الغرفة بينما جيجي تلقي بنفسها على صدر عمها الذي احتواها بحنان أبوي معتاد ثم أطلقت العنان لسيل أسئلتها المكبوت منذ الصباح ...

في الممر الخارجي أمام الغرفة وضعت ناريمان كفيها فوق خصرها قائلة :

- حسنا ، ماذا يحدث ؟ أريد معرفة كل شيء ..

ردت نرفين بارتباك ملحوظ :

- اممم خالتي الأمر معقد و شرحه يطول

لكن كل ما استطيع قوله الآن أن ذلك الرجل بالداخل هو العم طاهر شقيق والد جيجي الذي لا يعلم عن زواجها من أخي لذا عليك عدم التطرق للموضوع من أي ناحية ..

قطبت حاجبيها سائلة بريبة :

- لكن لما ؟ اخبريني ما ورائك يا فتاة !

أدارت عيونها في الفراغ بنفاذ صبر قائلة :

- ليس الآن رجاء ، علينا الدخول للمسكينة قبل أن تغرق ، اسألي ابنك عن كل ما تريدين معرفته ..

رددت بدهشة بالغة :

- شاهين ! و ما شأنه بزواج مراد ؟!

أجابت بينما تدفعها نحو الغرفة مجددا :

- بل الأصح هو شأنه ، لكن لا يوجد بالأمر ما يشين ..

عادتا إلى الداخل مع سؤال طاهر لابنة أخيه حول معرفتها بتلك المرأة فتقدمت نرفين باسمة قائلة بلهجتها الشامية القريبة من القلب :

- مرحبا عمي ، أنا نرفين صديقة جيّدا ..

ثم تحولت للانجليزية احتراما لوجود السيدة و تابعت مشيرة إليها :

- و هي تكون الخالة ناريمان صـــــــــ..
تناولت ناريمان زمام الحديث ببراعة و اقتدار و قاطعتها قائلة :
- بما إننا صرنا معارف اسمحي لي بإكمال التعارف عزيزتي (ثم نظرت إليه مضيفة) كما أخبرتك الآن جيجي تكون صديقة نرفين المقربة ، أما نرفي فهي خطيبة ولدي شاهين ، أي أن هذه الفتاة الحلوة كنتي ..
تبادلت الفتاتين نظرة مصعوقة قبل أن تلتفت إليها نرفين بعيون اتسعت بشكل مبالغ فيه مع فك مدلى فقابلتها بابتسامة ماكرة و حركت شفتيها بغمغمة خافتة :
- اعترضي لاعترض بدوري و اسأل عن الأشياء الخفية ..
ردد طاهر الغافل عن ما يدور خلف ظهره :
- لو كان الشاب يشبه والدته في الطباع ستكون هذه الفتاة بمأزق حقيقي ..
حدجته المرأة بعنف قائلة باستياء :
- لما لا تحظى ببعض النوم كنوع من التغير ! ألا تلاحظ انك تعرضت لحادث و تناولت على الأقل طن من العقاقير و مع ذلك لسانك لا يكف عن الدوار بحلقك ، هل يجب أن أطلق الرصاص عليك في المرة القادمة لتصمت !
شهقت جيّدا بذهول لما تراه و تسمعه أمامها فالجميع يعرف أن عمها لا يسمح لمطلق سيدة بالتبسط معه في الحديث ناهيك عن التعامل من الأساس ، لقد كان يحتمل الخالة أحلام بالكاد لأجل أماني التي تمثل العنصر الأنثوي الوحيد في حياته !
بينما نرفين انفجرت بالضحك فهي تعرف قدرات الخالة ناريمان عندما تستنفر للهجوم من حديث والدتها و نوادرهما التي لا تنتهي سويا ..
استعد لإتحافها بالرد المناسب لكن دخول الشابين العاصف أحبط محاولته للأسف ..
رصد التغير الذي لحق بذبذبات الهواء المحيط لتواجد هذان العملاقان المشعان برجولة خطرة
هتف شاهين بلهفة :
- أمي أنت بخير ؟!
بينما عكست عيون مراد المهتمة ما يعتمل داخله ، لكن جيّدا أشارت برأسها المجفل العينين سريعا علامة النفي لتذكره بعدم الاقتراب منها فاستلم رسالتها باستياء بالغ رافضا لأي حدود قد تفصل بينهما ..!

أحاط شاهين كتفي والدته بحماية ساحقة ، بدت مستكينة أسفل جناحه أشبه بطفلته التي تتلمس أمانها منه قائلة :

- اجل حبيبي ، لم يحدث شيء خطير ، لقد رحبت سيارتي بعم جيجي بقليل من الخشونة لكن اتضح بعدها أن الأمر عائلي ..

ضاقت عيون طاهر و رماها ببريق فظ لكنها زمت شفتيها و أشارت بإصبعها ناهرة أن يفتعل أي حماقة على غفلة من الشابين المنشغلين بالنظر للزهرتين الفواحتي العبير ..

تقدمت نرفي للمرة الثانية مرددة بابتسامتها الآسرة :

- سأقوم بالتعارف من جديد ، مراد ، شاهين ، هذا يكون العم طاهر الذي كنا ننتظره (ثم التفتت إلى الرجل متابعة) عمي هذا مراد شقيقي و ....

كالمعتاد قاطعتها ناريمان بقولها الصاعق متحدية الجميع مشيرة لابنها :

- و هذا الشاهين يكون ابني الوحيد صديقه و خطيب أخته ، نرفين ..

قطب مراد حاجبيه بعدم فعل لكن طبيعته جعلته يتحكم بانفعالاته و لا يتفوه بما يثير الشبهات و قد أخبرته نظرة رفيقه المصعوقة انه مثله تفاجئ بالأمر ..

نقل بصره لشقيقته التي عكست ملامحها كل أنواع الدهشة و الارتباك مجتمعين بعدم تصديق أن السيدة المتهورة فعلتها ثانية أمامهما ، ثم لجيّدا المسمرة في مكانها كما لو فقدت قدرتها على النطق ..!

ردد الرجل بنبرة مرحبة :

- ما بكم يا شباب ؟ ألا زلتم مصدومين بسبب الحادث ! الحمد لله قدر و لطف لما لا تجلسوا ، جيجي تعالي إلى جواري حبيبتي ..

بالكاد استطاعت الابتسام بنما تجلس بالقرب منه ، فوضع كفه فوق ركبتها مربتا بحنان قبل أن يردد بمرح :

- لقد كونت دائرة واسعة من الأصدقاء كعادتك يا شقية ..

ثم وجه الحديث إليهم متابعا :

- لطالما كانت هكذا تؤثر في الجميع بايجابيه ..

مالت تقبل جانب وجهه قائلة بخفر محبب :

- أنت تبالغ و تخجلني سيد طاهر ..

أخيرا استعاد شاهين قدرته على النطق و سيطر على مشاعره الثائرة بصعوبة بالغة في حين

يرغب بحمل والدته و الدوار بها ، أيا كان غرضها من قولها العبقري قبل قليل فهو يرحب به قائلا بكياسة :

- حمد لله على سلامتك عماه ، أتعشم أن لا يترك الحادث أثرا سلبي لديك عن الإقامة ببلدنا ..

رفع الرجل حاجبيه قائلا بادراك جذل :

- أتقصد أن أشكو والدتك ؟ اممم أصدقك القول لقد فكرت جديا لكن بالنهاية أشفقت على السجينات ..

تقبلوا مزحته بلطف بينما أرسلت له المعنية بالأمر نظرة عامرة بالوعيد ..

لم يشعر مراد بكل ما حدث لان عقله انشغل جاهدا بمحاربة رغبته المحرقة بانتزاعها من جواره حتى لو كان شقيق والدها لكنه لا يستطيع احتمال كفه المستكين على ساعدها ، إحساس رهيب يقتات على أعصابه و كل خلاياه و يدفعه الآن لارتكاب حماقة كبيرة ، يكفي انه مضطرا للبقاء على الطرف الآخر من الفراش كأنه غريب عنها بينما هو الأحق بتقديم أمانه و إحاطتها بذراعه لتختفي داخله كما تحب أن تفعل ..

تبادلوا عدة حوارات قربتهم من بعضهم أكثر لكن الرصاصات القاتلة بالكلمات و النظرات ظلت متطايرة بين الشخصين الأكبر عمرا داخل الغرفة و هناك آخرين غيرهما تبادلا نظرة وحيدة أفشت عن الكثير قبل أن تحجب نرفين عيونها بعيدا عن آتونه الأزرق عامدة الهرب ..

لم يعد قادر على التحمل و التظاهر بالهدوء بينما هي تتكوم كالقطة الأليفة جوار عمها بهذا الشكل الملهب لحواسه فنهض مالئا الغرفة بطوله المهيب قائلا :

- معافى بإذن الله عمي ، علينا المغادرة الآن لتنال قسطا وافرا من الراحة بعد هذا اليوم الحافل ، هاك بطاقتي أتعشم أن تعتبرني ابنا لك و تتصل بي عند الحاجة ..

أومأ بامتنان في حين تناولها منه بتقدير ، لا ينكر إعجابه بهذا الشاب الفخور رغم قلة حديثه لكنه شعر به أهلا للثقة و دائما يثق بحدسه ، و كذلك صاحب النظرات المشعة لولا النقطة السوداء التي لوثت سجله ، تلك السيدة الرهيبة والدته ، لكن لا ريب انه ورث جينات والده !

هم الجميع بالتحرك لكن أوقفهم صوت جيّدا المنغم عندما قالت :

- أنا سأبقى مع عمي ، سأطمئن أكثر هنا ناهيك عن اشتياقي الكبير لأخبار الجميع ..

ضغط مراد على فكه بعنف حتى لا يصبح لصرير أسنانه صوتا مسموع قبل أن يردد برفض قاطع :

- اعتقد انه لا داعي لذلك فعليه النوم و الراحة بشكل كلي ..

عادت تعارضه غافلة عن عيونه الناهرة بحدة :

- لكني لن أرهقه و سأتركه يستريح بالطبع ..

لمعت أحداقه بخطورة هذه المرة قائلا بهدير خافت :

- جيّـــدا ، لا يوجد فراش إضافي هنا ، اذهبي للبيت و عودي في الصباح ..

شدد طاهر ذراعه حولها قائلا بحنان حازم :

- اجل حبيبتي ، مراد محق عليك الذهاب و الراحة بدورك و سوف انتظرك في الصباح ، أنا لن احتاج لشيء خاصة أن الطاقم الطبي ممتاز ، و بالمناسبة لا تخبري أماني شيئا عن هذا ..

أنزلت ساقيها عن الفراش باستسلام ثم نهضت قائلة :

- حسـنا لقد فزت ، اعتني بنفسك حتى آتي في الصباح الباكر فلدي كومة من الأخبار و الحكايا ارغب في إخبارك عنها ..

بادلها عناقها الدافئ قائلا بمرح :

- ليس المبكر الذي تعرفينه أنت جيجي ، الصباح عندي يعني أن تشرق الشمس يا فتاة تذكري ذلك ..

ألقت عليه نرفين تحية جذلة و هتفت بدورها :

- إلى اللقاء عمي ، لا تقلق لن اتركها تخرج إلا بعد شرب الحليب و سوف آتي أنا أيضا ..

منحها ابتسامة أبوية بينما يومئ للشابين بألفة :

- تأخرت ناريمان عنهم ثم مالت باتجاهه قائلة بمشاكسة :

لا تظن انك تخلصت مني أيها العجوز المشاغب ، لا زال بيننا جولات عدة ..

❖❖❖

تفرقوا في الساحة الخارجية للمشفى ، كل منهم يحمل داخله الكثير ، مراد عبر عن غضبه العاتي بان سحبها من كفها و وضعها في المقعد الأمامي لسيارته بغلظة لاحظتها نرفي التي قالت ببساطة :

- سألحق بك مراد لان سيارتي معي ..

أجابها بحزم جعلها تهرع للتنفيذ :

- بل ستقودين أمامي و أنا من سيلحق بكِ ..
أثناء الطريق لاحظت انه يثبت عينيه على الإضاءة الخلفية لسيارة شقيقته و لم ينبث بحرف فحاولت تلطيف الأجواء قائلة :
- احم مراد ! لما تبدو غاضبا بهذا الشكل ! أنت بخير ؟
لا لم يكن بخير أبدا بل تنتابه عواصف هوجاء من الغيرة تجعله ليس نفسه ، زمجر بصوت خافت دون التفات إليها كأنه يعلن الخصام :
- لما اغضب ! هل ارتكبت ما يسئ يا زوجتي العزيزة ؟
أشارت بكفيها مرددة ببراءة متناهية :
- لا ، أنا لم افعل شيء ..
انعطف من البوابة خلف سيارة نرفين قائلا ببرود :
- لقد وصلنا ..
ثم ترجل تاركا إياها تلحق به وحدها لتراه يقف شامخا بمنتصف الردهة و الاستفسار يقفز من دكنة عينيه الساحقة :
- اخبراني حالا ، ماذا حدث هناك و جعل الخالة ناريمان تذكر ما قالته ؟

اقترب الوالدين تلفهم الدهشة فبادرت زينب بالسؤال :
- ماذا يحدث ؟ ما الذي ذكرته ناري !! لقد أنهيت اتصالي معها قبل قليل و لم تخبرني بشيء
شرحت نرفين ما حدث بإيجاز فجيّدا نفسها لا تعرف بما دار خارج غرفة عمها ..
عقد عثمان حاجبيه في محاولة لفهم سبب تصرفها بينما لمعت عيون زينب بادراك بعث السرور داخلها و عقلها يهتف بجذل : ستظل تلك المرأة مجنونة طيلة عمرها ..
فكر مراد بصوت مسموع قائلا :
- أي أنها استفادت من الوضع و نسجت ارتباطا وهميا بين نريف و شاهين ، السؤال هو لأي غرض قامت بذلك ؟!
مط عثمان شفتيه قائلا :
- ربما كانت تحاول إيجاد علاقة بين العائلتين بما أن نريف صديقة مقربة لجيجي للتأثير على عمها حتى لا يقدم شكوى قضائية ضدها ..
أشارت زينب برأسها قائلة بنبرة تقاطرت جذلا و سعادة :
- كلا ، هذا ليس أسلوب ناريمان ، إنها لا تهاب

المواجهة أيا كان ما ينتج عنها فهي متهورة و عصبية و لسانها يسبق تفكيرها و أراهن أنها قد سبت الرجل المسكين لتواجده أمام سيارتها (ثم أضافت غامزة) إنها تعلن بوضوح عن رغبتها في ارتباط شاهين بابنتي ، و لن تجد فرصة أفضل من ذلك لأنها مبتزة من الطراز الأول و أنا اتفق معها لأول مره في التاريخ و ادعم تهورها ..

صاحت نرفين بدهشة مملوءة بالخجل و مشاعر أخرى مربكة هاتفة :

- مـامـا .. !

التفت إليها بابتسامة مشرقة :

- ماذا يا قلب ماما ! لن أنكر أن شاهين هو الرجل الذي أتمناه لك أميرتي و ....

قاطعها مراد قائلا :

- الأمر سابق لأوانه آمي فهو قد تفاجئ مثلنا ..

ردت بادراك قاطع :

- لكنك لا تعرف ناريمان مثلي حبيبي ، لن يظل متفاجئ لفترة طويلة ..

هنا هتفت نرفين قائلة :

- يكفي حديثا لا طائل منه فانا ارفض أن يتم فرضي عليه بهذه الطريقة ، سأعتبر ما حدث مجرد مزحة لتشتيت انتباه العم طاهر عن جيجي و مراد ، انتهى الأمر .

ثم انسحبت إلى غرفتها غير راغبة بسماع المزيد ..

تابعت جيّدا كل ما يحدث بصمت و انتباهها منصب على هذا الكيان الغاضب منها لسبب تجهله ، انه حتى لم يبادلها النظر ! ما هي الجريمة النكراء التي ارتكبتها يا ترى!

ألقت تحية خافتة عليهم قبل أن تلجأ إلى غرفتها بدورها ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

على الجانب الآخر بالكاد صبر شاهين حتى وصلا للمنزل عندها اندفع بسيل من الأسئلة و الاستفسارات راغبا في معرفة سبب إعلانها الذي أبهج روحه و أعاد الربيع لحياته الباهتة ..

وضعت كفيها فوق خصرها بتحدي تبرع فيه ثم رفعت ذقنها بكبرياء ملاصقا لها قائلة :

- هل افهم من ذلك انك معترض ؟

تدخلت قدرية التي جذبتها أصواتهم في الردهة قائلة للسيدة بنبرة لوم :

- ماذا فعلت بولدي هذه المرة أيضا ؟!

أجابتها ببساطة قائلة بنبرة متآمرة صحبتها

ابتسامة شقية جعلتها تبدو كطفلة ارتكبت ما لفت انتباه الكبار :

- انه ابني أنا يا امرأة ، و لقد أعلنت خطبته على نرفين أمام شقيقها و جيّدا و عمها ..

اتسعت عيون السيدة الأكبر سنا ثم وضعت كفها فوق فمها قائلة بضحكة مستمتعة بتواطؤ

- مرحى هذا التدخل أحبذه ، هيا اخبريني التفاصيل كلها بسرعة ..

حرك رأسه بعدم تصديق بينما أشار بكفيه قائلا بغيظ :

- هاي ، أنا هنا بالمناسبة ، هلا أجلتما احتفالكما حتى افهم حقيقة ما يحدث في حياتي الشخصية !

ردت قدرية بدفاع نادر :

- عجبا ! ألا تحبها ، ماذا بك إذن يا ولد ؟!

تبعتها ناريمان قائلة بمرح :

- اجل ، هيا اجب عليها ..

رفع حاجبيه و دار ببصره بين السيدتين الذي وقع بينهما و صار بلا حيلة بعد أن اتفقتا عليه قائلا :

- أنا لم أنكر حبي لها لا في الماضي و لا الآن لكن ما علاقة ذلك بمحاولة والدتي إرباك الجميع ..!

حركت رأسها باسمة بينما تردد ببساطة :

- أبدا أنا بريئة ، كل ما هنالك إنني وجدت الفرصة سانحة لدفع الأمور نحو الأمام فليس لدي صبرا للانتظار و ها أنا أسلمك الزمام لتكمل بنفسك و ترضي هرموناتك الذكورية العاشقة للسيطرة ..

زفر أنفاسه بهدوء و عاد يسأل بحمية رجولية ولدّتها غيرته الفطرية على والدته :

- و ماذا عن الرجل الذي هشمت ساقه ؟ لما كنت تتصرفين معه على هذا النحو الغير معهود ؟!

قفزت الابتسامة تحتل شفتيها بكل لا إرادي مغمغمة بخفوت :

- طاهر ..

في الوقت نفسه توثبت عينا قدريه فضولا فمالت عليها سائلة بمكر جلي :

- ماذا يحدث ؟ يبدو أن لدينا حديثا طويل ..

نهرتها بعيونها لتؤجل تحقيقاتها الآن قائلة لابنها الذي تبادل الأدوار معها :

- ماذا تقصد يا ولد ؟ أنا لم افعل سوى الرد على مشاكساته تجاهي ، رغم انه تصرف بشهامة و تنازل عن حقه ..

ثم أنهت النقاش و سحبت السيدة معها إلى الدور العلوي قائلة :

- تعالي ساعديني قدرية فطيلة اليوم ارتدي نفس الملابس ناهيك عن اضطراب أعصابي ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ظلت نرفين ساهرة لوقت طويل تفكر في مغزى نظرته إليها بعد إعلان الخالة ناري المفاجئ ! أرادت تصديق فرضية والدتها بشدة ، أن تراها الخالة زوجة مناسبة لابنها الوحيد لتقوم بهذا التصرف ، كم أسعدها هذا الاحتمال لكن لما صارت مهتمة بكل شيء يخصه لهذا الحد ! هتف قلبها لائما : كفي عن المراوغة فانا و أنت نعرف ما يمثل لك حتى مع ادعائك الانزعاج منه كنت تحاولين حمايتي ، لكن صار هناك ترجمة مختلفة لتصرفاته الآن فتوقفي عن ادعاء الغباء و مع هذه الخيالات اللذيذة استغرقت في النوم يصاحبها طيف ذو نظرات زرقاء حادة تبرق كآلاف النجمات .....

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

قضت جيّدا وقتا ممتعا مع عمها حيث تبادلا الكثير من الأحاديث كما لاحظت انه بين فينة و أخرى يسأل عن الخالة ناريمان بشكل غير مباشر و قد حرصت على الإجابة باقتضاب مقصود خشية أن يذل لسانها أمامه ..

انضمت لهما نرفين حاملة ثلاث وجبات خفيفة قائلة :

- لقد نجحت بالتسلل و تهريبهم لنتناول غداء مبكر سويا و ننطلق بعده لموعدنا مع مالك الجاليري ، أنت لم تنسي ذلك جيجي ، أليس كذلك ؟

أومأت بالإيجاب قائلة :

- بلى ، رغم عدم جدوى حضوري فلن افهم شيئا من الأساس و ستتولين أنت كل الحديث !

لكزتها الأخرى هاتفة بمرح :

- عار عليك يا فتاة و أين ذهبت دروسي التعليمية المكثفة ، لن تتقنيها ما لم تتعاملين بها

قلبت شفتيها قائلة بحنق :

- لقد تعلمت الكثير من المصطلحات لا أنكر ذلك و صرت التقط معنى العبارات التي اسمعها بشكل لا بأس به لكني أخشى المجازفة باستخدامها ..

هنا تدخل طاهر قائلا :

- ما هو تاريخ عودتك جيجي ؟ أنت لم تخبريني ربما غادرنا سويا ..

حاولت ترتيب أفكارها حتى لا يظهر ارتباكها قائلة :

- لم أقرر تاريخا محددا بعد عمي ، سيتوقف ذلك على انتهاء الدورة الثقافية و فعالياتها و ما إلى ذلك من تلك الأمور ..

نهضت نرفين و لملمت بقايا وجبتهم المشتركة لتنهي الحوار خشية أن يسأل أكثر :

- المعذرة عمي علينا المغادرة الآن فموعدنا اقترب

❖❖❖

جرت المقابلة بنجاح و قد أحسن الرجل استقبالهما مثنيا على فن جيّدا المفعم بالبهجة ، تعاملت معه نرفين بمهنية مثيرة للإعجاب ثم خرجت الفتاتين من بابه الزجاجي تكادان تقفزان مرحا في أنحاء الشارع !

اتجهتا إلى مكانهما المحبب على شاطئ البوسفور و قد وقفت جيّدا أمام المياه المتلألئة فاردة ذراعيها ثم دارت حول نفسها ببهجة عارمة تود مشاركة الطيور البيضاء المنتشرة حولهما تحليقها ..

- يا له من إحساس فريد ، ليس لأننا وفقنا في بيع اللوحات بل للانجاز بحد ذاته ،

صحيح لدي غصة لمفارقتهم كمن يترك أطفاله بمكان غريب لكن معرفة أنها سوف تزين منازل آخرين و ستلقى الإعجاب و المحبة يسعدني للغاية ..

شاركتها نرفين سعادتها و فخرها فتابعت الأخرى قائلة :

- لقد أوشكت اليوم على ارتكاب حماقة عندما دفعني الحماس لإخراج الشيك الأول الذي احتفظ به ليراه عمي ..

قطبت الأخرى حاجبيها سائلة بحيرة :

- و ماذا فيها ؟!

رفعت عيونها الجميلة للسماء هاتفة :

- فيها الكثير يا ذكية ، الشيك محرر باسم جيّدا اوزاوغلو فكيف كنت سأفسر له ؟!

حركت رأسها بفهم قائلة :

- امممم لقد نسيت ذلك ، لكن أتعلمي يليق بك اللقب ..

ضربتها فوق رأسها هاتفة :

- سخيفة ، انه حتى غاضب مني دون أن اعرف السبب !

تعالت ضحكات نرفين هاتفة بتسلية :

- حمدا لله لست الحمقاء وحدي ،

انه ببساطة يغار ..
فغرت فاها بذهول قائلة بعدم تصديق :
- من شاهيـــن !!
أشارت بالنفي و أكملت بمرح :
- بل من عمك الذي التصقت به و تركت أخي بعيدا ..
حدقت فيها بغرابة فتابعت قولها بثقة :
- انه مثل بابا و كلاهما رجل غيـور و معك أرى حالته تسوء و يصبح متملكا بشدة ، ثقي بي أنا اعرف ..
ابتسمت جيّدا كإشارة على تقبلها للأمر بل و إعجابها به ثم استمرتا في مزاحهما و انطلاقهم الجذل غافلين عن تلك العيون المتربصة التي اتخذت من أعلى البناية الأقرب لموقعهما مستقرا لرصد كل حركة من العصفورة اللاهية قبل أن يصوب سلاحه الآلي المتطور الذي لم يعرف الخطأ من قبل على منتصف الجبهة تماما و بمساعدة العدسة المكبرة بات الهدف في غاية الوضوح ثم بمنتهى الثبات و الأعصاب الفولاذية حرك سبابته لدفع الزناد و .....

نهاية الفصل

دمعات القمر

القطرة التاسعة عشرة

وضع كل تركيزه بحركة الزناد القادمة حيث تزين جبهة بريئة بثقب سالبا منها الحياة حسب قانون الذئاب التي ينتمي إليها ..

ما إن هم بدفع تلك الرصاصة المنتظرة بلهفة حتى حدث وميض خاطف داخله لم يتعدى جزء ضئيل من الثانية لكنه كان كافيا لإنقاذ حياة إنسان ..

في سابقة أولى من نوعها يرفع السلاح عن وضعية التصويب دون أن يفعلها و فرضيات عجيبة تمرح داخل رأسه ..

أفكار شيطانية ستجعل اللعبة أكثر إثارة كما يفضلها ، على أثرها احتلت ابتسامة الأفعى زاوية شفتيه بينما تتجسد جوانب خطته أمام عينيه مع فكرة نمت و احتلت كيانه حتى صارت هاجس لابد من تنفيذه ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

هبت موجة لطيفة لأريج أنثوي طبيعي داعبت رئتي طاهر الذي أدار عينيه لاستقبال تلك الطلة البالغة الأناقة برقيّ ينبع من داخلها دون افتعال كأنما خُلقت لتكون سيدة مجتمعات تدير الرؤوس مع حركتها ..

تقدمت منه بخطوات رشيقة أبرزها حذائها الثمين المرتفع الكعب و قد تناغم مع حقيبة يدها بشكل كامل ليرفع حاجبيه و يزفر بصوت مسموع قائلا :

- يبدو انكِ الممول الرسمي لهذا المشفى ، هل جئت بمصاب جديد أم أحظى وحدي بشرف زيارتك الملكية ؟

لا تدري لما تعجبها فظاظة ذلك الرجل ! لا ريب أنها جُنت بهذا العمر كما تنعتها زينب دوما ! أكملت طريقها إلى المقعد الذي احتلته دون اكتراث قائلة :

- بل هو لك بأكمله و صدق لا يناله الكثيرون (ثم لمعت عيونها الوامضة قبل أن تتابع بمكر) اخبرني أولا هل تناولت أدويتك أم تحتاج لخدماتي من جديد ؟

ضاقت حدقتيه بحنق عندما تذكر ما فعلته به ، يبدو أنها تمتعت بذلك بينما ذراعه لا يزال يؤلمه جراء وخزتها ..

حرك رأسه قائلا بتفكه :

- يا لك من رقيقة القلب ، ألا يوجد لديكِ ما يشغلك أكثر من محاولة رفع ضغط دمي !

أشارت بالنفي قائلة :
- للأسف لا فلن أصيب شخصا كل يوم ، من الطبيعي أن أتفرغ لك و عليك الاحتمال لان ضميري بأقصى حالات انتباهه ..
تأكد أن حاجبيه سيظلان معلقان أعلى جبينه طالما يتعامل مع هذه السيدة المتسلطة التي مالت للأمام متابعة :
- تبدو أحسن حالا و يروقك البقاء هنا لذا لن أسأل كيف تبلي لكن ألن تخبرني عنك ؟ فعدا عن كونك شقيق والد جيجي لا اعرف أكثر ..
حدجها بنظرة متنمرة قائلا :
- لماذا ؟! أتجمعين السير الذاتية لضحاياك بغية افتتاح معرض في النهاية ..!
ضيقت عيونها الرائعة قائلة :
- بل أحاول أن أكون لطيفة فلما لا تجرب أنت ؟ سيفيدك ذلك على الأقل في إزالة تقطيب جبينك الذي يجعلك تبدو في السبعين من عمرك على اقل تقدير ..
زفر أنفاس لاهبة و هتف باستنكار مستاء :
- أنا لست في السبعين و لا امتلك تجاعيد ، تبا أنت تسعين لقتلي فعليا ! لقد كان زوجك محقا عندما فضل الموت هربا من رفقتك الرهيبة ..

رجفة ملامحها عكست الإصابة المباشرة التي أحدثتها عبارته فغشيتها غيوم كدر قاتمة و نهضت قائلة بكبرياء جريح :
- زوجي الشهيد توفي بطلا لاستبساله في حماية وطنه ..
قالتها بتأثر حقيقي ثم خطت نحو الخارج عازمة على عدم العودة لهذا المكان مجددا ..
أدرك فداحة خطأه و مدى فظاظته بينما جاءت لزيارته و التخفيف عنه بطريقتها الغير مألوفة فتعالي صوته مرددا بسرعة أدهشته :
- أرجو أن تبقي و تقبلي اعتذاري ..
تسمرت مكانها كأن قدميها يفكران ، هل تتقدم للأمام و تخرج للأبد أم تعود أدراجها لتمارس هوايتها الجديدة بخوض حرب الكلمات معه .. !
حسم ترددها عندما كرر بنبرة ألطف :
- أنا آسف سيدة ناريمان ، لم اقصد الإساءة ، إنها فقط ذلة لسان بقصد المزاح لا أكثر
استدارت إليه قائلة بهدوء :
- حسنا قبلت اعتذارك ..
ثم عادت تحتل المقعد المجاور لفراشه ، كان ذلك بمثابة هدنة غير معلنة حيث سألها بفضول يثير حيرته :

- كيف توفى ؟
قبلت رايته البيضاء و بادلته بمثلها قائلة بتأثر :
- لقد كان رحمه الله ضابطا لا يهاب الأخطار ، تصدى لكافة محاولات الإغراء و التهديد مشكلا شوكة بخاصرة كل من يهدد امن بلاده ، بعد نجاحه في التصدي لإحدى المنظمات الإرهابية و إحباط عملياتهم بشكل متتالي قرروا اغتياله .. قتلوه بدم بارد أمام باب المنزل ليلفظ آخر أنفاسه بين ذراعي ، مازلت استشعر دفء دمائه التي أغرقت صدري ..
بعدها أعلنت العصيان على تحكمات عائلتي فقد كان قانونهم يقضي بضرورة زواجي خاصة و أني كنت في أوائل العشرينات من عمري عند وفاته ..
وصل الأمر لحد القطيعة الكاملة في بعض الفترات لكني صمدت بوجه موجات الرفض العاتية لأجل طفلي الذي لم يكن يتعدى الرابعة وقتها ، حتى أصبح رجلا افتخر به و قد اختار السير على خطى والده و عوضني عن كل ما عانيته ..
سكنت أحداقه نظرة فاضت بالتقدير و غشيته أحاسيس غريبة سرعان ما قام بتنحيتها لأقصى ركن من نفسه قائلا :
- حفظه الله ، الأبناء دائما هم زهرة الحياة و بهجتها ..
أومأت توافقه مرددة ببساطة :
- حان دورك الآن ، أليس كذلك ؟
أشار بكفه قائلا :
- حياتي بغاية البساطة ، لا يشغلها سوى عملي و ابنتي هي محورها ، لا شيء غيرهما
قطبت حاجبيها سائلة باندفاع :
- و ماذا عن زوجتك ؟
أظلم وجهه و غادر البريق عينيه متجاهلا قولها :
- هلا أغلقت النافذة رجاء ، لقد شعرت بالبرد ..
نهضت تلبي طلبه بدهشة فقد كانت الشمس مشرقة و الطقس دافئ ! ربما هو تأثير العقاقير التي يتناولها ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

أوقف عمر دراجته النارية داخل حديقة منزل خالته و قد أعاده ذلك لذكريات وجد تفسيرها الصحيح الآن عندما كان يجلبها لأجل جيّدا التي تشاركه اهتمامه بالسرعة و المركبات ليس أكثر من ذلك ..

كان يسعده رؤية اختلاج الفرح على وجهها عندما يلبي رغباتها كأخ اكبر اخذ على عاتقه مسؤولية رعاية و اهتمام جُبل عليهما ..

حرك ذراعه يحرص يرخي عضلاته التي أرهقها و لم يكد يزيل الجبيرة سوى الأمس لكنه لم يقوى على الانتظار أكثر ..

خلع الخوذة و قفز الدرج العريض راغبا بمحو أي مسافة تفصله عنها ....

ركضت تستقبله بلهفة بعد سماعها هدير صوت دراجته النارية بينما لم تفهم سبب قدومه بها في غياب شقيقتها المهووسة بقيادتها !

فتحت الباب قبل أن يضغط زر الجرس قائلة :

- مرحبا أيها اللص الذي لا يكتفي بوالديه و يصر على سرقة محبة والداي أيضا ..

ملأ عيونه من روعتها قبل أن يرد بوعيد :

- و لن اكتفي بذلك بل اخطط لسرقة إحدى جوهرتيهما للأبد ..

رفعت حاجبها هاتفة بمرح :

- أوه اعتراف مباشر لا يصد و لا يرد ! ما أسهل القبض عليك يا ابن الخالة ، ادخل حتى استدعي الشرطة ..

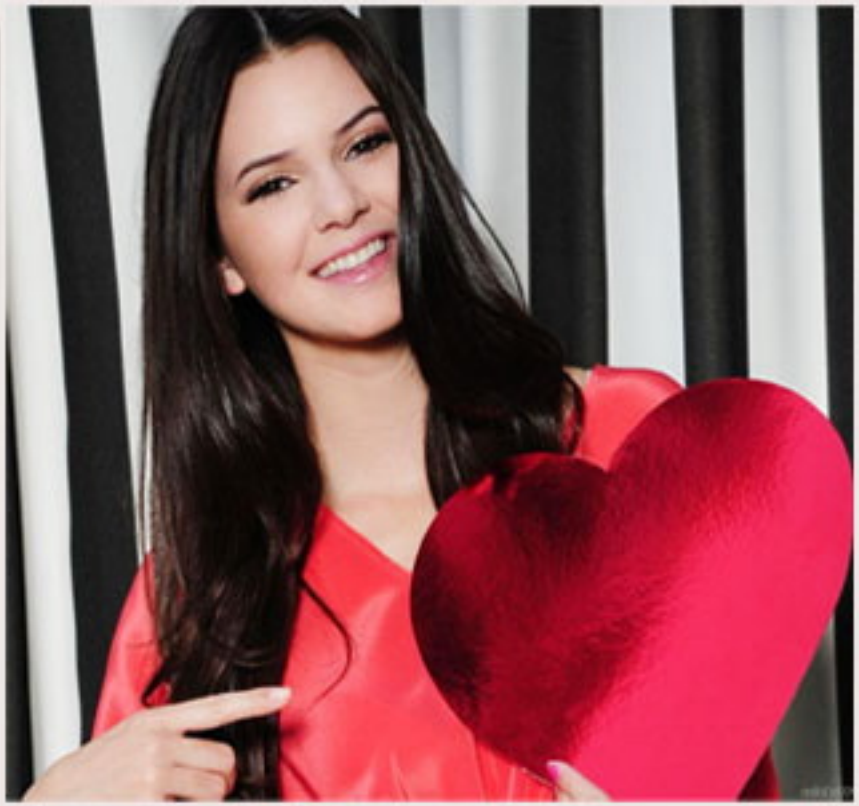

ضحك عاليا مرددا بمشاكسة مماثلة :
- لنرى هذا الأمر بعد عودتنا ، لأنكِ ستأتي معي .
قطبت حاجبيها قائلة بحيرة حقيقية :
- إلى أين ؟! بل ماذا تفعل هنا بوقت العمل ؟!
حرك كتفيه و أجابها ببساطة :
- أخطفك (ثم أشار للدراجة و تابع)
هيا اصعدي ..
تراجعت خطوة بذعر دون أن تتخلى عن مشاغباتها المبهجة لروحه التائقة دوما لها :
- أنت تفهم خطأ ، الفرسان تخطف الأميرات على ظهر حصان في العادة أيها السيد ، قد أتغاضى عن لونه لكن بالطبع ليس وحش سرعة مرعب مثل هذه ..
رد بسرعة بديهة قائلا باستمتاع :
- انه التطور الطبيعي للعصر كما تخلت الأميرة عن ثوبها الفضفاض و استبدلته بالجينز مثلما أرى لذا اصعدي على الدراجة طواعية قبل أن أحملك عنوة ..
حركت رأسها بالرفض هاتفة بطفولية :
- كلا ، تعرف إنني أخافها ، ابحث عن مجازفة غيري ، ستجدها في السيرك بسهولة ، لمعلوماتك النزهة على القدمين تعد إغراء لا يضاهى بهذه الحالة ..
لمعت سماء عينيه الداكنة بصفاء قائلا بنبرته التي تشعل دمائها دون رحمة :
- أتخافين و أنا معك سُلافتي ..
أجلت حنجرتها قائلة بشكل أسال حنانه على صغيرته الحبيبة :
- في السابق كنت سأهتف بالنفي القاطع لكن الآن مع حالتك الجديدة لا أخشى سوى منك ..

ضج بالضحك فكل عبارة أو نظرة منها تجدد دمائه الصارخة بعنف عشقها المشكل لكيانه منذ الأزل :

- حسنا ماذا لو منحتك كلمتي مع وعد الكشافة باني لن أسيء التصرف و ستكونين فخورة بي ، هيا سُلافي و لا تكوني مفسدة للبهجة ..

زمت شفتيها مفكرة لبرهة قبل أن تمد يدها مرددة :

- هاتها ..

حملت ملامحه استفساره قائلا بحيرة :

- ما هي ؟!

قفزت المشاكسة من عيونها مجيبة :

- كلمتك ..

حرك رأسه بيأس ، لا فائدة فهي دائما تنتصر :

- لقد صارت معك ..

نظرت إلى الخلف قائلة :

- انتظر حتى اخبر ماما ..

جذبها من كفها مرددا :

- إنها تعلم ، لقد أخبرتها قبل وصولي ..

تقدمت بحذر من الدراجة الجاثمة بتحدي و نظرت إليه قائلة :

- ماذا افعل ؟

تبعها مع نظرة تموج بالحماية فقد بدت كطفلة تسأله المشورة ، رفع إحدى الخوذتين و منحها إياها قائلا :

- ارتدي هذه أولا ثم اجلسي خلفي ..

وضع الأخرى على رأسه و استقر في موقعه باقتدار ، اتبعت تعليماته و عندما صارت على متنها التفت إليها مستطلعا قبل أن يقول :

- تبدين كالريشة ! لم اشعر بك ، هل أنت مستعدة ؟

ردت بخفوت قائلة :

- اجل ، لكن لا تسرع و إلا سأصرخ ..

عرفت انه يضحك من اهتزاز كتفيه ثم ردد بمرح واضح :

- فيفي تمسكي بي و إلا سوف تقعين ..

حركت رأسها بالنفي قائلة بعناد :

- أنا بخير هكذا ..

رد قائلا بنفاذ صبر :

- حبيبتي هذه دراجة نارية و تعد الأقوى بين أقرانها ليست دراجتك الهوائية ذات الثلاث عجلات ، عليك التشبث بي و هذا خالي تماما من النوايا السيئة ..

أجابته بنبرة قوية :
- إما أن تنطلق أو سأعود للمنزل ، هيا قرر ..
جاءها رده عن طريق هدير المحرك ثم دفعة قوية للأمام جعلتها تصرخ عاليا و تهرع للتمسك بظهره بكل ما أوتيت من قوة !
حمد الله شاكرا أن صوت المركبة بدد صخب ضحكاته المتشفية في نبرتها القوية التي ذهبت أدراج الرياح ....
اصطحبها إلى موقع جميل كان دائم اللجوء إليه عندما يواجه ما يغضبه أو يثير أعصابه ، كأنه يشاركها أدق أسراره و يطلعها على خبايا نفسه ..
وقفت تتأمل المنظر الطبيعي الخلاب و قد انتشى صدرها بالهواء الذي ضربها باستمتاع خلال النزهة رغم رعبها من سرعته الخطرة ..
اقترب منها دون أن يمسها قائلا بجذل :
- أما زلت مصرة إنني كنت أقود بتهور ! يا لك من مُدعية ، أنا لم أتخطى سرعة المبتدئين فما كنت لأجازف بك حياتي ..
رفرفت أهدابها بحياء خالط سعادتها الخالصة مرددة بدلال فطري :
- لا تنس أن كلمتك معي ..
رد ببساطة ماكرة :
- بالطبع لكني اذكر أيضا عدم تطرقي للمغازلة البريئة ، عدا ذلك أنا قمة في التهذيب و لم أصافحك حتى ..
قفز قلبها استجابة لنبرات صوته التي تفتنها خاصة بهذا الخفوت العابث :
- لما جلبت الدراجة إذن أيها البريء !
أجاب بتلقائية عاقدا ساعديه أمام صدره خشية أن يخونه كفيه و يهرعان إليها رغما عن إرادته :
- أردت تقاسم كل اهتماماتي معك ، أحب أن يكون لدينا ذكرى مشتركة بكل زمان و مكان ، مازلت لم تعرفي مقدار حبي لك سُلاف ، هل تستطيعين الانفصال كليا عن والديكِ ؟
حركت رأسها قائلة بنفي القاطع :
- بالطبع لا ..
أومأ قائلا برضا عن إجابتها و تابع تفسيره :
- لأنه تعلق فطري خُلق داخلك و شكل كيانك ، هكذا احبك ، حتى بفترة المشاحنة بيننا لم أكن أطيق أن يمر يوما واحدا دون المجيء و رؤيتك ، تحت أي مسمى لا يهم لكنه كان هنا ..

و أشار لقلبه بصدق اقتحم ذاتها المتيمة أكثر منه فهي فتحت عيونها على الدنيا لتجد غرامه جزء لا يتجزأ منها و لم يغب عنها لحظة حتى استردته كاملا غير منقوص ..

منحته نظرة أفصحت عن الكثير قبل أن تهمس بصوت خافت يتقاطر شهدا :

- و أنا أيضا عمر ، لم اعرف غير حبك في حياتي بكل مراحلها حتى عندما اتجهت لغيري ظللت احبك رغم محاولاتي المستميتة لاقتلاعك من قلبي وقتها ..

شملها بأخرى صارخة بالحنين قائلا من أعماق روحه :

- لولا وعدي لك لكنت احتويتك بين ذراعي الآن لتستمعي لهدير قلبي يخبرك انه لم يتجه لأي مكان بل مر بمرحلة ثبات و قد هيأ له الوهم خيالا لم ينخرط به لكنه ظل نائم حتى استيقظ على يديك من جديد ..

تخيلي ذلك و اشعري به فانا أعانقك في خيالي الآن ..

أخرجت نفسها من تأثيره المغناطيسي بإرادة حديدية قائلة :

- احم ، كف عن ذلك إذن لان حتى الخيال ممنوع يا سيد ..

ابتسم بخفة دون أن ينجرف معها و يترك الموضوع الأساسي قائلا :

- لما تعارضين حديثي مع والدك و اتخاذ خطوة ايجابية بأمرنا ؟ لم اعد أقوى على الصبر حبيبتي

أجابته شارحة بجدية :

- لأنه سيصر على ضرورة ارتباطنا ..

قطب حاجبيه قائلا بعدم فهم :

- و أنت لا تريدين ذلك !!

تابعت قولها بهدوء :

- ليس قبل أن اعرف مشاعر جيجي عمر ، سأكون أكثر صراحة معك ، لقد ظللت تلاحقها بمشاعرك فترة طويلة ، لم أكن طفلة لدرجة ألا أميز ذلك و فتاة بمثل رقتها و حساسيتها صعب أن لا تتأثر و لو قليلا ..

فتح فمه و أغلقه كأنه يبحث عن عذر يعالج به حماقته التي تسبب بها ، لقد كانت محقة فترى هل تعلم انه تهور و تقريبا طلب الارتباط من شقيقتها بلحظة غباء ألمت به قبل سفرها ؟!

اندفع قائلا بلهفة :

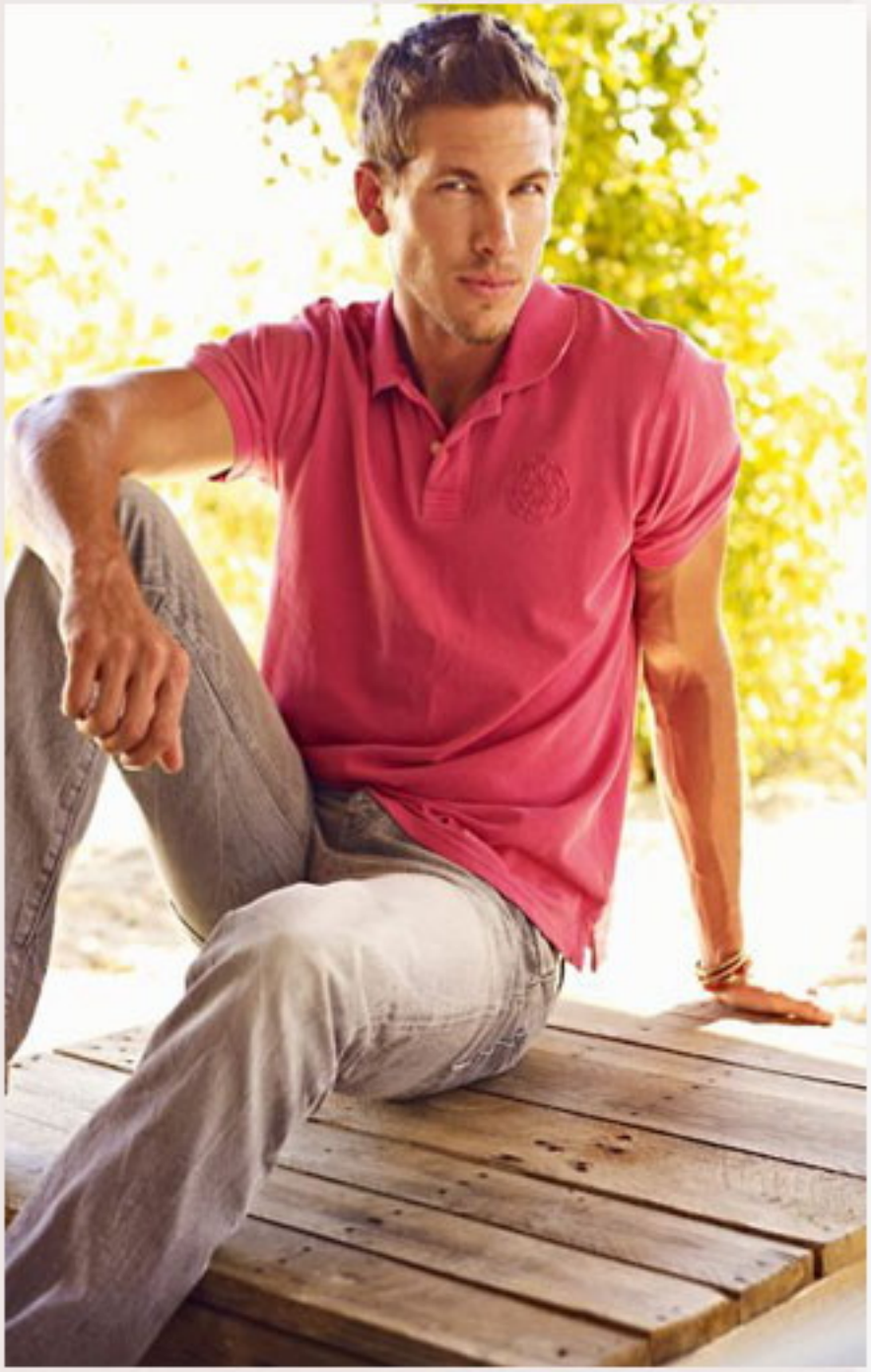

- لكنها لم تتجاوب مع حماقتي أبدا فيفي ، لقد كان سوء فهم رهيب من قبلي وحدي و الحمد لله لم يترتب عليه شيئا جدي ..

رفعت كفها قائلة بحزم تجيد إظهاره عند اللزوم :

- عليّ التأكد و سماع ذلك منها و هذا نهائي ، لو أخبرت والدي الآن سوف أرفضك فلا تغضب و تلمني عندها ..

احتل الكدر ملامحه قائلا :

- كأني سأستسلم و اقبل بذلك ، لكن لا بأس فهذا ما جنته يداي ، لله الأمر من قبل و من بعد ، هيا لأعيدك يا مستبدة ..

ضحكت و أشارت للدراجة قائلة برجاء :

- ألا نستطيع سحبها و السير بجوارها !

انفرجت أساريره و تبددت غيمات البؤس ثم حرك رأسه نافيا :

- أخبرتك إنها ليست دراجتك ذات الثلاث عجلات ، اصعدي إلى مكانك دون جدل لن يفيد ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

استرخى أمام بركة السباحة المصممة بشكل يبهر النظر دون أن يراها لان عقله كان شاردا في مشهد يفوقها روعـه ..

هناك أمام البوسفور و حورية برية تفرد جناحيها تهم بالتحليق ناثرة السحر حولها و قد امتزج ذلك مع دندنة صوتها الشجي الذي يمس الروح و يحتلها دون إرادة !

تلك الصورة البهية هي ما سببت اكتمال مراحل خطته المرسومة ببساطة من اعتاد الافتراس وسيلة للعيش ..

تناول هاتفه ليجري اتصالا حان وقته مع ذلك الروسي البغيض ، ردد مستخدما لغته بسلاسة مع نبرة صوته الجليدية :

- مرحبا أيها الثعلب الهرم ، جيد انك لم تمت بعد

وصله صوت سيرجي كصرير باب صدئ :

- أوه جاكوب الأبيض بنفسه ! مرحبا أيها الوغد ، أي رياح هوجاء ألقت بك ؟

اتبع الآخر قائلا دون مقدمات :

- أريد منك احد أغراضك الخاصة ..

أجاب مباشرة قائلا بجشع :

- مقابـل ؟

مط شفتيه مرددا بآلية :

- لا تقلق لن نختلف ، ارغب في بعضا من العقار الذي طورت تركيبته مؤخرا دون أن يعلم مخلوق بذلك ..

وصله الصوت يحمل فضول صاحبة :

- و السبب ؟

دمدم بشراسة :

- منذ متى تسأل سيرجي !

تراجع الآخر قائلا بهدوء :

- حسـنا متى ؟

ردد بحزم صارم :

- في الحـال ..

وافقه ببساطة :

- اتفقنا سيصلك بالطريق المعتاد ما أن استلم مالي ..

- سأقوم بالتحويل الآن ..

- انتظره الليلة إذن ..

أنهى الاتصال مهنئا نفسه لنجاح أولى الخطوات التي سيتبعها المزيد في القريب العاجل ، فقد وجد غايته المثالية ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ترجل خالد من سيارته التي أوقفها أمام المبنى حيث يقع مكتب ادهم ، فقد اتصل بندى في وقت لاحق يخبرها عن اضطراره التأخير فتقبلت الأمر قائلة بمرح أنها تنوي زيارة شقيقها في عمله لذلك سوف تنتظره هناك ليقلها معه إلى المنزل ..

استقبله الهدوء المعتاد لفترة ما بعد الظهيرة ، ربما ذلك ما جعله يستمع لصوت ضحكاتها بهذا الوضوح قبل أن يتبع المسار إليها و يجدها تتكئ على مكتب خشبي ، يقابلها رجلا ربما رآه من قبل لكن لا يعرفه يريها شيئا ما على هاتفه !

عندها انتابته حالة بربرية تدعو لتحطيم محتويات الغرفة على رأسه المبتسم بانجاز كأن نجاحه في إضحاكها يعد فتحا مبينا ..

تقدم بحدة خطرة و جذبها ناحيته بغلظة قبل أن تنتبه لوصوله و تهتف محيية غافلة عن تصرفه :

- مرحبا خالد متى وصلت ؟ لما لم تتصل لأهبط إليك !

رفع حاجبه قائلا ببرود :

- وصلت للتو و أردت رؤية ادهم ..

تابعت حديثها دون أن تلاحظ ما الم به للمرة الثانية قائلة :

- دعني أقم بالتعارف ، هذا كامل كان زميلنا في الكلية بنفس فرقة أخي و الآن يعملان سويا ، كامل هذا الدكتور خالد زوجي ، من ابرع أطباء التجميل ..

تمتم الرجلين بتحية خافتة بينما خالد يتآكله الغيظ لاستخدامها اسمه مجردا دون ألقاب ..

تحدث كامل قائلا ببشاشة :

- تفضل دكتور ، ماذا تفضل أن تشرب ساخن أم بارد ؟

أحاط خصرها بتملك كأنه يعلن انتمائها إليه قائلا :

- شكرا لا داعي سنغادر في الحال ..

التفتت إليه قائلة باستفسار :

- ألن ننتظر ادهم ! انه في لقاء مع احد العملاء سيخرج بعد قليل ..

أجابها بهدوء حافظ عليه بالكاد :

- عزيزتي أنا بغاية الإرهاق ، اعمل بشكل متواصل منذ الصباح ..

احتل التأثر ملامحها قائلة :

- حسنا حبيبي ، بالإذن كامل ابلغ تحياتنا لشقيقي عندما يتفرغ ....

لم يستجب لمحاولتها بالتحدث معه خلال الطريق و اعتصم بالصمت المهيب لكنه باشر بمجرد تخطيه لعتبة منزلهم قائلا بتجهم :

- هلا أخبرتني عن سبب ضحكاتك مع ذلك الرجل الآن ؟

قطبت حاجبيها بعدم تصديق فخالد لم يحادثها بهذه النبرة من قبل :

- ماذا بك خالد ! لما أنت غاضب بهذا الشكل ؟!

انفجر هاتفا بعنف غير مسبوق :

- لا أبدا ، أجد زوجتي تتبادل الضحك باستمتاع مع آخر و ليس عليّ الغضب ! لهذا أنا سعيد ألا تريّ ذلك !

أشارت بكفها قائلة بدهشة :

- الأمر ابسط مما تتصور خالد ، لو كنت حضرت قبل دقيقة لسمعته و هو يسرد نوادر طفلته الأولى بفخر و ترى صورها على هاتفه ، إنها بعمر لانا تقريبا ..

تراجعت حدة صوته قائلا بعتاب :

- حتى مع ذلك ، لم يكن يجدر بك الضحك معه ..

اقتربت منه قائلة بصدق :

- آسفة حبيبي لم اقصد مضايقتك ، كان الأمر عفوي و طفلته كتلة من الشقاوة و الصخب ..

أومأ زافرا أنفاسه لتتابع قائلة بحذر :

- اممم خالد ، أريد إخبارك بشيء ..

كتف ساعديه أمام صدره قائلا بترقب :

- مـاذا ؟

كانت تريده بمزاج أفضل لكن لا بأس :

- أنا ارغب بالعمل ..

زم حاجبيه قائلا بهدوء :

- لكن ماذا عن طفلينا ندى !

ابتسمت قائلة ببساطة :

- لدينا مربية تعمل بنصف دوام ، أم لعلك نسيت ؟

تابع بعدم اقتناع :

- اجل حبيبتي لقد وظفتها من اجل راحتك ليس لتتعبي لصالح الغرباء ..

أشارت بكفها قائلة بلهفة :

- لن اتعب كما لن اعمل لدى الغرباء بل في مكتب ادهم ..

ظهر الرفض جليا على ملامحه الجذابة قائلا بحدة :

- هذا لن يكون ، لن تعملي في مكان واحد مع ذلك الرجل أبـدا ..

حدقت به لوهلة تفكر بقوله حتى استوعبت ما يحدث أخيرا فخالفت توقعاته و هرعت تتعلق بعنقه هاتفة بجذل :

- خـالد أنت تغار عليّ ، أليس كذلك ؟

أحاط خصرها و ضمها إليه قائلا بدمدمة رجولة أثارت أحاسيسها :

- بالطبع يا حمقاء ، هل عندك شك بذلك ! لقد كدت اضربه هناك دون اكتراث بشيء ..

رقص قلبها طربا لعبارته و صار غضبه السابق من أجمل ما حدث بينهم قائلة بدلال :

- لكن كامل شخص محترم ، خلوق و زوج محب لأسرته ، لا يجدر بك القلق من ناحيته أبـدا ..

زمجر قائلا بخشونة محببة :

- نـدى ، لا تختبري صبري فلازال صدى صوت ضحكاتك معه يتردد بأذني ، إذا أردت العمل فالعيادة موجودة ، افعلي بها ما شئت ..

تراجعت هاتفة باستنكار :

- و ماذا تفعل خريجة إدارة الأعمال في عيادة طبيب تجميـل !!

مط شفتيه قائلا :

- لا اعرف ، نظمي ملفات المرضى على سبيل المثال ..

كشرت وجهها بطفولية :

- ها ها ها ، لطيـف جـدا ..

جذبها من خصرها لاثما شفتيها و قد غادره الحنق قائلا بإعياء :

- حبيبتي ، لنفكر بذلك لاحقا فانا جائع و متعب

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

استلم الطلب من عامل التوصيل و نقده المال اللازم ثم صرفه ليتجه بعدها لأقرب طاولة وضع عليها عُلب الطعام الساخن بعدم اكتراث بينما يتناول عُلبة بعينها فتحها بحرص ليخرج منها قنينة زجاجية تحتوي على أقراص بيضاء صغيرة ..

أغلق أنامله عليها مبتسما بظفر شرس ، لقد كلفته ثروة لكنها تستحق فهذا العقار خاص جدا يستخدم في أوساط معينة لأغراض محددة أبرزها عندما يسقط احد العملاء و تكشف الأجهزة الأمنية أمره يتم تزويده بجرعات منه دون أن يدرك حتى يفقد الأجزاء الأحدث

من ذاكرته تدريجيا و عند حد معين يتركوه ليقع في قبضة الأمن ..
أثناء التحقيق معه يكون مشوش العقل مرتبك و أفكاره مضطربة و بالطبع لا يتذكر شيئا مترابط فيصبح غير ذي فائدة و هكذا يتخلصون منه دون إثارة عناصر الأمن ضدهم و بنفس الوقت تكون المعلومات بأمان كامل و هو سيفعل ذلك معها مع فارق انه سيمحو ذاكرتها كليا إلى الأبد ، لن يكون في حياتها سواه فقط ..
و هنا انطلق بريق عينيه بوحشية ترتجف لها القلوب ...

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

أزعج صوت الجرس المدوي استغراق نازلي في حديث هاتفي مع إحدى صديقاتها فتأوهت قائلة بحنق :
- أوه يا للسخافة ، أنا لم اطلب شيئا من الخارج فمن يكون هذا المزعج ، سأحدثك لاحقا عزيزتي
لم تتوقف تمتمتها المتذمرة حتى وصلت لبابها و فتحته لتخرسها المفاجأة كليا ..
لم تتخيل في أجمل أحلامها و أكثرها تفاؤلا أن يفكر مراد بزيارتها أخيرا و هو الذي لم يتخطى عتبة منزلها من قبل ! رحبت به و سارعت تفسح له المجال للدخول ..
أومأ و تقدم محتلا مساحة ردهتها بطوله و طلته المهيبة فهرعت تلقي نفسها عليه هاتفة :
- مراد ، حبي ، أنت هنا حقا ! يلزمني وقتا لتصديق ذلك ..
عمل كفيه كحائط صد لردع اندفاعها المعتاد تجاهه فلم تتمكن من عناقه كما رغبت و اتبع قائلا بهدوء :
- علينا التحدث ناز ..
تراجع إحساسها بالنصر بنفس السرعة التي تصاعد بها و غمغمت بحيرة :
- ماذا حدث ؟ هل أنت غاضب مني ؟
تراجع خطوة مرددا :
- كلا ، هلا جلسنا رجاء .....

❖❖❖

دارت نازلي بأرجاء الغرفة بقهر غير قادرة على التفكير أو الاستقرار في مكان ، لقد كانت النصف ساعة الأخيرة فارقة في حياتها بشكل لا يصدق ..
صرخت بحرقة عندما استعادت حديثه الصاعق الذي أطاح بأحلامها دون رحمة ..

يا له من مهذب ، يزورها للمرة الأولى ليخبرها انه لا يريد ظلمها بسبب تراجع مشاعره ..
بمعنى آخر يلفظها من حياته قبل حتى أن تدخلها ، لكن لا تبـا لها إن سمحت بهذا ، تلك النكرة السارقة نجحت في استمالته و لن تجعلها تهنأ به ..
ستستعيده ، تقسم إنها ستفعل و ستنتقم منه لإذلالها بعد أن أحبته .. اجل تحبـه و يؤلمها ذلك بشدة ..
حملت إحدى المزهريات و قذفت بها إلى الحائط صارخة بعنف لعل صرخاتها المستاءة تخفف بعضا من الحقد الذي يقتات على روحها و يكاد يطيح باتزانها ...

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

توالت الأيام التالية بنفس الوتيرة ، جيّدا تقضي ساعات النهار بصحبة عمها بحجة أنها تتفرغ من عملها لأجل البقاء معه ، بعد ذهابها تصل ناريمان في زيارة يومية لا تخلو من المشاكسات لكنها أخذت طابعا وديّ يزداد شيئا فشيئا و قد تحرر طاهر من أسر الفراش و صار قادرا على الحركة بواسطة مقعدا مدولب

و باتا يتشاركان شاي ما بعد الظهيرة في شرفة الجناح مع تبادل الكثير من الأحاديث العامة و الخاصة بشكل لم يفعله ذلك الأخير منذ وفاة زوجته تقريبا ..
بالرغم من ذلك ظل منغلق في هذا الجانب و لم تنجح ناريمان في اقتحام قوقعته الصلبة ، الأمر الذي لم تلح عليه كما لم تحاول سؤال نفسها عن سر اهتمامها و سعادتها بالوقت الذي تمضيه برفقته كأنه شيئا طال فقدانه منها و الآن فقط وجدته !
لقد استعاض ببقائه في المستشفى عن الفندق و رفض بشكل مطلق أن يتحمل شاهين تكلفة إقامته و علاجه كتعويض عن الحادث الذي تسببت فيه والدته ..
التغير الجذري كان يخص علاقة الشاب بنرفين فقد حرص طيلة الوقت على الهرب من التواجد مع مراد بمفردهما متعللا بالعمل حتى لا يمنحه الفرصة لفتح أمر الخطبة المزعومة و سؤاله عن تصرف والدته ..
أراد حسمه معها أولا قبل أن يصارحه بمشاعره و قد بادر بذلك في اليوم التالي لإعلان والدته عندما اتصل بها قائلا بوضوح :

- نريڤ بشأن الخبر الذي أعلنته أمي البارحة فـــــ.....

قاطعته قائلة بصوت مرتجف فقد خشيت سماع ما يجرحها و لن تحتمل ذلك :

- اجل اعلم ، اطمئن بالطبع لن ابني عليه الأحلام و أشيد القصور شاهين ، كلينا يدرك الظروف و ....

هذه المرة هو من قاطعها قائلا بغيظ :

- هلا صمتِ قليلا و استخدمتِ عقلك مع أذنيك دون أن يسبق لسانك ! ما الذي جعلك تعتقدين إنني أريد ذلك ؟!

ردت تفسر قائلة بهدوء :

- لا تصرخ عليّ أنت ذكرت بنفسك كونك مغرم بفتاة ، هل تنكر ؟

غمغم بهدير مكبوت حامدا ربه إنها ليست إمامه :

- لا اله إلا الله ، الرحمة يا رب ، لا لم أنكر و مستعد للصعود أعلى ناطحة سحاب و الهتاف بأني احبك يا حمقـــاء ، بأي لغة تفهمين ؟! ماذا عليّ أن افعل أكثر ! استمعي إليّ أمامك ساعة واحدة و يصلني ردك النهائي و إلا اقسم لن أكون مسئولا عن تصرفاتي ، لقد فـاض الكيـل ..

ثم أنهى الاتصال تاركا إياها تستعيد عبارته مرات و مرات و قلبها يتصاعد وجيبه حتى بات له دويا مسموع !

ركضت إلى جيّدا المستغرقة برسم إحدى لوحاتها في الحديقة هاتفة :

- جيـــجي ، لقد قالها أخيـرا ، اعترف إنني الحمقـاء ، اقصد انه يحبني ..

وقفت أمامها لاهثة و ملامحها تعكس سعادة الدنيا مجتمعة فردت الفتاة :

- و هل أخبرته انك تحبينه في المقابل ؟

اصطبغ وجهها باللون القاني قائلة بخفوت :

- و هل افعل ؟

أجابتها جيّدا من بين أسنانها :

- صدق عندما نعتك بالحمقـاء ، لقد تفوقت على نفسك عزيزتي ، كلا أنت لا تفعلي بالطبع ، تحبينه !! حـاش لله ، انك تموتين غراما به فقط ، خذيها نصيحة مني اخبريه قبل أن يقضي نحبه كمدا و يصبح شهيد الغرام ..

قلبت شفتيها قائلة بلوم كوميدي :

- حسـنا كُفي عن السخرية ، المشكلة إنني اخجل منه و لا أجرؤ على قولها ! ماذا افعل جيجي ؟

أرجوك ساعديني لقد منحني مهلة ساعة واحدة و الوقت يركض ..
جذبتها من كفها لتجلسان على العشب أسفل إحدى الأشجار ثم فكرت لبرهة قبل أن يضيء المصباح أعلى رأسها و تهتف بفرح :
- وجدتها ، سأجعلك تعترفين دون أن تنطقي بحرف و في نفس الوقت نلهو معه و نصيبه بالارتباك و الحيرة ..
صفقت نرفين بجذل شديد قائلة بلهفة :
- و كيف نفعل ذلك ؟ اهو لغز !
شرحت فكرتها قائلة بعبث :
- سوف نستعير طريقة الصلح المعتمدة بين خالد و ندى ، فعندما تغضب منه يرسل لها أغنية تتحدث بلسانه فتهرع لمصالحته على الفور ..
و بالنسبة لصقرك المنتظر سنمرح قليلا و نرسلها له بالعربية ، لنرى كيف يتصرف عندها ، هاتي هاتفك نختار الكلمات المناسبة ..
عضت شفتها السفلية قائلة بخيبة :
- فكرة رائعة لكن هاتفي لن يفيد فلا يوجد به أغان عربية ..
ضربتها الأخرى على رأسها هاتفة :
- مغفلة ، سنجد لديّ ما يفيد بالتأكيد ..
أخذت تستعرض معها كل ما تحمله ذاكرة هاتفها حتى عثرتا على ضالتهما المنشودة فأرسلتها لهاتف نرفين أولا ثم منه لرقم شاهين مباشرة ..

❖❖❖

كان يجلس بقلق ينتظر ردها و العديد من السيناريوهات تدور داخله ، يخشى أن تذهب مجازفته هباء و يعود لنقطة الصفر من جديد ..
انتبه على صوت وصول الرسائل فسارع لاستقبالها على الفور و قلبه يكاد يغادر محبسه ترقبا و خشية ...
ظل غير مستوعب لوهلة فقد فاجأته الكلمات التي انسابت بصوت صادح تمس داخله دون أن يفهم ماذا تعني ! طحن فكيه بغيظ مدمدما بقهر
- بالعربية نرفين !! سأقتلك لا محالة ..

غريبة ، غريبة..
غريبة ليالي الحنين
لقيتني من العاشقين
أقولك حنيني لمين ؟
تصور بحبك و لا كنت حاسة

و كنت أما أقابلك بقابلك و بنسى
و لكن في بعدك في عز الليالي
لقيتك بتهمس لقلبي بهمسة
و كانت بداية ، و أتاري الحكاية
تصور .. بحبك

❖❖❖

لقيتني في حيرة و خايفة أقابلك..
بفكر أخبي ، و بتمنى أقولك..
بحبك يا روحي و آن الأوان
تنور حياتي و أسكن في قلبك
بقولها و يشهد عليّ الزمان
و لا حد بعدك و لا حد قبلك
أجمل بداية ، و أول حكاية
تصور.. بحبك

❖❖❖

قفزت نرفين مع صوت رنين هاتف جيّدا التي صاحت بنصر :

- الم أخبرك ؟ ها هو يتصل كما توقعت ..

فتحت مكبر الصوت و استقبلت اتصاله قائلة بنبرة جدية هادئة كادت تقتل الأخرى ضحكا :

- مرحبا شاهين كيف أخدمك ؟

وصلهما صوته المستغيث مرددا :

- جيّدا ، أريد منك خدمة رجاء ..

ردت بسرعة قبل أن يكمل :

- امممم حسنا لكني منشغلة للغاية الآن ، ألا يمكن تأجيل الأمر ..!

أجابها بلهفة جعلت قلب نرفين يهدر بوثبات بهلوانية :

- لا لا ، انه ملح و عاجل جدا ، أنا بحاجة لترجمة شيء ما بـ.....

عادت تتعمد مقاطعته بمشاغبة :

- أوه تعرف أن لغتي التركية ما زالت تحت الصفر شاهين ، لقد طرقت الباب الخطأ ..

غمغم من بين أسنانه بقهر :

- لما سأرغب بشيء من هذا القبيل جيّدا انه بالعربية طبعا ، يكفي أن تخبريني بالانجليزية في سرية تامة ..

استخدمت نبرة في غاية البراءة قائلة :

- آه تقصد أغنية نرفي التي أرسلتها قبل قليل ؟ لا اعرفها ..

وصلهما هديره المتوعد يكاد يصم الآذان :

- أنتما معا إذن ! كان يجب أن أدرك ذلك ،

يا الهي كأن واحدة لا تكفي و تزيد لدفعي إلى القبر ركضا ليصبح هناك تحالف ضدي !
حسنا ما رأيكما أن اطلب من مراد الترجمة ؟ أظنه سيرحب بدق أعناق بعض المشاغبات هنا ..
هتفت قائلة بمرح عابث :
- لا ، لا داعي لإزعاج مراد أبدا اهدأ يا رجل ، سنرسل المطلوب في الحال ، ألا تعرف المزاح البريء !
كرر قولها بعدم تصديق :
- بريء !! و أنا موشك على الإصابة بذبحة قلبية بمنتهى البراءة الآن ..
استمع لخليط الضحك المكتوم فتأكد أن المشاغبة الصغيرة تستمع لكل كلمة كما خمن فتابع حديثه قائلا :
- اخبريها أن المهلة لم يتبقى منها إلا القدر اليسير و أنا لم استلم شيئا للان ، بعدها لا أظن تصرفي سيعجب كلتيكما ، ذكريها أيضا إنني لا زلت نفس الرجل السيئ ..
ثم أنهى الاتصال فالتفتت جيّدا بنظرات مستفسرة لتجد الأخرى محتقنة الوجه و قد فهمت مغزى قوله المشير لتلك الليلة التي لا تذكر أحداثها ، سألتها بهتاف ماكر :

- ماذا يقصد ؟ أنا لا افهم شيئا !
لفتها موجات الخجل قائلة :
- و أنا أيضا لأني لا اذكر ما حدث ليلة الملهى و هو يرفض إخباري ، في اعتقادك ماذا حدث ؟
أشارت بإصبعها لنفسها قائلة بتعجب :
- تسألينني أنا !! ليس وحده من سيتأذى صحيا ، أنت مشكلة حقيقية يا فتاة (ثم صرخت فجأة و تابعت) الوقت ينفذ هيا أرسلي له ترجمة الكلمات قبل أن يفضحنا ..
رفعت كفيها قائلة بنفي :
- أنا !! لا أرسليها له أنت ..
اتسعت عيونها حتى كادت تلتهم وجهها بأكمله هاتفة بذعر مضحك :
- مرحى ليهدر شقيقك الغالي دمائي و يحتفل ، هذا ابسط شيء يفعله عندما أرسل كلمات الغرام لصديقه من هاتفي ، أتخيل عناوين الصحف أمامي الآن و هو يرفع كفيه المكبلين بالأغلال بعلامة النصر فرحا بغسل العار ..
لكزتها نرفين هاتفة بغيظ اختلط بالخفر :
- أوه ، أنت إنسانه مبالغ فيها ..
ثم تناولت هاتفها باستسلام تنفذ المطلوب بينما روحها تحلق بالفضاء الرحب شاعرة بأحاسيس ملائكية تلفها ..

عاد شاهين لواقعه منتشيا بتلك المعاني العذبة الذاخرة بها كلمات الإهداء التي لا يمل سماعها و صارت مفضلة لديه و ها هو يصل منزل مراد الخاص حيث طلب لقائه هناك ، فقد حان وقت المصارحة ..

استقبله ببشاشة مشيرا للداخل :

- تفضل شاهين ، ما هو الأمر المهم الذي تطلب لقائها وحدنا ؟

ابتسم الآخر قائلا بنبرة ذات مغزى :

- أرى انك استقريت بالبيت الكبير كليا حتى انك متعجب من وجودنا هنا كأنه لم يعد منزلك !

أشار بكفه مازحا :

- ألاحظ انك و صالح تزدادان لطفا يوما بعد الأخر ، قصدت أننا معا كل يوم و لست بحاجة لتحديد موعد لنلتقي ..

اتخذ شاهين مجلسه المعتاد و تابع قائلا :

- لكني أريدك بأمر شخصي هذه المرة و لا دخل للعمل ..

رد الآخر قائلا بسرعة بديهة :

- مسألة نرفة أليس كذلك ؟

انتظرتك من يومها لكنك لم تتطرق إليها ، لكن لما القلق شاهين نحن أصدقاء و لا يوجد مكان للحرج بيننا ! أتفّهم أن الأمر لا يعني لك شيئا ..
أجلى شاهين حنجرته قائلا :
- لكنه يعنيني مراد ، هذا ما أردت قوله ..
قطب حاجبيه و ردد بعدم فهم :
- مـاذا تقصد ؟
أجاب مباشرة دون مواربة :
- أنا أحب نرفين و ارغب جديا في الارتباط بها ..
حدجه بنظرة احتار الآخر بترجمة معناها ثم سأله بنبرة محايدة يشوبها الريبة :
- منذ متى تحديدا ؟
العصب النابض على جانبي فك مراد جعله يدرك انه يبذل جهده لإجراء حوار هادئ فرد يجيبه بحسم :
- منذ البداية ، أحببتها لسنوات و .....
تحرك بشكل خاطف ليفاجئه بلكمة قاطعت حديثه ترنح على أثرها لكنه لم يفقد توازنه فقال بمحاولة لاحتواء ثورته :
- مراد دعنا نتـــــــــــــ.....
قبض على مقدمة قميصه و قد غادره التعقل مزمجرا بعنف :
- مـاذا شاهين ؟ نتفاهم ! أي تفاهم و قد خنتني ..
ضغط فكه بغضب قبل أن ينفض كفيه عنه هاتفا :
- اهدأ و لا تجعل اندفاعك يتغلب عليك ، أنا لم أخنك لا تنطقها مجددا ..
هدر صوت الأخر و لم يعد يرى أمامه من فرط الغضب :
- و ماذا تطلق على فعلتك إذن ! لما لم تخبرني من وقتها ، لقد وثقت بك و أنت تنظر لشقيقتي من خلف ظهري ، يا لك من صديق ..
بادله شاهين الهتاف لإدخال بعض التعقل في رأسه :
- أين الجريمة في كوني أحببتها ؟! لم أخبرك لأنها لم تمنحني أي أمل ، ماذا كنت تريد أن تعرف ؟ إنني مجرد أحمق أغرمت بفتاة لا تبادلني مشاعري !
ضيق عينيه سائلا بشراسة :
- ما الذي جد الآن لتتنازل و تخبرني ؟
رد شاهين قائلا بثبات :
- لأني لمست تجاوبها و ...
رفع قبضته ثانية و قد احتقنت دكنة عينيه فبدت أشبه بجمرات الفحم المتقد :

- أيها الـ ....
صدها الآخر بعنفوان مماثل قائلا بحدة :
- حذار مراد ، لقد احتملت انفعالك حتى الآن رغم انه يحمل اهانة لي و لها ، لم يحدث ما يشين لتندلع ثورتك على هذا النحو ، عندما صار الأمر جديا و هناك ما يمكن أن يقال أتيتك بنفسي ، لأني احترمها و أقدرك يا صديقي ..
سحب معصمه من كفه بعنف ثم أشاح وجهه الغائم مدمدما :
- لم نعد كذلك ، انتهينا ، غادر منزلي شاهين ..
أغمض عينيه بألم لكنه لن يستسلم لموجة الحماقة التي تتلبسه عندما يغضب و تجعله يتهور دائما ، تمتم بخفوت قبل أن يخطو إلى الخارج :
- لكنك ستظل صديقي المقرب مراد و اعلم انك سترى وجه الأمر الحقيقي عندما تستعيد قدرتك على التفكير ، سأنتظرك ...
استمع لصوت إغلاق الباب بهدوء فسحب نفس عميق عله يهدئ تلك الثورة العنيفة التي تموج بها حناياه ، فجأة تحرك إلى الدور العلوي بقفزات سريعة حيث يعرف انه سيجد بعض السكينة ..

دلف إلى غرفتها التي غيرت لونها و دمغتها بلمستها للأبد ، استنشق بلهفة يريد الشعور بأريجها العذب ، بل يريد الإحساس بها نفسها ، كم هو بحاجة إليها الآن ..
كان يسيطر عليه إحساس بالغدر ، ربما يبالغ لكنه طالما اعتبر شاهين أخا حقيقيا له و لم يتخيل أن يحفظ سره عنه !
و مع من ؟ نرفين صغيرته الهشة التي لم يكن يأتمن مخلوق عليها سواه !
لهذا مذاق المرارة يأبى مغادرة حلقه ، اعتبرها خيانة أن يكن لها مشاعر يجهلها ..
استحضر مواقف قديمة كانت تمر دون أن يلقي لها بال ، بريق عيونه عندما تسقط عليها و ارتجاف نبراته حين يحدثها ، يا لك من غبي مراد ، كيف لم تلاحظ أيها الاستخباراتي الفاشل !
لم يكن يرغب برؤية احد خشية ارتكاب المزيد من الحماقة ، وجد نفسه يقوم بما يفعله أي زوج طبيعي دون إرادة منه !
تناول هاتفه و ضغط رقمها مباشرة مرددا بنبرة حادة :
- جيّدا سأقضي الليلة في منزلي ، اخبري والداي لو سألوا و اتصلي بي إذا جد شيء ..

وصله صوتها مليء باللهفة تسأل :
- ماذا بك مراد ؟ أنت لا تبدو بخير و صوتك ليس طبيعي ..
ردد بخشونة رغما عنه :
- بل أنا بخير ، فقد أريد الاختلاء بنفسي لبعض الوقت ..
وجدت نفسها ترد قائلة :
- إذا أردت الحديث بإمكاني القدوم إليك ..
هتف عقله بصخب : آه لو تعلمي كم أتوق لذلك الآن ، لكن عندها سيكون الحديث آخر شيء أفكر فيه ، أجابها بنفس النبرة قاهرا أمنياته :
- لا ، ابقي في المنزل و لا تخرجي منه حتى أعود ..
- حسنا مراد ، كن بخير لأجلي ، اقصد لأجلنا

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

استمر الاتصال الهاتفي بين ناريمان و طاهر لما يقرب من ساعتين متواصلتين !
كأن لقاءهم اليومي لم يعد كافي فيكملان أحاديثهم الطويلة عبر الأثير ..
اخبرها الكثير عن أماني و عن شجاراته اللا نهائية مع مربيتها أحلام كما تطور الوضع أكثر ليقص عليها كيف توفيت زوجته بعد ميلاد طفلته بأيام ، لكنه كان يسارع بالابتعاد عن هذا الجانب كأنه محراب مقدس لا يجب المساس به ..
انبعث صوتها من بين ضحكاتها الرقيقة :
- يا لك من عجوز مشاكس ، ألا تكف عن التسلط على كل المحيطين بك ؟ ماذا فعلت الممرضة المسكينة لتزأر عليها الآن ؟
رد يبادلها المزاح بألفة واضحة :
- و هل انتظر أن تفعل ! هناك واحدة فقط هي من تجرؤ على وخذي بإبرة المحقن ، أتعرفينها يا ترى ؟
صدحت ضحكاتها ثانية هاتفة بمرح :
- اعتقد أن لدي فكرة ، تلك التي كادت تقتلك يومها مرتين ، بالسيارة ثم رميا بالرصاص بعدها ..
غمغم بنبرة اجشة لم تعرفها أذنيه :
- و هل ما زالت تتمنى ذلك حتى الآن ؟
اصطبغت وجنتيها بلون الحياء كما لو عادت ثلاثون عاما للخلف قائلة بدلال يليق بها :
- تقول أنها منحتك العفو لأجل جيجي فهي لا تستحق فقدان عمها ..

رفع حاجبه مدمدما :

- فقط جيجي ! من منا المشاكس الآن ناري ؟ أتعلمي هذا الاسم يليق بك قلبا و قالبا ..

شعرت بالحرارة تلفحها و بقلبها يقفز بشكل خطر فبادرت قائلة :

- احم طاهر عليّ الذهاب فقدرية تناديني للمرة الثالثة و شاهين على وشك الوصول ، إلى اللقاء في الغد ..

رد قائلا بعبث :

- حسنا سأنتظرك لكن حذار أن تجلبي معك ضحية أخرى ، يكفيك أنا كما لا ارغب بزيارتك في السجن عزيزتي ..

ودعته بضحكاتها ليضع الهاتف من يده باسما لوهلة قبل أن تبدأ ابتسامته بالانحسار تدريجيا ثم يغور اللون عن وجهه كأنه استفاق من غفوة لذيذة ليصفعه واقع ينكرها عليه ، ما هذا الذي يفعله ؟! لقد فقد صوابه بشكل كامل و انتابه الخرف ، يا الهي اهو حقا من كان يتحدث قبل برهة !!

كلا ، لا بد انه تأثير الأدوية التي أصابت عقله بخلل ما أو ربما هي ..

اجل هي التي تشكل خطورة فعلية تهدد بنسف حياته بأكملها ، عد إلى نفسك طاهر و انفض تلك الحالة السخيفة التي تلبستك ، كيف نسيت حبيبتك لوهلة ؟ و ماذا عن أماني عمرك التي تنتظرك هناك !

سكن عيونه بريق حازم بينما يلقي بالأغطية بعيدا و يغادر الفراش بتصميم ولد و اخذ ينمو بسرعة فائقة محتلا كل حواسه ، سيهزم الخطر و يهرب منه عائدا لملاذه الآمن ..

❖❖❖

سأله الطبيب بقلق :

- لما تصر على المغادرة سيد طاهر ؟ اخبرني عن ما يزعجك و سوف أقوم باللازم في الحال ..

حرك رأسه نافيا :

- كلا ، أشكرك على الاهتمام ، أريد التقرير الطبي عن حالتي و فاتورة المستشفى الآن ، لقد طلبت سيارة أجرة ستصل بعد قليل ..

أشار الطبيب بكفيه مستسلما لرغبته و لم يكد يمر وقتا و كان يحادث موظف الاستقبال بالفندق الذي لم يقضي به و لا ليلة واحدة طالبا أمتعته و أن يحجز له مقعدا على أول رحلة مغادرة ..

بعدها أجرى اتصال بابنة شقيقه التي استقبلت صوته بهتافها الرقيق قائلة :

- هل اشتقت إليّ عمي ؟ سأكون أمامك في الصباح كالمعتاد ..

رد قائلا بثبات :

- بل أردت وداعك حبيبتي لأني سأغادر الآن ..

شهقت هاتفة بجذع :

- ماذا ؟! لما هذا السفر المفاجئ ؟! هل الجميع بخير ؟ حدث شيء لبابا ؟ اخبرني أرجوك ..

طمأنها قائلا بصدق :

- اهدئي يا فتاة لم يحدث شيئا من هذا ، لدي عمل طارئ يتطلب و جودي هناك ..

عادت تسأل بقلق :

- لكن ماذا عن ساقك ؟!

رد مجيبا ببساطة :

- استطيع إزالة الجبيرة هناك بكل سهولة ، الأمر عادي أنت اعتني بنفسك و ... (أضاف بغصة) أوصلي تحياتي للجميع ..

هتفت قائلة :

- كلا ، انتظر عمي أنا قادمة ، سأذهب معك إلى صالة السفر ..

حاول إثنائها عن عزمها قائلا :

- لا داعي جيجي لقد حل المساء و ها أنا اطمأننت عليك حبيبتي ..

عادت تصر قائلة :

- بل سوف آتي ، لا يعقل أن تغادر دون أن أراك ..

- حسنا أسرعي إذن فليس معي غير نصف ساعة قبل الانطلاق للمطار ..

أنهت الاتصال و هرعت تتناول شالها الصوفي و المعطف و تتصل لتطلب إحدى سيارات الأجرة فنرفين مع الخالة زينب بالخارج و لا يوجد وقت لانتظارها ..

كما لم تنس اخذ حقيبة الهدايا التي أعدتها من قبل لحسن الحظ ليحملها عمها معه ، الشيء الوحيد الذي نسيته هو اتصالها بمراد لتخبره عن عزمها !

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

بالتزامن علم جاك عن عزم الرجل بالسفر الفجائي بواسطة ذلك الذي وضعه لمراقبته و قد أرسل إليه كافة المعلومات عن توقيت و رقم الرحلة ..

عندها تحرك لتنفيذ الخطوة التي استغرق الأيام

الماضية بالأعداد و التخطيط لها ، فعيونه الراصدة التي تسجل كل لقطة تقع عليها و تحفظها لحين الحاجة قد استحضرت صورة تلك النادلة التي تحمل نفس مواصفات جيّدا الجسدية و خلال يومين كان قد أعاد علاقته بها و بدهاء شكّل مظهرها لتبدو اقرب شبها منها لقد بدت سعيدة بينما اصطحبها لمركز تجميل شهير و حول شعرها لنسخة مطابقة عن الأخرى كما أهداها ثيابا مماثلة لملابس الفتاة التي التقط لها العديد من الصور بها ثم ابتاع نفس الموديلات و الألوان من المتجر ذاته ليجعل شبيهتها من بعيد كأنها هي ، لم يعد باقي غير الملامح و هذا يعرف كيف يتعامل معه ، و قد حان الوقت لتقوم بدورها الذي أعدها لأجله ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

أشارت لعمها مره أخيرة قبل أن يغيب مع المغادرين عندها انتابها الحنين الشديد لعائلتها ، كيف يمكن أن تشعر بالتوق و الانتماء لمكانين في آن واحد !

تشتاق لوطنها و أسرتها لكن عندما تفكر بموعد ذهابها النهائي تسكنها غصة مؤلمة ، فقد ارتبطت بالجميع هنا أيضا ، حتى حفصه و عائشة التي تتواصل معهما باستمرار ..

زفرت نفس عميق قائلة بخفوت :

- لله الأمر من قبل و من بعد ..

أعادت ارتداء خاتمها و المحبس ثم استدارت لتعود إلى المنزل مع السائق الذي استأجره عمها بعد اطمئنانه إليه ....

❖❖❖

رصد جاك كل ما حدث و بادر بصرف الرجل دون أن يترك له مجالا للاعتراض ثم راقبها تجول بعيونها التي سحرته بين السيارات باحثة عنه قبل أن تنعطف مع الطريق الخالي لعل السائق اضطر لإفساح المكان لغيره ..

عندما أصبحت في المكان الذي يريده بالضبط اقترب بخفة فهد أسود صياد ثم باغتها من الخلف و غرس إبرة المحقن الذي يحمله في جانب عنقها بمهارة جعلتها تسقط بين ذراعيه قبل أن تتمكن من إطلاق شهقة المفاجأة التي ضربتها في حين غمغم بعربية متقنة إلى جوار أذنها قائلا :

- مرحبا جميلتي ، ها نحن نتعارف أخيرا ، منذ الآن ستكونين ضيفتي ..

مددها فوق الأريكة الخلفية لسيارته بعد أن خلع معطفها و رفعه إلى انفه مستنشقا بعمق بعدها ابتسم مرددا :

- اجل هذا هو ما أريده ..

انتقل إلى المقعد الأمامي واضعا المعطف على الآخر المجاور ثم انطلق إلى مكان أشبه بمستودع مهجور ..

ترجل و اتجه إلى صندوق السيارة بخطوات واثقة و عندما فتحه استقبلته عيون الفتاة التي حملت ذعر الدنيا ، كانت ملقاة على جانبها ، يديها مكبلة و فمها مكمم بشريط لاصق ..

منحها ابتسامة ذئب اكتفى من اللعب بفريسته بينما يخرجها منه ببساطة و هي تصدر تمتمة مخنوقة كأنها تستعطفه أو لعلها تستفسر

عن سبب ما يفعله بها بعد أن كان مدلها في حبها و غمرها بالهدايا !
حرر يديها ليجبرها على ارتداء المعطف ثم أدارها بحركة عنيفة ليصبح ظهرها ملاصقا لصدره و اقترب من أذنها هامسا بنبرة جليدية اجشة :
- اششش لا تخافي ..
قالها بينما يلمع الضوء الحثيث على نصل الخنجر الماضي الذي استله من غمد حزامه عاكسا بريق عينيه الوحشي ..
و بمنتهى الثبات قام بنحر عنقها بحركة خاطفة و حرفية مدهشة ليتابع حديثه المتسلي :
- أرأيتِ ، لم أؤلمك ..
ثم القي الجسد المنتفض مودعا روحه أسفل قدميه دون أن تهتز فيه شعرة أو حتى يصيبه رذاذ الدماء التي تفجرت بعنف زاده شراسة كما يحدث لأبناء فصيلته من هواة الافتراس ..
مسح سلاحه في ملابسها مزيلا كل اثر ثم استدار عائدا للأخرى الغافية بوداعة ملاك ليكشف ذراعها و يمرر النصل البتار فوق معصمها بخبرة تؤدي غرضه دون أن تؤذيها ، ثم سحب وشاحها الملتف حول عنقها و تركه يمتص دمائها المتدفقة من جرحها بالقدر الذي أراده فهو لا يترك شيئا للصدف بدوره ..
بعدها استخدم الضماد العريض الذي حضره و شده فوق معصمها جيدا معيدا طرفي البشرة الممزقة لبعضهما ..
لمعت عيونه بتفكه بينما يسحب قلادتها التي لم تفارقها منذ وضعتها و اتبع بالسوار المماثل قائلا بسخرية :
- الحمقى يظنون بضعة العاب الكترونية تافهة كافية لخداعي ..
أخيرا اخذ حقيبتها بكل متعلقاتها و علقها بالطريقة التي تفعلها هي فوق جثة الفتاة الخالية من الحياة ، اتبع بالقلادة التي سرعان ما اصطبغت بلون الدماء الدافقة من العنق المذبوح بعده السوار ثم لف الشال المخضب في مكانه دون إحكام حريصا على أن يبدو عليه آثار ما حل بها .
لم يتبقى سوى الخطوة الأخيرة التي تتطلب مهارته الفنية و يبرع بها ، فاخرج أداة غريبة الشكل و شرع بإحداث جروح و طعنات متفرقة في جسد و وجه الفتاة حتى شوه ملامحها بشكل أخفاها لكن دون افتعال لعدم إثارة شكوك

تدفعهم لإجراء فحص الحمض النووي ، فمن يراها الآن سيتأكد أنها تعرضت لهجوم حيوان ضاري نهش الجثة راويا ظمأه مما تبقى من دمائها ..

استقام ينظر بفخر للوحته الجديدة التي لم ينس ختمها بعلامته المميزة كما يحب أن يفعل بتحدي سافر ..

التقط لها عدة صور من مختلف الزوايا و أرسلها مع تحياته و رسالة نصية فحواها أن العملية تمت بنجاح ..

انشقت شفتيه القاسيتين بما يمكن أن يطلق عليه مجازا ابتسامة ساخرة و استدار مغادرا تاركا خلفه جثة مشوهة تحمل أدلة مغلوطة بخطوات تزهو انتصارا يحمل غنيمته إلى حيث يرغب ليبدأ تشكيلها من جديد وفقا لما يراه هو ، هو وحده ....

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

على الجانب الآخر ركضت سُلاف هابطة الدرج تهتف بلهفة :

- بابا جيجي اتصلت الآن و أخبرتني أن عمي طاهر أصبح في الطائرة و قد تركته لتوها ، كان سيحضر بشكل مفاجئ ، ماذا سنفعل ؟!

نهض واقفا بحزم رجل يجيد السيطرة على زمام أصعب المواقف قائلا :

- اهدئي صغيرتي ، سوف أتولى الأمر ..

❖❖❖

أخرجها رنين الهاتف من غفوتها اللذيذة بين ذراعي زوجها الذي غيبها في دوامة عشق قبل وقت لا تعرف مداه ، تناولته بكسل مغمغمة بالتحية لكن ما أن سمعت كلمات عمها الحازمة حتى هبت طاردة كل اثر للنعاس قائلة :

- اجل فهمت عمي ، حالا ..

التفتت للشاب الذي بدا مستغرقا بالنوم هاتفة بذعر :

- ادهم هيا استيقظ على الفور ..

فتح عيونه بصدمة خشية أن يكون قد أصابها مكروها ليجدها تهرع إلى الحمام حاملة ثيابها فسأل بدهشة :

- ماذا بك نانيّ ؟

ردت بسرعة قائلة بإيجاز :

- لا بد أن تقلني لمنزل عمي رضوان في الحال ، بابا عائد من السفر و يفترض إننا لا نعلم ، أمازلت بالفراش ادهم ! أسرع ..

غابت خلف الباب بينما مرر أنامله داخل خصلات شعره الداكن مغمغما :

- يا الهي لما تعجل .. !

❖❖❖

دلفت أماني للردهة السفلية قائلة بلهفة :

- مرحبا ، لما يعود بابا دون أن يخبرنا ؟

ردت سُلاف مطمئنة :

- اهدئي مانو ، ربما أرادها مفاجأة ، الحمد لله أن جيجي استدركت الأمر و سربت الخبر ..

ربت رضوان على كتف الشاب المرافق لها قائلا :

- كما اتفقنا ادهم ..

أومأ بالموافقة التي لم تخلو من الإحباط قائلا :

- اجل عمي ، سأغادر الآن قبل وصوله ..

التقت عيونه مع أماني بنظرة بثها خلالها كل ما يعتمل في صدره من الم الفراق ..

سحب رضوان كفي ابنته و زوجته قائلا :

- أريدكما معي بالداخل ..

ليغادروا تاركين الفرصة للعاشقين بتبادل وداع محموم المشاعر بأول اختبار فعلي لمتانة ارتباطهم ...

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

اتجه طاهر إلى منزل شقيقه الأكبر مباشرة فقد كان في غاية الشوق لصغيرته ، وجودها وحده هو القادر على إعادته لطبيعته .....

استقر بهم المقام في جلسة ظاهرها سهرة عائلية أمام شاشة التلفاز بينما باطنها ترقب ملأ الأنفس بلغ منتهاه عند دوي جرس الباب و من بعده دقات لخطوات رتيبة رافقتها نقرات العصا التي يتكئ عليها ..

هبت أماني من مكانها و قد اندفع سيل العبرات يهطل فور رؤيته ثم هرعت لأحضانه حتى كاد يفقد توازنه هاتفة :

- بابا ، ما هذا ؟! كيف أصبت و أين ؟!

تلقفها بذراع واحد مرسلا نظرات الاطمئنان للجمع القلق خلفها قائلا بهدوء :

- لا تجزعي حبيبتي انه حادث بسيط و أنا من جعل جيجي لا تخبركم عنه ، بالمناسبة تلك الشقية أصبح لها صولات و جولات بتركيا ، لدي الكثير لأخبركم عنه ..

و هكذا اغرق نفسه بحديث صاخب التهم الليل كله حتى لا يترك المجال لأي أفكارا أو صور تزاحم مخيلته الرافضة ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

حل الصباح خجولا يعاني هجمات الغيوم و قلق نرفين المتزايد عندما لم تجد جيّدا داخل غرفتها أو بالطابق السفلي !

لقد ظنتها أوت لفراشها مبكرا عندما عادت بالأمس لكن أين هي الآن ! فكرت ربما ذهبت في إحدى جولاتها المبكرة للرسم أو لعلها عند العم طاهر ..

اتصلت بها مرارا فلم يقابلها سوى الرنين الممتد و يليه العبارة المعتادة (لم يتم الرد)

ربما الأمر طبيعي لكن داخلها يرجف كأنه يستشعر مالا تعرفه !

انتقلت العدوى لوالديها في حين قال عثمان :

- ربما هي مع مراد بما انه مختفي بالمثل ..

قطبت زينب حاجبيها برفض و تناولت هاتفها لتتأكد بسرعة ...

لم يزره النعاس سوى من ساعة واحدة أو اقل بعد ليلة أرقة دون سبب واضح لكنه مع ذلك استجاب لرنين هاتفه في الحال ليصله صوت والدته بسؤالها الحاد :

- مراد ، هل جيّدا معك ؟

هب من فراشه على الفور هاتفا بعنفوان :

- ما بها جيّدا أمي ؟

ازدردت لعابها و أجابته بارتباك لا تعلم سببه :

- ليست هنا و لا نستطع الوصول إليها عبر الهاتف ..

فز قلبه سائلا بوجل :

- منذ متى تحديدا ؟

- لا اعرف ، نرفين لم تجدها عندما استيقظت ..

قال عبارته الأخيرة بينما ارتدى ثيابه فعليا :

- حسنا لقد توليت الأمر ، إذا علمت أي شيء اخبريني في الحال ..

تحرك إلى سيارته أثناء إجراء اتصاله بالعم طاهر لكن كل ما حصل عليه كان رسالة مفادها إيقاف الرقم فاتجه من فوره للمشفى و هناك علم أن الرجل أصر على المغادرة بصورة مفاجأة ثم أتاه الخبر اليقين من موظف استقبال الفندق الذي اخبره عن وجودها معه عند مغادرته دار عقله في دوامة من الفرضيات المرفوضة ، أيعقل انه اصطحبها معه ؟!

في طريقه للمقر أجرى اتصال آخر بأحد عملائهم في المطار و حدد له الرحلة قائلا :

- وافني بقائمة الركاب في غضون خمس دقائق سأكون وصلت المكتب ..

استقبله شاهين خارجا من صالة الألعاب بعد جولة من التمارين الصباحية المكثفة و قد تأكد انه اغرق نفسه في العمل منذ غادر منزله ..

أشاح وجهه دون كلمة و تابع خطواته المسرعة حيث وجد قائمة الأسماء تنتظره فوق مكتبه محتوية على اسم العم وحده و قد التحق بها في الدقائق الأخيرة !!

طالما لا تزال هنا يعرف كيف يجدها و سيفكر بأمر مغادرة الرجل بهذه الصورة فيما بعد ، لم يجد صالح لكن خطيبته كانت تمارس عملها المعتاد فبادرها قائلا :

- رُقيه ، تتبعي قلادة جيّدا ، أريد معرفة مكانها في الحال ..

أومأت بمهنية و استدارت بمقعدها الجلدي الدوار و أخذت تحرك أناملها فوق أزرار بعض

الأجهزة بسرعة و كفاءة بينما هو يقف خلفها محدقا في الشاشة بتركيز ..
سرعان ما عادت إليه قائلة :
- ها هي الإحداثيات ، إنها في هذا المكان ..
انطلقت صفارات الإنذار داخله مدوية فهدر بصوت جامد :
- ثابتة أم متحركة ؟
ردت قائلة بغرابة :
- بل ساكنة على نحو مريب ..
أطبق كفه على القصاصة الورقية و ركض إلى الخارج متخطيا شاهين الذي حدق في أثره بدهشة ثم سأل الفتاة بسرعة :
- ما الأمر ؟!
أعطته لمحة موجزة عما حدث هاتفة :
- الحق به شاهين ، هناك شيئا ليس على ما يرام استدار ينفذ دون تفكير و قد انتقلت نفس المخاوف إليه ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

- ماذا تعني بأنه غادر ؟! متى حدث ذلك و قد تركته الليلة الماضية فقط !
سألت ناريمان بعصبية و عدم تصديق عندما اخبرها موظف المستشفى المختص باستقبال الاتصالات الواردة عن ذهاب طاهر بعد عدة محاولات مع هاتفه النقال دون فائدة ..!
تركت نفسها لتسقط فوق الأريكة خلفها بخيبة أمل صاحبها إحساس آخر غريب !
ما الذي حدث و جعله يترك المشفى حتى دون أن يخبرها ؟ هتف عقلها بدهشة : بل السؤال الأهم هو لماذا أنت مهتمة بالأساس ناريمان !

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

أوقف مراد سيارته بطريقة عشوائية و اندفع منها راكضا إلى ذلك الخواء الموحش الذي يحيط مستودعا مهجور و صوته يرتفع بالنداء ناقلا لهفة قلبه بكل الأرجاء :
- جيّـــداااا ..
تبع ذلك توقف مماثل لسيارة شاهين الذي وصل بأعقابه مباشرة ....
يبست ساقية بصدمة و عدم قدرة على الانتقال للأمام أكثر و قد عكست دكنة عينيه الحالكة ذلك المشهد المريع ..

قوتان مدمرتان تتصارعان داخله بتلك اللحظة ،
واحدة تخبره أنها ممدة أمامه جثة هامدة
تحيطها بركة متسعة من الدماء تشي بكونها
خالية من أي قطرة إضافية و الثانية تصرخ
باستحالة حدوث ذلك و إلا شعر بها ..!
كان مزيجا مرعب من قلب يئن و عقل مشتت
مع روح تنهره رافضة ..
وقع أسير ذهول سيطر عليه باقتدار و هو الذي
عاصر أبشع الجرائم و تعامل معها دون أن تهتز
به شعرة ، لكن إلا هذه ...
لقد كان أسوأ إحساس و أكثرهم وجعا أن
يرى الفتاة التي يعشق قتيلة متسربلة بالدماء
القانية بينما عقله يمعن في تعذيبه بعرض كل
مشاهدهما معا منذ أول لقاء عاصف بشريط
سينمائي مكرر رافقه صرخات قلب يحتضر ..
الآن فقط تعترف انك أغرمت بها ! أين كنت
و تركتها تلقى هذا المصير ؟ إذا لم تستطع
حماية توأم روحك التي أهداك إياها القدر
فما فائدة وجودك في العالم إذن !
أدرك شاهين كل ما يعتمل بنفس صديقه
فاختلاج ملامحه لم يترك شيء دون إعلان ،

كان موشكا على فقدان السيطرة و يعاني تبعات الم محرق مع غضب عارم يتدفقان سويا داخل أوردته بخطورة و قد ترجم كل ذلك الخط اللامع الذي شق وجنتيه برهبة و إكبار ، عبرات غالية تنهمر بجلال دون صوت أو حتى إشارة على أن صاحبها الجامد النظرات يشعر بها أو يملك إرادة لإيقافها ..

يقسم أن ذلك المشهد المهيب أمامه لن يمحى من ذاكرته ما حيا فما باله بقلب مراد الذي تيمه عشقها ، لابد انه وصل مرحلة التفحم الآن ، لكن عليه إخراجه من تلك الحالة فورا فتقدم منه مربتا على كتفه برفق قائلا بخفوت :

- مـراد ..

اجفله الصوت الذي أوقف سيناريوهات الانتقام و قد احتلت صفحة العالم أمامه ليعود شكلها الدامي مسيطرا على عدساته البصرية من جديد حرك ساقيه التي نسيتا كيفية القيام بمهامها و قبضة سوداء تعتصر خافقه غارسة مخالب القهر بين جنباته ليسقط ممزقا فاقدا صلاحيته للحياة ..

صرخ داخله رافضا ما يرى ، أي وحش مهووس فعل بجيدائه الرقيقة هذا ؟!! كيف لم يتأثر ببراءتها الفطرية التي تشكل هالة أبدية حولها ؟! كيـــف !!

خرجت منه العبارة الأخيرة بصوت مسموع فاض بما تهدر به خلاياه ، تناول حقيبتها بكف يختبر الارتجاف لأول مرة و قربها من صدره بعناق لا إرادي و عينه تلتقط صورة لوشاحها المفضل و قد تخضب بنقائها فسحبه غارسا انفه داخله ثم عض شفتيه بعنف كابحا انطلاق صرخات الغضب المستعر أكثر من حمم بركان لاهب تتدفق حاملة ثورة الأرض المحترقة ..

تحرك شاهين سريعا ليحجبها عن عيونه التي ترفض الإشاحة عنها أو سكب العبرات المنسابة دون أن يشعر بها مستخدما قطعة بلاستيكية سوداء وجدها و قد ارتدت ثوب الحداد ناعية الضحية البريئة أسفلها و ردد بثبات اجتهد ليظهره :

- انه جاكوب الأبيض مجـددا ..

صر مراد على أسنانه مزمجرا بوحشة :

- اقسم أن نهايته ستكون على يدي حتى لو كان آخر شيئا افعله بحياتي ، سأذيقه العذاب

حتى يصبح موته رفاهية ، سأجده و اقتله لو اختبأ في قعر الجحيم حيث المكان الطبيعي لأمثاله من الشياطين أشباه البشر ..

حاول شاهين جذبه من تلك الدوامة قبل أن تبتلعه كليا مرددا :

- السؤال هو منذ متى توصل إليها و لما جلبها إلى هذا المكان ؟ كان باستطاعته قتلها دون مشقة نقلها فهو ليس بحاجة للتخفي ، ما هو الدافع خلف ذلك العرض ؟!

لم يجد أي استجابة من الآخر الذي قطب حاجبيه بغرابة كأنه لم يستمع لحرف مما تفوه به فاخرج هاتفه قائلا :

- سأستدعي الفريق للاهتمام بالأمر ..

أوقفه إشارة من كف مراد الذي نطق قائلا بجمود :

- انتظـر ..

ثم انحنى عليها بملامح هجرها التعبير و كشف الغطاء البلاستيكي عن نصفها الأسفل ، تحديدا فوق ساقها المنثنية باحثا عن غايته بعيون ملأتها اللهفة و ما لبث أن أعاده و استقام بنظرة مغايرة قبل أن يصرح بنبرة تموج بانفعالات شتى يجاهد في كبتها :

- إنها ليست هي ، ليست جيّـدا ..

رفع شاهين حاجبيه تعجبا من ذلك التصريح الذي كان بعيـدا كليا عن توقعاته و لم يعرف هل هي محاولة منه لإنكار ما يحدث أم لديه أسبابا حقيقية لهذه الفرضية المفاجأة فردد قائلا بهدوء :

- حسـنا بإمكاننا إجراء فحص الحمض النووي و ....

قاطعه مراد بصرامة حاسمة :

- لسنا بحاجة لذلك ، أنا اعرف ما أقوله هذه الجثة تشبهها و تحمل مقتنياتها فقط ، جيّـدا في مكان آخـر ..

البريق المنطلق من عينيه التي عادت للحياة و تألقت عزما جعل شاهين يطرد الشك و ينتقل لبحث الأمر من هذا المنطلق الجديد قائلا :

- إذا كان افتعل كل ذلك لإقناعنا بوفاتها فهذا يعني شيئا واحد مراد ، و هو أكثر خطـورة ..

أومأ بملامح لونها العزم الشرس :

- اجـل ، الحقيـر يريدها معه لغرض ما في نفسه و يسبق بعدة خطوات لذا سأتحرك على الفور و أنت تابع هذا الأمر دون إعلان حقيقة شخصيتها

على الأقل نضمن خروج المنظمة من الصراع و بقائهم بعيدا طالما يوقنون انه تم التخلص من الشاهدة ..

خطا معترضا طريقه هاتفا بإصرار :

- بل سآتي معك ، مراد لطالما كنا فريقا واحد و أنا لن أتخلى عن أخي الآن (مد كفه و تابع برجولة) هيا يا رجل هناك وغدا مريض اختطف زوجتك و لا يوجد وقت للحماقة ..

انقشعت الغيمة التي عكرت أجواء الصداقة عندما لانت ملامحه و شد على كفه بمودة قائلا :

- لا بأس لكني لست نادم على لكمك ..

اخرج هاتفها من الحقيبة ثم أعادها بجوار الجثة و تحرك مبتعدا ليباشر بتفحصه لكن أعاده صوت شاهين الذي ردد :

- و الوشاح أيضا مراد ، يجب أن تتركه فهو يعد من الأدلة ..

أطبق قبضته عليه و رفعه ليضمه إلى قلبه دون إرادة قائلا برفض :

- لا ، انه يخصها و سيظل معي ، تلك الدماء لها و تحمل رائحتها كما أنها كانت تحبه

أشار بكفيه بانعدام حيلة فهو يعرفه عندما يصر على شيء لا يتراجع بينما عاد محتضن الشال للبحث في سجل المكالمات ليجد اتصال عمها يتبعه آخر و لا شيء غيره فعلم أين يجد بداية الخيط ..

تحركت السيارة و صرير إطاراتها يهتك صمت المنطقة بينما شاهين يبلغ صالح بكل ما حدث ليتولى عنهم القيام بما يلزم في هذه الحالات مظهرا المشهد كما يريد للآخرين أن يروه فالوغد نفسه عليه الاطمئنان أنهم لم يكشفوا خدعة التبديل ليتحرك بحرية و يترك الحذر ....

❖❖❖

سأله صالح باهتمام :

- هل جردها من الخاتم أيضا ؟

رد مراد بجمود :

- لم أره بحوزة الجثة لكن هذا لا يعني انه معها ..

تابع صالح بمهنية واثقة :

- لا يوجد ما يدعوه للريبة بشأنه فالجهاز جزء من هيكله ، كما انه ذو فاعلية اكبر من القلادة و السوار لهذا تعمدت أن تحمل الثلاثة معا بوقت واحد كوسيلة لغض الطرف عنه ، لنأمل أنها ترتديه و لم تتركه خلفها ..

❖❖❖

انهمرت دموع نرفين بغزارة بينما وضعت والدتها كفها فوق قلبها عند سماعها صوت ابنتها المشبع بالنحيب :

- كيف اختطفها مراد ؟! لا ريب انه قتلها ، أنت بنفسك ذكرت أن هؤلاء الأشخاص لا يعرفون الرحمة ..

وصلها صوته عبر الهاتف محاولا تهدئتها :

- لا لم يفعل ، جيّدا على قيد الحياة و سوف أصل إليها بإذن الله ، أريد منك أي معلومة حول سفر عمها المفاجئ ، أي شيء نرفين ..

ردت بحيرة و ذهنها مشوش :

- و هل غادر العم طاهر ؟! لا يوجد لدي أدنى فكرة عن ذلك ، ماذا يحدث ؟ لم اعد افهم شيء ..

أغمض عينيه زافرا إحباطه :

- حسنا حبيبتي اطمئني ، لا تقدمي على أي تصرف حتى عودتي ..

وضعت الهاتف من يدها لتواجه نظرات والدتها المستفسرة فأخبرتها بما علمته من شقيقها لتجزع المرآة و ينطلق لسانها بسيل من الدعوات الحامية للفتاة و الباحثين عنها على حد السواء ثم التفتت لابنتها قائلة :

- دعينا نسأل ناريمان ، ربما لديها فكرة عن سبب سفر عمها ....

كان وقع الأمر أكثر سلبية على والدة شاهين التي أنهت اتصالها مع زينب بذهن مشتت ، إذن هو لم يغادر المشفى فقط بل الدولة بأكملها ! ما الذي فعلته ليتعمد الفظاظة معها بهذا الشكل ؟! الم يتخطيا تلك المرحلة ! و لما تسكنها هذه الغصة الأليمة الآن ؟ فهي لم تعرفه سوى بضعة أيام أمضت اغلبها بالنزاع معه !

تعقلي ناريمان و انسي هذا الأمر برمته ، لقد أردت سرقة بعض الوقت على غفلة من الزمن لكن هذا لا يجوز ، مضى قطار العمر و وصل لمرحلة الركود ، من الأفضل انه ذهب لتتوقف الحماقة عند هذا الحد ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

أعاد شاهين استجواب سائق الأجرة للمرة الثانية منحيا مراد الذي دأب على فقدان أعصابه كلما سأل الرجل و لم يستطع إفادته بجواب حاسم ..

لقد تتبعا مسار العم طاهر دون أن يتوصلا لسبب قراره المفاجئ و هل له علاقة باختفاء جيّدا أم لا !

لكن موظف استقبال الفندق ذكر ما حدث أمامه و عن طريقه توصلا للسائق الذي اقله للمطار مع الفتاة تبعا لأوصاف الرجل التي تنطبق عليها و ما جعل شاهين يودع أي شك في اكتشاف مراد الذي رفض إخباره عن كيفيه توصله للفرق بين الفتاتين بهذه الثقة قوله بأنها كانت مرتدية سروال بينما القتيلة ارتدت ثوبا و جيّدا لم تعد للمنزل بعد خروجها منه .. النقطة الأكثر أهمية التي حاول التركيز عليها هي أوصاف ذلك الرجل الذي أمره بالانصراف و هذا ما أصاب مراد بالجنون ، لقد عجز عن منحهم أي معلومة مفيدة سوى انه كان يرتدي كنزة صوفية سوداء و سروال مماثل أما ملامحه فاختفت خلف لحية كثيفة و قبعة ..

- حسنا ماذا عن طريقته في الحديث ؟ هل شابها شيئا لافت للنظر ؟ لكنة أو ما شابه

فكر الرجل لبعض الوقت قائلا :

- لا ، تحدث بتركية سليمة و كان صوته حاد و خافت ..

عاد شاهين يسأله بصبر و هدوء :

- ماذا قال تحديدا ؟

أشار بكفه مكررا :

- كما ذكرت من قبل ، أمرني بالانصراف لأنه من سيقل السيدة ..

- و هل غادرت مباشرة ؟

- اجل لما انتظر طالما لم يعد لدي عمل لكن .. اعتدل مراد بلهفة بينما سيطر شاهين على صوته حتى لا يربك الرجل سائلا :

- ماذا ؟ أي شيء قد يبدو لك تافها أو بلا أهميه اخبرنا إياه ..

تابع السائق قائلا :

- عندما حركت السيارة لمسافة قصيرة وجدت الطريق مغلقا فأخذت المنحنى العائد بحثا عن مخرجا آخر عندها رأيته يدلف لسيارته ، لفتت انتباهي لفخامتها فقد بدت أشبه بشاحنة مرتفعة ..

سأل مراد باهتمام :

- الم تلاحظ رقمها ؟ علامة مميزة ؟ الماركة ، أي شيء ..

حرك الرجل كتفيه بلا حيلة قائلا :

- لقد كان الوقت مساءا و حل الظلام و أنا أقود ، إنها سيارة ضخمة سوداء مقدمتها مدعمة بالفولاذ للوقاية من الصدمات و هذا كل شيء ..

أعاد مراد خصلات شعره للوراء بعنف في حين أنهى شاهين اخذ إفادة الرجل و تركه يغادر ثم طلب من نقاط التفتيش إخباره أي معلومة عن مرور سيارة تحمل تلك المواصفات بالفترة التي حددها ..

تركه يواصل تحرياته و ذهب إلى منزل والديه تحديدا لغرفة جيّدا حيث استعرض محتويات الخزانة بعين خبيرة حتى عثر على ضالته ..

انتزع الثوب المشابه لما ارتدته القتيلة عن المشجب و هتف مناديا شقيقته التي جاءت راكضة :

- مـاذا مراد ؟ وجدت شيئا !

أشار بالرداء قائلا :

- تذكري نريڤ ، من أين ابتاعت هذا الثوب ؟

تأملته مليا قبل أن تلمع عيونها هاتفة باسم المتجر الذي تسوقتا فيه معا ذلك اليوم بعد مقابلة مالك الجاليري ..

أخذه معه و تحرك مسرعا إلى الخارج ...

❖❖❖

داخل المتجر وجد شاهين بانتظاره حيث استجوبا جميع العاملين حول عدد القطع التي تم بيعها من هذا التصميم بشكل بدا عفوي لعدم لفت الأنظار ..

لحسن الحظ لم يكن العدد كبيرا ، تقدمت إحدى العاملات الشابات التي تعرفت على الثوب قائلة :

- اجل اذكر تلك القطعة ، لقد حضر رجل و طلبها بعينها ، كان يحمل صورة لفتاة ترتدي مثله قائلا انه يريد الثوب نفسه ..

سألها شاهين بعيونه الليزرية الثاقبة :

- كيف كان يبدو شكله ؟

شردت لوهلة قبل أن تردد :

- اممم اسمر و ذو لحية و شارب كثين و يرتدي عوينات طبية

- متى كان ذلك تحديدا ؟

- منذ يومين ..

أكمل مراد عنه قائلا :

- أين دفاتر تسجيل المبيعات ، لا ريب أن هناك بيان يحمل تفاصيل العملية ..

ردد شاهين باهتمام :

- نعم بالتأكيد بيانات بطاقة الائتمان موجودة .. راجع موظف الخزينة مبيعات ذلك اليوم على الحاسوب برفقة الشابين حتى أشار مراد لنقطة بعينها قائلا :

- ها هي ..

اتبع شاهين بالقول :

- لقد ابتاع عدة قطع ليس الثوب فقط لكن ....

غمغم مراد بإحباط :

- تم السداد نقدا ..

بادله نظرة أوشت بما يعتمل في داخلهما ، لقد كانا يبحثان عن إبرة وسط مدينة من القش ...

نهاية الفصل

دمعات القمر

القطرة العشرون

ضرب ادهم قبضته على سطح المكتب بعنف مكبوت ، لم يدرك أن تنفيذ تعهده سيكون بهذه الصعوبة ..

لقد مرت خمسة أيام كاملة دون أن يرى زوجته التي التصقت بوالدها منذ عودته و بالكاد ترد على اتصالاته متعللة بحاجته إليها مع إصابة ساقه و لم يكن طاهر أفضل فقد بالغ في مشاركتها كل أوقاته رغم سماح الطبيب الذي عاينه بعودته للعمل ، كان يجد فيها ملاذا آمن من الانجراف خلف أفكار جديدة عليه جاهد في وأدها بعيدا داخل نفسه فكلما ابتعدت و تركته وحيدا يحتل وجه ناريمان مخيلته و يتذكر أحاديثها التي لا تعرف الملل بل تفيض بالحيوية و المرح ، حتى شجاراتهما بات يفتقدها شاعرا بالتوق و ذلك أصابه بالرعب و جعله يتشبث أكثر بوجود الفتاة معه طيلة الوقت كوسيلة الهاء ! في الوقت نفسه مرت تلك الفترة على آخرين أطول من الدهر ..

لم يتوقف مراد و شاهين عن تتبع الأدلة و مسارات البحث دون كلل بل الفريق بأكمله عمل بتناغم حتى لم يعد احدهم يتذكر مرادفا للحالة الإنسانية التي يطلق عليها لفظ (النوم) لكن دائما كان يحدث ما يعوق ترابط خيوط الأدلة من أن تفضي لمكان محدد ..

كأنه شبح يطفو دون أن يترك آثارا خلفه و إن وجدت تكون مطموسة ناقصة و ذلك جعل مراد يعبر حافة الغليان و يتخطاها لما هو أسوء و أصبح الجميع يتجنب التعامل المباشر معه قدر الإمكان

❖❖❖

دلفت نرفين شاحبة الوجه إلى غرفة مكتب والدها حيث يجتمع مع الشابين لدراسة آخر المستجدات قائلة :

- لقد أرسلت البريد الالكتروني المعتاد لسُلاف ، لكن إلى متى سأتذرع لها بعطل الشبكات و عدم القدرة على الاتصال المباشر ! أخشى أن تشك في الأمر ..

دمدم مراد بنبرة جامدة :

- لن يطول الوقت و سنجدها نري في تبادلك الرسائل معها باسم جيّدا سيبعد القلق عنهم هذه الفترة ..

تحركت أقدام شاهين تجاهها دون إرادة منه كأنه يمنحها دعمه و حنانه لمجرد وقوفه بالقرب منها ..

رفعت عيونها المغرورقة بالدمع إليه لتعانقها

نظراته الدافئة حاملة بطياتها رسالة تخبرها أن لا تقلق و قد أحسنت استقبالها ..

دق عثمان بطرف قلمه على سطح المكتب قائلا :

- ألا يمكن أن يكون اصطحبها إلى خارج البلاد عبر الحدود ثم بعدها إلى أي مكان بعيد ؟

حرك شاهين رأسه نافيا قبل أن يجيب قائلا :

- لقد وزعنا صورتها بشكل سري على كافة المخارج و راجعنا كشوف المغادرين وقت اختفائها و كانت النتيجة سلبية ، إنها لا زالت بمكان ما هنـا ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

داخل كوخ خشبي منعزل يقبع بين الغابات احتلت الجميلة النائمة إحدى غرفتيه ممددة على فراش صغير و قد حرص جاك منذ جلبها إليه على جعلها في حالة من الثبات حتى تصبح جاهزة لرؤيته دون بناء حاجز دفاعي ضده ..

اقترب كعادته اليومية حاملا الجرعة المعتادة من العقار الغامض ثم رفع رأسها قليلا ليدفع قرصا داخل فمها أتبعه بجرعة من الماء ..

بعدها تفقد جرح معصمها و تأكد من انتهاء عبوة المغذي المتصل بوريدها قبل أن يزيله نهائيا فقد حان الوقت ليكف عن حقنها به مع المخدر فلم يعد لديه صبرا للانتظار أكثر

لقد تناولت الأقراص بانتظام لخمسة أيام كاملة و هي فترة كافية لتتقبل روايته دون فزعا منه ..

ثبت عينيه عليها متفحصا كأنه يريد معرفة ماذا يوجد بها ليفعل كل ذلك لأجلها !

مرر ظهر سبابته على وجنتها المخملية بتملك غريب لم يشعره تجاه امرأة من قبل رغم تعدد علاقاته ! ثم جال ببصره عليها ليسقط فوق بنصرها الذي يحمل خاتمه بعد أن قام بإزالة الآخر و ألقاه بإهمال داخل احد الأدراج ناسيا كل شيء عنه ، فلا يجب أن تقتني شيئا لا يخصه منذ الآن و صاعـدا ..

لمحة لساعة يده ذكرته بموعده الخاص بالعمل ، شملها بنظرة إضافية قبل أن ينهض مغادرا في سيارة رياضية بيضاء ..

❖❖❖

مضت الساعات دون حساب بذلك المكان النائي البعيد عن العمران ليحل الظلام مغيبا معالم الموجودات ، راخيا ثوب الرهبة و الصمت الموغل في الوحشة ..

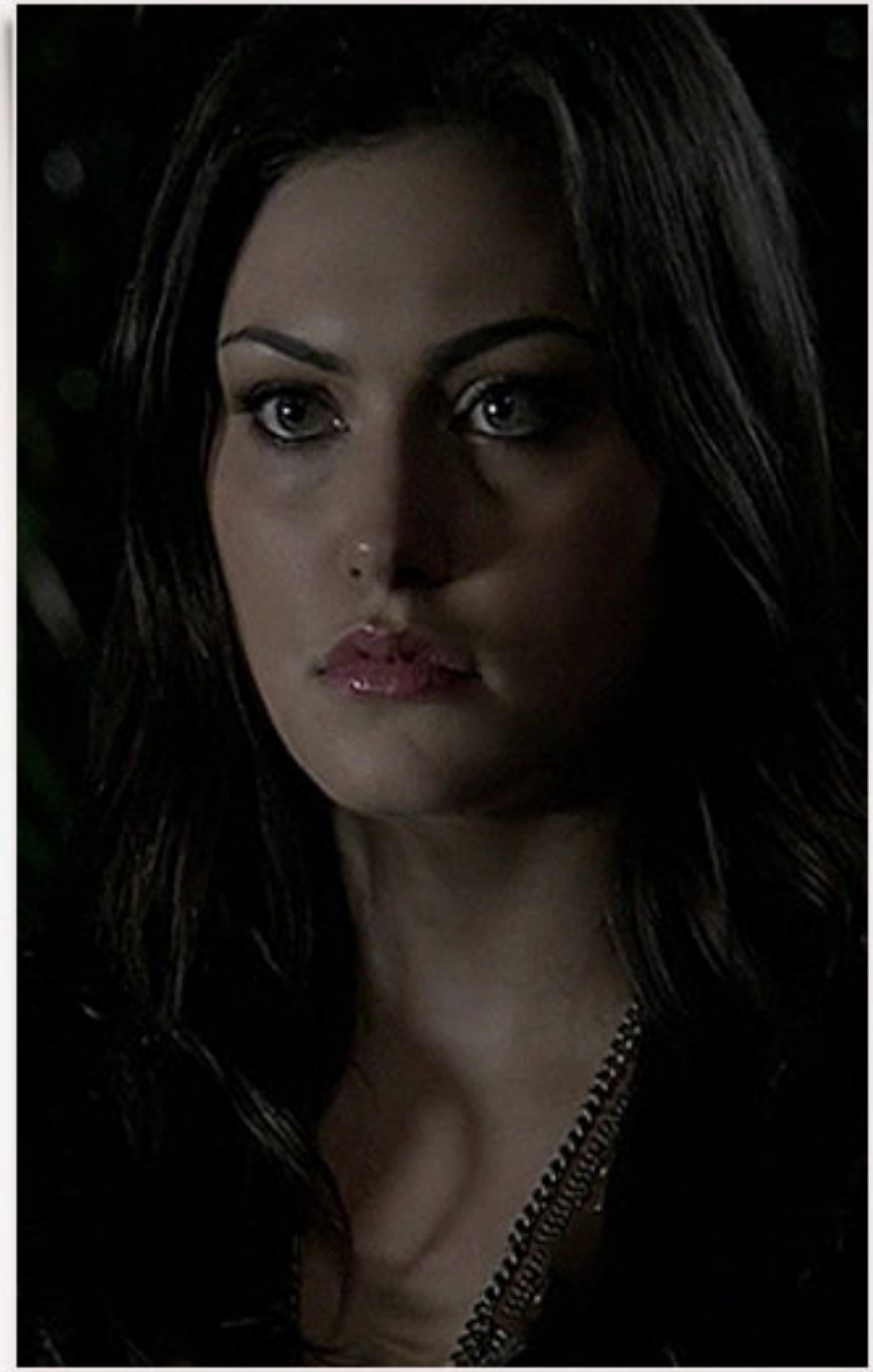

تململت جيّدا شاعرة بثقل يلف كل أطرافها حتى لسانها فشل بالتحرك و مساعدتها في ابتلاع ريقها لترطيب حلقها الجاف كالصحراء ..
رفرفت أهدابها الكثيفة لتتمكن من فتح عيونها بجهد بالغ ثم تتطلع حولها مستطلعة محيطها بغرابة !
عندها حاولت النهوض بسرعة لتفشل في الاستقامة شاعرة برأسها طافية على نحو عجيب ! أشبه بمن دار مع الافعوانية بسرعتها لقصوى لفترة طويلة ثم توقفت به فجأة ليشعر بانعدام وزن و الأرض غير ثابتة أسفل قدميه !
تحاملت على الوهن الذي يكبل جسدها و خرجت من ذلك الفراش الذي لا تعرفه ثم وقفت بصعوبة تحدق به طويلا دون فهم حقيقي فعقلها يعمه الارتباك و التشويش مع عجز كامل عن ترتيب الأفكار التي تصخب داخله !
رفعت كفها تسد فمها بقوة عندما ماجت معدتها بغثيان قوي كأن هناك شيء دخيل و جسدها يجاهد للفظه خارجا ..
حركت ساقيها الرخوتين تجاه احد البابين المحتلان الغرفة لتجد خلفه حمام صغير كادت تطلق صرخات الفرح لعثورها عليه ،

و هناك تركت لمعدتها العنان لتنقبض بشكل مؤلم نتيجة خلوها لكنها تصر على إعلان رفضها لما تحتويه حتى كادت تلفظ أنفاسها من قوة اعتصارها الذي سيطر عليها إلى حد الاختناق ..

أخيرا شطفت وجهها بالماء المثلج الذي ساعدها على الخروج نوعا ما من تلك الحالة الغريبة ! عادت أدراجها للغرفة و عقلها يعيد تساؤلاته ، ما هذا المكان ؟ و لما هي فيه ! بل من هي أساسا ؟! مهلا قليل من التركيز لتخرج من تأثير هذا الدوار العنيف ، إنها جيّدا ، اجل هي جيداء ، بقي الشق الآخر من السؤال ، ماذا تفعل هنا ؟! يا الله هل تناولت الكحول كما اخبرها ؟!! مسدت رأسها بأطراف أناملها لكن من هو الذي اخبرها ذلك و حذرها من قبل ؟!

إنها تذكر عينيان صارمتان لكن يسكنهما نهر من الدفء و الحنان ، تبا من يكون ؟! و لما هي مشوشة لهذه الدرجة ؟!

تأوهت بصوت مسموع شاعرة بصداع قاتل و معدتها تؤلمها بشدة و هناك حريقا مندلعا بها .. كما اكتشفت أن معصمها يغطيه لاصقا طبي تجهل سبب وجوده ..

سقطت عيونها على الخارج عبر النافذة الزجاجية المغلقة بإحكام لتقابل الخواء و ما يبدو مساحة شاسعة من الغطاء النباتي غير محددة المعالم ، أظهرها ضوء القمر الشاحب الذي علقت بصرها به ترجوه عدم الذهاب تاركا خلفه ظلمة دامسة ..

لوهلة ارتجف قلبها بجذع غريب ، إنها تخشى شيئا لا تعرفه ، لطالما أخافها الظلام و لكن الشعور يكون أكثر رعبا عندما تتشكل تلك الغيمة السوداء و تلفها من الداخل ..

دارت بنظراتها في المكان باحثة عن أي شيء مألوف ، أين إغراضها ؟ الهاتف و الحقيبة و غيرهما ....

طردت الضعف الذي يوهن عضلاتها و اتجهت نحو الخزانة الوحيدة بالغرفة تفتش أركانها ، هذه ملابسها لقد تعرفت عليها ..

هرعت أناملها تفتح الأدراج الجانبية بلهفة لعل هاتفها النقال يقبع داخل أيا منهم ..

لم تجد شيئا مفيد في الأول و لا الثاني ، مجرد تفاهات لكن يبدو أن حظ الدرج الثالث كان أفضل فقد عثرت داخله على خاتم و محبس

ذهبي صمما بشكل أزهار ، مجرد رؤيتهما حفز عقلها على استحضار عبارة تقول
(إنها تعكس روحك المحبة للطبيعة ..)
نعم هي تحب الأزهار فهل هما لها ؟ كانت تشعر بذلك دون سبب ..
سمعت صوت باب يفتح و يغلق في الخارج ثم نقر خطوات يقترب فجفلت مبتعدة بينما دست اكتشافها الثمين داخل جيب سروالها ..
وقفت مستندة على مقدمة الفراش العتيق دون إبداء أي انفعال سوى الترقب ..
تحرك باب غرفتها إلى الداخل دون استئذان و دلف منه رجل أشقر يمتلك عيونا ثعبانية المظهر أصابت داخلها بالانقباض رغم وسامته الواضحة مع بشرته الشاحبة ..
انطلق وميض أحداقه يلسعها بنظرته ثم انفرجت شفتيه عن ابتسامة جانبية بينما يخطو تجاهها ببساطة كمن اعتاد فعل ذلك طيلة الوقت قائلا بعربية سليمة شابتها البشاشة :
- أخيرا استيقظتِ ! مرحبا حبي ..
ثم مال بعفوية أحبطها تحركها المفاجئ ليعانق الهواء في حين بادرت هي بسؤاله خافية توترها المندهش :

- من أنت ؟!!
ادعى الحيرة قبل أن يجيب ببساطة :
- أنا زوجك جيّدا (ثم اتبع بنظرة تنضح خبثا) ألا تذكرينني ؟!

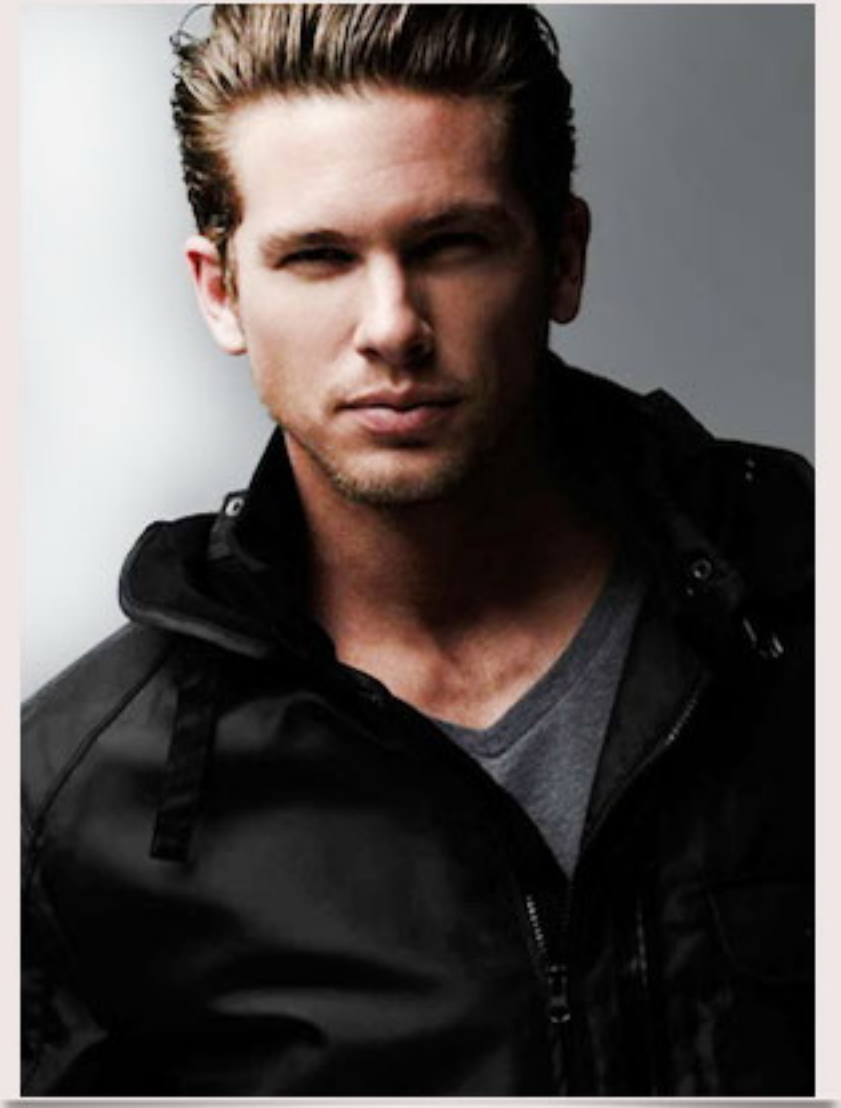

أطالت النظر به كأنها تبحث عن شيء تعرفه ، كان بالفعل مألوفا لعيونها ، بالتأكيد رأته من قبل ، تساءل عقلها المرتبك بذهول للمرة الألف متى تزوجت ؟! الم تكن في رحلة سياحية بدلا عن سُلاف !

حركت رأسها نافية بحيرة بينما أجلت حنجرتها قائلة :

- بلى ، كيف ؟ مـ مـ ماذا حدث ؟ و لما نحن في هذا المكان ؟

تناول كفها بين راحتيه مما أشعرها برجفة رفض تلقائية و نفرت خلاياها من قربه لكنه لم يلاحظ قائلا بلطف :

- لأننا في رحلة خلوية حبيبتي ، أنت تحبين القيام بذلك بغرض رسم المناظر و قد انزلقت و صدمت رأسك ، لا بد أن هذا هو سبب شعورك الحالي ، ألا تذكرين اسمك مثلا ؟

رفعت كفها إلى رأسها كأنها تستكشف ما حل به قائلة :

- بل اعرفه ، اسمي جيداء و اذكر عائلتي لكني لا أتذكرك أنت ، و لا مسألة الزواج !

فكرت إنها فعلا تقوم بالرسم لكن لما تشعر بالضياع كأنها عالقة وسط ضباب كثيف تحاول اختراقه دون فائدة !

عادت تسأله قائلة بريبة :

- هل لديك دليلا على قولك ؟

حرك كتفيه مرددا ببساطة :

- بالطبع أوراق الزواج ليست معنا هنا لكن خاتمي في إصبعك و يحمل اسمي ..

رفعت كفها أمام عيونها بحركة سريعة لتفاجئ بوجود ذلك الشيء المعدني البارد يلف بنصرها اليسار باستحواذ ، خاتم من البلاتين تجلس على قمته ماسة كبيرة مخروطية الشكل ، بدا باهظ الثمن لكنها لم تحبه ! لم يقتنع عقلها أنها اختارت ذلك الغرض المكلف باستفزاز ..

سحبته إلى الخارج بلهفة كأنها ترغب في فك قيده عنها و نظرت داخله بإمعان "يوسف" ! من يوسف هذا ؟

لا أبدا ، مستحيل ، هذا الاسم بعيد عنها كليا و لا يشعرها بشيء !

تناوله من يدها و أعاده لإصبعها بحزم ثم تابع حديثه برقة مفتعلة :

- لا بأس عزيزتي لا ترهقي نفسك ، استلقي بالفراش حتى اعد لك وجبة خفيفة لتتناولي الجرعة المسائية من دوائك ، سيجعلك أكثر راحة ..

رفعت عيونها الساحرة تسأله بحيرة سكنتهما طويلا :

- أي دواء ؟

امسك ذقنها بسبابته و الإبهام قبل أن يجيب طبيعية :

- الذي وصفه الطبيب حياتي ..

رددت بينما تتراجع للخلف بعيدا عن لمساته :

- و من أين جاء الطبيب ؟!

زفر بهدوء و أجاب بصبر :

- كان من البديهي أن أحملك إليه في السيارة بعد أن صدمتِ رأسك و غبت عن الوعي ، الآن يكفي هذا القدر من الحديث و اخلدي للراحة حتى يعود عقلك للعمل أسرع ، لا ريب انك جائعة سأجلب لك الطعام ..

أشارت نافية :

- لا ، معدتي تؤلمني ، ارغب بشرب شيئا دافئا ، رجاء ..

أومأ بابتسامة خافتة :

- حسنا ، طلباتك أوامر أميرتي ليس عليك سوى التمني ..

و تراجع للخلف دون أن يحيد ببصره عنها حتى وصل للباب الذي اضطره للاستدارة و تركها بمفردها أخيرا ..

أطلقت العنان لأنفاسها و هدير أفكارها يتدافع بصخب ، قد يكون محقا و إذا أرخت أعصابها يذهب عنها ذلك الشعور المريع الذي يقودها للجنون ، لكن مهلا عيناه !! إنها مختلفة عن العيون التي تراءت لها ! لمن الأخرى إذن ؟ و لما تذكرها بهذا الإلحاح !

حركت رأسها بيأس عاجز ثم عادت للخزانة و أخرجت بعض الملابس متجهة للحمام ، ستفعل أي شيء يعيد إليها اتزانها ..

لم تستغرق وقتا طويل لكن تبديل ثيابها جعلها أكثر انتعاشا ، لا تريد أن تبدو مهووسة بالشك لكنها استشعرت بعض الغرابة في هذه الملابس ! اجل تعرفها لكن بنفس الوقت لا تبدو نفسها ! يا الله إنها تندفع بخطى ثابتة نحو فقدان صوابها ..

تبا أين الهاتف ؟ عليها الاتصال بسُلاف الآن ..
دخل بهذه اللحظة حاملا قدح خزفي يتصاعد منه البخار ، تجاهلت كفه الممتدة به و عيونه السارحة عليها بافتتان قائلة :
- أين هاتفي و حاسوبي ؟
رد ببساطة :
- سأبحث عن مكان ما تركتهم آخر مرة ، لكن لماذا ؟
كتفت ساعديها أمام صدرها لا تدري ما الذي يحثها على اتخاذ ذلك الأسلوب الدفاعي معه ؟
- أريد الاتصال بوالداي ..
سحبها من كفها يجلسها على طرف الفراش محتلا جانبها :
- حبي أنت متعجلة بعض الشيء سيصيبهم القلق دون داعي خاصة أن العم طاهر لم يكد يغادر من هنا ؟
انتفضت واقفة دون دوار هذه المرة هاتفة :
- عمي ! تقصد انه كان هنا ! لماذا ؟
ابتسم مرددا بنعومة :
- جاء لزيارتنا و بقي بعض الوقت برفقتنا ثم عاد للوطن ..

قطبت حاجبيها سائلة بغرابة :
- هل نعيش بهذا البلد ؟!!
أومأ بالإيجاب فتابعت بدهشة متعاظمة :
- لكني هنا في رحلة ، مجرد إجازة فقط و لم أتزوج !!
وقف ليصبح بمواجهتها قائلا باهتمام :
- اهدئي جيّدا ، هذا التوتر ليس جيد لأجلك حبيبتي ، اجل أنت محقة لكن ذلك كان قبل أن نلتقي و نتحاب ثم نتزوج ..
التقت أعينهما بنظرة طويلة جعلت قلبها يقفز من مكانه رافعا رايات العصيان و هاتفا بعنف :
كلا إنها ليست هي ، هذه العينان باردة مثل الخاتم الذي ترتديه و لا يمكن أن يكونا لها لكن مع ذلك تعرفه و من الواضح انه يعلم كل شيء عنها و حتى عائلتها ، ساعدني يا الهي ..
أصابها الإعياء جراء هذا النقاش الذي زادها حيرة بدلا من إزاحة اللثام عن الأحداث الغائبة ، انه صادق لقد رأت الآن ومضات تؤكد وجود عمها بالفعل لكن لأي سبب لا تستطيع التركيز ؟
كأن كل فكرة تسبح مبتعدة عن ترتيبها المنطقي ..

زفرت قائلة بضعف :

- حسـنا اعتذر ، سأحاول النوم لبعض الوقت لعله يفيد ..

وضع القدح في يدها و نهض ليخرج زجاجة صغيرة من جيبه تناول منها قرصا ابيض اللون قربه منها قائلا :

- افتحي فمك لقد حل موعد دوائك ، سيجعلك تنامين بهدوء و يريح ذهنك المتعب من كل ما يربكه ..

لم يمهلها فرصة للاعتراض لأنه دفعه بين شفتيها و التفت يصب بعض الماء داخل الكأس المجاور ..

تصاعدت حدة الغثيان من جديد فانتهزت الفرصة و لفظته من فمها سريعا قبل أن يستدير باسمها و يقرب الكأس من ثغرها ..

تجرعت منه رشفة باستسلام و بحركة خاطفة أسقطت القرص داخل جيبها مما ذكرها بالخاتم الذي نقلته إليه عندما أبدلت ملابسها فأرادت سؤاله عنه لكن شيئا ما منعها فأطبقت شفتيها بحزم ، لتكتشف انه يحدق بها بنظرة غريبة ثم اتبع ذلك باقترابه منها على نحو خطر عدما أحاطها بذراعيه محاولا جذبها تجاهه بينما عينيه تعكسان رغبته في اجتياح شفتيها ، استخدمت كفيها كسد مانع و دفعته عنها قائلة بثبات لاهث :

- مـاذا تفعل ؟ ابتعد في الحـال !

ردد بنبرة غامضة :

- أنا زوجك جيّـدا و دائما كنت موضع ترحيب ..

اتسعت عيونها بعدم تصديق فقالت بنبرة حملت توسلها :

- رجـاء انتظر حتى يذهب التشوش الذي أعاني منه أولا ..

عض على نواجذه في محاولة لإخفاء غضبه المتصاعد بخطورة و حررها متراجعا بظهره ليصبح شبه مستلقي على وسادتها ثم فرد ذراعه قائلا :

- حسـنا ، تعالي إلى هنا ، سأساعدك على الاسترخاء ، أنت تحبين ذلك ..

تراجعت بعيـدا عن الفراش مجفلة و رددت بذعر جلي :

- كـلا ، اقصد لا داعي ، أريد البقاء وحدي ، أرجـوك ..

ازدادت حدة ثورته لكن نظرتها البريئة لمست داخله بشكل لم يعتاد عليه فأراد تجربة هذا الإحساس الجديد على سبيل التسلية ، الحمقاء لا تدرك انه قادرا على أخذها عنوة وقتما يشاء لكنه يريدها بين ذراعيه راغبة ، راضية ..

نهض عن الفراش بكسل و استقام أمامها قائلا بخفوت :

- لا بأس ، لك ذلك حلوتي ، إذا رغبت بشيء سأكون في الغرفة المجاورة ..

أومأت بلهفة فلو بإمكانها لدفعته للخارج صارخة ، لكنها لا تريد استفزازه بينما عليها فهم الكثير من الأمور المختلطة ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

انتهزت نرفين فرصة تفرغ شاهين بعضا من الوقت و اتصاله بها لإفراغ انفعالها المكبوت منذ اختفاء صديقتها ..

رددت بنبرة مختنقة بغصة البكاء :

- أنا خائفة شاهين ، لا استطيع إيقاف سيل التصورات البشعة التي تراودني بشأنها ، كل هذا الوقت وحدها تماما ! كيف لها أن تصمد ؟!

رد بدمدمة رجولية أخاذة :

- معها الله نرفي ، بدعوات الجميع هي ليست وحدها أبدا ، تفاءلي بالخير حبيبتي الجميع بالمقر يبذل جهده للوصول إليها في أسرع وقت ، لا تبكي رجاء اعلم كم صرتما مقربتين ..

جففت عيونها و انفها بطريقة طفولية قائلة بخفوت :

- كم يريحني الحديث معك ، كأنك تدفع شحنات من الطاقة الايجابية داخلي ، شكرا لك شاهين أدرك كم أنت منشغل لكني لا أجرؤ على الحديث مع مراد ، انه بحالة رهيبة لا يأكل أو ينام يعمل بشكل متواصل فقط ، لم أتخيل انه يحبها لهذه الدرجة ..

ردد بتفهم و تقدير :

- كان الله بعونه فما يتحمله لا يقدر عليه الكثيرين ، سأتغاضى عن شكرك الأحمق الآن المهم أنت أيضا عليك دورا هام في تغطية غيابها عن عائلتها حبي ، تصرفي بشكل طبيعي لكن بحذر ، حظنا جيد أن حاسوبها بحوزتك و حساباتها مفتوحة ..

ردت قائلة باستياء :

- رغم كوني استنكر اطلاعي على بريدها

الخاص و الرد باسمها لكن بالطبع سأفعل ، المهم أن تعود سالمة ..

وصلها صوته الحازم قائلا :

- أعدك بذلك حبيبتي و سنحتفل معها بحفل زفافنا ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

- ماذا تقصد أن أثره اختفى ؟!

زمجر مراد ناهرا فردا من الفريق الذي كلفه بتتبع احد رجال المنظمة قد دخل البلاد بشكل فجائي منذ يومين ، لم يكن مستعدا لترك أدنى هفوة حتى لو لا تمس الأمر لكنه تعلّم أن الخيوط كلها تقود لبعضها شرط التعامل الحذر ..

غمغم زميله قائلا باعتذار :

- لقد كان تحت السيطرة مراد حتى حدث تشويش متعمد جعله ينجح بالفرار مع حرصي على عدم لفت الانتباه ..

عاد الآخر يهدر بصوت أججته النيران التي تنهش صدره دون رحمة قائلا :

- أين فقدت المتابعة تحديدا ؟

أشار لنقطة معينة أعلى الخريطة التي افترشت سطح المكتب بأكمله فتابع مراد :

- سأمشط المنطقة بأسرها مع أول خيط للفجر

رد صالح دارسا الخريطة بشكل عملي :

- إنها مساحة شاسعة مراد سوف تستغرق أياما لفعل ذلك ..

أومأ يوافقه قائلا :

- اجل لكن ليس مع المروحية متخذا مسارا مستقيم نحو العمق ، لا بد من وجود سببا لتواجده في مثل هذا المكان النائي و سوف اعرفه ..

مع وجود جاكوب داخل البلاد في الظروف التي تعلمها يعد إشارة واضحة ..

انضم إليهم شاهين الذي ردد كما لم يفته حرفا مما قيل :

- عندما يتواجد عميل بمثل هذه الأهمية يعني ذلك التخطيط لعملية جديد و مثل هذه المهام لا تؤدى في شريط الغابات بل في قلب المدينة ..

التقت صالح طرف الخيط متابعا :

- إلا إذا كان هدفه اللقاء بشخص يتوارى عن العيون لسبب أو لآخر و مع حقيقة كون شخصية الأبيض مجهولة لدينا فهو غير مضطر لذلك ..

لمعت عينا مراد بالشراسة المطلقة و غمغم بنبرة قاتلة :

- إذن هو يخفي شيئا ثمينا هناك لا يرغب أن يعلم عنه الآخرين ..
تبادل ثلاثتهم نظرة عازمة اتفقت على التلاقي دائما في مكان واحد ..
❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖
انتابتها رغبة ملحة في إغلاق الباب خلفه لكنها لم تجد مفتاحا في القفل للأسف ، كما اشمأزت نفسها من استخدام الفراش عقب استلقاءه عليه ، كيف يعقل أن تشعر هكذا تجاه من يفترض انه زوجها ! هل هي مكرهة عليه ؟
أم لعله يؤذيها ؟
يا لهذا الارتباك البائس ما الذي حل برأسها الغبي ؟! إنها موقنة بعدم النسيان لكن لما تعجز عن استحضار الأفكار ؟ هناك صورا تراها لا تجد لها تعريف منطقي ! أين ذهب الرابط بين الإدراك و الترجمة الفورية لتلك الومضات ؟!
فكري جيّدا ، يوسف ، ما الذي يعنيه لك هذا الاسم ؟
حركت رأسها بيأس ، لا شيء خواء كامل في حين تعرف صاحبه و كلما تعاملت معه و شاهدت تحركاته تتأكد إنها رأته من قبل ، لكن أين و متى ؟!

احتلت المقعد البعيد عن الفراش ، إنها لا تشعر بالنعاس و ذلك عائد لانعدام شعورها بالأمان في هذا المكان ، هذا لا علاقة له بالتركيز المنعدم لكنه إحساس فطري كما هي واثقة من عدم حبها لهذا الرجل كما يدعيّ ، إذن لما يقول ذلك ؟
و كيف يعرف عنها هذه الأمور ؟!
السؤال الأهم هو لمن تلك العيون الباسمة التي لا تفتأ تحتل صفحة وعيها ؟!

اطل عليها وجه القمر من خلف الزجاج فهرعت إليه كمن وجد ملاذا مألوفا بعد طول بحث هامسة بلهفة :
- مرحبا صديقي ، هل اطمع في إيجاد المساعدة لديك يا صاحب الدمعات السعيدة ، هل ترسلهم لإحياء الأرض الآن بينما أنا هنا وحدي ؟
كم أتوق للإحساس بها ، تذوقها ، تنسم أريجها ، أرسل لي قبسا من ضوءك عله يرشدني و ينير دربي أيها القريب البعيد ..
لما يغادرني الارتباك في كل ما يتعلق بالماضي ؟

أي صدمة تفعل ذلك ؟ كما أن رأسي سليما لا يعاني أي كدمة ! لا يوجد غير هذا الجرح الغريب بمعصمي ..

ثم عادت تخفض صوتها لتسر إليه هامسة :

- أنت مثلي لا تثق به ، أليس كذلك ؟ رغم ادعائه اللطف اشعر انه مخيفا للغاية ، يا الهي إن نظراته تخفي الكثير لكني اعرفه ، اقسم أني افعل شكرا لأنك تشاركني وحدتي ، هل يمكنك حمل ندائي إليه ؟ اخبره إنني انتظره ، لا اعرف من يكون لكني انتظر ..!

بهذه اللحظة تسرب لذهنها لحنا ناعما صاحبته كلمات تركية تفيض بالشوق و الغرام ، معانيها تنساب داخل أذنها بنبرة مدغدغة و هناك ذراعان ملتفان حولها بحنان فائض ! حتى ذرات العطر فرضت وجودها على عقلها التائه فرفعت انفها تستنشق عميقا كأنها ستجدها حولها ..

إن حواسها تتذكر أشياء يعجز رأسها عن تفسيرها بعناد غريب !

ابتسم القمر هامسا لما تبكين ؟

فأجبته سارحة : أتأمل ليلك الحزين

تعالت ضحكاته و ربت على كتفي قائلا :

سيأتي فارسك عما قريب و يطير بك لأرض الأحلام فلا تيأسين

نظرت له هامسة بعتاب : لما تأخر إذا هذا اللئيم ! أكاد أموت له اشتياقا و اجن من كثرة الحنين ..

مددت يدي استقبل حباته الندية ليهمس بنغمات فتيه :

سيأتي قلا تملين ..

رفعت رأسي أتأمل نوره و اغسل دمعي الحزين و اردد خلفه :

سيأتي قريبا فلا تيأسين ..

الساحره الصغيره

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

قست قبضته على نسيج الستارة الحريري في وقفته المتطلعة لذلك الوجه المضيء بشكل يذكره بها لتزأر آلامه عاليا بينما تتدفق حمم اللهب داخل أوردته محرقة كل خلاياه بلا هوادة و معها تتأجج رغبته في القتل ..

وجه عتابه للقمر المحتل غياهب الظلمة مرددا بلوعة :

- كيف تتمكن من الأطلال على الأرض في غياب صاحبتك ! أم أن عالمي وحده هو من توقف لذلك !

أين أنت حبيبتي ؟ سأصل إليك حتى لو أخفاكِ في باطن الأرض ، فقط اصمدي لأجلي ، أعدك لن أخذلك و ذلك الحقير نهايته على يدي ..
أزاح عينيه عن القمر ليزرعها على وشاحها المخضب بالدماء الذكية ثم رفعه لأنفه معبئا رئتيه بدفق جديد من الحياة كما دأب أن يفعل كأن أريجها يُسكِن روحه المكلومة ثم يقبله بعمق واضعا به حر زفراته التي فاض بها الشوق متمتما فيه :

- كم احبك زهرتي ، انتظريني جيداء قلبي فانا قادم ....

تعالي أعانق فيك الليالي
فلم يبقى للحن غير الصدى
إذا كنت قد عشت عمري ضلالا
فبين يديك عرفت الهدى
مضى العام منا تعالي نغني
فقبلك عمري ما غردا
وماذا سيفعل قلب جريح
رمته عيونك فاستشهدا
تحب العصافير دفء الغصون
كما يعشق الزهر همس الندى
ولو أن إبليس يوما رآك
لقبل عينيك ثم اهتدى

فاروق جويدة

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

حركت قدرية رأسها بعدم رضا كلي و رددت عاتبة :

- ماذا حدث لك ناري ؟! الم تقرري الإفصاح عن سبب عزوفك عن كل شيء بعد ؟ هل لديك صديقة غيري تحمل معك الهموم ؟

هل عليّ تذكيرك إننا تشاركنا خوض الكثير من المشكلات و نجحنا في تخطيها معا منذ وفاة والد شاهين رحمه الله ، لما تصرين الآن على البقاء وحيدة !

رفعت ناريمان عيونها المطفأة قائلة بخفوت غريب عليها :

- ماذا بك يا امرأة ! هل تفتقدين الشجار لهذه الدرجة ؟! أنا بألف خير أمامك ، قلقه فقط لأجل شاهين الذي نكاد لا نراه لأيام متتالية ..

منحتها نظرة ذات مغزى قائلة :

- متى لم يكن عمله بهذا الشكل عندما ينشغل بقضية ! و مع ذلك لم أرك ذابلة هكذا رغم انك قبل أيام فقط كنت تشبهين الشعلة المتوهجة ! ضحكاتك تملأ الدنيا حولنا فمن أخذها يا ترى ؟

التفتت إليها قائلة بحدة :

- من تقصدين ؟

أجابت بابتسامة عابثة :

- و هل كنت اسأل لو لدي فكرة !

أشاحت بنظرها بعيدا قائلة بغيظ منه و منها و الجميع :

- ابحثي عن شيء مختلف لشغل وقتك قدرية ، لست في مزاج مناسب لتحمل غلاظتك الآن ..

قضت جيّدا ساعات الليل فوق المقعد برفقة حارسها المطل من عليائها رافضة الاقتراب من الفراش الذي مسه ..
أخيرا شق شعاع الضوء وجه الظلمة خالعا ثوب الحداد عن الأرض و معيدا للفتاة بعضا من حيويتها المفقودة ..
تركت مكانها عازمة و اتجهت إلى خارج الغرفة بثبات حيث شملت المحيط بنظرة عابرة ثم تابعت طريقها نحو الباب الخارجي ..
بمجرد أن مست المقبض حتى جمدها صوته الناهر هاتفا :
- إلى أين تظنين نفسك ذاهبة !
قطبت حاجبيها و التفتت إليه قائلة باتهام صريح :
- كيف تكون زوجي و تجهل أبسط و أهم عاداتي !

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

دفعت أماني باب غرفة نوم والدها بكتفها لان يديها مشغولتين بحمل الصينية العامرة بالطعام
- صباح الخير بابا ، ها قد وصل الإفطار ..
استقبلها بابتسامة حمّلها كل ما يعتمل داخله قائلا بحنان :
- أجمل صباح عندما أراك حبيبتي ، إفطار بالفراش ! سأعتاد على الدلال و ارفض العودة للعمل ..
وضعتها أمامه و مالت تقبل وجنته قائلة :
- حان دوري لأدللك سيد طاهر كما فعلت معي طيلة حياتي ..
أحاط كتفيها بذراعه قائلا :
- أنت هي كل حياتي حبيبتي و غايتي الوحيدة أن تكوني سعيدة ..
ظلا على هذا النحو حتى أنهى إفطاره الذي شاركته إياه كما دأبا على فعل كل شيء مؤخرا ..
حملت الصينية للطابق السفلي لتجد الخالة أحلام تستقبلها عاقدة الجبين قائلة :
- لقد تركت هاتفك يصدح بالرنين كالمعتاد (ثم أخفضت صوتها مضيفة) لقد كان زوجك المسكين الذي اهملتيه كليا بشكل لا يرضي احد !
أشارت بكفها هامسة بسرعة :
- اششششش خالتي ، ماذا بك ؟! قد يسمعك بابا و تقع الكارثة ..
لم تهتم السيدة التي تابعت بصراحة :

- أهذا كل ما يعنيكِ ؟! لقد فاض الكيل و لن اصمت أكثر على تصرفاتك معه ....

قاطعتها قائلة بدفاع :

- لكن والدي مصاب و بحاجة للرعاية ، كيف اتركه !

عنفتها بحدة امومية :

- هذا يعد هوسا و ليس اهتمام ، ألا تلاحظين انك تتحولين لنسخة منه ! لقد نسيت أن لديك التزامات أخرى ، منذ عودته لم تفكري في الاتصال بأدهم حتى عندما يتصل هو بالكاد تتحدثين معه !

تصاعد إحساسها بالذنب ليمتزج بشوقها الشديد له لكن رؤية والدها بساقه المجبرة تجعل ضميرها لا يهدأ ..

نكست عيونها مقرة بالاتهام :

- حسنا خالتي سوف اتصل به بعد إيصال القهوة لبابا ..

حركت رأسها قائلة بعزم :

- بل الآن على الفور ، والدك تم فطامه منذ سنوات طويلة لذا كفي عن لعب دور والدته (ثم استدركت بنبرة ماكرة) هناك آخر يائسا لذلك فسارعي قبل أن يبدأ البحث عنه في الخارج و سيجد الكثير من المتلهفات للقيام به ..

قالتها و انسحبت تاركة الأخرى تستوعب مقصدها و ما لبثت أن شهقت بعيون متسعة ، لا لا مستحيل ادهم لن ينظر لغيرها أبدا ..

اتجهت لهاتفها بلهفة و اتصلت به ، تردد الرنين دون أن يصلها صوته الحبيب فأعادت الكرة مره و أخرى و بالنهاية النتيجة واحدة ، لا رد ! ظلت تحدق في صورته المحتلة الشاشة و كثير من الهواجس تتقافز أمامها ..!

على الطرف الآخر عاد ادهم في مقعده للوراء ممسدا جبينه بتفكير عميق ، إنها المرة الأولى منذ غادرته التي تبادر هي بالاتصال بينما يقوم بذلك العديد من المرات كل يوم دون أن يحظى برد لائق بل مجرد عبارات موجزة ..

قراره بعدم الرد ليس عقاب لها بل خشية عليها من استيائه الحالي فحتى و هو غاضب منها يرفض مضايقتها ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

زفر طاهر بحده حانقا من نفسه ، رغم كل ما يفعله و حرصه على البقاء برفقة ابنته طيلة الوقت تقريبا ، حتى العمل هجره ليبتعد عن التفكير لكن صورتها تطارده بعناد ..

نظر للجبيرة محدثا نفسه بقهر : كيف لا يحدث و تذكارها مرافق له ليل نهار ! ربما سبب احتلالها عقله لا يزيد عن إشارة لشعوره بالذنب جراء طريقة مغادرته الغير لائقة ، بل تصل لدرجة الفظاظة و عدم التهذيب ..

عليه حل الأمر و إصلاح خطأه إذن ، عندها سيتركه طيفها يعود لعالمه الآمن دون إزعاج مستمر ..

نفذ قراره دون تأخير ، ليس لأنه متلهف على سماع صوتها أو تقديم اعتذاره بل لكونه لا يحبذ تأجيل شيئا عزم عليه بالطبع ..

ضغط رقمها الذي يحفظه و استمع للرنين يتردد بتوافق مع نبضات قلبه المتصارعة ..

❖❖❖

تأملت ناريمان الرقم الغريب النابض على شاشة هاتفها و هناك إحساس غريب يكتنفها ، ترددت في قبول الاتصال لكن فضولها تغلب في النهاية

ثم ما أدراها أن فرضيتها صحيحة ؟ ربما كان أي شخص ..
استخدمت أكثر نبرات صوتها عملية و أجابت المتصل ليذهب كل اثر للشك عندما دغدغت خشونة الصوت الذي تعرفه أذنها قائلا بالانجليزية :
- مرحبا ناريمان ، كيف حالك ؟
أخرست نبضات قلبها و تعمدت البرود قائلة :
- الحمد لله بخير ، من تكون ؟
استاء لسؤالها اللا مبالي قائلا :
- أنا طاهر ، هل نسيت صوتي بهذه السرعة ؟
كأنها لا تعرف حتى من قبل سماعه لكنها لم تترك أي أثرا يدل على ما الم بها جراء اتصاله قائلة دون اهتمام يذكر :
- المعذرة سيد طاهر لم انتبه ، أتمنى أن ساقك تتحسن ..
قطب حاجبيه لغرابة أسلوبها الغير معتاد لكنه تابع قائلا :
- نعم أفضل كثيرا حتى و أنا افتقد الوخز من يديك ..
تصاعد حنقها عليه ، هل يجرؤ على تذكيرها بعد ما فعله ! لكنها لن تمنحه اهتمام لا يستحقه فرددت بنفاذ صبر :
- جيد انك تقترب من إزالة الجبيرة ، تقبل اعتذاري مره أخرى ، مضطرة لإنهاء الاتصال فلدي موعد مع المحامي الخاص بي ..
هتف بصوت مزج به العجب و اللهفة مع الاستنكار قائلا :
- مهلا ناري ، أود الحديث معك حول سفري المفاجئ ، هذا هو سبب اتصالي ثم منذ متى تدعيني بالسيد ! يبدو انك غاضبة مني و ....
قاطعته بلهجة حادة :
- بالعكس أنت مخطئ لما قد اغضب منك ؟ العناية الطبية متوفرة بكل مكان ..
لم تعجبه وجهة المحادثة لذا ردد مباشرة :
- أنا آسف لأني غادرت بهذه الفظاظة ، لم استطع إخبارك وقتها لكني لم أتعمد الإساءة ، أنا .....
عادت تقطع عليه الطريق قائلة :
- لا داعي للاعتذار ، أنت حر بتصرفاتك و لست مدين بأي تفسير ، كن مطمئن من هذه الناحية فالأمر لا يعنيني ، أتمنى لك الشفاء ، وداعا ..
لا تدري لما شعرت بنوع من السعادة بعد تعمدها

البرود معه و إنهاء الاتصال دون إعطائه فرصة للرد ، ربما لأنه كان مهتم و يفكر بها أو لأنها شمخت بكبريائها الثمين و أظهرت عدم اكتراثها به ، المهم أنها تشعر بالرضا و ترغب باستئناف نشاطها المتوقف من وقتها ....

استمر يحدق في الهاتف بغرابة مع تصاعد إحساس عنيف بالغضب و الثورة حتى انه منع نفسه عن تحطيمه بالكاد ..

لا يصدق أنها تحدثت معه بهذه اللامبالاة المغيظة ، أنها حتى لم تهتم لاعتذاره كأن مغادرته أو بقاءه سيان عندها ، تبـا ..

ثم ماذا عن ذلك المحامي ؟ لما تريد محاميا من الأساس ..

تدخل صوته الداخلي ينهره : ما شأنك يا أحمق ، الم يكن هذا ما تريده ؟! أخرجها من رأسك و تعقل ، ها قد انتهى الأمر كأن لم يكن ..

و تنفيذا لأوامر عقله الصارمة امسك عصاه و اتجه للدور السفلي باحثا عن ابنته ...

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

مع خيوط الضوء الأولى كان مراد و شاهين يتحركان بتناغم كامل كلُ يؤدي دوره في مهمة إيجاد الفتاة أما صالح فيمدهم بالمعلومات من مكانه داخل المقر بالإضافة لإزالة العثرات من طريقهم ، كالعادة الثلاثة يكملون بعضهم و هذا سر نجاحهم ..

استقل مراد المروحية حاملا منظارا مكبرا و صب اهتمامه على مسح كل شبر من تلك الغابات المترامية بعينيه بينما الطيار يتوغل في مسار محدد وفقا لخريطة أعدها صالح بشكل يقرب المسافات و يختصر الوقت ، أما شاهين فتحرك على الأرض متتبعا آثار الرجل الذي يمثل هدفهم الحالي ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

استمرت جيّدا بالتحديق في الخارج بينما تستعيد شكل نظراته المخيفة التي رماها بها قبل بعض الوقت عندما تجرأت على تحديه بسؤالها الذي أجابه قائلا ببرود :

- و من قال أني اجهلها ! الصواب كوني ارفضها لأنك لست بحالة صحية تسمح بالخروج حبيبتي (ثم لمع بريق عينيه بشراسة مخفية متابعا) تعلمين كم أخشى عليك ، لما لا تشاركيني جلسة هادئة هنا !

ارتجفت نبراتها عندما رددت بسرعة :
- لا شكرا ، أفضل العودة للغرفة ..
و من وقتها و هي مسمرة أمام النافذة تشعر بإحساس العصفور البري عندما يحتجز داخل قفص !
ارتفع وجيب قلبها مع شعورها بخطواته تقترب حتى أصبح خلفها قائلا بنبرته التي لا تسمح بالجدل :
- موعد دوائك ، هيا افتحي فمك ..
صرخ عقلها الذي يجاهد لتبديد الغيم المحيط به بأنها لا تنتمي لذلك لهذا الرجل أبدا ، لقد أصابتها نظرات عينيه بارتجاف عزز من عدم ثقتها فيه ، ليتها تتمكن من الفهم أكثر خشيت أن يجعلها القرص تنام و هي لا تريد ذلك ناهيك عن احتقان معدتها الذي لم يهدأ ، استدارات قائلة بهدوء لا تشعر به بينما تمد كفها :
- حسنا سوف أتناوله بنفسي ..
تقسم أنها لمحت ومضة تردد عابرة احتلت عينيه لأقل من الثانية ثم تراجعت قبل أن يضع القرص الصغير داخل يدها قائلا باهتمام :
- هاك ابتلعيه مباشرة ..
أومأت برأسها ثم التفتت لكأس الماء المجاور للفراش حيث أسقطت الحبة خلف الوسادة بخفة و استقامت ترشف منه أمام عينية الثاقبتين ..
بعدها تقدم خطوة و سحبه من يدها ليعيده إلى مكانه ثم يقترب منها مغمغما بنظرة ذئب يدعي اللطف :
- الم تشتاقي إليّ حياتي ..
حبست أنفاسها مع صوتها و كادت تصرخ فيه معنفة لكن ماذا لو استفزه ذلك و جعله يتحول إلى العنف ؟ إنها لا تعرف عنه ما يجعلها تتوقع تصرفاته ! كل ما لديها هو شعور بعدم الراحة يكتنفها حياله و هي تثق بحدسها ..
أجبرت شفتيها على رسم ابتسامة مرتبكة ستصل إليه كنوع من الخجل على أثرها تراجعت للخلف حتى لا يشعر بنفورها قائلة برقة :
- أي يوم نحن ؟
ملأ عينيه من اللون الفاتن الذي صبغ ملامحها بشكل لم يعرفه من قبل ، هذه الفتاة بأكملها

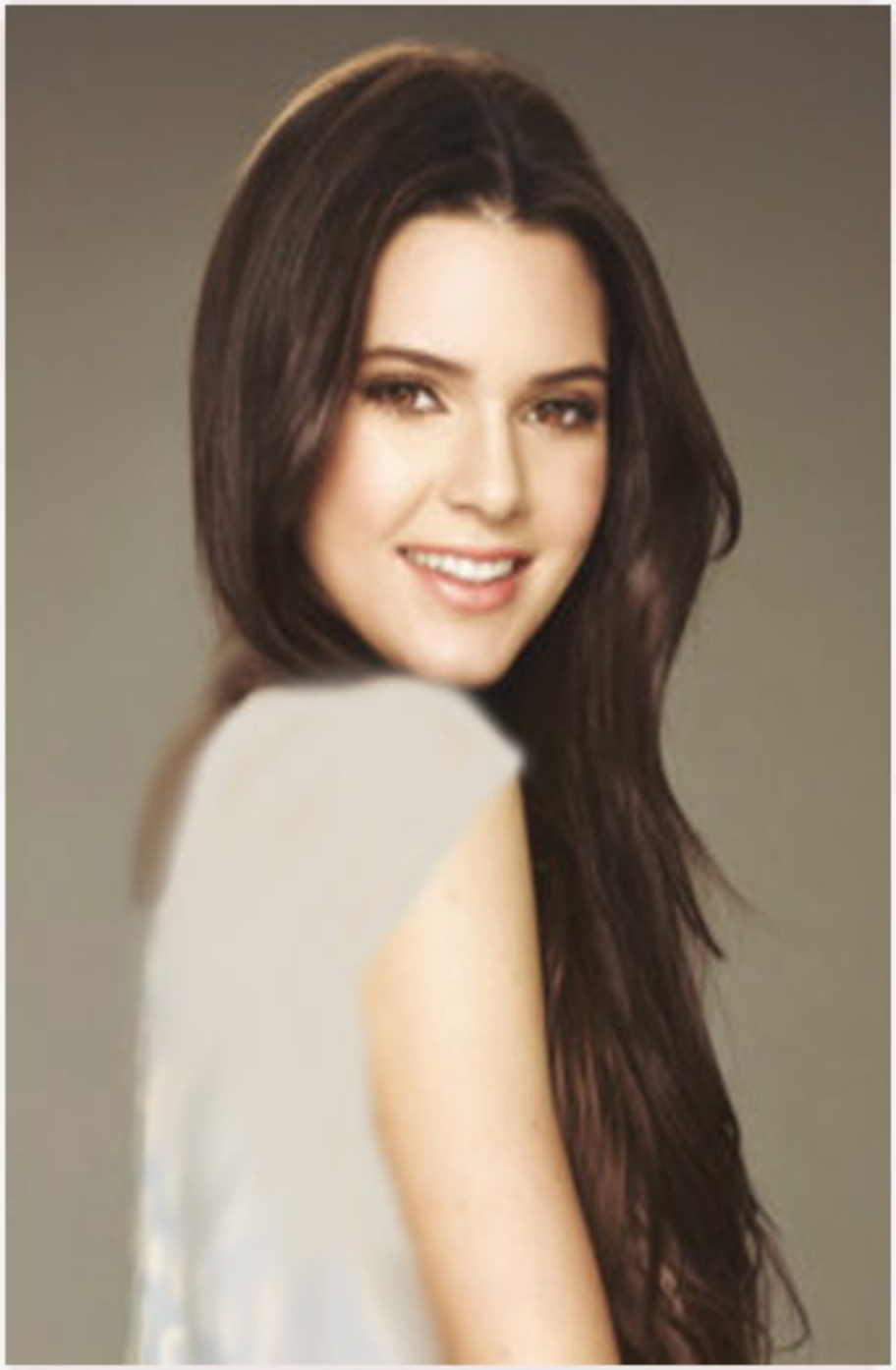

تمنحه تجربة فريدة يشتاق لبلوغ نهايتها
و عندها تصير له للأبد ، ردد بتفكه :
- فيما يفيد ذلك ؟ الديك موعدا !
أشارت بكفيها قائلة :
- لا أحب إحساس الجهل بما حولي ، اليوم ،
الساعة ، لا اعلم سوى إننا صباحا ..
جذبها من كفها خلفه و خطا خارج الغرفة قائلا
- لدي شيئا أفضل لنفعله ..
لمعت عينيه بابتسامة خفيفة على تعبير ملامحها
المجفلة فتابع قوله مفسرا :
- سنتشارك إعداد الطعام سويا ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

أنهت سلاف إرسال البريد لشقيقتها ثم قلبت
شفتيها بحنق ، كم اشتاقت للحديث معها
و سماع صوتها ، لقد آتى عطل لاتصالات متزامنا
مع رغبتها بفتح الحوار عن عمر ، لم تكن لتسألها
مباشرة بالطبع لكن كانت ستفهم بشكل مستتر
فقد لاحظت بالآونة الأخيرة أن أحاديثها
تصطبغ بنبرة رومانسية حالمة ..
لم تجرؤ على سؤالها خشية أن تكون قد
اكتشفت حقيقة مشاعرها تجاه عمر ..

زفرت بحيرة مع ارتفاع صوت النقرات على بابها
فهتفت سامحة لصاحبها بالدخول ..
أطلت الفتاة الشابة التي تساعد والدتها برأسها
قائلة :
- السيد عمر ينتظرك في الأسفل ..
قطبت حاجبيها شاعرة بالغرابة ، ماذا يفعل هنا
بهذه الساعة ؟! ألا يفترض به العمل أبدا ؟!
وجدته في استقبالها أمام الدرج عاقدا كفيه
خلف ظهره بتحفز ..
أكملت قفزاتها المرحة هاتفة :
- مرحبا ، هل طردك بابا ؟!
لمعت عيونه بالتوق الساكنهما دوما مع مزيج
من الغيظ و الغيرة مدمدما من بين أسنانه
- بل اخبرني بشكل عرضي انك ذاهبة في رحلة
مع الكلية نهاية هذا الأسبوع ..
أومأت بالإيجاب قائلة بحيرة :
- اجل هذا صحيح و ماذا فيها ؟!
تابع بنفس النبرة :
- لما لم تخبريني ؟
ادعت التفكير لوهلة ثم قالت بمشاغبة :
- اممم ، لقد نسيت ..

ضيق عينيه قائلا بحنق :
- رغم كوني اتصل بك كل ليلة !
أشارت بكفها قائلة ببساطة :
- حسنا ها قد علمت واضح أن والدي العزيز
ينقل لك نشرة مفصلة عن تحركاتي ..
لم يبالي بردها قائلا بنبرة قاطعة :
- لن تذهبي سُلاف ..
رفعت حاجبيها ثم كفيها فوق خصرها و قد
قبلت التحدي قائلة :
- بل سأفعل عمر ..
اقترب مشيرا بإصبعه :
- تعلمي أن تسمعي ما أقوله و تنفذيه ..
أمسكت إصبعه و أبعدته بصبيانية قبل أن تقلد
نبرته قائلة :
- لقد سمعته بوضوح لكني لن أنفذه طالما لا
يعجبني و لا تستخدم أسلوب الأمر معي لأنه
غير مجدي ، سوف اذهب مع زملائي و بابا
منحني موافقته ..
كتف ساعديه أمام صدره قائلا
- مع كامل احترامي له لكني لا أوافق ..
ضربت الأرض بقدمها قائلة بحنق :

- أنت لست زوجي بل ابن خالتي ..
قطب حاجبيه هاتفا باستياء :
- فقط .. !!
ميلت رأسها قائلة بدلال :
- حتى الآن اجل ..
حثها بعيونه قائلا بجدية :
- سُـلاف ..
ابتسمت بمكر مرددة بخفوت :
- حسـنا و حبيبي استرحت الآن ، لكن هذا لا يمنحك حق التحكم بي ..
زفر مستعيدا هدوءه مرددا :
- هذا ليس تحكم حياتي ، أنا أخشى عليك كما .....
هتفت تقاطعه :
- أنا لم اعد طفلة ، لقد كبرت
(ثم صمتت لوهلة و تابعت) كما .. مـاذا ؟
دارت عيناه بقهر من اندفاعها الدائم قائلا :
- لو كنت تمهلت ثانية لعلمت إنني أغـار يا حمقـاء ، كيف تظنين أن امكث هنا و أنت تقضين يوما بأكمله بعيدا مع زملائك !
هتفت تصحح قوله قائلة :
- و زميلاتي لا تنس ذلك ..
رفع حاجبيه قائلا بثبات :
- لا أبـالي ، هناك أمران لا ثالث لهما إما عدم الذهاب أو ....
ردت بلهفة تحثه على الإكمال :
- أو ماذا ؟؟ أكمل يا غليـظ ..
ابتسم قائلا بتفكه :
- أكون أنا برفقتك طبعا ..
فتحت فمها بعدم تصديق هاتفة :
- بأي صفة ؟ مربيتـي !
أشار بكفه دون مبالاة :
- ضعي الصفة التي ترغبين ، هذا هو خيارك الوحيد ..
صاحت قائلة بحنق :
- حسـنا أيها مستبـد ، لكنك ستستقل الحافلة معنا ، لا سيارات و سأعرفهم بك كحارس العائلة الخـاص ..
حرك حاجبيه قائلا بمرح :
- ماذا عن خطيبك و حبيب قلبك و حياتك على سبيل المثال ، يروقني هذا اللقب أكثر ..
قبضت كفيها مشيرة بها على نحو خطر هاتفة :

- عُد إلى عملك قبل أن افقد صوابي و أزين وجهك بكدمة أرجوانية ، رجل مستفـز !

ارتفع صوت ضحكاته المستمتعة لكن قبل أن يغادر مال ناحيتها هامسا مع غمرة صهرت حواسها و حولت ساقيها إلى هُلام :

- تذكري أن لا مهرب لك مني يا كل عمـري ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

لم يفلح شيء في الهاء عقل طاهر عن التفكير باتصاله الكارثي فأزاح الملف البائس من أمامه و عاد لمحاولة إيجاد تفسير مقنع لحديثها الجاف معه ..

قاطعته نقرات رقيقة يعلم صاحبتها فهتف قائلا

- ادخلي أماني ..

تقدمت بطلتها الأنيقة ترتدي ثوبا ناعما مطعم بالجلد مع حجاب متعدد الطبقات تداخل فيه اللونين الأزرق مع الأصفر الزاهي بشكل أضاء ملامحها الفاتنة ..

عقد حاجبيه بتساؤل :

- إلى أين تذهبين ؟

أجلت حنجرتها قائلة :

- احـم أريد شراء بعض الأغراض ..

عاد يسأل باهتمام :

- وحدك ! أين فيفي ؟

ردت بسرعة راغبة في إنهاء الحديث :

- كانت منشغلة لكن قد تلحق بي ، بالإذن بابا هل تريد شيئا من الخارج ؟

أشار بالنفي قائلا :

- فقط لا تتأخري ..

أومأت بابتسامة شاحبة و استدارت تحث الخطا في حذائها الجلدي دون العنق الطويل ..

❖❖❖

خرجت من المصعد متجهة إلى مكتب زوجها مباشرة ، وقع بصرها على فتاة شابة مستغرقة بنسخ بضعة أوراق فعقدت حاجبيها بغرابة ، منذ متى توجد موظفات هنـا ؟!!

نزعت عيونها عنها و تقدمت قاصدة غرفة ادهم و قد زمت شفتيها بغيظ مكتوم ..

وجدتها تهرع خلفها هاتفة :

- مهـلا ، انتظري رجـاء ..

التفتت إليها قائلة بحنق :

- مـاذا ؟!

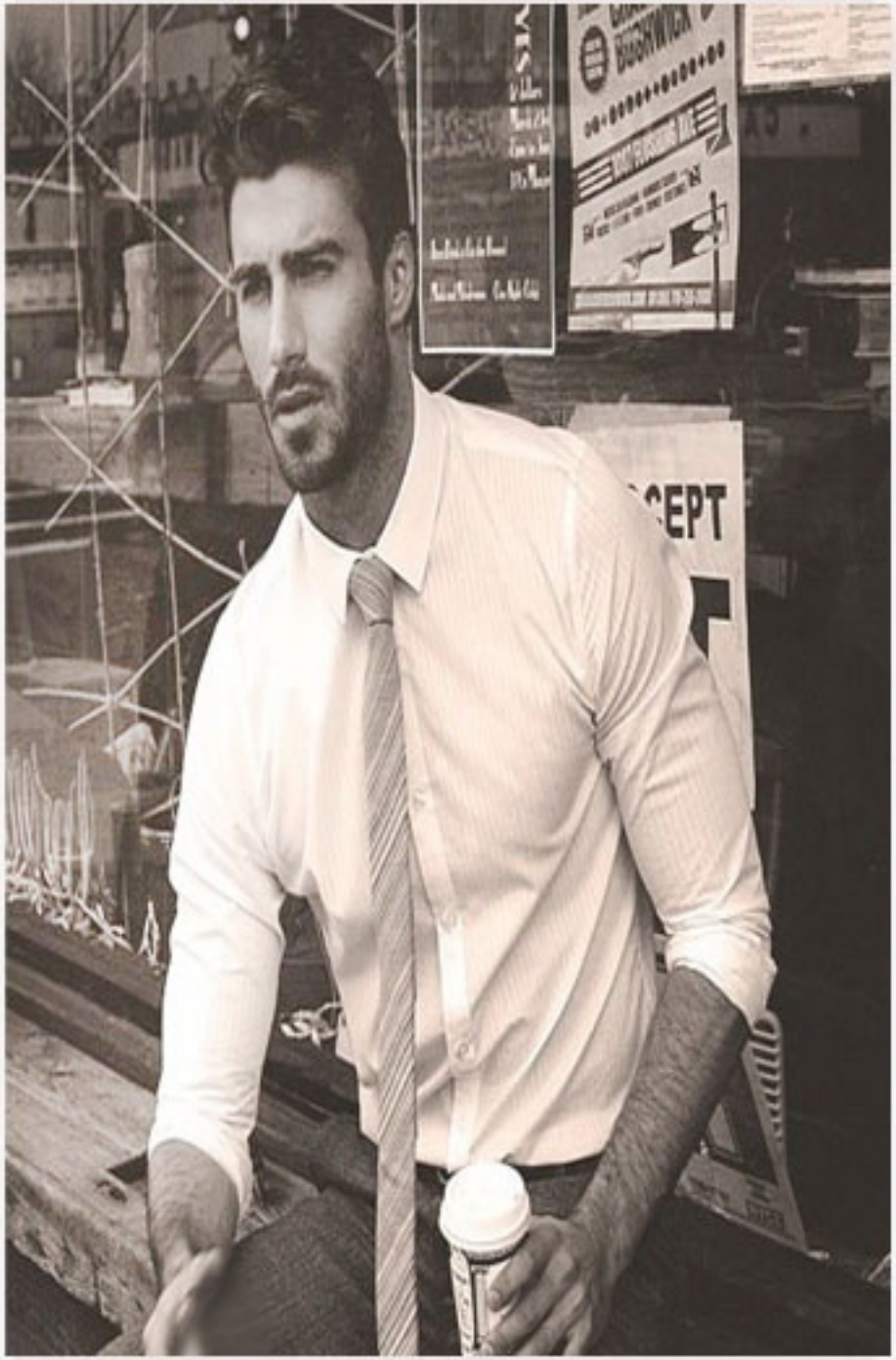

ردت الأخرى مفسرة :
- لا بد أن اعرف سبب الزيارة و من تكونين و سوف احدد لك موعدا مع الرئيس ..
رفعت حاجبيها قائلة بحدة نادرا ما صدرت عنها :
- أنا لست بحاجة لموعد حتى التقي برئيسك الذي هو زوجي بالمناسبة ..
امتقع وجه الفتاة مرددة بارتباك :
- المعذرة سيدتي ، لم أكن أعرفك ..
استدارت أماني تكمل طريقها دون رد لكن عبارة الخالة أحلام عادت تدوي صاخبة و تزعجها للغاية ..
غمغم دون رفع عينيه عن شاشة الحاسوب مستغرقا بدراسة الأرقام و العطاءات فوقها
- ضعي النسخ على المكتب و اذهبي نجلا ..
لكن الصوت الصادح بنعومة أخرجه من العالم بأكمله ، رفع عيونه التائقة بلهفة يلتهم تفاصيلها عندما رددت :
- و هل هي معتادة على دخول غرفتك دون استئذان سيدي ..
هب من مكانه و قد انتعشت روحه لمجرد سماع صوتها يداعب حواسه دون حواجز :
- نانـيّ ، أنت هنا حقـا !
قلبت شفتيها قائلة بقهر :
- لما لم ترد على اتصالاتي ؟
وصل إليها في خطوتين و سحقها على صدره دون مقدمات ظمآن للشعور بها بين ذراعيه ..
كان أشبه بتائه في الصحراء و فجأة عثر على واحة غناء مثقلة بالثمر و جداول الماء فانطلق ينهل من كل شيء بشغف ..
تشبعت أنفاسه بأريجها الشهي ثم وضع كفيه على جانبي وجهها يرفعه إليه متناولا شفتيها بقبلة نهمة أودع فيها كل أشواقه ، غيظه و غرامه المتأجج لها ..
ضاعت بين أحضانه و نقلتها شفتيه لعوالم تعشقها و لم تدرك كم افتقدتها سوى الآن عندما امتزجت أنفاسهما و شعرت بانقباض عضلاته الرجولية حولها باحتواء لا ينفصم بعد وقت طويل غمغم بعشق فوق وجنتها المرمرية هامسا :
- يا لك من قاسية ، كيف احتملت كل هذا الوقت بعيدة عني بينما يقتلني الشوق في الدقيقة الواحدة مرات عدة !

حركت كفيها المتوسدتين حول عنقه تداعب خصلات شعره الناعمة مرددة بوله :

- آسفة حبيبي أرجوك سامحني ، كان الأمر رغما عني ، إصابة بابا مع حالته النفسية أجبراني لكني لم انسك لحظة ، أنت دائما داخلي ممتزج بروحي ..

رد بلثمات شغوفة متتالية سلبت أنفاسها و كل ذرة مقاومة داخلها كما يحلو له أن يفعل بها حتى كادت تصرخ مطالبة بالمزيد ..

لقد فجر كل حاجتها إليه حتى غفلت تماما عن كونها بالمكتب و لا يفصلهم عن العديد من الأشخاص بالخارج سوى باب خشبي قد يفتح في أي لحظة ..!

الأزيز الصادر عن جهاز الفاكس كان له الفضل في إيقاظها من غيبوبة العشق المحموم التي سبحت بها طواعية فشهقت هامسة فوق شفتيه الحارتين :

- ادهم قد يرانا احدهم !!

غمغم دون ان يفلتها أنملة واحدة :

- هيا بنا إذن ؟ لن أقوى على الانتظار أكثر ، سأموت إن لم أبثك حبي بشكل صحيح الآن ..

غامت عيونها باستجابة عاصفة لكنها رددت بغنج أنثوي خلاب :

- لكنك لم تجب سؤالي ، لما لم تتلقى اتصالاتي ؟

سحبها خلفه مهرولا للخارج بينما يردد :

- سأخبرك في منزلنا ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

في سابقة فريدة من نوعها لم يتصل طاهر بابنته مستعلما عن مكانها و موعد وصولها ، بل هو لم يتذكر خروجها من الأساس في حين احتل ذهنه عبارات ناريمان تدور مرات و مرات مع سؤال واحد يتكرر دون توقف ، لمـــاذا ؟!

كما حاول عقله نهره ليكف عن هذا الجنون هاتفا : الم يكون هذا غايتك من الاتصال ! الم ترغب بنزعها من داخلك ؟ لما العكس هو ما يحدث الآن ؟!

خُيل إليه انه يرى عيون أُمنية تطل عليه من العدم تحمل عتبا و كمّ هائل من اللوم ، لا بل هي عينا أماني ، روحها الحية التي تشاركه حياته ، أيا كان فهما وجهان لعملة واحدة ..

وضع كفيه فوق وجهه هاتفا بصوت مسموع :

- سامحيني حبيبتي ، أنا لست مهتما بها أبدا ، أنت هي حبي الوحيد صدقيني لم أقم بخيانة عهدنا ..

أخرجه من هذيانه رنين هاتفه المتصاعد فرفعه بلهفة خابت عندما لم يستمع للصوت الذي تأمل فيه ، لقد كان من شقيقه يسأله عن أمور تخص العمل ..

أجابه دون أن يعرف ما قاله منهيا الاتصال بسرعة كأنه يرغب في إتاحة الفرصة لآخر لم يصل ..!

عاد عقله للهتاف ناعتا إياه بلفظ غير لائق : لما تنتظر أن تحاول محادثتك ، الم تصرح بعزوفها عن التواصل معك ؟ متى تحولت لمراهق يعجز عن التحكم بمشاعره أو تقبل الرفض !

نهض عن مكتبه محركا رأسه بغيظ من نفسه ، انه يفقد صوابه و لم يعد يفهم ما يريد ، الم يهرب كالفأر المذعور عندما اقتربت بشكل هدد حصونه التي ظنها متينة بالرغم من مرور سنوات طويلة دون لحظة ضعف واحدة ؟ و عندما استقبلت الرسالة بنجاح مدركة محتواها و شرعت بتنفيذها تثور رافضا عدم اكتراثها بك !

مرحى يا رجل أنت تتقدم بثبات لنيل لقب الحماقة من طراز رفيع و مع مرتبة عالية أيضا ..

حسم هذه المعركة مع عقله العنيد عندما رفع الهاتف و ضغط نفس الرقم من جديد ، عليه أن يعرف ما يحدث كما انه لم ينس موعدها مع محاميها العتيد الذي فضلته على الحديث معه !

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

رفض إطلاق سراحها بمشاكسة محببة و جذبها إلى صدره من جديد فصدحت ضحكاتها رقراقة راضية قبل أن تهتف بدلال مثير :

- اتركني ادهم ، كف عن التشبث بي كالطفل الذي يرفض ترك والدته و الذهاب للروضة ..

حرك رأسه برفض رجولي و همس جوار أذنها بأنفاسه اللافحة :

- ابقي معي قليلا بعد ، لازلت مشتاق إليك ..

نهرته بعيونها و هتفت بمرح :

- أنت محتال من الحجم كبير و لا فائدة من محاولة إصلاحك ، لا بد أن اذهب في الحال قبل أن يبلغ والدي الشرطة ..

وضع كفه خلف رأسه قائلا :

- ليته يفعل ، عندها سأنضم للبلاغ و أطالب ببقاء الوضع على ما هو عليه ..

ضربته على كتفه بقبضتها الرقيقة قائلة :

- هيا تحرك بسرعة حتى تقلني ..
أشار بحاجبيه قائلا بمكر :
- أعطني ما يحفزني على ذلك ، و لتكن رشوة كبيرة ..
عكس عسل عيونها الذائب حبها العميق عندما جذبته هاتفة بعبث :
- كلا ، لو فعلت لن نخرج من هنا ..
دب النشاط في جسده المسترخي و باغتها عندما هب آسرا إياها تحت وطأة هيمنته الرجولية الساحقة ، ردها الوحيد كان صرخاتها المرحة الواشية باستمتاعها و رضاها البقاء في الأسر مدى الحياة طالما هو الحارس و ذراعيه قضبان سجنها ....
عندما تمكنت أخيرا من لف طيات حجابها المزدوج دون أن يعبث به و أصبحت مستعدة للذهاب أحاط خصرها من الخلف مدمدما بخشونة تؤجج إحساسها بأنوثتها الهشة مقابل عنفوانه الحامي لها :
- إن أهملتِ زوجك ثانية لا تغضبي من تصرفاته لو خرج عن التعقل ..
استدارت بين ذراعيه قائلة بمكر:
- و ماذا سيفعل ؟ ينظر لفتاة غيري حتى اقتله على سبيل المثال ؟
تعالت ضحكاته قائلا باستمتاع لغيرتها المحببة :
- من هذه الناحية اطمئني لأنه لا يرغب بأخرى سواك في العالم بأكمله لكن من المحتمل أن يجن و يقتحم منزلك ، حذار من جعله يشتاق إليكِ ..
قبل أن تخرج من الباب الرئيسي أعادها ندائه قائلا :
- نانيّ انتظري حبيبتي ، تفضلي هذه لك كدت انس منحك إياها ثانية ..
تأملت البطاقة المصرفية في يدها قائلة بعفوية :
- لكن لماذا ادهم ؟ أنا لا أعيش هنا الآن و لست .....
قاطعها قائلا بجدية :
- رغم مكوثك في منزل والدك تظلين زوجتي نانيّ ، من أهم واجبات الرجل نحو زوجته الإنفاق عليها ، إنها أساس القوامة التي منحها له خالقه و أنا رجل شرقي حتى النخاع ، لقد صرت تنتمين إلي بغض النظر عن وضعنا المؤقت لذا عديني انك سوف تستخدمين البطاقة و لن تمسي قرشا من نقود والدك ..

ذابت عيونها حنانا و رفعت كفها الغض ليستكين على جانب وجهه الأسمر الجذاب قائلة بتأثر :

- حسـنا حبيبي أعدك ، هيا لا داعي لهذه التقطيبة السيئة ..

عادت البسمة تحتل ملامحه قائلا بعبث :

- بما انك من تسبب بها فعليك إزالتها لنفسك ..

رفعت نفسه على أطراف أصابعها و قامت بتقبيل المنطقة بين حاجبيه برقة مطلقة رد عليها بأخرى أحر منها اسكنها شفتيها قائلا :

- لنخرج قبل أن افقد ذرة التفهم الباقية لدي و أحبسك هنـا ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

لم تتخيل انه سيقدم على الاتصال مرة ثانية بهذه السرعة ! تزايد معدل نبضاتها و ظلت محدقة في الرقم الذي باتت تعرفه ..

إذا قبلت الاتصال كيف تتعامل معه و هو يدنيها تارة و يبعدها تارة أخرى ؟! لقد أربكها بازدواجية تصرفاته و لم تعد تدرك كيفية التعامل معه !

لكنها لم تكن ضعيفة يوما و لن تصبح الآن ،
لمست الشاشة بعزم قوي ليصلها قوله الذي رسم البسمة بشكل لا إرادي فوق ثغرها مدمدما بخشونة :
- أتعشم أن لا أقاطع موعدا آخر الآن ، مع المحاسب ربما هذه المرة ! لما تبدئين يومك بلقاء المحامي بالمناسبة ؟!
أبعدت المرح المتصاعد داخلها مرددة بنفس نبرة البرود السابقة :
- و لما عليّ إخبارك ؟! هل سألت عن عملك أو أيا كان ما تفعله عندك سيد طاهر !
زمجر بفظاظة مما جعلها تبعد الهاتف عن أذنها حماية لها من الصمم :
- إذا تلفظت بكلمة سيد البائسة ثانية سوف استقل أول طائرة قادمة لأدق عنقك يا امرأة ، كفي عن استفزازي ..
زمت حاجبيها بعدم تصديق بينما داخلها يرقص طربا لنبرته الغاضبة ، عادت رغبتها في المشاغبة كاملة الآن فرددت دون اكتراث بانفعاله :
- إذا أردت اختبار قوة حنجرتك ازأر على شخص آخر عداي لأني لن اسمح لك بالصراخ عليّ مطلقا أيها الرافض للقب سيد ، ماذا تريد ؟ لما تتصل بي ؟ أنا لا ارغب بمحادثتك ..
تدفق الغضب حمما لاهبة داخل أوردته لدرجة أن صوته وصل لأحلام خارج الغرفة فخشيت أن يكون مستاء بسبب تأخير أماني التي لم تصل حتى الآن لكن عندما اقتربت و جدته يهتف بالانجليزية فهدأ قلقها ظنا منها انه اتصال مختص بالعمل ..
- أريد معرفة سبب تغيرك معي ؟ لما اختفى التفهم و أصبحتِ لا تطيقني فجأة ؟!
تساؤله جعلها تصرخ عليه بدورها هاتفة بغضب حقيقي :
- يا لك من ضحية مسكين ، كان يجب أن أخرّ على ركبتيّ حامدة الله لأنك تتعمد جرحي ثم تعتذر ! لما يا ترى ؟ من تظن نفسك ؟ ماذا فعلت لتعاملني بهذا الشكل المريع كما لو كنت القي بنفسي عليك ؟!
تراجعت حدة صوته أمام عنفوان كبريائها فحاول التفسير قائلا :
- أنا لم ...
قاطعته قائلة بحدة :

- لا تظن أني أود سماع تبريرك ، بالعكس لقد نسيت الأمر برمته و لا ارغب بأي حديث حوله ، كما لا أريد الحديث معك طاهر توقف عن الاتصال بي ..

انقطاع الاتصال هذه المرة جعله يفقد السيطرة و يلقي بالهاتف من يده هاتفا بقوة :

- حسنا اذهبي ، تبا كأني اكترث أو أريدك في حياتي ، أنا أيضا نسيته بل محوته من ذاكرتي كليا كأن لم يكن ..

دلفت أماني مع آخر عباراته المدوية و قد لفت انتباهها صوته المرتفع لكنها لم تلتقط فحوى الحديث لحسن الحظ ..

- ماذا يحدث بابا ؟ لما أنت غاضب بهذا الشكل ؟!

استدار إليها بعيون محمرة و جبين مقطب قائلا:

- لا شيء ، بعض الأمور العالقة ، أود البقاء بمفردي لبعض الوقت ..

أومأت بتعجب انه لم يسألها تقديم التقرير المفصل المعتاد عند عودتها من الخارج و استدارات عازمة الخروج لكن صوته الهادر باسمها أوقفها كما جمد الدماء داخل أوردتها عندنا اتبع سائلا :

- لما اختلف ترتيب ألوان وشاح رأسك ؟!

اعتصرت نازلي هاتفها بعصبية مفرطة فكل شيء يعاندها هذه الأيام بشكل مغيظ !

وصلها صوت الرجل الذي بات معتادا لأذنيها من كثرة ترديده لنفس القول مرات متتالية :

- آسف ، السيد يعقوب خارج البلاد و لم يحدد موعدا لعودته ..

ألقته بعنف على الأريكة صارخة بقهر :

- أين ذهب الحمقى كلهم ؟!!

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

تلعثمت أحرفها بينما ترفع يدها لطيات حجابها قائلة :

- لقد كنت أجرب بعض الأوشحة في المتجر بابا

حرك رأسه باستيعاب قائلا :

- حسنا اذهبي ..

أطلقت أنفاسها السجينة ثم استدارت دون كلمة إضافية إلى خارج غرفة المكتب التي بدت مشحونة بذبذبات سلبية عالية الطاقة ..!

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

اجتمعت الأدلة و المعلومات لتفضي كلها في النهاية لمكان منعزل عبارة عن قصر ريفي ضخم تحيطه مساحات واسعة من مختلف الجهات

بشكل يؤمن الحماية الكاملة فأي متسلل سوف ترصده كاميرات المراقبة ا واعين الحراس المترصدة و قد تم توزيعهم بكثافة محيطين بالمبنى إحاطة السوار بالمعصم ..

تبادل الشابين الرابضين على مسافة كافية نظرة خبيرة ليردف شاهين قائلا :

- سأحاول الاقتراب لمدى مناسب يسمح لموجة التشويش التي ابتكرها صالح بالتأثير ..

أومأ مراد و قد بدأ تحركه بالفعل قائلا :

- سأقوم بالولوج عبر الثغرة و أعطل بقية النظام من الداخل حتى تلحق بي ..

ربت الآخر على كتفه قائلا برجولة عازمة :

- توكلنا على الله ..

تقدم بحذر و تربص متحفزا بسلاحه الأقرب ليده ، عينا لا تحيد عن هدفه و الأخرى ترقب إشارة صديقه الذي يعيد برمجة ساعة يده بسرعة و مهارة حتى يبث الذبذبة كما لقنه صالح ..

تحرك الاثنان في وقت واحد بخفة الفهود ، لحظات قليلة كانت أكثر من كافية لعبور مراد إلى داخل القصر دون لفت الأنظار إليه محتفظا بعامل السرية و المفاجأة لأطول وقت تسمح به الظروف بينما عيون الصقر تحميه من الخارج و سلاحه مستعد للذود عنه حتى الرمق الأخير ..

استقبله محيط غارق بالترف و الرفاهية بشكل مبالغ فيه ..

جال بسرعة بين الأروقة المفضية لبعضها أشبه بمتاهة متعددة الأفرع حتى وصل لغرفة التحكم الخاصة بالجهاز الأمني للمكان ..

بنظرة فاحصة تأكد من وجود شخصين فحسب داخلها ثم سحب نفس عميق أخرجه مع اقتحامه المباغت ، إحدى قبضتيه حطمت انف أقربهما إليه و قبل أن يرفع الثاني عينيه باستطلاع لما يجري كانت الأخرى تنطلق كقذيفة أصابت المنطقة خلف أذنه بشكل مدروس افقده الوعي بسرعة خاطفة ليعود إلى ذو الأنف المحطم و يمنعه من إطلاق صفارات الإنذار بضربة فنية خلف العنق ألحقته بزميله الممد أرضا ليحظيان بغفوة طويلة ..

سحبهم و ألقى بهم داخل غرفتين منفصلتين و كل منهما مكمم الفم مكبل اليدين ، بعدها اتجه لمصدر التيار الرئيسي و فصله مباشرة ..

هذا ما كان ينتظره شاهين فاندس وسط الهرج الذي ساد لثواني معدودة بين جيش الحراس و قبل بدأ عمل المولد الاحتياطي كان قد انضم لرفيقه بالداخل حيث مشطا المكان بدقة و قد عثرا على مستندات غاية في الأهمية داخل غرفة مكتب شاسعة ..

رفع شاهين احد الملفات قائلا بظفر :

- إنها الأوراق المسروقة من مكتب الدبلوماسي ليلة اغتياله فهي تشير إليه بوضوح ..

وافقه مراد و قد ارتفع وجيب قلبه قائلا :

- و هذا يعني إننا نسير بخطى صحيحة ، أتعشم أنها بمكان ما هنا ، لكن أين ؟ هذا هو السؤال ، ذلك المكان التعس يبدو فارغا عدا عن وجود الحرس ! ترى ما فائدة وجودهم بهذا العدد في تلك الحالة ؟!

ركز شاهين تفكيره قبل أن يردد قائلا :

- أنت محق ، علينا البحث بوسائلنا الأخرى .. و باشر باستخدام ساعة يده من جديد و التي لم تكن إلا احد ابتكارات صالح كالمعتاد و قد تحولت الآن لجهاز يرصد اقل انبعاث حراري عن أي جسد حي ..

أشار مراد لسطحها قائلا :

- هذان هما فردي الأمن الحبيسين ..

ركز شاهين على الجهة المقابلة قائلة :

- أترى ذلك مراد !

أومأ الآخر قائلا بحماس :

- اجل كتلة حرارية ضخمة و هنا مصدرها !

و اتجهت أنظارهما للأرض أسفل أقدامهما ليرد رفيقه مؤكدا :

- القبو إذن ..

تحركا بخفة حيث المكان المطلوب لكن
ما قابلهما كان مفاجـأة ..!
خـواء كامل بشكل مغيظ ..
- لا يوجد أي مخلوق ! كيف يعقل ذلك ؟
ردد شاهين العبارة و عينيه لا تغادران الشاشة
التي تصر على إظهار كتلة ملتهبة من الطاقة
تتواجد بالقرب منهما !!
توغلا بعمق المكان أكثر و عيونهما تمسح كل
زاوية باهتمام ، ضاقت حدقتي مراد محتضنة
دكنتها التي زادها تركيزه الشديد ثم أشار
باتجاه معين قائلا :
- هذا الجدار أملس بشكل زائد عن الحاجة
شاهين !
❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖
أخيرا سمح لها بالبقاء وحيدة عندما ظهر عليها
الإعياء بشكل بالغ نتيجة رفقته لها طيلة اليوم
و ها قد اقترب حلول المساء ..
لم يكن عدم نومها أو عزوفها عن تناول الدواء
السبب في ذلك بل أعصابها التي ظلت مشدودة
كالوتر و متحفزة لأي تصرف يصدر عنه ..
لا تثق به و تخافه هذا هو شعورها الوحيد تجاه
من يزعم انه زوجها !!

ما جعلها تستميت في دفع عقلها لإمدادها
بالمعلومات لكنه لم يمنحها سوى الصداع و حالة
من الدوار صاحبه غثيان و قيء عنيف من جديد !
صعقتها فكرة مرعبة ، أيعقل أن تكون حامـل ؟
أليس للحمل نفس الأغراض ! يا الهي سيكون
ذلك كارثة فهي غير مقتنعة أساسا من فرضية
زواجهما ، الرحمة يا رب لا تجعلني احمل طفله
رجـاء ..
لا تعرف ما الذي جعلها تمد يدها داخل جيب
سروالها الجينز و تخرج ذلك الخاتم الذي تخفيه
هناك !
أشعرها لونه الذهبي بالدفء عكس برودة
و صقيع خاتمها ! مرت بأناملها تمس الماسات
أعلى الزهرة برفق كأنها تسألها المشورة ..
اجفلها صوت خطواته تقترب من بابها لا ريب انه
يحضر لها القرص المسائي الذي حان موعده
فأعادت الخاتم إلى مكانه بسرعة و احتلت المقعد
أمام النافذة بهدوء مسالم
❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

هتفت رُقيه بنبرة صوت مرتفعة و قد شملها الحماس و الأمل :

- صـالح راقب هذا بسرعة ، لقد رصدت إشارة عن خاتم جيجي أخيـرا ، لكنها بالغة القصر ، ومضت و اختفت مباشرة ..

هرع إليها مرددا بلهفة و كل انتباهه مركز على الجهاز المعقد أمامها :

- حددي الإحداثيات بدقة ، سأتصل بمراد و شاهين على الفور ..

فعلت المطلوب منها و قلبها يدعو أن تكون صديقتها سالمة و تعود إليهم بأسرع وقت بينما عقد حاجبيه بدهشة فسألته قائلة :

- مـاذا هنـاك ؟

رد بحنق بالغ :

- لا يتلقيان اتصالي و لا افهم السبب (ثم تابع دون أن يعرف بمدى صحة عبارته) كأنهما عالقين داخل قبو أو نفق و يحيطهم ذبذبات تشتت إشارتي ..

وقفت جواره تشاركه باهتمام قائلة :

- ألا تستطيع اختراقها بطريقتك ، لا ريب أنهم بحاجة ماسه لهذه المعلومة في التو ..

حرك رأسه قائلا :
- اجل بالطبع لكن لا يوجد وقت كافٍ لذلك ، قد نفقد الأثر الوحيد لدينا و هي معه ..
ارتفع حاجبيها هاتفة بذعر :
- ماذا تعني صالح ؟!
احكم لف حامل سلاحه حول كتفيه قائلابحزم
- سأذهب بنفسي بالطبع ..
وقفت أمامه صارخة :
- هذا مستحيل ، لن اسمح لك ، أنت لست مؤهل لهذا الدور بالإضافة لكونك بمفردك و هذا يعد مجازفة حمقاء ..
أزاحها عن طريقه قائلا بلطف :
- اطمئني لن أتهور ، سأحاول الوصول للمكان و المراقبة من بعيد لاكتساب الوقت حتى تصل رسالتك للرفاق ..
لم يغب الخوف عن أحداقها فرفع كفها إلى فمه طابعا قبلة سريعة على باطنه و تابع بمرح :
- هيا ابدئي عملك يا آنسة ، سأكون بانتظارهما هناك ..
أومأت بضعف لينطلق هو بطريقه عازما متخذا مسار مباشر وفقا للنقطة التي حددتها الومضة و قد أهدتهم طريقا جديدا يولد أملا يتجدد ..

وصل لهدفه قبل غياب الضوء بسبب انتقاله السريع عبر المروحية التي حطت على مسافة كافية لعدم لفت الأنظار كما حدد لقائدها و سارع بالقفز منها ليقترب على قدميه ماسحا المنطقة بعينيه حتى لاح له كوخا خشبي صغير يقبع منعزلا بين الأشجار التي تلفه كأنها حراس حامية ..

مكث في موقع المراقبة لفترة لكن الهدوء المسيطر جعله يخشى فرضية خلو المكان ، لا بد أن يتأكد بنفسه من وجود جيّدا في الداخل قبل فقدان المزيد من الوقت ..

أشهر سلاحه و تقدم بخطى حثيثة متخذا مسارا خلفي ليدلف عبر الشرفة الخارجية التي أنّت ألواح أرضيتها الخشبية تحت وطأة خطواته مصدرة أزيزا خافتا ..

حبس أنفاسه بينما يدفع الباب المفضي لداخل الكوخ حيث المكان أشبه بمطبخ صغير لم يرى تفاصيله بسبب غياب الإضاءة لكنه شق طريقة قاصدا بابه المقابل ..

لم يكد يصل لمنتصف المسافة إليه حتى انفصل ظلا عن الجدار الذي احتواه داخل ظلمته منقضا عليه بمهارة خبيرة ثم كبله من الخلف بحركة قتالية شهيرة تعيقه عن استخدام سلاحه و بسرعة البرق كان يستل خنجره الذي لا يفارقه هامسا بنبرات حملت رائحة الموت بين طياتها الشرسة :

- مرحبا ، لكن الضيوف عادة تدخل من الباب الأمامي ، عدا ذلك يكون غير مرغوب بها ..

و قبل أن يتمكن صالح من القيام بحركة واحدة تخلصه من مأزقه القاتل بادر جاك بتمرير نصل الخنجر الماضي فوق نحره متابعا فحيحه بوحشية تفخر بها الذئاب :

- اخبره انه لن يستردها أبدا عندما يلحق بك في الجحيم ..

تراخى ذراعي صالح ليهوي سلاحه أسفل قدميه كما غاب سواد عينيه التي غربت مكتفية ببياضها ..

عندها فك قيده و تركه يسقط ممدا على الأرض يلفظ رجفات الحياة ..

أعاد الخنجر لغمده بعد أن عاد نصله لامعا نظيفا و اتجه إليها مباشرة ليقتحم غرفتها بعنف جعلها تصرخ من قسوة نظراته الضارية فلم يكترث و سحبها من ذراعها إلى الخارج قائلا بنبرة لا تسمح بالجدل :

- هيا بنا جيّدا ..

أطلقت سيلا من الأسئلة و الاستفهام لم يعرها أدنى التفات بينما يقودها بغلظة مخترقا مساحات كللها الظلام متتبعا مسار ضحيته الأخيرة ببراعة حتى وجد ضالته قابعة تنتظره .. تحرك إلى المروحية بثبات و قبل أن ينتبه قائدها كان يخرج مسدس صغير و يطلق على رأسه مباشرة لتطلق المذعورة جواره صراخ مدوي كتمه بكفه قائلا بفحيح بغيض

- لا تخافي حبيبتي ، إنهم حفنة من اللصوص و قد أنقذتك منهم ..

اتسعت عيونها بعدم تصديق لكنه لم يسمح لها بإبداء حرف و دفعها إلى الحوامة ثم قفز بعدها محتلا مقعد القيادة لترتفع مبتعدة تاركة خلفها بقعة دماء تنتشر بسرعة مخيفة و روح صعدت لبارئها ..

نهاية الفصل

دمعات القمر

القطرة
الحادية و العشرون

فحصا كل جزء من جدران القبو بخبرة و مهنية حتى هتف شاهين فجأة :

- هنا مراد ، ها هو ذا ..

أسرع إليه ليقع بصره على لوحة مفاتيح صغيرة تم إخفائها بمهارة و دقة ضمن نقوش الباب المقابل بشكل لا يمكن للعين المجردة رؤيته دون معرفة مسبقة عن مكانها ..

ثبت مراد ساعة يده عليها و تركها تخترق الشفرة الأمنية المعقدة و سرعان ما انشق الجدار الأملس بسلاسة كاشفا حقيقته الخادعة كباب فاصل عالي التقنية ..

وجدا خلفه عالم مختلف كليا ، اختفت الديكورات و الفخامة و حل مكانها عدة سراديب و أقبية حجرية ذات إضاءة خافتة خلقت جو كئيب قابض للنفس ..

محتجز داخلها عشرات الفتيات اللاتي تبدو في حالة يرثى لها من الرعب و الإعياء ، يتراوح متوسط أعمارهن من الحادية عشرة حتى الثلاثين !

بمجرد اقتحام الشابين لسجنهم شاهرين أسلحتهما سادت حالة هستيرية من الصراخ و الهلع ، لكنهما أشارا لهن بحزم و صرامة لالتزام الصمت و قد أدركا أن هؤلاء المسكينات يمثلن الشحنة التي يتم الإعداد لتهريبها عبر البلاد بغرض تجارة الرقيق الأبيض و الأعضاء البشرية ، و من العدد الضخم علما أنهم على وشك التسليم ..

جالت الأحداق الفاحمة بينهن بلهفة بحثا عن عينان تحفظان السحر خلف جفنيهما ، ساعده شاهين بحماس و عندما لم يجد لها أثرا أشار برأسه نافيا دون أن ينطق بحرف

نكس الآخر عينيه بخيبة أمل لوهلة قبل أن يشرعهما بمهنية يدفعه واجبه لإكمال المهمة على خير وجه قائلا بثبات :

- اهدأن لقد انتهى الأمر ، سوف نخرجكم من هنا لكن ألزمن الصمت و تحركن بهدوء خلفي دون تدافع لنخرج جميعا سالمين ..

احتل المقدمة و تابع قوله لشاهين :

- نظف المكان و تأكد من خلوه بينما انقلهن للأعلى ..

بدا التناقض شديد بين فخامة و رقي القاعة الواسعة و مظهر الفتيات الرث و قد انكمشن

بخوف لا يعلمن هل حقا سيتم إطلاق سراحهن أم يدخلن دوامة رعب جديدة ..
تأملهن لحظة بقلب نازف و قد تجلت له ملامحها الحبيبة مطلة من خلف كل تلك الأوجه المغبرة الدامعة أمامه ، لكنه نفض إحساس الرثاء و ركز مع شاهين لإعداد خطة خروجهم من القصر دون خسائر قدر الإمكان قبل وصول الدعم فالبقاء بالداخل يعد مجازفة مع هذا العدد الضخم ..
لابد أن رؤية السلاح و هذه التحركات الحذرة مع طول المعاناة قد أرعب تلك الفتاة الصغيرة التي عجزت عن ضبط أعصابها و البقاء ساكنة كما طُلِب منها و فتحت الباب راكضة في محاولة ساذجة للهرب لكن ذلك أبدل كل شيء عندما انتبه الحراس و باشروا بتنفيذ الأوامر بآلية ، القتل المباشرة ..
هتف شاهين في المذعورات حوله ليتوقفن عن الصراخ و الانبطاح أرضا ثم شكل مع مراد جبهة مضادة ، سبيلهما الوحيد للنجاة هو إدارة العملية بذكاء و اتخاذ المواقع الصحيحة و إلا لن تصمد أسلحتهم الخفيفة أمام هذا الكم من الآليات الحديثة المنطلقة نحوهم بكثافة ..

دارت معركة حامية الوطيس و تصاعد صوت إطلاق الرصاص مدويا و قد اقتحم بعضا من الحراس مدخل القصر ..
استعان شاهين بالطاولات و المقاعد لصنع حاجز يفصل مكان الفتيات عن ساحة القتال الضاري في الوقت نفسه دفع مراد جسده للأسفل منزلقا على جانبه مسافة كبيرة بينما يرمي الرجال أمامه بكلتا يديه الحاملتين للسلاح و طلقات الرصاص تتطاير حاصدة السيقان و الأكف ..
نالت منهما عدة إصابات لكنها لم تكن كافية ليتوقفا قبل إحكام السيطرة على المكان بأسره و قد تزامن ذلك مع وصول قوة الدعم التي فرضت طوقا امنيا حول المنطقة كما تم نصب كمين إثر تلقي غرفة الاتصالات رسالة مفادها أن الطرف الثاني للصفقة في الطريق لاستلام الشُحنة ..
لم يكد يمر وقتا حتى وصل ركب من السيارات المظللة توقف في الباحة الخارجية أمام المبنى الضخم مطالبين بالشفرة اللازمة للدخول ..
عندها اشتعل الوضع من جديد فهؤلاء الرجال مبدأهم القتل عند أول بادرة شك !

بدأت السيارات بالتراجع وسط سيل كثيف من الطلقات بهدف تأمين السيارة ما قبل الأخيرة بالصف و التي تحمل طرفي الصفقة كما اتضح انشغل أفراد القوة بالاشتباك مع طقم الحراس المدربين بينما لاذ الرجلين الغامضين بالفرار تحت ستر هبوط المساء مع الأشجار التي شكلت غطاء ساعد على الهرب ، في أعقابهما انطلق مراد و شاهين ..

نجح هذا الأخير في إصابة احدهما بينما استمر رفيقه في ملاحقة الآخر بكف نازف و غضب متأجج حتى وصله صوت رُقيه تصرخ قهرا و نفاذ صبر :

- أين أنتما ؟! كدت افقد عقلي بحثا عنكم ..

كان هذا الاتصال كالمعتاد يربط بين الشابين في الوقت نفسه لذا هتف الصقر :

- ماذا لديك رُقيه و أين صالح ؟!

ردت بنبرات وجلة شارحة ما حدث ثم أملت عليهما إحداثيات المكان متابعة بقلب راجف :

- لقد فقدت الاتصال بالمروحية و صالح لا يستجيب ، اخبرني انه سيراقب فقط و ....

قاطعها مراد قائلا بحزم :

- اهدئي لا ريب انه في مكان به تشويش أو ما شابه ، سنتجه إلى هناك على الفور ، أرسلي مروحية تلتقطنا من منتصف المسافة حتى نصل أسرع ، لا نمتلك وقتا لانتظارها هنا لقد تحركنا بالفعل ..

انضم إليه شاهين لينظرا في أعقاب الهارب قبل أن يزمجر بقهر :

- لا بأس هناك أوليات دائما و جيّدا أهم ، هذا الوغد عليه الانتظار ..

❖❖❖

تحول المكان الهادئ لكتلة من الصخب عندما وصل الفريق المرسل من قبل السيد ارسلان و وجدوا جثة زميلهم قائد المروحية بالتزامن مع هبوط الأخرى التي قفز منها الشابين و قد أطلق مراد ساقيه للريح متسلقا درجات الكوخ الخشبي بقفزة واحدة ثم ركل الباب الذي احدث صوتا عنيفا جراء قوة اصطدامه بالجدار ..

يتبعه شاهين إلى الداخل الذي خلا من أي أثرا للحياة على نحو محبط ، إحساس مرير بالعجز عندما يكون الخصم هو الفاعل في كل خطوة بينما كل ما عليك هو رد الفعل !

دار بأرجاء الكوخ كالليث في أسوأ حالات غضبه حتى وصل للمطبخ بالجهة الخلفية ليستلم الهدية التي أعدها الحقير لاستقبالهم ..
انقبض قلبه بحرقة إضافية كأن ينقصه المزيد من القهر عندما سقط بصره على رفيقه ذبيح العنق مدرجا ببركة قانية من الدماء افترشت مساحة واسعة حوله ، هرع إليه صارخا برفض سحق روحه :
- لا ، صـــالح ..
انضم إليه شاهين الذي سمرته الصدمة و قفز الوجل الحزين محتلا أحداقه التي اعتمت بلهب اصطبغ باللون المنتشر حول صديقه المقرب مغمغما بصوت لا يكاد يسمع :
- صـالح ..
أطبق مراد جفنيه بينما فكه يصرخ من فرط الضغط الذي يمارسه عليه ، قبضتيه متشنجتين لا إراديا و عقله يصخب بهدير كاسح : سيقتله ، لن يهدأ حتى يمزقه بيديه ..
اقترب الآخر يمد يدا مرتجفة يفحص نبض رفيقه الشاحب بشكل مخيف كإشارة بليغة على خلوه من الحياة ليهتف بعدها بلهجة حازمة :
- استدعهم بسرعة مراد ، لا زال هناك نبض يكاد لا يحس ، علينا إنقاذه بأي وسيلة ..
عبارته أبدلت حال الشاب في زمن قياسي ليعود تألق العزم مالئا أحداقه هاتفا بقوة :
- سنفعل شاهين ، بإذن الله سنفعل ..
فريق طبي على أعلى مستوى من التجهيز و الخبرة تسلم الحالة على الفور مبادرين باتخاذ كافة الإجراءات اللازمة للحفاظ على النذر اليسير من الحياة الباقية داخل جسد الشاب الذي افرغ دماءه بينما ابتعد الشابين بمهنية تاركين لهم المجال لنقله للمشفى بأسرع وقت و أخذا في البحث عن أي أدلة قد يجداها في الكوخ ..
داخل إحدى الغرفتين ردد مراد بثقة عجيبة :
- لقد كانت هنا و قد نقلها قبل وقت قليل ، استعلم أين وجدوا المروحية التي غادر بها تحديدا
جال الآخر ببصره في المكان الخالي من أي اثر قائلا بحيرة :
- ما دليلك على وجودها ؟ كيف تعرف ذلك ؟!
رد بنظرة جامدة و مشاعر متباينة الحدة :
- رائحتها تملأ المكان ، ثق بي جيّدا كانت هنا و وصول صالح نبهه فبادر بنقلها و الاختفاء مجددا

استمعا لصوت رُقيه في نفس اللحظة تمدهم بالمعلومات حول مكان وجود الحوامة المسروقة ثم تسأل عن صالح بعبارات صريحة فحرك شاهين رأسه بإشارة نافية فهمها رفيقه و وافقه بشأن عدم إخبارها عن ما حل بخطيبها رحمة بها حتى يطمئنوا على الأقل و سارع بتلفيق حجة لانشغاله عن الرد عليها ..

فكر شاهين قائلا :

- إذن هناك من مده بوسيلة انتقال أخرى من نقطة توقفه حتى ملاذه التالي ، من الواضح أن لديه مكان معد دائما بعيد عن الأنظار و طالما خدع المنظمة و يعمل لحسابه الآن فهذا يعني أن لديه النفوذ الكافي ليفعل ..

أومأ الآخر يوافقه مضيفا :

- و كما صدرت إشارة من الخاتم مره قد يتكرر الأمر بأي لحظة هذا إن لم يكن كشفه و سلبها إياه ، السؤال هنا طالما كان بحوزتها لما لم تستخدمه من البداية و قد أخبرتها بوضوح بما عليها فعله !

اتبع شاهين قائلا بتأمل :

- الأمر غير مفهوم ، لما كانت الإشارة بهذا القصر و السرعة ؟ كأنها محض مصادفة !

- لا ادري يا صديقي لكني افتقد وجود صالح بشدة الآن و أثق انه كان ليستطيع إيجاد شيء غير مألوف بهذا الكوخ يجعلنا نصل لخيط ما ..

تضرع شاهين لخالقه داعيا لصديقه ثم أكمل قائلا :

- أتمنى أن يتمكنوا من إنقاذه و يصبح هو أول إخفاق يلوث سجل الوغد الأسود ..

دمدم مراد مؤمنا بدعاء مماثل وهو يواصل مسح كل شبر من المكان بتركيز بالغ ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

دفعها عنوة داخل غرفة جديدة بمكان مماثل للسابق إلى حد كبير لكن هذا أوسع و ملحق به مبنى اصغر أشبه بجراج أو ورشة صيانة لمحته بعجل عندما نقلها من السيارة التي استبدلها مرتين في الطريق على نحو مريب ..

تلاحقت أنفاسها عندما حدجها بنظرة قاتل لا يعرف الهوادة قائلا :

- لا داعي لكل هذا الذعر المطل من عيونك ، أخبرتك انك بأمان معي و لن يصيبك مكروه ، هؤلاء كانوا يريدون اختطافك للتخلص منك و قد تمكنت من إنقاذك ..

ازدردت لعابها بصعوبة و همست قائلة بتلعثم :
- لماذا ؟!
زفر أنفاسه بصوت مسموع مرددا بنبرة غامضة :
- لأنك الشاهدة الوحيدة على جريمة قتل ..
ضربتها هذه العبارة كشيء مألوف و بدت مقبولة لديها كأنها تمتلك رادارا لاقط يعرف المعلومة الصحيحة من الخاطئة و هذه منطقية مع كومة الارتباك الساكنة رأسها ..
علم انه أصاب الهدف و استرجع ثقتها فأحاط كتفيها بذراعه قالا بلطف :
- إنها صدمة رأسك حبيبتي لكن طالما أنا هنا كوني مطمئنة ، لقد أرهقت نفسك هذا اليوم ..
قادها للفراش المحتل احد أركان الغرفة متابعا :
- نامي لبعض الوقت مع قرص إضافي من دواءك سيصبح كل شيء على ما يرام ..
استجابت له هذه المرة و استلقت باستسلام أسعده فقد كانت بحاجة ماسة للنوم مع كل هذه الأحداث المتلاحقة ..
مد لها القرص المعتاد فتناولته بآلية و التفت هو لجلب الماء ، رفعته لفمها و قبل أن تدفعه بين شفتيها تذكرت الغثيان فتراجعت سريعا

فلو كانت حامل سيؤذي الجنين لذا عادت و أسقطته في جيبها مره أخرى و ادعت تناوله أمامه ..

دثرها باهتمام قائلا :

- استرخي الآن و نامي ، سأذهب للقيام ببعض الأعمال الضرورية بشأن انتقالنا هنا ، لكن لا تخافي أو تقلقي سأكون بالخارج ..

أومأت بصمت ثم أطبقت جفنيها لتأخذها غيمة النوم البيضاء بعيدا عن كل هذا الخوف و عدم الفهم الذي يلفها ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

مر يومان أشبه بالجحيم على منزل طاهر الذي ساءت طباعه بشكل مروع و بات دائم التذمر و لا يعجبه شيئا على الإطلاق حتى أماني صارت تتعامل معه بحذر و قد نالها من صوته المرتفع الكثير لدرجة أنها خشيت من فرضية اكتشافه لأمر زواجها ..

هناك شيئا الم به منذ عودته و الجميع يعجز عن تفسير حالته ..

هو وحده الذي يمتلك سر عبوسه و شعوره المتنامي بالغضب بعد أن كرر الاتصال بناريمان لكنها كل مره تأبى تلقيه بالعناد التركي الشهير ، و بعد عدة محاولات فاشلة أرسلت له رسالة نصية مفادها (أي كلمة في عبارة لا أريد الحديث معك لا تفهمها ؟!) مرفق بها وجه يعقد حاجبيه بحنق شديد ..

من وقتها و هو بهذا المزاج المكفهر لا يعرف ماذا يريد لكنه لا يحب غضبها منه و شعورها المرير تجاهه ! و ما يجعله كارها لنفسه أكثر انه فعل ذلك حقا ، جرحها و هرب منها كأنها الملامة على تعلق قلبه الأحمق بها ناسيا عهده ..

لما لا يستطيع نسيان الأمر و تجاهله و يعود لما كان عليه ؟! ربما يفتقد صداقتها و أحاديثهم الممتعة بعد أن غاب ذلك العنصر عن حياته أمدا طويل ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

- لن استطيع الخروج ادهم ، بابا غاضب و أخشى إثارة المزيد لديه ..

اجبر نفسه على الحديث بعقلانية و هدوء لا يعلم ماذا يحدث لها عندما تكون بصحبة والدها كأنها تتحول :

- حبيبتي أنا اعرض عليك تناول الطعام في مكان

عام لا شيء أكثر ، القليل من الوقت فحسب أريد أن أراكِ ، لقد كنا نلتقي قبل الزواج أكثر من الآن ! لما لا تخرجي مع سُلاف ، استطيع الاتصال بها و جعلها تمر عليك ، حسنا ..

وصله صوتها الرافض تتمتم بخفوت :

- لا ، لن ينفع ذلك ، أخبرتك أن هناك أمرا غير مفهوم يحدث مع أبي و أريد معرفته ، تحمل أكثر ادهم ، لأجلي حياتي ..

زم شفتيه قائلا بقهر :

- حسنا نانيّ ، كما تريدين ، إلى اللقاء سأعود لعملي فلم يتبقى لي سواه ..

لم تكد تضع الهاتف من يدها حتى صدح بالرنين مجددا لكن هذه المرة بصورة عمها رضوان الذي أجابته بلهفة و سمعته يقول :

- مرحبا صغيرتي ، كيف الأحوال عندك ؟ هل ما زال طاهر على حاله ؟

أجابته قائلة بيأس :

- بل أسوء عمي ، لا اعرف ما الذي المّ به ؟ يكون بخير و فجأة ينقلب عاصفا دون سبب واضح ! أتظن ساقه تؤلمه ؟

ابتسم الرجل مرددا بفطنة :

- ليست ساقه مانو ، بل شيئا آخر هو ما يؤلمه ، اسمعي ما رأيك أن أخلصك من هذا الجو المتوتر و تأتين لقضاء يومين في منزلي ، هذا ما سنخبره به بالطبع لكنك تعرفين إلى أين ستذهبين ..

أغرتها الفكرة لوهلة لكن ولائها لوالدها تغلب فقالت بأسف :

- أشكرك عمي لكن لن استطيع تركه على هذا الحال (ثم استدركت متسائلة) هل ادهم يشكوني ؟

ابتسم الرجل بينما يجيبها :

- بالطبع لم يفعل ، زوجك رجل يا فتاة لكني امتلك عينين و عقل كما أن أحلام لا تبدو راضية عنك ..

رددت قائلة بتفهم :

- اممم إنها خالتي إذن ، لقد تخلت عني رسميا الآن و صارت بصف ادهم قلبا و قالبا ، يا لي من مسكينة ..

ضحك رضوان قائلا بخفة :

- احذري منها قد تزوجه ثانية ، إلى اللقاء حبيبتي اعتني بنفسك و إذا جد شيء على شقيقي المشاغب أعلميني في الحال ..

قضت جيّدا هذه الفترة لا تغادر الفراش سوى للحمام و قد انتابتها حالة مرضية أسقمتها مع صداع مستمر يصاحبه دوار و غثيان شديد جعلها ذلك توقن من حملها الغير مرغوب به و زادها بؤسا و إحباط ..

لكن الجانب المضيء أن زوجها المفترض ابتعد عنها و لم يحاول التودد إليها مكتفيا بمراقبة حرارتها و إمدادها بأقراص الدواء بحرص مبالغ فيه لكنها واصلت عدم تناوله بينما جيب سروالها هو من يفعل بدلا عنها ..

لم تخبره عن اكتشافها دون سبب واضح ! ربما لتنامي إحساس الحذر داخلها كلما تواجد بالقرب الأمر الذي زاد من يأسها و شعورها بالرعب من نفسها بسبب رفضها لهذه الحياة التي تنمو داخلها !

ثم فجأة ضربتها فكرة صعدت من ماضيها ، لما لا يكون نفورها الشديد منه مؤقت بسبب الوحم ؟ اجل لقد سبق و سمعت والدتها تذكر أن المرأة الحامل في بعض الأحيان تكره زوجها !

يا الهي هذا يجعله زوجها فعلا ! ارتجفت للفكرة بشكل لا إرادي راغبة في البكاء ليس لأنه بشعا ، بالعكس يبدو أشقر وسيم قد تراه الفتيات جذابا لكنها تنفر منه و لا تحبه رغم ذلك !

استلقت على جانبها مع دمعة شاردة شاركتها الوسادة ، قلبها يتمتم بالدعوات طالبة المساعدة من خالقها ....

على الجانب الآخر من الغرفة كان يشعر بالسعادة لان خطته تسير بنجاح فرجال المنظمة لا يوجد لديهم شك في قيامه بقتل الفتاة بنفس الوقت حصل على بغيته و صارت تخصه و لا يوجد أي خيط يقود إليهما ، حتى ذلك الرجل الذي تخلص منه في الكوخ لا يعلم كيف وصل إليه ! لكن ربما كان الأمر صدفة لم تكن هي المقصودة منها ..

كل شيء يسير كما خطط له أما أعراضها المرضية فلا ريب أن سببها العقار ، سرعان ما سيكتمل تأثيره و يمحو ذاكرتها القديمة تماما ثم لديه كل الوقت لمنحها أخرى جديدة لا تحمل إلا ما يريده هو ..

أخرجه من نشوة النصر اتصال هاتفي ملح قطب حاجبيه عند رؤية صاحبه و قفزت حاسته التي تستشعر الخطر تعمل بطاقتها القصوى ..!

لم ينجح أيا من أفراد أسرتها و لا رفاقها في احتواء انهيار رُقية و تشبثها بالبقاء أمام غرفة العناية الفائقة طيلة الوقت حتى ترى صالح الراقد بالداخل دون معلومة تفيدهم
كانت هي أول من رصد خروج الطبيب المختص بحالته فركضت إليه هاتفة بدموع تتسابق على وجنتيها الشاحبتين :
- أرجوك لا تقل إنني فقدته ، أتوسل إليك اخبرني انه سينجو ، أنا مستعدة لفعل أي شيء لإنقاذه ، خذ حياتي لكن أريده حيا ..
وضع شاهين كفيه على كتفيها من الخلف بدعم بينما عيون الجميع معلقة بوجه الطبيب الذي ردد قائلا بوقار :
- لا بأس بنيتي ، كوني واثقة في الله فهو وحده من بيده إنقاذه سبحانه و تعالى مسبب الأسباب و لا راد لقضائه ..
رفعت عيونها المحمرة الدامعة إليه و هتفت ذاهلة :
- ماذا تقصد ؟ أفصح رجـاء ، هل ....
حرك الرجل رأسه قائلا بنفي :
- كلا اطمئني (ثم أجلى حنجرته كأنه يستعد لشرح طويل و تابع)

يبدو الأمر غريبا بعض الشيء و غير معتاد لهذا استغرقنا الوقت لدراسة الحالة قبل إخباركم بالنتيجة ..
كما رأيتم لقد تعرض لإصابة نافذة تؤدي للقتل المباشر لذلك ذكرت أن أمر إنقاذه كان بيد الله وحده ، أطباء العالم اجمع لم يكن بوسعهم فعل شيء مع الطريقة التي طعن بها ..
رفيقكما رجل تحوطه العناية الإلهية لأنه ولّد بتشوه خِلقي يصيب فقرات العمود الفقري خاصة فقرات العنق بشكل رئيسي ، حيث تكون ملتصقة ببعضها مما يؤدي إلى قصر في الرقبة كما يمنع الشخص المصاب من تحريك عنقه بسبب التحام غير طبيعي بين الفقرات يدعى (متلازمة كليبل فيل)
في معظم الحالات يكتفى بالمتابعة الدورية للحالة منعا لحدوث مضاعفات ..
قبل بلوغه العاشرة كان والد صالح الذي ورث عنه عبقريته التكنولوجية يعمل خبيرا تقنيا في ألمانيا و هناك عرضه على فريق من امهر أطباء جراحات العظام الذي تبنى الحالة بموافقة خطية من الوالد و قد فضل المجازفة

على أن يحيا ابنه محاطا بالآلام طيلة عمره
ناهيك عن تعرضه للخطر كل وقت ..
بالفعل خضع صالح لجراحه دقيقة و تم تدعيم
فقرات العنق بشرائح معدنية و ترميم
الغضاريف بمساعدة بنك العظام ثم باشر
بمتابعة مكثفة و أشعة مقطعية و مغناطيسية
للتأكد من سلامة الأعصاب و العناية التامة
بالحبل الشوكي قبل أن تبدأ المرحلة المكملة
بجلسات العلاج الطبيعي لفترات طويلة لتحفيز
الخلايا على النمو و يصبح شكل العنق مثالي ..
تبادلوا نظرة عكست مشاعرهم المهتاجة بينما
نطق الشابين قائلين في الوقت نفسه :
- أيعني ذلك انه قد نجا ..
رد الطبيب بإيماءة مدركة :
- اجل ، الجراحة القديمة هي ما أنقذ حياته
بفضل الله ، الخطر الحقيقي سببه النزف الشديد
نتيجة الجرح القطعي بالأنسجة لكن بعيدا عن
الوريد الوداجي المحمي ..
سقطت رُقيه على ركبتيها تزفر أنفاسها بارتياح
مرددة :
- الحمد لله ، أشكرك يا رب

ضمتها ذراعي والدتها تهديها بعض السكينة
لكنها تملصت منها طالبة رؤيته فسمح لها
الطبيب و من بعدها رفيقيه ....
❖❖❖
دلف شاهين يتبعه مراد إلى الغرفة الهادئة إلا من
أزيز الأجهزة المتصلة بجسد صالح و هناك ضماد
كبير ملتف حول عنقه ..
أدار عينيه إليهم قائلا بصوت مختنق :
- مرحبا شباب ، ذكراني أن لا أحاول اللعب
المباشر ثانية فاللهو بذراع الألعاب أكثر تسلية
بمراحل ..
صدحت ضحكات الشابين و قد ذخرت عيونهم
بعمق الود و الصداقة التي يحملانها لهذا المشاغب
قائلين ببشاشة :
- أهلا بعودتك صالح ، كدت تقتلنا فزعا يا رجل
ردد بصوت متقطع و لا يكاد يسمع :
- لا تقولان أنكما لم تلتقطا صورتي في هذا
الوضع الفريد ، لا افهم لما يستهدف الأوغاد عنقي
دائما ؟!
أجابه شاهين من بين ضحكاته :
- لأنك تمتلك أرواح القطط يا صاح ..

نقل الشاب عيناه إلى مراد قائلا بنبرة تقاطرت ذنبا :

- المعذرة يا صديق ، سامحيني لم أتمكن من رؤيته ، لقد باغتني من الخلف ..

ابتسم بإخوة مربتا على كفه قائلا :

- اطمئن سنجده بإذن الله ، عندها سأصفي معه كل الحسابات المتراكمة ، سيدفع ثمن كل قطرة دماء سالت منك يا أخي ..

أومأ قائلا بثقة :

- اجل اعلم أنكما ستفعلان لكن خذاها نصيحة من رجل ذُبح حديثا و ما زال يتحدث ، اذهبا و نالا قسطا من النوم تبديان مريعين ، في طريقكما للخارج ستجدان فتاة تبكي ، لا اعلم يقينا إن كانت تفعل لإصابتي أم نجاتي المهم أرسلاها إلى هنا لأني افتقد لبعض الدلال ..

تبادل الشابين نظرة قبل أن تقفز ابتسامتهما دون إرادة و يغادران بأمل و عزم متجددان

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

دار طاهر داخل غرفته بضيق من نفسه ، لقد نهر ابنته قبل قليل عندما ألحت في سؤاله عن سبب ثورة غضبه و لا ريب أنها حزينة ، تبا حتى أماني عمره لم تنجو من حدة طباعه و نزقه ، عليه الذهاب و مصالحتها قبل خلودها للنوم .... كانت هي بغرفتها تقلب شفتيها بقهر لعجزها عن التواصل مع والدها ، ألقت نفسها على الفراش بعدم رغبة في القيام بشيء ..

لفت انتباهها نقرات خفيفة على باب شرفتها المطل على الحديقة ، رفعت حاجبيها بحيرة متسائلة عن مصدر ذلك الصوت !

نهضت مستطلعة برهبة لتستقبلها آخر مفاجأة قد تتوقعها يوما ! قفزت يدها تغطي فمها الذي هتف بعدم تصديق :

- ادهـم ..!

ركضت لفتحه فدخل باسما و بادرها بعناق ساحق انتزعت نفسها منه مرددة بخفوت و عيون مذعورة :

- ادهم ، هل جننت ! ماذا تفعل هنا ؟ و كيف صعدت ؟!

رفع كفيه قائلا ببساطة :

- العب دور روميو المتيم و قد صعدت بنفس طريقته ، علينا الاستفادة من دراسة التاريخ حبي

وضعت كفها أعلى رأسها قائلة :

- أنت فعلا مجنون حقيقي ، ماذا لو رآك العم محسن في الحديقة ؟! تعلم انه لا يعرف عن زواجنا أو ماذا لو أخطأت و دخلت غرفة والدي !!

صدحت ضحكاته عندما تخيل فرضياتها الوجلة فبادرت تكمم فمه بكفها قائلة بنبرة خافتة :

- يا الهي سيسمعك بابا اخفض صوتك ، يجب أن ترحل على الفور ستحدث لنا فضيحة بسبب تهورك ..

حرك رأسه مزيحا قبضتها بمشاكسة رقيقة مرددا :

- لقد حذرتك من قبل و أنت لم تأخذي ذلك بجدية ..

ثم تراجع مستلقيا على فراشها الأنثوي و عيونه تجول بأنحاء الغرفة قائلا بمرح :

- غرفتك جميلة و رقيقة جدا مثلك حبيبتي لكن يلزمها البصمة الادهمية لتكتمل ..

كادت تصرخ حنقا من ذلك المتسلي على حسابها و هرعت تدير المفتاح في قفل بابها قبل أن تعود إليه واضعة كفيها فوق خصرها قائلة :

- ادهم هذا ليس مضحكا بالمناسبة ، هل لديك فكرة عن كيفية خروجك من هنا ؟

اسند رأسه فوق قبضته مستنشقا عبيرها العالق بالوسادة و أجاب دون أن يفارقه مرحه الواضح :

- كلا ، لم أفكر سوى برؤيتك فحسب ، هل تدركين أن الغضب يجعلك فاتنة ؟

ضربت رأسها بغيظ مدمدمة من بين أسنانها :

- أنت غير معقول !!

استقام دون أن يغادر فراشها ليجذبها من كفها يقربها منه في نفس الوقت الذي تعالى صوت نقرة رجولية حازمة على باب الغرفة تبعها صوت والدها يردد :

- ناني ، حبيبتي أريد محادثتك ..

شهقت بذعر كبير بينما ادهم تلفه موجة من الغيرة و الغيظ لاستخدامه اسم الدلال الخاص به فهمس يعترض بحدة :

- لا تجعليه يناديك ناني !

اتسعت عيونها بعدم تصديق و هي تكاد تقتله في حين بادلته الهمس :

- هل هذا وقته الآن ؟!!!

عاد صوت طاهر يعلو قائلا :

- افتحي الباب ناني لما تغلقينه على غير العادة ؟! هم الآخر بالتذمر مجددا فوضعت كفها فوق فمه هاتفة :

- حالا بابا ، لحظة واحدة أنا آتية ..

آه يا الهي إنها عالقة بين طفلين أنانيين !

سحبته من كفه بغلظة باحثة عن مكان يصلح لاختبائه كأنها دخلت احد الأفلام السينمائية القديمة !

حركت شفتيها دون أن تصدر حرفا لكن عبارتها وصلته بوضوح تسأله :

- ماذا افعل بك الآن ؟!

رفع كتفيه مشيرا بلا مبالاة بينما يبدو عليه التسلية و الاستمتاع بكل ما تمر به ، لا ريب إنها ستقتله لاحقا ، أشارت للشرفة التي دخل منها هامسة بخفوت شديد :

- إلى هناك في الحال ..

ردد بنفس النبرة قائلا بمشاغبة كادت تفقدها صوابها :

- لكن الجو بارد هناك نانيّ !

عضت قبضة يدها حتى لا تصرخ أو تعضه هو و سارعت بدفعه حتى وارته خلف الباب الزجاجي

و أحكمت إغلاق طبقتي الستائر ثم ركضت لفتح الباب آملة أن لا يلاحظ وجلها و ارتجافها .. ارتدت ابتسامة واسعة و استقبلته بقولها :

- مرحبا بابا ..

قطب حاجبيه ساءلا بحيرة :

- لما تأخرتِ ! و ما سبب إغلاق الباب من الأساس؟

ازدردت لعابها قائلة بشكل كاد ينفجر له ادهم المسترق للسمع ضحكا :

- صدقني لا اعرف ، ربما سهوت أو شيء من هذا القبيل ، أردت شيئا بابا ؟

تذكر السبب الذي دفعه لزيارتها فرد قائلا بابتسامة حانية :

- اجل حبيبتي ، أردت مصالحتك لأني رفعت صوتي عليك قبل قليل ، لقد كنت منفعل و لم تكوني أنت المقصودة ...

أومأت قائلة بلهفة :

- لم يحدث شيء الأمور كلها بخير ، كن مطمئنا ..

لاحظ أنها ما زالت متمسكة بالباب و لم تدعوه للدخول فعاد يسأل بدهشة :

- ألا تودين أن نجلس سويا لبعض الوقت و نتسامر ؟

رفعت عيونها إليه قائلة بارتباك :

- اجل ، لا ، اممم اقصد كنت اتصل بجيجي فلم أحادثها منذ فترة كما تعرف و اشتقت إليها .. لانت ملامحه و أشار للحاسوب قائلا ببساطة :

- عظيم ، أنا أيضا ارغب بالاستفسار منها عن شيء ، لنحدثها سويا إذن ..

عضت شفتها السفلية بقهر ، لما يبدو مصرا على إفساد كل حجة تخترعها بهذا الشكل !

رددت بسرعة قاطعة عليه الطريق :

- للأسف الاتصال لم ينجح ، إنها ليست متواجدة ، تصبح على خير بابا أعدك أن ابلغها تحياتك لو صادفتها ..

رفع حاجبه و خطا خطوة للخلف لكن سرعان ما عاد يتقدم ثانية قائلا :

- حسنا على الأقل دعيني أدخلك الفراش و أظل جوارك حتى يغلبك النعاس كالأيام الخوالي .. يا الهي سوف يقتلها الإحباط لا محالة ، هتفت قائلة بصوت يائس :

- كلا !! أنا لن أنام مباشرة ، سأقرأ لبعض الوقت و أجول بين المواقع لا تشغل بالك بي حبيبي عليك أنت بالراحة حتى تنزع الجبيرة عن ساقك بشكل أسرع ..

أخيرا استسلم و قال مشيرا بكفيه بعدم اقتناع :
- لا بأس سأذهب إلى غرفتي لكن إذا أردت شيئا تعالي دون تردد اتفقنا ..
أومأت باسمة و لم تغلق بابها حتى شاهدته يتوارى داخل غرفته عندها فقط أطلقت أنفاسها و هرعت لإدخال ذلك المتسلي الذي لم يفوت حرفا واحدا مما قيل هاتفة بخفوت
- سعيد الآن !! لقد أوشك قلبي على التوقف و السيد طاهر يصر على إجراء حواره الليلي الموسع بينما أصابني الإعياء طيلة اليوم لأدفعه للحديث دون فائدة !
غامت دكنة حدقتيه بدفء عشقه الذي طفا على السطح ماحيا أي شيئا عداه ، مال رأسه ليجيبها بعناق أخذها في جولة من المشاعر الناعمة جعلت روحيهما تحلقان عاليا في عالم من النقاء الوردي ، تراجعت بلطف إلى الخلف هامسة :
- ادهم ..!
رد بخفوت قبل أن يعيد امتلاك كرزتيها الشهيتين من جديد :
- اششش سوف يسمعك والدك ....

مضى الوقت دون أن يفعل أكثر من مجرد احتلال أريكتها البيضاء و هي جالسة بين ذراعيه يتناجيان بهمس كزوج من الكناريا المتحابين و بين كل همسة و أخرى عناق يؤكد على صدق القول ..
مسدت جانب وجهه الخشن قائلة بهيام :
- احبك جدا ادهم و ممتنة لكل ما تفعله لأجلي ..
داعب انفها الدقيق بأنفه مرددا بابتسامة فائضة الرجولة و الإحساس :
- لا تكوني حمقاء ، روحي نفسها ملكا لك تفعلين بها ما شئت ثم إن مغامرات الهرب من والدك تروق لي و تضفي نوعا من الإثارة على زواجنا ، هيا لتراقبين لي الطريق ، عليّ الانصراف الآن فرغم كل شيء هذا منزل السيد طاهر و يجب احترامه لقد أردت رؤيتك فحسب و لولا الضرورة لما فكرت بدخوله دون استئذانه ..
أحاطت عنقه بذراعيها و طبعت قبلة رقيقة على شفتيه قائلة :
- سيعلم بابا ذات يوم كم أنت رجل عظيم حبيبي و سوف يفتخر انك صرت ابنا له ..
دفن رأسه بتجويف عنقها يصبر قلبه التائق على

البعاد القادم ثم نهض ممسدا كنزته الرمادية من الصوف الناعم التي أبرزت عرض منكبيه و اتساع صدره قائلا :

- تذكرين دعوة العم رضوان غدا أليس كذلك ؟

أومأت بالإيجاب قائلة :

- اجل حبيبي سنلتقي هناك بإذن الله لنعلم سبب الاجتماع الذي دعانا إليه !

وضع خصلة ذهبية داعبت وجنتها خلف أذنها مغمغما :

- لما لا احضر بالقرب من المنزل لأقلك ؟!

ردت مفسرة بابتسامتها الناعمة :

- لا داعي لذلك لأني سأذهب مع الخالة أحلام فهي أيضا مدعوة و العم محسن زوجها هو من سيقلنا ثم يعود لبابا ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

استيقظت يلفها الصداع الذي غفيت به دون تحسن يذكر ، حلقها جاف كالصخرة و دورق الماء جوارها فارغ فنهضت لتجلب غيره من المطبخ ، فكرت بطريقها أنها تود محادثة أهلها بشكل يائس ، كيف لم يمنحها هاتفها أو الحاسوب حتى الآن !!

استمعت لأصوات مكتومة صادرة من خلف الباب الرئيسي الذي لم يكن مغلقا بشكل كامل فتقدمت حابسة أنفاسها تستطلع ما يدور ..

نظرت من الشق الصغير لترى ظهر من يدعى زوجها و معه رجل ملامحه تشير لأصله الأسيوي بوضوح ، كان يهدر بغضب لم يكترث له الآخر قائلا بنبرة جليدية مرعبة فهمتها لان الحديث كان يدور بالانجليزية لحسن الحظ :

- لا شأن لي بكونكم مجموعة من الحمقى أفسدتم العملية ، كيف تجرؤ على المجيء إلى هنا و أنت ملاحق ! لما لم تتصل كالمعتاد لأحضر إليك ؟!

رد الغريب قائلا بفحيح شرس :

- استمع إليّ جيدا ، أنا لا أبالي بما تفعله في هذا المكان لكن عندما يتعارض مع عملنا يكون لنا وقفة ، لقد فقدنا شحنة تقدر بمبالغ طائلة كما وقع زميلي في قبضتهم و هذا غير مقبول ..

تراجعت إلى غرفتها راكضة على أطراف أصابعها ، هناك شيئا ما خاطئ ، أمر سيء و هي تشعر بذلك من البداية ..

لم تعد قادرة على الانتظار و الصبر فهذا المكان يقتلها ..

انتهزت فرصة انشغاله مع ضيفه الخطر و ركضت إلى نافذة غرفتها المغلقة ، لم تحاول فتحها من قبل لكن يجب أن تفعل ذلك الآن ..

كان زجاجها سميك و كلفها الكثير من الجهد لكنه استجاب في النهاية فقدرت المسافة التي لم تكن بعيدة نظرا لان الكوخ دورا واحدا و رفعت ثقلها معتلية حافتها ثم دفعت جسدها إلى الجانب الأخر دون تردد أو لحظة تفكير ..

امتصت الأرض الترابية صدمة هبوطها لتتحرك هي بسرعة و خفة تحدد اتجاهها بصعوبة وسط الظلام ، وجدت أمامها الملحق فعلمت أنها بالجهة البعيدة عن المدخل الذي يقفان عنده ..

هرعت راكضة إلى ذلك المبنى الخشبي لتجد في استقبالها سيارة كبيرة ذات إطار معدني لامع

يحتل مقدمتها و تشبه الشاحنة أملت أن تساعدها لكنها كانت مغلقة كليا و بالتأكيد ستلفت الانتباه إليها ..

استدارت لتغادر المكان و قد قررت خوض المغامرة على قدميها غير مبالية بالظلام المحيط فما تخشاه تعدى خوفها منه لكن عندها وقع بصرها على شيء جعل عيونها تتسع بفرحة غامرة و حماسها يتدفق ..

دراجة نارية من نوع الهارلي تقف متباهية بشكلها الانسيابي الجميل ، على مقربة من طاولة تحمل أغراض العناية بها ..

سارعت بالبحث بينهم فوجدت مفتاحها ملقى بإهمال ! قبضت عليه بظفر و دون تأخير سحبتها من مكانها بمهارة و خبرة بينما عقلها يردد بسخرية : يبدو أن زوجها المزعوم يثبت جهله باهتماماتها من جديد فلو كان يعلم لما تركها في متناول يدها بهذه البساطة في حين أمعن بإغلاق السيارة مخفيا مفتاحها !!

استمرت بسحبها لمسافة آمنة قبل أن تغامر بإدارة المحرك مع علمها بمدى نعومة هذه النوعية و سلاسة تشغيلها رغم وحشيتها في السرعة ..

لم تبالي بكونها لا تعرف أين هي و لا أي اتجاه عليها أن تسلك ، لكن كل ما اهتمت له هو الابتعاد عن هذا الرجل المخيف ..

قفزت معتلية سطح الدراجة ببساطة و اعتياد و انطلقت بها كدراج محترف على خوض السباقات متمتمة بسعادة تشعر بها لأول مرة منذ أيام عدة ، مرت عليها أشبه بالدهر دون نهاية :

- شكـرا عمر ، أنا مدينة لك ..

تطاير شعرها إلى الخلف بحدة و لفتحتها الرياح الشديدة البرودة بعنف نظرا لسرعتها الرهيبة

لكنها شعرت بها تربت على روحها و تحررها من أغلال الأسر التي رسخت تحت نيرها ، إنها نسائم الحرية فمرحبا بها ، كما أنها أزالت عنها الغثيان و أشعرتها بالبهجة ..

❖❖❖

هدر جاك بنفاس صبر :

- أنا لا امتلك الوقت لإضاعته معك ، ماذا تريد تحديدا ؟

رد الآخر قائلا بمكر بينما يشير لداخل الكوخ :

- يجب أن أرى ما تخفيه هنا بعدها أقرر ما أريد قوله أيقظ غريزة الصيد الكامنة داخل القرش بالفطرة فابتسم قائلا ببساطة :

- بالطبع (ثم أفسح له المجال و اتبع) تفضل طالما ترغب بذلك ..

تأخر بعفوية سامحا للآخر أن يتقدم بغرور غافل عن لمعة الشراسة التي احتلت مقلتي مضيفه ..

لم يكد يعطيه ظهره و يخطو أول خطوة حتى استقبله النصل اللامع مجتثا روحه بتمريره خاطفة لم تمنحه الوقت لإطلاق شهقة المفاجأة التي عكستها عيونه الجاحظة بوضوح ..

صخب الدم يغرق صدره فسحبه إلى الخارج قائلا باستهجان :

- كلا ، لا نريد إفساد الأرض فرقيقتي تنزعج من رؤية الدماء ..

سحبه دون مبالاة بانتفاضة خروج الروح مودعة جسدها ثم ألقى به داخل صندوق سيارته الرياضية المتوارية بين أشجار دغل قريب من المدخل و تابع قوله بلا اكتراث:

- لا بأس سأخصم ثمنها من سيدك الغبي حتى يتعلم اختيار عملائه غير فضوليين ..

عاد أدراجه لتفقد تلك النائمة بوداعة ملائكية عازما على الانتقال للخطوة الحاسمة بعلاقتهم ، يجب أن تصبح زوجته فعليا الآن لقد عيل صبره و لم يعد في استطاعته إبعاد نفسه عنها أكثر ..

❖❖❖

استمرت بقيادة المركبة التي نهبت الأرض لمسافة واسعة تحت زخات المطر آملة أن يكون خزان وقودها مليء بشكل يكفي لابتعادها مسافة آمنة ..

لكن تلك الغابات المظلمة بدت لا نهاية لها كما أنها تجهل قراءة اللافتات المتلاحقة و لا تعرف

الأماكن التي تشير إليها فهل تبتعد أم تقترب ؟
يا الهي إلى أين تتجه ؟ و لمن ؟

❖❖❖

اندفع لداخل الغرفة عند رؤيته فراشها الفارغ ، مسه بيده لتصفعه برودة المكان دليل على مغادرته منذ بعض الوقت ! اتجه إلى الحمام علها تمر بنوبة قيء جديدة لكن لا شيء أيضا ! اتقدت حدقتيه بوحشية ، انه لم يغادر المدخل الرئيسي و هنا لا يوجد باب خلفي كما أن السيارتين كانتا في مكانيهما لقد اعتاد على تفقدهما تحسبا و المفاتيح لا تغادر جيبه ! أيعقل أن ..... كلا مستحيل ..

ركض إلى الملحق ليستقبله الخواء الذي كانت تحتله دراجته النارية صباح اليوم ، اكتنفه غضب ساحق جعله يصرخ بوحشية عاليا :

- لاااااااااا .....

عاد أدراجه نافثا اللهب ثم وضع جسده أمام مقود السيارة الصغيرة منطلقا بملامح كانت تجسيدا للشر المطلق و قد خلت من أي معالم آدمية لاعنا كل شيء فقد هطل المطر ماحيا آثار العجلات عن التربة الطينية و هكذا لن يعرف وجهتها و عليه سيفقد وقتا ثمين ..

استمر استجواب العميل الذي نجح شاهين في إصابته و القبض عليه لساعات طويلة و هو يصر على عدم معرفته لذلك الملقب بالأبيض و أن زميله هو من كان مكلفا بالتعامل المباشر معه ..

سأل مراد بصرامة :

- أين كانا يلتقيان ؟

رد الأخر بحسم بارد :

- لا اعرف ، كل مره بمكان مختلف فالرجل كان يحرص على سرية شخصيته و أماكن إقامته ..

تابع أسئلته بصبر حانق :

- آخر اتصال بينهم كان متى و من أي مكان ؟

ظهرت ومضة خفية داخل عيون الرجل سرعان ما تلاشت قبل أن يردد بعناد :

- لا معلومات لدي ..

عندها انتفض مراد و رفعه من مقدمة قميصه غير مبالي بإصابة ذراعه هادرا بشراسة

- حسنا إذن بما انك عديم الفائدة و لا تعرف شيء فلا لزوم لك ، لقد فقدناك أثناء العملية ..

ثم سحب سلاحه المعلق أسفل إبطه و جذب صمام الأمان زارعا الفوهة بين عيني الرجل الذي ذعر و سرعان ما هتف قائلا برعب :

- مهلا لقد تذكرت شيئا ..

لم يبعد المسدس قيد أنملة بينما زمجر مثبتا عينيه على نظرات ذلك الذي يزدرد لعابه بصعوبة :

- احرص أن يكون ذا أهمية و إلا سأريحك من حياتك البائسة ..

ردد بسرعة و ارتباك :

- بإحدى العمليات السابقة ذكر زميلي شيئا عن محطة وقود تقع في منطقة وسط الغابات لا اعرف اسمها تحديدا ، اقسم لك ..

التقط مراد المعلومة و سارع بإيصالها للفريق طالبا حصر كل المناطق المطابقة لها ..

حصل على القائمة بوقت قياسي ، قام مع شاهين بدراستها آخذين باستبعاد كل ما لا يتفق مع الأدلة بحوزتهم و شخصية هدفهم حتى وصلا لمنطقة بعينها ، اتفق كلاهما على مطابقتها لنفسية الرجل و الوقت الذي سجلته عدادات المروحية قبل استبدالها بالإضافة للوجهة التي توقف عندها رغم التمويه المتعمد ، في عملهم كان لكل شيء دلالة و يشير لطرف آخر ، مهما بدا تافها أو غير ذي فائدة يكن فعال و له تأثير ..

طلب شاهين مسحا شاملا للمنطقة و أي معلومات متاحة عنها ، و عندما وصل التقرير قرأه بصوت مرتفع قائلا :

- الجزء الوحيد المأهول منها يمتلكه رجل الأعمال الشاب يعقوب عابد ، نشاطه الداخلي محدود و يقضي اغلب فتراته خارج البلاد ..

أومأ مراد قائلا بتفكير :

- اعرفه لكن لم أتعامل معه ، قد يكون الأمر مجرد مصادفة استغلها الطرف الآخر للتواري خلف اسمه المعروف ، لن نتسرع في الحكم الآن كما لن نهمل ذلك ..

تحرك رفيقه بالفعل قائلا :

- دعنا نبدأ الزيارة فلا ريب انه سيستقبلنا فاتحا ذراعيه ..

❖❖❖

أوقفت الدراجة على شفا جرف تبدو من أسفله هاوية مخيفة ، ارتجف جسدها الذي تشبع بالصقيع بسبب المطر و الرياح إضافة لعدم وجود معطف معها يقيها بعضا من ذلك الزمهرير القاسي ..

لفها شعاع الضوء الوليد فرفعت رأسها بتمني لسرعة وصول صديقتها البرتقالية آملة في بعض الدفء و الحرارة قبل تجمد عظامها فعليا

مطت شفتيها بأسى و حدثت الدراجة قائلة :

- اعذريني يا حلوه أنا بالفعل مدينة لك و قد قضينا معا ساعات الليل الطويلة لكن حان وقت الفراق فلن أجازف بان يصل إليّ عن طريقك ..

رفعت حاجبيها و أكملت قولها بتفكه :

- قد يقتلني عمر على مجرد تفكيري بالأمر لكن ما باليد حيلة ، تذكري أني أحببتك و انك جميلة ، الأمر ليس شخصي أبدا ..

قامت بدفعها من أعلى الجرف لتسقط و تبتلعها الهاوية ثم أشارت بكفها قائلة :

- وداعا يا صديقتي الباهظة الثمن لدرجة مغيظة ..

انعكس الضوء على فص خاتمها البراق فلفت انتباهها إليه لتقطب قائلة بعبوس :

- أمازلت هنا ؟!

سارعت بإبعاده عن إصبعها و ألحقته بالدراجة شاعرة بالتحرر الكامل ، ذكرها شكل بنصرها الخالي بذلك القابع داخل جيبها فأخرجت الخاتم الزهرة و منحته ابتسامة قائلة :

- منذ الآن سترافقني أنت (ثم ارتدته و تابعت) هيا بنا ترى ما تخبئه لنا هذه التلال ، و بدأت بالركض طاوية المسافات و بنفس الوقت تمد أوردتها المتجلدة بدفق من الحرارة التي سرت بها مع لهاثها الصاخب ..

❖❖❖

قبل ذلك بوقت و ثوب الظلمة لا زال يلف المنطقة برداء الحداد و يجعلها تكتم أسرارها أكثر عن أعين الدخلاء ، دلف الشابين إلى الملحق ليعثرا على أول إشارة طال بحثهم عنها دون فائدة حتى هذه اللحظة ، الشاحنة السوداء التي وصفها سائق الأجرة ..

همس شاهين بظفر :

- إنها سيارة المطار ، إذن نحن في المكان الصحيح ..

رد الآخر بجبين مقطب :

- أو نتعرض لتضليل متعمد فإطاراتها النظيفة من آثار الأوحال تشي بأنها لم تغادر مكانها منذ تلك الليلة و هما لم يكونا هنا كما تعرف و خلو المكان من وسيلة نقل أخرى ليس جيد ..

رصدت أحداقه الملتهبة كل ركن بدقة قبل أن يردد :

- دعنا نتأكد من الكوخ ..

خطا معه بقلب راجف تحسبا لما سيجداه بانتظارهما هذه المرة ..

جولة سريعة و هتف مراد بقهر :

- تبا ، لما دائما نتأخر بخطوة ؟!

قطب شاهين لوهلة متأملا المكان قائلا :

- كلا ، هناك شيئا ما حدث و جعله يغادر فجأة ، انظر للأواني فوق الطاولة ، الأضواء ، ربما كانا في الجوار و سيعود بها ..

حرك مراد رأسه قائلا بقهر :

- لما سيخرجان في الظلام و المطر إلا إذا كان ينقلها لمكان آخر ..

رد قائلا بحيرة :

- لكن ألا ترى المكان هادئ بشكل مريب ! لا يوجد آثار مقاومة أو شجار ! من المفترض أنها مخطوفة ..

صرخ قلبه لوعة مرددا بخفوت اليم :

- أضف ذلك للغز الخاتم ، أم اعد افهم شيء ، هناك حلقة مفقودة ! ما يهمني أكثر هو لما يأخذها و يفتعل كل ذلك ؟ لو كان ما أفكر به صحيحا فقتله و تمزيق جسده لن يكفيني ..

لمعت عينيه بالفهم قائلا :
- أتقصد انه ...
هدر بغضب ساحق :
- اجل ، يريدها لنفسه ..
ثم انطلق للخارج عاصفا :
- هيا بنا شاهين لا فائدة من البقاء هنا ..
تحرك سريعا يزيل أي اثر يدل على وجودهما و يعيد كل شيء كما كان بدقة و لم يفته سلسلة المفاتيح المستقرة أعلى طاولة القهوة و بجوارها بضعة أوراق فزاد يقينه انه سيعود .. لحق برفيقه الذي يحث الخطى في الخارج غير عابئ بالمطر أو الظلام و هتف يناديه
- إلى أين مراد ؟! السيارة من هذا الاتجاه ..
التفت يجيبه هاتفا من مكانه :
- لن أعود شاهين سأبقى حتى أجدها ، سأمشط المنطقة لعلي أجد ما يدلني على مكانها ، اذهب أنت ..
حاول الاقتراب ليحثه قائلا :
- لا تكن أحمقا ، هذا لن يفيد ، هناك سنبحث بشكل أفضل كما انك بحاجة للراحة و الطعام ، أنت لم تأكل منذ أيام !

أشار بكفه يمنعه من اللحاق به قائلا بحزم :
- لا ، لن أتقبل فشل جديد إنها بحاجة إليّ الآن و قد خذلتها بما فيه الكفاية ..
استدار مبتعدا و عينا الصقر ترقبه دون حيلة فهو يعرفه طالما عزم على عدم العودة من دونها فلن تجبره قوة على الأرض ..
قفل عائدا للسيارة ، إن كان يصر على الحماقة فعلى الأقل يساعده من بعيد ....

❖❖❖

حث مراد الخطى لأقرب مكان مأهول يقع على حدود الغابة ، كانت المحال مفتوحة رغم تأخر الوقت لان القرية تستقبل السائحين و هواه الاستمتاع بجمال الليل ..
داعبت انفه رائحة مألوفة جعلت الابتسامة تسكن عينيه دون إرادة لعذوبة الذكرى ..
انه خبزهم الذي صنعاه سويا ، وجد نفسه يبتاع إحدى الشطائر و ضحكاتها الساحرة تملأ أذنيه و يرى استمتاعها و إقبالها على الطعام تلك الليلة ..

رفعها إلى فمه لكن يده توقفت في منتصف المسافة غير قادر على ابتلاع شيء و غصة الحزن تتصاعد داخله ، أين أنت حبيبتي ؟! ماذا حل بك ؟ لما هذا الصمت ! أين نداءك؟ زفر طاردا حرقة روحه أنفاسا لاهبة ، أحفظها يا الهي و دلني عليها ، إشارة واحدة ، فقط واحـدة ...

❖❖❖

دخلت سوق تلك الضيعة المزدحم بعد أن أعياها السير حينا و الركض أحيانا أخرى ، تشعر أنها قطعت مسافة طويلة إلى قلب العدم فهي تجهل كل شيء عن مكانها و تشعر بالخوف من تلك الأوجه المحيطة ..

جلست على إحدى الأرائك الحجرية لتغلبها العبرات و تبكي ، ماذا تملك غير الدموع ؟ لا شيء ، لا مال ، لا أوراق ، لا هاتف ، لا لغة ، و لا حتى أفكارا سوية !

إنها هاربة من ضياع لآخر اكبر ، إلى أين تذهب ؟ هل ستظل مشردة دون مأوى !!

زادت تلك الحقيقة من غزارة دمعاتها و نشجت قائلة :

- يا لي من بائسة لا امتلك حتى محرمة ورقية أجفف بها دمعاتي ! يا رب ساعدني ، لم يعد لي سواك ، أنا ضائعة في مكان اجهله و لا توجد لدي أدنى فكرة عن كيفية الخروج منه أو إلى أين ؟ كما أني جائعة و متعبة ، آه بابا تعال خذني من هنا ، فقط لو أتذكر تلك الأجزاء الساقطة ، ربما علمت إلى من عليّ اللجوء طلبا للمساعدة ..

عادت لبكائها الذي جلب إليها نظرات الشفقة من المارة حولها يتساءلون عن سبب جلوس فتاة مثلها على قارعة الطريق كأن الحياة لفظتها بعد أن عصرت رحيقها ...

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

دلف شاهين للقاعة الواسعة التي تضج بالحركة و الأجهزة ، قابله احد الزملاء سائلا :

- أين مراد ؟!

أجابه دون توقف عن بحثه بين الأوراق المتناثرة :

- رفض العودة دون زوجته ، اسمع أريد كل معلومة ممكنة عن ذلك الشخص في الحال

تأمل الاسم المعني قائلا :

- يعقوب عابد ! ما دخله بعملنا ؟!

رد شاهين بجبين مقطب :

- هذا ما أحاول معرفته ، أريد عنوان أي مكان

قد يتواجد به و كذلك كل من تعامل معه منذ عودته الأخيرة حتى لو كان التقاهم مرة واحدة كالمعتاد تم انجاز الأمر بالسرعة المطلوبة و حصل على القائمة التي يريدها ، فحصها بنظرات ثاقبة و ما لبث أن لمعت عينه ببريق الظفر ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

اكتفت من البكاء و النظرات الفضولية فجففت وجهها بكم كنزتها و نهضت عازمة على فعل شيء ايجابي بدلا من بكائها على أطلال لا تذكرها !

لما لا تبحث عن عمل مؤقت ؟ سترى إن قبلوا بها نادلة أو بائعة حتى تتمكن من الحصول على المال ثم تتواصل مع أهلها ، المهم أن تجد من تستطيع التفاهم معه بالانجليزية كخطوة أولى ..

نفضت ملابسها التي نالها الكثير و سروالها الجينز ملون ببقع الأوحال التي ملأت الطرق بسبب المطر أما حذائها الرقيق فيمكنها إعلان وفاته رسميا ..

استأنفت رحلتها من جديد لكن أثناء انعطافها مع الشارع الملتوي تصادف مرور صبي يقود دراجة هوائية كاد يصدمها برعونة و لكي تتفاداه تحركت جانبا بسرعة فاحتك ظهر كفها بالجدار الحجري للمبنى المجاور ضاغطا بعنف على الخاتم الذي جرح إصبعها ، تأوهت هاتفة بسخط :

- أحمق ، احترس و تعلم أن تنظر أمامك ..

تابع الغلام طريقه غير عابئا بها بينما رفعت كفها و أزاحت الخاتم قليلا لتفحص الإصابة أسفله لكنه لم يكن اكبر من مجرد خدش مدمي يلسعها بألم ، نفخته لبرهة ثم نقلت خاتمها لكفها الآخر واعدة نفسها بضماد لاحقا و تابعت السير ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

اندفع الشاب الذي يعمل مكان رُقيه الباقية مع صالح في المشفى هاتفا بحماس :

- شاهين ، إنها الإشارة التي ننتظرها ..

قفز من مكانه و هرع إليه سائلا بلهفة :

- أين ؟ و هل اختفت كالسابق ؟

رد الآخر المنكب على البيانات التي يمده بها الجهاز أمامه :

- بل مستمرة و تتحرك ، هذه إحداثيات المكان و تتجه نحو الشمال ..

ابتسم بسعادة و سارع بإجراء اتصاله هاتفا بمجرد سماع صوته :

- حصلنا على إشارة الخاتم مراد ، إليك المكان تحديدا لكنها تتحرك ، اتجه لموقع عميلنا التالي ستجد سيارة مجهزة بانتظارك و سوف الحق بك ..

نهاه قائلا بحسم :

- كلا إنها معركتي وحدي ..

فهم حاجته و استجاب مرددا :

- حسنا لكن ابق على اتصال معي ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

فشلت مع متجرين احدهما لم يتمكن مالكه من فهم طلبها أما الآخر فقد حدجها بريبة ثم حرك رأسه رافضا منحها أي عمل و قد أثار غضبها حتى أوشكت على ضربه لكنها نظرت إليه بكبرياء و غادرت رافعة رأسها تجرب حظها مع غيره ..

❖❖❖

استمر في البحث عنها بسعار مجنون ، لن تهرب منه أبدا حتى لو أخفاها الشيطان نفسه ، لم يتوقف عن قيادة السيارة منذ اكتشف غيابها

لكن لا اثر للدراجة النارية التي اعتمد عليها في إيجادها أسرع ، عندها ومض خاطر بعقله جعله يتوقف بشكل مفاجئ ، ماذا لو لم تهرب من الأساس ؟

ربما كانت في الجوار لأي سبب ، ما الذي يدعوها لتركه و هي تظنه زوجها الذي يحميها ناهيك عن حالتها المرضية و تشويش عقلها مع اختفاء ذاكرتها !

يا لك من أحمق متسرع ربما كانت هناك الآن وحيدة خائفة فهي لا تعرف غيرك ....

أحيانا يفعل الغرور بصاحبه أكثر فقد كان يثق بنجاح خطته ثقة عمياء و لا يوجد لديه أدنى شك في تصديقها له ..

عاد يحرك السيارة بالاتجاه المعاكس و عقله يجعل فرضية بقائها لأجله ترسخ أكثر يصاحبها ابتسامة بغيضة سكنت ملامحه فبدت تفيض خبثا ..

❖❖❖

استمر الرفاق داخل المقر بإمداده بموقع الإشارة أولا بأول حتى وصل لإحدى الضياع محاولا إيجاد سبب وجودها فيها دون فائدة ..

عندها ترجل من السيارة مقررا أن البحث على قدميه سيكون مجديا أكثر مع تلك الأزقة الحجرية الضيقة ..

تتبع الأثر بدقة و قلب راجف خشية التعرض لخدعة جديدة لكن فجأة توقف العالم حوله و لم يعد يرى سوى تلك القامة الهيفاء المتهادية أمامه قفز خافقه صارخا إنها هي ، مستحيل أن يتوه عنها ، كانت تسير متفحصة المتاجر المصطفة على الجانبين كأنها تبحث عن شيء !

وضع كفه على صدره ليسكن ذلك المجنون داخله فليس وقته الآن ، بينما عقله عاد لمساره الصحيح مفكرا ، وحدها !!

كيف يتأتى ذلك ؟! و ما الذي تفعله بهذا المكان ؟

حث الخطى قاطعا المسافة بينهما و كل خلية فيه تهفو إليها هاتفة : لهف قلبي حياتي ، أخيرا وجدتك ..

عندما سار خلفها سيطر على انفعاله المتنامي بصعوبة حتى لا يجفلها ثم وقع بصره على كفها الأيمن ليبصر خاتمه متربعا على عرش بنصرها يبادله النظر بتحدي فغلبه القهر و الانفعال و مد كفه ممسكا بمرفقها ليديرها إليه هاتفا بجبين معقود :

- جيّـدا ! طالما الخاتم معك لما لم تستخدميه منذ البداية ؟!!

فاجأها هجوم ذلك العملاق الفارع الطول لكنها نالت من المغفلين كفايتها لهذا اليوم فنزعت ذراعها من كفه بحدة قبل أن تهتف قائلة بتنمر

- لا تجرؤ على لمسي ، ثم من تكون أساسا !!

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

استقر بهم المقام في الردهة السفلية ، أماني تجاور زوجها و بالأريكة المقابلة أحلام مع زهره ثم الجانب الآخر تحتله سُلاف الملتصقة بوالدها كالمعتاد بينما عمر يراقب تجاهلها له بحنق بالغ ، كان أشبه باجتماع عائلي لمناقشة احد الأمور الهامة و هذا ما أراده رضوان الذي افتتح الجلسة قائلا :

- لابد أنكم تعلمون سبب دعوتي ، شقيقي طاهر و ما يحدث معه ، لقد وعدت من قبل أن أخرجه من دوامة ماضيه الذي يصر على البقاء عالقا فيه لكني أريد مساعدتكم ..

ردت أماني قائلة بلهفة :

- سأفعل أي شيء لأجل بابا ..

كانت تجلس إلى يمين ادهم و كفها يستكين

على فخذه بطبيعية محببة فشبك أنامله معها معقبا بابتسامة :

- و أنا بالطبـع ..

اتبعت أحلام قائلة بطريقة كوميدية :

- برأيي علاجه الوحيد هو الزواج ، يجب أن يكون لديه حياة خاصة تلهيه عن أماني لتبدأ حياتها بدورها و هكذا الدائرة تدور ..

هتفتا أماني و سُلاف في آن واحد :

- مـاذا ! يتزوج ؟!

ضحك رضوان معقبا بإعجاب :

- أحسنت سيدة أحلام ، هذا ما ذكره الاستشاري النفسي تحديدا ، طاهر يتعمد حبس نفسه داخل ذكريات ذهبت و لن تعود ، المطلوب هو أن ندفعه لتكوين أخرى جديدة مع أناس حقيقية و ليس أشباح ..

تدخلت زهرة بالقول :

- تعني أن نجمعه مع سيدات العائلة في محاولة للتقريب بينهم ؟ استطيع تنظيم حفل ندعوهن إليه و ....

تعالت ضحكات سُلاف و هتفت تقاطع والدتها بشقاوة :

- اجل مثل أمير سندريلا ، السؤال الآن من ستكون أميرته المسحورة ؟ بابا ما رأيك في الخالة سعاد ابنة خالتكم التي كانت تعيش في الخارج ؟ إنها أرملة و استقرت هنا الآن ..

فعل حركته المحببة بان ضربها على مؤخرة رأسها بخفة مرددا بمزاح :

- اتق الله يا جبارة ، إنها تكبرني أنا بعشر سنوات على الأقل ..

عادت تردد بمشاغبة ورثتها عنه بجدارة :

- و ماذا فيها ؟! حتى تستطيع احتواءه و السيطرة على نوبات غضبه ، تعلم أن عمي لازال طائشا و متهورا بعض الشيء ..

تعالت ضحكات الجميع هذه المرة قبل أن تحذرها أماني هاتفة :

- أنا من ستضربك إن لم تكفي عن التندر على والدي يا حمقـاء (ثم استدركت بجدية) إنها فكرة لا بأس بها ، فلم أرى بابا يتعامل مع امرأة خارج نطاق العمل من قبل ..

أومأ رضوان قائلا بإقرار :

- نعم صحيح ، لقد حذف هذا الجانب من حياته تماما بعد وفاة والدتك رحمها الله و تصاعدت حدة الرفض داخله كأن حياته توقفت برحيلها

تدخل عمر قائلا بتفهم لوجهة نظر عمه :
- لكي ينجح ذلك عليه أن يكون عفوي و غير مدبر و إلا ستكون النتيجة عكسية .
أومأ ادهم يوافقه قائلا :
- معك حق ، أنا أكثر شخص تعامل مع عناده حتى صرت خبيرا و اعرف إلى أي مدى يمكن أن يصل ..
شددت أماني على قبضته التي تحتضن أناملها برقة باسمة بينما تحدثت زهرة قائلا :
- هذا يعيدنا لاقتراحي الأول ، حفل يضم الجميع و يتم فيه التعارف المفترض ثم نهيئ له المناخ المناسب لنمو ذلك دون أن يشعر بكوننا ندفعه ، هيا اقترحوا أسماء المرشحات لأبدأ التواصل معهن تبارت أحلام و أماني مع سُلاف في إلقاء الأسماء و كل واحدة تصر على كون ترشيحها هو الأنسب حتى قاطعهم رضوان قائلا :
- مهلا ، اهدأن لسنا بحاجة لذلك ، فلدي أفكارا أخرى بهذا الشأن قبلها أريد معرفة بعض المعلومات منك فيفي ، ماذا أخبرتك جيجي عن تلك المرأة التي صدمته بسيارتها ؟
عقدت حاجبيها بعدم فهم للعلاقة بين الأمرين لكنها أجابت قائلة :
- اممم ليس كثيرا فمنذ عودته و الاتصال المباشر معطل لكنها تكون والدة خطيب نرفين صديقتها المقربة هناك و قد كانا يتشاجران كزوج من الديكة حتى انه هددها بالسجن لكن بعدها تحولا للصداقة بسرعة ، هذا كل ما اعرفه ..
ابتسم الرجل قائلا بغموض :
- انه أكثر من كافٍ حبيبتي ، و أنت مانو ماذا أخبرك عنها ؟
ردت قائلة بحيرة :
- لا شيء تقريبا ، لقد رفض التطرق للأمر من أي ناحية ..
اتسعت ابتسامته قبل أن يردد بانتصار :
- بالضبط ، هذا ما كنت أمله ..
بدت الحيرة على أوجه الجميع فسألت أماني :
- ماذا تقصد عمي ؟ لا افهم شيئا ..
أجابها ببساطة قائلا :
- اخبريني أنت ، عندما كان يتحدث في الهاتف بصوت مرتفع قبل أن تنتابه نوبة الغضب و الاستياء أي لغة استخدم ؟
ردت بتلقائية :

- الانجليزية ، لكن لما ؟! (ثم توقفت فجأة قبل أن تتابع هاتفة) أيعقل ذلك !

أشار الرجل بكفيه قائلا :

- و هكذا الأمر بغاية البساطة ، ليس علينا البحث فسندريلا السيد طاهر موجودة و يبدو أنها تغضبه بشدة ، دورك الآن أماني ، الخطوة الأولى عليك ..

لمعت عيونها بالمرح و هتفت بحماسة :

- تمام سيدي علم و ينفذ (ثم استدركت بحيرة) لكن ماذا افعل ؟!

مال إلى الأمام مرددا بتواطؤ :

- أولا تسرقين رقمها من هاتفه ، ثانيا تتحدثين معها مباشرة ، استخدمي أي حجة ، اشكريها على سبيل المثال ..

رفعت حاجبيها هاتفة بتعجب :

- اشكرها على إصابة والدي !!

ردت سُلاف من بين ضحكاتها و الأمر يروق لها كثيرا :

- اجلبي الرقم و سنحدثها سويا ، سنجد وقتها أي سبب مقتنع طالما تعرف نريفي و جيجي ..

أومأت بالإيجاب قائلة :

- حسنا ، ماذا بعد ؟

تابع رضوان شرح خطته قائلا :

- أريدكما آن تصادقاها ثم بالوقت المناسب سأخبركما لتدعوانها لقضاء إجازة هنا ..

عكست ملامح ادهم إدراكه قائلا :

- اعتقد أنني فهمت غرضك عمي ..

بادله الرجل نفس النظرة مرددا :

- اجل بنيّ هو ذاك ، لطالما كان أخي عنيدا كالتيس و عندما تتقمصه تلك الحالة يكون تصرفي المعتاد هو دس ذلك الشيء الذي يرفضه تحت انفه ثم تركه يستسلم بإرادته ..

ثم اتبع بمكر جعله أشبه بابنته التي تجاوره و تصفق كفيها بجذل :

- لن نفعل أكثر من تقديم دعوة لطيفة للسيدة بغرض توثيق العلاقات الدبلوماسية بين البلدين و لنرى كيف يعترض السيد طاهر عندها ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

- مـن أكـون ؟!!!

هتف بها مراد و قد تجلت أسمى آيات الذهول و الاستنكار على ملامحه ثم تابع مضيقا عينيه بريبة :

- هل هذا مزاح أم لا تعرفينني حقا ؟!

وضعت كفيها فوق خصرها قائلة بحدة :

- لست معتادة على المزاح مع الغرباء يا سيد ، أنت من عليه التفسير كيف تعرف اسمي و تتحدث العربية ؟!

احتل عينيه تعبير غريب و كاد يجن بينما عقله يجاهد لحل ذلك اللغز بسرعة رهيبة ، عندها تعلقت أنظارها بتلك الدكنة الحالكة القابعة خلف جفنيه لفترة من الزمن قبل أن تستدرك قائلة بحيرة اقل حدة :

- انتظر ، أنا اعرف عينيك ! من أنت ؟

بادلها التحديق بدهشة مجيبا بتلقائية :

- أنا زوجك ..

اتسعت عيونها هاتفة بصدمة جلية :

- مستحيل ، كم زوجا امتلك ؟!

برقت نظراته بشراسة بنما زمجر قائلا :

- أنا وحدي بالطبع ، مهلا ماذا تقصدين بقولك ؟!

قطبت حاجبيها بينما تحاول التركيز مرددة بارتباك كلي :

- كيف و قد اخبرني الآخر انه كذلك !!

هدرت دمائه صاخبة فقبض على عضدها دون وعي هادرا بغلظة :

- ماذا ؟! و كيف صدقته ! هل فقدت عقلك ؟!

انكمشت جراء ذلك العنف المتفجر منه قائلة بسرعة كأنها تسترضيه :

- شيئا من هذا القبيل ، لقد ذكر إنني سقطت و صدمت رأسي لذا لا اذكر بعض الأشياء و أفكاري مضطربة ..

اختلطت أمامه الأمور كليا الآن ، أي جنون هذا ؟ لكنه وجد سؤاله يسبق تفكيره و يسألها بحدة بينما عقله يغلي بغضب قاهر تدفق داخل أوردته بخطورة :

- ماذا حدث بينكما ؟ هل سمحت له أن يعاملك كزوج ! هل فـ.....

قاطعته بوجنتين أشبه بجذر الشمندر قائلة :

- كلا بالطبع ، لا اعرف السبب لكني نفرت منه بالإضافة لأنني كنت مريضة و الآن اترك ذراعي فأنت تؤلمني بالمناسبة ..

انتبه على نفسه فخفف قبضته بينما نزلت عبارتها كالماء الزلال لتطفئ النيران التي اندلعت داخله و أخيرا عمل عقله بالاتجاه السليم

ليلاحظ ملامحها البالغة الإرهاق رغم احتقان الخجل و مظهرها المشعث ، انزلقت كفه على طول ذراعها برقة لتستقر فوق يدها قائلا بحنان

- تعالي معي ..

نقل خطواته بينما يدمدم بعبارة موجزة :

- لقد وجدتها شاهين ، إنها وحدها لكن هناك بعض التعقيدات ، سأحاول الفهم أولا و أعود للاتصال بك ..

وجدت نفسها تتحرك معه طواعية دون رغبة في الحذر أو أي الشعور بالقلق ، ابتاع وجبة ساخنة سريعا ثم اصطحبها إلى السيارة و هناك جلس يتأملها بشغف دون أن يسمح لأهدابه برفة واحدة كأنها ستختفي من أمامه لو فعل ، مُنصبا عينيه حارسين لن يغفلا عنها مطلقا ..

تنهدت برضا بينما تمسح شفتيها بالمحرمة الورقية بعد آخر رشفة من عصيرها المنعش و قد أعاد الطعام الدافئ طاقتها فرفعت عيونها الساحرة إليه قائلة بدهشة :

- لما تحدق بي ؟!

ارتدى قناع الجدية منحيا تعبير الوله الذي سكن ملامحه قائلا :

- أريد معرفة كل شيء ، لا تغفلي ذكر تفصيلة واحدة ..

انطلق لسانها بسرد ما حدث منذ استيقظت داخل هذا الكابوس حتى نجحت في الفرار منه ..

زم حاجبيه يحاول استيعاب كل ما ذكرته قبل أن يسأل بحيرة :

- لكن ذلك لا يفسر الأعراض التي ألمت بك ؟!

غابت مخاوفها كليا بينما ردت قائلة بعفوية :

- امممم ربما كان ذلك بسبب الدواء ، سمعت أن بعض العقاقير يكون لها أعراضا جانبية ..

قفز الاهتمام لعينيه سائلا :

- أي دواء ؟!! الم اطلب منك ذكر كل ما حدث !

أجابته بتلعثم :

- لم أظنها تمثل أهمية ..

ضغط على فكه قائلا :

- كل شيء ، تعني كل شيء جيّـدا ، صفي ذلك العقار ..

أشاحت بكفها مرددة :

- مجرد أقراص بيضاء ، لا اعرف فلست طبيبة لكنه كان يصر عليّ بأخذها في الموعد مرتين يوميا ..

اتبع بسؤال ملح :

- متى استيقظت تحديدا في المرة الأولى ؟

حاولت التركيز قائلة بحنق :

- لا اعرف فهو لم يخبرني عن اليوم ..

تماشى معها قائلا برفق :

- لا بأس متى كان ذلك بالنسبة لحادث نقله إياك للكوخ الآخر ؟

رددت بظفر :

- اجل هذا اعرفه ، باليوم السابق مباشرة ..

دار عقله يحلل المعطيات و يربطها ببعضها قائلا :

- ذلك يعني انك ظللت غائبة عن الوعي لخمسة أيام كاملة ..!

هتفت بعدم تصديق :

- كل هذا الوقت ؟ لكن لما ؟!

أجابها مرددا ببطء :

- هذا هو السؤال ، ربما كان يعطيك نوعا من المخدرات ليضمن بقائك معه و هذا ما سبب فقدان ذاكرتك ..

رفعت رأسها قائلة بكبرياء :

- أنا لست فاقدة للذاكرة ، مشوشة فقط و لا استطيع ربط الأحداث مع الأوجه و الدليل إنني أجدك مألوفا لكن لا اذكر هويتك و هذا يقود للسؤال الأول ، كيف اصدق انك زوجي المزعوم ؟ ألديك إثبات ؟

زمجر قائلا من بين أسنانه :

- اجل بالطبع لدي وثائق الزواج و خاتمي هذا في يدك ..

مالت شفتيها بابتسامة مرددة بسخرية :

- الآخر قال ذلك أيضا و قد وضع في إصبعي خاتما كريها رميته مع الدراجة غير مأسوفا عليه ..

لمعت عيونه بمكر محبب قبل أن يردد بوقاحة :

- حسنا لديك شامة بنية ، بيضاوية الشكل أعلى منطقة باطن الركبة من الخلف ..

أشاحت وجهها الذي اندفعت الدماء إليه متمتمة بخفر :

- اجل هذا صحيح ..

ردد بتفكه :

- تذكرينها إذن ؟

عادت إليه هاتفة بغيظ :

- بالتأكيد فهي معي منذ الولادة أيها العبقري ، كم مره علي أن اكرر كوني غير فاقدة للذاكرة !!

كبت رغبته الملحة بإطلاق موجة ضحك تهدده فها هي جيدائه المتفجرة تعود ، كم اشتاق إليها و أدرك الآن مقدار ما يحمله لها من عشق فائض سيطر على مشاعره فهي ليست بحالة تسمح لها بصدمات جديدة مشيرا بكفه قائلا :

- لا تغضبي دعينا نحاول البحث عن أسباب تشوش رأسك ، ربما تحليل دمائك يساعد في معرفة نوع ذاك العقار ..

سارعت بتفقد جيبها قائلة بعفوية :

- لست مضطرا لذلك ، ها هي الأقراص ..

تألقت الدهشة محتلة أحداقه بجلاء فتابعت شارحة :

- لقد توقفت عن تناولها منذ استيقظت و كنت أخفيها هنا حتى لا يكتشف ذلك ..

زم حاجبيه سائلا بحيرة :

- لكن لما فعلت ذلك ؟!

رفرفت أهدابها مجيبة و أمواج الحياء تغمرها :

- لقد خشيت على طفلنا ، فانا حامل ..

نهاية الفصل

دمعات القمر

القطرة
الثانية و العشرون

ركضت نرفين تزف البشرى السارة لوالديها هاتفة :

- لقد وجدها ماما ، بابا ، جيجي بخير ..

هب كليهما من مكانهما و انطلق سيل الاستفسارات فأشارت بكفها توقفهم قائلة :

- لقد اتصل شاهين و اخبرني أن مراد وجدها فقط ، لا اعرف أكثر من ذلك ..

انطلقت السيدة تتمتم بالأدعية و الشكر بينما زوجها ردد بهيبة و ثقة :

- الحمد لله ، لم اشك بقدرتهم على فعلها أبدا ..

ثم أشرقت ملامحه التي أورثها لابنه بابتسامة تسلية و هو يرى استعدادات استقبالها بدأت بحماس و المنزل الهادئ لأيام تحول لشعلة من الحركة و النشاط ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

كان قد بدأ يحرك سيارته حتى يصل للمقر بأسرع وقت ليعكف الفريق الطبي على دراسة و تحليل تلك الأقراص و التوصل لكنهها و فجأة ضربته الصاعقة من جواره فتوقف على نحو مباغت جعل السيارة تدور حول نفسها و إطاراتها تزأر اعتراضا على هذه المعاملة المجحفة !

صرخت بينما تتمسك بالمقعد بذعر فلولا حزام الأمان لطارت عبر الزجاج الأمامي قائلة :

- ماذا بك ؟ لقد كدت تقتلنا !

صمت تام الم به و تجمد على وضعية واحدة ، فقط يحدق بها !!

ربما كانت محاولة لاستيعاب الكارثة التي نطقت بها ! أخيرا تحرر لسانه من عقدته مدمدما بخشونة :

- عيدي ما قلته للتو ..

بادلته النظر بحيرة دون رد فزمجر بعنف :

- انطقي ، كيف تكونين حاملا ! و منذ متى ؟

قطبت بغرابة من غضبه الذي أرعبها و غمغمت بعدم فهم كامل :

- لا اعرف تحديدا لكني اكتشفت ذلك هناك ، لما هذه الثورة ؟ الم تقل بنفسك إننا زوجين !

أوشك على حرقها بنظراته اللاهبة بينما يزفر بصوت مسموع في محاولة لإيجاد بعضا من الهدوء و السيطرة المفتقدين هادرا من بين أسنانه التي تحملت الكثير :

- كيف اكتشفت ذلك ؟

نكست عيونها و أجابت شارحة :

- طيلة الوقت كنت أعاني صداعا شديدا مع دوار و غثيان ..
لم يعرف هل عليه قتلها الآن أم الصراخ بشكر الله على قولها لكنه هتف قائلا بنفاذ صبر :
- فقـــط ! يا للعبقرية ..
سألت بضيق من تهكمه :
- أليست تلك أعراض الحمل ؟!
حدجها بنظرة ثاقبة قبل أن يردف بقهر لما فعلته به :
- و قد تكون أعراض انسحاب المخدر من دماءك لأنك توقفتِ عنه يا حمقـاء ، في كثير من الأحيان ينتابني الصداع و الدوار فهل أكون حاملا عندها ! ثم أنت لا يمكن أن تكوني كذلك
ضيقت عيونها سائلة بريبة :
- و لماذا لا أكون طالما أنت زوجي كما تزعم ؟!
أجابها ببساطة لا تشي بالثورة الهوجاء التي عصفت بداخله قبل قليل :
- لست مزعوما بل أنا هو لكني لم امسك بتاتا ، زواجنا ليس من هذا النوع ..
أصابتها دهشة بالغة و سألت نفسها كيف تعرف رائحته بهذه الألفة و الوضوح إذن ! فعادت تردد بحيرة اكبر :
- هل للزواج أنواع ؟! (ثم التفتت إليه مستدركة بحذر) بهذه الحالة كيف تعرف عن شامتي ؟
ابتسم رغما عنه قائلا :
- عندما يتطاير الثوب القصير يفعل الأعاجيب (أبصر انعقاد ملامحها المستنكرة فتابع بحزم) رجـاء خاص ، اصمتـي و لا تتحدثي مطلقا حتى نصل ، فلا أريد قلب السيارة رأسا على عقب جراء احد تصريحاتك العبقرية هذه المرة ..
أشاحت وجهها إلى النافذة بجبين مقطب و شفتين مذمومتين حنقا و قد عقدت ذراعيها أمام صدرها مدمدمة بخفوت :
- وقـح ..
استأنف تحريك السيارة قائلا باستمتاع كبير :
- سمعتك بالمناسبة ..

❖❖❖

أنهى مناقشة كل شيء مع رفيقه بينما جيّدا التي عادت لمظهرها المرتب بعد الاغتسال و ارتداء الملابس التي ابتاعها زوجها في الطريق تخضع للفحص لمعرفة مقدار الضرر الذي ألحقه بها ذلك العقار الغامض و قد أفادهم جدا وجود عينة الأقراص التي وفرت عليهم وقتا ثمينا كان

سيضيع في محاولة استخلاص المادة الفعالة من دمائها

زفر شاهين مرددا براحة :

- الحمد لله و هذا يحل لغز عدم استخدامها للخاتم بالإضافة لعدم وجود آثارا للمقاومة ، الوغد الحقير لجأ لوسيلة غاية في الخسة لكنها انتصرت عليه بحدسها وحده أو ربما لان قلبها يشغله احدهم فرفض استقبال غيره ..

رفع مراد حاجبيه قائلا بتفكه :

- آه لو تعلم بآخر ابتكاراتها التي كادت تصيبني بالشلل الفوري ..

راقب نظراته التي يتقافز منها الفضول فتابع ضاحكا بصخب :

- أتحفتني أثناء قيادة السيارة بأنها تنتظر طفلنا تدلى فك صديقه بذهول و عدم تصديق فأومأ قائلا بمرح :

- اجل لكن حالتي كانت أسوأ منك بمراحل ..

عندها انفجر شاهين بموجة ضحك جرفتهما معا ، عندما انحسرت أخيرا ردد بجدية :

- حسنا حان دوري لأتحفك بأخباري ، لقد علمت كيف وجدها الأبيض ..

انتقل الفضول و الترقب إلى عينا مراد الذي حثه على المتابعة فقال :

- عن طريق نازلي ، هناك رابط وثيق يربطها بيعقوب عابد الذي سهرت معه عدة مرات كصديق ..

ضيق عينيه و استند على حافة المكتب سائلا :

- متى كان ذلك ؟

احتقن وجهه غضبا حين أطلعه على التواريخ و عندما حاول شاهين الحديث قاطعه قائلا :

- أنا لا أبالي بها فقد انفصلت عنها بشكل نهائي قبل هذه الأحداث كلها ..

ابتسم و أشرقت ملامحه :

- تستحق التهنئة إذن ..

سأله مراد بتأني :

- هل تظنها متورطة ؟

قلب شفتيه قائلا :

- حتى الآن لا معلومات متوفرة ربما تم استغلالها ، سنرى نتائج مراقبتها ..

❖❖❖

علمت جيّدا الخداع الذي تعرضت له من قبل خاطفها و فهمت أخيرا لما وجدته مألوفا فهو

كان القاتل الذي شاهدته و من المفترض تعرفها عليه و قد منحها مراد أوراقا و طلب منها رسم ملامحه ..

حتى هذا المكان بدا معتادا لها فأدركت كونها على الطريق الصحيح و قد زال عنها الروع و جزء كبير من التشتت عندما كفت عن محاولة ربط الأمور ببعضها طالما وجدت الثقة في المحيطين بها ..

أنهت الرسم و سلمته للرجل ذو العينين البراقتين بابتسامة جعلتها تستشعره صديقا و قد أكد لها إحساسها ..

اتضحت الأمور أكثر عندما تبادلا نظرة إدراك لم تفهم مغزاها لكنهم توصلوا أخيرا لشخصية القاتل الأكثر خطورة جاكوب الأبيض أو يعقوب عابد كما يعرفه الجميع هنا الذي تجلى ذكائه في بساطة ازدواجية شخصيته فقد اعتمد على استبعادهم فكرة استخدامه ذات الاسم للشخصيتين أو ربما غروره هو ما دفعه لذلك ..

احتارت لنظراتهم الصامتة فسألت ببراءة :

- ماذا هناك ؟ ألا تصدقاني ! انه هو الذي خدعني أنا واثقة ..

التفت إليها مراد باسما و ردد بلطف :

- لا تقلقي عزيزتي لقد أبليت حسنا و ساعدتنا للغاية ، كل ما هنالك انه كان أمام أعيننا طيلة الوقت ، أليس أمرا مغيظ ..

أومأت برأسها قائلة :

- اممم اجل ، كما شعرت بالبلاهة بعد تصريحي الخطير في السيارة ..

بالكاد استطاع شاهين كبح ضحكاته حتى لا يحرجها عندها دلف الطبيب حاملا عدة أوراق قائلا ببشاشة :

- اكرر شكري العميق لك سيدتي ، لقد قدمت لنا معروفا لا يقدر بثمن ..

ثم استدار موجها حديثه للشابين :

- لن تصدقان ماهية تلك الأقراص الخطرة ، إنها أداة محو الذاكرة ..

دون الدخول في تفاصيل طبية معقدة استطاع الفريق معرفة مكوناتها و نسب خلطها لهذا كان وجود الأقراص ذو فائدة كبيرة ..

عاد للفتاة و سألها :

- كم عدد الجرعات التي كان يمدك بها ؟ هل تذكرين ذلك ؟

أومأت بالإيجاب قائلة :
- قرص واحد صباحا و مساء ، لكني لم أتناولها منذ استيقظت ..
اتبع مراد مفسرا :
- لقد أبقاها في غيبوبة لخمس أيام متتالية حتى استفاقت ..
حرك الطبيب رأسه قائلا :
- حسنا هكذا اعرف الجرعة التي دخلت دمائها و هي ما يسبب لها ارتباك الذكريات القريبة ، من الجيد أنها توقفت عنها و إلا صار التلف اكبر ...
قاطعته قائلة بعيون متسعة رهبة :
- هل تلف دماغي !!
ضحك ثلاثتهم بينما طمأنها الطبيب قائلا :
- كلا دماغك بألف خير ، واضح انه كان اعند من العقار و استطاع التغلب عليه ، الصداع كان لان عقلك يحاول إصلاح الخلل من تلقاء نفسه مع غياب المؤثر المضاد ، الأمر أشبه بالتوقف عن التدخين دفعة واحدة ، المريض يعاني لبعض الوقت حتى ينجح جسده في لفظ السموم و إحداث التوازن من جديد ..

في حالتك سأعطيك أقراص تساعد عقلك و تحفز الذاكرة على استرداد الومضات المفقودة ..
جعدت انفها قائلة :
- أهذا ضروري ؟ لم اعد أحب تناول أي أقراص فمعدتي لازالت تؤلمني لمجرد التخيل
أجابها قائلا بادراك :
- هذا بسبب تناولك العقار و معدتك خاوية لمرات متتالية و هو يحتوي على نسب من مواد خطرة أثرت عليها سلبا ، سأعطيك قائمة ببعض الأطعمة الطبيعية تساعدك على إعادة بناء جدار المعدة و تقويته ، فترة قليلة و تزول كل الأعراض ، حمد لله على سلامتك لقد نجوت من خطر داهم ..
أحاطها مراد بذراعه باسطا حمايته التي تقبلتها بتلقائية و زرعت نفسها جانبه كما كانت تفعل قبل الحادث كأن معرفتها له تنبع من داخلها بالكامل و ليس عقلها وحده ..
توجهت إليه بالحديث قائلة :
- مراد ، أريد الاتصال بعائلتي ، كيف سأبرر لهم كل ذلك الانقطاع ؟!
أدارها إليه قائلا :

- لم يكن هناك أي انقطاع فقد كانت نرفي تراسلهم باسمك بحجة صعوبة الاتصال المباشر
قطبت حاجبيها مستفسرة :
- نرفي !!
أومأ قائلا بابتسامة دافئة :
- اجل نرفين شقيقتي و صديقتك المقربة ..
سألت بلهفة :
- هل هي بوجه مستدير و شعر و عيون داكنين ؟
حرك رأسه بالإيجاب فتابعت قولها بسعادة :
- عرفتها إذن ، لقد رأيت صورتها مرارا دون أن افلح في معرفة من تكون ، هذا جيد سأتصل بهم مباشرة لقد اشتقت إليهم جدا ..
اخرج هاتفها من جيبه و منحه لها ثم وضع كفيه فوق كتفيها قائلا باهتمام :
- سوف تبقين هنا لبعض الوقت ، يجب عليّ الذهاب في مهمة عاجلة قبل اصطحابك للمنزل ، لن تغادري المقر حتى أتأكد من زوال الخطر كليا ..
تشبثت بذراعه هاتفة باستياء :
- كلا لا تتركني وحدي ، سوف آتي معك ..
رفض قائلا بحزم :
- بل ستبقي هنا و لن تتحركي خطوة ، شاهين سيظل معك و .....
عندها تدخل الآخر يقاطعه بادراك تام لما ينتويه قائلا :
- لما لا تبق معها و سأقوم عنك بالمهمة ..
غمغم قائلا بغموض :
- شاهيـــن ! لا تحاول سأذهب و تعرف أني لن أتراجع ..
وقف أمامه قائلا بصرامة :
- نذهب سويا إذن أو نحتكم للرئيس ..
علم انه لن يستسلم فأومأ قائلا بنفاذ صبر :
- حسنا استعد ..
ارتجفت شفتيها كطفلة ترفض غياب والدها و تركها وراءه فرفع كفيه محيطا جانبي وجهها برقة متناهية و همس بدفء شغوف :
- أعدك لن أتأخر ، الجميع هنا سيعملون على راحتك و أمنك ، اتفقنا ؟
قفز قلبها سابحا في نهر حنانه و كل خلية داخلها تصدقه و تهتف ترحيبا بأحاسيس ذاخرة بمعاني تعصف بها منذ علمت بهوية صاحب العينان التي آنست وحدتها و أمنت خوفها هناك ، ذاكرة سليمة أو مشوشة لا يهم لكنها مغرمة بهذا الرجل ..

تناثرت محتويات الكوخ محطمة بكل مكان بين صرخاته الرافضة !
منذ عاد و لم يجدها في انتظاره كما هيأ له خياله الجامح و قد انتابته حالة عنيفة من الجنون الوحشي و صار يهشم كل ما يقع عليه بصره ، لكنه لن يستسلم ..
و هرع إلى سيارته التي تحملت منه الكثير يعتصر مقودها بقسوة و كل سيناريوهات الدمار تتجلى أمام ناظريه مخضبة بلون الدماء ...

❖❖❖

ركز مراد على الطريق بعينين صارمتين لا تحيدان عنه بينما استلم شاهين اتصال العميل الذي وضعه لمراقبة الكوخ منذ غادراه ..
انعطف مراد تبعا لتوجيهاته ليقطع الطريق على سيارة يعقوب التي لاحت أمامه تلتهم المسافات بشكل يدل على الحالة العصبية لقائدها الخارج عن السيطرة ..
لم يكن غرا حتى لا يعلم أن السيارة القادمة تستهدفه فقام بمناورة صعبة ليبدل وجهته بحركة انتحارية مع السرعة التي يقود بها و دخل طريق فرعي مخالف منطلقا بأقصى سرعته ..

راقبهم بالمرآة الجانبية يلزمون أثره بعناد لكنه خصما يوازي الثعالب دهاء و الذئاب شراسة ..
أوقف سيارته عند منطقة أثرية مهجورة و ركض متخفيا بين أطلالها حتى يكون القادمين في مرماه بينما هما يجهلان مكانه ..
و هكذا استقبلهما بوابل كثيف من الطلقات ، نجحا في تفاديها بصعوبة و كل منهما يطلق سلاحه و دارت معركة يردد صداها الخواء البعيد ..
فقد عقله أكثر لضياع عنصر المفاجأة و صار ثلاثتهم متكافئين و المهارة وحدها لها القول الفصل ..
جعله ذلك يهتف بوحشية مطلقة انه سيقتلهم جميعا ثم يحصل عليها من جديد ..
كان هذا يعد حماقة منه لسببين ، الأول انه أعطى الفرصة لمراد حتى يحدد مكانه بدقة و الثاني إتيانه على ذكر جيّدا الذي حوله لقنبلة من الغضب انطلقت غير مبالية بالرصاصات المتطايرة و لا تحذيرات شاهين لتتفجر أخيرا في وجه غريمه بلكمات ساحقة كانت كفيلة بالقضاء عليه لولا انه لم يكن مقاتل عادي بل على درجة عالية من الكفاءة و الخبرة ..

خاضا قتالا متوازن يغلب عليه الشراسة و القوة و عينا الصقر تراقب بتحفز دارسة الوضع من جميع جوانبه ، لكن الثورة المتأججة داخل مراد كان لها الغلبة فأطلق العنان لنفسه بالتعبير عنها بوابل عنيف من الركلات و الضربات القتالية العالية التأثير متفاديا محاولات الآخر بنجاح حتى أرداه و جثم عليه يذيقه ويلات قبضتيه بالتتابع دون توقف كأنه تحول لآلة لا تعي سوى الانتقام و أعمال ذلك الحقير القذرة تتجسد أمام عينيه ، يقتص لزوجته ، صديقه ، و كل روح سلبها دون وجه حق ..

تركه شاهين يفرج عن مشاعره لفترة ثم تدخل ناهيا بقوله :

- يكفي مراد ، سوف تقتله ..

انتهز يعقوب فرصة تحول انتباهه عنه لثانية بدهاء الأفاعي ليدفعه و يهرع بجسد مدمي إلى سيارته منطلقا بها دون تفكير نائيا عن الجحيم الذي واجهه ..

ركض مراد في أثره عازما بينما يبعد شاهين حتى لا يتمكن من إيقافه مجددا هاتفا بعنفوان يعميه الغضب :

- أخبرتك ألا تتدخل ..

ثم قفز إلى السيارة بمفرده ملاحقا الوغد الهارب ، ضغط دواسة الوقود بغل حتى كاد يخترق الأرضية أسفلها و قد استجابت له المركبة بسلاسة كأنها تقدم يد العون و المباركة ..

تلامست مع الأخرى بخطورة كإعلان واضح على عزم قائدها بعدم التراجع ، برقت عينا مراد و قد اخذ قراره الحاسم بينما يوجه له دفعه سببت رجة عنيفة اتبع بأخرى من الجانب ثم أجهز عليه كليا عندما بات في الموقع الذي حدده دافعا السيارة الرياضية لتهوي أسفل المرتفع المتواجدين عليه ..

لكن ذلك ليس كل شيء فقد ترجل سريعا مع سلاحه الذي صوبه على خزان الوقود بدقة و قبل توقفها عن الدوار حول نفسها كان يطلق رصاصته و يدوي الانفجار الذي ومض وهجه داخل حدقتيه المظلمتين بثبات رجل لا يحنث بقسمه أبدا ..

وصل إليه شاهين و هو بنفس وقفته فردد بادراك

- أنت فعلتها عامدا ..

التفت بنظرات هادئة مردفا براحة :

- اكتب تقريرك بما رأيت شاهين ، لو عاد الزمن سأفعلها مرات و مرات ، تعلم أني لم آتي للقبض عليه ..

صمت لوهلة قبل أن يبتسم قائلا بتواطؤ :
- لحسن الحظ أجد لدي رغبة مشابهة ، الحوادث تحصل كل يوم يا رجل ، على كل حال الإعدام كان احد الأحكام التي يستحقها الوغد ....
لم يطل الوقت بعد وصول الشرطة و فرق البحث لمعاينة مكان الحادث و تم تحرير الواقعة كمحاولة للهرب فقد خلالها القتيل السيطرة على سيارته فهوت أثناء مطاردة عناصر الأمن له و قد تم العثور على الجثة في حالة تفحم كامل

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

أفلتت دمعة تأثر هاربة إلى وجنتها المخملية
جعلت زينب تهتف بجذع :
- ماذا بك بنيتي ؟ هل يؤلمك شيء ؟
حركت رأسها و رددت بابتسامة بدت ملائمة لدمعتها اليتيمة رغم التناقض :
- بل أنا بألف خير خالتي ، منذ وصلت و أنت تدللينني و تحيطيني برعايتك كما كانت تفعل ماما لهذا تذكرتها ، انتم جميعا أشبه بأفراد عائلتي و أنا أحبكم ..
عندها قفزت نرفين محتلة جانبها قائلة :
- يا لك من محظوظة ، صار لديك نسختين من كل شيء و فوقهم شقيقي الوسيم ، لقد بدأت اشعر بالغيرة ..
اندفع الاحمرار يغزو بشرتها و قد أنقذها صوت العم عثمان من الحرج بدعاباته الرجولية التي لا تنقص من هيبته :
- مرحبا حبيباتي ، أتعلمن لطالما أحببت إنجاب الفتيات لكن لا تخبرن مراد بتلك الحقيقة فهو مقتنع بأنه المفضل لدي ..
انتبهت زينب لعدم وجوده فسألت :
- أين هو بالمناسبة ؟!
أجابت نرفين بتلقائية :
- نائم ، أظنه سيبقى هكذا لأسبوع على الأقل ..
رد والدها قائلا بمكر :
- اجل يحق له ، لقد مر بفترة عصيبة و شاهين أيضا سيغفو لوقت طويل ، أليس كذلك نرفي ..
تلعثمت و هربت بعينيها قائلة :
- و كيف اعرف بابا ! لما تسألني أنا ؟!
ضحك والديها بينما قالت جيّدا بخفوت :
- اممم لهذا كان يصر على إيصالي مع مراد إذن ..
لكزتها بمرفقتها هامسة :

- اصمتي و إلا لن أخبرك عن حال أخي في غيابك
اكتسى وجهها بالبراءة مرددة :
- ماذا فعلت ؟! لا تنسي أنا مشوشة لكني أتذكر أيضا و معلومة صغيرة تجعل الأفكار تتدفق في السياق الصحيح ..
قبل تلك الجلسة الهادئة كانت اطلعت على بريدها الصادر و الوارد لتعرف كل ما فاتها ثم قامت بالاتصال الذي اسعد الجميع ..
ربت عثمان على كتفها بأبوة قبل أن ينهض باسما :
- سأغادر الآن لأطمئن على سير العمل ، مرحبا بك في بيتك مره ثانية بنيتي ، زينب كوني مستعدة لان شاهين سيحضر عائلته لطلب نرفي رسميا ، سأحدد معه الموعد و أخبرك ..
ثم التفت لابنته التي تنكس رأسها بخجل متابعا :
- أليس لديك شيئا للقول صغيرتي ؟
رفرفت أهدابها مرددة بخفوت :
- كلا بابا ، القول لك بالطبع ..
رد بمرح عابث :
- اممم حسنا إذن ، كنت أفكر بعدم القبول فلطالما كان شاهين يزعجك و ...

قاطعته شهقتها المستنكرة عندما نفضت الخجل و اتسعت عيونها هاتفة :
- ماذا ؟! لا أبدا لم يكن يفعل انه ....
أدركت خدعته متأخرة بعد أن تعالت ضحكاته الرجولية و لمعت عيناه بالرضا فهرعت لمغادرة الغرفة تاركة جيّدا مع زينب تواصل إطعامها عنوة و الفتاة تحاول التملص دون فائدة :
- لقد اكتفيت خالة زينب ، الحمد لله ..
لترد الأخرى قائلة بصرامة :
- هيا ، ستنهي الطبق بأكمله فهو جيد للمعدة كما أوصى الطبيب ، أريدك قوية فلدينا الكثير من التحضيرات للخطبة القادمة ..
❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖
ابتسمت قدرية لشاهين الذي شاركهم طاولة الطعام بعد غياب دام لأيام عديدة و ظهر الإشراق على محيا والدته رغم الشرود الذي يرافقها منذ فترة لا بأس بها ..
سبح عقلها بعيدا في ذلك الاتصال الهاتفي المفاجئ أهي محاولة جديدة منه لمصالحتها أم المبادرة للفتاة وحدها !
لقد بدت لطيفة و رقيقه لا تشبهه أبدا ..

لا لن تفكر فيه بعد أن أغلقت صفحته و انتهت ، لكن أماني لا ذنب لها بكون والدها رجل فظ خالي من الكياسة ، لقد أسعدها اتصالها و تبادل الحديث معها ، سُلاف أيضا كانت خفيفة الظل و أضحكتها كثيرا ، كلتيهما دخلت قلبها .. عادت للواقع و صحنها البارد على اثر لمسة شاهين اللطيفة لكفها و صوته الأجش يقول :

- ما بها الجميلة لا تريد مشاركتنا ! ماذا يشغلك أمي ؟

تأملته مليا ، متى كبر طفلها إلى هذا الحد ؟! سكنت ملامحها ابتسامة حب فياض مرددة

- هل لديّ سواك حبيبي ! بالطبع أفكر في زواجك القادم ، الم تنتهي المهمة التي شغلتك الأيام الماضية ؟

أومأ قائلا بسعادة :

- اجل و لله الحمد انتهت على خير ، عندما احدد موعد الزيارة مع العم عثمان سأخبرك مباشرة ..

أكملت حديثها بفرحة أم تحلم بزواج ابنها الوحيد :

- حسنا لكن قبلها اتصل بعمك و اخبره ، لا نريد أن يظننا نتجاهله ..

أشار بالموافقة قبل أن تعلق قدرية قائلة :

- أتعشم أن تكون شيري ابنة شقيقتك قد انتهت من الصراخ قبل الحفل حتى لا نضطر لحبسها ..

حدجتها بتأنيب فهي لا تريد الكف عن تذكيرها باختيارها السيئ في كل مناسبة لكن شاهين اختصر الطريق و أنهى وصلة الجدل القادم بقوله :

- لكل منا نصيبا مقدر خالتي ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

الأيام التالية مرت على الجميع بهناء عامرة بالتخطيط لإيقاع القلوب العنيدة و التجهيزات السعيدة كما كان خط الاتصال بين البلدين مفتوحا أغلب الوقت ..

تخلصت جيّدا من الصداع كما تحسنت حالتها الذهنية بعد منحها المعطيات الصحيحة من قبل الجميع و بالأخص نرفين التي طرحت عليها وصفا تفصيلي لكل ما مر بها حتى نازلي تذكرتها بتقطيبه عابسة ...

احتل مكانه حول طاولة الحديقة تهدهدهم أشعة الشمس يدفئها الحاني لا يرى من هذا الجمال الذي يحيطه سوى زهرته الجيداء ، سلط أنظاره ينهل من القها المتدفق ، تخلب لبه بكل حالاتها ، تمردها ، طفولتها ، خوفها ، براءتها ، مرحها ، من أين خرجت تلك الجنية المسحورة لتقلب كيانه و تذهب بثباته الشهير إلى غير رجعة !

بات يريدها بشكل يائس ، ليس كأي أنثى بل هي فقط ، غزالته البرية وحدها القادرة على إطفاء ذلك اللهب المندلع داخله ..

عادت نرفين من موعدها الصباحي و هرعت تجاه عائلتها المجتمعة هاتفة بصخب سعيد :

- لدي أخبارا رائعة ..

اتجهت إليها العيون بترقب فتابعت جذلة :

- لن تصدقوا ، هناك فنانة ذائعة الصيت ترغب أن أسوق لها أعمالها ..

امتلأت عيون والدها بالفخر بينما انطلقت عبارات التهاني و التشجيع من والدتها و شقيقها هبت جيّدا من مكانها و الفرحة تغمرها لتقبل وجنتيها قائلة بمرح :

- تهاني نرفي ، تستحقين الأفضل لكني سأظل في صدارة عملائك ..

بادلتها الضحك قائلة :

- حسنا لا تقلقي على موقعك ..

عندها نهض مراد مالئا المكان بقامته المديدة قائلا

- جيّدا ، ما رأيك بنزهة بهذا الجو الصحو ..

تألقت سعادتها بلمعة عيونها و أومأت بصمت لتتذمر نرفين هاتفة بطفولية :

- هذا ليس عدلا ! أنا هي صاحبة الأخبار السعيدة !

تقدم خطوة و سحب زوجته من كفها تجاهه قائلا للأخرى :

- اجل لذا اذهبي و بشري الصقر المحلق بها ثم اخبروه بالموعد لأجل الله و ارحموني من اتصالاته ، لقد مللت سماع صوته بالعبارة ذاتها ، يريد الارتباط بالحمقاء ، أعطوها له نحن لم نعد نريدها أساسا..

أشار لوالديه ضاحكا بينما يصطحب جيّدا و يهرب من هجوم شقيقته التي شيعته صارخة بقبضة مضمومة تلوح بها :

- حسنا سأنتظرك عندما تعود ، ألا يكفي انك تسرق صديقتي !

توقفت ضحكاتها على ثورة نرفي بعد انطلاق السيارة ثم التفتت إليه سائلة :

- هل سنذهب في واحدة من تلك النزهات الخاصة بالعمل ؟

أشار برأسه نافيه و صرح قائلا :

- كلا ، لقد قصدت كل حرف مما قلته ، سنقضي اليوم معا و نمرح دون التفكير بأي شيء آخر ..

لو كانت تحلم فهي لا ترغب في الاستيقاظ منه مطلقا ، يكفي أنها معه و يخصها بتلك النظرة التي صهرت حواسها و أفقدتها القدرة على النطق ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ظن طاهر انه بدأ بالهذيان عندما سمع ضحكات أماني و حديثها الهاتفي !

كانت تضعه من يدها مع دخوله الردهة سائلا بدهشة :

- مع من كنت تتحدثين ؟!!!

ردت قائلة ببساطة :

- مع الخالة ناريمان ، لما تسأل بابا ؟

قطب حاجبيه في محاولة للفهم و عاد يكرر :

- هي نفسها ! كيف تعرفينها ؟ و منذ متى بينكما اتصالات ؟!

رفعت كتفيها كأن ما يحدث طبيعي و أجابته بابتسامة هادئة :

- لا افهم أين الغرابة في ذلك ؟ طبيعي أن اعرفها من جيجي و نرفي ، لقد صرنا صديقتين بوقت قياسي ، إنها سيدة لطيفة جدا ، فيفي أيضا أحبتها ..

جلس أمامها و سلط نظراته عليها قائلا باهتمام:

- و كيف حالها ؟ اقصد فيما تتحادثان ؟ هل تطرقت إليّ ؟

قفز بريق المكر لعيونها سرعان ما أخفته قائلة بنفس النبرة :

- لا ، لما ستفعل ذلك ؟!

ردد باستياء واضح :

- أبـــدا !!

منعت نفسها عن الضحك لتجيب ببساطة مغيظة :

- نعم بابا فهي سيدة لديها العديد من الأنشطة و الانشغالات ، لكني علمت من نرفي أمرا آخر ربما يشغلها أكثر لاحقا ..

ضيق عيونه بريبة و سألها بإلحاح :

- ما هو هذا الشيء ؟!

ادعت البراءة المطلقة قائلة كأنها تفشي احد الأسرار الهامة :

- هناك احدهم يحاول التقرب منها ، ربما تنتظر زواج ابنها حتى تعلن الخبر بعده ..

شحب وجهه و احتلت ملامحه صرامة مخيفة و دمدم دون أن يعي :

- هل هو محاميها ؟

رفعت حاجبيها تعجبا من التغير الذي طرأ عليه ، لابد أن تخبر عمها في الحال لكنها ردت قائلة :

- لا اعرف ، نرفي لم تخبرني ، هل هي جميلة لهذه الدرجة بابا ؟

غمغم من بين أسنانه يكاد يحطمها :

- منذ متى اكترث لهذه الأشياء التافهة ، بالطبع لا اعلم أو أبالي ..

أمعنت في الضغط على أعصابه قائلة :

- اممم حسـنا ، لا داعي للغضب فقط اسأل بشكل عفوي أتعشم أن تقبل الدعوة قبل زواجها حتى أتمكن من رؤيتها ..

التفت يحدجها بعيون محتقنة قائلا بحدة :

- أي دعوة تلك ؟!

ابتسمت قائلة بعبث :
- أوه الم أخبرك ! لقد دعوتها مع فيفي للزيارة و هي وعدت بالتفكير في الأمر ..
هب من مكانه و قد فاض به الكيل ، لا بد انه دخل كابوس يرغب بالاستيقاظ منه حالا، أشار بكفيه حوله هاتفا باستنكار :
- مـاذا ؟ ناريمان تأتي إلى هنـا !
أجابت قائلة بتلقائية :
- بل عند عمي رضوان إكراما لها ، أليست جيجي سعيدة هناك بينهم إذن لما لا ! ستكون فرصة طيبة للتعرف عليها عن قرب ، أخبرتك إنني أحببتها ..
استدار مغادرا و نقرات عصاه الخشبية تضرب الأرض بعصبية قبل أن يرتكب حماقة ، يا الهي ناريمان هنا أمام عينيه ! الأمر أشبه بكارثة ، ناهيك عن كونه لم يتخطى صدمة ذاك الارتباط المزعوم حتى تضربه الأخرى !

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ترك السيارة بناء على طلبها و أكملا الجولة على القدمين ، زارا خلالها العديد من الأماكن السياحية ، أثارت انتباهها لكن ليس بنفس القدر الذي يفعل ذلك الكيان الرجولي الصاخب المجاور لها و قد تحول لكتلة من المرح و أضاءت الضحكات ملامحه الجذابة بشكل سلب أنفاسها ابتاعا غداء خفيف فضلا تناوله في الهواء الطلق داخل حديقة غناء و قد تقاسما كل شيء بسعادة و هي لا تكف عن مشاكسته حتى قامت بخطف آخر كسرة خبز من يده و هرعت راكضة مع صرخات جذلة عندها تبعها مصرا على اللحاق بها و معاقبتها ..
ناورته كثيرا برشاقة فطرية قبل أن يفقدها الركض و الضحك قوتها فتركت نفسها تسقط لاهثة بين بساط الأزهار الطويلة الساق و قد أينعت عاكسة وجه الربيع المطل بألوانه المشرقة ..
تبعها بإلقاء جسده إلى جوارها لتتعالى ضحكاتها متباهية بكونه لم يستطع إمساكها لكنه لم يمنحها الفرصة حيث فاجأها باقتناص شفتيها ليعب من أنفاسها بجشع ..
أفاقت من ذهولها لتكتشف انه يهبها قبلتها الأولى بحماس سخي ، رفعت كفها على استحياء لتغوص أناملها الرشيقة داخل خصلات شعره المخملي الكثيف ..

اختلطت الزفرات في قبلة تقطر بالشغف و تزداد ضراوة ، شفتيه تشن هجوما شرس سالبة كل دفاعاتها فلا تملك غير الاستسلام دون قيد أو شرط ..
خضوع مطلق لذلك الغازي الذي اسر قلبها و استعمر روحها للأبـد ..
أظلتهم الورود و قد أنعشها أريج الحب فابتسمت براعمها و انتشت ، أطلق شفتيها دون إرادة منه لتتقابل العيون في قصيدة غرام نقشت اسميهما داخل سجل العشاق المنقوش بمداد الأمل ..
أسبلت هدبيها الكثين هامسة بفتنة خجولة :
- مـراد ..!
عاد اسمه ينساب منها كمعزوفة عشق و صوتها قيثارة حب سحرية تشدو ألحانا شجية
رفع كفه يعيد خصلاتها المتهدلة إلى الوراء هامسا بصوت فؤاده الذي قرر الإفصاح :
- اجل احبك و أهيم عشقا بكل تفاصيلك ، أنت هي جيداء روحي و امرأتي التي شكلتها أضلعي ..
أطبقت جفنيها على صورته راغبة بتخليد اللحظة للأبد و قد سكن ثغرها الذي يحمل بصمة شغفه بسمة رضا و استكانة ثم عاودت

ثم عاودت فتح عيونها مقابل الدكنة المتلألئة لأحداقه المطلة عليها ..
أومأت بسعادة و همست برقة سحرته أكثر :
- و أنا أيضا أحببتك منذ الأزل ..
مسدت شعيرات لحيته الناعمة بهيام بينما مال لاثما باطن كفها ثم انخفض أكثر طابعا سلسلة من القُبل حطت برقة بتلات الزهور المخملية فوق جفنيها ، وجنتيها ثم طرف انفها و قبل أن يصل لبغيته و يقطف ثمرتها من جديد أبعدت وجهها و استقامت جالسة فاستفسر بدهشة :
- ما الأمـر ؟!
قلبت شفتيها قائلة بقهر :
- هل نسيت نازلي خطيبتك !
لانت ملامحه ببسمة شقية و استلقى على ظهره واضعا كفيه خلف رأسه قائلا :
- أنا متزوج يا آنسه ، كيف يكون لي خطيبة !!
ضربته على كتفه حانقة من سخريته و هتفت باستياء :
- كف عن المزاح ، أنت لم تنفك تخبرني بها ، كيف تحب اثنتين بوقت واحد ! أنا اذكر أقوالك كلها الآن ..

عاد يواجهها بعيون صادقة و دمدم بخشونة دغدغت مشاعرها :

- حسنا كنت مخطئا و قد أصلحت ذلك منذ فترة ، فلم و لن أحب غيرك جيدائي ..

زمت حاجبيها قائلة باستفسار :

- ماذا تقصد بـ أصلحته !!

اسند رأسه على قبضته مجيبا :

- أخبرتها أني لا أحبها و انفصلنا كما يقال ..

رفعت حاجبيها بدهشة و تابعت استجوابه :

- منذ متى ؟

ردد ببساطة :

- بعد حفل الجمعية لكني أيقنت قبله بوقت كافٍ من عدم اكتراثي بها ..

احتل التأثر ملامحها قائلة :

- و ماذا فعلت ؟ كيف تلقت الخبر ؟

زفر قائلا بنفاذ صبر :

- و ما شاننا بها ! حبيبتي ركزي معي أنا (و لمعت عيونه بعبث متابعا) لدي الكثير لأخبرك عنه ، ماذا كنا نقول ؟

و هم بسرقة قبلة أخرى لكنها دفعته عنها ضاحكة و قد استعادت مرحها و انطلاقها ، استقامت على قدميها قائلة بإغاظة :

- كنا نقول انك محتال ماكر و لن تخدعني ، هيا نكمل النزهة ..

لحق بها مرددا :

- حسنا لكن لا أعدك أن اكف عن الاحتيال أو السرقة ..

تتهادى
كقطرات الندى
برقتها على الأزهار بخجل فطري
سرقت قلبي بنقائها ، تلمع بضوء القمر
تتوهج برداء الشمس و به تتشبث بحلمها
أنت هي حبيبتي جعلتني لا أدرك من أين أبدأ
أتيت إليك محملا بالهوى انحني لملكة القلوب
فكوني لي يا حب يجتاح القلب
ولا يستكين إلا بين يديك
نسيت قوانين الهوى لأتنشق عبيرها
من شذى رائحتك العطرة ، نبض قلبي
يصافح حروف اسمك بقوه و كأنه فارس
يموج في الصحراء يبحث عن الماء
و كم كان عذبا اسمك حين خرج من شفتاي
كأنني تعلمت الكلام لنطقه فقط ،
كطفل رددته

بكل جوارحي تحملني رياح الهوى
إلى موطني ولم اكتشف سوى انك موطني
احبك يا أنثى هزت عرش الهوى بمجدها
وعزتها ، احبك ولم ينطقها سوى الهوى
loversense

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

سكنت البسمة وجه رضوان عندما دلفت سُلاف إلى غرفة مكتبه الواسعة هاتفة بالتحية بينما تضع كتبها و حقيبة يدها و تكمل الحديث قائلة :

- وصلت سُلاف الحلوة مع نشرة الأخبار الحافلة ..

استقبلها ذراعي والدها بالترحاب قائلا :

- أهلا حلوتي ، يجب صرف المكافئات لكل موظفي الشركة إذن ..

أومأت ضاحكة :

- اجل أوافق بالطبع مع اعتباره مناسبة قومية و إجازة رسمية ..

تعالت ضحكاته :

- ما الذي جاء بك يا شقية ؟ لما لم تنتظريني في المنزل ؟ أو تتصل أماني مباشرة !

جلست فوق سطح مكتبه قائلة :
- اتصلت عندما كنت في الاجتماع فلم تستطع الانتظار و أخبرتني لذا جئت بعد الجامعة مباشرة (ثم ارتدت نظاراته الطبية و تابعت بجدية مضحكة) لقد نما إلى علمنا من مصادر موثوق بها و سرية للغاية تدعى أماني ابنة شقيقك الموقرة أن المعني بالذكر استشاط غضبا عندما علم بقناة الاتصال المفتوحة بين السندريلا التركية و ابنته التي أخذتها الحماسة و أضافت توابل حريفة على الأمر من بنات أفكارها الشريرات و قد كانت النتائج مبهرة ، نصيحة بادر بطلب المطافئ فالسيد طاهر غضبه مشتعل ..
لم يستطع التوقف عن الضحك و تعبيرات وجهها تتغير مع كل كلمة بشكل كوميدي و علق قائلا :
- كان هذا هو الموجز ، أريد تفاصيل الأخبار ..
خلعت النظارات و ادعت الإغماء قائلة :
- لكني متعبة و اشعر بالعطش ، اطلب لي العصير و المثلجات أولا ..
رفعت حاجبيه مرددا :
- الاثنان معا ؟!
أومأت بينما تقفز عن المكتب :
- نعم و بعضا من الحلوى أيضا ....
خفق قلبه لصوت الضحكات المنطلقة من غرفة عمه فدلف على الفور مرتديا قناع الجدية :
- كان يجب أن اعرف انك هنا طالما نظام الشركة رأسا على عقب ..
جعدت انفها قائلة بمشاكسة :
- كيف لا يكون و أنت مديرها سيد عمر !
انطلقت ذبذبات مشاعره إليها رغم الحوار البعيد كليا عن ما يصخب داخلهما لكن هكذا الحال دائما ، استدار للرجل الأكبر بالأوراق التي يحملها قائلا :
- أريد رأيك في هذا العطاء عمي ، ادرسه حتى اصطحب فيفي لترى مكتبي ..
وضعت كفيها فوق خصرها قائلة :
- من قال إنني أريد رؤيته ؟!
دفعها أمامه مرددا :
- أنا قلت ، هيا تحركي و اجلبي أغراضك لأراجع معك المحاضرات ..

حثت الخطى معه هاتفة بمرح :

- حسنا طالما الأمر كذلك ..

أخذت مكانها مقابل مكتبه لكنه لم يتجه لمقعده الجلدي خلفه بل احتل الآخر المجاور لها فكتفت ساعديها قائلة :

- لما تجلس هنا .!

أشار بكفه مرددا ببراءة :

- حتى تفسرين الطلاسم التي تطلقين عليها مجازا خطك حبي ..

فتحت دفاترها و أوراقها قائلة :

- امممم لا بأس ، تفضل كلي آذان صاغية ..

بدا عليه الجدية لوهلة ثم بدأ يتعمد القرب منها بحجة سؤالها عن عبارة ما لا يستطيع قراءتها فتتراجع للخلف و تقرأها بصبر ..

عندما كررها و أدركت المكر الساكن أحداقه حركت مقعدها لتصير في مواجهته فمط شفتيه باستياء و تابع الشرح لكنه هذه المرة بات يحاول لمس يدها كلما ادعى تحريك إحدى الأوراق عندها صفعته على كفه المتسلل و نهرته قائلة :

- توقف عن ذلك ، لمعلوماتك في القانون هذا يطلق عليه تحرش و استطيع مقاضاتك ..

سحب يده متأوها بشكل مبالغ فيه قبل أن يردد بقهر مفتعل :

- مـاذا فعلت ؟!

ضيقت عيونها بفهم لكل خلجاته :

- إياك أن تحاول لمسي حتى لا تحظى بعاهة لطيفة ..

رفع حاجبيه و ظهر على ملامحه تعبير مضحك:

- لقد أصبت بالجفاف و التصحر ، كفي عن الاستبداد و أعطيني شيء يرطب قلبي ، سوف أتآكل بهذه الطريقة و أموت ..

ردت قائلة بعنفوان :

- مت أولا و عندها سأفكر لكن لا أعدك بالموافقة

مسح وجهه بكفيه هاتفا بإحباط :

- يا الهي ، لقد أغرمت بسفاحة صغيرة لا تتورع عن قتلي بل تجهر بها ، فيفي حياتي أنا ابن خالتك و حبيبك كما سأكون زوجك القادم ، رفقا بي ، اعتبريني مثل أخيك ..

ابتعدت عنه مع ضحكة متفكهة قبل أن تردد بمكر :

- امممم هل تدري عواقب قولك ؟ إذا اعتبرتك أخي لا يمكن أن تكون زوجي يا سيادة المهندس النابه !

ضرب رأسه بكفه قائلا بغيظ من تلاعبها به :

- حسـنا الغي هذه الفقرة و لنعد لما قبلها ، ألا يستحق زوجك المستقبلي دفعة صغيرة مقدمة تحت الحساب .. !

اتسعت عيونها النجلاء هاتفة بقوة :

- بل يستحق الضرب و سأفعل لو تماديت أكثر ، احلم أن تلمسني قبل الزواج و لا تجبرني أن اريك وجه سُلاف الغاضب ..

ثم أشارت لأوراقها و تابعت بحدة كوميدية :

- هات أغراضي ، لن أجعلك تساعدني ..

ضحك باستمتاع لثورتها التي يعشقها هاتفا بلهفة :

- كلا أرجـوك لا تحرميني من ذلك ، سوف أحسن التصرف ها قد منحتك كلمتي من جديد ..

أطلقت سراح ضحكتها الجميلة التي تكبحها بالكاد قائلة بمشاغبة لذيذة :

- حسنا قبلتها و سأحتفظ بها معي ..
حرك رأسه مشيرا بكفيه قائلا برفض :
- كلا لم نتفق على ذلك ، أمنحك كلمتي ثم تعيدينها إليّ قبل انصرافك و إلا كيف سأحتال المرة القادمة !
تعالت ضحكاتها على محاولاته التي لا تنضب رغم علمها انه لن يفعل ما يسئ لطهارة حبهما مطلقا لكنها تحب مبادلته مشاكساته قائلة بعيون تلمع بشقاوة عابثة :
- ما قولك لو صرخت الآن مستدعية والدي القابع في الغرفة المجاورة بالمناسبة إذا لم تكن تعلم و أخبرته انك غازلتني و حاولت تقبيلي عنوه !
شهق بافتعال و أشار لنفسه قائلا :
- تحاولين تشويه سمعتي أنا البريء النقي بافتراء كاذب ! عندها سأضطر آسفا لدفع الضرر عن نفسي و أقبلك جديا أمامه و عليه سيقوم عمي باستدعاء الشيخ ليعقد قراننا على الفور قبل أن تفيقي من المفاجأة ، ها ما رأيك ؟ هل تريدين التجربة !
تراجعت خطوة للخلف بشكل لا إرادي قبل أن تلمح نظرات المرح المطلة من أحداقه الكحلية فهتفت بحنق طفولي :
- ثقيـل الظـل ..
اتبع باستمتاع متزايد :
- تستحقين حتى لا تحاولي اللعب مع الكبار مجددا صغيرتي ، هيا أمامي اجلسي لنكمل مراجعة المحاضرة جديا هذه المرة ..
بينما كان مستغرقا في شرح إحدى النقاط فوجئ بها تسأل قائلة :
- عمر ، ربما الأمر سابق لأوانه لكني أود معرفة رأيك به ، أريد العمل بعد الزواج
رفع عينيه إليها لا يعرف إن كانت تشاغبه أم لا فأشار بكفه قائلا ببساطة :
- لما لا ؟ الشركة بأكملها أمامك حياتي ..
حركت رأسها نافية :
- كلا أنا لا ارغب بأي عمل يخص الهندسة أو الفنون فلا أحب إياهم كما تعرف و اعد الدقائق حتى تخرجي من الكلية ..
ظهرت عليه علائم الحيرة بوضوح :
- تفضلين أي عمل إذن ؟

أجابت بسرعة مرحة :
- طبيبة ..
انطلقا ضاحكين سويا فعادت تردد :
- لا اعرف تحديدا ، لكن أسألك عن المبدأ ..
انطلقت رسائل العشق إليها محملة بالنظرات الدافئة قائلا :
- حبيبتي تزوجيني و بعدها افعلي كل ما ترغبين ، لن اعترض حتى لو عملتي رائدة فضاء
اتسعت ابتسامتها بامتنان و عادت لمرحها المتدفق قائلة :
- اممم مهنة جيدة ، سوف أفكر فيها ..
❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖
لم تتخيل يوما أن تمر بها أوقات بمثل هذا السحر منذ دعاها مراد لأمسية شاعرية على متن احد اليخوت التي يتم استئجارها لهواة الإبحار ..
سحبت نفس عميق مشبع برائحة الجمال المحيط بها من كل جانب ، رقصت حواسها بابتهاج بينما تجلس متكئة على صدره و ذراعيه محيطان بها في حماية مطلقة يتأملان صفحة الماء بنجومها المتناثرة و أريج شعرها الفواح يملأ رئتيه و يمنحه لذة لا توصف ..

همست بنعومة كأنها تحمي لحظاتهم الثمينة معا :
- مـراد ، ماذا ستفعل مع عائلتي ؟
غمر انفه بتجويف عنقها متلذذا يدفئها أكثر مغمغما بثقة :
- لا تقلقي أبدا يا عمري ، بمجرد أن ننتهي من هنا سنسافر سويا لأتقدم بطلبك للزواج رسميا كما يفترض أن يحدث حتى يتم الأمر بالشكل الصحيح ..
التفتت لتواجهه محملة بسعادتها اللا متناهية مرددة بانبهار :
- ستتزوجني مره ثانية !
لثم وجنتها بتقدير بالغ هامسا من أعماق قلبه :
- بل افعلها آلاف المرات ، أنت حياتي يا جيدائي الشرقية الساحرة (ثم استدرك متابعا بمكر) الدور عليّ لأسأل هذه المرة ، ماذا ستفعلين لو رفضني والدك ؟
عكست نظرتها العازمة تصميمها قائلة بحب هادر :
- لن يفعل ، لكن حتى لو حدث سأهتف بكل عنفوان إنني احبك ، بل أهيم بك و لن أكون إلا معك ..

مال لاثما شفتيها بوله و دمدم فوقهما بإحساس عاصف :

- غني لي جيجي ، غني لي وحدي ..

اعتدلت بين ذراعيه حيث تحب أن تكون و انطلق صوتها يشدو ناقلا إليه كل ما يختلج في روحها له بلهجة أشبه بخاصته التي تعشق معلنة غرامها الأبدي ..

ما في عيش إلا معك ، ما في كون إلا إلك
لون عيونك غرامي دخلك صدق كلامي
قلبي و روحي معك ..
لو عنك بعدوني تبقى وحدك بعيوني
احكيني و بسمعك ..
ما في عيش إلا معك ، ما في كون إلا إلك

❖❖❖

لو مهما صار ما ببقي لحالي
رميني بالنار أهون لي كرمالي
لون عيونك غرامي دخلك صدق كلامي
قلبي و روحي معك..
لو عنك بعدوني تبقى وحدك بعيوني
احكيني و بسمعك
ما في عيش إلا معك ، ما في كون إلا إلك

تعودت عليك و عطيتك حناني
روحي بأيديك و حياتي و كياني
لون عيونك غرامي دخلك صدق كلامي
قلبي و روحي معك ..
لو عنك بعدوني تبقى وحدك بعيوني
احكيني و بسمعك
ما في عيش إلا معك ما في كون إلا إلك

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

دارت أماني في أرجاء مطبخها بخطوات راقصة تشعر بالخفة و السعادة لكونها داخل مملكتها التي اشتاقت إليها و تاقت له هو أكثر ، لذلك انتهزت فرصة أن والدها منشغل بالحالة الغاضبة المسيطرة عليه و فك حصاره عنها و اتفقت مع سُلاف لتأتي و تستأذنه أن تقضي ليلتها في بيت عمها و من هناك طارت لعشها دون إخبار ادهم لتعد له مفاجأة

أخرجت طاجن اللحم من الفرن ثم وضعته داخل حافظة الطعام ليحتفظ بحرارته و أنهت بقية الأصناف التي يحبها بعدها أطفئت الأنوار و صعدت إلى غرفة النوم التي رتبتها و أعادت فرشها ..

أخذت دش سريع بحرص حتى لا تفسد تصفيف شعرها ثم استخدمت مرطب البشرة الذي يحب رائحته و اختارت ثوبا لم يره عليها من قبل لتباشر بارتدائه ..

آخر خطوة كنت فرد سبائك شعرها اللولبية التي تأرجحت هشة ناعمة حول أكتافها العارية و قد عزز لون ردائها من شفافية بشرتها الكريمية ..

اكتفت من الزينة بالكحل البني لإبراز لون أحداقها العسلية و حمرة قانية جعلت شفتيها مثالا حيا للإغراء ..

رشة عطر و ها قد أصبحت مستعدة لاستقباله ..

قبل أن يهتف بها عقلها سمعت محرك سيارته يتوقف في المكان المعتاد فهرعت للأسفل متوارية حتى لا يراها ..

دلف بهدوء عكس شعور صاحبه بالسأم ، ألقى بسلسلة مفاتيحه فوق الطاولة الزجاجية بإهمال ثم ترك نفسه يسقط على الأريكة خلفها ليلة أخرى يقضيها بمفرده ، ليته استمع لنصيحة والدته و ذهب عندها !

لم يتخيل أن الأمر سيكون بهذه الصعوبة أبدا ،

يشتاق إليها بل يقتله الشوق ، كان يحتمل بعدها في السابق لكن ليس بعد ما أصبحت زوجته و تذوق شهد حبها ..
تقدمت على أطراف أصابعها حتى باتت خلفه تماما ، مدت كفيها الناعمين و غطت عينيه المغمضتين من الأساس و مالت تهمس جوار أذنيه قائلة :
- أحزر من اشتاق إليك ؟
دب النشاط في جسده باعدا أي إحساس سلبي بينما انتفض و رفع كفيه هابطا بيديها لأسفل حيث لثمهما ثم استنشق عبيرهما بلذة مغمغما :
- إن كان حلما لا تجرئي على إيقاظي ..
استدارت لتواجهه دون أن يترك يديها قائلة :
- ذلك يعني أن المفاجأة نالت رضاك ..
شملها بنظرة فتاكة كانت ابلغ و أكثر قدرة على الإفصاح من أبجديات الأحرف ..
وقف ليرتفع معه كفيه بلمسات صاعدة على طول ذراعيها حتى استقرا أعلى كتفيها و مالت جبهته لتحط فوق جبينها الوضاء مغمغما بشغف
- أنت حقيقية و لست من نسج خيالي ، أليس كذلك ؟

ابتسمت قائلة بدلال :
- تأكد بنفسك ..
سحبها إلى صدره بنفاذ صبر لتعتصرها ذراعيه بشدة كأنما يود أن تعبر قفصه الصدري و تسكن ما وراءه هاتفا بحرارة :
- يا الله ، لقد كدت اجن شوقا ..
استجابت له بعناق أكثر حرارة بثته أحاسيسها المماثلة بينما ينهل من عطائها دون حساب ..
عندما ازدادت جرأة يديه اعترضت برقة هامسة :
- تمهل ادهم ، لقد أعددت وجبتك المفضلة كما انك مرهق ..
دمدم بخشونة رافضة :
- أنا فعلا متعب لكن من غيابك ، الطعام هو آخر همي و يستطيع الانتظار بينما أنا لا ، لقد انتهت فترة صلاحيتي و أسقمني البعاد ، رفقا بي حبيبتي ..
لم يصدر عنها أدنى اعتراض بل بدت مرحبة بيديه اللتان هرعا لإبعاد حمالات ثوبها الرائع عن كتفيها لتبدأ جولة حب دافئة اشتركت بها جميع الحواس .....
❖❖❖

تذمر عقلها و قلبها معا هاتفين بالرفض الصريح لاضطرارها الحرمان من نعيم البقاء بين ذراعيه متوسدة نبضاته الصادحة باسمها ..
لقد حان وقت الرحيل و مضت ليلتها معه أشبه بحلم عذب ذاب بغمضة عين ..
أسوأ فترات اللقاء دائما عند انتهائه ، عليها سحب نفسها بعيدا عن دفئه في الحال و إلا لما استطاعت قهر رغبتها الملحة في البقاء ، و هناك فيفي التي وعدت والدها أن تقلها للمنزل بطريقها إلى الكلية لذا عليها التحرك الآن حتى لا تؤخرها ..
تململ برفض عندما شعر بابتعاد مصدر هنائه و شدد ذراعه حول خصرها غير سامح لها بالإفلات فهمست برفق حاني :
- حبيبي استيقظ ، عليّ الذهاب الآن ..
رفرف أهدابه و سرعان ما قابلت الدكنة الغنية بالحب و التفهم تبتسم لها فغمغمت بأسف
- لا أريد تركك لكن ذلك ضروري ، لقد وعدت بابا بالعودة مبكرا ، سامحني حياتي ..
رفع نفسه على مرفقه و لثم جبينها قائلا بنبرة ناعسة :
- لا بأس يا عمري ، يكفي انك أنقذتني من الموت جوعا بالأمس ..
رفعت حاجبيها قائلة بتلاعب :
- امم ، كل هذا حبا لطاجن الخضروات الذي أعددته لك !
مال مقبلا عنقها ثم همس بعاطفة متدفقة :
- بل بصاحبته ، هي وحدها القادرة على إشباعي و إشعاري بهذا الإحساس الحالم بالطفو بين الغيمات ، حالا سأكون جاهز لأعيدك إلى منزل والدك ، اتصلي بسُلاف و حرريها من الموعد ..
حاول الخروج من الفراش لكنها منعته عندما تعلقت بعنقه هامسة بامتنان عميق :
- احبك ادهم ، احبك جدا ..
بادلها العناق بأحر منه مؤكدا :
- و أنا لأجلك أحارب العالم و ليس نفسي التائقة لوجودك الدائم إلى جواري ..
لمعت عيونها بالأمل :
- أنا متفائلة ، خطة العم رضوان تسير قدما بشكل مباشر ، بابا يتغير ادهم اشعر بذلك
لثم شفتيها بعمق كما يحب أن يفعل قائلا بسعادة
- بإذن الله نانيّ ، سنكون معا بشكل كامل و ننجب أطفالنا ثم نقص عليهم قصة حبنا ليعلموا كم عشق والدهم أمانيه ..
أومأت برضا بالغ داعية ربها أن يحفظه لها و يهدي والدها ..

ظلت جيّدا هائمة في علمها السحري الجديد الذي شرع لها أبوابه و منحها مفتاحه الوحيد منذ اعترافهم المتبادل و ذلك جعلها تختبر مستويات جديدة من السعادة لم تكن تخطر لها على بال ، الدنيا بأسرها باتت أجمل و أكثر إشراق .. وضعت فرشاة أسنانها مكانها و خرجت من الحمام تضع منشفتها على المشجب بخطوات متراقصة جذلا لتكمل طقوسها الصباحية المعتادة ثم ارتدت ثيابها التي باتت تختارها بعناية أكثر حتى تراها عيونه بأجمل حلة على الدوام ركضت بحيوية لخارج غرفتها فهذا المساء هو موعد زيارة عائلة شاهين بغرض خطبة نرمين رسميا و ارتداء المحابس أخيرا و هناك الكثير من التحضيرات عليها المساعدة في إعدادها .. استقبلتها الدكنة الحافلة بمعاني الغرام المتوثب داخل الأحداق الناعسة بغواية ، منحته ابتسامتها الخلابة التي تحول عالمه إلى مكان بهيج صادح بشدو الطيور فاقترب قائلا بحنان :

- مرحبا حياتي ، كنت في طريقي إليك ، أردت إلقاء تحية الصباح قبل ذهابي (ثم مال هامسا بشقاوة) و الحصول على قبلتي الصباحية بالطبع ..

زمت شفتيها متخذة مظهرا صارم جعل ضحكاته تسبقه بينما تردد :

- هاي اخجل من نفسك يا سيد ، لا اسمح لك بتقبيلي كلما أردت ! هناك قواعد و محاذير ..

غمر بإحدى عينيه قائلا بمشاغبة :

- لم اخرق القواعد حتى الآن و ملتزم بأقصى معايير ضبط النفس حلوتي ، إنها قبله بريئة فقط لجعل يومي أجمل ..

رفعت كفيها لخصرها قائلة :

- لكنها ليست واحدة فقد صرت تتمادى و تحصل على المزيد بكل الأوقات ..

تناول كفها و لثم باطنه بعشق لم يعد يخفيه :

- و هل ألام و أنت أمامي بهذه الروعة ، كلما رأيتك يقفز قلبي طالبا الإفراج عنه ليضمك إليه رافضا البقاء داخل صدري ..

ثم مال يخطف نفحة من عذوبة شفتيها السخية لكن والدته أحبطت المحاولة عندما ظهرت فجأة في الممر الفاصل بين غرف النوم قائلة بتدخل مقصود :

- جيجي ، تعالي إلى هنا ..

لاحت الابتسامة على ثغرها و منحته نظرة

تموج مرحا ثم رفعت كفيها بإشارة أن لا شأن لها و تقدمت من السيدة التي وارتها خلفها قبل أن تهتف بلوم فكاهي موجه لابنها :

- لا يعقل أن أحوم حولك طيلة الوقت و أتفرغ لمراقبتك ، اذهب إلى عملك و أرحنا ..

رفع كفيه قائلا باستنكار :

- يا الله ، إنها زوجتي ..!

أشارت بإصبعها مرددة بصرامة :

- على الورق فقط يا ولد ، الزواج له تقاليد و أصول أنت لم تقم بها بعد و سأكون لك بالمرصاد حتى يحدث ذلك ، لذا حذار أن تقترب منها ، سأنتظرك في غرفة المكتب ، الحق بي دون تأخير ..

راقبها تستدير مبتعدة مصطحبة زوجته بعيدا فكاد يشد شعره قهرا من تحكمات والدته و تسلطها ...

❖❖❖

داخل غرفة مكتب والده رفعت زينب حاجبيها قائلة بمكر :

- إذن ، أخيرا تعترف بكونك مغرم بها و تريدها زوجة كاملة لك ..

أومأ قائلا بهدوء :

- اجل أمي ..

أشرق وجهها بالفرح ثم قالت بحنان :

- عظيم جدا لكن بهذه الحالة عليك العودة للمبيت في منزلك ..

قطب جبينه قائلا في محاولة للفهم :

- هل تطردينني ماما .. !

ضحكت على تعبيره المصدوم ثم مدت كفها إلى جانب وجهه بحب هادر قائلة :

- بالطبع لا حبيبي ، لكن بما أن جيجي هنا و أنت متلبس بالحب مع سبق الإصرار و الترصد لا يجوز بقاءك معها حتى يتم تصحيح شكل ارتباطكما الحالي ..

منحها نظرة عتاب مرددا :

- ألا تثقين بي !

ردت بقبلة امومية فياضة الحنان على وجنته مرددة :

- بل بالشيطان ، فهو ماهر في الإغواء بنيّ ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

لم تهدأ الفتاتين ثانية و نرفين تحلق داخل فقاعة وردية ، لقد تفاجأت بكم الحب الساكن

أعماقها لهذا الصقر الذي ظل يداعب مخيلتها طيلة الوقت بينما همساته المذيبة عبر الهاتف تفقدها التعقل ..

تركتها جيّدا مع واحد من اتصالاته العديدة منذ الصباح و اتجهت للحديقة تلتمس بعض الراحة خاصة و أن كل شيء أصبح معدا تقريبا ، استرخت على المقعد الوثير و شمس الأصيل تلفها بغفوة لذيذة لم يقاومها جفنيها المثقلان بالنعاس ..

شعرت برفرفات حانية تحط على شفتيها بلمسات غاوية ، أنفاسه العطرة سبقته إليها فترجمت معرفتها بابتسامة احتلت ثغرها الذي ازدهر بتلك اللثمات الناعمة ..

شرعت أهدابها هامسة بشغف مغري :

- مـراد ..

رد برجولة فطرية مفعمة بالثقة :

- و هل يجرؤ غيري على فعلها !! أنا وحدي من يعرف كيف توقظ الأميرة النائمة ..

اعتدلت نافضة غيمة النعاس عن رأسها فبادرها بابتسامة حانية و تابع :

- ماذا فعلت بك شقيقتي المشاغبة ؟ هل تريدين مني معاقبتها ؟ تعلمين إنني أرحب بذلك

بادلته الضحكات المتسلية قائلة :

- حذار أن تسمعك فهي تعرف كيف تتحول لمستبدة ، مسكين شاهين سيحتمل الكثير ..

ردد بمكر تحبه :

- اجل أنا اعتمد عليها في إعادة صقل هذا الشاهين البري ، إنها المرة الأولى التي يرحب الصقر بدخول القفص بقدميه ..

حركت رأسها قائلة بعدم تصديق :

- يا لك من صديق متفهم ، لاحظ أن لكل منكما دورا ينتظره ..

تألق استمتاعه واضحا بنظراته اللامعة قبل أن يتناول حقيبة أنيقة جلبها معه قائلا :

- و أنا أرحب به منذ الآن ، تفضلي حياتي هذا لك

حملتها ناظرة لمحتواها قائلة بفضول :

- مـا هو ؟!

تابع نظراتها بسعادة آملا أن يروقها اختياره :

- ثوب ابتعته لأجلك ، أتمنى أن ترتديه الليلة إذا أحببت ذوقي ، كما أرجو أن أراه عليك قبل الجميع ..

قفزت من مكانها هاتفة بجذل بينما تحتضن الحقيبة الجميلة :

- يكفي انك تذكرتني ، بالطبع سوف يعجبني شكرا حبيبي ، سأذهب لتجربته على الفور

صاحبها إلى الداخل قائلا :

- آمل أن يناسبك القياس فهي المرة الأولى التي ابتاع فيها غرضا أنثوي ...

❖❖❖

دارت حول نفسها أمام المرآة معجبة بما تراه ، لقد كان الرداء باللون الزيتوني الموشى بلمعة ذهبية فماثل لون عينيها ، يتداخل به قماش الشيفون المطرز مع الحرير بتصميم كلاسيكي بسيط انسدل على قامتها الرشيقة عاكسا الرقة و النعومة ..

أحبت طيات التنورة المتسعة التي تعدت ركبتيها و توقفت عند منتصف الساق ، ارتدت معه نفس الحذاء المرصع من الجانب الذي ابتاعته مع نرفين يوم دعوة شاهين و هكذا اكتملت أناقتها و لم تعد تقوى على الانتظار ليراها ..

رجحت انه داخل غرفته فتقدمت في الممر بالاتجاه المعاكس و دقت على بابه حتى سمعت صوته يدعو الطارق للدخول ..
خطت خطوة واحدة ثم جمدت ابتسامتها و زحف اللون القاني يلون بشرتها بفتنة !
كان يقف أمام خزانته يحمل قميصا قطني بنية ارتدائه و قد فرغ من حمامه قبل قليل عندما سمع دقات على بابه فطلب من صاحبها التقدم ليتفاجأ برؤية حوريته ترفل بالثوب الذي ازداد أنوثة و جمال عندما لف قدها و قد اتقد وجهها حياء لأنه عاري الصدر ..
استدارت من فورها هاتفة بخجل :
- آسفة ، لقد رغبت برؤية الثوب قبلهم ، لما سمحت بالدخول طالما أنت .....
ضحك بخفة بينما يضع القميص من يده و يتقدم منها قائلا بعبث :
- جيجي استديري حبيبتي ، أنا ارتدي الجينز و محتشم تماما مقارنة بأي رجل على الشاطئ مثلا ، الم تذهبي للبحر أبدا !
عادت إليه منكسة الرأس بينما رائحة عطره مع صابون الاستحمام تعصف باتزانها هامسة :

- بلى لكني لم .... حسنا ها هو الثوب ، جميل جدا و مناسب و قد أغرمت به ، سأعود إلى غرفتي الآن همت بالتحرك لكنه امسك يدها و أعادها أمامه قائلا بنبرات خافتة :

- انظري إليّ ..

عندما لم تستجب و جيوش الحياء تضرب حصارها حولها بإحكام رفع ذقنها لتواجه عينيه مرددا :

- اجل حبيبتي الثوب رائع لكني سوف أكرهه لأنه يلفك بهذه الحميمية التي تجعلني أغار منه لم تكن مؤهلة لمواجهة هذا الفيض الكاسح من المشاعر و الرجولة الصاخبة ، عجزت عن النطق فحاولت ترطيب شفتيها لكنه كان أشبه بنداء صامت استقبله و سارع لتلبيته بتوق شديد .. غاب الإدراك عن كل منهما و لم يعد باقي غير رغبة بالاحتواء الكامل قد تصل إلى حد التلاشي عن موجودات هذا العالم المادي ، أرواح تلتقي و تتآلف لتصبح كينونة واحدة داخل بوتقة الامتزاج ..

الصعقة الكهربائية التي انتقلت من كفها لتضرب سائر جسدها عندما لامست عضلات صدره النافرة جعلتها تنتبه على وضعها فوق فراشه ! متى و كيف وصلت إليه ؟! لا تعرف لكنها دفعته برقة خجولة بينما تجاهد لإخراج صوتها هامسة :

- لا ، مراد رجاء ، لن أنكر إنني أحب ذلك لكن أريده أمام الجميع بشكل علني بعد موافقة عائلتي ..

توقف على الفور مع أول حرف نطقت به و دفن رأسه في تجويف كتفها بتأوه :

- آسف حبيبتي ، لقد خرج الأمر عن السيطرة ، لم اقصد لكنك تبدين ساحرة و هذا ليس عدلا .. مسدت خصلات شعره الرطبة التي دغدغت عنقها قائلة :

- اعرف ذلك حبيبي و قد حدث نفس الشيء معي ، لا داعي للاعتذار فكلينا معا في الأمر ..

أعجب بصدقها و طريقة تفكيرها الشجاع رغم إحباطه العنيف و أراد التخفيف من حدة الاحتقان بينهما فاستدعى عبارتها الأولى هامسا بمشاغبة بات يكثر منها :

- امممم سنفعل ذلك أمام الجميع !! أنا لن أمانع أبدا لكن ظننتك تخجلين !

شهقت بغيظ لا تصدق ما تفوه به و دفعته عنها بعنف مع ضربات متتالية من قبضتيها ثم اتبعت بقذفه بوسائد الفراش المتناثرة هاتفة قبل أن تركض إلى غرفتها :

- غليظ و عديم التهذيب كليا ..

راقب هروبها بابتسامة عشق ثم نهض متناولا منشفته من جديد ، هذه المرة سيكون الدش أطول و ابرد و ليساعده الله ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

أطلقت نرفين صفارة إعجاب صبيانية قبل هتافها المتذمر :

- لا هذا ظلم ، أنا هي العروس ! أين عثرت على هذا الرداء المذهل ؟! هل حضرت الساحرة الطيبة و فاتني لقاءها !

تصاعدت ضحكات جيّدا قائلة :

- كلا ، انه الساحر الطيب هذه المرة ، مراد أهداني إياه ..

جعدت انفها بتكشيرة محببة قائلة :

- اممم شقيقي الناكر للجميل إذن هو من قرر إحباطي ليلة خطبتي بجعل زوجته أجمل

ردت من بين ضحكاتها قائلة :

- كفي عن الادعاء يا محتالة فأنت تبدين خلابة ، عليك تنبه شاهين حتى لا يفقد عقله و يقرر خطفك الليلة ..

دارت نرفين حول نفسها باسمة تستعرض تصميم ثوبها الذي انسدل عليها بروعة واصلا للأرض من الساتان النحاسي ، نصفه العلوي و الكتفين مغطى بالشيفون الشفاف مع وحدات مطرزة من وردات الثوب و قد ابرز رشاقة خصرها حزام من نفس اللون و نوع القماش بدون النقوش التف بأناقة حتى الخلف لينتهي بذيل متعدد الطيات مانحا للثوب اتساعه قائلة بشقاوة :

- لا بل سأتركه لأني سأحب رؤية وميض عينيه عندما اصعقه بجمالي ..

ضحكت مشيرة لها بالجلوس قائلة :

- حسنا أيتها الشريرة ، اثبتي لأضع العقد حول عنقك فالضيوف وصلوا و الخالة زينب طلبت مني إحضارك ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

احتلت نرفين جواره كالملكة بين الرعية ، كانت تبدو باهرة الحسن و أحاسيسها تلمع داخل عيونها بوميض ساحر مانحة إياها جمال إضافي انتشت ناريمان لنظرات الإعجاب التي انسكبت على كنتها من قبل أفراد العائلة الذين جلسوا بهيبة فطرية أوشت بتاريخهم العريق .. ترك شاهين المجال لعمه حتى ينوب عنه بالحديث مع السيد عثمان طالبا كريمته زوجة لابن شقيقه ، عندها ابتسم الرجل بوقار ثم أعلن قبوله لهذا النسب و سعادته بالمصاهرة لتنطلق التهاني تلف الجميع بينما جذبت زينب العروسان للوقوف في مواجهتهم و قد حملت ناريمان صينية فضية فاخرة يقبع فوقها المحبسان الصغير ذهبي و الأكبر من الفضة

كل ذلك كان مألوف لعيون جيّدا المراقبة عدا الشريط الستاني الأحمر المعقود بين الخاتمين ! تناولهم عثمان بسعادة و قام بإدخال كل منهما في مكانه حول بنصر الشابين ثم قص الشريط من المنتصف فدوى تصفيق الحضور و عمت المباركة ..

ترك مراد الفرصة لوالديه أولا ثم تقدم بتهنئته محتويا شقيقته بين ذراعيه برجولة مفعمة بكل معاني الإخوة و الحنان ، اتبع بآخر لصديقه المقرب معربا عن سعادته و رضاه لهذه الصلة التي توثقت برباط متين ..

تلته جيّدا في التهنئة ثم استقرت جانبه و مالت عليه هامسة بفضول :

- لما الشريط الأحمر ؟

فسر لها بابتسامة متلألئة :

- يتم ربط الخاتمين ببعضهما منذ شرائهما كنوع من الرباط الأبدي أما الأحمر فيرمز للحب و يسمح فقط لوالد العروس أو والدتها بفك هذا الرابط كنوع من إعلان الموافقة و السماح لهذا الرجل بالارتباط بها ..

لقد تعلمت الكثير من العادات التركية بهذه الفترة كما أحبت البلاد و ألفت أهلها بسرعة

أصبحت زيارة الخطبة تقليدية جرت مراسيمها المعتادة عدا أن هذه تميزت بشدو الفتاة التي أطربت الحضور و استمروا يطالبونها بالمزيد حتى أصابها الإرهاق ..

❖❖❖

أخيرا تمكن شاهين من تقديم تهنئته الخاصة لعروسه عندما انفرد بها على الشرفة بعيدا عن الصخب و مشاكسة مراد الذي رفض أن يتركها له بتعمد مدبر ، لكن جيّدا تعاطفت معه و ساعدته بالهاء زوجها المشاغب ..

أحاط كفيها الصغيرين بيديه لاثما إياهم برومانسية لم تتوقع أن تصدر عنه فقد كانت تظن من يعمل بمجالهم لا يعرف الرقة و لا هذه المشاعر العذبة ، لكن شاهين فاجأها بتدفق أحاسيسه التي أغرقها بها ..

همس ناقلا صوت فؤاده العامر بغرامها :

- لا يوجد من يضاهيني سعادة بهذه اللحظة حياتي ، أعدك أن أسعدك و أبثك حبي بكل ثانية

رفرفت أهدابها بخفر أنثوي ساحق لمشاعره العنيفة و رددت بهمسات موجعة لمحاولته الثبات و عدم فعل ما تطالب به رغباته الثائرة :

- أنا أيضا شاهين ..

ميل رأسه مرددا بمكر محبب :
- أنت ماذا ؟ أفصحي أكثر فانا أعاني صعوبة الفهم بتلك الأمور ..
نكست عيونها عاجزة عن مجاراته فرفع وجهها اليه و تابع بنبرة مغوية :
- هل أساعدك ؟
أومأت بالإيجاب فتابع همسه المذيب لكيانها الهش أمامه :
- أنا احبك و أكاد افقد عقلي لتصبحين زوجتي
عضت شفتها السفلية لكنه لم يمنحها فرصة للهرب :
- هيا انه دورك حبيبتي ..
غمغمت بتلعثم :
- حسنا ، أنا أيضا ..
حرك رأسه بعدم رضا :
- لا لا ، هذا يعتبر غش ، مثل ما فعلت افعلي ..
اصطبغ وجهها كليا قائلة بحرج كبير :
- شاهين ، كف عن ذلك ..
ضحك قائلا بعبث متزايد :
- لم افعل شيئا بعد لأكف عنه ، أريد سماعها فقط ، رجاء حياتي ، لأجلي ، ارغب برؤية شفتيك تنطقها ..
لم تكن لتخيب رجائه مهما كانت خجلة فحاولت شحذ قوتها الهاربة و همست بحروف متقطعة بينما ينتظر بصبر :
- احـ بـ ك ..
أغمض عيونه حابسا شعاعها البراق لوهلة قبل أن يزفر تنهيدة حارقة قائلا :
- يا الهي ، لم أتوقعها بهذا السحر أبدا
(ثم مال ناظرا لشفتيها بحميمية معذبة و تابع)
اسمحي لي بشكرهما لمنحي هذا الشعور الرهيب بالسعادة ..
لكن الإجابة جاءت من الصاعقة التي حطت على رأسه و تدعى مراد حيث جذب نرفين خلفه قائلا بغيرة حقيقية :
- إياك أن تمس شقيقتي ، لا تنس انك مجرد خاطب فحسب و بهذه الأمور أنا عربي حتى النخاع و انس التحضر فحذار ..
رفع الآخر حاجبيه هاتفا بقهر :
- من أين ظهرت ؟!!!

أشار للباب قائلا بغلظة :
- من الباب يا لطيف و احلم أن تنفرد بأختي من جديد ، إليك القواعد ، عندما تريد رؤيتها سيكون ذلك أمام عيني ..
حدق به لوهلة بأعين متسعة دون كلمة لان رده الوحيد سيكون لكمة تفقده النطق لأسبوع على الأقل حتى يتوقف عن قول الحماقات و إحباط محاولته لنيل ما يتوق إليه منذ عرفها !
❖❖❖
انتهت الزيارة بنجاح بعد انصراف الضيوف راضيين عن الليلة و مرحبين بعروسهم الجميلة التي ازدانت بها عائلتهم ذات الصيت الشهير ..
كما تمكنت نرفين من وداع خطيبها بصعوبة منذ صدق مراد بوعده و ظل يقظا يراقب كل شاردة غير سامح لهما بالانفراد ، حتى انه بأحد المرات اقترب من شاهين المحتقن غيظا جراء تصرفات صديقه اللجوج قائلا :
- اهكذا تضحي بصداقة السنين لأجل خطبة ! خيبت ظني بك يا رجل ، أنا هو صديقك المقرب لا تريد الجلوس معي !!
عندها غمغم شاهين قائلا بحنق :

- اجـل ، هل ترغب أن أعلنها في الصحف ! صبرا حتى يتم الزواج و سأجعلك تراها بعد حجز موعد ..

تعالت ضحكات الآخر المستمتع بمزاج صديقه قبل أن يحرك حاجبيه قائلا بمكر :

- عندها سأجد حلا ينسيك الإحباط ، الأهم الآن هو أني تمكنت منك ، انتظر حتى يعلم صالح ...

❖❖❖

عم الهدوء أرجاء المنزل و قد أويت نرفين لغرفتها استعدادا لإكمال السهرة مع شاهين على الهاتف بعيدا عن شقيقها المزعـج ..

دارت جيّدا بعيونها باحثة عنه حتى وجدته ينهي حديثه مع والده و يتجه نحو الخارج فتساءلت إلى أين يذهب بهذا الوقت ؟!

هرعت خلفه تناديه ، استقبلها بابتسامة عينيه و دفئها المعتاد فبادرت بسؤاله :

- هل ستخرج ؟! إلى أين ؟

أعادها لمدخل المنزل من جديد قائلا :

- الجو بارد في الخارج جيجي ستمرضين بهذا الثوب ، سأذهب إلى منزلي كالسابق تعلمين كنت أعيش هناك ..

قطبت جبينها هاتفة بانزعاج رافض :

- لكن لماذا ؟! أرجـوك ابق معي هنـا ..

غامت عيناه عاكسة تدفق مشاعره لكنه ردد بثبات :

- هناك سأكون بالقرب أيضا حبيبتي تعلمين المسافة بين المنزلين لا تكاد تذكر ..

حركت رأسها باستياء طفولي :

- كلا ، لا أحب أي انفصال بيننا ، عُد إلى الداخل

ميل رأسه هامسا بعشق استحكم كل خلاياه :

- جيجي احترق و أنت قريبة بعيـدة بهذا الشكل يا عمري ، أمي كانت محقة ينبغي البعد عن مصدر الإغواء ..

فردت كفيها فوق صدره و قلبت شفتيها قائلة بدلال كاسح :

- لكني اطمئن و أنت جواري ، اشعر بالراحة و الأمان ألست حارسي الخاص و مهمتك البقاء معي أينما أكون ! لأجلي مراد لا تذهب أرجـوك (ثم اتبعت بنبرة أكثر رقة و توسل) ستبقى ؟!

كأنه يستطيع عدم تلبية رغباتها ، ابتسم مجيبا طواعية :

- بالطبـع حياتي ..

ضمته بسعادة جمة قائلة :

- احبك كثيرا كثيرا ..

لثم مفرق شعرها بخفة مرددا إياها بالتركية بنبرة تقطر عسلا مصفى ، ثم اتبع مع نظرة شقية :

- هلا راقبتِ الطريق و أخفيتني عن أمي لأعبر الممر إلى غرفتي آمنا ؟ أريد أن يظل رأسي فوق كتفي ..

ضحكت مرددة بتواطؤ مرح :

- بالتأكيد سوف افعل ، أنا حتى لم أرك من الأساس ..

نهاية الفصل

دمعات القمر

القطرة
الثالثة و العشرون

شعر طاهر بالتحرر بعد إزالة الجبيرة عن ساقه بينما عقله لا زال راسخا تحت نير أفكاره المتضاربة ..

لأول مره يجد نفسه بهذا العجز حتى إقدامه على سؤال أماني يخشى إجابته ، كأن حضورها سيقوض الباقي من دفاعاته و يهد قلاعه الواهية ، سبح مع ذكرى قريبة حين استقبلت اتصاله بعد طول جفاء و عندما سألها عن السبب قالت ببساطة :

- لم اقصد الرد عليك طاهر ، ظننت الاتصال من أماني فلا تحلم أن أحفظ رقمك ..

تابع ساخرا :

- اجل فوقتك الضيق لا يسمح بالحديث معي فلديك من المواعيد ما يملأ .....

قاطعته قائلة بحدة :

- لا شأن لك بوقتي ، ماذا تريد ؟ لما تتصل بي ؟

ردد بحيرة :

- لما هذه العدائية معي ناريمان ؟ ألا تودين معرفة كوني تخلصت من الخبيرة أخيرا ؟

أجابت قائلة دون انفعال :

- حسنا هذا جيد و يجعلني خالية من أي المسؤولية تجاهك ..

- أهذا كل ما تفكرين به ؟!

- و هل يوجد بيننا غير الحادث ؟ و ها قد زالت آثاره نهائيا ..

حاول فتح نافذة للحديث قائلا :

- مبارك لشاهين ، علمت أن زفافه قريب ..

ردت بحيادية و اقتضاب :

- اجل ، شكرا لك ..

اتبع باستياء لا يعرف سببه :

- يا الهي ، أنت لا تودين محادثتي حقا ..

أقرت بتلقائية :

- بل أمنحك ما تريده طاهر ، لقد أعربت عن رغبتك بوضوح عندما غادرت و أنا أجيد تلقي الرسائل ..

غمغم قائلا بأسى :

- لكني لم أرد ذلك ، أنا ... مشوش ناريمان و بحاجه للحديث ، آسف لأني جرحتك لكني لم أتعمد ذلك ، ربما لو سامحتني استطيع التوازن ..

لمست الصدق يلون نبراته فردت بهدوء :

- حسنا طاهر لقد قبلت اعتذارك ..

تحدث بلهفة سكنته دون إرادة :

- حقا ناري ، إذن لا مزيد من تجاهل اتصالاتي ؟

وجدت نفسها تجيبه قائلة ببساطة :
- اجل ، أيا كان ما حدث بالتأكيد لديك سبب .. توقف عن استرجاع حوارهما و قد أحبطه تفهمها ، لماذا يعجز أن يكون بهذه السلاسة في التفكير ؟ لما يتشبث بعقده و لا يلقي بها إلى الجحيم !! انه يشعر بنفسه بعيدا عن الجميع حتى ابنته اقرب الناس إليه بات هناك حاجز بينهم

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

التقطت نرفين أنفاسها هاتفة بدهشة :
- أنت هنا ! لقد قلبت البيت بحثا عنك حتى ظننتك خُطفت من جديد ، ماذا تفعلين فوق سطح المنزل ؟!
ضحكت جيّدا قائلة بتلقائية :
- كما ترين ارسم ، أحيانا أحب التقاط المنظور من الأعلى ، لكن الهاتف معي لما لم تتصلي !
أشاحت الأخرى بكفها بينما تجلس جوارها قائلة:
- غاب عن عقلي ..
- حسنا لما كنت تبحثين عني من الأصل ؟
قالت باهتمام يشي بجدية الموضوع :
- لدي موعد هام و أريدك معي ..
تركت الفرشاة و التفتت سائلة :
- بالطبع ، لكن أين سنذهب ؟

جذبتها من كفها قائلة :
- سأخبرك في الطريق ، هيا الآن حتى لا نتأخر ...
ترجلتا من السيارة أمام مركزا طبي عملاق فعادت جيّدا تكرر سؤالها :
- متأكدة إنها رغبتك الخالصة نرفي ؟
أجابت بابتسامة تألقت عزما :
- بالطبع جيجي ، لما هذا السؤال ؟
- بسبب التوقيت ، لما لم تعيدي التفكير في إجراء الجراحة إلا بعد خطبتك على شاهين ؟
التفتت قائلة بدهشة :
- كلا أنت مخطئة ، شاهين لا يعرف بعزمي و لن اخبره ، سأفاجئه بعد قيامي بها ..
أشارت هاتفة بحيرة :
- لكن لماذا ؟!!
رفعت كتفيها بلا مبالاة :
- و لما لا !
انتهى النقاش عند هذا الحد مع عدم اقتناع كامل من جيدا لان الممرضة المختصة قادتهم إلى الطبيب المنتظر الذي عاين ساقها و طلب مجموعة من الأشعة و تحاليل قبل الإدلاء برأيه النهائي حول العملية ، لذا صعدتا إلى الدور العلوي لانجاز المطلوب ..

انتظرت جيّدا في القاعة الخارجية بينما ذهبت نرفين مع ممرضة أخرى للقيام بالفحوص اللازمة ، تابعتها بنظرها حتى اختفت خلف باب غرفة الأشعة قائلة :

- لن اسمح لك بالحماقة نرفي ، عذرا صديقتي هذا لأجلك ..

ثم أخرجت هاتفها و ضغطت رقم شاهين بثبات ....

❖❖❖

لاحقا بغرفة الفحص من جديد تحدث الطبيب قائلا ببشاشة :

- الآن استطيع القول أن بإمكاننا إجراء الجراحة و آمل أن تكون النتيجة مرضية ..

أنهت نرفين حديثها معه و خرجت بعد تحديد موعد بدء الإجراءات ..

في طريقهم للأسفل تحدثت جيّدا بلوم واضح :

- مازلت أرى انك متسرعة و تصرفاتك لا لزوم لها على الإطلاق ..

ردت الأخرى بهدوء :

- بل متأخرة جيجي ، لم يتبق شيئا على الزفاف و أريد أن أكون على ما يرام قبله بمدة كافية ..

أشاحت وجهها بعدم رضا ثم ما لبثت أن عادت بسمتها لمرأى السيارة التي توقفت أمامهم بصخب قبل أن يترجل منها شاهين بمظهر عاصف هاتفا :

- أريد أن اعرف سبب وجودك هنا في الحال ، تحدثي نرفين ..

التفتت إلي جيّدا بحدة فما كان منها إلا أن نظرت للسماء مدعية عدم الانتباه فغمغمت بحنق :

- سأريك أيتها الخائنة ..

لكنها رددت بعدم اكتراث :

- لا يهم ، اشرحي له وجهة نظرك العبقرية الآن و سأعود إلى المنزل وحدي ..

أوقفها شاهين قائلا برجولة صرفه :

- انتظري جيّدا ، بالطبع لن تذهبي بمفردك سأقلك أولا ..

حاولت الاعتراض قائلة أنها تعرف العنوان و ستستقل سيارة أجرة لكنه رفض تركها قطعيا ..

مر الطريق بصمت اتفق عليه ثلاثتهم حتى وصلت السيارة لوجهتها فترجلت الفتاة ركضا

إلى الداخل بينما عاد يقود لمسافة قصيرة قبل أن يتوقف على الجانب ثم التفت إليها قائلا :

- حسنا ، انتظر الشرح ..

سحبت نفس عميق قائلة :

- لا افهم لما تنظرون للأمر كأنه كارثة ! أين الخطأ إذا أردت أن أصبح أفضل ؟!

رد قائلا من بين أسنانه :

- و ماذا يعيبك الآن نرفين ! الم نتخطى هذه المرحلة ؟

أومأت بالإيجاب قائلة بصدق :

- اجل لقد تصالحت مع نفسي و راضية عنها ، لكن .....

حثها على المتابعة بصبر :

- لكن ماذا ؟ أفصحي عما يدور بخلدك ..

أكملت قولها بثبات :

- افعلها لأجلك ، أريد أن أكون كاملة في نظرك شاهين و ....

قاطعها هاتفا بغيظ تملكه :

- حتى الآن لم تتأكدي انك ملكت قلبي و عقلي بنظرة عين واحدة ! و أني أراك أجمل و أكمل النساء ! هل تظنينني تافها لهذا الحد ؟!

سارعت هاتفة بالنفي :

- كلا ، أبدا ..

تابع بنبرة ملئت تصميما و عزما :

- إذن اعلمي إنني احبك كما أنت ، لا أريد أن تتغيري من اجلي يا حمقاء بل أعشقك بكل حالاتك ، قوتك ، إصرارك ، طريقتك في إيجاد نفسك و النجاح ، كل هذا مغلف بإطار من الرقة و العذوبة اللا متناهية ، هذه هي نرفين التي ارغب بها ..

استدرك بعيون لامعة :

- لهذا ستعودين معي الآن ناسية كل هذا الهراء ، كيف ظننت أني سأسمح بخضوعك لمشرط الجراح ! ، هل ترغبين أن أتحول من رجل أمن إلى مجرم ؟

قطبت حاجبيها بعد فهم قبل أن تسأل بحيرة :

- لماذا ؟!

رد شارحا بنظرات قويه :

- لأني وقتها سأقتل الطبيب الذي آلمك بالطبع ، فلا تلقين بي لهذا المصير و تتسببين في وفاة رجل بريء رجاء حياتي ، السبب الوحيد الذي يجعلني أتحمل دخولك غرفة العمليات هو .. إنجابك لأطفالنا .

أشاحت وجهها حتى لا يرى كيف حاكى لون ثمرة الطماطم الناضجة بينما كفه يتسلل ليعانق كفها بحنان زائد قائلا :

- عديني أن لا تخفي عني شيئا منذ هذه اللحظة

أومأت راضية مع ابتسامة هانئة و قالت :

- أعدك حبيبي و لكن أنت أيضا ستفعل ذلك ، صحيح ؟

غمرها بفيضه الأزرق قائلا :

- فيما لا يتعلق بالعمل بالطبـع ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

مر الوقت متخما بتحضيرات الزفاف حتى بات الجميع يلهث ..

أنهت جيّدا اتصالها الهاتفي مع مالك الجاليري الذي يطالبها بالمزيد من اللوحات لأنها لاقت إقبالا و رواج من قبل مرتادي معرضه الفني فوعدته أن نرفين ستبحث الأمر معه فور تفرغها من دوامة ترتيبات زواجها الذي لم يتبقى عليه سوى عدة أيام ..

جلست إلى جوار الخالة زينب المستغرقة بمتابعة شاشة التلفاز و التي حثتها على الانضمام إليها قائلة :

- شاركيني برأيك جيجي ..

سألتها باهتمام :

- ما هذا ؟ حفل !

ردت الأم شارحة :

- كلا بل مقاطع على شريط مسجل أخذته من مصممة الديكور لاختيار شكل مفارش الطاولات ، شاهدي هذا الأصفر يبدو جميل لكن ما رأيك في الآخر مع الشريط الأبيض ؟

وضعت تركيزها فيما يعرض ، كان حفل بقاعة مؤتمرات فخمه أو ما شابه و يتم إلقاء كلمة ، عيونها تركت كل شيء و جمدت على الرجل الجالس في الصدارة بخيلاء و يبدو منتفخا بعجرفة و هناك سيناريو آخر يدور بعقلها جعل أنفاسها تتسارع بشكل ملحوظ حتى أنها غفلت عن دخول مراد الذي اقترب من والدته مقبلا رأسها و هبت واقفة لتهرع نحو الشاشة بعيون متسعة و سرعان ما هتفت مشيرة إليها :

- هو ، مـراد ذلك الرجل ، انه هو ، كان هناك مع القاتل و اخذ الأوراق ..

أحاطها بذراعه مطمئنا و اصطحبها للأريكة من جديد قائلا ببطء :

- مهلا حبيبتي اهدئي و التقطي أنفاسك ، اجل هكذا و الآن اخبريني ، هل هو نفسه أم يشبهه ، ما هي درجة ثقتك ؟

التفتت إليه قائلة بصرامة و ثقة :

- هو من رأيته تلك الليلة من سطح الفندق ..

تناول كفها و سحبها معه للخارج قائلا :

- حسنا ، هيا بنا ..

صرخت نرفين خلفهم بينما تهبط الدرج هاتفة :

- هاي إلى أين تأخذها ؟! لدينا تجربة قياس لثوب الزفاف قبل استلامه !!

وصلها صوته قبل أن يغيب كليا خارج الباب الرئيسي :

- لديك أمي نرفي جيّدا غير متوفرة حاليا ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

تبادل الرجال الثلاثة نظرة حذرة بينما جيّدا تسأل بحيرة :

- من يكون هذا الرجل ؟!

رد السيد ارسلان قائلا :

- للأسف هو احد رجال الدولة ، هل بإمكانك رسم ما حدث ليلتها بعدة لوحات متتالية لكن مع الملامح هذه المرة ؟

أشارت بكفها قائلة ببساطة :

- بالطبع استطيع ..

منحها كل ما تحتاج إليه و ترك لها مكتبه ثم انضم للشابين بالإضافة لصالح الذي دلف لتوه متمما فريقه و قد تعافى تحت إشراف صارم من رُقيه التي مازالت لا تصدق حتى الآن انه عاد إليها من الموت المحقق ..

جلسوا حول طاولة مستطيلة لدراسة خطوتهم التالية في ضوء المعطيات الجديدة التي فتحت لهم آفاق واسعة جعلتهم يتقدمون خطوات عدة ..

أخذت وقتها حتى أعلنت انتهائها و سلمت اللوحات التي كانت تجسد الحادث بوضوح كما وقع و قد تطابقت بشكل كامل مع النسخ القديمة ناهيك أنها تحمل تفاصيل و دقة اكبر .

وقف السيد ارسلان بهيبة طاغية يصافحها و يقدم شكره و امتنانه لكل ما قدمته للجهاز من مساعدات كبيرة متابعا :

- لقد انتهى دورك رسميا و بإمكانك العودة لحياتك و وطنك من جديد ، فلن يكون لك أي ظهور مباشر بالقضية لأنك أمام الطرف الآخر متوفاة و هذا لحمايتك ..

أومأت بتفهم فعاد يردد بنبرة ودية :
- لكن كما أرى هناك أوضاعا ستظل كما هي أم لعلي مخطئ مراد ؟
تقدم خطوة محيطا كتفيها بذراعه معقبا بابتسامة متألقة :
- كالمعتاد حكمك لا يخطئ و لديك نظرة ثاقبة سيدي ، أنا و جيّدا سنظل زوجين لكن مع تصحيح إطار الزواج ..
منحهما تهنئته العميقة قبل أن ينفضّ الجمع و يغادر كل إلى مهمته الموكل بها ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

انتهت ناريمان من ترتيب الكوخ الصيفي الذي أصبح منزل ابنها الزوجي و قد بات جاهزا لاستقبال عروسه التي رحبت بقراره حول عدم اتخاذ بيتا في مكان منفصل و ترك والدته و الخالة قدرية بمفردهما ..
أضافت لمساتها الارستقراطية بكل مكان و قد نقلت إليه العديد من اللوحات تمثل أفراد العائلة بزيهم العسكري القديم مرسومة باليد و تبدو قيّمة بالإضافة للعديد من التحف و الانتيكات التي يزخر بها البيت الكبير ..

دلف مطلقا صفارات الإعجاب قائلا :
- أوه ما كل هذا أمي ؟ المكان يبدو رائعا ..
التفتت إليه باسمة و سارعت لدفعه من كتفه إلى الخارج ثم أحكمت إغلاق الباب خلفهم قائلة
- اجل اعرف لكن لا يتوجب عليك البقاء فيه الآن ، ستدخل إليه مع عروسك و ليس قبل ذلك ..
أومأ بالإيجاب مرددا بطاعة :
- لكنك أتعبتِ نفسك في الترتيبات و لم تسمحي لأحد بمساعدتك ..
منحته ربتة امومية على جانب وجهه قائلة بفخر :
- انه حلم حياتي يتحقق حبيبي ، أنا اسعد أم في العالم بأسره ثم إن الراحة قادمة ، لدي رحلة ستعوض كل الإرهاق ..
قطب حاجبيه سائلا بعدم فهم :
- أي رحلة ؟!
ردت شارحة ببساطة :
- أجلت إخبارك لأني لم أكن متأكدة ، سوف اذهب في رحلة سياحية مع قدرية ، فقد دعتني سُلاف شقيقة جيجي للزيارة منذ فترة و مؤخرا قررت القبول ..

فكر لوهلة قبل أن يردد بحذر :

- لكن الوضع الحالي لـ.....

قاطعته قائلة بادراك واعي :

- ماذا تظن أمك يا ولد ، بالطبع لن أتطرق لزواج الفتاة حتى يذهب مراد و يطلبها رسميا من والدها و سيفعل ذلك قريبا فلا أظنه ينتظر أكثر ، انه مثلك نظراته تفضحه

ابتسم قائلا باقتراح :

- حسنا لما لا تنتظري و نسافر معا لاحقا ..

حركت رأسها نافية بحزم قبل أن تردد بنبرة كوميدية :

- اجل حتى تقتلني زينب و ستكون محقة ، تريدني أن أرافقكما أثناء شهر العسل ! و مع قدريه أيضا !! يا الله لقد افسد العمل المتواصل دماغك بنيّ ، هناك أشياء أخرى تُفعل بهذه الفترة أنصحك أن تسأل عنها ..

اذهب مع عروسك للمكان الذي تريده بينما سأذهب مع صديقتي المشاكسة في رحلتنا لقد قررت و انتهى الأمر ، هل أحضرت حُلة العرس ؟

كان لازال يضحك من أقوال والدته فأشار بالإيجاب و لهبه الأزرق يعكس سعادته الغامرة

فردت بالمثل قائلة :

- هيا أمامي لأراها إذن ..

شاركهم الطقس أجواء الزفاف فأهداهم صحوه و أشعة الشمس المتراقصة ارتدت ثوب الربيع المزهر بألوان الورود التي نثرت أريجها الفواح لتنتشي الأنفس بسحر الطبيعة الفتية ..

كأن العالم يعلن مباركته لارتباط شاهين و نرفين حتى الأشجار اتخذت زينتها و انتصبت بكامل حلتها حارسة للحب ..

- هيا نرفي إذا تأخرت أكثر سيرتكب شاهين حماقة كبيرة خاصة و شقيقك يدفعه لحافة الجنون عامدا ، لم أتخيل أن بإمكانه الاستفزاز لهذه الدرجة ..!

قالتها جيّدا التي ترفل في ثوب طويل من الشيفون الأخضر الزاهي ، بكتف واحد محلى بفصوص الألماس ينساب عليها بطبقات متداخلة تطير هفهافة مع اقل حركة كفراشة تفرد جناحيها الهشين ..

اقتربت من العروس الفاتنة التي بدت في أوج روعتها و الجمال النوراني يحيطها بهالة ملكية و تابعت قائلة بفرح :

- لكن ما أراه يستحق كل ثانية ، تهاني حبيبتي تبدين ساحرة ، سأخبر العم عثمان انك مستعدة لعلنا نستطيع إنقاذ حياة مراد ..

استدارت نرفين أمام المرآة ضاحكة فلديها فكرة كافيه عن ما يفعله شقيقها الغيور مع شاهين ، طالما الأمر يخصها كان ينسى كل شيء عن الصداقة و لا يكف عن إزعاجه و إبعاده عنها .. ألقت نظرة أخيرة على طلتها قبل وصول والدها ، نفضت طيات الثوب الحريرية الملتفة حول بعضها برقة بعد تخليها عن ارتداء التنورة السفلية التي تمنحه الاتساع و الثبات فقد أرادته حرا خفيف الحركة حولها فبدا منسجما مع رقتها الفطرية و متناغما مع شعرها المصفف على جانب رأسها بشكل لائق بتصميم الثوب الناعم

نصفه العلوي ضم خصرها بحزام متعدد الثنيات ثم قصة معتدلة تنتهي فوق كتفها الأيمن حيث يتعانق شريط الكتف مع آخر يلف عنقها بوداعة ..

ابرز بياض بشرتها نقش الحناء المحيط بأعلى ذراعها كطلسم حماية يزيدها سحرا و غموض ..

اتسعت ابتسامتها عندما تذكرت سهرة الأمس الحافلة و كيف تصرفت والدتها باستبداد و طردت كل الرجال بعيدا عن المنزل و معهم والدها بالطبع ، أما جيجي فاخفت هاتفها حتى لا يتصل شاهين ، و قد أحاطتها نظرات الخالة ناريمان الواشية بسعادتها بينما تألقت بالثوب الأحمر البراق الخاص باحتفال الحناء الذي أقاموا كل مراسمه و استمروا بالرقص و الغناء طيلة الليل ..

استقبلت ابتسامة والدها الفخور بأميرته و قد خطا نحوها بعيون عكست سعادته بهذه اللحظة التي ينتظرها كل والد ، عندما يسلم ابنته لزوجها و يؤمنه عليها ..

قبل جبينها بحنان هادر و منحها ذراعه لتشبك فيه كفها و تسير برأس شاهق يطاول العنان لكنه قبل أن يخطو بها لم ينس أن يمد كفه الآخر لجيّدا التي منحته يدها بامتنان فمال عليها هامسا :

- قريبا سيقوم والدك بذلك و يحظى بحقه ...

❖❖❖

وقف بانتظار حلمه الأبيض الشفاف الذي يتقدم نحوه بثوب أشبه بالغيمة في رقته و حاليته حتى بدا جزءا من المكان الساحر الذي اختارا إقامة حفل زفافهم به ..

على شاطئ البحر تهدهدهم الرمال الناعمة و السماء الصافية الزرقاء التي عكست لون عيني العريس التائق ..

تسلمها من والدها مع تباري اكف المدعوين بالتصفيق الحار و قد مال مراد ببزته السوداء الأنيقة على أذن حبيبته هامسا :

- هم السابقون و نحن اللاحقون ، أنصحك بالتحضير منذ الآن لأني لن انتظر ، بمجرد نطق والدك بالموافقة سأخطفك عائدا ..

أنقذها من الرد الغارق بالخجل إشارة شاهين لهما بالتقدم بصفتهما شاهدي العقد فانضما إلى العروسين على طاولة ازدانت بالزهور أُعدت لعقد القران و قد تصدرها (كاتب العدل) و احتل أربعتهم جانبيه ..

تمت الإجراءات وفقا للتقاليد التركية حيث سأل الموثق كلا منهما عن قبوله للأخر فاعلنا الموافقة عبر مكبر الصوت ليستمع الجميع كنوع من الإشهار ، بعدها وقعا الأوراق و الدفتر الصغير الذي تعرفه جيّدا و لديها آخر يشبهه يحمل صورتها مع مراد ، اتبع ذلك توقيع الشاهدين ثم جهر بمباركته زوجاهما رسميا ..

وقفا لتقبل تهنئة الحضور الصاخبة قبل أن يديرها إليه بعيون غائمة هامسا بحبه فتمتمت بالمثل ، عندها مال طابعا قبلة خفيفة كالنسمة العابرة على شفتيها تخضب لها جميع جسدها بلون الحياء لكن الأيدي التي خطفتها لتلقي المباركات انتشلتها من بحر الخجل ليسبح المكان في لجة الاحتفال المشبع بألوان البهجة ..

بعد فترة لم يهدأ خلالها أيا من الحضور استطاعت ناريمان أخيرا إعادتهما للمنصة المزينة بالورود ليتمكن شاهين من تقديم خاتمه مع هدية الزفاف التي انتقاها بعناية و جعلها سرا حتى هذه اللحظة ..

تصاعدت شهقات الإعجاب من المحيطين عندما كشف غطاء العلبة المخملية الأنيقة عن الطقم الذهبي المميز داخلها الذي يمثل رسالة حب حملها قلبه إليها معبرا عن إحساسه بها و ما يحب أن تكون عليه ..

تعلقت عيونها على الخاتم الذي قربه منها باسما بشغف و قد فتنها تصميمه الفريد و خلب لبها ، كان عبارة عن فراشة ذهبية تفرد جناحيها المرصعان بفصوص الماس الصغيرة بوضع التحليق بينما جسدها أبرزه صف طولي من الماسات الكبيرة ..

استقبله بنصرها بترحاب كأنه صمم خصيصا لأجله ثم اتبع بسوار رقيق أحاط معصمها بفراشاته المتراصة بتتابع بديع

و أخيرا قلادة بنفس التصميم انعكست أشعة الشمس الغاربة على فراشتها الأكبر حجما من سابقاتها فتألق بريق الأحجار الماسية التي رصعتها مبرزة دقة إحساس الفنان بمنحوتته المميزة ..

رفرفت أهدابها و قد فاضت سعادتها بينما لفحتها أنفاسه اللاهبة و كفها الغارق داخل أمان قبضته يتيه زهوا بحمل قبلته التي تبعت الهدية متمتما برقة فياضة :

- مبارك عليك فراشتي المحلقة ..

أصبح غناء جيّدا من أساسيات أي تجمع يقام فلم يمهلوها الوقت لالتقاط أنفاسها و قد انهالت عليها الطلبات حتى رقصة العروسين أصرت نرفين أن تكون على أنغام صوتها الشجي فاختارت أغنيتهم الخاصة التي حفظتها منذ همس لها بترجمة كل إحساس حملته كلماتها لكنه هذه المرة كان يستمع هائما بينما هي تشدو بين ذراعيه ..

لم يصدق شاهين انه وصل أخيرا لمرحلة إلقاء الباقة راجيا منها الإسراع لأنه اكتفى من الاحتفال لعام كامل أو يزيد و يرغب باصطحابها للخطوة التالية بنفاذ صبر ..

رفض أن يقود السيارة غيره مفضلا الانفراد بعروسه التي تركها لوالديها تتلقى عناقهم في حين تقدم منه مراد قائلا بابتسامة أخوية :

- إياك أن تغضبها و إلا سترى وجهي الآخر الذي لا يتذكر كونك صديقي ..

صافحه بود رجولي معقبا بصدق :

- اطمئن من هذه الناحية ، أما أنت و وجهك الآخر فحذار أن أراك بالقرب من بيتي قبل نسياني لأفعالك ..

تبادلا ضحكات سعيدة و تابع شاهين قوله بجدية

- سأنتظر منك اتصال بعد إقلاع طائرة والدتي ..

ربت الآخر على كتفه قائلا :

- لا تقلق سأتولى كل شيء بنفسي و لن اترك الخالتين ناريمان و قدرية إلا على متن الطائرة ، و بمجرد وصولهم هناك من سيكون باستقبالهم ليقلهم إلى المنزل الذي استأجرته و عاينته بنفسك عبر شبكة الاتصال ..

اطل صالح برأسه من بينهما قائلا بمرحه المعتاد:

- بما تتهامسان ؟ هل تعطيه النصائح العشر قبل ليلة الزفاف ! لا تسمع منه شاهين سيحاول توريطك حتى يسترد منك شقيقته ، سمعة الجهاز بين يديك يا رجل إياك أن تفضحنا ..

ثم تعالت ضحكاته المختلطة بالتأوهات عندما انهال عليه الشابين ضربا من الجهتين بوقت واحد ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

وقفت نرفين بثوبها الأنيق تتأمل ديكورات المنزل بإعجاب ، فكل ركن حمل عراقة و نباله تشي بأصالة عائلة زوجها ..

أحاطها بذراعيه من الخلف واضعا ذقنه الخشنة فوق كتفها مغمغما بنبرات أذابها الشوق :

- ستحبك والدتي أكثر عندما ترى نظراتك المعجبة بتاريخ عائلتها الذي تفخر به ..
ضحكت برقة قائلة بتأكيد :
- اجل بالطبع الجميع يعلم بجذور ذويك الذين ساهموا في ازدهار الدولة العثمانية عبر الأجيال ..
تناول كفها و لثم باطنه قائلا بإغراء متعمد :
- حسنا تستحقين علامة كاملة في مادة التاريخ ، لكن رجاء ركزي مع الجيل الحالي الذي قارب على الانقراض من كثرة الانتظار ، ارغب بازدهار من نوع آخر و قد استبد بي الشوق
رفعت ذراعيها حول عنقه قائلة بدلال :
- ألن تنتظر اتصال مراد لتطمئن على والدتك ، ألا تشعر بالقلق ؟
حرك رأسه نافيا :
- كلا ، إنها سعيدة برحلتها و سوف تستمتع بها مع الخالة قدرية و كل سبل الأمان و الراحة ميسرة لها ، بينما نحن هنا وحدنا في ليلة زفافنا ألا يذكرك ذلك بشيء !
رفعت عيونها بمشاكسة لبرهة ثم ردت قائلة :
- اممم بعد تفكير أجد الإجابة لا ..
بادلها المكر المحدق ببراعة :
- ممتاز لذا يتوجب علي تذكيرك بالتفصيل الآن على الفور ..
دون إهدار ثانية كان يحملها بين ذراعيه طاويا الدرج إلى الدور العلوي حيث تنتظرهم غرفة النوم المعدة بشكل حالم لاستقبال العروسين ..
وضعها فوق الفراش و مال معها دون أن يتركها معانقا شفتيها البريئتين بنعومة سلبت أنفاس كليهما ثم تنقل عبر ملامحها بلثمات مستكشفة يصاحبها زفراته الحارة و همساته الاجشة بحبها الذي سكنه لسنوات بادلته إياها برقة أنثوية تستقبل عالمها الجديد تائقة للأخذ و العطاء ..
اعتدلت بين يديه بنبضات متسارعة فمد يده ينزع دبابيس شعرها و يحرره من أسره بالمقابل وضع عنه سترته مع رابطة العنق و فك أزرار القميص ثم ركع أمامها و بدفء رجولي خلع عنها حذائها الأبيض و استراحت قبضته حول كاحلها يمسده بإبهامه هامسا :
- احبك نريفي حتى نهاية العمر ، لطالما كنت حمقائي الصغيرة و عذبتني لكن حتى عذابك أحببته ..

ترقرقت دموع التأثر محتلة الدكنة التي فاضت هياما و سكن ثغرها ابتسامة حملت معاني العشق و تحرك كفيها يجذبانه إليها لترد شفتيها نيابة عنها ، تمنح بسخاء أنثى تفتحت براعمها لاستقبال أريج الحياة ..

رفعت وجهها تملأ عيونها منه ثم غمغمت بوجد :

- هل أخبرتك يوما بأني اعشق لون عينيك ؟

رد قائلا بابتسامة ماكرة :

- نعم فعلتِ ..

قطبت حاجبيها دهشة و استنكار سائلة :

- متى كان ذلك ؟!!!

اتسعت ابتسامته حتى أضاءت لهبه الأزرق مرددا بعبث :

- لن أخبرك ..

ثم خنق اعتراضاتها الواهية عندما عاد ينهل من أنفاسها بجشع ..

انتشت روحه لاستجابتها و فجرت طاقاته لإسعادها أكثر لكن عكر صفاء تلك الهالة الوردية التي لفتهم الرنين الرتيب المتغلغل داخل طيات عقله ليسحبه إلى عالم الوعي من جديد ..

رفع رأسه بتعبير مبهم فسألته بدهشة من تبدله:

- هل هو مراد ؟

حرك رأسه كأنما ينفض عنها غيمة المشاعر مرددا بثبات :

- كلا انه الهاتف الآخر ، المعذرة حياتي يجب أن أتلقى الاتصال ..

غاب لبرهة بين عباراته المقتضبة التي وشاها الغموض لكنها التقطت بضعة كلمات جعلتها تفهم ما يدور ...

- ماذا ؟ ظللت تتحرى شهرا كاملا دون فائدة و اليوم فقط وجدته !!

وصله صوت الطرف الآخر مرددا بحرج :

- آسف شاهين ، لكنك طلبت إخبارك فور التوصل إليه و هذا ما افعله ، أنفذ الأوامر ..

اعتدلت جالسة و سوت طيات ثوبها الجميل حولها تنتظره حتى عاد إليها يلفه الإحباط فبادرت تخفف عنه قائلة :

- من العمل أليس كذلك ؟

أومأ بالإيجاب فتابعت بتفهم :

- اعرف هذه الاتصالات و ما يتبعها ، في العادة كان مراد يهرع إلى الخارج (عندما ظل صامتا أكملت بمرح) إذن ....

تبادلا نظرة ثم انفجر كليهما بالضحك قبل أن يردد هو بقهر :

- نية شقيقك لم تكن صافية نرفي ..

تعالت ضحكاتها أكثر على تعبيره الرافض كليا لما يحدث فقبلت جانب فكه قائلة ببساطة :

- حسنا اذهب حبيبي ، أنا باقية هنا لن أتحرك لأي مكان ..

ضيق عينيه قائلا بريبة كوميدية :

- لما تبدين بهذه السعادة ؟! واثقة انك لم تمضي أوقات طويلة مع مراد مؤخرا !

حركت رأسها نافية بشقاوة محببة :

- لا أبدا ، أنا بريئة كليا ، لكنها فرصه لأتعرف على المنزل بهدوء و أحظى بليلة زفاف خالية من المشاكسة ..

رفع حاجبيه قائلا بغيظ :

- اممم هكذا إذن ، عموما سأعطيهم التعليمات بسرعة البرق و أعود ، عندها سوف تختبرين المشاكسة على أصولها قولا و فعلا ..

ابتسمت جيّدا للخالة ناريمان و أشارت للمرة الأخيرة قبل أن تتوارى عن عيونها و قد حملتها الكثير من الشوق لأفراد أسرتها حتى يحين موعد سفرها بدورها ..

أحاطها مراد بذراع حامي و قادها للسيارة بعد إقلاع الطائرة بأمان عندها استقبل اتصال مشابه جعله يحتل مكانه أمام المقود قائلا :

- لدي عمل طارئ جيجي لكني سأقلك إلى المنزل أولا ..

ثم انفجر ضاحكا بصخب فسألته بدهشة :

- ما المضحك باستدعاء العمل !!

ردد من بين ضحكاته التي تأبى التوقف قائلا بمشاغبة :

- لأني أتخيل ملامح شاهين الآن ..

قلبت شفتيها بعدم فهم بينما حرك السيارة دون أن يفارقه هدير الضحك ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

وصلت الرحلة بسلام في الموعد المحدد و خرجت السيدتين من صالة الوصول لتجدان رجل السفارة الموكل باستقبالهما في الانتظار حيث رحب بهما و اصطحبهما إلى المنزل المستأجر باسم ناريمان بناء على توصية جيّدا التي أخبرتهم بما عليهم فعله فالسيدة لا تفضل الإقامة بالفنادق و كذلك قدرية ..

فتحت الشرفة و وقفت تأمل محيطها فغمرها دفء الطقس المحمل بعبق الربيع مانحا المنطقة جمال استشعرته رغم ظلمة الليل لكن الأجواء كانت مغرية للتجمعات المرحة و السهر ..

حارت في تفسير إحساسها لكنها استحضرت كلمات جيّدا عندما وصفت شعورها حين يلفها ذراعي الوطن بحنان ، أدركت أنها تتذوق ذلك المعنى فقد زارت العديد من الدول الأوربية بحسن تنسيقها و مناظرها لكن هنا وجدت في استقبالها الأصالة العربية و نُبل الخلق الذي فُطرت عليها تلك الشعوب الباقية تتحدى المحن ، فمهما تعاظمت النزاعات مصيرها للزوال و تبقى الغلبة لروح العروبة شامخة تأبى الاندثار كما يظن محركو الفتن و الدسائس من المتآمرين و المنتفعين ..

قد يختلفوا و تفرقهم صراعات داخلية لكن بلحظة ما تهدر الدماء المشتركة و توحد أبنائها بنيانا واحدا يشد بعضه ، يواجه لينتصر ..

تنفست بعمق مالئة صدرها من هذا الدفء المعنوي ثم تراجعت إلى الداخل تتأمل محتويات المنزل قائلة لقدرية :

- الآن فقط لمست التشابه الذي تحدثت عنه جيجي مع وجود روح مختلفة تسود الأجواء

ردت المرأة الأكبر سنا قائلة :

- انه ما يطلقون عليه سحر الشرق ناري ، مختلف بدفئه و حميميته و ترحيبه بالضيوف ..

غمغمت مضيفة بخفوت :

- و بأهله أيضا قدريه ، لقد اختبرت ذلك بنفسي ..

سألت الأخرى قائلة :

- ماذا ؟ المعذرة لم اسمع قولك ..

- لا شيء مهم ، لنخلد للراحة و ننفض عناء السفر ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

سكبت أماني الشاي لوالدها مع ابتسامة حانية ثم عادت لمقعدها أمام طاولة الإفطار بينما هو منشغل بتصفح الجريدة كعادته الصباحية قبل الذهاب لعلمه الذي بات يغرق نفسه به كوسيلة أخرى لدحر أفكاره العتيدة ..

تلقت اتصال ابنة عمها ليتعالى صوتها المرح كأن الفتاة تزف لها بشارة ما !
لم تخفى عليه لمعة عيونها بعد انتهائها فسأل مباشرة :
- ماذا بها فيفي ؟!
أجابته قائلة بابتسامة متسعة :
- فاجأتني بأخبار جميلة ، لقد وصلت الخالة ناريمان بالأمس و هي مدعوة اليوم على العشاء بمنزل عمي و نحن أيضا بابا لكني أود الذهاب مبكرا ..
نزل عليه الخبر كالصاعقة لكنه تمالك نفسه بصلابة و رد بجبين مقطب :
- اعتذري لزوجة عمك فلن استطيع الذهاب ، لدي أمورا تشغلني ..
كانت موقنة من ردة فعله لكنها ادعت الحيرة قائلة :
- أوه لا ، يا للخسارة ، ألا يوجد أمل في انتهاء أمورك مبكرا لتحضر بعدها ؟!
حرك رأسه برفض صارم مرددا باقتضاب :
- كلا ، لا مجال ..
أومأت قائلة باستسلام :
- حسنا بابا كما تحب ، لكني سوف اذهب بعد إذنك بالطبع الآن مباشرة حتى أصاحب فيفي بزيارتها و ربما نأخذها بجولة حول المنطقة فقد استأجرت بيتا لا يبتعد كثيرا عن منزل عمي بمعاونة جيجي بالطبع ..
وضع الجريدة من يده و غادر الطاولة دون أن يمس إفطاره قائلا :
- افعلي ما يحلو لك ..
ثم غادر المنزل بأكمله غير راغب بالحديث أكثر ، كيف لم تخبره ؟! هل قصدت ؟ أم لعلها لا تهتم من الأساس !
لقد اتصل بها عدة مرات بعد إعلان مسامحتها لكنها كانت مجرد أحاديث عابرة سرعان ما تنهيها دون التطرق لأي أمر شخصي حتى انه لم يجد الفرصة للاستفسار عن شائعة ارتباطها التي أخبرته عنها ابنته سابقا ! فهل هذا هو السبب ؟
حسنا لن يهتم ، لديه عمل عليه التفكير به ...
❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖
كان التعارف المباشر مشوقا و قد لعبت ناريمان دور المترجم بين قدريه و الفتاتان الجميلتان

اللتان أضفيتا بهجة محببة على اللقاء ثم قام أربعتهم بزيارة لبعض الأماكن و مراكز التسوق للتعرف على محيطهما قبل انصرافهم مع تأكيد بعودة فيفي لاحقا لاصطحاب السيدتين إلى منزل والدها ..

بناء على طلب رضوان اتصلت أماني بادهم و دعته للعشاء فوصلها صوته حاملا استفساره :

- لكن ماذا عن والدك ؟!

رددت بنبرات ضاحكة :

- يبدو أن عمي كان واثقا من رفض بابا للدعوة و هذا ما حدث ، أنا بمنزله و انتظرك حبيبي ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

اثنت الضيفتان على الطعام الشهي و الاستقبال الحافل بينما الأحاديث الصاخبة لم تتوقف و قد نالت جيّدا نصيب الأسد منها ..

كانت ناريمان تعد لهم مفاجأة فأخرجت هاتفها و أدارت مقطع مسجل من حفل الزفاف لينطلق الصوت الشجي مالئا الأجواء المرحة ، على أثره قفزت سُلاف من مكانها هاتفة

- جيجي أختي ..

و التصقت بالسيدة تتابع صورة شقيقتها الجميلة ، غامت عيون زهرة بالدموع عندما ناولتها الهاتف الذي قربت شاشته من فمها مقبلة صورة طفلتها و بدلا من دوران الجهاز بين الجميع قامت السيدة بإرسال المقطع لهواتفهم ..

بعدها شاهدوا عدة صور جماعية للعُرس ، توقفت سُلاف أمام لقطة جمعت أفراد العائلتين ثم أشارت للسيدة مستفسرة باهتمام :

- من يكون ذلك الشاب الذي يجاور جيجي ..

أجابت ناريمان بتلقائية :

- انه مراد شقيق نرفين و صديق ابني المقرب ..

مالت الفتاة على أذن أماني هامسة بمكر :

- انظري كم هو وسيم ! الآن عرفت السبب الحقيقي لبقاء جيجي هناك ، التمس لها العذر صراحة ..

لكزتها الأخرى هامسة :

- كفي عن الحماقة سيسمعك عمر ..

لكن الشاب كان منشغلا في الحديث مع ناريمان فأشارت لوالدتها بالصورة قائلة :

- انظري ماما كم يبدو ثوبها جميل ..

أومأت زهرة بحبور و قد أنعشها رؤية ابنتها

و ما لمسته من محبة السيدتين لها ، بينما ردت والدة عمر قائلة بابتسامة واسعة :

- اجل إنها تبدو نضرة ، لطالما كانت الألوان الزاهية تليق بها ..

تفاوتت التعليقات حول اللقطات التي أمعنت ناريمان في اختيارها بحرص حتى لا يبدو مراد قريبا من جيّدا بشكل يلفت الانتباه و قد تعالت الأصوات المرحة مع اختلاط اللغات الثلاثة لتغطي على رنين جرس الباب الخارجي الذي استجابت له الخادمة الشابة و أفسحت المجال لمن قرر الانضمام إليهم أخيرا ..

وقف طاهر على أعتاب الغرفة يحدق بالجميع حتى تسمرت عينيه على ذلك الشاب الجالس بجوار شقيقه لكن لم يطل تساؤله لان عقله اجبره على الانتقال لسبب حضوره الفعلي و قد بدت في أجمل حالاتها ..

نهض رضوان مرحبا بأخيه الذي توقع قدومه و لم يخيب ظنه بينما الآخر يبادره بالسؤال الخافت :

- ماذا يفعل ذلك الشاب هنا ؟!

رد الأكبر قائلا ببساطة :

- انه ضيفي كما انه صديقا لعمر ، تفضل طاهر يسعدنا انضمامك إلينا ..

غارت الدماء من وجه أماني لكن إشارة عمها الخفية جعلتها تهدأ و تستكين في حين نهض ادهم برجولة و صافح الرجل دون كلمة زائدة ثم تلاه عمر ..

رحبت به زهرة ببشاشتها المعهودة قائلة :

- من الجيد أن تمكنت من الحضور طاهر ، سأجلب لك عشائك بما إننا سبقناك ..

أوقفها بإشارة من يده قائلا :

- لا داعي لذلك زهره ، أشكرك لكني تناولته بالفعل ..

ثم استدار لمواجهة تلك العيون التي تحمل وهج السماء قائلا :

- مرحبا ناريمان ، أتعشم أن الرحلة كانت هادئة

ردت بابتسامة دبلوماسية :

- نعم ، شكرا لك ..

ثم قامت بالتعارف بينه و قدريه التي تأملته بتعبير غامض كأنها تربط عدة أمور بعضها بسرعة بديهتها المعروفة عنها ، الأمر الذي شاركتها فيه أحلام دون أن تفوتها شاردة ..

تركت سُلاف مكانها المجاور للسيدة قائلة بعفوية :

- تفضل بالجلوس عمي ، سأجلب لك العصير الذي تحبه من يد سُلافك الصغيرة ..

أومأ لها بابتسامة أعادت الدفء لملامحه الجامدة و جلس ليكتشف انه لن يستطيع اختلاس النظر من موقعه و إذا أراد ملأ عينيه منها كما يرغب فعليه الالتفاف بشكل مباشر أمام الجميع لذا فضل شغل نفسه بمراقبة نظرات ابنته الوجلة التي خصت ذلك الشاب الذي عرفه فور رؤيته ببعضها بينما أدار هو حوارا عملي قدير مع عمر و رضوان مما اضطره للمشاركة فيه و سرعان ما ضاع التحفظ الذي يكنه له عندما جذبته طريقة تفكيره و إدارته لعمله الخاص الذي يكبر بسرعة و تتسع مجالاته ..

في هذا التوقيت اتصلت جيدا و قد أسعدها تواجد هذا الجمع في منزلها و تمنت لو كانت معهم ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

صار لقاء ناريمان بالفتيات ضرورة يوميه و قد ألفت المكان حولها بسرعة و أصبحت تخرج للتسوق بمفردها خاصة بوجود مركز تجاري قريب ..

أخبرت قدريه التي انشغلت بمتابعة مسلسلها المفضل على إحدى القنوات العربية سعيدة بسماع الدبلجة الصوتية و بدا عليها التركيز الشديد كأنها تبحث عن الفرق بين اللغتين

- قدرية سأخرج لشراء بعض الأغراض ، تريدين المجيء معي ؟

أشارت بيدها نافيه دون أن تلتفت لها فأدارت عيونها في الفراغ قائلة :

- لا فائدة ، قدريه في كل مكان هي نفسها .. !

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

لا يعرف ما الذي جعله يقود سيارته لهذا المكان تحديدا و يقف مراقبا بابها كما لو كان مراهقا أمام مدرسة البنات !

هب قلبه الذي بات يقوده مؤخرا لمرآها تغادر المنزل بمفردها و لا إراديا حرك السيارة في اتجاهها هاتفا :

- ناريمان ، اصعدي رجاء ..

التفتت بمفاجأة تامة فهي لم تخبر أحدا عن خروجها الذي قررته دون ترتيب مسبق قائلة بدهشة :

- ما الذي تفعله هنا طاهر ! هل لديك عمل في الجوار ؟

حرك رأسه نافيا :

- بل أريد الحديث معك ..

وجدت نفسها تستجيب لعرضه و تدلف من الباب الذي فتحه لاستقبالها بأناقتها الارستقراطية المعتادة قائلة :

- حسنا ، ماذا ؟

- اقبلي دعوتي على الغداء و نتحدث عندها ..

أومأت بالرضا فلانت ملامح وجهه متخليا عن جموده ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

أعلنت أماني بسعادة للثلاثة المجتمعين معها حول احد طاولات النادي المطلة على ملعب كرة المضرب هاتفة :

- كما أخبرتكم انه يلتقيها كل يوم تقريبا و عندما اسأله يخترع حججا واهية كما لو كنت أنا والدته و يخفي عني علاقته بابنة الجيران ..

عقبت سلاف بانتصار :

- نعم بابا أيضا يقول انه يتعمد التواجد كلما دعتها أمي لمنزلنا ..

تبادل ادهم و عمر نظرة ذات مغزى قبل أن يردد الأخير :

- هذا جيد لكن ليس كافٍ ، المطلوب أن يعترف لنفسه بالتغيير و يكون مستعد للارتباط بها أو بغيرها المهم المبدأ ..

أومأ ادهم يوافقه ثم أضاف :

- عمر يقصد أن الطريق لازال طويلا و عليكم الصبر و عدم تعجل النتائج و حذار من دفعه أو الضغط عليه ..

ثم نهض متناولا كف زوجته و تابع مازحا :

- سنذهب في جولة ابقيا حيث أنتما و إلا أخبرت العم رضوان ، سأراقب من بعيد ..

زمجر عمر باستياء فكاهي :

- اترك غيرك يفعلها ادهم فنحن في الكبت سواء ..

أجابته ضحكات الآخر بينما يبتعد مصطحبا أمانيه فاستدار للفتاة الباسمة قائلا بأسى مفتعل

- ماذا عنا سلافة قلبي اليسار ! متى تفرجين عني و ترفعين الحظر ؟!!

ادعت التفكير بمشاكسة ثم رددت بجدية مفرطة :

- اممم قلبك اليسار إذن ، ماذا عن اليمين سيد عمر ؟ من يسكنه ! (ثم غلبها الضحك قبل أن تتابع قولها) أخبرتك من قبل أكثر من مره ، عندما تعود جيجي ..

رفع كفه فوق رأسه بقهر فهو غير راضي عن إهدار كل هذا الوقت بينما قلبه لا يجرؤ على إغضاب مدللته الصغيرة المشاغبة التي يهيم بها و مستعد لانتظارها عمره كله ..

لم تمنحه الفرصة لإعادة الجدل فهبت عن مكانها هاتفة :

- ما رأيك بجولة في الملعب شرط أن تتركني الحق بك هزيمة نكراء ..

أشار برأسه رافضا :

- لا رغبة لي باللعب بينما أنا مكتئب ..

مطت شفتيها قائلة بطفولية :

- هيا عمر لا تكن لئيما ، و إلا سأشارك المدرب في مباراة ثنائية ..

لمعت عيونه بالتحذير قائلا :

- افعليها حتى أدق عنقك ..

وضعت كفيها فوق خصرها و ضيقت عيونها هاتفة :

- لا تظنني خائفة الآن ، لن افعل لأني احبك و رغبت باللعب معك أنت أيها المتنمر ..

أشرق وجهه و نهض في الحال قائلا بمرح :

- هذه هي الطريقة المثلى للطلب ، هيا سُلافي سأجعلك تهزميني ثلاث جولات و ليس واحده ..

قفزت تصفق بجذل و هرعت أمامه حاملة مضربها و الكرة ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

استمعت نازلي لثرثرة زميلتها السخيفة دون أن تكلف نفسها عناء استيعاب كلمة ، غليانها الداخلي لم يهدأ بعد و طيلة الأيام الماضية تتحين الفرصة لرد اعتبارها ..

لو كان مراد ليس لها فلن يكون لتلك النكرة أبدا و لن تتركها تهنأ بخطيبها هي ..

جعدت جبينها و نحت ما يدور ببالها حاليا عندما أشارت لها الأخرى بالشهادة الطبية التي توضح مدة حملها الحديث ، كأنها تهتم من الأساس لكنها ارتدت ابتسامة تمثيلية تجاملها كما يقتضي الظرف ..

بادلتها الحديث ناظرة في الورقة بعدم اكتراث سرعان ما تبدل للنقيض فقد ومضت بعقلها فكرة لو نجحت ستحقق مأربها و تتخلص من تلك السارقة للأبد فتهللت أساريرها لقرب حصولها على انتقامها المنشود ..

تعبيرها السعيد جعل صديقتها تستفيض بالشرح حول إنجاب الطفل و فترة توقف عملها

كعارضة حتى تستعيد شكل جسدها المثالي ..
تحملتها لعدة دقائق إضافية بالكاد قبل أن تنهي اللقاء قائلة بنعومة أفعى تتباهى بجلدها البراق :
- حسنا حبيبتي تهاني للمرة الثانية ، علي الانصراف لان لدي موعد بشأن إعلان جديد ..
ثم ودعتها بسرعة قبل أن تنتبه لفقدان الشيء الذي أصبح يقبع داخل حقيبتها و اتجهت لهدفها مع نظرة ظفر و عقلها يرسم خطوتها التالية ..
دلفت لأحد مراكز الاتصالات القريبة و أجرت اتصال بهاتف المنزل الأرضي سائلة عن مراد فأجابتها إحدى الخادمات انه غير متواجد فانتقلت سريعا للسؤال عن والدته لتصلها الإجابة المنشودة ..
هنأت نفسها على حسن تقديرها فهذا هو الوقت الأنسب لعلمها أن السيدة تكون منشغلة في جمعيتها السخيفة و هي هناك وحدها ..
عادت لسيارتها منعطفة مع الطريق ليظهر المنزل الشامخ أمامها متحديا و قد قبلت ذلك معلنة عزمها على الخروج منه ظافرة ..
وجدتها في الجهة الشرقية من الحديقة تقف بين الأزهار التي تملأ تلك الناحية منكبه على ألوانها تترجمها لإحساس يتدفق أعلى قطعة القماش المزهوة بما صارت عليه ..
رفعت حاجبيها غيظا بينما تكبت رغبتها في تشويه وجهها البريء بأظافرها حتى لا تخدع به شخصا آخر ، لكن في كثير من الأحيان العكس هو ما يجلب النجاح و هذا ما ستبرع فيه الآن ..
أجلت حنجرتها تعلن عن وجودها و قد ارتدت قناع اللطف و الرقة بشكل يستحق جائزة أحسن ممثله ..
التفتت جيّدا تستقبل زائرها لتفاجأ بآخر شخص قد تتوقعه لكنها أومأت بتهذيب قائلة بانجليزية سليمة رغم قدرتها على الحديث بتركية متعثرة لكنها لن تغامر بذلك الآن :
- مرحبا نازلي للأسف الخالة زينب غير متواجدة و .....
قاطعتها قائلة بنبرة لينة :
- بل أردت رؤيتك أنت إذا سمحت لي بالطبع ..
تركت فرشاتها مقطبة بالتفكير حول ما قد يكون مشتركا بينهما عدا مراد و عندها لن تكون بهذا الهدوء ! أشارت نحو الطاولة المعدة للجلسات العائلية قائلة بحيرة جلية :

- بالتأكيد ، تفضلي ..
تقدمت أمامها بأناقة ثم احتلت المقعد المواجه
معيدة إحدى خصلات شعرها النافرة خلف أذنها
و تحدثت مباشرة :
- سأجيب استفسارك الصامت ، أنا هنا للاعتذار
منك جيّدا ، ربما لو لم يضعنا القدر في مواجهة
بعضنا لصرنا صديقتين ، لا أنكر أن غيرتي
دفعتني لتصرفات فظة ، لم يكن لدي حيلة
تعاملت بجنون بسبب حبي لمراد لكن ليس بعد
أن اختار هو ..
بهذه اللحظة أدركت أن عليّ التوقف فكبريائي
فوق قلبي و لن اقبل إذلاله مع رجل لا يقدرني
و يبادلني مشاعري ..
لمعت عيونها بالتأثر و نكست رأسها قائلة :
- نازلي ، أنـا .....
عادت لمقاطعتها :
- كلا ، فلا ذنب لك بالعكس أنا سعيدة و تكفيني
ذكرياتي معه ، اعرف كم يبدو محبا ، حنونا ،
يغرق امرأته بالشغف و يحيطها بالأمان حتى
تظن نفسها ملكة الدنيا ، لكن من قال إن السعادة
تدوم ، لابد للدائرة أن تعود لنقطة البداية بعد
اكتمالها و قد أخذت دورتي و حان دورك ، أتيت
الآن حتى لا يكون بيننا ضغائن و لتعلمي أني
أتمنى لكما التوفيق لهذا لم استطع السفر قبل
زيارتك ..
غمغمت الأخرى بخفوت مندهش :
- لماذا تغادرين ؟! ماذا عن عملك ؟
أشارت بكتفيها قائلة ببساطة :
- انوي الاستقرار في باريس ، و العمل سيتوقف
لفترة عاجلا أم آجل تبعا لوضعي الجديد ، على
الأقل حتى يقوى عود طفلي و اطمئن على
تركه مع المربية ..
اتسعت عيون الفتاة بذهول و عادت تسألها بتردد :
- طفلك ! هل أنت حامل ؟!
بادلتها الأخرى نظرة جذعه و لفها الارتباك
هامسة بتلعثم أجادته :
- ظننتك تعرفين ! لقد اخبرني انه سيفعل ! يا
الهي عليّ المغادرة في الحال ..
منعتها جيّدا من التحرك قائلة :
- ما هو الذي اعرفه ؟ و من الذي أخبرك ؟
أرجوك تحدثي هل تقصدين مراد ؟
التفتت نازلي قائلة بضراعة و دموعها تنهمر :

- انس الأمر ، لم يعد يفيد الآن ، ربما هو ينتظر الوقت المناسب فحسب ، المعذرة أنا لا أريد التسبب بخلاف بينكما ، لقد انتهى الحديث و يجب أن اذهب ..

لكن جيّدا وقفت أمامها قائلة بصرامة :

- لن ادعك تخطين خطوة واحدة قبل أن اعرف ما علاقة مراد بحملك ؟ هل يعرف والد الطفل ؟

تركت نفسها تسقط على المقعد مجهشة بالبكاء كأنها انهارت و لم يعد بإمكانها التماسك

- اجل يعرفه لأنه هو نفسه ، حسنا اعتبريني غبية لكني لم اشك في إمكانية زواجنا ، بالطبع تعرفين أن علاقتنا تخطت مرحلة الخطبة و قد رأيتني في منزلنا ، اقصد منزله ، لكن لم يعد لذلك أهمية طالما لا يريدنا ، لقد أخطأت عندما لم أدرك طبعه المحب للتغيير ، سأنتقل إلى باريس و هناك لن يبالي احدهم بكوني أم عزباء و سأكمل حياتي مع طفلي بسعادة ، إنها ليست نهاية الكون ..

غابت معالم الحياة عن وجه الفتاة و هاجرت نضارته بينما تغمغم بنبرة ميتة :

- مستحيل ، مراد لم يفعل ، هذا مستحيل ..

دافعت نازلي عن نفسها كما لو كانت أهينت بتشكيكها قائلة بألم :

- أنا لست كاذبة جيّدا و لا أريد شيئا منكما (أخرجت الشهادة الطبية التي تخفيها و تابعت بتأثر) هاك نتائج التحليل ..

و أشارت نحو سطر معين و تابعت :

- هذه مدة الحمل و كما تري لا يفترض أن تكوني خبيرة لتفهمي أن التحليل ايجابي ..

غامت عيونها بسحابة الدمع بينما الأخرى تعيد التقرير لحقيبتها قبل أن تنتبه الحمقاء للخانة التي تحمل اسم المريضة ..

هل يمكن أن تغادر الروح جسدها و مع ذلك يظل الشخص على قيد الحياة ! هذا ما كانت تشعر به ، مدة الحمل تشير بوضوح انه كان معها حديثا في الفترة التي تلت عثوره عليها و اعترافه بحبها ، كيف يعقل أن يخذلها بهذا الشكل ؟!

رددت بقلب ذبيح قائلة بخفوت :

- ليس عليك التضحية بمستقبل طفلك ، من حقه العيش بالقرب من والده ..

هبت الأخرى عن مكانها هاتفة :

- لا ، انه طفلي أنا ، مراد لا شأن له به و أنا لم اعد

أريده و لا مجال لعودتنا معا ، حظا سعيدا لك جيّدا لعلك تنجحي فيما فشلت به ، انسي لقاءنا هذا فلم اخطط ليسير في ذلك الاتجاه ، وداعا ..

لم تحاول منعها و ليس لديها قدرة على وقف نزيفها القلبي الذي ترك كل خلية فيها باردة خالية من الشعور ..

احتضنت نفسها في محاولة للسيطرة على ارتجاف جسدها دون فائدة و عيونها معلقة على تلك التي خرجت حاملة دليل إدانة مالك روحها و قاتلها داخل رحمها ، غافلة عن البريق المتوحش الذي احتل عيونها مع ابتسامة شرسة شوهت جمال وجهها الظاهري

بمجرد فتح باب السيارة أضاء هاتفها برقم صديقتها صاحبة الفضل في عثورها على وسيلة انتقامها من غريمتها المغفلة ، استمعت لسؤالها الملهوف عن تقريرها الطبي المفتقد فأجابت مدعية الدهشة :

- أوه لن تصدقي ، لقد وجدته معي ، لا بد انه سقط سهوا داخل حقيبتي ،

سأمرره عليك في الحال عزيزتي (و أضافت بنبرة أكثر انخفاضا) شكرا على توقيت حملك المثالي

سألت الأخرى بحيرة :

- عفوا لم أسمعك ، ماذا قلتِ ؟!

أجابتها قائلة بخبث :

- لا شيء ، كنت اكرر تهنئتي ، انتظريني أنا في الطريق ..

❖❖❖

وجدت نفسها داخل غرفته تلقي بكل شيء حتى أوراقه و كتبه صارخة بعنف و دمعاتها تهطل بغزارة :

- لماذا ؟ لماذا قمت بخداعي و أنا احبك ؟ كيف تجرأت على التخلي عن طفلك ؟ ماذا ستفعل بي عندما تمل مني إذن !

صدمتها كانت رهيبة خاصة بعد تأكيده لها أكثر من مره انه لا يقر تلك العلاقات الغير شرعية ! ما ذنب طفل لم يرى النور بعد ليحرم من أمان و دفء والده ؟!

ستجن لو ظلت حبيسة الجدران أكثر ، هرعت إلى غرفتها و خصلات شعرها ملتصقة بوجهها بفعل الدموع المتدفقة على وجنتيها باستمرار .. خطفت حقيبتها و غادرت راكضة ربما استقلت سيارة أجرة أو المترو لم تلاحظ المهم أنها أصبحت أمام منزل شاهين و نرفين تدق بابه بانفعال ..

اطل الشاب من خلفه ليفزع من مظهرها المشعث هاتفا :

- جيّدا !! ماذا حدث ؟ لما تبدين هكذا و أين مراد ؟!

أكملت بكائها العنيف و تمتمت كأنها استنفذت قدرتها على الصراخ لتخرج أحرفها مدموغة بالحزن و العبرات :

- أخرجني من هنا شاهين ، أريد العودة الآن على الفور ، أعدني لوطني و عائلتي رجاء ..

هتفت نرفين الآتية من خلفه بروع :

- جيجي ماذا بك حبيبتي ؟ هل آذاك احدهم ؟

ألقت نفسها بين ذراعيها كمن وجد ملاذه قائلة:

- أنا أموت نرفي ، قلبي تمزق و استنزف دمائه ..

نظرت لزوجها في محاولة للفهم لكنه أشار برأسه سلبا فشدت ذراعيها حولها قائلة :

- لا بأس عليك اهدئي نحن معك ..

اتبع شاهين قائلا :

- اصطحبيها لغرفة الضيوف لترتاح و تهدأ و سوف اتصل بمراد و ...

عندها انتفضت صارخة :

- كلا ، لا أريد رؤيته ، اقسم لو فعلت سأغادر و أتصرف وحدي ..

أشار بكفه قائلا بلهفة :
- حسـنا لن افعل ، اطمئني أنت آمنة هنا ، سأقوم بكل ما ترغبين به فقط توقفي عن البكاء حتى نفهم ما حدث ..
مسحت سيل الدموع عن وجهها بكفيها قائلة بحزم :
- لم يحدث شيء لكني أريد الرحيل اليوم ، الآن دون تأخير ..
ردت نرفين بينما تعيد خصلاتها الثائرة للوراء قائلة :
- علينا التحدث جيجي ، اخبريني بما حدث لأتمكن من مساعدتك ، ثقي بي ..
أومأ زوجها يوافقها مضيفا :
- هناك العديد من الترتيبات عليّ القيام بها لتأمين عودتك لكن قبلها يجب أن اعرف ما فعله مراد ليجعلك غاضبة بهذه الصورة !
لمعت عيونها بتعبير غامض :
- لي أنا لم يفعل شيء لكن عليه تحمل تبعات أفعاله مع الآخرين ، لقد انتهى دوري هنا رسميا لهذا أتمسك بالمغادرة لعلي استطيع إيجاد حياتي الضائعة ، معي أوراقي و كل ما احتاج إليه ..

ازدردت نرفين لعابها بخوف مما يدور و رددت بارتباك :
- على الأقل انتظري حتى اذهب للمنزل و اعد حقيبتك و بقية أغراضك ..
رفعت رأسها قائلة بكبرياء :
- لا داعي لذلك ، لم اعد اكترث ..
عندها ردد شاهين بحزم :

- جيّدا ، طالما وثقت بي ستحترمين كلمتي ، لك الأمان في منزلي و لن يزعجك احدهم ، سأنفذ طلبك مع تعديل بسيط ، سترافقك نرى في برحلة العودة و تبقى مع والدتي على أن الحق بكما في اقرب وقت ..

قالها ناظرا لزوجته التي ومضت عيونها بالفهم و أومأت برضا ثم اصطحبتها إلى الدور العلوي لتنعش نفسها آملة أن تفضي إليها بما جعلها على هذه الصورة التي تراها لأول مره منذ عرفتها ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

هربت خفقة من قلب مراد عندما قابله مخلفات الإعصار الذي ضرب غرفته بينما لم يجدها في أي مكان بالمنزل كما لا تجيب هاتفها ..

هجره عقله لمجرد تصور أن مكروها قد أصابها ، اخذ يجري اتصالاته دون جدوى و يسأل العاملين عن أي معلومة تقوده لحقيقة ما يحدث ..

تقدمت منه ابنة مدبرة المنزل على استحياء ، فتاة شابة لا تتعدى السابعة عشرة من عمرها نشأت في المنزل كأحد أفراده ، شجعها على قول ما لديها بلطف لأنها كانت دائما تهابه و تتنحى عن طريقه :

- حسنا دلجين ، هل لديك أي فكرة عن مكان زوجتي ؟

فركت كفيها و تحدثت بتلعثم قائلة :

- ليس تماما لكني رأيتها في الحديقة ، بالأصح كنت أراقب رسمها كما أحب أن افعل و هي لا تمانع ثم حضرت السيدة نازلي و جلست معها هناك ، لا اعرف ما قالته لكن الآنسة بدت منزعجة و دلفت إلى المنزل باكية بعد انصرافها ثم ما لبثت أن غادرت مسرعة ..

سألها باهتمام :

- خرجت وحدها ؟

أومأت بالإيجاب فشكرها بشرود و قد استكان قلبه بعض الشيء ، على الأقل الخطر الذي خشي عليها منه بعيد عنها ..

أجرى اتصال ضروري بشقيقته التي أخبرته أنها عندها لكن غاضبة بشكل غريب و لا تريد رؤيته ، عندها فهم و أراد الصراخ غيضا معتصرا الهاتف بقبضة غاضبة متمنيا لو كان عنق نازلي مكانه عليه أن يحدثها على الفور ، حمل سترته و هرع لمنزل شاهين الذي استقبله بالود المعتاد بينهما فسأله قائلا بلهفة :

- أين هي ؟
أشار بعينيه قائلا :
- بالدور العلوي و معها نريفي ..
تحرك بنفس الاتجاه لكن صديقه اعترضه قائلا:
- تمهل مراد ، الاندفاع لن يفيد لأنها تبدو مجروحة و حزينة ، لقد وصلت في حالة يرثى لها ، باكية و شبه منهارة ..
حاول إزاحته عن طريقه هاتفا بنفاذ صبر :
- اتركني شاهين عليّ رؤيتها في الحال ، يجب أن اعرف ما أخبرتها به الحقيرة نازلي لتكون بهذه الصورة التي تصفها !
أصر على موقفه قائلا بصرامة :
- كلا ، لقد وعدتها بتأمين حمايتها و راحتها و هي لا ترغب في رؤيتك الآن ، امنحها فرصة لتهدأ ..
شكل الغضب ملامحه ليهدر قائلا :
-لن تجرؤ على منعي ، إنها زوجتي ..
كتف الآخر ذراعيه أمام صدره مرددا بنفس النبرة الحازمة :
- و هي في منزلي و تحت حمايتي و طالما لا ترغب برؤيتك فلن تصعد (ثم وضع يده على كتفه مرددا بنبرة ألطف) إنها مصرة على السفر و سأنفذ لها رغبتها مراد ..
عقد حاجبيه هاتفا بغضب شرس :
- ماذا ؟ أنا ما زلت زوجها بالمناسبة ، لعلك نسيت!
دوى صوتها من أعلى الدرج هاتفة بثورة :
- لن يطول ذلك لحسن الخط ، عليك إنهاء هذا الوضع بأقرب وقت ..
اتجه زوجين من العيون إليها بينما تابعت برأس شامخ :
- أريد استرجاع هويتي ، منذ الآن لم يعد هناك ما يربطنا ، لقد انتهينا ..
اجتاز المسافة الفاصلة بخطوة عاصفة رافضا وجود أي حواجز بينهما ، وضع يديه أعلى كتفيها قائلا بثورة غضب تتأجج :
- لا تتحدثي بهذه الطريقة و تعقلي ..
لاذت نرفين بجانب زوجها تستمد منه أمانا صامتا بينما الأخرى نفضت كفيه عنها هاتفة :
- لا تلمسني كما لا أريد الحديث معك و لم أكن أنوى لقاءك لكني لم أتعود الهرب و ترك أمورا عالقة خلفي ، هل تتمتع بلعب دور الوغد المحاط بالزوجة و العشيقة في نفس الوقت !!

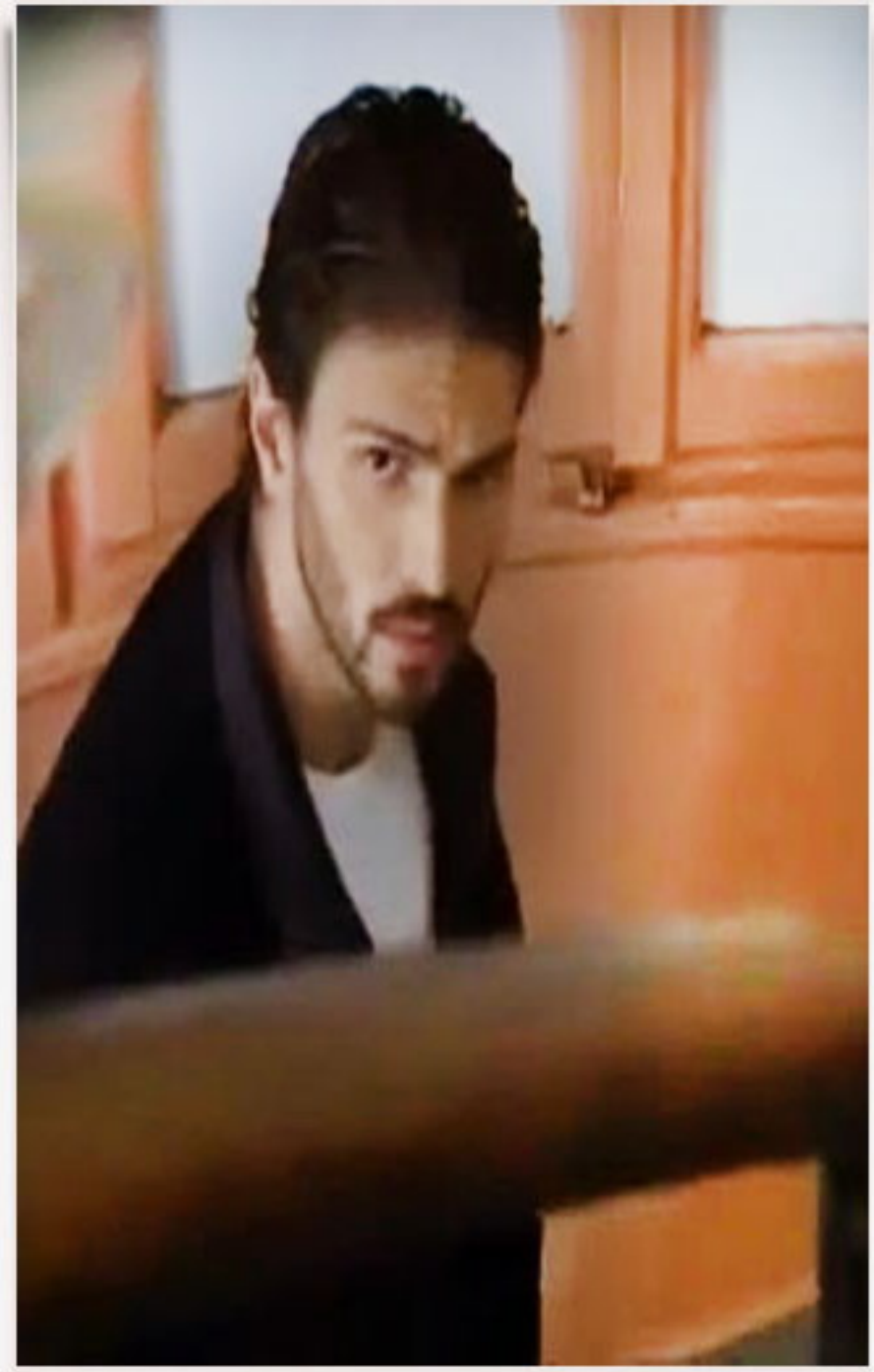

حدجها بنظرة قوية أرعدت قلبها الخائن قبل أن يردد بهدوء مفتعل :

- ألا ترين انه علينا الجلوس و إجراء حوارا مفصل كالبشر الطبيعيين !

أشاحت وجهها عنه قائلة :

- لا يوجد ما يقال ، عليك القيام بواجباتك و تحمل نتائج أفعالك ، حتى لو كنت لا استسيغ طريقة حدوثها لكنها تظل واقع يفرض نفسه ، سوف أعود إلى عائلتي و انتظر خبر إتمام الطلاق يصلني من نريفي ..

استدارت عائدة من حيث أتت لكنه أعادها لمواجهته مرددا بعنف :

- لن يحدث جيّدا ..

صرخت هاتفة بحدة :

- لكني لن احمل صفة زوجتك دقيقة إضافية ..

اعتصر عضدها قائلا بقسوة :

- اقتليني إذن لتتخلصي مني و تحملي صفة أرملتي لأني طالما حييت لن تكوني غير زوجتي ، ضعي ذلك في ذهنك و تعاملي معه على انه حقيقة لا تقبل المساس بها ..

ثم تركها و اندفع للخارج يتبعه شاهين خوفا

عليه فهو يعرف كيف يكون في عصبيته ، لحق به قبل أن يحرك سيارته و انضم إليه داخلها قائلا بادراك :

- هذا ما خشيت منه و كليكما منفعل ..

ضرب الآخر قبضته في المقود قائلا بثورة :

- تبا ، لم أرد حدوث ذلك لكنها رفضت مجرد سماعي ، واضح أنها مقتنعة بوجود علاقة بيني و نازلي ..

رد رفيقه بتفهم :

- استمع لنصيحتي و اتركها تسافر الآن ، وجودها بين عائلتها سيفيدها ثم الحق بها عندها سوف تستمع ، كانت ستفعل على كل حال ..

رد الآخر قائلا بإحباط :

- اجل لكن بصحبتي ..

التفت إليها مرددا بهدوء :

- و الآن سترافقها نرفين ..

سأله بلهفة :

- حقا ؟!

ابتسم يطمئنه :

- بالطبع ، ماذا ظننت يا رجل سأترك زوجتك بفردها ! ثق بي ، من الجيد أن أمي هناك يبدو أنها ستكون رحلة جماعية ، على الأقل أحظى بشهر عسل حقيقي هذه المرة دون مقاطعات لا تحصى ..

ابتسم مراد رغما عنه قائلا بامتنان عميق :

- شكرا يا صديقي ، حسنا تصرف كما ترى بينما أتفرغ لما أتحرق إليه ..

أشار شاهين بكفه قائلا بادراك :

- تعقل مراد ، إنها مجرد حمقاء غيورة لا يفترض أن تنزل بمستواك لمثل هذه التصرفات الصبيانية كما إنها تخضع للمراقبة فلا تزد الأمر تعقيدا ..

رفع حاجبه قائلا برفض :

- اتركها تهنأ بفعلتها إذن ! يكفي أني اكبح رغبتي بحرقها حية ..

ربت على كتفه قائلا بعقلانيه :

- الأمر وقع و انتهى ، هذا لن يحسن الوضع بل يزيده سوءا ، لا تمنحها انتصارا برؤية غضبك ، اتركها تنبح حتى تمل و ركز على استرداد ثقة زوجتك ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

وقت لا يذكر و كانتا جالستين داخل صالة

السفر واحدة ساهمة يكتنفها الأسى ، تقيم عزاء صامت لدفنها قلبها شاعرة بوجود فجوة خالية مكانه داخل صدرها ..

و الأخرى تتلقى تعليمات زوجها باهتمام مستفسرة عن كل ما يدور ببالها ، و عندما تعالى النداء عن رحلتهم تعلقت بعنقه آخذه منه وعدا بسرعة اللحاق بهما ...

داخل الطائرة وضعت رأسها على مسند المقعد مطبقة الجفنين غير راغبة بالتواصل ، لكن تفكر في وسيلة لإبعاده ، نهرها قلبها كونه لا يريد إيلامه بل يتمنى له السعادة حتى و إن قتلها ذلك ، حبها يجعلها تفضل صالحه ، حسنا ستفكر بأفراد عائلتها الذين ستراهم أخيرا ..

ستحاول تخطي تلك الفترة من حياتها و تعود جيّدا الخالية البال و القلب ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

استمتعت سُلاف بسهرتها العائلية مع والديها و عمر الجالس مقابلها ينعم بدلال خالته و وجود بهجة قلبه أمامه التي لا تمرر كلمة بسلام دون مشاغبة ..

ارتفع رنين الجرس فنهضت هاتفة قبل أن تركض إليه :

- ليتها تكون مانو فقد أصبح بإمكانها الخروج من المنزل بشكل أكثر سلاسة بعد لقاء عمي بسندريلاه ..

توعدها والدها الضاحك بالعقاب بينما دوي صوتها الصارخ بسعادة جعلهم يقفزون عن أماكنهم حيث هتفت بمرح صاخب :

- جيـجي ! أنت هنا حقـا ؟

لم تمنحها ذراعيها التي خطفتها فرصة للنطق ثم ترحيب و عناق تائق من والديها أنقذها من سيل استفسارات فيفي التي استمرت بالتقافز دون تصديق أن شقيقتها عادت أخيرا ..

أخبرتهم إنها تبدو ذابلة لكونها لم تنم جراء استعدادها للسفر الذي أرادت مفاجأتهم به ..

هي لم تفسر أكثر و هم اكتفوا بوجودها ، حياها عمر بأخوية بشوشة في حين لم تتوقف سُلاف عن الحديث خاصة عند معرفتها بوصول نرفين معها :

- يا لها من أخبار رائعة ، لكن كيف تركت زوجها و شهر العسل لم يكد أن ينتهي ؟!

أشارت بكتفيها قائلة ببساطة :

- شاهين سيلحق بها ، على كل حال هما لم يسافرا بعد الزفاف و كانت فرصة للتعويض ..
عانقتها والدتها مجددا بينما سأل رضوان عن عملها هناك و كيف أبلت في المعرض المفترض إقامته ؟
أجابت قائلة بصدق :
- لقد أحبوا لوحاتي ، و مالك احد الجاليريهات الكبرى أراد المزيد منها ..
علقت والدتها قائلة بفخر :
- بالطبع سوف يفعلون ، ابنتي الحلوة قادرة على سلب القلوب و العقول أينما حلت ..
انسحب والدها عندما تلقى اتصال عمل ضروري بينما زهرة أصرت على إعداد حلواها المفضلة أما سُلاف فقفزت من مكانها بصخبها المعتاد هاتفة :
- سأتصل بمانو و اخبرها عن مفاجأة وصولك ..
لم يتبق معها غير عمر الذي اخرج هاتفه بدوره قائلا :
- و أنما سأعلم أمي و إلا لن تسامحني ..
تلقت تحية خالتها بابتسامة دافئة ثم وعدتها أن زيارتها أول شيء ستفعله في الصباح و أعادت إليه الهاتف بعيون تحمل حديثا مبهم ، ترددت لوهلة قبل الإفصاح عنه لكنها خشيت التراجع فاندفعت قائلة بتهور :
- عمر ، اذكر انك طلبت خطبتي قبل سفري ، حسنا لقد فكرت و قررت الموافقة ..
ارتفع حاجبيه بعدم تصديق عاجزا عن التفوه بحرف بينما شحبت الأخرى و غارت من وجهها الدماء ، تسمرت في مكانها على أعتاب الردهة بعد أن كانت تركض لإيصال الهاتف لشقيقتها نظرا لإصرار أماني على الترحيب بها بنفسها ..
رفعت كفها تكتم شهقة الم ناضلت لتعبر شفتيها المرتجفتين بآهة صامتة و قد تجمد المشهد عند ثلاثتهم و لم يعد يسمع غير زفرات الزمن ...

نهاية الفصل

دمعات القمر

القطرة
الرابعة و العشرون

- حسنا اقبض كفك .. ابسطه ، هذا جيد لقد تحسنت أعصاب الذراع بشكل كبير ..

قالها الطبيب بينما يواصل فحص المريض فوق فراشه الوثير الذي يحتل الجانب المقابل للنافذة داخل جناح فخم بذلك المشفى الاستثماري المختص بعلاج علية القوم من الأثرياء القادرين على تحمل نفقاته الباهظة ..

وضع ملاحظاته على التقرير اليومي و ختم بقوله الباسم :

- هكذا لم يعد باقي سوى العملية الأخيرة الخاصة بالوجه و يكون كل شيء على ما يرام ..

رد الآخر بنبرات موجزة :

- لن أقوم بها هنا ..

قطب الطبيب سائلا بحيرة :

- المعذرة لم افهم ، أليس مقررا لك تاريخها منذ بعض الوقت ؟

أومأ بجمود متابعا بحزم :

- اجل لكني سوف أجريها في الخارج ..

مط الرجل شفتيه بعدم اقتناع لكنه لا يملك منعه فردد بآلية :

- حسنا كما ترى ، سأراسل الأطباء المختصين و أخبرك بالنتيجة ..

أشار المريض إلى ظرفا ورقي يجاوره قائلا :

- بل سوف تتصل بهذا الطبيب ، هو من سيقوم بها ، حدد موعد مع المشفى الذي يعمل به حتى يستعدوا لاستقبالي ..

ألقى نظرة على الاسم و العنوان المدونين فوق البطاقة البيضاء ثم ضيق عينيه بعدم استيعاب قائلا بدهشة :

- لكن ، لا افهم ! جرت العادة أن يتم اختيار إحدى دول أوربا في الحالات المماثلة بينما أنت تختار إتمام علاجك بدولة عربية !!

أجابه المريض قائلا بصرامة :

- نفذ ما آمرك به ، انه شأني الخاص ، خالد وجدي هو من سيجري الجراحة التجميلية نقطة و انتهى السطر .

أجفل الطبيب للهجته الجافة و تراجع صاغرا ليبدأ تنفيذ مطلبه بينما غامت العيون الناضحة بالكره سابحا في نهر الذكرى الذي تهادى ببطء ليرى نفسه حين وصل هذا المكان بوجه و صدر محترق و ذراع كاد يفقده لتضرر أعصابه بشكل خطر ..

لقد أحسن رجاله عملهم و فعلوا ما يلزم بالوقت المناسب ، و هذه فائدة الخطط البديلة ..

مالت شفتيه بابتسامة ذئب مرددا بحقد اكتسح نفسه :

- يظن انه تخلص مني غافلا أن الشياطين موطنها الجحيم ، سيدفع الثمن و ما هو لي يظل ملكي لكن هذه المرة سنلعب بأوراق مكشوفة و سيرى لمن تكون الغلبة هناك ..

بالنهاية لقد أفاده عميل المنظمة الأحمق بشكل لم يتوقعه عندما وضع الجثة داخل صندوق سيارته ، فعثورهم على جثته متفحمة في مكان الحادث تسبب بإغلاق ملفه للأبد و الآن يستطيع استئناف نشاطه بحرية دون ملاحقه خاصة مع انتشار عيونه بكل مكان يمدونه بآخر التطورات أولا بأول ..

- انتظريني أميرتي الهاربة فانا قادم في الطريق .. قالها بنبرة عازمة قبل أن يطبق جفنيه منتشيا بقوته ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ذرع مراد ارض مكتبه بجنون فعلي في حين وقف شاهين أمامه هاتفا :

- اهدأ بالله عليك ، من أخبرك إننا نريد حفر الأرض ! الم نتفق أن تترك لها المجال و نرى تمدك بأخبارها عدة مرات في اليوم !

قاطعه بإشارة نافذة الصبر :

- لن انتظر أكثر ، لقد مر أسبوع كامل منذ رحيلها و زوجتك الحمقاء تردد بكل بساطة إنها تصاحب ابن خالتها في كل مكان ، سأقتلها ما أن تقع عيني عليها أولا بعدها قد أتفاهم ..

كتم شاهين ضحكاته بصعوبة فهو يفهم ما تحاول فعله لكن هذا الثور الهائج يغلق عقله عن أي محاولة استيعاب أو التفكير بمنطقية فرد يمازحه :

- أولا لا اسمح لك بسب زوجتي الغائبة عني طيلة هذه المدة بسببك و مع ذلك لا اسمع سوى التذمر و صوتك المرتفع يسبب لي صمما مزمنا ، ثانيا لم يحدث شيئا يستدعي الثورة و ....

عاد يقاطعه هاتفا بحنق :

- حسنا سأترك لك التعقل لان موعد رحلتي بعد ساعتين ، من هذه اللحظة سأتصرف على طريقتي و لن أعود بدون تلك المغفلة ..

دارت عيونه بالفراغ فلا فائدة من الحديث معه ثم تركه و ذهب لمتابعة الأعمال العالقة قبل أن يترك الزمام لصالح الذي يدير الأمور في غياب كليهما ..

أما مراد فاتجه للقاء السيد ارسلان و منه للمطار مباشرة فقد ودع والديه بوقت لاحق على أن يتصل بهما فور حل خلافه مع زوجته ليلحقا به و يتعرفا بعائلتها كما يفترض أن يحدث ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

اندفعت سُلاف بحيويتها المتدفقة هاتفة :

- جيجي ، لم تنتهي بعد ! هيا سوف نتأخر و الخالة ناريمان بانتظارنا و مانو هناك أيضا ..

أغلقت خزانة ثيابها قائلة :

- ها قد انتهيت لكن سنمر في طريقنا لشراء بعض الأغراض التي طلبتها الخالة قدرية

دفعتها أمامها بشقاوة صاخبة :

- حسنا حسنا سنفعل ، المهم أن تسرعي يا الهي تشبهين السلحفاة العجوز يا فتاة !

ابتسمت بتلقائية على مرح شقيقتها الذي لا ينضب و يشكل موجة مغناطيسية جاذبة للجميع ، عندها قفزت لعقلها صورة مناقضة لما تراه الآن ، عادت لتلك الليلة عندما أبصرت الحياة تغادر عينيها الجميلتين عقب عبارتها الغبية الموجهة لعمر .....

لم تكن تقصد لكن ارتباكها هو ما سبب تلك الفوضى الرهيبة ، نظرة واحدة للوجهين اللذان عكسا صدمة بليغة و شهقت بادراك متأخر

ثم هبت واقفة تردد بلهفة :

- لا لا ، ليس كما فهمتما رجاء

و ركضت لشقيقتها تدير رأسها إليها هاتفة بوجل :

- انظري إليّ ، أنا لا أحب عمر و لم أرد الارتباط به أبدا ، لقد كانت محاولة خرقاء لحل أمر آخر أكثر تعقيدا ، لكن يبدو إنني لا افعل سوى ذلك مؤخرا ..

رفعت الأخرى عينان غائمتان بسحابة دمع توشك على الهطول قائلة ببسالة :

- أنا بخير جيجي ، لا تظني أن قولك صدمني إنها فقط المفاجأة لكني ...

أدركت أن عليها الإفصاح أكثر حتى لا يسوء الفهم و تحدث خسائر لا قبل لثلاثتهم بمواجهتها فقاطعتها قائلة بشكل مباشرة :

- أنا أحب شابا آخر ، هذه هي الحقيقة التي لم أكن انوي البوح بها لكن الوضع الحالي يحتم عليّ إخباركما لتفهما سبب قولي الكارثي ،

آسفة عمر لقد خانني التعبير لكني أردت طلب مساعدتك كأخي كالمعتاد ..
قطب حاجبيه بعدم فهم كلي بينما قالت سُلاف التي لم يغادرها الذهول بعد و قد اعتذرت من أماني بكلمات موجزة :
- أوضحي أكثر جيجي ، كيف يعقل أن تكوني مغرمة و تلجئين لآخر بهذه الطريقة ؟!
وضعت كفيها فوق رأسها تود ضرب نفسها ، لا مفر الآن من الشرح و إلا ستؤلم أغلى قلبين لديها فرددت باستسلام :
- امممم لا ادري كيف سيكون وقع ما لدي عليكما ، لما لا نذهب للشرفة فلن أغامر أن يسمع والداي شيء من ذلك ..
سبقتهم إليها تستجمع أفكارها و شجاعتها و هما في أعقابها حينها مال عمر على سُلاف يحاول الاطمئنان عليها فما كان منها إلا أن رفعت قدمها و هوت بها فوق خاصته مزمجرة من بين أسنانها بخفوت :
- طلبت خطبتها إذن ! سوف أقتلك لاحقا ..
و حثت الخطى خلف شقيقتها تاركة إياه يتأوه رافعا قدمه بألم ....

انتهت من سرد كل ما حدث معها وسط صمت و دهشة مطبقين حتى استعادت سُلاف قدرتها على النطق فرددت بانبهار و أعين متسعة بشكل مبالغ فيه :
- يا الهي ، هذا يعني انك متزوجة الآن جيجي ؟
أومأت صامتة ليرد عمر قائلا و قد أعاد سيطرته على الموقف :
- لكنك تسرعت في الحكم عليه ، وصفك له يناقض تلك الحادثة ، كان عليك الاستماع أولا رغم كل شيء ..
انتفضت واقفة قائلة بحدة :
- أنت رجل مثله لهذا تقف بصفه ..
حاول الاعتراض لكن سُلاف أشارت إليه بالصمت قائلة :
- لا داعي للحديث الآن ، ألا ترى أنها منزعجة و غاضبة ! اجل تعصبك الذكوري لما بعد ..
زفر بنفاذ صبر من كلتيهما قائلا :
- سأريحك و أغادر إلى منزلي (ثم استدار إلى الأخرى و تابع) سنكمل الحديث غدا جيجي ، تأكدي أن لديك أخ سيفعل أي شيء لأجلك فاطمئني و لا تفكري ، أنا هنا ..

أومأت له بابتسامة ممتنة بينما صاحبته سُلاف للباب فأوصاها قبل انصرافه قائلا :

- لا تؤججي غضبها عليه ، تذكري هي زوجته رسميا و من الواضح أنهما متحابان ، كما إننا لم نسمع من الطرف الثاني بعد ..

منحته ابتسامة صفراء قائلة باستهجان :

- حسنا يا سيد العقلاء ، لكني لم انس ما علمته و لا تظن ستفلت بفعلتك .....

عادت إلى الواقع مع وصولها لمنزل ناريمان الذي ضج بالمرح مع جمعة الفتيات و قد انضمت لهن ندى و طفليها اللذان حولا المكان لحلبة سيرك تموج بالنشاط و الحركة ..

تنحت نرفين بجيّدا جانبا قائلة :

- جيجي ، ماما تريد محادثتك و هاتفك غير متاح ..

التفتت باحثة عنه دون جدوى فهي لم تره منذ مدة :

- لا اعرف أين وضعته ، أعطني هاتفك حتى أجده ..

انتهت من محادثة السيدة التي دأبت على الاتصال بها منذ غادرت و مع ذلك لم تحاول سؤالها عن سبب الرحيل ، ليس ذلك فقط بل طلبت محادثة والدتها التي رحبت بها كوالده لنرفين صديقة فتاتيها التي باتت مفضلة ..

ذهبت لرد الهاتف إلى صاحبته فوجدتها تقف في منتصف الردهة غارقة بالضحك و عندما سألتها أشارت بيدها قائلة :

- لقد عثرت على هاتفك الضائع ، ربما تودين إلقاء النظرة الأخيرة عليه ..

التفتت حيث تشير لتجد لانا منشغلة باكتشاف مدى قدراته في البقاء حيا تحت الماء بينما تواصل جاهدة دفعه للغوص داخل دورق العصير بسعادة فائقة !

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

تأملت ناريمان محيطها شاعرة بالفخر و السعادة ، لقد تحولت الإجازة لما يشبه فترة استجمام عائلية و الجميع حولها يمدها بدفق من الحياة ، جلست مستمتعة بالصخب الدائر كأنهن بناتها اللاتي تمنت إنجابهن مع أحفادها ، كل واحدة تباري الأخرى بصنع شيئا تجيده ، صنف من الحلوى ، معجنات أو حتى العصير ، و ندى تركض خلف طفلتها في محاولة يائسة

لمنعها من ارتكاب كارثة جديدة بينما عاصم يرتدي ثوب الرجولة المبكرة في حين تلمع عيناه بخطته القادمة ..

تعجبها هذه الروح التي تلف الأفراد و تقربهم من بعضهم برباط إنساني خالص دون أي أغراض خفية ..

ضحكت من قلبها على تصرفات تلك الشقية المحببة للقلب سُلاف التي جعلتها تتمنى لو كان لديها ولدا آخر لما تنازلت عنها كُنه ، نوادرها مع قدريه لا تنتهي خاصة حين تمازحها و تحاول تعليمها اللغة العربية عندها تضربها السيدة حنقا من مشاغباتها الطفولية لتعلن التوبة ثم سرعان ما تبدأ من جديد ..

و تلك الحسناء الرقيقة أماني و قد أطلعتها على سرها الذي يعرفه الجميع عدا والدها المحيرّ ، حتى أنها عرضت عليها محادثته في الأمر لكن الفتاة رفضت خوفا على مشاعره ..

لم يعلم سواها و نرفين عن وصول مراد الوشيك فقد خشيتا أن تعاند جيّدا و تصر على المغادرة آملين أن لقائهما المباشر قادر على إزالة الاحتقان بينهما ..

أشارت للفتاة التي اقتربت مع بسمتها الفاتنة قائلة :

- نعم خالتي ..

سألت باهتمام :

- لما لم تحضر والدتك جيجي ؟ ظننتها ستصل بصحبة أحلام !

أومأت شارحة :

- إنها تعتذر لارتباطها بموعد مع خالتي ، فهما ذاهبتان لعيادة إحدى قريباتنا بأحد المشافي ..

ردت قائلة بتفهم :

- لا بأس عليها ، حسنا لما لا تدعين عمر لتناول الغداء معنا حتى تفرح صغيرتنا الشقية ، اجل و ادهم كذلك لا تنسينه ..

ضحكت جيّدا قائلة بعبث :

- ما شاء الله خالتي لقد صرت خبيرة في العائلة ، اممم ماذا عن العم طاهر ! أليس مسكين وحيد لن يجد من يطعمه ؟

ضيقت عيونها الجميلة قائلة بحنق :

- تشبهين أختك الآن و سأضربك لو لم تكفي عن تلميحاتك الماكرة ..

أشارت بكفها مازحة :

- حسـنا لا داعي ، عموما لن يضيره بعض الصيام ، لندعه يشتاق للسندريلا حتى يتعلم البوح ..

احتقن وجهها و شهقت بغضبها التركي الفكاهي بينما تهم بضربها هاتفة باستنكار :

- بنـــت ..!!

لكن الأخرى كانت أسرع بالركض هربا ....

قامت السيدات برص أصناف الطعام على طاولة المطبخ ليخدم الجميع نفسه و يملأ صحنه بما يحب ثم يأخذه للخارج فلا توجد مائدة تستوعب هذا العدد بينما عاصم و لانا سبقا بتناول الطعام و الآن يحظيان بقيلولة مريحة بغرفة ناريمان لتجديد نشاطهما قبل وصلة الشقاوة التالية ..

أعدت أماني طبق ادهم و جاورته على الشرفة الدافئة بينما سُلاف تبرعت بإيصال صحن عمر بوجنتين محتقنتين لكم التعليقات المازحة التي تبادلتها ندى و جيّدا عليها لكنها توعدتهم برد لائق فيما بعد ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

التقى مراد بزميلهم في السفارة فور مغادرته صالة الوصول حيث أقله إلى الفندق الذي قام بالحجز فيه ليضع أمتعته ثم مباشرة إلى منزل الخالة ناريمان ، كانت نرفين تعلم بكل خطواته و على أهبة الاستعداد لاستقباله معتصمة بالكتمان ..

شعرت جيّدا بتغير ذبذبات الهواء و اختلال في معدل النبضات صاحبه توتر و ترقب ملحوظ ، نهرت نفسها : اهدئي يا حمقاء ، ما تتوقين إليه لن يحدث ..

لقد اتخذت قرارها باقتناع ، مستحيل أن تبني حياتها على أنقاض حياة بريئة لم يكن لها دور في وجودها ، لا تنكر أنها تتمنى سماع صوته أو رؤيته حتى انه بات ساكنا أحلامها على الدوام لكن لا بأس ، عليها التحمل و تدعو الله أن يقويها و يمنحها القدرة على الثبات ..

التفتت الأنظار مع هتاف نرفين السعيد بينما تلقي نفسها بين ذراعي هذا الوافد المتسربل برداء الثقة و الإصرار :

- مـراد ، أخي ، حمد لله على سلامتك حبيبي ، أخيرا وصلت ..

ضمها برفق متمتما بعبارات الود في حين كان يمسح المكان بعدساته البصرية بلهفة يتوق

لرؤيتها و لو من بعيد ، لقد برّح به الشوق و صار جمرة متقدة داخله لا يطفئها سوى عيناها بنظراتهم البريئة التي تعصف بكيانه ..
ركضت نظراتها إليه رغم محاولات سجنها داخل اسر الجفون بلا فائدة ، كان عليها أن تخمن ذلك مع اتصالات نرفين الكثيرة منذ الصباح ..
جرى التعارف بشكل سريع و تلقى ترحاب ناريمان و قدرية بحفاوة ثم اتجه إليها بنفاذ صبر راغبا بزرعها خلف حجرات قلبه و الإغلاق عليها بألف قفل ..
تحرك عمر بتلك اللحظة متخذا جانبها يبثها دعمه الذي تقبلته بامتنان مما جرحه بعمق ، الآن صارت تلجا لغيره طلبا للحماية ! و ممن ؟ منه هو ، مصدر أمانها ! كانت الطعنة نجلاء لكبريائه الرجولي الفخور فشد قامته و اتجه إليهم بثبات ..
مال عمر هامسا لها بنبرات مرحة :
- تبا جيجي ، الم تجدي أطول من هذا العملاق؟
و غاضب أيضا ! اقرئي الفاتحة على روحي منذ الآن عزيزتي ..

لو كانت محاولة عمر لدعمها أغضبته فقد تحول لكتلة ملتهبة هاربة من بركان ثائر بعد همسه لها بهذه الأريحية أمام عينيه ..
بادر الآخر بمد كفه قائلا بنبرة محايدة :
- مرحبا ، أنا عمر ابن خالة جيّدا ..
تقبل بادرة السلام و صافحه ضاغطا على كفه عامدا فأدرك الشاب ما يكبته داخله بينما ردد :
- و أنا مراد شقيق نرفين و ....
عندما توقف ظهرت ابتسامة عمر قائلا :
- اعلم من تكون ..
قطب مراد حاجبيه باستفهام فأومأ برأسه ليؤكد ظنه متابعا :
- هلا تحدثنا لبعض الوقت بمفردنا ..
حاول مراد الاعتراض طالبا لقاء تلك المرتبكة المتوارية خلفه أولا لكن عمر أصر قائلا :
- علينا إجراء هذه المحادثة فسيترتب عليها الكثير من الأمور ..
أومأ باستسلام لمنطقه منحيا رغبته في سحبها و إخفائها خلفه هو ضاغطا على فكه غيظا من اقتراب هذا العُمر منها ..

اصطحبتهما ناريمان لإحدى الغرف ليبدآن حديثا رجولي شابه التعقل من الطرفين ، بهذه الأثناء اطلعت سُلاف ابنة عمهما على حقيقة ما يحدث باختصار عندها شهقت أماني هاتفة بذهول :

- ما قصة الزواج في عائلتنا ؟ لما يشوبه كل ذلك التعقيد ؟!

ضحكت الصغرى قائلة بغمزة ماكرة :

- لا تقلقي ، انوي إعادة الأمور لنصابها الصحيح و لكن عندما اكتفي من عقاب عمر ..

بنفس الوقت انشغلت ندى في الاتصال بزوجها قائلة :

- اجل حبيبي نقضي وقتا ممتعا جدا و لن تصدق كم الحوادث التي سببها طفليك الوديعين ، لكن متى ستصل ؟ ادهم هنا و الجميع ..

وصلها صوته المحبب يقول بنبراته المشبعة بالثقة

- آسف قطرتي لقد طرأ أمرا ضروري ، حالة مريض وصل من الخارج و الغريب انه يطلبني بالاسم فكان لزاما عليّ استقباله و فحصه ..

ردت قائلة بفخر :

- بالطبع فزوجي طبيب ماهر و أجمل ما في

الأمر أن المريض رجل (ثم استدركت بجدية) هل حالته خطرة ؟

أجاب قائلا ببساطة :

- كانت كذلك لكنه أجرى أكثر من جراحه قبل وصوله و يبدو أفضل الآن ، يلزمه المرحلة الأخيرة ليتخلص من آثار التشوه الذي سببه الحريق تماما ..

تمتمت بالدعاء و تابعت :

- حسنا خالد لن أعطلك و إذا لم تتمكن من المجيء لا تقلق سيقلنا ادهم للمنزل ، اعتني بنفسك حبيبي ..

❖❖❖

خرج عمر من الغرفة بملامح هادئة تحمل الراحة مشيرا لجيّدا أن تتقدم ففعلت بساقين رخوتين و عيون مستفسرة لكنه لم يقل شيء أكثر من :

- ادخلي الغرفة و استمعي إليه ..

حاولت الاعتراض و التراجع لكنه قبض على معصمها و تابع بحزم يجيده عند اللزوم :

- سمعتِ ما قلته ، لقد حان الوقت لتتصرفي كما يفعل العقلاء و اطمئني كلنا حولك و سوف أتدخل عند اللزوم ..

زمت شفتيها بحنق من تحكمه لكنها رفعت رأسها و تحركت قائلة بغيظ :

- حسنا ..

عندها اقتربت سُلاف و سألته بفضول متوثب :

- ماذا يحدث ؟! اخبرني فيما تحدثتما ..

أشار برأسه رافضا بإغاظة فجعدت ملامحها هاتفة باستياء :

- لا تكن غليظ ، هيا تحدث ..

ضحك على تعبيرها و تعمد المشاغبة قائلا :

- كلا ، سأتركك هكذا عقابا على ما تفعلينه بي

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

صرخت نازلي و قد تملكها غضب العالم بأكمله هاتفة بجنون لمحدثها على الطرف الآخر :

- ماذا تقول ! كيف غادر خلفها ؟ و لما تركته يفعل ؟

نظر الرجل لهاتفه بعدم تصديق مرددا باستنكار :

- هل فقدت صوابك ؟ ماذا بإمكاني أن افعل مع رجل مثله ! لقد طبت إخبارك بخطواته من بعيد فحسب و هذا أقصى ما استطيع فعله ..

ثم أنهى الاتصال بحدة تاركا إياها تغلي بشكل فعلي و قد احتقن وجهها بدماء ثورتها المتأججة بينما تهتف صارخة :

- تبـا ، لما يهرع خلفها ! ما الذي تملكه يجعل الجميع لا يرى سواها ؟!
لكنها لن تستسلم ، ليس بعد كل ما فعلته ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

تلقى شاهين تقرير المتابعة الخاص بنازلي و قد اتصل به العميل المكلف بمراقبتها فور طلبها حجز مكان على الرحلة التالية ، قطب حاجبيه ساءلا :

- هل لديها أي عقود خاصة بالعمل في المنطقة ؟
أجابه الآخر بالنفي فألقى تعليماته النافذة :
- في تلك الحالة لا أريدها على هذه الرحلة ، قم بتعطلها حتى استعد ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

اعتصم بمكانه فارضا على نفسه ثباتا فولاذي بينما تقدمت بمشاعر مشتتة أطلت بوضوح من أحداقها المشوبة بالخضرة الداكنة التي تتغلب كلما توترت أو جابهت شيئا تخشاه و قهره أن يكون هو هذا الشيء !
ردد بنبرة ساخرة :
- ألن ترحبي بزوجك جيجي ..

رفعت رأسها و قد أجج قوله غضبها و جعله يتغلب على ما عداه قائلة :
- ليس على حد علمي ، لما جئت ؟ أما زلت تحاول نبذ طفلك !
مال رأسه قائلا باستهجان تعمده :
- المعذرة لم افهم ! أي طفل تقصدين ؟
تابعت بثورة تحاول كبتها لكنه يجبرها على هذه المواجهة المؤلمة لمشاعرها :
- الذي تحمله نازلي خطيبتك ، ترى هل هذا هو سبب هجرك لها ؟ لا ترغب في تكوين عائلة !
ارتدت شفاهه ابتسامة تفكه قائلا :
- يا للعبقرية و القدرة الفائقة على التخيل ، أهنئك لكن لمعلوماتك هذا الأمر يتطلب وجود رجل مع امرأة في وضع أكثر حميمية من مجرد سلام عابر فهي للأسف لا تستطيع فعله وحدها ..
هتفت راغبة في خنقه ثم الارتماء على صدره و البكاء :
- لا تسخر مني ، تعلم طبيعة علاقتك بها و هذا لا يعنيني فأنت لم تعد تمثل شيئا بالنسبة لي ..
تحرك بلمحه خاطفة ليصبح أمامها و امسك ذراعيها بغلظة قبل أن يهزها قائلا :
- أنا لن أقدم أي تبرير أو حتى اعلق على تلك التفاهات ، لكن ما أود معرفته هل تصدقين هذا بأعماقك ؟ انظري لعينيّ و اخبريني إذا كان عقلك مقتنع إنني ذلك الرجل الذي يتخلى عن طفله و يمضي بحياته دون اكتراث ..
ثبت أنظاره التي تحمل داخل دكنتها عاصفة محملة بليل الغضب اللائم و الشعور بالاهانة فوق حدقتيها المسمرتان بذعر ..
تواصل بصري طال أمده أو قصر لكنه حمل إليها صدقه و أيقظ ثقتها التي خدرتها دموع التماسيح عندما ذرفتها نازلي ..
لم تحد عينيه عنها أو حتى رمشت أهدابه ، تلك الرسل التي أجادت نقل كل ما أراد إبلاغها به فعاد الدفء الغائب عن ملامحها و هرعت لملاذها الآمن بين ذراعيه لكنه أبى أن يدخلها نعيمه و امسك كتفيها ليمنعها قائلا بصرامة :
- كلا ، أريد إجابة صريحة ، هل تريننى هكذا ؟ شعرت بالذنب للجرح الذي سكن أحداقه بوضوح فأشارت برأسها نافية قبل أن تردد بحسم :
- لا ، لن تفعلها مراد ..
لانت ملامحه و اختفت عقدة جبينه عندما أطلق أنفاسه التي حبسها قائلا براحة :

- إجابة صحيحة ، لو نطقت خلافها لتركتك دون عودة ..

ثم هبط على شفتيها يلقنها عمليا كم اشتاق إليها و تعذب في نأيها عنه و قد أحسنت الاستقبال و ردت التحية بأفضل منها ناقلة شوقها و حزنها و فرحة قلبها بعودة الحياة التي هجرته معه ..

❖❖❖

لم يحتاج المنتظرين نتيجة المباحثات في الخارج أكثر من النظرة المتألقة في عيونهما ليفهموا أن السحابة الغائمة تبددت بسلام دون أن تخلف خسائر خلفها ..

ركضت فيفي باتجاههما هاتفة بمرح :

- حسنا الآن بإمكاني تقديم نفسي ، أنا سُلاف شقيقتها الصغرى ..

أضاء وجهه بابتسامة دافئة لكن قبل الإتيان بحرف اتبع عمر يكمل قولها بسرعة :

- خطيبتي الحالية و زوجتي المستقبلية مع إيقاف التنفيذ لكن آمل أن يتم ذلك في حياتنا الحالية ..

ضحك مراد معلقا بمرح :

- الشكر لله ، لست وحدي من يعاني مع فتيات هذه العائلة ، إنها ضريبة الفوز بهن يا صديقي ، يجب أن تثبت جدارتك ..

رد الآخر قائلا بأسى مفتعل :

- صدقت فالعم رضوان لا يفرط فيهن بسهولة لكن لا يأس مع الحياة ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

وضع طاهر هاتفه بعد انتهاء اتصاله اليومي المعتاد بناريمان التي تحولت من صديقة كما دأب على الزعم لنفسه في السابق إلى ضرورة حياتيه لا يكتمل من دونها ..

لقد أعادت إليه الجزء المفقود من ذاته بعد ما طال اشتياقه و بحثه عنه ..

لكن حديثه المطول مع شقيقه الأكبر كان الدفعة الأولى نحو تلك الخطوة ، الاعتراف بأنه حي و لديه قلب ينبض و مشاعر عليه السماح لها بالانطلاق في الاتجاه الذي يرغبه و صدق رضوان عندما قال إن شعوره بإنسانيته لا يتنافى مع الوفاء و حفظ الذكريات الجميلة شرط عدم الغرق فيها بشكل متطرف يجعله مجرد جسد يتحرك بخواء و لقد لزمه وقتا طويلا ليدرك ذلك ، آملا أن لا يكون الوقت قد فات لإصلاح ما جناه تعنته ..

تقدم من ابنته المستغرقة أمام شاشة حاسوبها قائلا بحنو :

- ما الذي يأخذ جميلتي مني يا ترى ؟!

التفتت إليه باسمة :

- لا شيء يجرؤ على ذلك بالطبع ..

جلس على يمينها و أحاطها بذراعه قائلا بشكل مباشر أصابها بارتباك صاعق :

- هل مازلت ترين ذلك الشاب .. ادهم ؟

انتفضت واقفة و قد انطلقت أحرفها بتلعثم :

- من ؟ لما ؟ اقصد لما تذكرته الآن بابا ؟!

مالت شفتيه بابتسامة إدراك فنهض من مكانه قائلا :

- اخبريه أني أود مقابلته (ثم أضاف بمكر متعمد) هذا لو كنت تذكرينه بالطبع ..

ثم انسحب بهدوء كما دخل ، عندها تركت نفسها تسقط على الأريكة بعدم تصديق !

هل حقا ذكر ما سمعته أم أصابتها كثرة التمني بالهلاوس !

هرعت إلى هاتفها راكضة فهناك عدة اتصالات عليها القيام بها على الفور ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

بالكاد مر يومين و قد جلب ادهم عائلته إلى منزل طاهر هذه المرة في زيارة رسمية شابهت الأخرى التي لا يعرف عنها بعد أن تحدثا مطولا في نفس الليلة عقب اتصال أماني و إخباره عن طلب والدها الذي فاجأه مثلها لكنه لم يهدر دقيقة سدى و حضر للقائه المختلف كليا عن الثلاثة السابقين فقد استقبله بترحاب و أبدى استعداده لقبول المصاهرة !

عندها حلقت أماني في السماء السابعة و منذ ذلك الحين لم تهبط للأرض بعد ، تعيش تحقق أهم و أعظم أحلامها ..

شاركتها تلك الفرحة ناريمان التي أدركت بعدا جديدا لتصرفه فهي لم تنكر إحساسها به و لا قوة مشاعرها المتنامية تجاهه ، بالعكس كانت صادقة مع نفسها و اعترفت أنها أغرمت بذلك الفظ العسر الفهم رغم مرور السنوات و ابنها الذي صار زوجا و عن قريب سينجب لها الأحفاد !

لكن ما الذي يمنع طالما الحياة مستمرة ؟ تستحق أن تحيا فرصتها ما دامت لا تتعارض مع القيم أو بها ما يسيء ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

استمرت جيّدا بالدوران داخل غرفتها ، تارة تفرك كفيها و تارة أخرى تعقدهما خلف ظهرها ! هتفت سُلاف التي تراقبها منذ فترة لا بأس بها :

- اجلسي و ارحميني لقد أصبت بالدوار ، تشبهين الدجاجة عندما تريد البيض و لا تجد عشها !

نفضت يديها لا مبالية بمزاحها قائلة بقهر :

- لماذا لم يستدعيني بابا منذ زاره مراد ؟! ألا يفترض أن يحدث ذلك ؟ هل تظنينه قد يرفض !

جذبتها لتجلس إلى جوارها قائلة :

- يا الهي كفي عن الوساوس ، لما يفعل إذا كان العم طاهر قد تراجع عن رفضه المتعنت لأدهم فهل يفعل بابا مع شاب مثل مراد ! استخدمي عقلك يا فتاة ..

قلبت شفتيها سائلة بحيرة :

- لماذا لا يسألني عن رأيي إذن ؟!

ضحكت سُلاف قائلة بصبيانية :

- ربما لأنه واضح أكثر من اللازم فرأى أن يختصر الوقت و يتجه للخطوة التالية مباشرة ..

قذفتها بالوسادة هاتفة بغيظ :

- ما كل هذا اللطف ! يا الهي مسكين عمر ، كيف يتحملك حقا ؟!

جلس شاهين مقابل مراد في قاعة استقبال الفندق الذي أصر الأخير على البقاء فيه رغم محاولات صديقه إقناعه بالإقامة معهم قائلا :

- كما أخبرتك مراد لقد صارت نازلي هنا و قد انضمت إلى فوج سياحي تصاحبه بجولاته ..

زفر الآخر غيظا فرجولته تأبى عليه التصرف معها كما يرغب ، رد قائلا من بين أسنانه :

- رغم ثقتي أنها لن تنجح في خداعها من جديد لكني لن اسمح لها بلقائها فالله وحده يعلم بنوع السموم التي ترغب ببثها هذه المرة ..

وافقه شاهين قائلا :

- اجل هذا أفضل ، لقد راقبتها حتى ذهبت في جولة لمنطقة بعيدة نوعا عن هنا قبل حضوري للقائك ..

ثم قام بتبديل الموضوع حتى لا يثير غضبه أكثر و تابع :

- دعك من تلك السخيفة ، ماذا عن والد جيّدا ؟ الم يتصل بك ؟

حرك رأسه نافيا و أجاب بابتسامة واسعة :

- ليس بعد ، انه يتحرى عني في السفارتين هنا و هناك ، بعد أن قام بإخضاعي لسلسلة

من الاستجوابات كمحقق محترف ، لم ينقصه إلا اخذ بصماتي ..

صدحت ضحكات شاهين الرجولية بينما مراد يكمل :

- لم أظن الأمر بهذه الصعوبة و جيجي لم تفيدني بأي معلومة فهو لم يحدثها حتى هذه اللحظة !

أومأ الآخر قائلا بثقة :

- اطمئن مسألة وقت لا أكثر و نعلنك زوجا رسمي ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

أنهى خالد فك الضمادات و ظهر في عيونه الرضا البالغ قائلا :

- تهاني سيد يوسف ، نتيجة الجراحة ايجابيه تماما ، لن ازعم أن الفضل بأكمله لي فالجراحات السابقة عليها عامل كبير للوصول لذلك ..

نظر الآخر في المرآة يتأمل وجهه الجديد بإمعان ، بالطبع لم يتبدل كما يحدث في الدراما فملامحه الأساسية باقية على حالها لكن بناء الأنسجة و العضلات هو ما تأثر و عليه يحدث تغير طفيف في شكل الوجه و ظهور الانفعالات ..

تمتم بخفوت :

- أشكرك دكتور ، على الأقل بقي لي شيئا بالرغم من عدم اقتناعي انه يستحق العيش لأجله بعد أن ذهب كل من كان لدي في الحادث

رد خالد بمهنية مدركا كم يكون الشخص حساس في هذه المرحلة الفاصلة من حياته و بحاجة للتكيف مع المجتمع المحيط :

- هناك دائما بداية جديدة يوسف ، لما لا تبدأها الآن ؟ اعتبرني صديقك خالد و ليس طبيبك فحسب ..

لمعت عيونه بالفرح قائلا :

- حقـا ؟

أومأ خالد قائلا ببساطة :

- الطبع و بما انك ضيف لدينا سأدعوك للعشاء مع عائلتي غدا لأنك ستغادر المشفى اليوم ، ما رأيك ؟

أجابه باسما :

- اقبل بكل تأكيد ، على الأقل نجرب الوجه الجديد ..

بادله خالد الضحك على مزحته و انصرف يكمل مروره على مرضاه الآخرين ..

اتسعت ابتسامة ادهم لزيارة أماني التي دلفت باسمة :

- مرحبا حضرة المدير الهام جدا ، هل لديك وقت لشخصية غير ذات أهمية مثلي ؟

غادر خلف مكتبه ليضمها بعناق متطلب أنهته بسرعة هاتفة :

- ادهم نحن في المكتب و قد أتيت للحديث معك بجدية ..

رافقها للجلسة المقابلة قبل أن يسأل باهتمام :

- حسنا حلوتي ، كل وقتي ملكا لك ..

دخلت في صلب الموضوع مباشرة قائلة :

- لا بد أن نتفق بما علينا فعله مع بابا ..

رفع حاجبيه سائلا بلهفة :

- ماذا حدث ؟ هل سحب موافقته !!

ضحكت على تعبيره المستنكر قائلة :

- لا و هذا ادعى لما اطلبه منك ..

ظل على عدم فهمه متابعا :

- أين المشكلة إذن ؟!

اتسعت عيونها تعجبا :

- لا اصدق انك تسأل ! لقد وافق بابا على الزواج أي انه سيرغب بمباشرته بنفسه ، بمعنى آخر يزوجني لك فكيف يفعل و نحن زوجين أساسا ؟

بدأت الرؤية تتضح أمامه لكنها تابعت قائلة :

- و قد وجدت الحل بعد طول تفكير ..

استفسر قائلا بهدوء :

- جيد ، و ما هو ذلك الحل ؟

ردت ببساطة أذهلته :

- طلقني ادهم ..

اخذ يحدق فيها صامتا كأنه لا يتمكن من استيعاب قولها لكنه في النهاية هتف بحدة :

- مـاذا ؟ هل جننت ؟! كـ....

قاطعته شارحة بسرعة :

- لا لا انتظر ، ليس كما فهمت ، اقصد أن تطلقني حتى يزوجني هو لك من جديد ..

قطب حاجبيه هاتفا برفض :

- أي هراء هذا ؟!

هبت من مكانها هاتفة بدورها :

- أنت من تعقدها الآن بعد أن وافق بابا ..

وقف يجابهها بعنف :

- أماني تعقلي ، مستحيـل أن انطقها ، ابحثي عن حل مجنون آخر لإرضاء والدك ..

أشارت بيديها قائلة بيأس :

- لما لا تجرب أنت و تبتعد عن التعنت ؟!

سحبها من كفها إلى الخارج قائلا :
- لا أنا و لا أنت سنذهب إلى العم رضوان ، الله الغني عن أفكارك الرهيبة ..
❖❖❖
وصلا إليه يسبقهم صوتهما المتداخل بجدال صاخب جعل الرجل يقف هاتفا بهما :
- لما لا تكفان عن محاولة إصابتي بالصمم و تخبراني عن المشكلة !
تحدثا في وقت واحد من جديد فعاد يردد ضاحكا:
- هلا تكرم أحدكما بالشرح على أن يجرب الأخر الصمت و الاستماع ! تحدث أنت ادهم و اصمتي أماني ..
أشار إليها مرددا بحنق :
- ترغب في الطلاق ..
صرخت نافية سريعا :
- ليس هكذا ، فقط اقترحته حتى يتزوجني من جديد أمام بابا ..
ترك الرجل نفسه يغرق في موجة الضحك التي ألمت به بينما ينظران إليه بغرابة فأشار لهما بالجلوس قائلا :
- حسنا استرخيا ، أنت لن تفعل و سوف يزوجك والدك مانو لا تقلقي كما أن ذلك ليس حلا لأنه يخلف تعقيدات أكثر في الوثائق الرسمية ..
هتفا سائلين بوقت واحد :
- و كيف ذلك ؟!
ابتسم رضوان شارحا بصبر :
- بالطبع لم اغفل عن هذا الموقف ، تعلمان أن الشيخ الذي عقد القران هو الذي عقد زيجات العائلة بأكملها و يعرفنا جميعا و قد أخبرته كل شيء من البداية لأني كنت اعلم أن طاهر سيثوب إلى رشده عاجلا أو آجل ، لذلك عندما يحين الموعد الجديد سيعيد الإجراءات بصورة شكلية بمعنى آخر سيقوم بتسجيل البيانات في دفتر مزيف لأنه تم توثيقها بالفعل من قبل لكن شقيقي لن يعرف ذلك و بديهي أن العريس هو من يستلم وثيقة الزواج النهائية أي أن والدك لن يرى التاريخ و لا توقيع الوكيل هل هدأتم الآن ..
زفر كليهما براحة في حين غمغم ادهم قائلا :
- أخيـرا ..
صرفهما رضوان قائلا بمرح :
- هيـا عيشا مرحلة التجهيزات من جديد و استمتعا أما أنا فلدي أمورا أخرى بحاجة لحل ..

استعدت ندى لاستقبال الضيف الذي اخبرها عنه خالد و قد بدا عليه الدماثة و الشعور بالعزلة كما وصفه زوجها ..

تعرف على الطفلين و أبدى سعادة بالتعامل معهما حتى انه قضى اغلب الزيارة يبادلهما الأحاديث و الحكايا و يشاركهم الألعاب إلى أن وافقت لانا أخيرا على السماح له بحملها فهي دائما متحفظة تجاه الغرباء ..

أعزت ندى شعورها بالغرابة تجاهه إلى الحادث الذي تعرض له و سلسلة العلاجات التي تلته فلابد انه ترك أثرا كبيرا عليه لذلك نحت شعورها السلبي و حاولت إشعاره بالترحاب اللائق بأي ضيف ..

نهاية الأمسية قدم شكره الجزيل و طلب منهما قبول دعوته بالمقابل في أي مكان يختاراه شرط أن يسمح باصطحاب الأطفال ..

أبدى خالد موافقته في حين قالت ندى :

- إن حفل زفاف شقيقي سيقام قريبا و من دواعي سروري دعوتك إليه ..

لمعت عيونه ببريق الظفر قائلا بهدوء :

- تهاني ، أرجو له السعادة و بالطبع يشرفني

الحضور ، أنا شاكر لكل ما تفعلانه لأجلي لقد ظننت لفترة أن العالم خلا من حولي لكنكم تثبتان العكس بهذا الفيض الكريم
و هكذا انتهت أول خطوة تقوده إليها بنجاح فغادر آملا بتخطي البقية بنفس السلاسة حتى ينال بغيته و يربح ، انه دائما الرابح ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

جمع رضوان ابنتيه مع زوجته بالإضافة لعمر ثم وجه حديثه إليهم قائلا :

- بعد البحث و الدراسة لقد وجدت مراد مناسب من كافة الوجوه و مبدئيا لا أمانع في قبوله زوجا لابنتي ، لكن يتبقى رأيها و بما إننا عائلة واحدة ننتظر سماعه الآن ..

نظر ثلاثتهم للفتاة التي ارتبكت لكن عيونها الجذلة عكست سعادتها و رأيها بوضوح جلي ..
عندها هبت سُلاف بمرح متدفق و أخذت تتقافز هاتفة :

- مرحى لدينا زفاف قادم ، بابا لما لا يكون حفل جيجي و مانو سويا ؟ زفاف ثنائي و نحجز قاعة كبيره فخمه ، سيكون ذلك رائعا ..

تهلل وجه جيّدا المكتسي بحمرة الخفر بينما ضحك الرجل قائلا :

- لا فائدة ، المشاغبة ستظل في دماءك و أنت بالسبعين من عمرك ، اجلسي يا فتاة فدورك قادم أنا لم افرغ بعد و بالطبع لم أضمك للجلسة لأتمتع بقفزاتك فهي حولي طيلة الوقت ..

عادت لمكانها و قد جعدت انفها بحركتها المعتادة تعبيرا عن الاستياء قائلة :

- أنا سُلاف الحلوة المؤدبة ..

تابع والدها الحديث قائلا من بين ضحكاته :

- اجل و لأنك حبيبتي المهذبة ذات الطباع الوديعة و لم تفعلي شيئا في ذلك الشاب المسكين اليائس أسألك الآن مباشرة هل تقبلين الزواج منه حتى أتخلص من ملاحقته لي بالطلب ثلاث مرات في اليوم قبل الأكل و بعده ..

تصاعدت دمائها بالكامل و تركزت في منطقة الوجه و قد خفت صوتها أخيرا بانجاز يعد الأول بتاريخ العائلة :

- بابا ! لقد فاجأتني ، انه دور جيجي أنا دوري لم يحن بعد ..

زفر عمر بيأس حقيقي و كاد يصرخ بقهر لكن رضوان أجاب عنه حاسما الموقف :

- كلا ، سيشملكما الدور معا ، أنت اقترحت حفل زفاف ثنائي و أنا أوافق لكنه سيكون ثلاثي أماني و ادهم ، جيجي و مراد ثم أنت مع عمر و ليعنه الله و يسامحنا عما فعلناه به ..

عندها هب هو معلنا موافقته بتأكيد و عدم تصديق تبعته خالته تطلق زغاريد السعادة و جيّدا تصفق سعيدة بالفكرة في حين مطت سُلاف شفتيها قائلة باستنكار :

- لكن هذا ظلم ، كيف امرح و أتمتع بالحفل بينما سأكون عروسا فيه ! كما أني أريد الخطبة أولا ، رجاء بابا ..

رفع عمر حاجبيه و هم بالرفض لكن رضوان أشار إليه ليصمت و رد هو قائلا بحزم :

- لقد خُطبت بما فيه الكفاية و تعرفان بعضكما أكثر من أي شخص ، كلمة واحدة سُلاف إما زواج أو لا شيء على الإطلاق قرري الآن في الحال ..

ردت قائلة بسخط طفولي :

- حسنا (ثم اتبعت بتحذير فكاهي) لكني لن أظل مقيدة في مكان واحد و سأركض في أنحاء القاعة كما يحلو لي ..

رفعت زهره حاجبيها عاجزة عن الرد بينما أشار والدها بكفيه قائلا :

- بمجرد عقد قرانك سأصبح خارج اللعبة و عمر هو من سيكون عليه ملاحقتك ..

اتسعت عيونها بشكل مبالغ فيه هاتفة باستنكار تمثيلي :

- لاحظ انك تتخلى عني الآن سيد رضوان و تناسيت عِشرة السنوات الطويلة !

أومأ مشيرا بالإيجاب قائلا :

- اجل افعل ، أعترف بذلك و مستعد لتوثيق شهادتي في دار القضاء العالي ..

أعقب ذلك انطلاق ضحكات الجميع و هرعت زهره للهاتف فلديها تحضيرات مضاعفة هذه المرة ليس اثنين بل ثلاث ، أما رضوان فأجرى اتصاله المنتظر بمراد يعلنه بالنتيجة التي طال انتظارها ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

تأنقت نازلي كالمعتاد ثم تخلفت عن الفوج السياحي ، لقد تعمدت ترك هذه الفترة تمر حتى لا تجعل أيا منهم يعرقل خطتها منذ حصلت على عنوان الفتاة و اسمها العربي بسهولة من مالك الجاليري الذي خدعته ..

اطلعت السائق الذي استأجرته مع السيارة طيلة مدة إقامتها على وجهتها و استرخت في الأريكة الخلفية تعد ما ستقوله هناك ....

سرعان ما وصلت لباب غرفته بناء على إرشادات فتاة الاستقبال و دلفت اثر سماع صوته الرخيم يسمح للسكرتيرة بإدخالها ..

نهض رضوان مرحبا بالضيفة التي لا يعرفها فابتسمت قائلة بالانجليزية :

- مرحبا أنا صديقة جيّدا من تركيا ، أتيت بزيارة عمل و رغبت في مفاجأتها لكني للأسف لا اعرف عنوانها الجديد و كان من الأسهل التوصل للشركة هنا ..

دعاها للجلوس قائلا :

- أي عنوان ؟ جيجي في منزل العائلة لم يحدث أي تغيير استطيع إرسالك مع السائق إليها ..

ادعت الدهشة قائلة :

- أتقصد أنها و زوجها يقيمان مع العائلة ؟!

قطب حاجبيه قائلا بحيرة :

- زوجها ! يبدو أن هناك سوء فهم فهي لم تتزوج بعد لكن قريبا سيحدث ..

ابتسمت بظفر عندما أكد لها الفرضية

فهي كانت تضع خطتين و على أساس معرفته تتبع أحداهما ..

- ماذا عن مراد ؟! أليس هنا معها ؟

أومأ قائلا بتوجس :

- اجل لكنهما ما زالا بمرحلة الخطبة ..

قلبت شفتيها قائلة بارتباك متقن :

- عفوا أنا لم اعد افهم شيء ! كيف يخطبها و هما زوجين منذ فترة و كانت تعيش في منزله و قد زرتهما هناك بنفسي أكثر من مره !

ها هي صورهما معا ..

و أخرجت الصور التي تجمعهما بالفعل من ذاكرة هاتفها بادعاء كاذب للبراءة بينما داخلها يرقص على دماء كرامة ذبحت للتو ..

تراجعت قائلة ببساطة :

- على كل حال سأهاتفها لاحقا ، شكرا سيدي لقد سعدت بلقائك ..

و دون أن تعطيه فرصة للرد غادرت بعد نفث سمومها بنجاح هذه المرة أيضا ..

وقف يحدق بالفراغ لوهلة و الأرض غير مستقرة أسفل قدميه حتى شعر بقبضة قاسية تعتصر قلبه و تحبس أنفاسه التي بات يلتقطها بالكاد ثم سرعان ما اختفت الموجودات من أمام عينيه قبل أن يهوي لقاع العدم ..

صرخت السكرتيرة مستدعية عمر الذي استطاع التحكم في حالة الهرج بأعصاب فولاذية و قد استدعى الإسعاف على الفور لينقل عمه إلى العناية المشددة بعد أن همس في أذنه خلال محاولات الإفاقة بنبرة متقطعة :

- لقد وثقت بها ، لما فعلت ذلك ؟!

❖❖❖

تجمع أفراد العائلتين في الممر بانتظار سماع أي خبر عن المتواري خلف الأبواب ، بدت جيّدا أكثرهم انهيارا و قد حملت نفسها ذنب ما حدث لوالدها ، أرادت بشدة الحديث معه ، ترغب بالشرح و إخباره أنها لم تقلل من شأنه ، هي لم تتزوج بإرادتها و لم تكن لتفعل دون إعلامه ..

احتضنتها نرفين برقة و أخذت تمسد ظهرها علها تتمكن من التخفيف عنها ، الوحيدة التي لم تكن تعلم حقيقة ما حدث هي زهرة و طاهر بالطبع فلم يتفوه شخص بحرف عن الأمر أمامهما ...

في الساحة الخارجية للمشفى هدر مراد بغضب عارم :

- الحقيرة ، لقد فعلتها للمرة الثانية و مرت من تحت انفي ! كنت محقا عندما أردت سحقها لكنها لن تفلت هذه المرة ..

لم يحاول شاهين منعه بينما يجري اتصالا عاجل مع صالح و قد اخبره كل شيء ناهيا بنبرة جليدية لو سمعتها المعنية بالأمر لتلاشت رعبا من فورها :

- قم باللازم صالح ، لا أريدها داخل الأراضي التركية ، اقسم لو وطأتها بقدمها مرة واحدة سيكون موتها على يديّ ..

ثم أنهى الاتصال زافرا أنفاسا محرقة فأومأ شاهين قائلا :

- حسنا هي حكمت على نفسها اهدأ الآن لقد انطوت صفحتها للأبد ، فكر بما يحدث هنا استمع لنصيحتي لقد حان الوقت لقدوم والديك ..

بادله نظرة تفاهم معتادة بينهما ليقرر رافعا هاتفه من جديد :

- اجل أنت محق ...

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

لم تتوقف دموع الفتاة ثانية عن الهطول و بدت نائية عن الجميع حتى مراد فشل في كل التواصل معها ، اعتصمت أمام غرفة والدها رافضة الذهاب قبل أن يسمح لها برؤيته لقد طمأنهم الطبيب أنها كانت أزمة عابرة مضت بسلام و لم تخلف أي آثار و قد استقرت حالته و لا تتطلب سوى بعض الراحة فحسب ،

من وقتها و هو رافض لرؤيتها أو سماع شيء عنها مقابل دهشة زوجته و إلحاحها في السؤال عن سبب غضبه منها الذي ظل دون إجابة شافية و محاولات سُلاف التي قولبت كلها بالرفض .. استمعت لصوت مألوف محبب إلى قلبها فالتفتت بلهفة لتستقبلها ذراعي والدتها الروحية زينب التي وصلت للتو برفقة زوجها و قد جلبهما مراد من المطار للمشفى مباشرة :

- لا بأس صغيرتي ، سوف نتحدث مع والدك و نزيل كل هذه الفوضى ، اذهبي و اغسلي وجهك فجفناك ذهبا مع الريح ، يا لابني البائس سيتزوج ثمرة يقطين باكية !

❖❖❖

غابا في الداخل لفترة بدت مؤشر خير كما أخبرتها سُلاف :

- اطمئني طالما لم يرفع صوته حتى الآن فهو يستمع إليهم و سيدرك الحقيقة ، يا الله لو وقعت تلك الأفعى بين يدي لكنت تسببت في اعتزالها دون شك (ثم استدركت باسمة) أتعلمي والدي مراد يبدوان لطيفان جدا ..

أومأت توافقها قائلة :

- اجل هما كذلك بالفعل ..

التفتت بلهفة عند سماعها صوت فتح باب الغرفة فمنحها عثمان ابتسامة و أشار للداخل قائلا :

- اذهبي لوالدك يا فتاة لقد اشتاق إليكِ ..

تهلل وجهها الباكي و أخذت تجففه بظهر يدها بينما أكمل الرجل لابنه :

- و أنت أيضا مراد يريد رؤيتك ..

ركضت تلقي بنفسها على صدر والدها هاتفة بلوعة :

- بابا حبيبي ، آسفة سامحني ، لقد كنت مضطرة و لم اقصد إغضابك أبدا كما لم يحدث شيء بيننا ، أنا لا أجرؤ على خذلانك أو قيام بأمر دون إرادتك ، حتى لو لم توافق على مراد الآن سأتقبل قرارك و أنفذه ..

عندها ارتفع صوت الشاب هاتفا باستنكار عاتب :

- جيّـدا ..!

لكنها لم تكترث له فقد كان إحساسها بالذنب يقتلها و استمرت باسترضاء والدها فما كان منه إلا أن استدار مغادرا الغرفة بادي الغضب ..

رفع رضوان رأسها المدفون في صدره قائلا :

- لقد جرحتِ الشاب ..

ردت بنبرة متقطعة :
- رضاك عني أهم من أي شيء بابا ..
غامت عينيه تأثرا و طوقها بذراعيه بحنو فائق
ثم عاد ينظر إليها قائلا :
- حمدا لله على سلامتك بنيتي ، لقد مررت بالكثير هناك لكنك لم تخيبي ظني مطلقا ، اذهبي خلف زوجك و اجلبيه يا مغفلة فلم أتمكن من شكره على حفاظه عليكِ بعد ..
أضاءت ملامحها المبتلة هاتفة بسعادة :
- حـــقا ؟
أومأ لها باسما فهبت راكضة في أعقاب الآخر هاتفة :
- مـــرااااد ..
لحقت به عند استراحة الزوار فأمسكت ذراعه قائلة بلهفة :
- مـــراد ، أرجوك لا تغضب أنا لم اقصد ذلك حرفيا ، أردت فقط أن يصل إحساسي لوالدي لكني بالطبع لا استبدلك بكنوز الدنيا مجتمعة ..
نظر إليها دون كلمة فعادت تحثه :
- هيـا لا تكن هكذا ! تعلم إنني احبك لكن لم احتمل أن يصيب أبي مكروها بسببي ، حبيبي رجـاء ..

غابت الحدة عن ملامحه مرددا بلؤم :
- حسـنا كرري ما قلته ..
ابتسمت قائلة باستسلام :
- احبك ، احبـك و احبـك هل يرضيك أن اصرخ بها و أزعج المرضى ..
حرك رأسه نافيا ثم ردد بمشاغبة :
- كلا ليس الآن ، سأخبرك لاحقا متى تفعلين ..
جذبته من كفه عائدين هاتفة :
- تهذب يا سيد و لا تنتهز الفرصة لقد استعدت كامل قواي الآن ..
❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖
قدمت ندى الصينية المحملة بالعصائر و المقبلات قائلة بابتسامة :
- لديك حظ جيد سيد يوسف ، فحفل زفاف شقيقي أصبح ثلاثي ، ستكون فرصة جيدة لتقضي وقتا لطيف ..
زم حاجبيه بغرابة و سألها مدعيا الفضول :
- يا لها من فكرة ، لكن من هم الزوجين الآخرين ؟
ردت قائلة بعفوية :
- سُلاف و جيّدا ابنتي عم عروس أخي سيتم زفافهن جميعا بليلة واحدة ..

أومأ مع ابتسامة صفراء بينما داخله يصرخ بغيظ فهذا الترتيب يفسد خطته ، كان يتعشم أخذها تحت ستار ضوضاء الحفل لكن الآن و هي عروس مسلطة عليها الأنظار لن ينفع ذلك ، تبا عليه اللجوء للخطة البديلة إذن ..

نهض مستأذنا بحجة انه ينتظر اتصال دولي سيأتيه عبر الفندق ..

أوصله خالد للخارج مع سلسلة من التعليمات الطبية التي لم يكترث لها الآخر و قد اخرج هاتفه بمجرد استقراره في سيارته المستأجرة ليجري اتصال بأحد الأذرع التابع له آمرا :

- أريد طائرة صغيرة مع إذن بالإقلاع في مكان و زمان مختلفين ، سأرسل لك المعلومات بعد قليل ..

أعاده لجيبه و قد لمعت عينيه ببريق مألوف سمته التوحش و الكراهية ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

غادر رضوان المشفى رافضا البقاء أكثر و قد استرد عافيته مع روحه المرحة بعد معرفته لحقيقة ما حدث و كل ملابساته عندها غربت سحابة الكدر و لم يبقى إلا الأفراح و المناسبات

السعيدة التي استعد منزله لاستقبالها و بدا في أبهى حلة تلفه ألوان الربيع ....

كان اليوم المحدد لزيارة عائلة مراد الرسمية للاتفاق على كل ما يخص الزفاف القادم و قد ساد جو من الألفة ماحيا كل اثر للتوتر السابق و تعالت الأصوات بالتهاني عندما أعلن الرجل عن زفاف ابنته الصغرى على ابن خالتها عمر عندها انتهز عثمان الفرصة و ردد بصوت فخور :

- و نحن يشرفنا طلب فتاتك الكبرى جيّدا زوجة لابننا مراد ، ما رأيك سيد رضوان ..

ابتسم الوالد المختال بفتياته قائلا بتقدير :

- ولدك رجل أطمئن على ابنتي معه سيد عثمان و قد أكرمتموها بينكم ، الشرف لنا بقبول هذا النسب ، جيّدا ابنتك و افعل ما ترى ..

تهلل وجه زينب التي سارعت بمعانقة زهرة صديقتها الجديدة و بعدها توالى مد من المباركات اكتسح الجميع في الردهة المزدحمة ..

قطعها صوت طاهر عندما أجلى حنجرته قائلا بوقار :

- مهلا ، ليس من العدل أن نعطيكم ابنتنا و لا نأخذ مقابلها ..

ثم ركز بصره على ناريمان التي شهقت و احتقن وجهها فأومأ قائلا بعبث أعاده لسنوات الشباب :

- اجل اطلب الزواج منك يا سليلة الغزو العثماني فهلا شرفتني بالموافقة ؟ فانا مسكين وحيد ستتزوج ابنتي و تتركني (ثم التفت لشاهين الذي سمرته المفاجأة و تابع) و انتظر رأيك بالطبع بنيّ ..

لم يعلم ما عليه قوله فهو لم يؤهل لان تخطب منه والدته أمام الجميع من قبل !

أنقذه رضوان عندما نهض قائلا بسعادة :

- يا له من عرض ، تفضل معي بنيّ لتتحدث مع والدتك على انفراد ..

زينب حثت ناريمان على مصاحبته بينما كانت تتوعد طاهر بالويل لإحراجه لها بهذه الصورة لكنه لم يكترث لعيونها ذات الشرارات الغاضبة بعد أن نفذ رغبته ..

تركهم رضوان و عاد ليجد شقيقه يقف بترقب لكن لا يبدو عليه الندم لخطوته الجريئة

❖❖❖

جلست صامته لم تتوقع في حياتها أن توضع في موقف مشابه أمام ابنها الشاب !

كان هو صاحب المبادرة عندما اقترب منها و ركع أمامها متناولا كفيها بين يديه الدافئة قائلا بتأثر :

- ليس عليك الخجل أمي بل السعادة ، يكفي سنوات عمرك التي أفنيتها وحيدة لأجلي ..

رفعت عيونها إليه مرددة بخفوت :

- ماذا تقصد ؟ هل تقبل عرض ذلك الرجل الأحمق ؟

ابتسم قائلا بصدق :

- بالطبـع ، أنا لست أناني لأمنعك عن استئناف حياتك التي توقفت أمدا بعيدا ، أنت لازلت شابة و جميله كما أن العم طاهر يستحقك ..
لكن رجاء لا أريد أخا صغير يشعرني بالغيرة ، دعي هذه المهمة لي أنا ..
اتسعت عيونها و ضربته على رأسه ناهرة بغضب:
- تهذب يا ولد أنا لازلت أمك ..
حرك حاجبيه قائلا بمكر :
- ما رأيك أن نبحث للخالة قدرية عن عريس حتى لا تشعر بالغيرة ..
قبل أن تعلق كان يغيبها كليا بين ذراعيه بحنان بالغ قائلا بتأثر :
- تهاني أمي ، لتسعدي حبيبتي فأنت تستحقين ..

❖❖❖

بمجرد عودتهم للجمع باسمين قفزت أماني تتعلق بعنق والدها هاتفة :
- مبارك بابا ، أنا سعيدة جدا لأجلكما ..
ثم تركته و ركضت تهنئ السيدة التي تحولت من ضيفة إلى عروس في لمحة بسبب تهور ذلك الرجل الذي بدا نافذ الصبر حتى يسمع من شاهين موافقة صريحة على طلبه ليهتف بعدها قائلا بمرح عاد إليه بعد طول غياب :

- الآن سيكون لدينا حفلا رباعي ..
التفتوا إليه دفعة واحدة فرفع كتفيه قائلا ببساطة :
- اجل هكذا يحدث التوازن المطلوب ، اثنان لرضوان و اثنان لي ، بالتأكيد لن اتركه يتفوق عليّ ..
تعالت الضحكات المؤيدة بينما هتفت زهره قائلة بقهر :
- أنت شرير طاهر ، كيف سنعد لحفل بهذا الحجم ؟!
أحاط رضوان كتفيها بذراعه قائلا :
- لا تقلقي زهرتي كل منا سيؤدي دوره على أكمل وقت ..
حاولت ناريمان الاعتراض بخجل معتد بنفسه قائلة :
- لكن عليّ استشارة عائلتي و ...
قاطعها طاهر برجولة أسرت قلبها :
- سيحدث بالطبع ، إذا أردت نسافر من الغد للقيام بكل ما يلزم ثم نعود لمتابعة التجهيزات هنا ..
أحاطها شاهين بذراع داعم فأومأت برأسها إيذانا

بالموفقة و عليه اخبرها أن تستعد للعودة معه إلى بلدها حتى يطلبها بالشكل الذي يليق بها ...
انطلقت الأحاديث بين الرجال حول الأعمال و غيرها بينما السيدات اجتمعن على التفكير بأفضل الاقتراحات ليظهر حفلهن القادم بالشكل الذي يردنه ..
رغم الصخب و التجمع العائلي الكبير عيونه لم تحد عنها حتى عندما شغله الحديث مع عمر و شاهين أو كان يرد على استفسار يطرحه أيا من العمينّ لم تغب عنه ..
جالسة جوار شقيقتها تحيطها همسات الفتيات المازحة لكنها ترنو إليه بنظرة محملة بالمشاعر التي لمست قلبه و فجرت ينابيع شوق تحفر أخاديد عميقة داخله ، جيدائه الساحرة التي يحرك معالم بلاده كلها لأجلها ، كم تاق للانفراد بها دون فائدة ، فمنذ تحدث مع والدها ذلك اليوم في المشفى و لم يتمكن من الاقتراب لأنها دائما بصحبة الآخرين حتى بدت أيامهما السابقة أشبه بحلم عذب جميل ..
كأنها تدرك مسار تفكيره أرسلت إليه بسمة شقية واعده بالأمل القريب بينما عمر بالمثل يتحرق شوقا لصغيرته الهاربة منذ إعلان والدها العبقري عن الزفاف المشترك لكن لا يهم طالما نال ثمرة حبه أخيرا و بقيت خطوة ليتذوق رحيقها ..

همست نرفين لاماني :

- لا اصدق إنني سأشهد حفل زفافك ثانية ، لقد استجاب الله لدعائي عندما كنت أتابع من بعيد و الآن ليس واحد بل أربعة زيجات دفعة واحدة ..

ضحكت الفتاة و همست بدورها :

- ما رأيك أن تنضمي إلينا مع شاهين لان خمسة أزواج ستقتلع عيون الحاسدين و تحمي البقية ، فكري يا فتاة ..

وضعت كفها على فمها لتمنع ضحكة ستلفت الأنظار قبل أن ترد قائلة بدلال موشى بالرقة بينما كفها يهبط ليستكين فوق بطنها الضامر :

- لدي ما يمنع الاشتراك في الحدث ، سأكتفي بالمراقبة و التشجيع خشية أن أصاب بالغثيان و يفسد القيء ثوبي ..

عندها دخلت سُلاف برأسها بينهما قائلة بشغب :

- ماذا يحدث ؟ لا اقبل أن تحاك المؤامرات بدوني ، اعترافا فورا ..

لمعت عيون أماني بالمعرفة و هتفت بحماس خافت :

- حقا ؟ أنت أكيدة ؟

أومأت نرفين بعذوبة :

- اجل ، تأكدت هذا الصباح لكني لم اخبر أحدا بعد ..

نقلت سُلاف عيونها بينهما و رددت بحنق :

- أنا لازلت هنا بالمناسبة و انتظر معرفة معنى هذا الحديث المبهم !

أجابتها أماني بنظرة ماكرة :

- قدمي لها التهاني دون أسئلة يا صغيرة ، إنها أمور تخص الزوجات فقط ..

جعدت انفها قائلة باستياء :

- ماذا ؟ هل بإمكانك رفع صوتك قليلا عزيزتي ربما يود عمي طاهر سماع تصريحك الخطير .. !

كتمت نرفين ضحكاتها بصعوبة بينما أماني تجذب الفتاة و تكمم فمها قائلة :

- سُلاف الحلوة ، بالتأكيد امزح معك ، بالطبع سأخبرك أنت حبيبتي يا فتاة ..

لمعت عيونها بالمكر المعتاد عندما تصيب أهدافها بنجاح فردت منتصرة :

- أسرعي إذن ..

همست أماني باستسلام فكاهي :

- نرفين و شاهين سيرزقان بصغير ازرق العينين

صرخت ناسية نفسها هاتفة بمرح :

- أوه ، مرحى ..

قاطعها الصمت المفاجئ بينما اتجهت إليها أنظار الجميع مستطلعين سبب هتافها الفرح فرفعت حاجبيها قائلة بطفولية محببة :

- احم ، لا شيء ، ليس هناك شيء إنها مانو تخبرني إننا سوف نتزوج معا في اليوم نفسه ، ماذا بكم ؟ عودوا لأحاديثكم ، لا افهم أين الغرابة في قولي !!

أدارت والدتها عينيها بالفراغ يائسة من إصلاحها قبل أن تعاود اندماجها مع السيدات بينما ضج والدها بالضحك فهو اعلم الناس بشقيته الصغيرة مرسلا نظرة كان الله في عونك لعمر الذي شقت ابتسامته السعيدة ملامحه حبا بتلك المشاغبة حتى لو ركض في الطرقات خلفها ..

اقتربت جيّدا و همست بفضول متوثب :

- حسنا هيا اخبروني عما تخفون ..

ضحكت نرفين و همت أماني بالنطق لكن سُلاف كان سباقة بمنعها قائلة :

- اششششش ، أنت لازلت صغيرة جيجي و هذا حديث الكبار ، الم تعلمك والدتك أن ذلك يعد عيبا !

اتسعت عيون الفتيات الثلاث لوهلة قبل أن تفجر سُلاف فتيل الضحك و يتبعها البقية بينما جيّدا لا زالت تحدق بغرابة جاهلة بما يدور بينهن !

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ألقى نظرة سريعة على ساعة معصمه و ابتسم مهنئا نفسه على دقته و أمام عينيه المتوارية خلف نظارات سوداء ضخمة أبصر مغادرة خالد و ندى لتلبية دعوته على العشاء التي ألح لقبولها وفاء منه لمحاولتهم رأب صدوع نفسه المزعومة ..

دقيقة إضافية ثم ترجل من السيارة لتنفيذ الخطوة التالية ..

استجابت المربية لنداء الزائر لتقابلها ابتسامته الباردة قائلة :

- عفوا الدكتور و السيدة ندى غادرا قبل قليل ..

افتعل الأسى على وجهه قائلا :

- أوه للأسف لكن الطفلين هنا ، أليس كذلك ؟

أومأت بالإيجاب قائلة :

بلى سيدي ..

عندها خطا للأمام مغمغما :

- و هذا ما أريده ..

بسرعة البرق كان يكمم فمها بإحدى كفيه بينما الآخر يساعده في ليّ رأسها بطريقة فنيه سريعة ليعلو صوت تحطم فقراتها و تجحظ عيونها بعدم تصديق لكونها تسلم الروح !

ألقى جثتها خلف الطاولة ببساطة ثم تقدم إلى حيث يعلم وجهته جيدا ..

استقبله عاصم بهتاف طفولي :

- مرحبا عمي يوسف ، لكن بابا و ماما ليسا هنا ..

رد قائلا ببساطة :

- اجل اعلم و لهذا جئت لاصطحابكما إلى مدينة الألعاب ..

قفز الصغير هاتفا :

- حقا ! لكن لما لم تخبرني ماما ؟!

ابتسم قبل أن يردد بخفة :

- لأنها مفاجأة ، أين شقيقتك ؟

أشار للفراش الوردي الصغير قائلا :

- إنها نائمة ..

اتجه إليها و حملها بهدوء قائلا :

- حسنا سوف نوقظها عندما نصل ..

و مد كفه للطفل الذي منحه يده ببراءة قائلا :
- هيا بنا يا بطل ..
وضع لانا المستغرقة في النوم على الأريكة الخلفية بينما اجلس عاصم في المقعد الأمامي ليعترض قائلا :
- لكن لا يفترض بي الجلوس هنا عمي ..
منحه ابتسامة غامضة قائلا :
- لكنك تحب ذلك صغيري ، أليس كذلك ؟ لقد سمحت لك ..
انطلق بالسيارة حتى ابتعد عن المكان ثم التفتت إليه قائلا :
- ما رأيك أن ندعو صديقتك لتلهو معنا ؟ تلك التي أغرقت لانا هاتفها ..
أشرق وجه الطفل قائلا بسعادة :
- اجل خالة جيجي ، سيكون ذلك رائعا لكني لا اعرف رقمها ..
اخرج هاتفه محركا شاشته :
- أنا اعرفه ..
ناوله إياه عندما سمع صوتها تجيب الاتصال ليصدح صوت الصغير هاتفا بحبور :
- أهلا خالة أنا عاصم ..

هتفت مرحبة بدورها :
- يا لها من مفاجأة ، مرحبا حبيبي لكن هذا ليس رقم ماما هل تتحدث من هاتف والدك ؟
حرك رأسه بالنفي كما لو كانت تراه قبل أن يردد :
- كلا انه لصديقي و نحن ندعوك للذهاب إلى مدينة الألعاب معنا ..
قطبت حاجبيها قائلة بعدم فهم :
- مدينة الألعاب ! في هذا الوقت ؟ أين والديك عاصم ؟ أعطني أيا منهما لأحدثه ..
رد الصغير قائلا ببساطة :
- إنهما ليسا معنا ، سنذهب برفقة عمي يوسف ..
عندها أشار له بكفه باسما فأعاد إليه الهاتف الذي رفعه لأذنه قائلا :
- اشتقت إليك جيجي ، لن أعاتبك الآن على ما سبق لكن كما أخبرك الصغير سننتظرك ثلاثتنا و إلا سنلهو وحدنا ، بالطبع تعلمين ما سيفوتك عندها ، أوه بالمناسبة لانا معنا أيضا و أخشى أن تطول فترة نومها ، عزيزتي كما غادرت وحدك ستعودين ، أريدك أمامي بعد ساعتين في المكان الذي سأرسله لك عقب الاتصال

وحدك تماما حبي و إلا سيلعب الصغيرين لعبتي المفضلة ..

جمدت عيونها و ارتجف جسدها بالكامل ، ذلك الصوت تعرفه ، نفس النيرة التي تثير ذعرها ، ماذا قال عاصم ! عمي يوسف ؟!!!

يا الهي كيف يعقل ذلك !!

لقد مات ، اخبروها انه قُتل ! كيف عاد من العالم الآخر إذن ؟!!

ضربتها صاعقة الفهم لتدرك أبعاد الخطر المحدق بالصغيرين ..

خطفت حقيبتها و هرعت إلى الخارج نبضاتها تسابق الريح و عيونها زائغة كأن أشباح الجحيم تطاردها غافلة عن تلك العيون التي رصدتها ..

نهاية الفصل

دمعات القمر

القطرة
الخامسة و العشرون

- هل بقي الكثير لنصل عمي ؟
التفت إليه بعيون ثعلبية قائلا :
- لا بالعكس اقتربنا للغاية ، لم يتبقى إلا أن تستعد و ترش العطر لتبدو أفضل ، أتود تجربة عطري عاصم ؟
لمعت عيون الصغير و قال معقبا :
- بابا يضع لي من عطره و أنا أحبه ..
اخرج قنينة زجاجية صغيرة قائلا :
- و ستحب الخاص بي أكثر ، أنا اعرف ..
ثم رش محتويات الزجاجة أمام انفه ليغمض الطفل عينيه بتلقائية لحمايتهم من الرذاذ لكن قبل أن يبدي اعتراض كانت رأسه ترتخي على خلفية المعقد و لم يعاود فتح جفنيه من جديد ،
استدار ليفعل المثل مع لانا قائلا :
- المعذرة صغيرتي لكني لا أطيق بكاء الأطفال ..
أوقف السيارة أمام منزل صغير من طابق واحد ثم ترجل حاملا الطفل و دلف إليه بهدوئه المعتاد
ليستقبله رجل يرتدي السواد أمره قائلا :
- احضر الفتاة من السيارة ..
عندما عاد بحمله وضعهما فوق فراش بسيط متجاورين ثم استدار قائلا :

- لن يستيقظا قبل الصباح ، سأتصل بك لتنفذ دورك عندما يحين وقته ..

أومأ الآخر بصمت فانسحب من فوره متجها إلى حيث ينتظره خالد و زوجته هاتفا باعتذار بالغ معللا تأخره باتصال عاجل استغرق وقتا أطول مما قدر له لان أمرا طارئ الم بعمله لذا عليه العودة في الحال ، ثم التفت لندى قائلا :

- آسف سيدتي ، كان بودي قبول دعوتك الرقيقة لكن هكذا شاء القدر ..

أشارت برأسها قائلة :

- لا بأس سيد يوسف لعله خير ، نأمل أن نراك مجددا ..

نهض خالد عازما :

- حسنا علينا الانصراف الآن حتى لا نتأخر على الطفلين ..

اعترض الآخر قائلا برفض :

- لكن ماذا عن العشاء ؟ ابق رجاء دكتور لازال الوقت مبكرا ..

لم يعلم خالد سبب شعوره الغريب لكنه لا يريد البقاء أكثر لذلك صافحه قائلا :

- سنعوضها لاحقا يوسف ، الأيام قادمة ..

اتجهت قدرية بخطوات سريعة بينما تتمتم بغضب من ذلك الذي لا يريد ترك الجرس و شأنه ؟

- مهلا يا أحمق ألا تمتلك ذرة من الصبر ! هل يفترض إننا جالسون خلف الباب ؟!

اندفعت جيّدا للداخل كقذيفة طائشة هاتفة بوجل :

- لقد عاد ، انه حي لم يمت !

هب مراد يحتوي ذعرها بلهفة بينما انتبه البقية على رأسهم شاهين الذي لحق برفيقه الهاتف :

- ماذا بك حبيبتي ؟! من هو ؟ اهدئي و التقطي أنفاسك ..

صرخت قائلة بعيون وجلة :

- لا يوجد وقت للهدوء لقد اختطف طفلي ندى و ....

سألها الشابين بصرامة :

- حسنا قصي علينا ما حدث من البداية و لا تهملي التفاصيل ..

نفذت ما طلباه بصعوبة و بالكاد تسيطر على رجفة جسدها ..

عمل عقليهما بسرعة جبارة في محاولة لوضع الأحداث بإطارها الصحيح بينما بادله شاهين نظرة غامضة قبل أن يسألها :

- كم من الوقت مر حتى الآن ؟

تطلعت للساعة ثم أجابته بقلق :

- حوالي عشر دقائق تقريبا فمنزلنا قريب كما تعرف و قد أتيت راكضه ..

طبيعة عملهم القاسية جعلتهما قادران على احتواء المفاجآت مهما كانت صادمة لذا تحركا مباشرة بتناغم مدروس ، شاهين يجري اتصال بصالح طالبا إجراء فحص الحمض النووي للجثة المتفحمة و مطابقة النتائج مع بيانات يعقوب عابد بينما مراد طلب من جيّدا الاتصال بندى ثم تناول منها الهاتف قائلا :

- المعذرة سيدتي أنا مراد ، أريد الحديث مع زوجك رجاء ..

عندما وصله الصوت الرجولي مستفسرا ردد بهدوء :

- هل وصلت لمنزلك دكتور ؟

رد خالد بحيرة :

- ليس بعد لقد غادرت للتو و ....

قاطعه قائلا بسرعة :
- حسنا اجلب زوجتك إلى منزل الخالة ناريمان دون إهدارا للوقت و لا تجعلها تشعر بشيء ، سأخبرك لاحقا عن السبب وداعا ..
قطب خالد حاجبيه بغرابه لكنه استحضر طبيعة الجراح الهادئ و القادر على مواجهة أدق المواقف داخل غرفة العمليات فأنهى المحادثة بملامح ثابتة ثم بادر بالاتصال على هاتف منزله ليجيبه الصمت المطبق ..
قفز قلبه شاعرا بالخطر دون أن يظهره بل التفت لزوجته يخبرها ببساطة عن وجهتهما الجديدة غير مكترث بسؤالها المندهش عن السبب ..
أنهى مراد اتصاله في الوقت نفسه الذي يتحدث شاهين مع الملحق العسكري للسفارة التركية منسقا الخطوة القادمة فكل ثانية لها قيمتها و عليهما التحرك بأقصى سرعة و هذا هو تحديهما الأكبر ، و هنا وصل عمر هاتفا بحدة دون مقدمات :
- ماذا يحدث ؟ ما بها جيجي ؟! لقد رأيتها تغادر المنزل راكضة و تبعتها إلى هنا ..
هرعت ناحيته سائلة بلهفة :
- هل أخبرت والداي أو فيفي ؟
حرك رأسه نافيا :
- كلا لقد تحركت خلفك مباشرة ..
بانتهائها من إخباره بكلمات موجزة كان مراد يستعد للمغادرة قائلا لشقيقته الذاهلة :
- اخترعي أي سبب لندى لتبقى هنا نريفي ، لا أريدها أن تعلم عن طفليها حتى نأتي بهما سالمين بإذن الله ..
أوقفته نظرة شاهين التي فهمها فردد رافضا بحدة :
- لا ، هذا لن يحدث ..
رد الآخر شارحا :
- وجودها ضروري مراد ، لا بد أن يراها لنضمن سلامة الطفلين أولا ثم نتفرغ له ..
فهمت جيّدا أنهما يتحدثان عنها و زوجها يعقد حاجبيه بصرامة عنيدة فتدخلت قائلة :
- سوف آتي مراد و لست خائفة لان الله لن يتخلى عنا و أنت معي ستحمينني كالمعتاد ، لقد قالها صريحة و هو لا يمزح ..
عندها هب عمر قائلا بإصرار مماثل :
- و أنا سأرافقكم و هذا غير قابل للنقاش ..

أشاح مراد برأسه نافذ الصبر و اتجه للخارج حتى يستقبل خالد فور وصوله اختصارا للوقت الذي يركض متناقصا ..

عشرون دقيقة إضافية و كانت السيارتين تلتهمان الطريق إلى منزل خالد بسرعة مخيفة ، الأولى يقودها عمر الذي طلب من سُلاف تغطية غياب شقيقتها عن والديها و سيخبرها بالسبب لاحقا ، يجاوره مراد و في الخلف جيّدا أما الأخرى فبقيادة خالد الموشك على الانفجار غضبا بعد معرفته للخداع الذي تعرض له من قِبل قاتل محترف مطلوب لأغلب الأجهزة الأمنية على مستوى دولي و ما يحرق قلبه أن طفليه بحوزته يحتل المقعد المجاور شاهين المستمر بإجراء اتصالاته مع رجال السفارة الموشكين على الوصول بدورهم لنفس الوجهة ..

❖❖❖

شعرت ندى بالغرابة لتصرف خالد الذي ادعى انشغاله بمعاينة عاجلة لشخص من معارف مراد تعرض لحادث لهذا تركها هنا توفيرا للوقت على أن يعود إليها بعد انتهائه كما طمأنها انه اتصل بالمربية التي أخبرته كون عاصم و لانا نائمين و هي باقية معهما ..

حاولت الاستفسار أكثر عن ما يحدث لكن نرفين شغلتها بأحاديث جانبية شاركتها فيها ناريمان حول رأيها في التحضيرات القادمة من اجل الزفاف الكبير ..

❖❖❖

دلف الرجال الثلاثة للمنزل بينما بقي عمر مع جيّدا في سيارته ..

بعد معاينة سريعة للردهة لم يجدا أثرا للمقاومة و صار لديهم تصورا مبدئي لما حدث سأله شاهين :

- ماذا تعرف عن الضحية ؟

رد خالد بعد فحص سريع لجثة المربية معلنا وفاتها :

- أرملة تعيش وحيده ، تعمل مربية لتعوض إحساسها بالامومه و تؤمن عيشها فلم يكن لها غير زوجها الراحل ..

رد مراد بصرامة :

- لا نمتلك الوقت لإخبار السلطات هنا و لا مناص من الاعتماد على أنفسنا في هذه العملية ، سنقوم بها وحدنا دكتور ، أرجو أن تثق بنا ..

ضغط خالد فكيه قائلا بحزم :

- لا اهتم لشيء غير أولادي و سأكون متواجد خطوة بخطوة حتى احملهم بين يدي ..

بهذه الأثناء كانوا يسابقون الزمن بجدية و كل برهة لها ثمنها الباهظ ، أوكلت مهمة تأمين المنزل و نقل الجثة للبحث عن أي أقارب لاستلامها بعد التحقيق و الإجراءات اللازمة إلى العميلين المرسلين من قبل السفارة كما أمداهم بالسلاح اللازم ..

- علينا المغادرة سيد خالد إن كنت ترغب بمصاحبتنا فالوقت يداهم دون رحمة ..

❖❖❖

أعاد عليها العبارات للمرة الثالثة فردت تطمئنه :

- لقد فهمت مراد ، الخاتم في إصبعي و ساعة يدك تلتقط الإشارة و سأفعل ما يلزم كما اتفقنا ..

لم يكترث بمن حوله و جذبها إليه ساحقا إياها على صدره بعنف بعيد عن العاطفة لكن بغرض بثها الأمن و كونه متواجد حولها بينما النار متقدة في صدره ترفض المجازفة بها ..

أجلسها شاهين في سيارة الأجرة التي يقودها احد العملاء ثم مال إليها قائلا قبل أن يغلق الباب :

- كوني حذره و لا تستفزيه بأي صوره ، في نفس الوقت لا تشعريه بخوفك فهو مثل غيره من الضواري يتغذى على رائحة الخوف ، ستنتصرين عليه بقوتك و اطمئني سنكون حولك أومأت صامتة لتنطلق بها السيارة و مراد يتابعها بلوعة عينيه المكبوتة كأنه يجتث قطعة من قلبه بيديه ..

تابع عمر ما يحدث بعدم تصديق ، كأنه انتقل من الواقع لداخل احد أفلام الاكشن و المغامرات! انضم للثلاثة و قد تألق العزم بعيونهم ليضربوا لبعضهم وعدا صامتا بالانتصار ثم غمغم بهدوء كأنه يحمي رهبة الصمت المحيط :

- ماذا سنفعل الآن ؟

كتف مراد ساعديه أمام صدره قائلا بثبات :

- سننتظر ثم نتبعها على مسافة بعيدة لأنه سيتأكد أنها وحدها قبل أن يقرر الظهور ..

رد عمر قائلا بحيرة :

- لكن كيف ظن بإمكانية النجاح في خطته المجنونة و أخذها من تحت أنوفنا جميعا ؟!

أجابه مراد بغيظ مكتوم :

- لقد اعتمد على عنصر وفاته الخادعة ليتحرك

بهدوء و يعد كل شيء دون إثارة الريبة ثم يصل للخطوة النهائية نظرا لكوننا نلعب بعيدا عن أرضنا ، انجح الخطط دائما تكون ابسطها عمر و كلما اتبعت البديهيات يتشتت خصمك و هو الآن يمارس هوايته المفضلة ، اللعب بأوراق مكشوفة متحديا الجميع فهو لا يحبذ الفوز السهل و يعشق التباهي بذكائه حد الهوس ..

اتبع شاهين بنظرات قوية :

- و هذا ما سيوقع به هذه المرة أيضا لكن دون خطأ يتوارى خلفه ، لقد تحرك الجميع في وقت قياسي و المفاجأة ستكون من نصيبه ..

❖❖❖

استقامت جيّدا في جلستها بتحفز شاعرة بالخوف لكنها تحاول تخطيه ، لن تخذلهم و ستساعد بكل طاقتها ..

رفعت رأسها بإباء و أخذت تتمتم بالأذكار و الأدعية ليطمئن قلبها بذكر الله ..

تعالى رنين هاتفها فسارعت تجيب لتسمع صوته القميء يتردد :

- ممتاز عزيزتي ، كنت اعلم انك ستختارين حماية الصغيرين و تنفذي أوامري ، فهذه المثالية الحمقاء هي ما يقود أعمالي للنجاح الباهر على الدوام ، اطلبي من السائق التوقف و ترجلي من السيارة ، أمامك شارع طويل امضي لنهايته ثم انعطفي لليسار و عند أول إشارة سير استقلي سيارة الأجرة التي ستجدينها منتظره و لا تحدثي السائق ..

فعلت ما طلب منها بقلب واجف و ساقين واهنتين ، بحثت بنظراتها حتى وجدت ضالتها كما اخبرها و بمجرد استقرارها على مقعد الراكب انطلقت السيارة بينما عيونها الغزلانية تتابع كل ما يمر عليها في الخارج بنهم لا ترغب أن يفوتها اقل هفوة ..

❖❖❖

تلقى مراد تقرير العميل سائق الأجرة عندها شد قامته قائلا :

- سننطلق الآن و نتبع مسارها ، دكتور خالد ستتبعنا بسيارتك و تكون مستعد للخطوة التالية تحركت السيارتين بشكل غير لافت للنظر بينما خالد يحاول عصر دماغه لعله يتوصل لعنوان أو معلومة ما قالها ذلك الوغد أثناء لقاءاتهم دون فائدة ، لن يسامح نفسه أبدا على تعريض عائلته

للخطر ، يتمنى لو كان أمامه الآن حتى يعيد تشكيل ملامحه بقبضته هذه المرة ..

❖❖❖

على مشارف إحدى المدن الصناعية توقفت السيارة التي تستقلها الفتاة بصمت تام منذ بدأت الرحلة ليدوي هاتفها بالرنين من جديد فأجابت قائلة بوجل :

- لقد فعلت ما طلبته ..

ردد بصوت واثق :

- اعلم حلوتي فانا أراكِ ، الآن ترجلي و اتخذي الطريق الرئيسي دون توقف حتى أخبرك ..

ألقت نظرة من النافذة ثم قالت بتلعثم :

- لكن الخارج يبدو مقفرا و مظلم ..

اتبع قائلا بصبر :

- لا تخافي أخبرتك إنني أراك ، لن يصيبك مكروه لكن عليّ التأكد انك بمفردك تماما جيدتي ، هيا نفذي فأمامك مسافة لا بأس بها لتقطعينها ....

استمرت بالسير لفترة طويلة حتى آلمتها قدميها ، تتلفت حولها باحثة دون جدوى ، فالمكان مخيف و فارغ ، ظلام الليل الدامس يصور لها ظلال الأشجار على الجانبين كأشباح تنوي الانقضاض عليها ، حمدت ربها على أضواء أعمدة الإنارة المتناثرة ، على الأقل هناك ما يبدد هذا البهيم المحيط بها ..

رفعت عيونها للسماء باحثة عن صديقها المتواري خلف الغيوم التي تحالفت ضدها !

ثم تفرع الطريق أمامها فوقفت حائرة لأيهما تتجه ؟ لكن قبل أن تهم باتخاذ يمينها خرجت سيارة من المنعطف المقابل كأنما شقت العدم و قطعت طريقها لتتوقف مع شهقة المفاجأة و قلبها يقفز بجنون يقود أنفاسها بسرعة خطرة ..

أبصر الخواء يحيطها من كل النواحي لهذا ظهر أخيرا بعد تأكده أن لا احد يتعقبها ..

استقام بمواجهتها قائلا بانتصار :

- مرحبا جميلتي ، ها قد تقابلنا من جديد ، لقد تعادلنا لأنك أتيت بقدميك لهذا لن آتي على ذكر مغادرتك السابقة (ثم مد كفه آمرا) هاتفك ..

سلمته إياه طواعية فتابع مشيرا برأسه :

- اصعدي إلى السيارة ..

ازدردت لعابها بتوتر لكن حاولت استحضار قوتها قائلة بنبرة بثتها كل ثباتها :

- أين عاصم و لانا ؟
أجابها ببساطة :
- إنهما بأمان ، سيعودان بعد مغادرتنا ، اطمئني لا مصلحة لي بإيذائهما ..
حركت رأسها نافية و تحدثت بعناد :
- كلا ، لن أتحرك معك سوى بعد الاطمئنان أنهما سالمين و قد أصبحا مع والديهما ..
أطبق جفنيه يستجلب هدوئه :
- جيّـدا ، أنا لا أحب معارضة أوامري ..
تابعت بقوة تحسد عليها :
- لكني لا أثق بك ، عليك فعل شيء يجعلني أصدقك ..
واجهها بعيون ضيقة فبادلته النظر بصلابة فاجأتها هي نفسها قبل أن تشيح وجهها فاخرج هاتفه ملقيا تعليماته للرجل الآخر قائلا :
- اترك الطفلين كما أخبرتك (منحها نظرة ساخرة قبل أن يتبع) سالمين ..
عاد يطلب منها التوجه للسيارة مرددا :
- ها قد فعلت ، هيا لنتابع طريقنا ..
كتفت ساعديها أمام صدرها قائلة بحزم :
- ليس قبل أن يصلا ..

ضغط على فكه و تابع بهدوء مستثار :
- تعلمي أن بإمكاني حملك عنوه فلا تستنفذين قدرتي على الصبر حبي ..
رفعت رأسها تجابهه بتحدي :
- هذا لا شك فيه ، لكنك تريدني معك راغبة و هذا لن يحدث إلا بشروطي ..
لاحت شبه ابتسامة على جانب ثغره مردفا :
- لكن ذلك سوف يستغرق وقتا ..
أشارت بكفيها ثم جلست فوق صندوق سيارته قائلة :
- سوف أنتظر ..

❖❖❖

انتهى شاهين من محادثة صالح المطلع على الأخبار أولا بأول بينما زم مراد شفتيه بتركيز بالغ على تلقي تلك الإشارة الوامضة فوق سطح العاكس لساعة يده متتبعا مسارها بدقة مع الحفاظ على مسافة كافية تتيح للعيون الراصدة الاطمئنان لخلو الساحة من الفضوليين رغم أن ذلك يستنزف أعصابه و بعدها عن عينيه يدفع بعقله لحافة الهاوية ناهيك عن كونها الآن بصحبة مجرم محترف و مصاب بجنون العظمة و فوق ذلك مقتنع بأنه يريدها ..

بهذه اللحظة وصلت رسالة لهاتف خالد مفادها (اذهب للعنوان التالي ستجد سيارة بيضاء في انتظارك ..)

سارع بإبلاغ رفاقه فرد مراد قائلا :

- ممتاز ، هذا يعني نجاحها في الخطوة الأولى ، اذهب على الفور خالد و اترك الاتصال بيننا مفتوح ..

سأل عمر بتوتر :

- هل هذا يفسر ثبات الإشارة ؟

أومأ شاهين بالإيجاب قائلا :

- اجل كما آمل ، لقد أجبرته على الانتظار و هذا في صالحنا ..

غمغم مراد بسوداوية :

- أو اكتشف الجهاز و تخلص منه ..

حرك شاهين رأسه بنفاذ صبر لكنه يقدر حالته الانفعالية :

- تفاءل بالخير يا رجل ، أنا أكيد من فرضيتي ..

دمدم الآخر بنبرة غاضبة :

- لا أتمنى غير ذلك صدقني ..

❖❖❖

وجد خالد السيارة المشار إليها متوقفة و تبدو خالية فهرع إليها متفحصا ، كاد قلبه أن يتوقف عندما وقع بصره على طفليه مستلقيان داخلها باستكانة ..

استجاب بابها لقبضته الملهوفة و بلمسات خبيرة قام بفحصهما سريعا ليزفر قائلا بينما يستعيد أنفاسه :

- إنهما معي سالمين لكن مخدرين و يغطان بالنوم ..

وصله صوت الشباب يحمدون الله على تخطيهم تلك العقبة ثم ردد مراد :

- شكرا على تفهمك خالد ، كما اتفقنا اصطحبهم للمنزل أولا ثم اذهب لجلب زوجتك عندها لن تجد ما يريب و لا داعي لتخبرها حتى لا تجزع دون طائل ..

رد قائلا بامتنان :

- بل الشكر لكم فلن اغفر لنفسي سماحي له بالعبور من خلالي بهذا الشكل ، لكني أود الانضمام إليكم حتى تعود جيّدا سالمة بدورها ..

وصله الصوت القوي النبرات مؤكدا :

- صدقني سنتصل إذا أردنا الدعم ، اهتم أنت بأسرتك و لاحقا سنحتاجك في السفارة لتدلي بأقوالك ..

❖❖❖

ظللهما الصمت لفترة قبل أن تزيحه قائلة بعفوية :

- أتعلم أن وجهك لم يختلف كثيرا ، كنت سأعرفك بسهولة لو قابلتك ..

ابتسم بخفة قبل أن يقول :

- هذا لأنك مميزة عزيزتي و إلا لما فعلت كل ذلك لأجلك ..

أسندت ذقنها فوق قبضتها المضمومة متسائلة :

- لما تقوم بذلك ؟

أردف بمكر يجيده :

- ماذا ؟ اتبعك ؟

حركت رأسها نافية :

- كلا ، تعرف مقصدي ..

انطلقت ضحكته للمرة الأولى أمامها مرددا :

- الحياة عبارة عن مغامرة كبرى لكل منا دوره بها ، هناك أوجه أخرى للعبة لا تدركينها عزيزتي ، انه عمل مثله كغيره من الأعمال ذات الطابع الخاص ، لكني أتفرد بكوني فنان ، أنا و أنت متشابهان جيدتي لذا علينا البقاء معا ..

اقشعر بدنها نفورا من هذا التشبيه البغيض ، تزامن ذلك مع وصول الرسالة التي ينتظرها فردد بنظرة ظافرة :

- لقد وفيت بشرطك و الآن حان دورك ، سترافقينني راضية و تلتزمين بكل أوامري ..

قفزت من جلستها لتقف أمامه قائلة :

- أعطني هاتفي لأتأكد من خالد ..

مالت شفتيه بسخرية لكنه أشار بهاتفه قائلا :

- لك ذلك لتعلمي كم أنا لطيف و متفهم لكن ستتصلين من هنا و أنا من سيضع الرقم ..

رفعت حاجبها متحدية :

- ألا تخشى تتبع الرقم ؟

ضحك قائلا بتسلية :

- لا تهيني ذكائي جيجي ، نحن على ارض هذه البلاد سواسية ، إن شئت الدقة فالغلبة لي بينما هما لا نفوذ أو سلطة ، عندما يتمكنان من الوصول للسلطات المعنية و البدء في إجراءاتهم الغبية سنكون نحن بعيدا نحلق مع الطيور ..

❖❖❖

هتف شاهين بانفعال :

- لقد عاودت التحرك الآن ، أظنها محطتهم الأخيرة ..

أومأ مراد قائلا بحنق متزايد :

- اجل لقد حانت المواجهة أخيرا ...

جاورته و قد سيطر عليها هدوء غريب بينما ركز أحداقه اللامعة على الطريق المتسع أمامه بينما المركبة الأخرى في أعقابهما مع المحافظة على المسافة اللازمة بالطبع ..

انعطف إلى داخل الصحراء و اتخذ مسارا متعرج جعل أمر اقترابهم أكثر يسرا من الطريق المنبسط ..

ازداد توغلا داخل الفضاء الذي احكم حلكته فرددت بتوتر :

- من فضلك أشعل أضواء السيارة ، لا أحب هذا الظلام ..

أجابها بنبرة جامدة :

- اهدئي لقد شارفنا على الوصول ..

سحبت أنفاسها بصعوبة في محاولة للتماسك ، لكن كيف تفعل و الظلام الدامس يطبق عليها من كل جانب كأنما يود ابتلاعها فأخذت تتمتم راجية بشفتي مطبقتين : أسرع مراد ، لم اعد احتمل ..

توقف بغتة ثم ترجل مستعينا بضوء الكشافات

الأمامية ليتفقد الطائرة الصغيرة الرابضة في انتظاره و عندما تأكد أن كل شيء على ما يرام عاد إليها و جذبها إلى الخارج بينما تهتف راجية :

- مهلا ، إلى أين تأخذني ؟!

قادها أمامه قائلا بغلظة :

- اتفقنا أن لا أسئلة جيّدا ، نفذي بهدوء حتى لا تغضبيني ..

حاولت التملص منه يائسة لكنه احكم قبضته حول ذراعها بعنف يدفعها إلى المروحية غير مكترث بمحاولة تشبث قدميها في الأرض برفض عازم للتقدم معه حتى أوشك على حملها عنوه و قد ضاق ذرعا بمقاومتها التي نسفت يقينه باستسلامها من جديد ..

لحظه واحدة قد تكون فارقه و كافية لتبديل المشهد كليا و هذا ما حدث عندما اقتحمت كشافات السيارة الهادرة كعاصفة ثائرة ستر الوحدة و الخواء قبل أن يهبط منها الشابين بتناغم كامل كل يشهر سلاحه هاتفا بصرامة أن الأمر قد انتهى ..

لكنه لم يستحق لقبه من فراغ فقد كان يمتلك شراسة و وحشية القرش الفتاك مع دهائه و سرعة انقضاضه ، حسم الموقف في اقل جزء من الثانية و استدار متخذها درعا بشري أمامه و دون مقدمات رفع فوهة مسدسه المعد للإطلاق هاتفا بظفر :

- يا لحسن حظي ستتحقق رغبتي الثانية في نفس الليلة السعيدة ، لك دين عندي و ستتسلمه الآن لأنتهي منك للأبد ..

ثم أطلق الرصاصة التي أصابت هدفها و تطاير رذاذ الدماء الحارة يصبغ رمال الصحراء ..

اختلطت صرختها الملتاعة مع أنّة مراد المكتومة ، كل ذلك حدث في ومضة بدت أسرع من البرق ، ما أن أبصرت كفه يطبق بعزم على السلاح المعدني و يصوب تجاه توأم روحها حتى هتفت رافضة :

- كـلاااا ..

ثم دفعت ذراعه ليختل تصويبه و تحيد الرصاصة عن هدفها للمرة الأولى في تاريخه المهني الحافل و تصيب عظمة الترقوة في المنطقة بين الكتف و أعلى الذراع بدلا من الرأس ..

بنفس الوقت هدر شاهين ساحبا صمام الأمان يأمره بالتوقف و الاستسلام ناظرا لرفيقه الذي لم يكترث لجرحه المتفجر بسائل الحياة و استمر في التقدم بصدر مفتوح شاهرا سلاحه بعزم على عدم التراجع حتى لو فقد روحه هذه المرة و دماءه تسيل على طول ذراعه راسمة مسار خطواته فوق الرمال التي أبت ابتلاعها لباطنها ..

صر شاهين على أسنانه بقهر فهو غير قادر على التصويب خشية إصابة جيّدا نظرا لوضعهما القريب و الظلام ..

جن جنون يعقوب بسبب الفشل الذي يزدريه و قد صار مرادفا للقائه بهذا الرجل الذي يتقدم منه غير عابئ بتهديده عندها صرخ بوحشية بينما يغير اتجاه الفوهة التي صارت الآن ملتصقة برأس الفتاة ..

- خطوة إضافية لأنسف رأسها أمامك و سيكون ذلك سدادا كليّ لدينك أيها العاشق ..

جمدت أقدام مراد و شاهين في حين تابع الآخر آمرا :

- ألقيا سلاحيكما بعيدا ..

كانا يمتلكان قدرا كافيا من الخبرة ليدركا انه لا يمزح أو يناور بل سيقدم على قتلها بدم بارد لذا نفذا طلبه دون تفكير و قام كل منهم بإلقاء سلاحه دون لحظة تردد ..

عندها ارتفع صوته بضحكات هستيرية و قد احكم ذراعه حول خصر جيّدا المرعوبة على حبيبها و عيونها لا تحيد عن الخيط القاني السائل من ذراعه ..

هدر صوته الشامت عاليا :

- هذا هو وضعكما الصحيح ، تعرفان كوني لا اخسر مطلقا ، تقبلا مصيركما القادم بصمت فقد أزعجتماني بما فيه الكفاية ..

ثم أزاح فوهة المسدس عنها و اتخذ وضعية التصويب دون أخطاء هذه المرة ..

في اللحظة التي حرك السلاح بعيدا عن رأسها دوى صوت رصاصة قاتلة سكنت منتصف الجبهة صانعة ثقبا منتظم صاحبه صرخة الفتاة التي نالت كفايتها من الرعب لعمر كامل ، توقفت نبضات الأربعة لثانية ثم عادت تضرب صدور ثلاثة منهم بينما صمتت عند الرابع للأبد ..

خطوة واحدة كانت كافية لمراد حتى ينتزعها و يزرعها على صدره بعنف لا يكترث لمعرفة شيء سوى كونها آمنة بين ذراعيه أو بالتحديد ذراعه السليم ، بينما شاهين يتفحص جثة يعقوب الجاحظة العينين و نظراته تحاول اختراق الظلام بحثا عن مصدر إطلاقها الذي لم يكن لأيا منهما .. !

عندها تحرك الظل المستند على هيكل السيارة ليدخل بقعة الضوء قابضا على مسدسه المرخص قائلا :

- أنا لا زالت هنا يا رفاق (ثم أشار لجثة يعقوب و تابع بسخرية) لقد استهان بي الوغد و لم يحسن استقبالي ، المسكين لا يعلم إنني الحائز على المركز الأول في الرماية لثلاث سنوات على التوالي ..

زفر شاهين هاتفا بارتياح :

- سررت بلقائك للغاية عمر ..

أومأ له بامتنان بينما يتقدم من مراد قائلا باهتمام :

- أنت بخير ؟ علينا التوجه للمشفى في الحال ..

قوله جعل الفتاة المستكينة على صدره تجفل متذكرة إصابته و تبتعد خطوة للخلف هاتفة :

- يا لغبائي ، كيف نسيت كونك مصاب ، أخبرني كيف تشعر ؟

منحها ابتسامة عينيه قائلا :

- بخير حبيبتي اهدئي إنها إصابة بسيطة في الكتف ليست بالشيء الخطر ..

ثم استدار ليشد على كف عمر مصافحا بتقدير كبير :

- أحسنت يا رجل ، أنا مدين لك و قد أعدت إليّ حياتي ..

ابتسم الآخر قائلا :

- لا تنس أن حياتك تلك بمثابة أختي و شقيقة زوجتي المستقبلية ..

ضحكت جيّدا نافضة التوتر عنها قائلة :

- انتظر حتى تعرف سُلاف ، ستقيم لك تمثال ..

انتهى شاهين من إبلاغ السلطات المعنية عن مكان الطائرة و الجثة التي ترك معها ما يفيد عن هويتها الحقيقية و قام عمر بجمع الأسلحة ثم عادا للسيارة و قد انتهى الكابوس أخيرا ..

احتل هذا الأخير مقعد القيادة مجددا يجاوره شاهين بينما استرخى مراد في الخلف معه جيّدا التي صنعت ضمادة سميكة من المحارم الورقية

تضغط بها على الجرح و بالوقت نفسه تتوسد صدره كأن مجرد ابتعادها عنه يصيبها بالبرودة في حين كان هو سعيد بهذا الوضع و يتجاهل إحساس الدوار الذي يداعب رأسه نتيجة كمية الدماء التي فقدها ...

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

توطدت العلاقة بين خالد و بقية الشباب اثر المحنة التي جمعتهم حتى انه نصّب نفسه مسئولا عن العناية بجرح مراد الذي لا يعرف باقي أفراد العائلة السبب الحقيقي خلفه بعد مرور أسبوعين كاملين من تنقله بذراع معلق في حامل حول عنقه ..

لكن ليس سُلاف بالطبع فهي لا تقبل أن تكون بمنأى عن أي حدث يقع بمحيطها و قد أعلنت كونها صارت تفضل عمر على سائر أبطال مسلسلاتها و ذلك يعد انجاز غير مسبوق يحققه الشاب ...

❖❖❖

- ماذا تفعلين مانو ؟ هل صدقت نفسك يا حمقاء! لقد ابتعت جهاز عرسك من قبل و انتهيت اتركي من يدك و تعالي ساعديني ..

هتفت بها سُلاف الحانقة من ابنة عمها في حين التفتت الأخرى و رددت باسمة :

- اخفضي صوتك يا مغفلة ، ماذا تريدين مني ؟! مركز التسوق بأكمله أمامك اختاري ما يحلو لك ، أنا سأدلل نفسي بأغراض جديدة ، لما لا تذهبي لنرفي و جيجي هناك و ترحميني من إزعاجك لبرهة فقط ..

قلبت شفتيها قائلة بطفولية :

- هكذا إذن أيتها الناكرة للجميل ؟! الم أساعدك في اختيار كل شيء عند زفافك الأول !!

أعادت ما تحمله بيدها قائلة باستسلام :

- حسنا يكفي إذلالا ، تفضلي يا أميرة لنبتاع لك أولا ، بما تريدين البدء ؟

أشارت إلى احد المتاجر الذي يحمل علامة شهيرة تختص بغلالات النوم قائلة :

- أريد من هذا لكن اخجل من الدخول ..

حدجتها بنظرة مضحكة قبل أن تردد بعدم تصديق :

- تمزحين صحيح ؟ لابد إنني أصبت بالهذيان و صرت أتخيل ، أليس أنت من اختار لندى العديد من القطع و من هذا المتجر تحديدا ؟!

أومأت توافقها قائلة ببراءة :

- بلى لكن هذا كان لندى فلما اخجل أنا ! بينما الآن كلما تخيلت أن عمر سيراهم أتمنى لو تنشق الأرض و تبتلعني ، مانو أنا خائفة منه ..

صدحت ضحكات الفتاة الأكبر على تعبير وجهها الطفولي قائلة بمرح :

- من عمر !! يا الله انك تقودينه للجنون ركضا يا فتاة و سوف تديرينه حول إصبعك ..

نهرتها بنظرة حانقة و اتبعت :

- تدركين قصدي يا .. يا .. متزوجة ..

لم تعد قادرة على التماسك و ستثير فضيحة لو أطلقت لضحكاتها العنان ، لقد نطقتها فيفي كما لو كانت سُبة بينما تكشر ملامحها معلنة استيائها :

- حسنا ، ماذا افعل لأطمئنك ؟ ليس عليك الخوف أبدا انه أمر لطيف ، ثقي بي ستحبين الزواج من عمر و سوف تسعين إليه لاحقا ..

اتسعت عينا سُلاف التي شهقت باستنكار بينما تردد بخفوت :

- أوه لقد أصبحت غير مؤدبة يا فتاة ، هذا ما خشيت منه ، أساسا أنا لم أرد الزواج ، ما بها الخطبة ! لكن بابا يصر ، أتظنين عمر يرضى أن أحبه و نظل صديقين ؟

اهتز كتفيّ أماني إعلانا عن نوبة الضحك التي تسيطر عليها بصمت و عندما تمكنت من تجاوزها منحتها نظرة ذات مغزى قائلة ببراءة :

- لما لا تسألينه هو ؟ بل انتظري اجليها لبعد الزواج عندها سيرد عليك بكل وضوح ..

ضيقت عيونها هاتفة :

- أنت شريرة ..

أومأت الأخرى قائلة بعبث :

- جـــدا ..

قادتها بخطوات طفولية قائلة :

- حسنا سوف أتصرف وحدي ، هيا أمامي و إياك أن تختاري أشياء وقحة ..

حركت أماني حاجبيها بتوعد صامت بينما هرعت تسبقها إلى المتجر المنشود ..

بالجانب المقابل استغرقت جيّدا في اختيار مجموعة عطورها الجديدة و قد حرصت على إبعادها عن انف نريف التي صارت تكره كل الروائح في هذه المرحلة المبكرة من حملها الذي أعلنته على الجميع و صار شاهين يسير متفاخرا في كل مكان حتى والدته قطعت رحلتها لتركيا و عادت بمجرد أن اخبرها في الهاتف لكن كان الغرض من سفرها قد انقضى و طاهر قابل أفراد عائلتها الصارمين معلنا طلبه الزواج منها و حصل على الموافقة بعد تواصلهم مع شاهين و تأكدهم من ترحيبه بالأمر ..

قضت الفتيات وقتا ممتعا في التسوق لتجهيز الثلاث عرائس بينما ناريمان فضلت الخروج برفقة زينب و زهره و حدهم بعيدا عن صخب الشقيات و كانت الضحية هي والدة خالد التي أوكل إليها مهمة العناية اليومية بعاصم و لانا لان ندى و والدتها قد انضمتا للمرح فلن تضحيان بهذه الفرصة بالطبع ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

- لو قصصت ملي من شعرك سيقص عمر عنقك بعدها ، تعقلي ..

قالتها جيّدا لشقيقتها الجالسة أمام مصففة الشعر المنشغلة بالعناية بخصلاتها قبل الزفاف الذي لم يتبقى عليه سوى يومين ..

عندها تذمرت سُلاف البادية التوتر قائلة :

- جيجي أنا لا احبك ، انه شعري أنا ما دخل عمر ! أريد الظهور بطلة جديدة كما سأصبغ خصلات شقراء ..

شهقت نرفين هاتفة بنظرات مرعوبة :

- إياك أن تفعليها ، يا الهي يجب السيطرة على نفسك الأمارة بالسوء يا فتاة ، لون بشرتك لا يليق به هذا الهراء ..

ثم وجهت حديثها للمرأة المنهمكة بعملها قائلة بلهجتها الشامية اللذيذة :

- حذار أن تستمعي إليها ، إنها ليست بحالتها الطبيعية بل تهاني رُهاب الزواج ، اتركي شعرها على حاله و إلا قاضيتك ..

أومأت السيدة قائلة بسرعة :

- اطمئني سيدتي لم أكن لأفعل فشعرها جميل على حاله و لا يحتاج للعبث به ..

أطبقت سُلاف شفتيها بتكشيرة هاتفة بطفوليتها المعتادة :

- أكرهكن جميعا ، انتن لسن طيبات أبدا ..

الرد الوحيد الذي حصلت عليه كان دفعة الضحك الصاخب المنطلقة من الفتيات المحتلات إحدى صالات مركز التجميل و التي خصصت لهن بالكامل حرصا على الخصوصية ..

عصر اليوم التالي كان موعد عقد القران الجماعي الذي تقرر إقامته في منزل رضوان لأنه الشقيق الأكبر و قد تم بالفعل زواج طاهر و ناريمان صباح اليوم نفسه داخل السفارة التركية ..

تكفل رضوان بإحضار الشيخ بحجة عدم إزعاج شقيقه و إبعاده عن عروسه التي ظهرت أصغر من عمرها بسنوات عدة حتى أن أقاربهم لن يصدقوا كونها والدة ذلك الرجل المهيب الملقب بالصقر شاهين ..!

و بالطبع أعاد رضوان الاتفاق على المأذون الذي أبدى تفهما كامل للوضع الذي عاصره بنفسه ..

صدحت الزغاريد بتناغم تام مع زينة المنزل و عناقيد الأضواء الوامضة بألوان قوس قزح تكسيه من الخارج برداء الفرح و بالمثل كان منزل طاهر قبل انتقال الجميع لمساعدة زهرة المتوهجة لزواج بناتها معا بما فيهم أماني ..

أعدت طاولة في صدر الردهة عليها باقات من الأزهار النضرة توسطها الشيخ الوقور بعيون جذلة و قد قام بعقد جميع زيجات هذه العائلة منذ كان بمطلع شبابه حديث العهد بالعمل ..

اعتكفت الفتيات في الطابق العلوي يرتدين أثوابا موحدة اللون و التصميم تبعا لفكرة سُلاف و قد راقت لهن خاصة أن حفل الحناء سيبدأ عقب القران مباشرة بينما استقر الشباب الثلاثة في الأسفل بمهابة و رجولة طاغية يحوطهم المقربين من الأصدقاء و أفراد العائلة ..

صدح صوت رضوان قائلا :

- لنبدأ بأدهم و أماني لأنها كبرى الفتيات سنا ..

تقدم الشاب بعيون ينطلق منها الفخر و السعادة ليتخذ مكانه للمرة الثانية لكن هذه المرة أمام السيد طاهر نفسه و قد بدا فرحا راضيا بينما يردد عبارات الشيخ بعد انتهاء الشاهدان من سؤال الفتاة التي أوكلت والدها عنها كما تمنت أن تفعل دوما ..

تم الأمر بسلاسة و قام كل من عمر و خالد بالتوقيع كشاهدي العقد للمرة الثانية عندها تلقى ادهم عناق صاخب من أفراد العائلتين و عيون والده تشع زهوا بابنه الذي صمد للنهاية حتى حصد ثمار صبره مع كل الرضا الذي يستحقه ..

تبادل رضوان و طاهر الأماكن عندما حل دور جيّدا و مراد الذي أعرب عن عزمه في العقد بالطريقة المعتادة خارج السفارة منعا لتساؤل المتواجدين الذين لا يعلمون انه متزوجا بالفعل داخل بلاده و لا يجوز ازدواج التوثيق ..

اجلي الشيخ حنجرته قائلا :

- المعذرة كانت هذه آخر وثيقة في الدفتر لذا سنبدأ آخر جديد ..

أعاد خالد صعوده للدور العلوي لكن هذه المرة مع شاهين لسؤال جيجي التي فعلت مثل أماني و أوكلت عنها والدها ثم مرت نفس الخطوات ليكون للفتاة وثيقة زواج صحيحة و موثقة في بلادها بالإضافة للأخرى التركية مع اختلاف أن هذه كانت أكثر بهجة و عايش كل الأطراف مراسمها ..

أخيرا حان دور الشقية سُلاف ليقفز عمر أمام الرجل هاتفا بنفاذ صبر :

- أسرع يا سيدي بالله عليك لقد وصلت روحي إلى الحلقوم كما أخشى أن تهرب العروس ..

تصاعدت الضحكات الرجولية من حوله في حين رد الشيخ بمهابة :

- تريث حتى يأتي الشاهدان بالوكالة ..

عندها تحرك ادهم مع مراد إلى حيث تنتظر العروس في الردهة العلوية و كل منهما يتحرق شوقا لرؤية عروسه بالذات ادهم بعد أن أقامت عليه أماني حظر تجوال شامل لأكثر من أسبوعين رافضة لقاءه حتى يشتاق إليها ، كأن ينقصه مزيدا من الشوق !! لكن خاب أملهم فقد تحصنت الفتيات بعناد خلف الباب المغلق كما تقف عليه السيدات بحراسة مكثفة من الخارج .. بالكاد استطاعت سُلاف النطق باسم والدها حتى عاد الشاهدان لتبدأ إجراءات العقد الثالث يتبعه نفس التهاني و العناق الرجولي الحار ..

دارت أنواع المقبلات و الحلوى مع كؤوس العصير المتنوع بين الجميع لفترة حتى أعلنت السيدات الاستنفار العام بوجوب خروج الرجال من المنزل بشكل كامل ..

تذمر الشبان الثلاثة ملتمسين السماح لهم برؤية عرائسهم لكن قوبل ذلك بالرفض القاطع حتى طاهر الذي لم يرى ناريمان منذ اقلها لمنزل شقيقه عقب زيارة السفارة !

- كلمة واحدة و لن أكررها ، الجميع إلى الخارج ،عندكم منزل السيد طاهر اذهبوا و احتفلوا هناك ، لا أريد شيئا مذكرا في المنزل حتى الغد هل فهمتم ؟ عثمان هيا مع ابنك و رفاقك تصاحبكم السلامة ..

قالتها زينب بصرامة و قد رافقتها زهرة توافق على كل كلمة فلم يجد أزواجهن و لا الأبناء شيئا يقال سوى الانسحاب الآمن أفضل من حدوث ما لا يحمد عقباه ..

التفت خالد و شاهين قائلين في نفس الوقت :

- و نحن أيضا !!

ردت زهرة باسمة بإغاظة :

- بالطبـــع ، الجميع تعني الجميـــع أعزائي ..

❖❖❖

فاضت السعادة مغرقة المنزل بمن فيه و قد تعالت الأغاني يرددها الجميع و يرقصون دون توقف في تعبير صاخب عن الفرحة الموغلة داخل الأنفس .. عندما وصلت الحنّانة (السيدة التي تنقش الحناء) قفزت أماني قائلة بابتهاج :

- لم انقش في السابق خشية أن يراها بابا عند عودته من السفر لكني سأعوض الآن ...

انتقلن إلى غرفة جانبية طلبا للخصوصية ، ناريمان ظلت في الخارج مع السيدات رافضة أن

تضع الحناء بوقار يليق بها بينما الفتيات تسابقن على اختيار الرسومات ..
اختارت أماني نقش رقيق يليق بنعومتها و حالميتها و بينما ترسم لها السيدة وردة متفتحة على الجزء العلوي من بشرة الصدر اقتربت سُلاف بعيون متسعة تهتف شاهقة
- الم اقل انك صرت غير مؤدبة بتاتا ! ماذا تفعلين ؟!
قبل أن ترد الفتاة الضاحكة كانت جيّدا و نرفين تكبلان الشقية هاتفتين بعبث :
- و أنت ستفعلين مثلها ..
لكنها صرخت قائلة :
- كـلا ، لا أريد ، لن افعل ..
كل ذلك ذهب أدراج الرياح فقد استمرا بتكبيل ذراعيها حتى نقشت لها السيدة التي تبارت معهن بالمكر سائلة :
- ما اسم زوجها ؟
هتفت سُلاف المحتقنة حياء و غيظا :
- إيـاك أن تفعلينها ..
لكن شقيقتها لم تكترث لها و شجعت المرأة قائلة بتأكيد :
- اسمه عمر ، ضعيه هنا فوق قلبها مباشرة فهو يسكنه منذ وعت على الدنيا ..
استمرت سُلاف بالتذمر فهددتها نرفين قائلة بمكر جلي :
- إن لم تصمتي سننقش لك في أماكن أخرى تجعلك تخجلين حقـا ..
عندها أطبقت فمها بشدة مع تمتمة حانقة اعتادتها مؤخرا :
- شريـرات جـدا و سأخبر والداتكن ..
تركتها جيّدا ترغي و تزبد بلا مبالاة و اختارت أن تنقش رسما زخرفيا على جانب ساقها اليمنى و الذراع المقابل و قد فعلت المثل كل من ندى و نرفي ..
عندما جفت الحناء و انتهى مهرجان النقش عاد الغناء و الرقص لساعة متأخرة من الليل الذي تأسف على الانتهاء ليشرق صباح سرق من شعاع الشمس بهجته و من دفء الربيع ألوانه و مرحه و رحب العالم باجتماع قلوب قُدر لها أن تلتقي و تجد في الحب ملاذا يعطر وجه حياتها ...

❖❖❖

دارت زهره مع زينب و قدرية في أرجاء القاعة الضخمة تشرفن على وضع الطاولات و تنسيقها بينما أحلام مع والدتي عمر و ادهم أوكلت لهن مهمة التأكد من وضع الجناحان اللذان تم حجزهما من قبل مراد و عمر و مدى جهوزيتهما لاستقبال الزوجين أما أماني و ادهم فسوف يتجهان إلى منزلهما مباشرة كما سيفعل طاهر و ناريمان التي ظهرت متألقة بطقم غاية في الأناقة باللون العاجي مع مشحات ذهبية خفيفة ..

❖❖❖

صدحت الموسيقى تستقبل وصول الوالدين الفخورين اللذان دلفا للقاعة بخطوات مهيبة ، رضوان في المقدمة يتوسط ابنتيه ، كل واحدة تشبك كفها بأحد ذراعيه بينما يخطو مزهوا بأميرتيه الفاتنتين و قد بدتا متشابهتين حيث اختارتا ثوبيهما بتصميم متقارب من الدانتيل الأبيض الطبيعي بأكمله ثوب سُلاف يغطي كتفيها بينما الخاص بجيّدا اكتفى بكتفا واحدا اخفت الأخر بوشاح لؤلؤي هش كنسيج العنكبوت ، ثم يضيق نزولا للخصر المذموم بحزام من الساتان عند فيفي و الفضي للامع لجيجي بعدها ينسدل بطيات متسعة مشكلا تنورة ملكية تصدر خفيفا ناعما مع كل خطوة من الجميلتين ..

يتبعه شقيقه طاهر بنفس المظهر تتأبط أماني احد ذراعيه بينما الآخر لزوجته الباسمة بعيون تتألق حبا و انتماء لهذا الرجل الذي قهر هواجسه في النهاية و عبر بأحلامه حاجز الزمن الذي طال أسره خلفه لكن العبرة بالخواتيم ..
يفخر بنصرها بحمل خاتمه المتربع على قمته جوهرة زرقاء تحسد بريق لون عيونها الوامض ..

في المكان المخصص وقف ثلاثة يعصف بهم الشوق و عيونهم تعكس إعجابا ساحقا بالرقة و الوداعة المجسدة بهؤلاء المتسربلات بالنقاء ..
ركضت نظرات جيّدا لذلك الشامخ في انتظارها حاملة غرامها المتقد دون أن تغفل عن غمزة عثمان الباسم كأنه يفي بوعده السابق لها ..

استقبلها مراد بابتسامة توق وشتها السعادة و الامتنان لأنها عملت على إرضائه بعد تأكيده عليها أن لا ترتدي ثوبا يرفع ضغطه و يجعله يخطفها من الحفل لكونه لن يطيق أن تقع العيون الفضولية على ما يخصه وحده ، يكفيه بهائها الفطري الذي يجذب الأنظار دون اضطرار لفعل شيء إضافي ..

تقدم يستلمها من والدها و يرفع كفها المزدان بنقش الحناء كما رآه بالسابق و جن ولعا به إلى شفتيه يلثمه بشغف حملته كل خلية منه لتخطو معه نحو مكانهما و ثوبها يتأرجح حولها بروعة ..

كاد عمر أن يتسرع و ينتزعها من ذراع والدها قبل أن يعطيه مراد المجال ، تلك المشاغبة التي تأبى النظر إليه لكنه لا يكف عن إشباع بصره و ملأ عينيه من الأنوثة المكتملة أمامه بينما تنكس عيونها عامدة ، يعلم أنها سترهقه لكنه مستعد لتحمل دلالها و مشاكساتها طالما هي بجواره أخيرا ، كما يعرف الوسيلة المثلى للوصول إلى غايته ..

استمع لكلمات عمه واعدا إياه بالحفاظ عليها بحياته قبل أن يميل لاثما جبينها برقة جعلتها ترفع عيونها إليه و قد شهقت باستنكار فضحك بمكر واعد أن الآتي أعظم ..

تقدم طاهر بزهرته الندية و حاملة أمانيه يسلمها لزوجها الذي اثبت انه يستحقها بجدارة قائلا :

- افتخر بك زوجا لابنتي ادهم ، أرجو أن لا أكون قد عذبتك كثيرا بنيّ ..

تناول كفها بين يديه قائلا :

- طالما أناملنا متعانقة انس ما مضى عمي ، إنها تستحق كل لحظة انتظار و مستعد لرهن عمري كله لأجلها ..

ثم مال لاثما جبينها و همس قائلا بنبرات لا يسمعها غيرها :

- ممتن لك حبي انك اخترت ارتداء ثوب زفافنا نفسه فلم تسنح لي الفرصة لتفحصه كما ارغب من قبل ..

شهقت بنعومة و زمت شفتيها معنفة بينما تخفي ابتسامتها الخائنة ..

بعدها قادها إلى مكانهما حيث أقمت " كوشه " ضخمة بشكل قوس ازدان بأكاليل من الأزهار المتنوعة ....

اقترب شاهين معانقا والدته بدفء و حنان كما لو كان والدها الفرح بزواج نجلته و قد اطمئن عليها مع رجل يحبها و يقدرها ،لا بد أن شعوره الأبوي الجديد يلح عليه ببدء الممارسة الفعلية .. لم يكن عدد المدعوين ضخما نظرا لقرابتهم فلو أقيم لكل زوج منهم حفلا مستقل لتواجد نفس الضيوف أنفسهم كل مره تقريبا مع اختلافات طفيفة لم تؤثر كثيرا في العدد و قد استوعبت مساحة القاعة الكبيرة ذلك بسلاسة ..

الجدير بالذكر أن الضيوف الأتراك اندمجوا و ذابوا بين الحضور ببساطة و يسر دون أي معوقات كأن تشابه الثقافة يفرض نفسه من جديد ..

كانت تجربة فريدة أن تتم المراسم المتعارف عليها بالتوالي بين الأربعة أزواج حيث أصر طاهر على اخذ دوره لذلك لم يكن هناك مجالا للملل أو الاعتياد بل تجديد مستمر ، ارتدت كلا من أماني و جيّدا هدية الزفاف نفسها ثم تقدمت والدة عمر حاملة هديته لتتوسطه مع سُلاف و تساعده في تقديمها لعروسه الأنيقة ..

بدأ بالمحبس ثم اتبع بخاتم الزفاف المصمم بشكل قلب من البلاتين الموشى بفصوص الألماس الوامضة بسخاء ثم يعلو شكل القلب الذي يميزه حجر مصقول من الزفير يماثل لون عينيه الكحلي بتناغم جميل تعمدته الفتاة في اختيارها ،

ثم اتبع بالطقم الذي ناقضه لكونه من الذهب الأصفر و قد عكس طبيعة سُلاف الشقية بتصميم حديث مرح جمع بين الأزهار و القلوب ..

عندما حان وقت رقصة العروسين نهضوا بترتيب الجلسة من اليمين إلى أن لحق بهم طاهر الذي جذب كف ناريمان المحتقنة الوجنتين بشكل فاتن بينما تحاول التملص منه دون فائدة حيث أصر قائلا :

- أنا متمسك برقصتي يا ذات العيون المذهلة التي سلبت عقلي و جعلت قلبي يتقافز على صفيح ساخن حتى علمت أن حالي لن يستقيم إلا بعد دخولك حياتي للأبد ..

هرعت إليه ابتسامتها المحملة بالرقي و النضج هامسة بحب عرف طريقه لقلبها بعد أن أسرها هذا الرجل في شباكه منذ تعمد الفظاظة معها :

- حسنا لقد فزت أيها العجوز المشاكس لكن لا تعتاد على ذلك ..

طيلة الحفل و عمر يتساءل عن موعد المغادرة الأمثل دون لفت الأنظار لكن الجميع ينهره بعينيه رافضين أن يفسد الحفل ، لقد كره المشاركة الآن طالما عليه الانتظار حتى يفرغ هذا الحشد من تبادل التهاني و التعليقات !

ألقى نظرة على مدللته التي أطلق لها العنان لتنطلق بين جنبات القاعة كما تحب ، تحلق كفراشة بيضاء هنا و هناك غير حافلة بكونها العروس و عليها التزام جانب زوجها ، لكن منذ متى كانت سُلاف اعتيادية ! لطالما كانت فرسه الجامحة كأميرات الأساطير بين الغابات تبحث عن فك طلاسم السحر ، تعجب من نفسه ، أي أحمق كان عندما تعامى عن حبها المتجذر داخله كأنها خلقت لتسكن قلبه دون سواه !

قبل نهاية الحفل بقليل كان الجميع تحرر من المظاهر و حذت بقية العرائس حذوها متخليات عن مقاعدهم الرسمية ليجبن أرجاء القاعة بمرح و سعادة تتدفق من خطواتهن بينما السيدات لسانهن منطلق بالدعوات الحامية من شر كل عين تنظر بسوء لفلذة كبدها

عند منتصف الليل أعلن انتهاء الحفل رسميا ليصطحب كل زوج بعضه متجها إلى عشه ، أماني لا يسعها الكون فرحة لبقائها داخل مملكتها الادهمية بشكل دائما دون الحاجة للقلق آو مغادرتها لأي سببا كان ..

شاهين ودع والدته و اصطحب الخالة قدرية مع زوجته التي نادرا ما أزاح ذراعه الداعم من حول خصرها و كل فترة يتحسس بطنها الضامر برقة كأنه يطمأن طفله الذي لم يكد يتشكل بعد انه هنا ..

تلقى طاهر عناق رجولي مفعما بالمشاعر من شقيقه الأكبر قائلا :

- كنت اعلم انك ستفعلها و تنتصر ، مبارك عليك حياتك الجديدة يا أخي ..

ثم اصطحب زوجته الدامعة العينين بعد وداع فتاتيها قائلا بمكر :

- و الآن أخيرا سأحظى بأيام عسل مجددا زهرتي (وتابع ردا على شهقتها الخجلة رغم عِشرة العمر) برأيك لما زوجتهن معا إذن !!

على الجانب الآخر تناول عثمان كف زوجته قائلا بحب مشاكس :

- أكاد لا اصدق إنني تخلصت حقا من ذلك العزول

نظرت إليه زينب باستفسار فتابع بعبث :

- بالطبع كان عليّ أن أزوجه بسرعة حتى يبتعد عن زوجتي فانا أغار ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

وصل المصعد للطابق المطلوب ليغادره عمر و مراد بينما الشقيقتين متشابكتين الأنامل في الخلف فاستدار الشابين بنظرات متسائلة و عمر يقول بنفاذ صبر بالغ :

- حسنا جيجي ، هذا هو زوجك بالمناسبة هلا تكرمت و منحتني يد زوجتي !

شدت سُلاف على كف شقيقتها التي أجابته ضاحكة :

- أنا لا أمانع أبدا لكن عليك إيجاد المادة العازلة فيبدو إنها قد التصقت بي ..

ثم قرنت قولها بالفعل و رفعت اليدين معا ليظهر كفها المحمر نتيجة ضغط أنامل الأخرى عليها ..

عندها كتم مراد ضحكته و أجلى حنجرته قائلا برجولة ساحقة :

- عفوا فيفي ، هلا فككت أسرها رجاء لأني احتاجها بشكل قاهر بهذه اللحظة ..

نقلت سُلاف بصرها بين الشابين البالغين الوسامة و الجاذبية أمامها بشكل مغيظ هاتفة برفض :

- لكني أريدها معي !!

ثم أشارت بوقار كمن يستعد للإدلاء ببيان مصيري متابعة :

- لما لا تذهب مع عمر للجناح و تتحدثان حول أموركما المستقبلية خاصة بعد أن صرتما قريبين الآن في حين أذهب مع أختي لأني تذكرت شيئا غاية في الأهمية ارغب بقوله لها ..

تذكرت جيّدا تصرفاتها أيام المدرسة عندما كانت ترفض البقاء بصفها و تصر على مشاركتها صف الكبار فاشتعل قلبها حنانا لأجلها و أشارت بكفها الحر للشابين اللذان أوشكا على الهتاف بما يعتمل داخل نفسيهما قائلة :

- إنها فكرة جيدة ، اذهب مع مراد عمر حتى أتحدث بعض الوقت مع شقيقتي ..

و دون انتظار للرد سحبت سُلاف المتشبثة بها إلى جناحها الذي يفترض عبورها عتبته محمولة بين ذراعي زوجها ..

راقب عمر طيفها الغارب أمامه بقهر شاركه به رفيقه في البؤس الذي نظر إليه بعدم تصديق قائلا بتواطؤ :

- ما رأيك ؟ ذلك ليس مبشرا أبدا ..

أدار إليه عيونه الزفيريه الغائمة بالكبت مرددا :

- أرى أن مواجهة يعقوب المعتوه كانت أسهل يا رجل ، الديك خطه ؟

حك مراد رأسه قائلا بتفكير :

- الخطف لن يكون مجديا علينا التحايل ، ماذا لو لكمتك و سببت لك هالة داكنة حول إحدى عينيك ! ستشفق عليك حينها و تترك لي عروسي ..

رفع الآخر حاجبيه قائلا بتذمر :

- يا لأفكارك الإجرامية ، تأثير عملك سيئا جدا بالمناسبة ، ادخل أمامي للجناح و دعنا نفكر دون إصابات ..

❖❖❖

- لا لا ، لن ادعه يدخل إلى هنا جيجي لا تحاولي ، لأنه لن يوافق على منحي كلمته أنا اعرفه ، كما انه لم يكف عن النظر إليّ طيلة الحفل ! ابتسمت جيّدا برقتها المعتادة و حاولت استمالتها قائلة :

- لكنه أصبح زوجك فيفي و يحق له أكثر من النظر حبيبتي ، ثقي بي ستكونين سعيدة

بادلتها النظر لوهلة ثم هتفت تسألها بحيرة :

- لما لست خائفة ؟!

أشارت الأخرى بكفيها قائلة ببساطة :

- لأني أحب مراد و أريد البقاء معه طيلة العمر كما تحبي أنت عمر ..

أومأت توافقها قائلة بتأكيد :

- اجل بالطبع أحبه جدا ، لكن عيونه تلمع بوميض شرير يقلقني ، كما أني اعلم انه سيحاول تقبيلي ..

عندها لم تستطع جيّدا كبح جماح ضحكاتها الصاخبة بينما تردد من بينها :

- يا لجرأته ، لكن في حقيقة الأمر نعم سيفعل و ... اممم حسنا ماذا فيها ؟ كفي عن الحماقة و تعقلي ..

شهقت الأخرى ثم سألتها بفضول متوثب :

- هل فعلتها يا فتاة ؟ سمحتِ لمراد بتقبيلك ؟!

تصاعد الدم يصبغ وجنتيها فنكست عيونها بينما تومئ بالإيجاب مرددة على استحياء :

- اجل عدة مرات لكن لا تنسي انه كان زوجي ..

عضت سلاف شفتها السفلية و عادت تسألها :
- إذن ... هيا اخبريني
بالكاد ردت و موجات الحياء تبتلعها :
- إنها جيدة ، بل رائعة في الواقع ليس عليك الخوف أبدا ، كأنه يلمس روحك و يهدهدها و يهديك واحة أمان و انتماء ، ثقي بي ..
احتقن وجهها بينما عيونها تومض بنظرة استكشاف جديدة ..

❖❖❖

أخذا بالدوار في أرجاء الردهة الخارجية من الجناح كل منهما يعقد كفيه خلف ظهره و تعبير وجهه كفيلا بجعل المقاعد الفارغة تنفجر ضحكا ، بإحدى الجولات توقفا فجأة مقابل بعضهما ليهتف مراد قائلا :
- مـــاذا ؟ هل خلدتا للنوم باعتقادك !
فكر عمر لوهلة قبل أن يرد بإحباط :
- يا الهي أنا أكرهك الآن يا رجل ، لما تزوجت معي !!
عندها وضع مراد كفيه فوق خصره قائلا :
- لا تنس أن زوجتك الطفلة هي من خطفت عروسي في ليلة زفافي و ليس العكس ، تبا لقد فاض الكيل ماذا تفعلان كل هذا الوقت ؟!

أومأ الآخر يوافقه قائلا بنفاذ صبر :
- اجل فاض و زاد و كاد يغرق نزلاء الفندق سأذهب للاستطلاع ..
اعترضه مراد قاطعا طريقه و غيرته تطفو قائلا :
- مهلا لما لا اذهب أنا ؟!
أزاحه عن طريقه قائلا بتفكه :
- لأن هناك جناحي أنا أيها العبقري ..
صمت أمام صحة منطقه و فجأة لمعت عيون عمر المثبتة على طاولة الطعام المعد لاستقبال العروسين قائلا بعبث :
- بعضا من الخداع لن يضر ، اخبرني كيف حال جرح كتفك ؟
رد مراد بعدم فهم :
- على خير ما يرام ، تقريبا التئم ..
تناول إحدى المحارم القطنية البيضاء مرددا بمكر جلي :
- لا لم يفعل ، ما أدراك أنت ! اجلس هنا و انتظر زوجتك ، لن أكون عمر إن لم تأت إليك راكضة بعد ثانيتين ..
اتسعت ابتسامة مراد المتواطئة عندما شاهد ما فعله قبل أن يهرع للخارج متجها إلى الباب

المجاور ثم دلف سريعا مشيرا بالقطعة التي يحملها و تبدو ملطخة بالدماء قائلا :
- جيجي ، إن جُرح مراد بدأ بالنزف ..
غارت الدماء من وجهها بينما هبت من مكانها صارخة :
- ماذا ؟! لكن كيف لقد اخبرني انه شفي !
حرك رأسه شارحا بأسى :
- يبدو أن إجهاد الحفل و ما قبله قد جعلا حالته تنتكس ..
نحته عن طريقها راكضة إليه تكاد تتعثر بطيات ثوبها الملتفة بينما هو ابتسم للفتاة المتسعة العينين بقلق واضح قائلا :
- مرحبا حياتي ، أعرفك بنفسي أنا ادعي عمر ، زوجك الجديد ..
تحركت للحاق بأختها فاعترضها قائلا بخفة :
- مهلا ، إلى أين ؟!
رفعت إليه ملامحها المجفلة سائلة بحيرة :
- ألن نطمئن على مراد ، اتصل بخالد ماذا تنتظر ؟!
حرك رأسه نافيا و ردد بنبرة ذات مغزى :
- لا داعي لذلك ، طالما جيجي معه سيكون بألف خير ..

تلقى اندفاعها بين ذراعيه بينما تهتف بلوعة :
- كيف حدث ذلك حبيبي ؟ هيا للمشفى أو نحدث المسئول هنا لا ريب أن بالفندق طبيب ، هل يؤلمك ؟ لما لم تخبرني ؟! لن أسامحك أبدا ..
وضع سبابته فوق شفتيها ليوقف سيل الأسئلة المتدفق هامسا بشغف :
- أنا بخير حبيبتي لا تخلي انظري بنفسك ..
بالفعل وجدت قميصه الناصع لا تشوبه شائبة فعقدت حاجبيها بعدم فهم قائلة :
- لكن عمر قال .... لقد رأيت الدماء و ....
وضع كفيه حول وجهها قائلا بحنان يفيض من أحرفه :
- إنها ليست دماء ، لقد سكب على المحرمة بعض قطرات من عصير التوت الأحمر حتى تعود الأمور لنصابها الصحيح ، أنت هنا و هو هناك ..
زفرت أنفاسها بصوت مسموع قائلة :
- الحمد لله ، ذكرني أن اقتله لاحقا ..
ضحك قائلا بمرح :
- لن تكوني مضطرة لذلك فأختك سوف تفعل بكل سرور ..
تذكرت نتائج فعلته فبادلته الضحك متخيلة

رد فعل فيفي التي تؤكد باتهام انه سيحاول تقبيلها بليلة زفافه عليها ..!

رفع وجهها إليه ليهمس بنبرات تتأجج عشقا :

- حسنا لنعد من البداية دون الوقت المستقطع ، مبارك جيدائي الساحرة لقد صرت زوجتي أمام الجميع ..

ثبتت عيونها على جوهرتيه الداكنتين هامسة بغرام لم تحاول إخفائه :

- لقد أوفيت بالوعد و تزوجتني للمرة الثانية لهذا أنا احبك أكثر و أكثر ..

وضع جبينه فوق جبهتها مغمغما بمشاعر ذائبة :

- تزوجتك بالتركية و الآن بالعربية و مستعد لفعلها بكل لغات العالم ، أنت قدري و كل عمري ، عشت انتظرك حتى تصلي و تعيدي إليّ قلبي لأنه منذ خلق عاش بين يديكِ ، أنت الأولى و الأخيرة لم أمس امرأة سواكِ و لن افعل ، احبك يا عاصفتي الشرقية ..

غامت عيونها لشدة تأثرها و افترقت كرزتيها البهيتين بابتسامة آسرة قبل أن تهمس بدلال قضى على الباقي من عقله :

- يفترض أن تقبلني الآن ..

لم تكن مجرد قبلة بل طوفان محمل بهبات الحمم الساخنة صهرت مشاعرهم التي حملتهم بعيدا حيث لا يوجد سوى مراد و جيدائه التي ظلت تهمس بإسمه كما لو بات يمثل كل معاني العشق و الهيام ، أحرفه هي قاموسها للتعبير عن عاطفة سامية تقاسماها بسخاء و عطاء مشترك لا وصف له سوى اتحاد روحين ذابا و اختلطا بكيان جديد يجمع العاشقين معا للأبد ..

سكبتك في دمي حلما
حنايا القلب ترعاه
وراح القلب في فرح
يغني سر نجواه
ويشدوا حبنا لحنا
كطير عاد مأواه
فأصبح لا يرى شيئا
سوى عينيك. دنياه
وأمن في دجى زمن
عنيد في خطاياه
شدونا الحب للدنيا
وفي شوق حملناه

رأينا حبنا طفلا
كضوء الصبح. عيناه
سألتك هل ترى يوما
سنهدم ما بنيناه ؟!
فقلت : العمر إبحار
وعمري أنت مرساه
تعيش العمر في قلبي
و لو ينساك أنساه
حبيبي حبنا قدر
ومهما ضاع نلقاه

فاروق جويدة

❖❖❖

نظرة المكر التي انطلقت من أحداقه جعلتها تشك بالأمر فسارعت تتناول المحرمة بريبة ثم قربتها من انفها لتشهق بادراك و تبدأ قذفه بوسائد الأرائك هاتفة :

- كان عليّ أن اعرف أيها المحتال الماكر .. أسرع إليها قبل أن ترميه بكل موجودات الردهة مرددا :

- حسنا أنا معترف بالذنب و مستعد لتلقي العقاب لكن بعد أن أقوم بواجبي ..

تراجعت مجفلة و سألته بحدة :

- أي واجب لا تكن مجنونا ، سوف اصرخ ..

وقف ناظرا إليها ببراءة و قال شارحا :

- لماذا ؟ انه شيء بديهي يجب أن أحملك للداخل و بما أن ذلك فات من قبل سأفعل الآن إلى غرفة النوم ، رأيت كيف ظلمتني ؟

ضيقت عيونها قائلة بمكر :

- يا لك من مسكين ، حسنا أنا أشكرك و أعفيك من هذا الواجب لأني أفضل السير على قدميّ ..

رفع كتفيه قائلا ببساطة :

- لا بأس الخيار لك ، ليتني أجد من يحملني لم أكن لاعترض أبدا ..

ردت بمشاكسة معتادة :

- تحمل قدرك بشجاعة ، لما لا تجلس بينما أبدل هذا الثوب ؟

هم بمتابعتها لكنها توقفت قائلة باستنكار :

- إلى أين تظن نفسك ذاهبا ؟!

أشار برأسه باتجاه الغرفة قائلا بعبث :

- لأساعدك بالطبع حبيبتي ، أنا لست عديم اللياقة لأتركك تجاهدين في الخروج من ذلك الثوب الكبير بمفردك ، أين حس المسئولية !!

رفعت إصبعها بتحذير واضح قبل أن تردد برفض :

- يبدو انك سوف ترهقني كما ظننت ، افهم قولي جيدا أنا سأبدل وحـدي ..

تناول يدها المرفوعة بوجهه و ضغطها بين كفيه قائلا بحنو :

- لكنها غرفتي أيضا فيفي ، اتركيني أرافقك حياتي ..

ضربت قدمها في الأرض هاتفة بطفولية :

- وحدي ، وحـدي ، وحـــدي ..

أومأ برأسه قائلا بصبر يحسد عليه :

- حسـنا وحدك يا مستبدة لكن ماذا عني ؟ أريد ارتداء شيء مريح بدوري و أغراضي كلها في الداخل ..

أشارت للغرفة الثانية قائلة بحزم :

- تستطيع فعل ذلك هناك و سأجلب لك ما تريد ، غير ذلك لا ..

تظاهر بالتفكير لوهلة ثم اتبع بقوله العابث :

- لا مانع لدي ، لكن بشرط ..

نظرت إليه قائلة بتوجس :

- ما هو ؟

أجابها باسما :

- لا مجال للخداع و أعدك أن أحسن التصرف ..

ردت قائلة ببراءة محببة :

- هل تعطيني كلمتك الآن ؟

ضحك قائلا باستمتاع كبير :

- اجل طالما تلتزمين بالشروط ..

أومأت متراجعة إلى الغرفة :

- حسـنا ..

ظل بمكانه حتى عادت للظهور على عتبة الباب و دون أن تتقدم خطوة قذفت إليه الملابس التي يريد ثم تراجعت بسرعة و أغلقته مع إدارة المفتاح في القفل ..

كبت انفجاره في الضحك لأنها تتصرف كما توقع تماما و تظاهر بالجدية قائلا :

- فيفي ! لقد اتفقنا و أنت هكذا تخرقين المعاهدة ، افتحي الباب ..

هتفت من خلفه قائلة بمشاغبة لذيذة :

- كلا ، لقد ألغيت الاتفاق و احلم أن تدخل هنا ، اذهب للنوم أحلام سعيدة حبـي ..

اهتزاز كتفيه أوشي بغرقه في نوبة ضحك صامت لكنه فعل و ابتعد إلى الغرفة الثانية

حيث قام باستبدال ملابسه مرتديا المنامة الكحلية التي اختارتها له ، كأنها قصدت أن تعكس ضياء حدقتيه و تمنحه جاذبية مضاعفة جلس باسترخاء على الأريكة يدندن لحنه المفضل ثم تطلع للساعة مع ابتسامة ماكرة ..
لقد منحها وقتا كافيا لذا اتجه للباب المغلق من جديد و دقه بخفة قائلا بمرح :
- سُلافي ، حلوتي يكفي دلال ، لقد تركتك وحدك بما فيه الكفاية ، افتحي الآن ..
وصله صوتها القريب فأدرك أنها خلف الباب مباشرة تردد بمرح مشابه مع نبرة الشقاوة المعتادة :
- أوه عزيزي عمر الم تنم بعد ؟! لما يا ترى ؟ امممم لدي وسيلة جيدة لجلب النوم سريعا لأني لن افتح أبدا أبـــدا ، استلقي و أغمض عينيك ثم ردد عشر مرات (أنا أحب سُلاف الحلوة) ستغرق في النعاس بأسرع ما تتخيل ..
رد بصوته الضاحك قائلا ما لم تتوقعه مطلقا :
- حسـنا حبيبتي شكرا على النصيحة ، سوف افعل بالتأكيد ، تصبحين على خير يا حلوه ..

ثم تراجع على أطراف أصابعه بخطى مدروسة إلى الغرفة الثانية ، ما لا تعلمه عروسه العتيدة انه يعرفها أكثر من نفسها و قد اختار هذا الجناح عامدا لكون الحمام الداخلي مشترك بين الغرفتين و يصلهما ببعضهما ....
لم تصدق أن يستسلم بهذه السرعة بل توقعت منه المزيد من المحاولة قبل أن يرضخ لمشيئتها ! لذا وضعت أذنها على الباب علها تلتقط أي صوت قد يصدر عنه ....
كاد أن يختنق من فرط الضحك الثائر بصدره عندما دلف إلى الغرفة عبر الحمام بهدوء ليجدها تحاول التلصص عليه ..
اقترب دون صوت حتى حاصرها بين الباب و جسده ثم وضع كفيه على جانبيها قائلا بهدوء حتى لا يجفلها :
- هل تبحثين عن شيء ؟!
صرخت و استدارت بين ذراعيه هاتفة بذهول :
- كيف دخلت إلى هنا ؟!!
أخيرا أطلق العنان لضحكاته الصاخبة مشيرا للحمام مرددا بدهاء :
- من هنـاك ..

ثم ردد بهمس مذيب :
- أنا أحب سُلاف الحلوة ، أنا أحب سُلاف الحلوة ..
حاولت التراجع دون فائدة فلم يترك لها منفذ للهرب قائلة بارتباك :
- عمر لا تنس ، لقد منحتني كلمتك ..
عاد للضحك حتى تراجع رأسه للخلف و حرك حاجبيه مرددا :
- كان هذا قبل أن تلغي الاتفاق بنفسك حياتي و كما تعرفين لكل فعل رد فعل و عليه استرددت كلمتي ..
حاولت التفكير في خدعة سريعة تنقذها بلا جدوى فقربه بهذا الشكل جعل ساقيها رخوتان و رائحة عطره تخترق رئتيها دون رحمة ، جعلها ذلك تغفل عن نظراته التي جالت عليها بكسل قبل أن يغمغم بنبرات محمومة :
- أشكرك فيفي على هذه الهدية فلم أتوقع بأجمل أحلامي أن أجدك ترتدين هذا الشيء البديع ..
شهقت بصدمة و قد تنبهت أخيرا لكونها ترتدي غلالة عرسها البيضاء القصيرة و لأنها كانت مفردها فلم تكترث بوضع دثارها المكمل و كل ما يغطي كتفيها و ظهرها المكشوف كان خصلات شعرها المنثور على طوله ..
شعرت بالسخونة تجتاح جسدها بأكمله و أدركت أنها صارت حمراء أكثر من ثمرة شمندر ناضجة ، حاولت دفعه لتجد شيئا تواري نفسها خلفه لكنه لم يترك لها المجال قائلا برقة :
- لا تخجلي مني حياتي أنا حبيبك و زوجك و الوحيد المسموح له باكتشاف كنوزك المخبأة ، أنت أجمل و أعذب شيء وقعت عيوني عليه يوما ، أعشقك يا جوهرتي و بهجة روحي ، الآن اخبريني أين يسكن عمر ؟
نكست رأسها هامسة بخفوت لا يكاد يسمع :
- في قلبي ..
عاد يكرر بنبرة غامضة :
- و أين أيضا ؟
رفعت عيونها مستفسرة لتقبض عليه متلبسا بتهمة التحديق بشغف في وشم الحناء المعتلي صدرها الذي يحمل اسمه داخل قلب مزخرف فصرخت باعتراض أنثوي خجل و هرعت تختبئ داخل صدره فهو المكان الوحيد الذي وجدته متاحا لها ..

ضمت نفسها إليه بقوة حتى تبعد عينيه لكنه استعاض عن النظر بالإحساس و قد صالت يديه و جالت بحرية في رحلة ساحرة أخذته لآفاق أجمل من الخيال ..

داعب بشرة ظهرها أسفل شلال خصلاتها الداكنة بحميمية مغرقة في الرقة فتأوهت باستجابة طبيعية مغمغمة بحروف اسمه فصعد بكفيه يرفع وجهها حتى يستطيع النهل من شهد ثغرها الفاتن لكنها قطعت عليه رحلة هبوطه عندما همست :

- مـاذا تفعل ؟!

رد بنبرات ذوبها الشوق و أجج رغباتها وجودها المثير بين ذراعيه :

- أريد قبلة واحدة ..

أكدت قوله بتحذير فكاهي :

- فقط واحـدة ..

أومأ مغمغما قبل أن يطبق على أنفاسها و يأسرها بجشع غازي متملك :

- بالطبـع ..

لكن الواحدة صارت مدا كاسحا من الغرام لا توجد قوة قادرة على إيقاف تدفقه ..

لمسات و همسات صاحبت لثمات حالمة نثرها على كل انش منها حتى صارت هي من تجذبه إليها رافضة السماح للهواء أن يمر بينهما ، لقد منحها كلمته و هي قبلتها ، كلمة عشق و غرام نما و ترعرع حتى حان وقت التمتع بحصاد ثماره الطيبة ..

أحبك .. حتى يتم انطفائي
بعينين ، مثل اتساع السماء
إلى أن أغيب وريداً .. وريداً
بأعماق منجدلٍ كستنائي
إلى أن أحس بأنك بعضي
و بعض ظنوني و بعض دمائي
أحبك .. غيبوبةً لا تفيق
أنا عطشٌ يستحيل ارتوائي
أنا جعدةٌ في مطاوي قميص
عرفت بنفضاته كبريائي
أنا — عفو عينيك — أنت كلانا
ربيع الربيع .. عطاء العطاء
أحبك .. لا تسألي أي دعوى

جرحت الشموس أنا بادعائي
إذا ما أحبك .. نفسي أحب
فنحن الغناء .. و رجع الغناء
نزار قباني

نهاية الفصل

دمعات القمر

الخاتمة

داعب شعاع الشمس الشقي جفنيها المطبقين بهناء لكنها رفضت ترك مكانها الأثير و غرست نفسها به أكثر لتظل غافية على صدر زوجها الرحب .. لثماته الشقية التي طبعت على مقدمة رأسها و جبينها الوضاء جعلتها تبتسم مغمغة بكسل :

- صباح الخير حبيبي ، هل أيقظتك ؟

رفع وجهها إليه ليكمل رحلته الساحرة حتى يحط فوق موقع هبوطه المعتاد و يحظى بنعيمه الصباحي الذي تمنحه له شفتيها بكرم اعتاد عليه حتى صار أشبه بالإدمان ..

شعثت خصلات شعره الطويل بفوضوية قائلة :

- لقد استطال زيادة عن المعتاد لكني أحبه هكذا ، لا تقصه رجاء ..

رفع حاجبيه قائلا بمكر يجيده :

- ماذا تعطيني حتى افعل ؟

استندت عليه بكوعها تبادله العبث :

- ماذا تريد ؟

قلب شفتيه قائلا بمرح :

- ربما لو أخبرتني كيف حال شامتي ؟ استطيع تحديد ما اغرب به ..

لكزته بصدره و قد تضرج وجهها كما لو كانت عروسا خجلة هامسة :

- إنها على حالها ..

حرك رأسه بمشاغبة قبل أن يردد :

- لن اصدق حتى أرى بنفسي ..

غلبتها ضحكاتها التي تحاول كتمها بينما كفه يدغدغها في طريقه العابث حيث تقبع الشامة التي يحبها و يوليها اهتمامه بشكل خاص ، أخذت تدفعه عنها و تنهاه بهمس :

- مراد كف عن الوقاحة ..

تراقص بريق عيونه الجذاب بينما يجيب ببديهية :

- و كيف أكون مرادك عندها !!

عادت تبعده هامسة بصوتها الخفيض :

- توقف سوف تفضحنا نحن لسنا بمنزلنا ، ماذا بك ؟ اسمع صوت حركة بالخارج و تعلم أنهم يستيقظون باكرا ..

غمغم قائلا بينما يدفن رأسه داخل تجويف عنقها الدافئ :

- و ماذا فيها ! إن لنا ذكريات سابقة بهذه الغرفة لذا انوي تعديلها و صبغها بطبيعة المرحلة ..

وضعت كفها فوق فمه قائلة بعيون متسعة :

- يا الهي أنت لا تستحي ، بالمناسبة ذكرني أن ارسم لك لوحة لنضعها هنا أيضا ..

ضحك على عادتها التي لا تتركها فقد دأبت على رسم لوحة له لتضعها بكل منزل قد يمكثان به ، عند والديه و بمنزلهم الخاص و حتى في بيت عائلتها مرددا بدهشة :

- هنا أيضا ! الم تقولي للتو انه ليس منزلنا ؟

قلبت شفتيها قائلة ببساطة :

- لكن العم شوكت قال أن هذه الغرفة لنا ، إذن يجب وضع بصمتي عليها ، اتركني انهض لان أمامي يوما مشحون بالأحداث ..

طوقها بذراعيه دون أن يتحرك قائلا بتسلية :

- ماذا ستفعلين على سبيل المثال ؟

أخذت تعدد على أصابعها قائلة :

- أولا سأذهب مع الفتيات لجمع الزيتون كالمرة الماضية و احضر حفل الصابون ثم تأتي أنت و تحضر لي قطعة ...

ابتسم قائلا بتفكه :

- لماذا ؟ هل تفكرين بالزواج مجددا و بطنك تمتد مترين للأمام و تسبب مخالفة سير كلما حاولت عبور الطريق !!

ضربته على كتفه كما يحدث كلما سخر من بطنها المنتفخ جراء دخولها شهرها التاسع من الحمل قائلة :

- اجل طالما سأتزوجك أنت في النهاية ، لا تنكر أن القطعة أتت بمفعولها و ها نحن زوجين ..

لثم طرف انفها قائلا :

- بالقطعة أو من دونها أنت ولدت لتكوني زوجتي جيدائي و لن اسمح لك بالعمل مع الفتيات ، ستشاهدين من بعيد و لا تحاولي الجدال فلن أغامر بان تلدي قبل موعدك كما فعلت نرفين و جعلت شاهين المسكين يعاني الويلات ليلة كاملة ، ماذا لديك غيره ؟

ردت بعبوس لم يجدي في تبديل رأيه :

- أين عقلك أيها السيد ؟ الليلة يقام احتفال الحناء الخاص بحفصه فغدا موعد زفافها على جلال أخيرا ، الم نحضر لهذا الغرض !

أومأ بالإيجاب مرددا :

- بالطبع اذكر لكني أردت تحذيرك أن أي مجهود زائد سوف اجعل الخالة مقبولة تحتجزك في الغرفة بمفردك و لا تظني انه بعد قدرتك على الحديث معها بالتركية ستسمح لك بخداعي ..

ردت قائلة بدلال ماكر :

- حسنا أعدك ، أظنني استحق مكافئة الآن فهل اذهب مع الفتيات للحمام إذن ؟

رفع حاجبيه هاتفا :

- بالطبع لا ، أنت لن تذهبي لأي مكان بدوني في حالتك هذه ، افعلي ما يحلو لك أمام عيني أو داخل المنزل ، أصبحت لا تؤتمنين سأوصي عائشة أن ترافقك كظلك ..

مالت على وجنته فظنها ستقبله كالمعتاد لكنها فاجأته و قامت بعضُه تعبيرا عن استيائها ثم هرعت تغادر الفراش ضاحكة بالقدر الذي سمح به ثقلها ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

دلف عمر لمنزله هاتفا بغيظ :
- سُـلاف ، أين أنت ؟
ركضت إليه باسمة كما تجيد استقباله و قد أخبرتها نبرة صوته بما يريدها لأجله ، ألقت نفسها على صدره متعلقة بعنقه و عيونها تطلق نظراتها البريئة التي تصيب فؤاده بسهامها النافذة :
- أهلا حبيبي ، لما جئت مبكرا ! هل اشتقت إليّ ؟
احتواها بين ذراعيه بشغف لا فكاك منه لكنه سرعان ما استعاد غيظه فامسكها من كتفيها ليبعدها بالقدر الذي يسمح بمواجهتها فقط قائلا من بين أسنانه :
- ألا تعلمين سبب حضوري حقا ! يا للبـراءة ..
ميلت رأسها قائلة بابتسامة ماكرة :
- و كيف اعرف ! هل أنا ساحرة ؟
لم يملك غير الضحك على تعبيرات وجهها التي تجيد التلاعب بها ، تلك المشاغبة الماكرة تلفه حول إصبعها باقتدار قائلا بتفكه :
- بل أنت مشعوذة شريرة ، ماذا فعلتِ بالسيد فهمي ؟!
تعالت ضحكاتها هذه المرة قبل أن تفك ذراعيها

من حول عنقه و تشير بكتفيها بطريقتها الطفولية قائلة :

- اممم إذن مديري العتيد هرع ليشكوني إليك كالمعتاد ، هذا ليس عدلا أنا لم افعل شيء ، انه رجل مستبد و كلما ذكرت رأيي لا يعجبه !!

أدار عينيه في الفراغ قائلا بعدم تصديق :

- متأكدة انه هو المستبد فيفي ؟! الرجل كاد يبكي قهرا من أفعالك في حين لم تعملي هناك سوى شهرا واحدا ! يا الهي لقد شغلت أربعة وظائف بينما لم تنهي دراستك سوى من أشهر قليلة ، و كل وظيفة لم تمكثي فيها أياما معدودة و النتيجة كل مره مديرك يأتي إليّ راجيا أن ارحمهم من خدماتك ، لقد حققت رقما قياسي بينما خسر والدك نصف معارفه ..

كشرت ملامحها قائلة بصبيانية :

- أنت تبالغ الآن ، ما ذنبي أنهم قديمو الطراز يرفضون اقتراحاتي الثورية ، هم الخاسرون على كل حال ..

رفع حاجبيه بلا حيلة و جذبها ليجلس و يأخذها فوق ساقيه قائلا بحزم :

- حسنا إليك قولي النهائي حفاظا على الباقي من عقلي ، أما تعملين في شركتنا و ليعنا الله على تحملك أو خيارك الآخر و هو الأفضل بالمناسبة أن ترجئين العمل هذه الفترة و تتفرغين لأمر إنجاب طفلنا الأول ، لأجل الله أرفقي بي سوف يشيب شعري قبل أن أتمكن من تكوين أسرة ..

وضعت إصبعها على جانب رأسها مدعية التفكير لوهلة قبل أن تنفرج أساريرها قائلة :

- اممم حسنا سأنظر في أمرك ، لا أنكر أن الأمر يراودني بشدة خاصة بعد ولادة جيجي و تجربة إحساس الخالة للمرة الأولى ، أما العمل فلن أيأس حتى أجد من يقدر مواهبي الفذة أيها العمر الشرير ..

قربها منه قائلا بعيون غائمة من فرط عشقه لهذه المشاغبة المحببة كقطعة حلوى الكراميل لا يمل منها مطلقا :

- يبدو إنني بالنهاية سأفتتح لك سيركا تمارسين فيه كل نزواتك الجنونية ، و الآن أين قبلتي ؟ لقد وصلت منذ دهر و لم احصل عليها حتى الآن ..

رفعت كتفيها و قلبت شفتيها قائلة بعناد :

- كلا لن أعطيك شيئا فانا غاضبة لأنك عنفتني ..

أشار لنفسه هاتفا بقهر :

- أنـــا !!

أومأت قائلة بإغاظة :

- اجل ، كنت تريد عندما حضرت ، المهم النية يا سيد ، لكن قد أسامحك إذا أخبرتني متى سنسافر عند جيجي ؟ فوالداي سبقا منذ فترة و أنت قلت سنلحق بهما ، متى إذن ؟!

سكن ثغره ابتسامه متشبعة بحبها قائلا :

- حســنا يا متسلطة أنا لم انس لكن علينا انتظار عودة عمي رضوان ليتسلم زمام العمل حتى استطيع الغياب كما إننا سنسافر مع أماني و ادهم ، لذا تحلي بالصبر و هاتي قبلتي طواعية بدلا من التصرف وحدي و حينها لا تلومين سوى نفسك ..

مالت عليه بغنجها المعتاد سالبة روحه بينما تمنحه ما يريد بسخاء باتت تجيده ...

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

تأمل خالد زوجته المستغرقة باتصال هاتفي مع شقيقها تناقشه بشكل عملي حول عدة نقاط استوقفتها أثناء دراستها لملف آخر مناقصة فاز بها المكتب الذي اتسع و كبر حجم أعماله و قد صار لندى دورا ملموسا في مقدمة فريق العمل بعد أن أثبتت كفاءتها منذ انضمامها لأدهم و صارت احد ركائزه ..

لمعت عيناه بالفخر و التقدير لهذه القطرة الندية المشبعة بالحب و الحنان و القادرة على احتواء الجميع بدفئها و قوتها الفطرية التي تستنفر دفاعا عن أحباءها دون تردد كما فعلت و أرست دعائم حياتهم الزوجية حين استشعرت خطر الفتور و التباعد يتربص بهم ..

لن ينس إنها كانت البادئة و علمته درسا قيما كون أسرته و عمله يمثلان كفتي ميزان عليه التوازن على الدوام ، لا يطغى احدهما على الآخر و إلا اختلت علاقة الأفراد داخل منظومة العائلة ..

عاد بذاكرته لوقت مضى تحديدا لليلة اختبر خلالها طعم الخسارة الفادح عندما اختطف الوغد طفليه لعدة ساعات شكلت حدا فارقا في حياته و جعلته يتشبث أكثر بهنائهم الأسري و يحرص على عدم تشويه ذكريات ندى بتلك البقعة المعتمة التي حفظها داخله وحده حامدا ربه بكل وقت على زوالها دون خسائر حقيقية ..

شعر بملمس كفها اللين على معصمه المستكين براحة فوق حافة المقعد بينما صوتها العذب يداعب أسماعه قائلا :

- إلى أين ذهبت أيها الشارد ؟ اعتذر عن انشغالي مع مديري اللحوح خارج أوقات العمل هل أنت مستاء ؟

أضاءت الابتسامة ملامحه الوسيمة و جذبها لتستقر جواره حيث يحب أن تكون دائما قائلا بصدق :

- بالعكس لقد اكتشفت أني أحب تأملك بينما تعملين ، تبدين كتلة ذكاء متقدة موفورة النشاط ، كم افخر بك قطرتي فأنت فريدة و أحبك بكل حالاتك ناهيك عن الوقت الذي يتصل فيه كامل سائلا عن أمرا ما بشأن العمل ..

صدحت ضحكاتها صافية رقراقة تحمل حبها اللا محدود لهذا الرجل الذي يكمل كل شيء فيها و لا يبخل عليها باحتوائه الرجولي الشامل لمختلف أحاسيسها :

- أمازلت متحاملا عليه رغم لقاءك المتكرر به و إقرارك انه شخص جاد محترم و لا يشوبه شائبة !

جعد جبينه قائلا بمشاكسة :

- لكنه يظل رجلا في النهاية و لا أحبذ أن تعدد زوجتي مزايا آخر أمامي بالمناسبة ..

تابعت ضحكاتها على شكل ملامحه المستنكرة قائلة بمرح :

- حسنا حسنا لقد وعيت الدرس سيدي الطبيب الفذ و لن أكررها ، ما رأيك أن اعد كعكة الشكولا المفضلة لديك كاعتراف عملي على مدى روعتك ..

ادعى التفكير لبرهة قبل أن يومئ بموافقة حماسية و يميل هامسا بنبرة متآمرة :

- و سأكون ممتنا أكثر لو آوي الصغيرين لفراشهما مبكرا الليلة لأني أود مناقشتك بأمر مُلح غاية في الأهمية و لن يفهمه سواكِ ..

همت بالرد الذي قطعه صوت لانا الحاد بينما تقف أمامها بوضع متحفز واضعة كفيها الصغيرين فوق خصرها معبرة عن استيائها الواضح بتلك اللحظة :

- ماما ، لقد قررت الحصول على أخ صغير و أريده في الحال فهلا أسرعت رجاء ..

اتسعت عيون ندى الرمادية ذهولا من كتلة التسلط الكائنة أمامها و قد عقدت حاجبيها الصغيرين بصرامة تدل على جدية تصريحها بينما تعالت ضحكات خالد المعجب بقولها كما يبدو و قد حملها بمرح ليضعها فوق ساقيه و يقبلها بقوة هاتفا باستحسان مطلق :

- هذه هي فتاتي التي تشعر بوالدها ، هل لي أن اعرف سبب السرعة حتى أؤيد قرارك بدوري يا أميرة ..

التفتت لانا بوجهها إليه قائلة بأهمية :

- لأني مللت كون عاصم الأكبر الذي يعرف كل شيء كما دأب على التفاخر كلما شاركته اللعب ، لهذا أريد أخا ذكر لأكون أنا الكبرى و عليه استئذاني قبل اخذ أشيائي مثلما يفعل عاصم معي ، ها قد أخبرتكما و سوف انتظر وصوله ..

ثم انزلقت من فوق ساقيه راكضة إلى حيث كانت تلعب مع شقيقها الذي يعشق خصائصه ليرفع خالد كفيه قائلا من بين ضحكاته العابثة

- أظنها ستكون نائبة في البرلمان لا يشق لها غبار ، لقد عرضت قضيتها باقتدار و قد أقنعني منطقها و هذا يعود بنا لأمر مناقشاتي المُلحة و الكعكة الشهية المنتظرة مع فارق أني بت أفضل إرسال الصغار في زيارة لامي حيث أصبح الوضع مصيريا الآن و لن أغامر بإغضاب لانا بالطبع ..

ظلت ندى صامتة مع حاجبان معلقان أعلى جبينها لوهلة ، يا الهي من قال أن عاصم نسخة عن والده ؟! ماذا تكون تلك المتواطئة الصغيرة إذن ! ثم ما لبثت أن أفرجت عن عاصفة الضحك التي أوشت برضوخها لعملية الاحتيال الثنائية طواعية

تركت نرفين طفلها مع جديه طاهر و ناريمان اللذان دأبا على الزيارة و قضاء الوقت معهما كما وعدها عند زواجهما بأنه لن يبعدها عن وطنها بل سينتقلان بين البلدين خاصة و قد نقل جزءا من أعمال الشركة لتركيا ، الشيء الذي أصر عليه هو أن يكون له منزل مستقل هناك و قد وافقته السيدة تاركة المنزل الكبير لشاهين و نرفي أما قدرية فكان لها الخيار في العيش بأي من المنزلين لكنها فضلت البقاء مع مدللها شاهين مع فارق أنها نقلت الدلال للصغير الذي ورث عيون والده و جدته مع استدارة وجه والدته فكان طفلا رائع الجمال ..

اتجهت لغرفتها تبحث عن بعض الأغراض أعلى خزانة الملابس فلمس كفها شيء ناعم جذبته بفضول لتكتشف أنها منفضة الغبار التي وجدتها نائمة بين ذراعيها ذات يوم مر بحياتها كحلم مبهم قبل أن تكتشف انه حقيقة عايشتها برفقة زوجها الرافض إخبارها أي معلومة عنه !

طوقها ذراعان قويان من الخلف و الصقاها بصدره العضلي الوثير قائلا بنبرته المشاكسة :

- ماذا تفعل جميلتي ؟!

لفت تواجهه قائلة :

- انظر ماذا وجدت ؟

ثم رفعتها أمام عينيه فتعالت ضحكاته العابثة كما يحدث كل مره تتطرق لهذا الأمر فعقدت حاجبيها الجميلين قائلة باستنكار :

- ألن تخبرني ما فعلته ذاك اليوم ؟!

فكر لوهلة ثم غمغم بنبرة ماكرة :

- أريني كيف تستقبلين زوجك العائد من العمل أولا و قد أفكر بالأمر ..

أحاطت عنقه بذراعيها و رفعت نفسها على أطراف أناملها طابعة قبلة مفعمة بالحب المتوغل داخل قلبها و يزداد كل يوم أكثر من سابقه لهذا الصقر الذي يمتلك حنان العالم اجمع داخل حدقتيه الحاملتين بهاء السماء الصافية ، اتبعتها بأخرى و أخرى ..

سلسلة من القبلات التي طافت بكل ملامحه قبل أن تستقر فوق شفتيه لفترة ثم تعود و تردد بنبرة تتوثب فضولا :

- ها ؟ هل ستخبرني الآن ؟

شبك كفيه خلف ظهرها و ادعى التفكير مجددا لوهلة ثم ما لبث أن حرك حاجبيه مرددا بإغاظة متعمدة :

- أبـدا ، انه ســـر ..

- نانيّ هل انتهيت حبيبتي ؟ لقد وصلت سيارة الأجرة ..

صدح صوتها من أعلى الدرج قبل أن تطل برقتها التي أبرزتها بداية ظهور حملها :

- اجل ادهم ، أغلقت الحقائب و لم احملها كما أخبرتني ...

هرع إليها متناولا كفها قبل أن يميل لاثما وجنتها ذات البشرة الكريمية قائلا :

- هذه هي فتاتي المطيعة ، لكني لا أريدك أن تصعدي الدرج أيضا ، بعد عودتنا من تركيا هذه المرة سننتقل مؤقتا للدور الأسفل ، رجاء حبيبتي لن احتمل أن يحدث لك ذلك مجددا (ثم تذمر كالمعتاد) يا الهي أنا لم أرد أطفالا طالما الأمر محفوفا بالمخاطر بهذه الشكل فأنت تكفينني و تملئين حياتي ..

كانت تدرك انه يعاني منذ أجهضت حملها الأول و لم ينس حين عاد من عمله ليجدها ممددة على الأرضية الرخامية و حولها بركة من الدماء ..

رفعت كفها تحيط جانب وجهه الحبيب قائلة :

- انس هذا الأمر حياتي ، أنا حتى لم أكن اعلم بالحمل وقتها و قد اخبرني الطبيب أن الإجهاض عندما يحدث بهذه الصورة يكون شيئا جيدا يعني انه لم يكن سليما بينما الآن دخلت الشهر الرابع منذ أسبوع و لم يعد لدي غثيان أو دوار ، اطمئن ، ثم أني أريد الكثير من الأطفال و سوف يشبهونك و عندما يكبرون أقص عليهم حكايتنا و كيف تسلق والدهم شرفتي هربا من جدهم فهذا لا يحدث كل يوم كما تعلم ..

ضمها إليه برقة و قد أشرقت عينيه بكم هائل من الغرام الذي يكنه لها ، عشق تمكن منه و عاش داخله متحديا الزمن و المسافات حتى نال مراده في النهاية كما يفوز كل مجتهد بنصيبه ..

سحب أنفاسا عبقة برائحتها التي تسكره دافنا انفه بطيات حجابها الأنيق لكنه انتبه على صوت نفير السيارة المنتظرة بالخارج لتقلهم إلى المطار و قد اقترب موعد رحلتهم التي أصبحت معتادة منذ استقرار جيّدا مع زوجها هناك و تنقل العم طاهر برفقة زوجته و هكذا صارا يقضيان الوقت بين البلدين خاصة مع وجود أصدقاء و أهل في كلا منهما ..

ضحكت قائلة بينما صعد لجلب الحقائب :

- يا الله لا بد أن فيفي قد أصابت عمر بالجنون الآن ، لقد أوصانا ألا نتأخر حتى نساعده في السيطرة عليها ..

اخرج الأمتعة و تأكد من تأمين المنزل ثم أحاط خصرها يقودها للخارج قائلا :

- لقد أصيب به و انتهى الأمر حبيبتي نحن الآن نحاول الحفاظ على الجزء الباقي من عقله آملين أن يصمد أمام ما تفعله به ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

دمعات القمر لـ حسن الخلق

استرخى صالح على مقعده الوثير أمام بركة السباحة الخاصة بمنزله الهادئ تجاوره زوجته و رُقية حياته يراقبان بعيون مهتمة خطوات صغيرتهم المتعثرة و التي تخطت عامها الأول لكنها لا تهدأ بطاقة متجددة لا تنضب ..
هبت رُقيه من مقعدها فزعة و همت بالركض إليها لكن أوقفها كف صالح مغمغما بصوته ذو الرنين المميز قائلا بهدوء :
- اتركيها حبي ، اهدئي و عودي لمكانك ..

اتسعت عيونها بفزع هاتفة بعدم تصديق من لامبالاته :
- يا الهي صالح هل أنت جاد ؟! طفلتي التي بالكاد تستطيع السير تحاول رمي نفسها بالمسبح !!
اتسعت ابتسامته الكسولة قائلا بتأكيد :
- ماذا فيها ! إنها تسبح أفضل منك ، لا تعليمها الجُبن و الخنوع ، اتركيها لا تخشى الإقدام ..
وضعت كفها فوق رأسها قائلة بيأس :
- حبيبي ألا يكفي انك مجنون فتريد تحويل فاطمة لنسخة عنك ! لم انس كيف قتلتني رعبا عليها عندما ألقيتها في المسبح بينما لم تتعد شهورها الأولى ، كاد قلبي أن يتوقف حين رأيت طفلتي الوليدة تغوص تحت الماء !!

صخبت ضحكاته على نظراتها الفزعة كلما تذكرت ذلك قائلا بمرح فخور :

- انظري لنتيجة ذلك الآن ..

اتجهت نظراتها لفاطمة الطافية على سطح حوض السباحة الكبير باقتدار و مهارة تحرك ساقيها المكتنزان لتوازن نفسها بينما تلهو بالماء و صوتها يعلو بمناغاة سعيدة و عندما لاحظت أنها قد أثارت اهتمام والديها بدأت تهتف بندائها المعتاد بحرف الصاد الذي خصصته لوالدها حتى ينضم إليها كما عودها منذ وعت على الدنيا ..

حرك صالح حاجبيه بعبث يغيظ رُقيه التي فقدت الأمل في زوجها و ابنتها قبل أن يميل مقبلا وجنتها الناعمة بشقاوة و يهرع ملبيا نداء ثمرة حبهم ، فاطمة التي كان يوم مولدها اسعد أيام حياته و أولى لبنات عائلته الكبيرة التي ينوي تكوينها مع حبيبة عمره تعويضا عن سنوات وحدته التي ودعها إلى غير رجعة ..

خلع كنزته القطنية و ألقاها مكانه على المقعد ثم لحق بطفلته لتبدأ جولة لعب هانئ بينما يأخذها على صدره بحنان و هي مرحبة بذراع والدها الداعم فما كان من رُقيه التي غامت عينيها بحب هادر لهاذين المشاغبان أمامها إلا أن نزعت مئزرها وانضمت لهما بدورها ليزداد الصخب و قد كون صالح و فاطمة فريقا ضدها و صارا يرشقانها بالماء بينما تحاول الرد على الهجوم الثنائي بضحكات غلبت عليها صرخات الصغيرة المستمتعة ..

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

تمر الأيام حاملة حلوها و مرها نحن من علينا اختيار أيهما نرغب في بقائه ، نتمسك بالإشراق و التفاؤل متنسمين نكهة الطبيعة التي خلقت لأجلنا و نمرر العبوس و العثرات كما تبدد الشمس الغيمات السوداء و تفرق شملها ..
بإرادتنا الحرة نلون حياتنا بالأمل و الغد الأفضل عندها لن تستطيع قوة في الكون سلبه منا لأنه يصبح يقينا نتشبع به و يشكل داخلنا لتبقى حلاوة الذكرى و نزهو بان حياتنا كانت ذات قيمة ....
قبل أن يقوى الشعاع الوليد و ينجح في شق رداء الظلمة و خلعه عن العالم مال يوقظها بأنفاسه الدافئة التي لفحتها حاملة دفء و رجولة صاحبها ..
بعثر لثماته الأشبه بهفهفة الحرير فوق ملامحها هامسا :
- استيقظي جيجي ..
حاولت الاختباء أسفل غطاءها الوثير متمسكة بالنعاس اللذيذ المطبق عليها لكن عزم زوجها كان اشد فعاد ينثر شعرها على الوسادة و ينفخ خصلاته غرتها بدغدغات شقية متابعا الهمس :

- هيا يا كسولة افتحي عينيكِ ..
دفنت رأسها بالوسادة أكثر و ردت قائلة بتذمر :
- كلا ، اتركني مراد أريد النوم ..
أعاد وجهها إليه بمشاكسة يأبى تركها و استمر بملامسة عنقها بشفتيه هامسا بتحذير :
- آخر فرصة لتنهضي و إلا ستبدأ الدغدغة الحقيقية ..
ثم حرك كفيه بالفعل فهبت جالسة بعيون مغلقة هاتفة باستياء :
- حـــراااام ، بالكاد غفوت لنصف ساعة بسبب بكاء ابنك المتواصل طيلة الليل لان لديه سنا جديدا ينمو ، ماذا تريد أيها المستبد ؟!

دمعات القمر لـ حسن الخلق

مال ثغره بابتسامة ماكرة فقد توعدها من قبل و هو لا يترك ثأره أبدا :

- دمعات القمر بانتظارك حبيبتي ، هيا قبل أن يجففها الشعاع الوليد ..

فتحت عيونها على اتساعها هاتفة بقهر :

- أنت شرير مراد ، أنا من ستهطل دمعاته الآن ، أريد النوم ..

حرك رأسه برفض مشاكس و جذبها من كفها لتتبعه صاغرة حيث المكان الذي جمعهم مع رحيق الحياة للمرة الأولى ..

أجلسها بين ذراعيه فوق الربوة الكائنة خلف منزلهم حيث الطبيعة لم تلوثها يد البشر ، فتح وريقة الزهرة اليانعة و صب القطرة داخل كفه ثم قربه منها كما فعلت معه من قبل واشمة روحه بسحرها للأبد ..

مالت بظهرها على صدره و أحاطت كفه الكبير بكلتا يديها الرقيقتين لتتذوق قطرة الندى النقية ثم تلثم باطن كفه برقة فراشة هامسة :

- حبنا بمثل نقاء هذه القطرات السعيدة مراد ، دائم التجدد و العطاء ، لن يجف أبدا ما دامت الأرض تدور و الشمس تشرق و النهار يعقب الليل ، سأظل احبك طالما القمر يرسل دمعاته غاسلا وجه الصباح ..

شدد ذراعيه حولها برد عملي تجيد استقباله ثم لثم طرف أذنها هامسا :

- غني لي وحدي يا سابية القلب ..

غرست نفسها بين طيات أمنه الحاني و انطلق لسانها يشدو راسمة لوحة عشقها بكلمات تجعله سلطان بين البشر طالما سلمته راية مملكتها يأمر فيطاع ..

دمعات القمر

رفعت وجهي باسمة لأهمس سائلة :
أما زلت هنا يا صديقي ؟
أضاء وجهة ضاحكا يتأملني مستبشرا ليهمس
بدوره سائلا :
و أين لي أن أكون غير هنا يا عزيزتي ؟
ضحكت برقة ليكمل مستفسرا :
تبدين بخير حال و سعادتك تتراقص حولي
بدلال
فتحت ذراعي مستقبله حباته الندية
لأدور حول نفسي بسعادة بهية
ثم اردد بروح شقية :
أخذت بنصيحتك وها أنا أعيش سعادتي الأبدية
تعالت ضحكاته ليسأل مستوضحا :
أي نصيحة تلك ؟
رفعت راسي لأهمس بعشق :
أفصحت عن حبي لزوجي
و أخبرته انه كل أملي
و إن حياتي من دونه بلا هدفِ
ابتسم فرحا ليقول بدفء :
خير فعلت يا صغيرتي
سألته بسرعة و قلق :

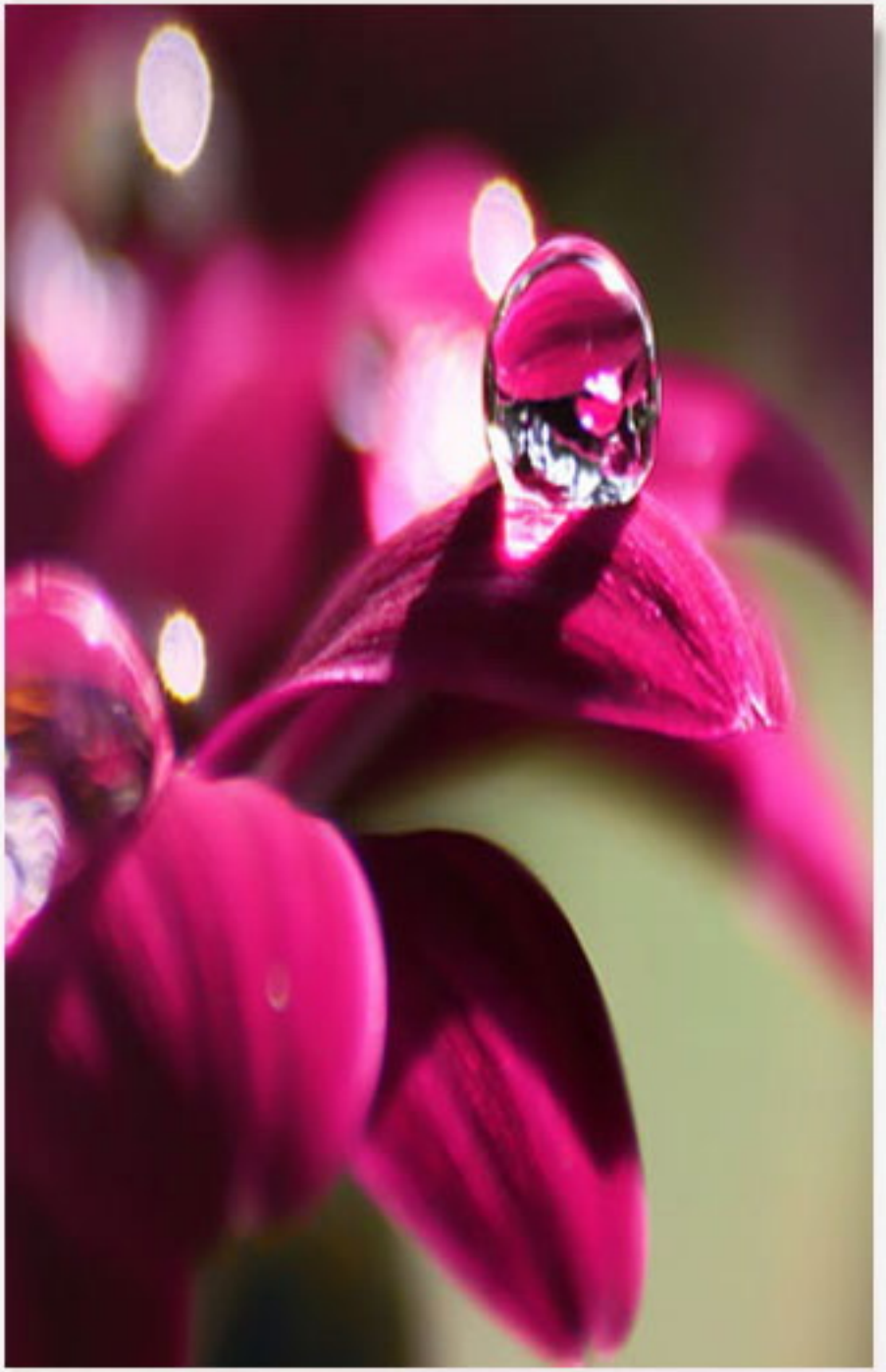

أمازلت مودع أسراري ؟
و لن ترحل بعيدا عني ؟
اتسعت ابتسامته ليربت على كتفي قائلا :
سأظل هنا يا صغيرتي
و انثر دمعاتي يا حلوتي
غاسلا الأرض كل صباح مستقبلا يوما جديدا مبهجا
ابتسمت بسعادة و أنا أخبره :
سأنتظر دمعاتي إذا
والتقطها بسعادة من فوق الأزهار
تحركت مبتعدة و أنا اهتف بمرح
إلى اللقاء يا صديقي
احبك يا قمري المضيء ..

الساحره الصغيره

تمت بحمد الله